نرمين نحمد الله

جارية في ثياب ملكية

نرمين نحمد الله

جارية في ثياب ملكية

رواية

جارية في ثياب ملكية

الجزء الأول من سلسلة

قصور من رمال

بقلم

نرمين نحمد الله



نرمين نحمد الله

جارية في ثياب ملكية

تصميم غلاف خارجي:

خلود عز الدين

تصميم غلاف داخلي :

شيماء صلاح

التعبئة الداخلية :

Asmâa Silver



الفصل الأول:

صعدت درج المنزل المؤدي للسطح بخطوات رتيبة كما اعتادت...

لكنه اليوم لن يتبعها كما اعتاد أن يفعل...!!!

فتحت باب السطح ليصدر صريره المعتاد ...

لكنه يبدو اليوم أكثر حدة...

وكأنه يتألم مثلها...!!

دخلت وهي تتوجه إلي جدار السور الذي اعتادا اللعب عنده صغاراً...

وشهد عشقهما كباراً...

جثت علي ركبتيها أمامه وهي تتأمل ذاك الرسم الذي خطته يداه عليه يوماً..

رسم يمثل أول



حروف

اسمه

بالانجليزية وهو يلتف بصورة معينة ليحتضن أول حرف من اسمها...

تلمسته بأناملها في وجد واشتياق...

ثم مالت عليه تقبله بشفتيها...

تتلمس ذكري ذاك اليوم الذي حفره لها هنا...

أسندت جبهتها علي الجدار وسالت دموعها علي خديها تدفعها بعيداً عن حرارة الذكري...

وتدفعها في برودة واقعها الجديد...

الليلة زفاف ياسين...!!



الليلة ستكون له زوجة أخري سواها...!!

زوجة ستأخذ مكانها علي صدره ...

لن يعود من حقها أن تحلم به كل ليلة...

أو أن تنتظر مجيئه في شوق لتحكي له حكايا نهارها الطويل...

أو أن تري جمال ثيابها وأناقتها في عينيه وحده...

أو أن تزرع له أوراق النعناع أمام شباك غرفتها كي تقطف منها كل يوم ورقتين تقبلهما بشفتيها قبل أن تضعهما له في فنجان الشاي!!!!

لن يعود من حقها أن تري وسامته في وجوه كل الرجال...

أن تسمع صوته وحده في جميع أحاديثهم...

أن تشم عطره

مشتبكاً بذرات الهواء



حولها في كل مكان...

لن تعود قادرة علي كتابة اسمه في مجلد مذكراتها الذي اشترته فقط لأجله...

علي رسم ملامحه علي ظهر أغلفة الكتب التي تقرأها...

علي احتضان طيفه الحنون الذي يؤنس وحدتها في غيابه...

الليلة زفاف ياسين...!!!!

سيرتدي البدلة الفاخرة التي طالما اشترتها له في خيالها لتظهر شديد وسامته...

سيصفف شعره بتلك الطريقة التي تعشقها عندما يرجعه كله للخلف فيبدو جبينه عريضاً كفضاء واسع يحتضن أحلامها به...

سيضع عطره الذي

اختارته له بنفسها...



ويذهب إلي أخري...

أخري لم تحلم به يوماً مثلها وربما لم تره في حياتها أكثر من بضع مرات...

أخري ستتأبط ذراعه القوي ليسير معها في فخر وسط الناس...

تتمايل بفستانها الأبيض الذي طالما حلمت به...

لتجلس جواره علي المنصة كالأميرات...

بينما تقبع هي في الظل كسندريللا دون مساعدة الجنية...

ومن يمكنه مساعدتها ها هنا...

لقد قضي الأمر...

وسيتزوج ياسين!!!



الليلة زفاف ياسين!!!!

تري كيف سيراقص تلك الأخري هذه الليلة ...؟!!!

هل سيضمها لصدره فتفرش عليه أحلام غدها كما كانت هي تحلم...

هل سيقبل جبينها فتزرع شفتاه الحنان أينما حلت كما كانت هي دوماً تظن؟!

هل سيصبغ الهواء بينهما بصبغة حضوره الفريدة التي تعرف أكثر من غيرها كيف هي رائعة؟!

هل سينظر في عينيها فتود لو أن العالم يتوقف هاهنا وتكف الأرض عن دورانها لتستلذ بطعم الأمان في حدقتيه؟!

الليلة زفاف ياسين!!!

سيأتي بامرأة غريبة



لا تملك معه أي ذكري فقط أسعدها الحظ فجعلها زوجته...

سيأتي بها هنا لتراها معه كل يوم...

وتتخيله معها كل ليلة...

سينجب منها طفلاً طالما حلمت به واختارت له عشرات الأسماء...

وطفلة طالما جدلت لها شعرها في أحلامها التي لم تخلُ يوماً من أطفالهما معاً...!!!!!!!

شعرت بيد توضع علي كتفها فتجمد جسدها ...

هل هذا هو؟!

لا...لن يستطيع أن يفعل...

لكن...ربما...



ربما جاء يودع هواهما مثلها...

ربما جاء يتزود من هذا المكان العامر بذكرياتهما ما يعينه علي الصوم في صحراء الفراق...

ربما جاء يراها للمرة الأخيرة كحبيبته قبل أن تعود مجرد ابنة عمه التي تسكن معه في نفس البيت...

رفعت رأسها ببطء ليعود قلبها المنتفض خائباً مخذولاً إلي سجنه في ضلوعها...

لا...ليس ياسين!!!

إنها فريدة...أمها....

رفعتها فريدة من جلستها البائسة علي الأرض لتضمها لصدرها هامسة:



_هوني عليكِ يا آسيا...

دفنت وجهها في صدرها وهي تنشج في صمت...

كلمات!!

كلمات!!

كلمات!!

لا أحد يملك ما يواسيها به سوي الكلمات...

ما الذي ستفعله كلماتهم الباردة بهذه النار التي تحرق روحها ببطء قاتل...

مالذي تجديه نظرات الشفقة في عيونهم وهي التي لا تحييها ولا تميتها سوي نظرات العشق في عينيه..

ما الذي يعوضها في هذا الكون الفسيح....لو ضاع منها ياسين؟!!!



همست فريدة بتعقل يخفي قلقها علي ابنتها :

_هيا لنستعد للذهاب إلي الزفاف...انفضي عنك لعب الأطفال هذا ...غداً ستضحكين من نفسك كثيراً عندما تتذكرين هذه الأيام لتقولي كم كنت حمقاء....

حمقاء؟!!!!!

لعب أطفال؟!!!

غداً؟!!!!!!

أي غدٍ هذا الذي أنتظره بعد غروب شمس ياسين عني...؟!!!

أي لعب أطفال هذا الذي تكتوي به ضلوعي؟!!!



أي حمقاء أنا وأنا التي أحببته بعقلي وروحي قبل أن يهيم به قلبي؟!!!!

تجمدت نظراتها بعدما لم تعد دموعها قادرة علي الهطول أكثر...

يريدونها جامدة لا تبالي...؟!!!!

حسناً...ستكون...

أمسكت كف فريدة تسير معها لتلقي نظرة أخيرة خلفها علي الجدار العزيز...

أغلقت باب السطح خلفها وليتها...

ليتها تستطيع إغلاق الماضي كله بهذه البساطة...!!!

نزلت معها الدرج ببطء لتلقي نظرة خاطفة علي باب شقته المقابل لشقتها...



لاريب أنه يستعد الآن للذهاب لزفافه...

تماماً كما ستستعد هي الآن...!!!

دخلت إلي غرفتها وفتحت خزينة ملابسها لتلتقط الثوب الذي قررت ارتداءه اليوم...

ثوب الخاتمة!!!!

وخارج غرفتها كانت فريدة تراقب بابها المغلق في قلق...

آسيا هي ابنتها الوسطي...

لكنها أقربهن لقلبها...

ربما لأنها شديدة الحساسية...

كقطعة كريستال هشة تخشي عليها الكسر دوماً...



هي تعرف عن الحب الكبير الذي،جمعها بياسين منذ صغرهما...

وكم تمنت لو تتزوجه...

لكن...

في عائلة قاسم النجدي...

وحده الحاج قاسم هو الآمر الناهي...

هو الذي يقرر مصائر الجميع دون مناقشة....

وطالما قرر الحاج قاسم أن آسيا لحمزة النجدي ...فستكون له!!!!

الحفيد الغائب العزيز لابد أن تكون له أجمل فتيات العائلة...



ومن أجمل من آسيا في عائلة النجدي كلها لتكون هي عروس الغائب المنتظر؟!!!!

لقد قال الحاج قاسم كلمته منذ سنوات...

منذ شبت الصغيرة آسيا عن الطوق لتصبح زينة للعين والنظر...

آسيا ستكون لحمزة عندما يعود!!!

لكن قلب آسيا كان له رأي آخر...

قلب آسيا الذي تعلق بياسين في كل يوم كانا يكبران فيه معاً...

ليغزل الحب بين قلبيهما رداء ثميناً فريداً لا يليق سوي بزوج العاشقين هذا...

آسيا وياسين...



خرجت جويرية -الأخت الكبري لآسيا-من غرفتها وهي ترمق القلق المسافر في عيني أمها فريدة...

ثم التفتت لغرفة آسيا هامسة في شفقة:

_هل اقتنعت بحضور الزفاف؟!

أومأت فريدة برأسها إيجاباً وهي تهمس في قلق:

_نعم...وهذا ما يقلقني...آسيا مذبوحة ...قلبي يخبرني أن الليلة لن تمر علي خير...

ربتت جويرية علي كتفها ثم قبلت رأسها وهي تهمس:

_لا تقلقي يا أمي...فليحفظنا الله.

همست فريدة بتوتر:

_كنت أود ألا تحضر الزفاف هذا...لكن خشيت أن يتحدث الناس عنها وخشيت قبلها غضبة جدك...أنت تعرفين غضبته كيف تكون.



زفرت جويرية في ضيق وهي تهمس بدورها:

_أعرف يا أمي...أعرف.

لم تكد تتم عبارتها حتي انفتح باب الغرفة لتخرج آسيا ...

اتسعت عيون فريدة وجويرية وهما تنظران إليها في صدمة...

مضت لحظات من الصمت كانت جويرية أول من قطعته وهي تحاول انتقاء الكلمات بتعقل:

_من أين أتيت بهذا الثوب يا آسيا...لا أذكر أنك تملكين ثوباً......كهذا!!!!

هدرت فريدة بغضب وقد أفاقت من صدمتها:

_هل هذا هو كل ما يشغلك يا جويرية؟!!!.من أين أتت بالثوب!!!!! آسيا لن تحضر الزفاف بهذا الثوب أبداً....



خرجت ساري الشقيقة الصغري من غرفتها علي صياح فريدة ليصعقها مظهر آسيا...

آسيا المتحفظة الخلوق كانت ترتدي ثوباً أحمر لامع لا يكاد يصل لركبتيها...

يكشف عن صدرها وذراعيها لكنها تغطي ذلك بوشاح من قماش خفيف زادها تألقاً وفتنة...

وقد أسدلت شعرها الطويل علي كتفيها...

وبالغت في تزيين وجهها بمستحضرات الجميل...

باختصار...

كانت دعوة صريحة للفتنة مع جمالها المميز وجسدها المثير...

هتفت آسيا ببرود وهي تنظر إليهن بجمود:

_أنتم تريدونني أن أحضر الزفاف...ولن أحضر إلا هكذا...



ثم قالت بسخرية مريرة مخاطبة فريدة:

_لو تستطيعين تحمل غضبة جدي لو تخلفت أنا عن الحضور فامنعيني من الخروج هكذا!

صاحت فريدة بغضب:

_هل جننتِ؟! هل هذه تربيتي لك؟! هذا ثوب عاهرة وليس ثوب فتاة محترمة ذاقت أمها الويل كي تعلمها الفضيلة في زمن كهذا!

هتفت آسيا في سخرية:

_فضيلة؟! وبماذا أفادتني الفضيلة؟! قاسم النجدي قرر مصيري كأي جارية يملكها وليس لأحد حق الرفض...أنا الآن أرتدي ما يناسب وضعي الذي لا تريدين الاعتراف به...أنا جارية يا فريدة...أنت ربيتِ ثلاث جوارٍ ليتحكم في مصيرهن النجدي...كما تحكم في مصيرك بالضبط.



رفعت فريدة كفها لتهوي علي خدها بصفعة قاسية...

فهتفت جويرية :

_لا يا أمي....دعيها....

ثم التفتت لآسيا التي احمر وجهها هاتفة:

_عودي لغرفتك يا آسيا...وبدلي هذا الثوب.

صرخت آسيا بعناد:

_لن أبدله...وإلا لن أحضر الزفاف...ولنرَ من سيمنعني.

ثم التفتت لفريدة وقد تهدج صوتها لتغلبها دموعها من جديد وهي تهمس:

_لو كان أبي علي قيد الحياة...لدافع عني...ولما سمح لأحد بتقرير مصيري.

انخرطت بعدها آسيا في بكاء كالعويل...

فضمتها فريدة لصدرها بقوة وهي تهمس في ألم:



_والدك نفسه كان خاضعاً لسلطة أبيه...رحمه الله...صدقيني حتي لو كان معنا لما اختلف الأمر كثيراً...قاسم النجدي لا ترد له كلمة...من أي من كان!!!

دفنت آسيا وجهها في صدر أمها وهي تبكي بقهر...

قهر من حدد له الآخرون مصيره وهو عاجز حتي عن الاعتراض...

لَيتهم قبل أن يختاروا لها زوجها علموها...!!!

علموها كيف تقهر قلبها الذي يترنح ذبيحاً بين ضلوعها لتكتوي بألمه روحها قبل جسدها...

ليتهم علموها...

كيف تقف في وجه حب غزا أيام طفولتها ومراهقتها



ببطء حتي تمكن من كل ذرة في كيانها...

ليتهم علموها...

كيف تقاوم شوقاً يعتصرها لحبيب عمرها الأول والوحيد...

وغيرة تخنقها من امرأة ستملكه دونها...

ليتهم علموها قبل أن يحاسبوها هكذا...

ليتهم!!!

تقدمت ساري منهما وهي تقول بحزم:

_دعيها تفعل ما تشاء يا أمي...آسيا لم تعد صغيرة...دعيها تتحمل نتيجة أفعالها.

رفعت آسيا رأسها في كبرياء وهي تهتف:

_نعم...من اليوم...سأتحمل نتيجة أفعالي!!!

=====



وقف الحاج قاسم في غرفته ينظر لصور أولاده المعلقة علي الحائط...

حبيب ...ابنه الأكبر الذي توفي في ريعان شبابه بعد إصابته بمرض خبيث ليترك ولده حمزة أمانة في رقبة قاسم...

كمال...ابنه الأوسط الذي قتل غدراً تاركاً خلفه أبناءه ياسين وعمار وحذيفة...

سعد ...ابنه الأصغر الذي تلقفته يد الثأر العتيقة كأخيه لتأخذه من زوجته وبناته الثلاث...جويرية وآسيا وساري...

ولما كانت عجلة الثأر لازالت دائرة تحصد الرؤوس بلا كلل...

فقد كان الدور القادم لحمزة ...

الحفيد الأكبر لعائلة النجدي



لهذا أبعده جده ليسافر للندن زاعماً أنه بغرض الدراسة...

لكن هدفه الحقيقي كان إخفاءه عن عيون مطارديه...

صحيح أن قلبه اطمأن أخيراً بعد وفاة كامل القاصم...

كبير عائلة القاصم الذي كان يترصدهم بالعداوة والثأر...

لكن ولده لازال علي قيد الحياة...

جسار القاصم...

لكن...وللغرابة...لا أحد يعرف عنه شيئاً...

لقد ترك بلدتهم بعد وفاة أبيه...

وكأنما انشقت الأرض وابتلعته...

سيظل جسار هذا هو



الشوكة الوحيدة في حلقه...

والتي تمنعه من إعادة حمزة الحبيب إلي حضنه...

طالما كان حمزة أحب أحفاده إليه...

ربما لأنه أول حفيد...

وربما لأنه أكثرهم شبهاً به...

وربما لأنه الوحيد الذي ابتعد عن حضن رعايته ليعيش منفياً في غربته....

لكنه سيعوضه...

عندما يعود سيعوضه عن كل ما افتقده...

لقد اختار له آسيا...

وجه القمر ...



أجمل فتيات عائلة النجدي...

اختارها زوجة له منذ زمن بعيد...

وعندما يعود سالماً ستكون له...

قطع أفكاره صوت طرقات علي باب غرفته ...

سمح للطارق بالدخول...

فدخل ياسين...

ابتسم قاسم في سعادة وهو،يفتح ذراعيه هاتفاً بصوته المهيب:

___مرحباً بعريس آل النجدي...

قبل ياسين يده باحترام وهو،يقول:

_أبقاك الله لنا يا جدي.



ربت قاسم علي رأسه وهو،يقول بفخر:

_لقد اخترت لك رقية الهاشمي...هل تعرف قدر العائلة التي اخترت لك نسبها؟!

أطرق ياسين برأسه وهو،يبتلع غصته مرغماً...

كاد يخبره أنه لا يكترث برقية تلك ...

ولا بنسبها...

ولا بعائلتها كلها...

هو يريد آسيا...

آسيا التي ملكت قلبه وروحه منذ سنوات...

ولا يظن أن غيرها قد تفعل!!!

لكنه لم يستطع...

ومن في العائلة كلها يمكنه رد كلمة قاسم النجدي؟!!!!



هتف قاسم بصوته المهيب:

_هيا يا ولدي...كي لا نتأخر علي عروسك...

تأبط ياسين ذراعه وهو يغادر معه غرفته...

ثم فتح باب الشقة ليغادر ليتعلق بصره بباب الشقة المقابلة فينقبض قلبه في لوعة...

تري كيف حالك الآن يا آسيا...

سامحيني ...

ليس بيدي ولا بيدك!!!

هبط درجات السلم مع جده بحرص...

وهو يشعر بروحه تنسحب منه مع كل درجة يهبطها...



كل درجة تقربه من رقية...

وتبعده عن آسيا أكثر وأكثر...

=====

تأملت رقية زينتها في المرآة بخجل...

فيما تعالت أصوات الزغاريد حولها فضحكت في سعادة...

لم تخلُ من القلق...

ياسين زوجها المستقبلي والذي لا تعلم عنه شيئاً سوي أنه حفيد عائلة النجدي العريقة...

وسيم؟!

نعم...لكن منذ متي كانت وسامة الرجال تعني شيئاً لديها...

هي رقية الهاشمي...



ربيبة عائلة الهاشمي التي خطبتها أرقي العائلات لبنيها...

لكنها كانت ترفضهم دون أسباب واضحة...

وحده ياسين هو الذي دق له قلبها دقة غريبة مميزة...

ربما هو شئ يخص غموضه الآسر...

وهي التي طالما استهوتها الألغاز والأحجية...

وربما هو شئ بخصوص فيوض الحنان في عينيه...

حنان لا تخطئه عين امرأة...

وربما هو حزنه المسافر علي صفحة جبينه...

والذي تراه جلياً في صمته الطويل...

فيستفز أمومتها لتراه بعين خيالها طفلها الذي تود احتضانه حتي تعود الضحكة لعينيه...

وربما هو هذا كله!!!!!



لا تدري...

كل ما تعرفه أنها تعلقت به...

وهي رقية التي لم يطرق بابها قبله مخلوق...

ولن تهنأ حتي تمتلك قلبه كله...

لتكون وحدها ملكة أيامه المقبلة...

_لقد وصل العريس!!!!!

قطع الهتاف الصارخ أفكارها لتتعالي أصوات الزغاريد حولها من جديد....

فتعود ضحكتها الخجول تزين وجهها....

الليلة زفاف رقية وياسين!!

=====



جلس ياسين جوار رقية علي المنصة في قاعة الأفراح تلك في أرقي فنادق مدينتهم الصغيرة...

زفاف أسطوري يليق بحفيد آل النجدي وربيبة آل الهاشمي!!!

امتلأت القاعة بالحضور الذين تراوحت نظراتهم بين الإعجاب والحسد...

هذا زواج مصالح بلا شك...

آل النجدي رغم أصلهم الذي ينتمي للصعيد لكنهم يعتبرون صيداً ثميناً لآل الهاشمي بثرائهم الفاحش ...

وآل الهاشمي برغم ذلك يعتبرون مصدر سلطة ونفوذ فأفراد عائلة الهاشمي يتملكون مناصب عليا في الدولة...

باختصار...



إنه مثال تقليدي لتزاوج السلطة مع رأس المال!!!

لذا لا عجب في كون الزفاف كان أسطورياً!!!!

الحضور جميعاً كانوا من علية القوم...

تبدو علي ملامحهم الأروستقراطية ملامح الفخامة والعظمة...

تميز الرجال بأناقتهم المفرطة وتألقت النسوة بزينتهن المبهرة...

ومع ذلك...عندما دخلت آسيا إلي القاعة بجمالها المميز وثوبها المثير التفت نحوها الأعناق في إعجاب...

جلست فريدة علي إحدي الموائد مع جويرية وساري...



فيما بقيت آسيا واقفة مكانها تنظر للعروسين بتمعن...

ما جلد الذات الذي تمارسه هذا؟!

لماذا تنظر إليهما بهذه الطريقة وكأنها تحفر صورتهما في ذاكرتها للأبد...؟!

تعلقت عينا ياسين بعينيها لكنها لم ترمش حتي...

كانت نظراتها متجمدة وكأنها تري ولا تنظر...

نادتها فريدة بخفوت لكنها لم تكن تسمع شيئاً...

كانت غارقة في صدمتها بصورته جوار عروسه...

عادت فريدة تناديها بحزم أكبر فالتفتت نحوها بشرود وهي تهمس:

_انتهي كل شئ!!!



تأملتها فريدة بقلق خاصة عندما ضحكت آسيا بصورة هستيرية وهي تهمس:

_اطمئني آسيا الحمقاء ستكف عن لعب الأطفال ...

عقدت فريدة حاجبيها في توتر...

بينما همست جويرية في توسل:

_اجلسي يا آسيا...الأنظار بدأت تتوجه نحونا...

استمرت آسيا في ضحكها الهستيري وهي تقول:

_الجواري خلقن ليلفتن الأنظار ...هكذا!

قالتها وهي تندفع نحو المسرح الذي صدحت عليه أنغام الموسيقا العالية...

تحت نظر فريدة التي كانت ترتجف رعباً...

بينما كانت هي تقترب بثبات وعيناها معلقتان بياسين...



ياسين الذي اتسعت عيناه ارتياعاً وهو يتبين لتوه ما ترتديه...

هو يعرف أنها تتهاون أحياناً في ارتداء حجابها في مناسبات كهذه وطالما عنفها علي ذلك...

لكن هذه الملابس!!!!!

إنها المرة الأولي التي يراها فيها بهذه الصورة!!!!

تحولت دهشته لغضب هادر وهو يلاحظ تعلق أنظار الرجال بها في إعجاب...

خاصة عندما تناولت الميكروفون لتقول :

_أنا آسيا...ابنة عم العريس...وهذه الرقصة هديتي له هذه الليلة...

قالتها ثم وضعت الميكروفون جانباً...

لتخلع وشاحها عن كتفيها لتحيط به خصرها...



وسط نظرات فريدة التي كادت تفقد وعيها في هذه اللحظة...

بدأت آسيا في التمايل مع أنغام الموسيقا وصياح المدعوين الذين تحمسوا كثيراً كما يبدو...

راقبت رقية الوضع بدهشة...

لقد رأت آسيا بضع مرات قبل اليوم...

ولم تكن بهذا القدر من التحرر...

بل علي العكس...

كانت شديدة التحفظ والتحشم...

إنها الليلة تبدو غريبة وكأنها...

انقطعت أفكارها عندما هب ياسين من جوارها فجأة...



ليندفع نحو تلك الراقصة هناك...

فراقبته بقلق وهي تشعر أن شيئاً ما سيحدث ليس علي ما يرام...

لم يشعر ياسين بنفسه إلا وهو يندفع نحوها دون تحفظ...

خاصة وقد اندفع بعض الشباب يحيطونها ليشاركونها الرقص...

فارت الدماء في عروقه...

ولم يشعر بيده التي سحبتها من ذراعها ليهوي كفه علي وجهها بصفعة مدوية!!!!!!!



توقفت الموسيقا في القاعة فجأة...

وساد الصمت المذهول للحظات ...

رفعت فيها آسيا نحوه عينين دامعتين تحملان كل عتب الدنيا وعشقها...

ذبحته نظرتها ذبحاً...

قرأ فيها سطوراً من رجاء وتوسل...

ممزوجة بغرامها الذي يتنفسه منذ صغرهما كما الهواء....

لم يرَ ساعتها زفافاً ولا مدعوين....

لم يرَ سوي حبيبته التي تتوسله أن يطمئنها...

أن يمحو الخوف الذي احتل عينيها....

ليفاجأ هو -قبلها -بذراعيه تضمانها لصدره بقوة...

بقوة عشقه هو الآخر...

وقوة عجزه وحرمانه...



أجهشت هي بعدها بالبكاء...

وهي تدفن وجهها في صدره لأول مرة في حياتها...

وربما ...الأخيرة!!!!

ساد الهرج والمرج بعدها في القاعة ...

الأمر أوضح من أن يكون له تفسير آخر...

هذا هو العريس ...وهذه كما تبدو حبيبته...!!!!

لقد فسد الزفاف...

فسد بفضيحة لن ينساها الناس طويلاً...

طويلاً جداً كما يبدو...

====



أطلت مارية برأسها من خلف شباكه تراقب ما يفعله...

جارها الغريب هذا لا يكف عن طقوسه الأغرب منه...

اتسعت عيناها في ارتياع وهي تراقب ما يفعله الآن...

كان يمسك بيده تمثالاً غريباً يقضم منه قضمة ثم يتناولها في تلذذ...

تقلصت ملامح وجهها في اشمئزاز وهي تتوجس خيفة من أن يراها وهي تراقبه هكذا....

لكنها قررت ذلك بعدما لاحظت عليه العديد من الأمور المريبة...



لقد انتقل حديثاً للسكني في المنزل الذي يجاورهم...

في البداية لم يلفت نظرها فمظهره ليس مميزاً سوي أنه لا يبدو انجليزياً فملامحه سمراء كأبيها المصري...

لكن بمرور الوقت بدأت تلاحظ عليه بعض الأشياء الغير مألوفة....!!

أولاً لفت نظرها تصاعد أبخرة برائحة مميزة من نافذة بيته المجاور لبيتها...

لكنها لاحظت بمراقبته أن رائحة هذه الأبخرة تأتيها في يوم واحد من الأسبوع...

وبعدها لمحت جمجمة بشرية ملقاة تحت مائدة الجلوس خاصته والتي تبدو ظاهرة من نافذة منزله...



لن تنسي الرعب الذي عاشته ليلتها وهي تتخيله مجرماً مخبولاً من هؤلاء الذين يظهرون علي شاشة السينما...

ومنذ ذلك الحين وهي تترقبه ...

وقد صدق حدسها...

المخبول يأكل التماثيل...

هل هي عقيدة سحر أسود جديدة...؟!!!!

قطعت أفكارها وفغرت فاها في ذهول وهي تراه يؤدي هذه الحركات التي تعرفها....

إنه يصلي...

صلاة كصلاة والدها ...

هو إذن مسلم مثله...

ومثلها...



لكنها لم تجرب أن تصلي يوماً...

ووالدها لم يحضها لتفعل...

بل علي العكس ...

هي تخجل من ذكر ديانتها هنا لأن الانطباع العام عن المسلمين ليس بجيد...

ويبدو أن رجلاً كهذا سيصدق علي هذا الانطباع!!!

ظلت تراقبه وهو يصلي مبهورة ...

حتي انتهي من صلاته ...

ليلتفت نحوها فجأة...

شهقت بعنف ثم اندفعت تعدو في الحديقةالخارجية لمنزله نحو حديقة بيتها المجاور.....

لكنه فتح باب منزله ليعدو وراءها هاتفاً بالانجليزية:

_مارية انتظري.



تسمرت مكانها مصدومة...

المجرم المخبول يعرفها...

هل يعرف أنها جارته..

هل كان يراقبها..

هل ستكون هي ضحيته القادمة....

ظلت مرعوبة في مكانها حتي تقدم نحوها لينظر في عينيها هاتفاً:

_لماذا تجرين هكذا؟! ولماذا كنت تراقبينني من النافذة؟!

كان صدرها يعلو ويهبط في انفعال ...

تكاد تموت رعباً...

لقد اكتشف أنها كانت تراقبه...

فماذا عساه سيفعل؟!



تأمل ذهولها المرعوب للحظات قبل أن يظهر والدها دكتور آدم هاتفاً بالانجليزية:

_مارية...لقد عاد والدك يا صغيرة.

ثم التفت إلي الرجل هاتفاً بالعربية:

_مرحباً دكتور حمزة ....هل تعرفت علي مارية؟!

نقلت مارية بصرها بينهما في ذهول...

إذن والدها يعرف هذا المخبول...

لقد دعاه دكتور حمزة..

اذن فهو طبيب مثل والدها ...

ومثلها...!!!!

قطع والدها تساؤلاتها وعاد يحدثها بالانجليزية قائلا:

_مارية حبيبتي...دكتور حمزة النجدي...



طبيب مصري مثلنا انضم حديثاً للعمل في مستشفانا وانا الذي توسطت له للسكن هنا جوارنا فقد توسمت فيه خيراً...هل تعرفت عليه؟!

مدت مارية إليه كفاً مرتجفة وهي تقول بالانجليزية:

_تشرفت بمقابلتك دكتور حمزة.

ابتسم حمزة عندما نطقت اسمه بتلك الطريقة التي اعتادها هنا حيث تنطق الحاء هاءً...

لكنه تعجبها عندما خرجت منها فوالدها مصري والمفترض أن تكون علي دراية ولو بقدر بسيط من اللغة العربية....

مد كفه إليها وهو يضغط علي حروفه هاتفاً:

_حمزة ...يا مارية....حمزة!

فتحت فمها بصعوبة تحاول نطقها كما قالها لكنها عجزت فهمست في خفوت :



_معذرة...لا أجيد مخارج الحروف العربية...

ابتسم دكتور آدم وهو يقول بما يشبه الاعتذار:

_مارية ولدت وتربت هنا ...هي لا تجيد العربية تماماً لكنها تعرف بعضاً منها...

أومأ حمزة برأسه في تفهم وهو يتفحص ملامحها الجميلة المرتبكة...

تري ...لماذا كانت تراقبه؟!!!

تركهما دكتور آدم وحدهما فواجهها حمزة بسؤاله المباشر:

_لماذا كنت تراقبينني من خلف النافذة؟!

ازدردت ريقها في ارتباك وتراجعت عنه خطوة فابتسم في حنان وهو يقول:

_قولي ولا تخشي شيئاً.

ظلت علي صمتها المرتبك فهتف ليستفزها:



_أم أن التلصص علي الجيران من هواياتك....يا دكتورة!

نجح استفزازه لها تماما فهتفت في غضب:

_غريبو الأطوار فقط ...ألا تدرك أنت مدي غرابة أفعالك...؟!!!

عقد حاجبيه بشدة وهو يقول:

_أي أفعال غريبة تلك التي تعنين؟!

لوحت بكفها هاتفة:

_الأبخرة التي تتصاعد من منزلك برائحتها الخانقة والجماجم التي تخفيها تحت المنضدة وأخيراً هذا التمثال الذي رأيتك تأكله...

تأملها لحظات في صدمة...

ثم انفجر ضاحكا في صخب...

فصاحت بعصبية:

_ما الذي يضحكك

هكذا؟!



ظل يضحك للحظات ثم قال بهدوء لا يخلو من المرح:

_الأمر كله مجرد عادات لدينا...لو كنت مصرية حقا لفهمت ما أعنيه.

هتفت بشك:

_عادات مصرية؟!

أومأ برأسه إيجاباً وهو يقول في شرود:

_عندما يحرمك أحدهم من وطنك قسراً فإنك تتلمسين ذكرياتك معه في أبسط الأشياء...هذه الأبخرة التي أدهشتك ليست سوي أعواد من أخشاب عطرة نسميها عندنا أعواد البخور...كانت والدتي رحمها الله تداوم عليها يوم الجمعة...والتمثال الذي رأيتني أقضمه هو "حصان المولد"!

رفعت حاجبيها في عدم

فهم فقد قالها بالعربية..



فأردف بهدوء:

_عفواً...لا أعرف ترجمتها بالانجليزية...هو تمثال من الحلوي نعده في مناسبات معينة ...يحبه الأطفال عندنا كثيراً ...وكنا ننتظره بفارغ الصبر في تلك المناسبات...تمثال حصان للصبي وعروس للفتاة...أحد أصدقائي كان عائداً لتوه من مصر...كنت قد أوصيته بأن يحضر لي هذه الأشياء معه...

هزت رأسها وهي تقول في تفهم:

_والجماجم لها علاقة بدراسة التشريح .

أومأ برأسه إيجاباً وهو يقول:

_بعض الطلبة الجدد من أصدقائي يأتونني لمعاونتهم وقد كانت الجمجمة التي رأيتها أنت خاصة بأحدهم...



ابتسمت في خجل وهي تقول:

_معذرة دكتور حمزة...الأمر كله التبس علي...الأبخرة والجماجم والتمثال الذي كنت تأكله...

قاطعها وهو يضحك في صخب فاحمر وجهها...

وهي تتأمل ضحكته الرائعة...

لقد بدا لها في هذه اللحظة...

ودون هواجس خوفها الماضية...

شديد الوسامة...

والجاذبية...

قطع أفكارها وقد عاد لشروده ليقول:

_لقد افتقدت وطني بكل ما فيه...وكلما واتتني الفرصة لتلمس رائحته في أي شئ لا أضيعها...



همست في خجل:

_هل يمكنني تذوق تمثال الحلوي هذا الذي كنت تأكل منه؟!

ابتسم في حنان وهو يسير معها حتي دخل إلي منزله...

خرج إليها حاملاً "حصان المولد" وهو يقول بمرح:

_لو تذوقت منه قطعة فلن تستطيعي مقاومة أكله كاملاً..

قلبته بين يديها في تفحص...

ثم قربته من فمها ببطء...

لتتناول منه قضمة...

ثم همست باستمتاع:

_لذيذ حقاً.

اختطفه من يدها وهو

يهتف في مرح:



_إنه لي.

ضحكت في صخب وهي تهتف :

_لو صادفت عودة أحدهم من مصر ثانية فاجعله يحضر لي واحداً مثله.

هز رأسه نفياً وهو يقول بصورة قاطعة:

_لا!

بدت الصدمة علي وجهها للحظات لم تلبث أن تحولت لابتسامة خجول عندما همس بحنان:

_بل سأحضر "عروس المولد " لعروس لندن الحسناء!

=======

هوت كف قاسم علي خدها في صالة منزلها فاندفع ياسين يقف بينها وبينه مخفياً إياها خلف ظهره هاتفاً:



_عاقبني أنا يا جدي...أنا المسئول.

اختبأت خلف ياسين وهي تشعر برعب حقيقي...

لم ترَ جدها يوما بغضبته هذه...

إنها المرة الأولي التي يرفع فيها كفه عليها...

هتف قاسم بغضب:

_هذه السافلة فضحتنا...لن يكون لصحف الغد سيرة غير تلك الحادثة...

ثم صرخ في وجه ياسين:

_وأنت...أنت كيف تحتضنها هكذا ...هل أصيبت العائلة كلها بالجنون.....؟!!!!

أطرق ياسين برأسه وهو لا يدري بم يجيب...



لو أقسم له بأغلظ الأيمان أنه لم يكن واعياً عندما فعلها فلن يصدقه....

هو نفسه لا يصدق أنه فعلها....

هو لم يمسها يوماً رغم كل الحب الذي جمع بينهما...

لقد حافظ عليها حتي من نفسه طوال هذه السنوات...

لا يدري كيف انفلت منه الزمام هذه الليلة ...

ليصير الأمر بهذا السوء...

وأمام هذا الجمع!!!

قطع أفكاره صياح جده الهادر:

_فريدة!

خرجت فريدة من الغرفة التي كانت حبيسة فيها مع فتاتيها بعدما أمرها قاسم بذلك



لتتوجه نحوه هامسة بخوف:

_نعم...يا عمي!

أشار قاسم لآسيا وهو يهتف :

_لا أريد رؤية هذه الفتاة في بيتي بعد ذلك...أرسليها لإخوتك في المدينة المجاورة...دعيها تبقي هناك لفترة حتي ينسي الناس هذه الفضيحة....

هتف ياسين بجزع وقد أزعجته فكرة إبعادها:

_لو سمحت لي يا جدي...إذا كنت تخشي الفضيحة دعني أتزوجها.

صرخ فيه قاسم بغضب:

_اخرس...آسيا زوجة حمزة...لن تكون لغيره...سأحافظ علي أمانته حتي يعود...ثم إنك متزوج بالفعل...متزوج من ربيبة آل الهاشمي ...هل تعني معني هذا؟!!!!



ثم التفت لفريدة صائحاً:

_ابقي مع جويرية وساري هنا...وابعثي بها لأخيك هناك...شهر...شهران...عشرة...حتي ينسي الناس هذه القصة...

ثم أشار لياسين هاتفاً:

_وأنت!! عد لزوجتك واسترضيها...لا نريد كسب عداء آل الهاشمي يا أحمق...

نظر ياسين لآسيا نظرة أخيرة...

نظرة وداع بنكهة الاعتذار...

ثم تركها مطأطأ الرأس ليعود لعروسه التي لا يدري كيف سينظر في عينيها بعدما حدث....



بينما وقفت آسيا في تبلد تنتظر مصيرها الذي سيقرره قاسم....

الذي هتف في حدة:

_جهزي حقيبتك للسفر غداً...لا تعودي قبل أن أرسل في طلبك...

ظلت صامتة مطرقة برأسها فهتف بغضب:

_اغربي عن وجهي...هيا.

عادت لغرفتها بخطوات ثقيلة تتبعها فريدة بقلب مثقل...

لقد صدر الحكم النهائي بالنفي لتلك المذنبة...

ولم يبق إلا التنفيذ.

=====



جلست رقية علي طرف سريرها في غرفتهما ودموعها تسيل علي خديها بحرقة...

لقد فسدت ليلة زفافها التي تتمناها أي عروس...

وبأسوأ نهاية ممكنة...

من هي تلك المرأة التي تحتمل أن يحتضن زوجها امرأة أخري ليلة زفافهما في ذاك المشهد العاطفي وعلي مرأي ومسمع من كل هذا الحشد...

ستكون هذه الحادثة مثاراً للأقاويل لفترة لا بأس بها...

رقية الهاشمي ستكون مضغة في أفواه الجميع بعد تلك الليلة...

ومع ذلك أمرها والداها بتجاهل الأمر وإتمام الزفاف لآخره حتي لا يتسع الأمر...

وكأنه ينقصه الاتساع!!!!



لكنها لن تنهزم...

ياسين لم يعد مجرد رجل...

ياسين الآن زوجها...

قضية أيامها القادمة...

ورقية الهاشمي لم تخسر يوماً شيئاً تمنت تملكه...

سيكون لها قلب ياسين ...

وليس مجرد اسمه علي قسيمة زواج...

هذا هو قسمها لنفسها...

بحق حرقة قلبي هذه الليلة...ستكون لي كاملاً يا ياسين...

همست بها في إصرار...



ثم هبت من فراشها بعنف وهي تخلع طرحتها وثوبها لترتدي ثياباً عادية ...

غسلت وجهها لتمحو عنه أثر الدموع وانتظرته في صالة شقتهما التي خصصت لهما في منزل جده...

لم يطل انتظارها كثيراً...

فقد عاد بعد دقائق ليفاجأ بها تنتظره هكذا...

تطلع إليها في حيرة وهو لا يعرف ما الذي يدور برأسها الآن...

ولا يريد أن يعرف...

هو بالكاد يقف علي قدميه بعد مواجهته مع جده...

وبعد إرهاق يومه الطويل...

والأدهي والأمر...بعد صدمته بإقصاء آسيا بعيداً...



آسيا التي لم تفارق عينيه منذ ولدت...

لازال يذكرها طفلة حملها علي يديه وهو بعد في الخامسة من عمره...

لتكبر أمام ناظريه لحظة بلحظة...

لا يصدق أنه سيأتي يوم لا يصطبح فيه بنور وجهها ...

لا...هذا يفوق احتماله...

لقد رضي بهذه الزيجة لأنه كان عاجزاً عن مواجهة جده...

كان يصبر نفسه بقربها جواره...

لكن أن تبتعد هكذا...ودون أن يعلم إلي متي...

فهذا يثير جنونه!!!!!



راقبت رقية صمته بتحفظ ثم قالت بهدوء يخفي اشتعال باطنها:

_أعرف أنك متعب والوقت ليس مناسباً لحديث...لكن لي سؤالاً واحداً...أجبه ودعني لشأني.

أطرق برأسه وهو يهمس:

_أنا آسف...آسف حقاً يا رقية.

تجاهلت عبارته بكبرياء وهي تسأله بنفس الهدوء:

_هل تريد المضيّ معي في حياتنا بصدق...أم تريد أن ننهي هذا الأمر؟!

عقد حاجبيه وهو يسألها باستنكار:

_ننهيه؟!

أومأت برأسها إيجاباً وهي تقول :



_يمكننا التمادي في هذه المسرحية أمام الناس لفترة من الوقت حتي تهدأ هذه الفضيحة وتستقر الأمور وبعدها يمكننا الانفصال بتحضر يليق بعائلتينا....

هز رأسه قائلاً:

_رقية...أنا...

قرأت حيرته في عينيه فقالت بحزم:

_يبدو أنك لا تملك جواباً الآن...اذهب للنوم وامنحني قرارك غداً...

نظر إليها بعينين حائرتين...

يكاد يقسم أنه يري في عينيها دموع حسرة وألم...

لكن صوتها يأتيه قوياً واثقاً مكذباً ظنونه...

بدت له في هذه اللحظة كامرأة غريبة...

بل هي فعلاً امرأة غريبة..



ما الذي يعرفه هو عن رقية الهاشمي؟!

هو لا يعرف عنها شيئاً...

لم يحاول التقرب إليها ولا استكشافها...

وكيف يفعل؟!

وهي بالنسبة إليه مجرد دواء مر أجبره جده علي تناوله...

لكنه الآن يشعر بالشفقة نحوها...

ما حدث الليلة يصعب جداً علي أي امرأة مهما بلغت قوتها أن تحتمله...

ورغم ما تبديه هي من تماسك...

لكنه يستشعر جرح عينيها صارخاً متوسلاً...

تنهد في حرارة وهو يعطيها ظهره هارباً من هذا الموقف كله....

ليتجه نحو غرفتهما...



بينما بقيت هي واقفة مكانها في ثبات...

التفت نحوها هامساً:

_لماذا تقفين هكذا؟! ألن تأتي معي؟!

توجهت نحو غرفة النوم الأخري الصغيرة لتقول بهدوئها الذي يدهشه ويغيظه في نفس الوقت:

_لا...سأنام هنا.

دخلت الغرفة وأغلقت بابها خلفها...

فزفر في قوة...

ليدخل غرفته ويغلق بابه هو الآخر...

هذا اليوم كان طويلاً حقاً...

طويلاً ومؤلماً للجميع...

====



جلس بدر علي كرسيه بالمشفي خارج الغرفة التي تتلقي فيها سمية جلسة علاجها الكيميائي...

أسند رأسه علي ظهر كرسيه وهو يشعر بالألم...

ربما ألمه المعنوي الآن أشد وأقسي بكثير من آلامها الجسدية...

كيف لا؟!

وحبيبته التي ترك الدنيا كلها لأجلها يوشك الموت علي اختطافها ببراثنه بعيداً عنه وعن طفلهما...

سمية...

ملاكه الرقيق...

الذي حمله بعيداً عن قسوة عالمه...

لتنشئ له عالما خاصاً بهما وحدهما...



سنوات مرت عليهما غارقين في بحور من عشق لا شطآن لها....

ليس له سواها...

وليس لها سواه...

حتي اكتشف إصابتها بهذا المرض منذ عام واحد...

عام واحد تحولت فيه سمية الجميلة لحطام امرأة...

ذاقا فيه معاً آلام المرض والمعاناة...

تنهد في حرارة وهو يشعر بصدره يضيق...

استغفر الله سراً وهو يدعوه أن يرحمهما معاً...

خرجت سمية من الغرفة بعد فترة منهارة كعادتها...

كل ذرة في جسدها تئن بالألم...

ومع هذا...



عندما رأت ملامحه المنهكة وهو يجلس منهاراً علي كرسيه تظاهرت بالتماسك وهي تقترب منه...

انتفض عندما لمحها ليندفع نحوها هاتفاً:

_كيف حالك يا سمية.؟!

تبسمت بشحوب وهي تهمس بصعوبة:

_الحمد لله...هيا كي لا نتأخر علي الصغير.

تأبطت ذراعه فسار بها حتي غادرا المشفي...

ظلت صامتة طوال الطريق إلي مزرعتهما الصغيرة التي اختارها بدر لتكون وطناً صغيراً لهما ...

التفتت نحوه تهمس في حنانها المعهود:

_كيف حالك يا حبيبي؟!

التفت نحوها يمنحها ابتسامته التي تعشقها هامساً:

_بخير...مادمتِ معي



ابتلعت غصتها وامتلأت عيناها بالدموع...

هي تعرف أنها لن تبقي معه طويلاً...

ولا مع صغيرهما...

هي لا تخاف الموت فقد تقبلت قدرها شاكرة منذ زمن...

لقد منحتها الحياة جنة حقيقية في عمرها القصير هذا ...

جنة ربما لم تحصل عليها كثيرات عشن أضعاف عمرها ...

جنة صاغها بدر بحبه الكبير الذي احتوي قلبها لسنوات ...



هي لا تخاف الموت لكنها تخاف غربة بدر وطفلهما بعدها...

بدر ليس له سواها...

هي كل عائلته وأصدقائه...

باستثناء عمه كساب الذي يقيم معهما في المزرعة...

هو الوحيد الذي سيبقي مع بدر بعدما ترحل...

ليتها تطمئن عليه وعلي صغيرها قبل رحيلها...

فقط لو يستمع لرجائها ويقبل بالزواج من أخري..

أخري تختارها هي لتكون رفيقة له بعدها وأما لطفلها...

غيرة؟!!!!

لا لا لا...



لا مجال لمشاعر الغيرة هاهنا...

لم يعد العمر يسمح بهذا الترف...

هي لا تفكر الآن وقد اقتربت النهاية كثيراً إلا بسعادة بدر وطفلهما...

نعم...ستبحث له عن عروس بنفسها حتي تطمئن عليهما قبل رحيلها...

والذي تشعر أنه اقترب...

اقترب كثيراً...



الفصل الثاني:

_لماذا يا آسيا؟! لماذا فعلت ذلك؟!

هتفت بها فريدة وسط دموعها فصرخت آسيا بألم :

_أنا لم أفعل شيئاً...أنتم الذين تفعلون...وأنا لا شئ...مجرد لعبة في أيديكم....مجرد جارية!!

كادت فريدة ترد لولا أن تدخلت جويرية لتقول بتعقلها المميز:

_دعيني معها وحدنا يا أمي...

غادرتهما فريدة في تحسر...

وهي تشعر بقلبها يتمزق...

كيف لا..



وقطعة من قلبها توشك أن تفارقها ولا تدري متي سيمكنها رؤيتها ثانية...؟!!!!

فريدة تعرف قاسم النجدي جيداً...

لن يسمح بعودة آسيا إلا بعد وقت طويل...

طويل جدا....

بينما كانت جويرية تقول لآسيا برفق:

_اهدئي يا آسيا...وترفقي بنفسك...اليوم كله كان صعباً عليك.

ارتمت آسيا في حضن شقيقتها وهي تنشج في صمت...



لا تصدق أن عالمها الذي عرفه عمرها القصير ...

قد انهار هكذا بغمضة عين...

سيبعدونها عن هنا...

عن والدتها وأختيها ...

وياسين!!!!!

ياسين...

هل تراه نسيها الآن متنعما بدفء أحضان زوجته؟!!!

هل رضي بعد أن ضمها اليوم لصدره لأول مرة...أن يعاود ذلك مع غيرها...؟!!!

هل قبل بهذا...

هل طاوعه قلبه الذي تملكته كما تملكها؟!!!



عادت تنتحب بقوة فربتت جويرية علي ظهرها وهي تهمس في حنان:

_أمي تشبهك دوماً بقطعة الكريستال...تقول أنك هشة مثلها سهلة الكسر...لكنني أعرف أنك بداخلك امرأة قوية...ستتقبلين قدرك صامدة...

هزت آسيا رأسها بيأس ...

فأردفت جويرية بحنان عاتب:

_أنا أشعر بك يا آسيا...صدقيني...لكنك اليوم قسوتِ علي الجميع...وعلي نفسكِ أولاً....

رفعت إليها آسيا عينين ضائعتين...

وقد بدأت الغمامة تنقشع عن عينيها رويداً رويداً...

لتتبين -لتوها-فداحة ما اقترفته الليلة...!!!!!

يا إلهي!!!



أي جنون هذا الذي أصابني الليلة؟!!!

هكذا حدثت نفسها وهي مصدومة....

عادت جويرية تربت علي ظهرها هامسة:

_من يدري؟! لعل الله اختار لك الخروج من هذه الدوامة التي أغرقتك...لا تنظري لأمر جدي برحيلك علي أنه عقاب ...بل ربما هو هدية القدر لتبدئي من جديد...

عادت دموعها تسيل علي خديها وهي تشعر بالغربة...

يالغربتي بعدك يا ياسين!!!!

أي وطن سيقبلني بعدما لفظتني من أرضك...؟!!!



وأي بيت سيأويني وقد كنت أنت أمان جدراني كلها...؟!!!

اقتربت منهما ساري تقول بهدوء لا يناسب الموقف:

_دعيها يا جويرية...بعض الدروس نحتاج لنتعلمها بأنفسنا...لا أن يعلمنا إياها أحد....

التفتت إليها آسيا بدهشة فأردفت ساري بابتسامة حنون:

_لست أدري متي سيمكنك العودة إلينا...لكنني واثقة من شئ واحد...عندما تعودين إلينا ستكونين آسيا جديدة...آسيا قوية لا يكسرها أحد...

مدت كل من جويرية وآسيا ذراعيهما إليها...

لتندس بينهما في حضن أخوي جماعي...



لا تدري أي منهن متي يمكنهن التنعم بمثله مجدداً...

====

فتح ياسين عينيه علي ضوء الصباح الذي ملأ الغرفة...

نظر حوله بتفحص ليتبين موقفه الجديد...

ابتسم في سخرية مريرة وهو يسترجع أحداث الأمس الصاخبة...

ثم انتفض بقلق عندما سمع أصوات جلبة تحت نافذة غرفته...

قام من فراشه في جزع...

ثم فتح النافذة بسرعة...

ليسقط قلبه تحت قدميه...

إنها السيارة التي ستقل آسيا وحدها لمنزل خالها في منفاها الجديد هناك...



وها هي ذي الحبيبة الغالية...

تقف مودعة فريدة وأختيها بفيض من الدموع...

ناداها قلبه دون لسانه فلم تخيب رجاءه...

رفعت رأسها إليه وكأنها كانت تترقب حضوره ...

لتلتقي عيناهما في حديث طويل...

يليق بوداع كهذا...

قبل أن تطرق برأسها لتستقل السيارة التي انطلقت بها بعيداً عن الجميع ...

لقد قال القدر كلمته الأخيرة...

ورحلت آسيا..

حاملة قلبه معها!!!!



هكذا فكر وهو يغلق النافذة...

ليسند رأسه علي الجدار مخفياً دمع عينيه الذي يبكيها الآن...

آسيا...

حبيبته وصديقته وابنته...

وحلم العمر الذي غادر -لتوه- عالمه...

إلي الأبد...

ظل علي حاله هذا بضع دقائق...

حتي سمع صوت جرس الباب لينتبه فجأة للغريبة التي تقيم معه...

الغريبة التي يفترض أنها زوجته...!!!

والتي نامت ليلتها وحدها في الغرفة المجاورة...

زفر بقوة ...



وهو يخرج من غرفته إلي غرفتها...

متجاهلاً صوت الجرس...

طرق الباب برفق عدة مرات فلم تجبه...

استبد به القلق وهو يتردد في فتح الباب...

ثم خاطب نفسه ...

إنها زوجتك يا أحمق...!!!!

افتح واطمئن عليها...

فتح الباب بهدوء...

وهو يتقدم نحوها...

ليتأمل ملامحها الجميلة النائمة ...

يكاد يقسم أنها المرة الأولي التي يتبين فيها ملامحها جيداً...



لم تزد في نظره- منذ خطبها له جده -عن كونها امرأة فحسب...

كل النساء بعد آسيا متشابهات ...

كلهن سواء...!!!!

خفق قلبه بإشفاق وهو يلمح بقايا الدموع المتجمدة علي وجنتيها...

عقد حاجبيه بضيق وهو يشعر بكرهه لنفسه...

أي وغد هذا الذي يجعل زوجته تبيت ليلة زفافها وحدها بدموعها علي خدها هكذا...؟!!!

وليست أي زوجة...

إنها رقية الهاشمي...!!!!



التي يعرف جيداً كم من العائلات التي كانت تتمناها لبنيها...

ربما لو لم يكن قلبه ملكاً لآسيا لكان الآن أسعد أهل الأرض بزوجة كهذه!!!!

اقترب منها ليجلس علي طرف الفراش ....

لامس وجنتها بأصابعه برفق...

ففتحت عينيها لتهمس بصوت نائم وكأنها تحلم:

_ياسين.

ازدرد ريقه ببطء وهو يشعر بتأثير همسها هذا عليه...

عندما انتفضت من مكانها بقوة وقد انتبهت لموقفهما لتهتف بحدة:

_ما الذي تفعله هنا؟!



قام من جوارها ليقول بهدوء لا يخلو من الاعتذار:

_جرس الباب يرن...لا يليق أن يراكِ أحد نائمة هنا.

قامت من سريرها ...

لتقابله بعينين واثقتين قائلة:

_هل فكرت فيما قلته لك بالأمس؟!

أشاح بوجهه عنها وهو لا يدري ما الذي يمكنه قوله لها...

إنه حتي لم يتذكرها- هي شخصيا-ً قبل أن يرن الجرس..

فكيف بما تظنه اتخذ فيه قراراً؟!!!

عاد يلتفت إليها وقد عاد الجرس للرنين قائلاً :

_هذا ليس وقتاً

مناسباً للحديث...



أومأت برأسها إيجاباً وهي تهمس:

_معك حق...

قالتها وهي تخرج من الغرفة الصغيرة لتدخل غرفتهما وتغلق بابها خلفها....

تنهد في ضيق وهو يتوجه نحو باب الشقة ليفتحه ...

ليطالعه وجه أمه راجية التي هتفت بفرح:

_مبارك يا حبيبي...مبارك.

انطلقت الزغاريد العالية وراجية تحتضنه بقوة...

لتدخل الخادمة واضعة صينية الطعام علي المائدة...

ثم تنصرف في هدوء...

لتسأله راجية بلهفة:

_كيف حالك مع عروسك؟!



أطرق برأسه ولم يرد...

فعقدت حاجبيها في ضيق...

عندما فتح الباب لتخرج منه رقية...

شهقت راجية في انبهار وهي تتأمل رقية التي خرجت في أبهي صورة...

ملكة حقيقية !!!

سبحان من صورها بهذه الطلة الفاتنة...

وهذه الهالة من السحر التي تحيط بها أينما حلت...

توجهت نحوهما رافعة رأسها في كبرياء وهي تصافحها في برود...

لكن راجية احتضنتها بقوة هاتفة:

_مبارك يا حبيبتي ....مبارك.



ابتسمت رقية برقة وقد استشعرت طيبة هذه المرأة التي بددت سحب برودها لتهمس بخجل:

_شكراً يا عمتي.

قالت راجية بطيبة:

_قولي لي يا أمي...يشهد الله أنني أحببتك كأولادي.

أطرقت رقية برأسها وهي لا تدري كيف ترد...

فشعرت راجية أن الوضع بين ياسين وزوجته ليس علي ما يرام...

وهذا ما لا تتعجبه بعد فضيحة الأمس...

آسيا الحمقاء أفسدت ليلة العمر علي ولدها بفعلتها المشينة...

لكنها نالت جزاء فعلتها...



الحاج قاسم نفاها بعيداً عن هنا...!!!!!

صحيح أن ما حدث لن يُنسي...

لكن الأيام ستداوي هذا الأمر...

هما فقط يحتاجان لوقت...

الفتاة رائعة وياسين يستحق زوجة مثلها....

فقط ...لو ينزع آسيا هذه من رأسه...!!!!

ربتت راجية علي رأس رقية برفق...

ثم قالت لياسين:

_زوجتك رائعة يا ياسين...بارك الله لكما....

أومأ ياسين برأسه إيجاباً فمنحته راجية نظرة متفهمة...

غادرتهما بعدها سريعاً...



توجهت رقية إلي غرفتها الصغيرة فاستوقفها هاتفاً:

_رقية...ألن تتناولي طعامك؟!

قالت ببرود:

_لا أريد...

توجه نحوها لتطالعه ملامحها الجليدية التي تداري بها انكسارها....

انكسارها الذي يتفهمه ويشعر به ويشفق عليها منه...

لكنه لا حيلة له!!!!

اقترب منها وقال بحنان لا يدعيه:

_أرجوكِ اجلسي وكلي معي...وبعدها سأنفذ لك ما يرضيكِ....



مس قلبها هذا الحنان الذي كان يقطر من كلماته...

هذا الحنان الذي شعرت به دوماً كلما نظرت إليه...

والذي جعلها تطمئن له وحده دون غيره...

لم تكن تعلم وقتها أن هناك أخري سبقتها لتمتلك مفاتحه كلها...

ولا تترك لها سوي مجرد جسد بلا قلب تحمل اسمه علي قسيمة زواج...!!!!

طال صمتها فعاد يهمس في رجاء:

_رقية...أرجوك لا تزيدي عذابي لأجلك...أنا أعرف أني آلمتك كثيراً بالأمس لكنني...

أغمضت عينيها بقوة وهي تقاطعه هاتفة:

_لا تذكر شيئاً عن حادثة الأمس.



عقد حاجبيه بضيق وهو يري صدرها يعلو ويهبط في انفعال...

لاريب أنها الآن تتذكر مشهده وهو يحتضن آسيا وسط كل ذاك الحضور...

لاريب أنها الآن غاضبة حد الاحتراق...

وهو لا يلومها كثيراً ...

بل علي العكس...

هو شديد العجب من قوتها لتكمل الزفاف لآخره وتجئ معه هنا...

بل وتحدثه بكل هذا الهدوء...

لو كانت هذه آسيا لكانت أقامت الدنيا ولم تقعدها!!!!!

آسيا...!!!!

آسيا...!!!



عادت أفكاره تتركز حول الحبيبة الراحلة ليشرد بعيداً غافلاً عن تلك التي تراقب شروده بألم!!!

ألم من أدركت خسارتها منذ أول المعركة لكنها مجبرة علي تحملها للنهاية...

====

سارت جواره في مشفي والدها وهي تقول بمرح:

_تخيل لو كنت رأيتك هنا قبل لقائنا الأخير....كنت سأفقد وعيي رعباً وأنا أتصورك قاتلاً مخبولاً يطاردني.

ضحك هاتفاً بالعربية:

_قدر ولطف!

رفعت حاجبيها في عدم فهم فقال بهدوء لا يخلو من الضيق:



_أحزن كثيراً عندما أتذكر أنك لا تجيدين العربية رغم أنك مصرية ومسلمة أيضاً.

ثم التفت نحوها هاتفاً:

_ألا تقرئين القرآن؟!

همست بخجل لم تعرف سببه:

_أنا أحب الاستماع إليه عندما يقرأه والدي...لكنني لا أجيد قراءته...

أطرق برأسه للحظات ثم رفعه إليها هاتفاً بمرح:

_ما رأيك أن يعطيك المجرم المخبول دروساً في اللغة العربية؟!

التمعت عيناها بمرح وهي تصفق في جذل كالأطفال ثم قالت:

_سيكون هذا رائعاً.



تأمل فرحتها بإعجاب حقيقي...

منذ رآها أول مرة في حديقة والدها وهو يشعر نحوها بانجذاب غريب...

جمالها الغربي المستمد من والدتها الانجليزية المطعم بلمحة شرقية محببة ...

وروحها الطفولية بنظراتها المنبهرة به دوماً وكأنه مخلوق فضائي من عالم غريب...

وضحكتها الرائقة الحلوة وكأن صاحبتها لم تعرف يوماً حزناً ولا ضيقاً...

باختصار...

مارية آدم كانت مزيجاً من كل ما يعشقه حمزة في النساء...

باستثناء أنه كان يستشعر دوماً انتقاصها من شأن عربيتها ودينها...



وهو ما سيكون شغله الشاغل في الفترة القادمة...

ضحك سراً للمفارقة الغريبة التي تجعلها هي نافرة من وطنها مصر في حين يتوق هو فقط لتقبيل ترابه...!!!!

مصر لم تكن لحمزة مجرد اسم علي أوراق هويته...

لكنها كانت ذكريات رائعة مرت... حرمته الحياة منها ظلماً وعدواناً...

ليجد نفسه هنا منفياً بلا أهل ولا عائلة...

كشجرة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار...!!!



قطع أفكاره صوت هاتفها التي تناولته لتجيب ببساطة:

_آندي...افتقدتك كثيراً...سآتيك حالاً...

عقد حاجبيه بشدة...

عندما أغلقت الاتصال ببساطة لتواجه ضيقه -الغير مبرر-في عينيه...

هزت رأسها في تساؤل فسألها بصوت جاهد ليكون هادئاً:

_من آندي هذا؟!

ابتسمت لتقول ببساطة:

_إنه صديقي منذ الطفولة...لابد أن تتعارفا...سيحبك جداً...



أطرق حمزة برأسه وهو يشعر بالضيق...

رغم إقامته هنا منذ عدة سنوات...

لكن الدم الصعيدي الذي يجري في عروقه لايزال

يصعب عليه استيعاب هذه الأمور...

خاصة وهو يشعر بأحاسيس مختلفة نحو مارية...

هي ليست فقط جارته وزميلته في عمله...

لكنه يشعر أنها صارت جزءاً من عالمه...

جزء يحق له تملكه والغيرة عليه...

تأملت إطراقه الصامت بدهشة وهي تهتف:

_ماذا بك يا حمزة؟!

رفع إليها عينين غامضتين ثم ابتسم في خبث هاتفاً:

_لو نطقتها صحيحة كما ينبغي فسأخبرك.



حاولت عدة محاولات مضحكة لتنطق حرف الحاء في اسمه لكنها فشلت جميعاً...

فضحك في صخب هاتفاً:

_ستكونين تلميذة متعِبة.

ابتسمت في خجل أذاب قلبه فهمس في حنان:

_لكنني لن أيأس!

====

سارت بها السيارة تنهب الطريق نهباً...

لقد حددوا مصير الجارية بالنفي نحو المجهول...

حتي يصدروا قراراً بإعادتها من جديد...

انتفض قلبها بغضب لم يلبث أن تحول لشعور بالخزي الشديد...



ما هذا الذي تجرأت علي فعله بالأمس...؟!!!

كيف سمحت لنفسها بهذا التصرف المشين؟!

لا...لم تكن هي!!!

آسيا التي تعرفها لم تكن لتفعل شيئاً كهذا أبداً...

لكنها بالأمس كانت واحدة أخري...

واحدة فقدت قلبها...

وفقدت عقلها وراءه!!!!

تنهدت في يأس وهي تعود برأسها للوراء ناظرة للطريق في استسلام...

تري كيف سيعاملها خالها عندما تذهب إليه...؟!!

وهل سيعرف بالفضيحة التي حدثت في زفاف ياسين...؟!!

بالطبع سيعرف...

الجميع سيعرفون...!!!



وحينها ستكون آسيا اللعوب سيئة التربية حديث الجميع...!!!!

للمرة الأولي في حياتها تشعر أن جدها قاسم كان حكيماً في قراره...

ربما كان هذا هو الصواب للجميع...

أن تبتعد بعد فعلتها المشينة...

ليبدأ ياسين حياته من جديد...

رقية الهاشمي ورغم كونها غريمتها الآن...

لكنها زوجة رائعة...تليق بياسين الحبيب...

نعم...من الأفضل أن تبتعد آسيا عديمة القيمة كما يراها الجميع...

ولاسيما لو ابتعدت للأبد!!!



للأبد؟!!!!

التمعت الفكرة في رأسها فعمل عقلها بسرعة لتنفيذها...

انتظرت حتي وصلت السيارة لسوق كبير في منتصف مدينة في الطريق...

فهتفت تقول للسائق:

_انتظرني هنا...سأشتري شيئاً بسرعة وأعود.

تردد السائق قليلاً لكنها لم تمنحه فرصة الاعتراض فقد فتحت باب السيارة لتندفع بسرعة نحو أحد محلات الملابس المنتشرة في المكان...



طال غيابها كثيراً فتململ السائق في مقعده وهو يغمغم في سخط:

_فتيات مدللات!!

لكن سخطه تحول لقلق كبير عندما مرت قرابة الساعة ولم تعد...

أغلق السيارة ودخل المحل الذي رآها تتوجه إليه ليجده خالياً منها...

سأل عنها العامل الواقف عن الباب بعدما وصف له ما ترتديه ليتبين أنها غادرت المحل من الباب الآخر...

انتفض السائق في هلع وهو يتخيل ما سيفعله به قاسم النجدي لو علم عن اختفائها هكذا!!!!

ظل يسير بسيارته بحثاً عنها عشوائياً في الشوارع المحيطة لكنه لم يجدها.



لقد اختفت آسيا النجدي...

أو بالأدق...

هربت الجارية!!!

=====

_أين ابنتك يا فريدة؟!

صرخ بها قاسم النجدي في غضب هادر فانتفضت فريدة وسط سيل دموعها هاتفة في أسي:

_لا أعرف...أقسم لك يا عمي أنني لا أعرف...

ثم تناولت كفه تقبله وهي تهتف في رجاء:

_أعدها يا عمي أرجوك ابحث عنها وأعدها.

نفضها عنه في حدة وهو يهتف بغضب:

_بالطبع سأعيدها....وسأعلمها الأدب بنفسي...يبدو أنك فشلت في تربية تلك ال...

قاطعته هاتفة :



_أعدها فقط واحبسها هنا كما تشاء...لا تجعلها تري حتي نور الشمس...لكن أعد لي بنتي يا عمي ...أرجوك.

قالتها ثم اندفعت في بكاء هستيري....

فضرب قاسم الأرض بعصاه بقوة وهو يصرخ:

_اغربي عن وجهي ...هيا...

تركته فريدة وهي،تتوجه لغرفتها منهارة...

لحقتها بنتاها اللتان لم تكونا أفضل حالاً منها...

ما الذي ستفعله آسيا الهشة الرقيقة في عالم كهذا وحدها...؟!!!

من يدري ما الذي أصابها الآن...؟!!!



انتحبت فريدة بقوة وهي ترفع كفيها للسماء هاتفة بين دموعها:

_احفظها يارب العالمين...ردها لي سالمة!

سالت دموع جويرية وهي تربت علي كتفها هامسة:

_لا تقلقي يا أمي...جدي سيعيدها إن شاء الله.

هتفت ساري التي كانت تبكي هي الأخري:

_رغم أني أخشي عليها عقاب جدي عندما يعيدها ....لكن أي شئ أهون مما يمكن أن تلاقيه...

اندفعت ساعتها فريدة في بكاء يقطع القلوب وهي تهمس:

_حبيبتي يابنتي.



تطلعت جويرية لساري في قلق...

كلتاهما كانت تشعر أن آسيا لن تعود...

آسيا هربت من سجن قاسم النجدي بإرادتها وكسرت حصار أسواره لأول مرة في تاريخ العائلة....

وهو ما لن يمرره قاسم النجدي بسهولة...

عندما يجدها ستكون النتيجة كارثية علي الجميع....

وإن لم يجدها ...

فسيكون الوضع أسوأ!!!!

للأسف...

لقد سارت آسيا في الطريق الذي لا رجوع منه...

واختارت أسوأ البدائل!!!!



تباً لحب كهذا!!!!

حب يفقد المرء عقله وحريته وقراره...

ليدفعه في طريق لم يتخيل يوماً أن يسير فيه....

لقد ضاعت آسيا...

ضاعت وسط قسوة الناس المفرطة ورقة قلبها الشديدة....

=====

جلست رقية علي كرسي مائدة السفرة ...

تراقبه يسير في الغرفة كليث حبيس....

منذ علم باختفاء آسيا...

وهو يبدو كالمجانين!!!!!

وبقدر ما كانت تشعر نحوه بالغضب....

تشعر الآن نحوه بشفقة غريبة...



بعيداً عن كونه زوجها....

لأنها تتناسي هذه الحقيقة الآن!!!!

هو رجل عاشق أجبر علي الزواج منها بعيداً عن معشوقته التي اختفت الآن ولا أحد يعرف عنها شيئاً...

وآسيا الغائبة ليست فقط حبيبته ...هي أيضاً ابنة عمه....

والدماء الصعيدية الأصل في عروقه تعتبر فعلتها هذه جريمة شرف تستحق القتل....

إن كانت تشفق علي آسيا خوفاً من ألا يجدها جدها....

فهي تشفق عليها أكثر لو وجدها!!!!!

من يدري ما الذي سيفعلونه بها؟!!!!!



بينما كان ياسين في غرفته يسير ذهاباً وإياباً...

يشعر بالنيران تأكل صدره....

المصائب تتوالي عليه تباعاً...

وكل واحدة أقسي من أختها...

في البداية حرموه منها ليزوجوه من أخري...

ثم أبعدوها عنه في منفي بعيد...

وها هو ذا يفقدها تماماً دون حتي أن يعلم مكانها الآن...

ضرب الجدار بقبضته بعنف وهو يفكر...

فتاة في جمال آسيا وقلة خبرتها مالذي ستفعله في هذا العالم وحدها....؟!!!

انقبض قلبه وهو يتخيل لو تعرض لها أحدهم بسوء...



كيف ستدافع عن نفسها؟!!!!

ظل يضرب الجدار بقوة ضربات عديدة متتالية....

حتي شعر بكفها يمسك كفه وهي تهمس :

_رفقاً بنفسك يا ياسين...

التقت عيناه بعينيها ليصدمها منظر الدموع في عينيه....

يالله!!!!!

إلي هذه الدرجة تعشقها يا ياسين؟!!!

هكذا حدثت نفسها وهي تراقب الألم المغروس في عينيه...

أشاح بوجهه عنها فابتلعت غصتها ومرارة حسرتها لتقول بكبريائها الخادع:



_سأكلم أبي ...سيجدها...لا تقلق.

التفت إليها بلهفة تمتزج بالأمل وهو يهتف:

_حقاً؟!

ابتسمت في سخرية وهي تقول بثبات:

_هل نسيت من هم أصهارك يا ياسين؟!

تأملها بدهشة متفحصة...

هذه المرأة غريبة...

عندما أمسكت كفه منذ قليل وتطلع لعينيها رأي فيهما حناناً ليس له حدود....

حنان احتضن ألمه وحزنه برفق خبير...

لكنه الآن وهي تكلمه بهذه الطريقة....

يشعر بها كملكة قوية تتحدث من فوق عرشها في كبرياء....



كيف يمكنها أن تمزج حنانها بقوتها في هذا المزيج الساحر...؟!!!

قطعت أفكاره عندما تناولت هاتفها لتحدث أباها عن الأمر بكلمات مقتضبة...

يكاد يقسم أنه لمح دموعاً في عينيها لكنها اختفت بسرعة كما ظهرت....

يبدو أنها تجاهد نفسها كي لا تبدي انكسارها أمامه!!!!

أنهت الاتصال مع والدها سريعاً ثم قالت له بثبات دون أن تنظر إليه:

_لا تقلق...والدي وعدني أنه سيجدها....وسيحرص علي سرية الأمر.

ابتسم بضعف هامساً:

_شكراً يا رقية.



تجاهلت شكره...

تماماً كما تجاهلت تأثير همسه باسمها علي قلبها....

لتقول بكبرياء:

_أعرف أن الوقت ليس مناسباً...لكن والداي يريدان زيارتنا للمباركة...وكنت أود أن أعرف قرارك .

عقد حاجبيه في شدة وهو يقول في حيرة:

_قراري؟!

ابتسمت في سخرية وهي تقول:

_نعم...قرارك...هل تتعجب الكلمة إلي هذه الدرجة؟!!!!

أطرق ياسين برأسه وهو يفكر...

هو فعلاً يتعجب الكلمة...



قاسم النجدي لم يجعل لأي فرد من هذه العائلة فرصة لاتخاذ قرار....

هو الآمر الناهي هنا...

وهم فقط ينفذون...

قرأت حيرته في صمته فقالت بهدوء بنكهة الحسرة :

_حسناً يا ياسين...بما أنك عاجز عن اتخاذ القرار كما يبدو فسأعطيك كلمتي...يشهد الله أنني جاهدت نفسي كثيراً كي لا أقولها أنا...ففي عُرف رقية الهاشمي...من العيب جداً أن أتخذ قراراً في وجود زوجي حتي لا أتهم ولو أمام نفسي أنني أستغل مكانة عائلتي...لكنني منحتك الفرصة وأنت رفضتها....

تطلع نحوها بترقب فأخذت نفساً عميقاً ثم قالت بثبات:



_لست زوجي يا ياسين!

عقد حاجبيه في غضب فيما أردفت بنفس الثبات:

_سنستمر في هذه التمثيلية السخيفة لفترة من الوقت حتي لا يكون شرفي مضغة في الأفواه...كفانا فضيحة الزفاف التي لن ينساها الناس سريعاً...

هز رأسه قائلاً:

_ماذا تعنين؟!

واجهته بقوة عينيها هاتفة:

_نحن غريبان فرضت عليهما الظروف العيش في بيت واحد...لكن أمام الناس سيكون الأمر عادياً ...حتي يمضي بعض الوقت...وبعدها...ستطلقني...

تهدج صوتها في كلمتها الأخيرة...

وعجزت عن الاحتفاظ بثباتها الوهمي أمامه...

فتجمعت الدموع في عينيها...



وهي تفر لغرفتها هاربة...

لتغلق الباب خلفها بالمفتاح...

اندفع وراءها ليطرق الباب هاتفاً:

_افتحي يا رقية....

ظل يطرق الباب حتي آلمته يده...

لكنها لم تجبه ...

ولا حتي بكلمة...

لقد قالت رقية الهاشمي كلمتها...

وانتهي الأمر....

=====



جلست سمية جلستها المفضلة تراقب الخيل في المزرعة...

طالما كان هذا المشهد ملهباً لخيالها...

عندما تعدو الجياد بانطلاق لا يعرف القيود...

ووراؤها خلفية طبيعية من شمس الأصيل الغاربة...

سرحت بأفكارها وهي تتذكر تلك الأيام السعيدة...

عندما كانت صحتها تسمح لها بركوب الخيل مع بدر...

فينطلقان معاً في عالمهما الخاص الذي اختاراه هنا في هذه المزرعة...

بعيداً عن كل الناس...

كم كانت تتمني لو تعيش حتي تري طفلها فارساً كأبيه...



يمتطي جواده ويسير جوار فتاته التي اختارها...

لينجب لها ولبدر أحفاداً كثيرين...

يملئون هذه المزرعة...

ويعوضونهما عما افتقده كلاهما من دفء العائلة...

لكن هذا المرض اللعين لم يختطف صحتها فحسب...

لكنه اختطف سعادتها وأحلامها أيضاً!!!!

لن تعيش حتي تري أحفادها...

بل ...

ربما لن تعيش حتي تري طفلها يستطيع ركوب الخيل كأبيه...!!!



أغمضت عينيها في قوة وهي تستغفر الله سراً ثم همست في خشوع:

_راضية يا رب...راضية!

تقدم نحوها بدر ببطء وهو يلاحظ شرودها الحزين...

ربت علي رأسها الذي تحافظ الآن علي تغطيته بالوشاح دوماً حتي في نومها كي لا يري أحد كيف صار حال شعرها بعد العلاج الكيميائي....

رفعت رأسها إليه لتهمس بحب:

_بدر!



جلس جوارها ليتصنع المرح هاتفاً:

_طفلك هذا مرهق جدا...لقد جعلني أروي له الحكاية ثلاث مرات حتي نام.

ذكرها حديثه بقرارها الذي اعتزمته فقالت في تردد:

_بدر...كنت أريد التحدث معك في أمر هام.

أمسك كفها يقبله وهو يقول بحنان:

_تفضلي.

أطرقت برأسها وهي تقول بتعقل:

_الأعمار بيد الله ...لكنني كنت أود الاطمئنان عليك وعلي طفلنا...كنت أفكر لو ...تتزوج!

تنهد في حرارة وهو يشعر بألمهما المشترك....



ثم قام من مقعده ليجثو علي ركبتيه أمامها ثم رفع رأسها إليه هامساً:

_أنا متزوج بالفعل...متزوج من أروع امرأة في الدنيا.

ابتسمت وقد فاضت عيناها بالدموع هامسة:

_حسناً...سأحاول أن أصدقك...لكن هذه المرأة الرائعة ستتركك قريباً وتريد الاطمئنان عليكما قبل رحيلها.

دمعت عيناه وهو يهتف في توسل:

_لا تقولي هذا يا سمية...أنت تذبحينني،في كل مرة تتفوهين بها بهذه الكلمة.

ربتت علي كتفه وهي تقول :

_هذا ما كنت أعنيه بالضبط...أنت ترفض تصديق الحقيقة وتهرب منها...وأنا أخشي أن يداهمني



الموت قبل أن أطمئن عليكما...

قام من مكانه وهو يهتف :

_لن أعترف بأي حقيقة الآن سوي بأنك معي...جواري...حبيبتي وزوجتي...وأم طفلي...لا تفتحي هذا الموضوع ثانية أرجوك.

قالها وهو يعود بخطوات مندفعة نحو منزلهما...

لتطرق برأسها من جديد...

بدر الحبيب لازال يراعي مشاعرها لأقصي درجة...

لازال يحاول تأجيل استيعابه لحقيقة لم تعد تحتمل المجادلة....

شعرت بكف تربت علي كتفها ...

فرفعت رأسها هامسة:

_مرحباً يا عمي.



جلس العم كساب جوارها وهو يقول بحنان:

_كيف حالك يابنتي.

هتفت برضا:

_الحمد لله رب العالمين.

تأملها الرجل بإشفاق...

هذه الشابة الصغيرة التي اختارها المرض مبكراً ليختطفها من زوجها وطفلها...

لكنها كما يراها راضية محتسبة...

تحمد الله علي الضراء قبل السراء...

قال بقلق:

_لقد رأيت بدر يعود للمنزل مندفعاً....هل دار بينكما شئ؟!

واجهته بوضوح هاتفة:



_بدر يجب أن يتزوج يا عمي...يجب أن أطمئن عليه وعلي طفلي قبل أن ....

لم تستطع إكمال عبارتها وقد غرقت كلماتها في دموعها التي انهمرت علي وجنتيها كالسيل....

فارتفع حاجبا كساب في تفهم...

سمية النبيلة تريد إكمال معروفها مع ابن أخيه للنهاية...

تريد أن تري البسمة علي وجوه الجميع قبل أن تغلبهم دموعهم بعد رحيلها...

سمية النبيلة تفكر في الجميع قبل نفسها كعادتها....

لكنه يعرف بدر جيداً...

بدر لن يتزوج بأخري...

ليس في حياتها وربما بعد موتها أيضاً...

سمية في حياة بدر ليست مجرد زوجة ولا حتي حبيبة...



سمية هي شعاع النور الذي انتشله من مستنقع الماضي الأليم...

ليفتح له عالماً جديداً هنا....

سمية جعلته يولد من جديد...

قال كساب بحرارة:

_اهدئي يابنتي...ولا تتعجلي الأحداث....لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.....

هتفت وسط دموعها:

_لم يعد هناك وقت يا عمي...أريد أن أطمئن عليه وعلي الصغير...أرجوك يا عمي أقنعه بالزواج ...أرجوك.

===



_صدقني...ستحبه جداً....إنه شاب رائع!

هتفت بها مارية في انبهار فرد آندي بضيق:

_ماري...أنت لم تكفي عن التحدث عن ذاك المصري منذ جلسنا.

أشاحت بوجهها هامسة في حزن:

_أنت لم تعد تهتم بي كالسابق آندي.

هتف بسخط:

_أنت تتحدثين عن هذا المصري وكأنه أسطورة....ما الذي يعجبك فيه إلي هذه الدرجة؟!

همست في هيام:

_مختلف...مختلف آندي...طباعه...غموضه...حتي ملامحه...

أمسك،كفها هامساً:

_أنتِ تقسين علي بحديثك

هذا ماري...



أنت تعلمين أنني...

قاطعته وهي تسحب كفها من كفه هامسة في عتاب:

_آندي...لقد انتهينا من هذا الأمر...أنت صديقي فحسب...وليس أكثر.

هتف بقوة:

_لكنني لازلت أحبك ماري.

ضحكت في سخرية هاتفة:

_نعم...تحبني وتحب كاتي وليزا ولورا والكثيرات غيرهن ....أليس كذلك؟!

قال بضيق:

_أنت تعلمين أنك لست مثلهن ...أنا أستمتع معهن فقط وأنت شديدة التعقيد كما تعلمين.

قالت بضيق:



_ليس تعقيداً آندي...لكنني أحترم تربية أبي...

ثم وقفت قائلة:

_دعنا نرحل من هنا.

أمسك كفها هاتفاً:

_لا تغضبي ماري.

نزعت كفها منه وهي تقول بضجر:

_مارية...لا تنادني ماري ثانية!!

عقد آندي حاجبيه وهو يراقبها بتفحص...

مارية شديدة التحفز هذه الليلة...

تبدو شديدة العصبية رغم أنها تسترخي تماماً عندما تتحدث عن ذاك المصري...

تري هل ستتكرر القصة الشهيرة...



هل ستحبه وتتزوجه؟!

لا...لن يسمح بهذا أبداً...

مارية هي حب عمره وصديقته منذ الصغر...

صحيح أنه اعتاد تمضية وقته والعبث مع الأخريات...

لكن هذا لأنها لم تمكنه مما أراد منها...

هي شديدة التحفظ فيما يتعلق بتلك الأمور...

لازالت تربية والدها المعقدة-بزعمه-تتحكم فيها...

لكنه يحبها هكذا...

ولن يسمح لذاك المصري أن يأخذها منه...

مارية آدم حبيبته ولن يضيعها...

مهما كان الثمن!!!

====

وقف قاسم أمام الجدار الذي علقت عليه صور أولاده...



بعدما أعطي أوامره الصارمة للخادمة ألا يدخل عليه أحد...

تحسس صورة سعد ولده الأصغر ثم همس بألم:

_لم أضيع أمانتك يا ولدي...لم أضيعها...آسيا بالذات كانت المفضلة عندي...لهذا اخترت لها حمزة زينة شباب آل النجدي...سأجدها يا ولدي...سأردها لحضن العائلة...لن تضيع آسيا...لن تضيع...

قالها وهو يترنح قليلاً ليستند علي عصاه بسرعة...

جلس علي كرسيه مسنداً رأسه علي عصاه وهو يفكر...

أين يمكن أن تكون هذه الفتاة الطائشة...

هي لم تكن تملك ما يكفي من المال لتتغيب كثيراً...



وليس لها أقارب بعيداً عن عائلة النجدي سوي خالها الذي تهربت من الذهاب إليه...

ربما فكرت في الذهاب لإحدي صديقاتها....

هب من كرسيه وقام يفتح باب الغرفة ...

ليأمر الخادمة بأن تستدعي له فريدة...

وبعد قليل كانت فريدة واقفة بين يديه تسأله بلهفة:

_هل علمت عنها شيئاً يا عمي؟!

هتف بجمود يداري مشاعره كعادته:

_سنجدها...لن تبتعد كثيراً...لكنني كنت أريدك أن تخبريني عن صديقاتها المقربات ربما كانت عند إحداهن.

هزت رأسها نفياً وهي تهتف وسط دموعها:

_لقد هاتفتهن كلهن...لا أحد يعرف عنها شيئاً.

هتف بخشونة:



_ربما يكذبن...هل تعرفين عناوين سكنهن؟!

أومأت برأسها إيجاباً فقال بصرامة:

_اكتبيها لي وسأبعث من يمكنه التصرف.

هزت رأسها وهي تلتفت لتغادر ...

عندما تعلقت عيناها بصورة زوجها الراحل علي الجدار...

ازداد انهمار الدموع من عينيها وهي تفكر...

تري لو كنت الآن معنا يا سعد هل كانت آسيا ستضيع منا؟!

أم أنك كنت ستحتويها بحنانك وتحميها بقوتك...

وتدفع عنها الظلم الذي خنق روحها حتي لجأت للهرب ؟!!!

هل كنت ستخضع لسلطان أبيك مثلي؟!



أم كنت ستقاومه من أجل ابنتك؟!

هل ستلومني عندما تلقاني؟!

هل أنا الآن مذنبة في عينيك ؟!!

لاحظ قاسم تعلق عينيها بصورة سعد فتقدم منها ببطء وقد رق قلبه ليربت علي كتفها هامساً:

_سنجدها يابنتي...آسيا ليست فقط أمانة سعد...لكنها أمانة حمزة أيضاً...سنجدها...

انحنت علي كفه تقبله وهي تهتف في توسل:

_ردها لي يا عمي...ردها لي سالمة...وافعل بها ما تشاء بعدها!

ربت علي رأسها وهو يتنهد في عجز...

تلك الصغيرة الطائشة هزت أركان عائلة النجدي كلها بفعلتها المشينة...



لم تكفها فضيحة ليلة الزفاف حتي تتبعها بهروبها هذا...

أي عقاب تستحقه تلك الطائشة؟!!!

أي عقاب!!!!

======

طرقت رقية باب غرفته برفق...

ففتحه ليواجهها هامساً بلهفة:

_أخيراً يا رقية...أخيراً خرجت من غرفتك ...

ثم قال بعتاب:

_لقد كدت أكسر الباب خوفاً عليك.

رفعت رأسها في كبريائها المعهود وهي تتجاهل عبارته قائلة في هدوء:

_والداي علي وشك الوصول...يجب أن تكون أمورنا أمامهما طبيعية...



اقترب منها خطوة وهو يقول برجاء:

_رقية...الظروف الآن لا تسمح لي بالتفكير في أي شئ...أنا أعرف أني ظلمتك من أول لحظة لكن...

قاطعته هاتفة في صرامة:

_رقية الهاشمي لا يظلمها أحد...ضعها حلقة في أذنك حتي لا تثقل علي نفسك كثيراً بالذنب.

هز رأسه في يأس وهو يراقب الدمع المتجمد في عينيها و الذي يناقض قوة عباراتها القاسية...

حديث عينيها يستفز حنانه ...

يجعله يتمني لو يضمها لصدره كطفلة خائفة ليمنحها الأمان ...

يجعله يكره نفسه علي كل هذا الألم الذي يسببه لها...

لكن...

يشهد الله أنه ليس بيده...



لقد وجد نفسه هكذا في منتصف الطريق بينها وبين آسيا الحبيبة...

فلا هو يستطيع التقدم نحو رقية...

ولا هو يستطيع العودة لآسيا...

عض علي شفتيه بقوة وهو يتذكر آسيا الغائبة ليسألها بتردد:

_هل أخبركِ والدك شيئاً عن آسيا؟! هل من جديد؟!

أطرقت برأسها وهي تهمس في أسف حقيقي:

_ليس بعد...لكن البحث مستمر...

اعتصرت قبضة باردة قلبه المتيم وهو يتنهد في حرارة...

كادت تنصرف عنه عندما أمسك مرفقها ليهمس:

_رقية...



نزعت مرفقها منه بعنف وهي تهتف في قوة:

_إياك أن تلمسني...رقية الهاشمي لا يمسها إلا زوجها وأنت لست زوجي...هل تفهم؟!

عقد حاجبيه بغضب وهو يهتف بحدة:

_لا تحدثيني بهذا الأسلوب...أنا زوجك...شئتِ أم أبيتِ!!!

كادت ترد عليه بحدة عندما رن جرس الباب...

فتركته بخطوات مندفعة لتدخل غرفتهما وتصفق الباب خلفها في عنف....

زفر بقوة وهو يشعر برأسه يكاد ينفجر من كل هذه الضغوط...

عاد جرس الباب يرن...

فأخذ نفساً عميقاً ثم توجه نحو الباب ليفتحه ...



طالعه وجه والدها المبتسم فتصنع ابتسامة واسعة ليقول:

_مرحباً يا عمي...مرحباً يا عمتي...تفضلا...

دخل عاصم الهاشمي ومعه إكرام والدتها التي كانت ترقب ياسين بغيظ شديد...

لن تنسي له أبداً ما فعله بابنتها الوحيدة ليلة زفافها...

ولولا حرصها علي مظهرهما الاجتماعي لما سمحت بإتمام الزفاف...

لكنها استجابت لنداء العقل ونصحت رقية بتجاهل الأمر وإتمام الزفاف ...

فبعيداً عن كون ياسين النجدي زوجاً مثالياً طالما تمنته لابنتها...

لكنها أيضاً لم تكن تريد تمكين الشامتين المتربصين من فرصة كهذه!!!



ورقية العاقلة لم تخيب ظنها...

لقد تمالكت غضبتها وتصنعت اللامبالاة حتي انقضي الأمر بأقل خسائر ممكنة...

لقد تمكن عاصم الهاشمي باتصالاته العديدة من منع انتشار هذه الفضيحة علي الصحف والانترنت...

لكن...

من سيمكنه إسكات ألسنة الناس؟!!!

وحده الزمن كفيل بذلك ...

قطعت أفكارها عندما خرجت رقية من غرفتهما بابتسامة مشرقة...

تأملها ياسين بدهشة تمتزج بالانبهار...

ملامحها الفاتنة المبتسمة تجعلها تبدو مختلفة عن تلك القوية ذات الكبرياء التي تواجهه بقسوة عباراتها...



لقد جعلتها الابتسامة الواسعة -والتي يوقن من أنها تتصنعها- تبدو وكأنها امرأة جديدة...

تجاهلت النظر إليه وهي تتقدم نحوهم فشعر بضيق خفي...

ثم ارتفع حاجبه في مكر وهو يتذكر اتفاقهما فتقدم منها ليتناول كفها ثم قبله هاتفاً:

_مرحباً حبيبتي.

ظهرت الصدمة في عينيها للحظة ثم نقلت بصرها إلي والديها المبتسمين بسعادة فاغتصبت ابتسامة باردة وهي تقول:

_دعني أصافح والديّ أولاً يا ياسين.



ظل متمسكاً بكفها لفترة وفي عينيه نظرة عنيدة...

فنزعت كفها منه وهي تتقدم نحو والدها تصافحه ...

احتضنها والدها بقوة...

فلم تشعر بنفسها إلا وهي تندفع بالبكاء...

انهارت كل صلابتها التي كانت تتمسك بها عندما عادت لحضن والدها القوي الحنون...

فلم تعد تري رقية العروس الخائبة ولا ياسين العريس الذي خذلها...

لم تعد تري سوي رقية الطفلة التي طالما كانت تفر من مخاوفها في حضن والدها الذي لم يخذلها يوماً...

عقد عاصم حاجبيه بقلق وهو يري انهيارها هذا فضمها إليه أكثر وهو ينظر لياسين في تساؤل...



ياسين الذي كان الآن في حال يرثي لها وهو يشعر بمشاعر مختلفة...

من ناحية هو يشعر بالإحراج من والديها فبالنسبة إليهما لابد أنه هو السبب الوحيد لبكاء ابنتهما بهذه الطريقة...

ومن ناحية أخري هو يشعر بالشفقة علي تلك التي تدعي القسوة والكبرياء وهي منهارة هكذا من داخلها...

رقية الهاشمي لغز كبير...

كم وجه تملك هذه المرأة التي يتبدل حالها بهذه السرعة...؟!!!!

قطعت إكرام أفكاره وهي تسحب رقية من حضن والدها لتضمها إليها هاتفة في جزع:



_ماذا بك يا رقية؟! أنا لم أركِ يوماً هكذا!!!!

قالتها وهي ترمق ياسين باتهام...

فأطرق برأسه وهو لا يدري ماذا يمكنه قوله...

مسحت رقية دموعها بعد لحظات لتعود لها قوتها فتقول بمرح مصطنع:

_لا تقلقي يا أمي...مدللتك رقية افتقدتكما فحسب.

تأملتها إكرام في تشكك...فشعرت رقية بالقلق...

انهيارها الغير محسوب هذا يكاد يدمر خطتها...

اتسعت ابتسامتها المصطنعة وهي تدعوهما للجلوس...

ثم مدت كفها لياسين لتقول بلطف:

_تعال يا ياسين

اجلس جواري.



تقدم منها ياسين ليلتقط كفها ببساطة ويجلس جوارها....

نظر إليهما عاصم برضا وهو يقول:

_أسعدكما الله يا بني...أنا مطمئن علي رقية معك.

تشنجت أناملها في كفه فضغطها برفق وهو يقول بصدق:

_سأبذل كل ما أستطيع لإسعادها يا عمي.

رمقتهما إكرام بنظرة متشككة...

قلب الأم داخلها لا يصدق السعادة المدعاة علي وجه رقية...

رقية الهاشمي كما تعرفها

لن تمرر ما حدث ليلة الزفاف بسهولة ...



إما أن ياسين منحها مبرراً مقنعاً لفعلته المشينة تلك الليلة...

وإما أنهما يتظاهران بالسعادة أمامهما فحسب...

لابد أن تعرف الحقيقة ...

نهضت من مكانها وهي تقول لرقية بحزم:

_تعالي معي يا رقية...أريد التحدث معك علي انفراد...

ضغط ياسين كفها برفق ثم تركه لتقوم من مكانها وهي تتجه مع والدتها لغرفتهما...

تابعهما عاصم ببصره حتي اختفيا...

ثم نظر لياسين بتمعن قبل أن يقول بتعقل:

_اسمعني يا ياسين...كل رجل تكون له علاقاته ونزواته قبل الزواج...لكن بعد الزواج تتغير الأمور...أنا تغاضيت عما حدث ليلة الزفاف لأنني أعرف طيب معدنك.



ثم أردف ببعض القسوة:

_لكن رقية هي أغلي ما أملكه في حياتي...لو جرحتها ولو بكلمة فلن أتغاضي عن هذا أبداً....

أطرق ياسين برأسه وهو يشعر بالاختناق...

من يخبره أن آسيا ليست علاقة سابقة ولا نزوة عابرة...؟!!!!

آسيا هي حبيبة عمره القصير التي لم يرَ امرأة غيرها...!!

لكن ...ما ذنبها رقية في هذا كله؟!!!

إن كان هو جبن عن الوقوف في وجه جده وجبروته!!!

رفع رأسه أخيراً بعد لحظات صمت طويلة ليقول بصدق:



_رقية فتاة رائعة...أعدك يا عمي أن أبذل كل جهدي لتكون سعيدة معي .

ابتسم عاصم في رضا ...

بينما تعلقت عينا ياسين بباب غرفتهما المغلق والذي اختفت خلفه مع والدتها....

تري هل ستصارحها رقية بحقيقة وضعهما...

أم ستتمكن من الحفاظ علي اتفاقهما...؟!!!



الفصل الثالث:

خرجت رقية أخيراً من غرفتهما مع إكرام التي كانت الأن تبتسم في رضا...

تنهد ياسين في ارتياح وهو يلمح علامات الاطمئنان علي وجه إكرام...

والذي انتقل تلقائياً للسيد عاصم الذي ابتسم بدوره وهو يقوم من مكانه ليهتف في حزم :

_سنرحل الآن...

تشبثت به رقية وهي تهمس في رجاء:

_ابق قليلاً يا أبي...

ربت علي ساعدها وهو يقول بحنان:

_سنزورك لاحقاً يا بنتي...



سارت معهما رقية تودعهما حتي الباب...

وكذلك ياسين الذي،شد السيد عاصم علي يده وهو يهتف في مودة:

_هنيئاً لك رقية يا ياسين...عندما تمر الأيام ستشكرني علي هديتي هذه لك.

ابتسم ياسين بشحوب وهو يختلس نظرة إليها....

ثم همس بهدوء:

_أنا أشكرك عليها من الآن يا عمي...لا تقلق عليها معي.

رمقهما عاصم بنظرة رضا أخيرة...

ثم رحل مع إكرام في هدوء...

أغلق ياسين الباب خلفهما برفق

ثم التفت إليها ليجدها تتوجه نحو غرفتها الصغيرة...



لحق بها بسرعة وهو يهتف:

_رقية...انتظري.

وقفت مكانها تنتظره...

حتي وصل إليها ليتطلع إلي ملامحها التي عادت لجمودها...

ازدرد ريقه ببطء وهو يقول بحزم:

_أريد التحدث إليك.

أومأت برأسها إيجاباً...

فسار معها ليجلس جوارها علي الأريكة...

لاحظ بوضوح اختلاجة أناملها المضمومة فهمس بحنان:

_أنتِ خائفة مني؟!

رفعت رأسها تقول بكبرياء:



_ولماذا أخاف منك؟!

أمسك كفها هامساً:

_لا تخافي مني يا رقية...لن أؤذيكِ يوماً...

ابتسمت في سخرية وهي تسحب كفها من كفه ثم قالت ببرود:

_أولاً أنا لست خائفة منك ولن أفعل...لو كنت تعرف شيئاً عن المرأة التي تزوجتها لعلمت أن رقية الهاشمي لا تخاف إلا من خالقها...وثانياً لا داعي لمشاعرك الرقيقة هذه فهي لا تعنيني...لا تمنحني مالست بحاجة إليه!!!

زفر بقوة وهو يهتف في ضيق:

_رقية! لن تستقيم حياتنا بهذه الطريقة!

ارتفع حاجباها وهي تهتف في سخرية:



_حياتنا؟!!!! يبدو أنك أسأت الفهم ...من قال أن لدينا حياة؟!!! أنا هنا ضيفة في منزلك...ستحسن ضيافتي ثم أرحل في سلام...

كز علي أسنانه وهو يقول في حزم:

_أنا لم أقرر بعد هذا الأمر...لم أمنحكِ كلمتي.

هزت رأسها تقول ببرود:

_لن يشكل هذا فارقاً لدي!!!

اشتعل الغضب في عينيه فواجهته ببرود عينيها هاتفة في صلابة:

_ما الذي تريده بالضبط يا ياسين؟!



أشاح بوجهه عنها وهو لا يدري بم يمكن أن يجيبها...

هو نفسه لا يعرف ماذا يريد...

عقله مشتت في وديان كثيرة...

وغياب آسيا الغامض هذا يقتله ببطء...

يزيد شتاته أكثر...

ويثقل علي روحه فيمنعه التفكير في أي شئ!!!

وقفت رقية لتقول ببرود:

_عندما تعرف ما الذي تريده أخبرني.

نظر إليها طويلاً ثم قال بحزم أخافها نوعاً:

_اجلسي .



ترددت للحظة لكن الشرر المتطاير في عينيه أخافها رغم أنها كرهت الاعتراف بذلك..

فجلست وهي تشيح بوجهها عنه كي لا تصطدم بنظراته المشتعلة...

أدار وجهها إليه لينظر في عمق عينيها وهو يسألها في عتاب حازم:

_في عُرف رقية الهاشمي ....هل هذه طريقة مناسبة لمعاملة زوجك؟!

دمعت عيناها بقهر وهي تشعر بقوتها تنسحب منها تدريجياً...

قرب وجهها إليه عندما لمح دموعها ليقبل جبينها بخفة هامساً:

_امنحينا بعض الوقت يا رقية...قبل أن تشهري كل سيوفك في وجهي هكذا.



ضغطت علي شفتيها بقوة كي تمنع نفسها من البكاء في هذه اللحظة...

إنها أول مرة في حياتها تشعر فيها بأنها وحيدة هكذا...

بعيدة عن دعم عائلتها الذي تخلت عنه بإرادتها يوم وضعت خطتها بالانفصال عنه...

فهي تعرف مدي سعادتهم وفخرهم بهذه الزيجة...

ولن يوافقوها بسهولة علي الانفصال عنه....

ضعيفة هي كما لم تعرف نفسها طوال عمرها....

لكنها لا تريده أن يري ضعفها هذا...

رقية الهاشمي لن تسمح لأحد أن يري ضعفها خاصة هذا الرجل!!!

شعر ياسين بما تعانيه...



فابتعد بأنامله عن وجهها وهو يسألها في هدوء:

_ما الذي قلتِه لوالدتك عنا؟!

أطرقت برأسها وهي تهمس :

_كما اتفقنا...أخبرتها أن كل شئ علي ما يرام.

أومأ برأسه في تفهم...

ثم رفع وجهها المطرق إليه لتدهشه حمرة وجنتيها...

ابتسم في حنان وهو يلاحظ خجلها الذي أدهشه!!!

لم يخطئ حين قال أن لهذه المرأة وجوهاً عدة!!!

من كان يري قسوة ردها وصلفها منذ قليل...

لا يصدق هذا الخجل الذي يلون وجهها الآن...



لكنه لا ينكر أنه جعلها تبدو ...

رائعة!!!

همس بعد لحظات من تأمل صفحة وجهها الفاتنة:

_لن أعاود الاعتذار إليك بالكلمات يا رقية فكل الكلام لن يخفف مثقال ذرة مما سببته لك من ألم...لكنني أعدكِ أن أبذل كل ما أستطيع كي أعوضك عما حدث.

أخذت نفساً عميقاً ثم همست:

_دعني وحدي الآن يا ياسين...

ربت علي كفها وهو يقول برفق:

_أنا أثق بعقلك يا رقية...أثق أنك ستتخذين القرار الصحيح.

رفعت إليه عينين حائرتين...



فابتسم بشحوب قائلاً:

_فقط ثقي في شئ واحد...أنا لن أفعل سوي ما يرضيكِ.

ابتسمت ابتسامة ضعيفة وهي تقوم من مكانها...

لتهمس في استسلام غريب علي شخصها الذي اعتاده:

_سأبقي في غرفتي قليلاً...

سارت بضع خطوات نحو غرفتها فاستوقفها بندائه باسمها...

توقفت مكانها فتوجه إليها ثم أمسك كتفيها هامساً وهو ينظر إلي عينيها بحنان عاتب:

_في عُرف ياسين النجدي...زوجتي لا تبكي سوي في حضني أنا...عندما أعجز عن منحك الحنان الذي



ترغبين يمكنك ساعتها البحث عنه في حضن والدك!!!

أطرقت برأسها في خجل وهي تشعر بمشاعر مختلطة...

هذا الرجل يملك سلاحاً خطيراً في مواجهتها...

سلاح...يعرف متي يشهره في وجهها فتنهار حصونها كاملة...

سلاحٌ ميزته جلياً في عينيه ومنذ أول لقاء...

ولا تبالغ لو قالت أنها وافقت عليه وحده دون جميع خاطبيها لأجله...

إنه حنانه هذا الذي يفيض في عينيه...

وكأنه ينبع من بئر لا يجف ولا يغيض...

حنان يعدها بأمان الكون كله...!!!



طال إطراقها الصامت للحظات...

تمالكت فيها شتات روحها المبعثرة...

ثم رفعت رأسها إليه تقول بهدوء يناقض اشتعال جوارحها الآن:

_وأنت لا تنادِني "حبيبتي" ادعاءً أمام الناس..لو كنتَ أحببتَ ابنة عمك حقاً لما سمحت للسانك بقولها لغيرها ولو كذباً!!!

اتسعت عيناه في صدمة...

وهو يتذكر عندما قالها لها متكلفاً أمام والديها ليقنعهما بطبيعية وضعهما....

لكنها تركته لصدمته وهي تنسحب من أمامه في هدوء لتغلق باب غرفتها خلفها بالمفتاح كعادتها...



ظل واقفاً مكانه لفترة يتأمل الباب المغلق الذي اختفت خلفه هذه المرأة الغريبة...

رقية الهاشمي...

لغز أيامه القادمة...

الذي سيتعبه كثيراً حتي يفك طلاسمه كما يبدو!!!

=====

جلست مارية جواره يتناولان غداءهما في المشفي...

هتف حمزة بمرح:

_أنتِ تلميذة نجيبة لن تحتاجي سوي بضعة دروس أخري وبعدها ستكونين ماهرة...

هزت رأسها وهي تقول بيأس:

_أنت تقول هذا فقط لتشجعني...اللغة العربية صعبة جداً ...وأنا لا أجد حافزاً لتعلمها.



تنهد في خفوت ثم قال بجدية:

_إنها لغة وطنك ولغة القرآن...ألا تحبين أن تقرئي القرآن من المصحف مثلنا.

نظرت إليه طويلا دون أن ترد...

فغمغم في شرود:

_عندما ذهبت للعمرة العام الماضي...رأيت أناساً لا ينتمون للعرب يبكون وهم يمسكون المصحف يتمنون لو يجيدون القراءة فيه بالعربية....

رفعت حاجبيها بدهشة وهي تقول:

_هل ذهبت للعمرة؟!

مط شفتيه في استياء وهو يسألها:

_ألا تعرفين معني العمرة أيضا؟!

غمغمت في خجل:

_أعرفها طبعاً...

والدي أداها



مرتين من قبل ...

لكنني لم أتخيل أن تكون قد أديتها في عمرك هذا ...أبي لم يؤدها إلا بعدما تجاوز الخمسين وكذلك أصدقاؤه الذين رافقوه كانوا في نفس السن.

أطرق برأسه قليلاً ...

ثم رفعه إليها ليقول بهدوء:

_مارية ...هل تعلمين أنني أحب اسمك جداً منذ زمن بعيد...

ابتسمت في سعادة وهي تقول بفخر:

_حقا؟!

ابتسم لسعادتها الطفولية وهو يقول:

_نعم...إنه اسم السيدة مارية القبطية ...زوجة من زوجات النبي صلي الله عليه وسلم...هل كنتِ تعلمين هذا؟!



هزت رأسها نفياً في خجل وهي تقول:

_أنا لا أستخدمه هنا كثيراً...أصدقائي يدعونني ماري...وأنا لا أخفيك قولاً...لا أحب التعمق في الحديث حول ديني وجنسيتي...

هتف بضيق:

_لماذا يا مارية؟!

قالت بارتباك:

_العالم كله الآن يصم الإسلام بأنه دين الإرهاب والحوادث التي تحدث في كل مكان تؤكد ظنهم هذا...

تفحصها بنظراته طويلاً ثم هتف بجدية:

_وهذا هو دورك الحقيقي هنا .

رفعت حاجبيها بدهشة هاتفة:

_دوري أنا؟!



أومأ برأسه إيجاباً وهو يقول بحزم:

_نعم...دورك ودوري ودور كل مسلم يأتي هنا...أن يريهم قدوة حسنة ومثالاً جيداً للإسلام الذي لا يعرفوه...لا أن يتنصل من دينه وينجرف وراءهم دون تمييز!!!

أطرقت برأسها وهي تقول بحيرة:

_هذه هي المرة الأولي التي يحدثني فيها أحدهم بهذه الطريقة...حتي والدي لم يكن مهتماً بشئ من ثقافة الشرق سوي بنقطة واحدة ...أن أحتفظ بعذريتي حتي أتزوج...وكأن هذا هو كل ما يهم الشرقيين في نسائهم...هذه مشكلة من هم مثلي ...أنصاف العرب...أنا أشعر دوماً أني ممزقة ...غريبة بين الجميع...عندما أكون وسط أصدقائي هنا يقولون عني العربية الغريبة...وعندما يصطحبني أبي لزيارة أعمامي في مصر يدعونني الأجنبية الشقراء...



وأنا بين هاتين الثقافتين عالقة...لا أكاد أشعر بالانتماء لأي منهما...

تنهد قائلاً:

_لقد أخطأ دكتور آدم عندما تركك هكذا...من الطبيعي أن تكوني بكل هذا الشتات مادمتِ لم تعرفي جيداً قيمة ما تملكيه...

ثم أردف بقوة:

_أنت مسلمة مارية...مسلمة...اختار الله لك أعظم الديانات لتولدي بها فلماذا تزهدين فيها هكذا؟!

تفحصته طويلاً ثم قالت بإعجاب واضح:

_عندما أسمعك تتكلم هكذا أشعر بالحماسة والفخر...ليت كل المسلمين مثلك هكذا!!



ابتسم وهو يقول بثقة:

_لو استطعتِ أن تكوني مثلي بهذه الحماسة والفخر بدينك فستنجبين للعالم أطفالاً مثلك ...

قامت من مكانها وهي تهتف في حماس طفولي:

_حسناً يا دكتور حمزة....لقد أثرت حماسي....من اليوم سأجتهد في دروس العربية والقرآن...مارية آدم ستكون أفضل منك .

قالتها وهي تخرج له لسانها مغيظة إياه فضحك ضحكة طويلة ....

ثم قال بإعجاب:

_مارية ستكون أفضل فتاة في العالم أجمع!

====



انتظرها حتي أنهت صلاتها ثم اقترب منها ليجلس جوارها علي الأرض هامساً:

_تقبل الله!

همست بابتسامتها الحنون:

_منا ومنكم يا بدر.

ربت علي كفها وهو يقول بحنان:

_ما رأيك لو آخذك مع الصغير غداً للمدينة...أنت لم تذهبي للتسوق منذ زمن بعيد...والصغير مل البقاء هنا...

أومأت برأسها إيجاباً وهي تقول :

_هذه فرصة جيدة لنزور عمتي أيضاً...



أشاح بدر بوجهه عنها...

هو يكاد يعرف الغرض الحقيقي من زيارتها لعمتها...

لقد لمحت له بالأمر لكنه لم يجارِها فيما تفكر فيه...

سمية الحبيبة تريد تزويجه من ابنة عمتها نغم...

تظن أنه يمكن أن يفكر في امرأة أخري سواها هي...

هي التي اختارها قلبه منذ زمن بعيد لتكون له كل شئ...

لا...

لن يتزوج نغم ولا غيرها...

هو كفيل بنفسه وبابنه...

وحتي لو رحلت كما يزعمون...



لن يسمح لامرأة أخري أن تحتل مكانها عنده ...

سمية ستظل حبيبته الوحيدة...

تأملت شروده في قلق...

وهي تكاد تقسم بعلمها بما يدور في خاطره...

لكنها لن ترضي له أن يضيع عمره بعدها...

بدر لازال في ريعان شبابه...

وهو وحيد بلا عائلة ولا أصدقاء...

إنه يحتاج لإخوة لولده...

ولامرأة تعتني به وتمنحه الحب الذي سيفتقده بعدها...

ونغم ستكون زوجة مثالية له...

فهي جميلة وشابة وفوق كل هذا ...

هي ابنة عمتها...



من مثلها سيعتني بالصغير بعد وفاتها؟!!!!

أمسكت بكفه وهي تقول في رجاء:

_بدر...أنت لم ترفض لي طلباً منذ عرفتني.

نظر إليها بقوة وهو يهتف في حدة:

_إلا هذا يا سمية...إلا هذا!!

تأوهت في قوة وهي تهتف في ألم:

_أنت تظن أنك تسعدني بوفائك هذا؟! علي العكس ....أنت تزيد عذابي...أنا أموت في اليوم ألف مرة وأنا أتخيلك وطفلي تتعذبان بعدي...لا تزِدْ ألمي يا بدر....أرجوك.



أمسك كفها وهو يهتف بقوة:

_لا تحمليني ما لا أطيق يا سمية...أنا لن أحتمل أن تدخل حياتي امرأة غيرك أنت...أنت التي أحببتها منذ الصغر وكبرت أمام عيني لحظة بلحظة...قلبي وعقلي قبل جسدي لن يعترفا بغيرك في حياتي.

أطرقت برأسها...

فأردف في توسل:

_لماذا تستبقين الأحداث يا حبيبتي...لا تضيعي وقتنا في التفكير في أمور لم يأت وقتها بعد...دعينا نستمتع بأيامنا معاً...

تنهدت في حرارة...

فقام يقبل رأسها وهو يهمس في حب:

_لو تعلمين يا حبيبتي...أن لحظة واحدة معك تكافئ كل الكون...لا تحرميني ابتسامتك

يا سمية...

ابتسامتك التي عشقتها



منذ وعيت علي هذه الدنيا...

ابتسمت بسعادة وهي تشعر بكلماته تحيي رميم قلبها...

بدر الحبيب الذي لا تذكر يوماً في حياتها مر عليها دون أن تحبه...

وها هو ذا يثبت لها في كل يوم...

أن الحب ليس مجرد خيال في كتب العاشقين...

لكنه حقيقة واقعة...

حقيقة تحياها وتحيا بها كل دقيقة من عمرها معه...

عمرها القصير الذي يهدده المرض في كل يوم...

لكنها ستعيشه وتستمتع معه به حتي آخر لحظة!!!!

=====



هبطت جويرية درجات سلم منزل العائلة الكبير...والذي يتكون من عدة طوابق...

كل طابق به شقتان...

يحتل جدها إحدي شقتي الطابق الأول...وأبقي الثانية الخالية لحمزة الغائب حتي يعود....!!!!

أما الطابق الثاني...

فإحدي الشقتين لفريدة وبناتها....والمقابلة لراجية وولديها حذيفة وعمار...

والآن يشغل ياسين وعروسه رقية إحدي شقتي الطابق الثالث...

أولاد النجدي لا يخرجون من بيته...

ولا عن قانونه وأوامره...!!!!!

وقد قضي قاسم النجدي بكلمته منذ زمن بعيد...

آسيا لحمزة...

وجويرية لعمار...



وساري لحذيفة..

وحده ياسين الذي اختار له أن يتزوج من خارج العائلة...

لأنه كان يخطط منذ البداية لتزويجه من بنات إحدي العائلات ذات السلطة والنفوذ...

وحده ياسين من أحفاده الذي كان يصلح لهذه المهمة...

فهو الوحيد الذي أكمل تعليمه العالي وأنشأ لنفسه شركة صغيرة كبرها بمجهوده ومال عائلته ليصبح لها مكانها في السوق بعد سنوات قليلة....

بينما فشل كل من عمار وحذيفة في تعليمهما واكتفيا بالعمل في التجارة...

لذلك كان ياسين هو الوحيد من أحفاد النجدي الذي يلائم نسب عائلة الهاشمي ويليق برقية ربيبتهم!!!



نعم...بنات فريدة تفوقن جميعاً في دراستهن ...

جويرية تخرجت في كلية الآداب ...وبعد إلحاح طويل علي جدها فتح لها مشروعها الخاص الذي ربما لا يدر عليها ربحا كبيرا لكنه يضمن لها العيش وسط العالم الذي تحبه...

مكتبة لبيع الكتب في مدينتهم الصغيرة تقضي بها جويرية أغلب وقتها بعيداً عن سلطان آل النجدي...

وسط أبطالها علي الورق...

أما آسيا فقد تخرجت هذا العام فقط في كلية الطب ...

آسيا العزيزة الغائبة كانت ستتسلم عملها بعد شهر واحد فقط في مشفي مدينتهم العام...



وساري الصغيرة آخر العنقود...

لازالت تكمل دراستها في كلية الهندسة...

التي اختارتها بإصرار وتنتوي التفوق فيها....

فريدة الغالية نجحت في تربية بناتها علي خير وجه...

لكن فعلة آسيا الطائشة ستدمر تاريخها كله!!!!

غرقت جويرية في شرودها وهي تنزل الدرجات ببطء حزين...

وكل الأفكار السابقة تراودها ثم تراجعت كلها لتحتل رأسها فكرة واحدة...

آسيا!!!!

آسيا التي اختفت منذ



أيام ولا خبر عنها!!!!

قلبها يكاد ينفطر عليها وهي تتعجب كيف لم يعثر عليها أحد...!!!!

فريدة تكاد تموت قلقاً كلما مر يوم دون أن تعود...

تري....أين أنتِ يا آسيا؟!

قطعت أفكارها عندما شعرت بأحدهم يسحبها من ذراعها ليدخلها الشقة الخالية التي تخص حمزة ثم يغلق الباب خلفه بسرعة...

شهقت في عنف للمفاجأة عندما وجدت نفسها فجأة تستند للباب المغلق...

وأمامها يقف هو بملامحه التي تكرهها...

عمار!!!



كان صدرها يعلو ويهبط في انفعال لكنها هتفت في حدة:

_ما هذا الذي فعلته ؟! هل جننت؟!

ابتسم وهو يحاصرها بينه وبين الباب المغلق قائلاً بخشونته المعهودة:

_كيف حالك يا جوري...أنت ما عدتِ تزوريننا كالسابق...تضيعين وقتك كله في تلك المكتبة...

ازدردت ريقها في توتر وهي تدفعه بكفها هاتفة في صلابة مصطنعة:

_ابتعد يا عمار...لا يصح أن تقترب مني هكذا ولا أن تحتجزني في هذه الشقة الخالية...ماذا لو رآنا أحدهم؟!

أزاح كفها الذي تدفعه به عن صدره ليعاود الاقتراب منها وهو يقول بثقة:

_أنت في حكم زوجتي...



ابتعدت عن حصار جسده وهي تشعر بالخوف لكنها قالت بقوة:

_أنا لا أوافق علي هذا الزواج وأنت تعلم.

عقد حاجبيه بغضب وهو يهتف:

_كفاكِ دلالاً يابنة عمي!!!! كلمة قاسم النجدي لا ترد....أنت زوجتي برغبتك أو رغماً عنك.

هتفت بحدة:

_أي رجل أنت؟!!! تريد الزواج مني رغماً عني!!!!

جذبها من ذراعها بقوة فتأوهت وهي تهمس في توسل:

_دعني يا عمار...

ألصق ظهرها بالحائط وهو يمسك كتفيها هاتفاً في حدة:

_هل تريدين عصيان جدك كشقيقتك الهاربة التي جلبت لنا العار جميعاً؟!!



سالت دموعها علي وجنتيها في قهر وهي تشعر بهوان نفسها...

مجرد جارية أخري من جواري النجدي قرر قاسم منحها لحفيده هذا دون حتي أن يسألها عن رأيها....

هي جويرية النجدي التي كانت تسير بين زميلاتها وقريناتها في المدرسة والجامعة كالملكات بجمالها الهادئ وطلتها الفاخرة وثراء عائلتها الذي لا يخفي علي أحد...

ليست في حقيقة الأمر سوي جارية...

جارية في ثياب ملكية...!!!

لا يحق لها اختيار حياتها ولا زوجها...

قاسم النجدي هو الآمر الناهي هنا...

ولا أحد يملك حق الاعتراض!!!



تأمل دموعها التي كانت تحرق صدره وهو يقاوم أن يضمها لصدره...

يعرف أنها لا تحبه لكنه لن يتنازل عن أن تكون زوجته...

بل إنه يعتبرها بالفعل كذلك!!!

ألم يقل قاسم النجدي كلمته؟!!!

إذن فقد قضي الأمر!!!!

لكن ما يحرق قلبه حقاً هو إحساسه بالكره في نظراتها نحوه...

وهو الذي لم يعشق امرأة في حياته سواها...!!!!

منذ صغرهما وهي تكبر أمامه كالزهرة التي تتفتح في بطء...



حتي صارت لوحة رائعة تسرق الأنظار...

كان يخشي أن يقضي قاسم النجدي بتزويجها من ياسين فهو أكبر أحفاده وهي الكبيرة في أخواتها...

لكن القدر وقف معه...

عندما قرر قاسم أن يتزوج ياسين من خارج العائلة...

لتكون جويرية...نصيبه وقسمته...

وما أحلي هذا النصيب!!!

تأمل الرعب الناطق في نظراتها بأسف ثم مد أنامله يمسح دموعها هامساً بخشونة لا تليق بعاطفته نحوها:

_لا تنظري إلي برعب هكذا...أنتِ لا تنظرين إلي شبح!!



أغمضت عينيها بقوة وهي تود لو تخبره أنه فعلاً كذلك...

هو الشبح الذي يطارد أحلامها الوردية فيبعثرها جميعاً...

هو المارد الذي يخنق كل أمل لها في الحياة بعيداً عن سجن آل النجدي...

هو أقسي حقيقة تنتظرها ولا تعرف كيف يمكنها الفكاك منها!!!!

ظل يمسح دموعها بأنامله في رقة لا تليق بغلظة طباعه...

وكأنه استعذب ملمس خدها فقالت في رجاء خائف:

_لا تلمسني يا عمار...



قبض أنامله بقوة ثم ابتعد عنها وهو يقول بخشونة:

_سأبتعد عنك يا جوري...لكن ليس لوقت طويل...سأحدث جدي في الأمر لنتم زواجنا بمجرد ظهور شقيقتك ال...!!

لم يتم عبارته لكن معناها المهين وصلها...

أطرقت برأسها وهي تفكر...

كم كانت آسيا صادقة عندما قالت أن فريدة أنجبت ثلاث جوارٍ!!!

وبقدر ما كانت تتمني عودة آسيا لتطمئن عليها...

بقدر ما تكره أن تعود الآن...حتي لا يتم زواجها بهذا الرجل!!!

لن تحتمل العيش مع عمار هذا تحت سقف واحد...

إنه يخيفها...



منذ صغرهما وهو يحب إثارة ذعرها...

حتي كبرت وكبر الخوف منه داخلها...

وعندما علمت أن قاسم النجدي قرر منحها له كزوجة...

سقط قلبها بين قدميها...

لكنها لم تملك حق الاعتراض...

كل ما استطاعت فعله أن تتضرع إلي الله ألا تكون له ...

كيف يمكن أن تتزوجه...

وهي ترتجف رعباً عندما ينظر إليها...؟!!!

لازالت تتعجب من الفارق الشاسع بين ياسين وعمار...

رغم أنهما أخوان...



لكن الأمر يبدو وكأن الحياة قد وضعت الحنان كله في ياسين واختصت عمار وحده بكل الغلظة والخشونة....

وهي التي تمنت طوال عمرها رجلاً يحتويها بحنانه...

يعوضها يتم طفولتها وافتقادها لأبيها...

رجلاً يكون هو صديقها وأخاها وأباها قبل أن يكون زوجها...

رجلاً...هو أبعد ما يكون عن عمار الخشن الغليظ الذي يثير خوفها بمجرد النظر إليه!!!

راقب صمتها الحزين بأسف وهو يتمني لو تحمل له من المشاعر ولو ذرة واحدة مما يحمله نحوها...



هو يعرف أنه خشن الطباع لا يجيد فنون الهوي كغيره من الشباب...

لم تكن له أي علاقة مع أي امرأة...

ولا يجيد التلاعب بأحاديث العشق...

بل ...لا يجيد حتي التعبير عن مشاعره...

لكنه موقن أنها لو منحته الفرصة فستشعر بكل هذا الحب الذي ادخره لها وحدها طيلة هذه السنوات...

من المستحيل أن يحمل عشقاً جارفاً هكذا بقلبه ولا تشعر هي به !!!!

غداً...

عندما تتزوجه وتكون معه في بيته ...

ربما استطاع أن ينقل إليها ولو نذراً يسيراً من نداءات قلبه الصامتة!!!!



ابتعد عنها آسفاً وهو يقول بغلظة:

_هيا اذهبي لعملك...وأعدي نفسك للزواج عندما تظهر شقيقتك.

رمقته بنظرات مقهورة...

وهي تفتح الباب لتنزل الدرجات المتبقية من السلم...

ذاهبة إلي المكتبة التي تملكها وتقضي بها أغلب يومها...

لعلها تعيش في خيالها بين الكتب الحياة التي لم يمنحها لها واقعها التعس!!!

راقب انصرافها بقلب حزين...

وهو يتمني لو تتبدل نظراتها التي اعتادها هذه ...

لو يري في عينيها يوماً نظرة حب

فهل يأتي هذا اليوم؟!!!



أمسك بدر كفها وهما يتجولان في إحدي المولات بالمدينة الكبيرة المجاورة للمزرعة...

بينما أمسكت هي بكف الصغير ...

تلفتت عن يمينها لتنظر لبدر ثم عن يسارها لتبتسم للصغير...

ثم حمدت الله سراً...

إنها تشعر الآن وهي تمسكهما بكفيها وكأنها امتلكت العالم كله...

دمعت عيناها وهي تقول في نفسها سراً...

لو مِتّ الآن فسأكون راضية...

لقد منحني الله جنة صغيرة علي الأرض...

جنة هي بدر وطفله...

فما الذي بقي من هذه الدنيا لأرجوه بعد؟!!!!



نظر بدر إليها وهو يسألها باهتمام:

_هل تعبتِ من المشي؟!

هزت رأسها نفياً وهي تقول بسكينتها المعهودة:

_لا ...أبداً...الصغير سعيد للغاية بهذه النزهة...دعنا نذهب به للملاهي...

أومأ برأسه إيجاباً وانحني ليحمل الصغير لكنها هتفت برجاء:

_دعه في يدي...أحب أن أمسكه هكذا!

أغمض عينيه في ألم وهو يشعر بما في نفسها هذه اللحظة...

وكيف لا؟؟!!!!

وهي سمية توأم الروح وشقيقة القلب؟!!!



سمية التي تمسك طفلها الآن وكأنها تتشبث به خوفاً من أن يسرقها الموت في أي لحظة...

تتشبث به وكأنه كنزها الذي ادخرته طوال عمرها القصير وتخشي أن تفقده...!!!

تمالك مشاعره العاصفة وهو يسير معهما حتي وصلوا لمدينة الألعاب...

ركب بدر مع الصغير إحدي الألعاب وهو يلوح لها بكفه في مرح....

كانت سمية تراقبهما بمزيج من الفخر والفرح وهي تري السعادة الواضحة علي وجه صغيرها ...

ابتسمت في حنان...

وهي تستخرج هاتفها من حقيبتها...

لتأخذ لهما بعض الصور...

وعندما انتهيا

من اللعب...



طلب منها بدر أن يأخذ لهم عدداً من الصور الجماعية....

تغيرت ملامح وجهها وأغمضت عينيها بقوة وهي تهمس في اعتراض:

_لا يا بدر...لا أريد أن تلتقط لي صوراً معكما.

عقد حاجبيه في شدة وهو يسألها:

_لماذا يا سمية؟!

ابتسمت في شحوب وأشاحت بوجهها دون أن ترد...

ماذا يمكنها أن تقول له؟!!!

هي لا تريد أن يحتفظ منها بأي ذكري تنغص عليه حياته بعدها...

بل هي تتمني فعلاً لو يتمكن من نسيانها كي يمضي في حياته بعدها هو والصغير...



لا تريد له أن يدفن نفسه في أطلال ماضٍ لن يعود ليضيع عمره هباءً!!!!

بدر يعشقها!!!

هي تعلم أكثر من غيرها من تكون سمية بالنسبة إليه!!!

في ظروف غير هذه كانت ستكون أكثر النساء سعادة بحب كهذا!!!!

لكن في وضعها الحالي...

ستكون أنانية منها لو تدفنه معها حياً...

لو سمحت له بالسير خلف قلبه والعزوف عن الحياة بعدها!!!!



أمسك بكفها وهو يهتف في حزم:

_سنلتقط صوراً لنا معاً...ليست واحدة...بل عشرات....

امتلأت عيناها بالدموع وهي تهمس :

_لا تفعل...لا تعاند القدر يا بدر...ما أماتته الأيام لن تحييه الذكري!!!

وكأنه لم يستمع إليها...

تناول هاتفه ليلتقط لها وللصغير عشرات الصور...

ابتسمت رغماً عنها وهي تري عناده الذي طالما عشقته...

اتسعت ابتسامتها عندما منح هاتفه لأحد المارة وطلب منه أن يلتقط لهم صورة جماعية...

أقسم بداخله أن تظل تنير روحه للأبد...

سمية الغالية لن

تموت بداخله أبدا!!!!!



_انتحرت؟!

هتفت بها رقية في جزع وهي تضع كفها علي شفتيها ممسكة بهاتفها....

اندفع نحوها ياسين بسرعة وهو يسألها بلهفة تمتزج بالخوف:

_من هذه التي انتحرت؟! مع من تتحدثين يا رقية؟!!

التفتت نحوه بملامح مضطربة...

ثم ناولته الهاتف...

وهي ترمقه بنظرات مشفقة...

تناول منها الهاتف بأصابع مرتجفة....

وقلبه ينتفض برعب لم يعرفه طوال عمره...

هل من الممكن أن تكون هي؟!!!!!



وصله صوت السيد عاصم يهتف بجزع:

_رقية ....أين ذهبتِ يا بنتي؟!

خرج منه صوته بصعوبة يقول ببطء:

_أنا ياسين يا عمي.

صمت السيد عاصم للحظات ...

ثم استجمع شجاعته ليقول بنبرة مواسية:

_لله ما أعطي وما أخذ يا بني...لقد وصلت تحرياتنا إلي أن ابنة عمك كانت متواجدة قرب شاطئ البحر...حيث وجدنا حقيبة يدها وبها بعض أوراقها...استدعينا فريق البحث والانقاذ...لنجد ملابسها التي كانت ترتديها لكننا لم نعثر علي الجثة...



جثة؟!

جثة؟!

بمَ يهذي هذا الرجل؟!!!!!

آسيا...جثة؟!!!!

ترنح قليلاً في وقفته فأسندته رقية وهي تهتف في جزع:

_تماسك يا ياسين...

نظر إليها في دهشة للحظات...

ثم تحولت نظراته للتوسل وهو يهمس في ألم:

_هذا ليس حقيقياً...أليس كذلك؟!

نقلت بصرها بتوتر بينه وبين الهاتف...

ثم تناولته منه لتقول لوالدها في اقتضاب:

_سأحدثك

لاحقاً يا أبي.



أغلقت الاتصال بسرعة...

ثم سحبت ياسين- الذي كان يقف مصعوقاً -من كفه لتجلسه علي أحد الكراسي...

صبت له كوباً من الماء وهي تقول بخوف حقيقي:

_ياسين...اشرب هذا.

لم ينظر إليها بل ظل وجهه علي جموده الشارد...

فهتفت بقوة وهي تهزه من كتفيه وقلبها يكاد يتوقف قلقاً:

_ياسين...هذه ليست حقيقة بعد!

التفت نحوها بحدة أخيراً فقالت بسرعة:

_طالما لم يعثروا علي....

تلعثمت في نطق الكلمة قليلاً مشفقة من تأثيرها عليه ....ثم أردفت بخفوت:



_طالما لم يعثروا علي جثتها فهذا يعني أنه لا يزال هناك أمل أن تكون علي قيد الحياة.

عاد يشيح بوجهه عنها في شرود...

وهو لا يكاد يستوعب هذا الذي سمعه -لتوه-...

هل من الممكن أن تفعلها آسيا؟!!!

هل فعلتها لأنه خذلها؟!!!!

اتسعت عيناه في ارتياع...

أي جرحٍ تركه في قلبها كي تقدم علي الهرب وإنهاء حياتها بهذه الطريقة؟!!!!

لو كان يعلم أنها ستفعلها لكان وقف في وجه جده ورفض هذه الزيجة...

بل ربما كان قد هرب معها ليتزوجا بعيداً عن طغيان النجدي!!!



لو كان يعلم أن آسيا صغيرته الحبيبة ستقتل نفسها لقدم روحه فداءً لها!!!!

وضعت رقية كفها علي كتفه في تردد...

وهي تهمس في وجل:

_ياسين!

لم ينظر إليها...

لكنه وقف ليتجه نحو باب الشقة....

تبعته بسرعة وقلبها يرتعد خوفاً عليه...

صعد درجات السلم فتبعته في وجل مشفق مما ينتويه...

دون أن تجرؤ علي سؤاله....



حتي وصل لسطح المنزل...

فتح الباب ببطء لينطلق صريره المعتاد...

توجه نحو الجدار الذي حفر عليه نقشهما يوماً...

أول حرف من حروف اسمه بالانجليزية يلتف حول حرفها الأول ليحتويه وكأنه يحتضنه!!!!

تحسس النقش علي الجدار وقد امتلأت عيناه بالدموع التي أبت أن تغادرهما...

وقفت رقية مبهورة تراقب النقش الذي يتحسسه علي الجدار...

لاريب أنه يخصهما....هو و آسيا...

خفق قلبها بقوة وهي تشعر بمزيج هائل من المشاعر...



شفقة...

علي هذا الرجل الذي فقد معشوقته غدراً...

غيرة...

علي قلب رجل يفترض أنه زوجها ومع هذا تراه مدلهاً في حب سواها. .

ذنب...

لأن وجودها في هذه العائلة هو الذي تسبب في هذه المأساة...

خوف...

من مستقبلها المجهول في هذا البيت بعد ما حدث!!!!

وأخيراً...

عشق...

عشق جارف لم تعرف له سبباً وليس لها عليه سيطرة ...



عشق لهذا الرجل أمامها والذي لا يكاد يراها ولا يشعر بها...

وهي من هي!!!!

رقية الهاشمي...

من كانت تلقب بنجمة السماء التي تهفو إليها القلوب...

لكن قلبها الأحمق للأسف...لم يتعلق سوي بهذا الرجل!!!!

قطع أفكارها عندما التفت إليها فجأة من شروده...

وكأنه لاحظ وجودها الآن فقط!!!

ليقول بصوت متهدج:

_دعيني وحدي يا رقية...أرجوكِ!



ترددت قليلاً...

ثم حسمت أمرها وغادرته...

لتختبئ خلف باب السطح تراقبه دون أن يشعر خوفاً من أن يؤذي نفسه....

لم تمض لحظات حتي سمعت صوت نشيجه الباكي...

عضت علي شفتيها بقوة وهي تراه يخبط رأسه في الجدار عدة مرات...

كادت تذهب إليه لتمنعه من أن يؤذي نفسه...

لكن ساقيها تجمدتا...

تماماً كقلبها الذي فقد دقاته...

وهو يراقب مسلسل خسارته المستمر...

لكن بشفقة هذه المرة!!!



أغلق قاسم باب غرفته خلفه بعدما أعطي أوامره بألا يدخل عليه أحد...

توجه نحو الجدار الذي علقت عليه صور أولاده...

تأمل الصور كلها بتفحص جامد...

ثم تعلقت عيناه بصورة سعد.....

أطرق برأسه للحظات مستنداً علي عصاه...ثم أزاحها بعيداً...

سقطت عباءته من علي كتفه...

فأمسكها بيديه ثم وضعها علي صورة سعد...

حتي غطاها تماماً...

ثم همس في ألم لم يخلُ من شموخ النجدي المعتاد:

_لن أستطيع أن أنظر لصورتك بعد يا ولدي...لقد أضاع والدك أمانتك!



دمعت عيناه لأول مرة منذ سنوات طويلة....

بالتحديد...

منذ تلك المرة التي ودع فيها حمزة قبل سفره للندن...

أحفاده هم نقطة ضعفه الوحيدة...

يشهد الله أنه لم يرد لهم يوماً إلا الخير كما يراه...

هو يعرف أنه قد يقسو عليهم أحياناً...

لكنه يري ما لا يرونه...

هو يريد أن يضمن لهم الحماية من غدر الأيام...

العائلة هي الضمان الوحيد لأفرادها...

هي أمانهم وسندهم...

لن يسمح لحبات العقد أن تنفرط!!!!



إن كان سمح لياسين بالزواج من خارج العائلة ليستمد النفوذ والسلطة من عائلة الهاشمي....

لكنه لن يسمح بالمزيد من التشتت...

جويرية وساري لن تنالا مصير آسيا...

لن تسحبهما الدنيا بعيداً عنه...

ستبقيان في كنف العائلة محميتين بابني عمهما...

عمار وحذيفة....

ويجب أن يتم هذا في أقرب وقت...

حتي يطمئن علي ما تبقي من أمانة ولده سعد!!!!

جلس علي كرسيه في انهيار وهو يفكر ...

ما الذي دفع آسيا لتفعل فعلتها هذه؟!!!

ما الذي يدفعها للانتحار وإنهاء حياتها بهذه الطريقة ؟!!!



اتسعت عيناه في ارتياع...

وقد جاءه خاطر مزعج....!!!!!

هب من مقعده ليتوجه نحو باب الغرفة يفتحه بسرعة ليصرخ في غضب:

_أريد ياسين حالاً!!!!

لم تمض بضع دقائق حتي كان ياسين واقفاً بين يديه في انكسار....

تأمله قاسم طويلاً ثم قال في صرامة:

_أغلق الباب وتعال هنا.

أطاعه ياسين في صمت...

ليعود إليه صاغراً...



نظر إليه قاسم للحظة ثم هوي علي وجهه بصفعة مدوية....

ضم ياسين قبضته بقوة ثم أغلق عينيه في ألم....

عندما قال قاسم بصوت خفيض وهو يكز علي أسنانه:

_ما الذي حدث بينك وبين آسيا بالضبط حتي تلجأ للانتحار؟!

فتح ياسين عينيه ببطء وهو ينظر إليه في ارتياع....

لا يصدق ما يحاول جده التلميح إليه....

جذبه قاسم من ياقة قميصه وهو يسأله بقسوة:

_هل اعتديت علي عرض ابنة عمك؟!

هتف ياسين بسرعة:

_لا يا جدي...أقسم لك أنني لم أمسها يوماً ...



ثم أردف بخفوت:

_سوي تلك المرة ليلة الزفاف.

ضاقت عينا قاسم وهو يتأمله في تفحص...

ياسين لا يكذب...

لو كان يفعل لاكتشف ذلك بسهولة!!!!

إذن لماذا انتحرت تلك الفتاة؟!!!

ما الذي دفعها لهذا؟!!!!

حتي لو كان عاقبها علي فعلتها المشينة ليلة الزفاف بإقصائها عن العائلة لفترة...

لكن هذا لا يستوجب أن تلجأ لقتل نفسها...

يوجد سر في هذا الأمر!!! !



ظل صامتاً للحظات يتأمل ياسين في غضب مكتوم...

ثم قال بصرامة:

_عد لزوجتك...واذهب بها بعيداً عن هنا....سافر بها لأي مكان...هي لا ذنب لها في هذه المأساة التي حلت علينا.

هتف ياسين بجزع:

_لكن يا جدي ...أنا أريد البقاء جوار عمتي فريدة وبنتيها....كيف أتركهما في هذه الظروف؟!!!

وقف قاسم في شموخ مستنداً علي عصاه وهو يقول في حدة:

_عمتك فريدة لا تريد رؤية وجهك أصلاً...أنا لا أدري ما الذي كان يدور خلف ظهري لكنها تحملك المسئولية بشكل أو بآخر....اصنع لها معروفاً ولا تدعها تراك هذه الأيام....



قال ياسين بضراعة:

_صدقني يا جدي...أنا لم أؤذ آسيا يوماً...أنا...

قطع عبارته وقد اختنق حلقه بغصته...

لا يستطيع أن يكمل عبارته...

ماذا يمكنه أن يقول؟؟؟؟

آسيا هذه التي يتهمه أنه آذاها وأنه سبب موتها...

كانت أقرب إليه من روحه!!!!

كانت رفيقة قلبه وعمره...!!!!

كانت...

كانت...

أغمض عينيه بألم وهو،ينتبه أنه صار يتحدث عنها بصيغة الماضي...

آسيا صارت ماضياً...

وهي التي كانت

الحاضر والمستقبل!!!!!



فتح عمار باب تلك الغرفة الصغيرة المنزوية في مدخل المنزل...

تقدم ببطء وهو يميز جسدها وسط ظلام الغرفة تجلس علي الأرض رافعة ركبتيها إلي صدرها وتدفن وجهها بينهما....

تحتضن ركبتيها بذراعيها ويهتز جسدها بانتفاضة البكاء...

توقف مكانه لحظات يرقبها بعينين ملتاعتين....

ثم جلس جوارها مستنداً علي الحائط وهو يهمس بخشونته التي تعرفها:

_كنت أعرف أنني سأجدك هنا.



رفعت رأسها إليه لكن نظراتها خلت من الخوف هذه المرة....

لم يترك الحزن في عينيها مكاناً لمشاعر أخري!!!!

نظر إليها للحظات ثم قال بخفوت:

_عندما كنتُ أثير خوفك في صغرنا كنتِ تحتمين بهذه الغرفة...وعندما توفي والدك رأيتكِ تبكين هنا...لهذا كنت واثقاً أنك ستختبئين هنا...

عادت تدفن وجهها بين ذراعيها وهي تنشج في صمت...

رغم أنها لم تتصور عمار هذا يفهمها هكذا لكنه محق!!!

هذه الغرفة هي التي تلجأ إليها عندما تريد الاختباء عن عيون الناس لتختلي بأحزانها...

وكم تتوق لهذا الآن.



تتمني لو تكون بشجاعة آسيا فتهرب من هذا الجحيم...

تتمني لو تعيش بعيداً عن رقّ آل النجدي الذي فرض عليها فرضاً...

تتمني لو تملك القدرة علي الاختيار والحب والحياة...

ولا تموت ذليلة معذبة كآسيا!!!!

عادت تتذكر آسيا فازداد نحيبها وهي تشعر بالقهر...

أي ظلم هذا الذي يدفع فتاة في عمر الزهور كآسيا لتلقي حتفها بهذه الصورة...؟!!!!

يقولون أنها انتحرت...

لكنها تعرف أن

آسيا لا تفعلها...



لكن ربما آذاها أحدهم وتعرض لها ثم ألقاها في الماء ليخفي جريمته....

عقدت حاجبيها بشدة عندما راودها هذا الخاطر المزعج...

وشعرت بسيف من النار يخترق قلبها....

أخذ صدرها يعلو ويهبط في انفعال وهي تتخيل أسوأ ما يمكن أن تكون قد تعرضت له آسيا الحبيبة....

رفعت رأسها بسرعة وهي تقول بانهيار:

_افتح النافذة بسرعة يا عمار...لا أستطيع التنفس.

نظر إليها لحظة بقلق...

ثم هب بسرعة ليفتح النافذة....

عاد يجلس جوارها وهو يترقبها بتفحص...

كان صدرها ينتفض...



بل جسدها كله وكأنها فعلاً عاجزة عن التنفس!!!!

أمسك بكتفيها يرفعها لتقف وهو يقول بقلق:

_اهدئي يا جوري ...

تأملت ملامحه في شرود وقد عادت إليها صورة آسيا وهي تقول لفريدة:

_لقد ربيتِ ثلاث جوارٍ...

نعم...

هن جوارٍ لدي قاسم النجدي ...

يمنحهن لمن يشاء!!!

لقد أفلتت الجارية الأولي من قبضته...

لكن الدور قادم إليها...

وإلي ساري الجارية الثالثة!!!



عمار المخيف سيكون زوجها الذي ستتجب منه جوارٍ مثلها...

هذا قدر كل فتيات النجدي!!!!

هز كتفيها بقوة وقد بدأ يشعر بالرعب من نظراتها المتجمدة وأنفاسها المتلاحقة...

ثم هتف بقوة:

_جوري...انظري إلي...

هزت رأسها نفياً وهي ترفض النظر إليه....

وصورة آسيا تحتل رأسها ...

ثم صورته وهو يقول :

_كلمة قاسم النجدي لا ترد...أنتِ زوجتي برغبتك أو رغماً عنكِ!!!



دارت بها الأرض وهي تشعر بنفسها كالريشة في مهب الهواء....

لتسقط فجأة بين ذراعيه...

فاقدة للوعي...

====



الفصل الرابع:

فتحت راجية باب شقتها ثم شهقت بارتياع وهي تري عمار يحمل جويرية الفاقدة لوعيها..... فهتفت

_ماذا حدث يا عمار؟!

هتف عمار بخشونته المعتادة:

_أخفضي صوتك يا أمي.

تنحت راجية عن طريقه فسار بها إلي غرفته ليضعها علي سريره برفق...

لحقته راجية بسرعة وهي تقول بقلق:

_أخبرني يا بني ما الموضوع؟!!!

جلس عمار علي طرف فراشه وهو يقول بتوتر:

_لقد وجدتها فاقدة للوعي في غرفة المدخل الصغيرة...



لقد استدعيت لها طبيباً لكنني لا أريد أن تراها العمة فريدة...إنها تكاد تموت حزناً علي آسيا ولا تنقصها صدمة جديدة...دعيها هنا حتي يأتي الطبيب ونطمئن عليها...

أومأت راجية برأسها في تفهم وهي تقول:

_عين العقل يابني...فريدة لن تحتمل رؤيتها هكذا...

قالتها وهي تتقدم نحو جويرية التي كان وجهها شاحباً كالموتي...

سالت الدموع من عينيها غزيرة وهي تهتف:

_حبيبتي يا بنتي!!



ابتلع عمار غصته وهو يقاوم فيض مشاعره...

إلي الآن هو لم يتمالك رعبه منذ رآها تسقط فاقدة للوعي بين ذراعيه...

لم يصدق أنه يحبها إلي هذه الدرجة إلا عندما وجد نفسه لحظتها يتمني لو يفتدي حزنها بعمره كله...

ربما تعانده طبيعته الجافة...

وقلة خبرته مع النساء...

وخشونة ألفاظه التي لا يقصدها...

لكنه يتمني لو تشعر يوماً بما في قلبه نحوها!!!

قطعت راجية أفكاره وهي تهتف في لهفة:

_لن أنتظر الطبيب سأحضر لها كوب ماء بالسكر...



تركته مسرعة ذاهبة للمطبخ فيما تأمل هو ملامحها الشاحبة بقلق يمتزج بالترقب...

ثم تلفت حوله في دهشة...

لا يصدق أن جوري...حبيبة قلبه التي طالما كانت ملكة أحلامه هنا معه في غرفته علي سريره...

حتي لو رحلت بعدما تفيق...

سيظل عطرها عالقاً علي وسادته يحمل له بعضاً منها...!!!!

أخذ نفساً عميقاً وهو يقول لنفسه...

الصبر يا عمار ...

الصبر...

سنضطر للانتظار لكثير من الوقت حتي تفيق العائلة كلها من صدمة آسيا...

بعدها ستكون جوري لي...

طوال العمر!!!!



زفر بقوة وهو،يتذكر آسيا...

رغم ما يعلنه دوماً عن حنقه علي تلك الطائشة...

لكنه في نفسه حزن كثيراً لموتها بهذه الطريقة...!!!

لازال لا يصدق أنه لن يراها بعد الآن...

لقد تربت معه وكبرت أمامه يوماً بعد يوم...

حتي لو كانت أخطأت بفعلتها المشينة ليلة زفاف ياسين..

ورغم أنه كان حانقاً عليها بشدة خاصة بعد هروبها...

لكنه يتمزق وهو عاجز عن تخيل العذاب الذي واجهته قبل أن تلقي هذه الميتة البشعة...

كان الله في عون العمة فريدة وبنتيها...!!!



عاد ينظر لجويرية المغشي عليها بشفقة حانية...

مد أنامله برفق ليتحسس وجنتها التي لازال يذكر ملمسها...

لكنه تذكر همسها الراجي يومها...

_لا تلمسني يا عمار!!

قبض أنامله بقوة وابتعد بها عنها وهو يهمس في نفسه...

ليس بعد يا عمار...

ليس بعد...!!

دخلت راجية بالكوب في يدها عندما رن جرس الباب فانتفضت بهلع ...

قام عمار يهتف بسرعة:

_لا تخافي ...

لعله الطبيب...



توجه عمار يفتح الباب بسرعة...

ليطالعه وجه الطبيب الشاب المبتسم:

_مرحباً...أنا دكتور زياد...أين المريضة؟!

====

استيقظت من نومها وابتسامة سعيدة تشق طريقها إلي شفتيها...

لقد كانت تحلم به...

حمزة ...!!

الرجل الغريب الذي دخل حياتها فجأة ليقلبها لها رأساً علي عقب...

غريب؟!!!

لا لا...

إنها لا تشعر به غريباً علي الإطلاق...

علي العكس...



هي تشعر وكأنها تعرفه منذ سنوات طويلة...

ضحكته الصافية تشعر نحوها بالألفة وكأنها تحتضن جفاف روحها لتمنحها السكينة بسخاء!!!

رغم ما يبدو،بينهما من اختلافات في الفكر...

ورغم البون الشاسع بين عالميهما...

لكنها تشعر بشئ يجذبها نحو عالمه...

لعلها الرغبة في المغامرة...؟!!!

حب الاستكشاف؟!!!

لا تدري...

لكنها تحب وجوده وصحبته والاستماع لأوامره الحنون التي يلقيها عليها بمرح فتجد نفسها منصاعة له كالمسحورة!!!!

هبت من فراشها وهي تتوجه نحو مرآتها تتأمل ملامحها الجميلة بلهفة...

وهي تتساءل...



تري ...هل أعجبه؟!!!

هزت رأسها في مرح وهي تندفع نحو خزانة ملابسها تتأمل محتوياتها...

تري ...أي هذه الثياب يفضلها حمزة؟!!!!

وبعد ساعة كانت معه في المشفي لكنه كان منشغلاً عنها بالقراءة في إحدي الكتب...

نادته بتردد:

_حمزة؟!

التفت إليها بابتسامته المميزة وهو يقول:

_نعم يا مارية...هل تريدين شيئاً؟!

أطرقت برأسها وهي تقول بتردد:



_الليلة عيد ميلاد آندي صديقي...

ما رأيك لو تصطحبني؟!

تمالك ضيقه الذي يعرف أسبابه...

واتسعت ابتسامته وهو يقول ببرود مصطنع:

_عفواً عزيزتي...لن أستطيع.

همست بتوسل:

_لماذا يا حمزة؟! أنا أريدك أن تتعرف علي جميع أصدقائي.

قبض كفه بقوة وهو يقول بنفس البرود:

_لا أحب هذه الحفلات يا عزيزتي...

دمعت عيناها رغماً عنها وهي تهمس في حزن مس قلبه:

_لا تحب التواجد معي؟!!



نقر بأصابعه علي سطح المكتب في شرود...

مارية العزيزة لا تفهمه...

هو يحاول جاهداً تقليص الفجوة بين عالميهما دون أن يضطر لتقديم أية تنازلات...

مارية آدم هي التحدي الذي أصر علي النجاح فيه منذ رآها أول مرة ليخفق لها قلبه بعنف...

هو لا يستطيع الجزم بأنه يحبها...

لكنه يعشق تفاصيلها...

براءتها الطفولية...

وروحها الرائقة الشفافة...

ونظرات عينيها المنبهرة به دوماً وكأنها طفل يتعلق بذراعه ليستكشف بوجل عالماً جديداً كان غافلاً عنه!!!



لكنه يخشي عاقبة ذلك...

هو لن يستطيع إدخالها إلي عالمه بصورتها الحالية...

هو حمزة حبيب النجدي...

حفيد قاسم النجدي...

لم يُنسه العيش في لندن طيلة هذه السنوات أصوله الصعيدية...

ابتسم رغماً عنه وهو يتذكر ردة فعل جده قاسم النجدي لو دخل عليه بمارية وعرفها له علي أنها زوجته!!!!

ربما أطلق عليهما النار معاً وقتها!!!!



زفر بخفوت وهو يتذكر أن جده يخطط لتزويجه بآسيا...

آسيا الفاتنة الصغيرة التي لا يذكر عنها سوي ملامحها الطفولية عندما رآها آخر مرة...

لقد كان مستعداً لإتمام هذه الزيجة ...

حتي يرضي جده قبل أي شئ...

خاصة وآسيا العزيزة لا يرفض الزواج منها رجل عاقل...

هي ستكون طبيبة مثله...فاتنة ...مهذبة...وفوق كل هذا هي ابنة عمه وتربية العمة فريدة الرائعة!!!

لكن ظهور مارية في حياته قلب له كل الموازين...

مارية التي ترقبه الآن كطفلة غاضبة بائسة!!!!!



وأمامه كانت مارية تتأمل شروده بقلق غاضب...

لماذا يرفض حضور الحفل معها؟!!!

هل يكره التواجد معها إلي هذه الدرجة؟!!!

أم أنه يخفي عنها شيئاً؟!!!

انتبهت في هذه اللحظة أنها لا تعرف شيئاً عن حمزة حبيب!!!!

لم ترَ له عائلة هنا ولا أصدقاء...

هو يحب العزلة دوماً ولا أحد يعرف عنه أي شئ!!!

لكنها هي ستعرف...

لابد أن تزيح الستار عن غموضه هذا حتي تفهمه جيداً!!!!



وقفت لتقول له بكبرياء طفولي:

_يبدو أنني أعطلك عن عملك ....أراك لاحقاً!!!

لم تمنحه فرصة للرد وهي تندفع مغادرة الغرفة بسرعة...

فابتسم في حنان وهو يهمس :

_مارية الغالية...آه لو تفهمين!!!!

====

جلست ساري في مكتبة الكلية واضعة رأسها بين كفيها تخفي دموعها...

لم تستطع البقاء في المنزل ليوم آخر...

حادثة آسيا قصمت ظهور الجميع...

فريدة تكاد تموت حزناً ...



وجويرية تقضي وقتها في غرفة المدخل المنزوية تجتر حزنها وحيدة بعيدة عن الجميع...

وياسين يتحرك بينهم كالموتي ذابلاً شاحباً...

وكأن عمره تضاعف فجأة في هذه الأيام...!!!

حتي قاسم النجدي نفسه بجبروته وقوته يبدو الحزن مختلطاً بتجاعيد وجهه التي تشعر أنها زادت كثيراً منذ سمع الخبر....

لكنها وبرغم حزنها الشديد علي آسيا لا تصدق أنها فعلتها...

خاصة أنهم لم يعثروا علي جثتها...

صوت بداخلها يخبرها أنها لازالت علي قيد الحياة...

من يدري؟!!!



ربما جعلت الأمر يبدو كانتحار كي تستطيع الهرب من جبروت النجدي للأبد...!!!!

لا تدري لماذا ارتاحت نفسها لهذا الخاطر وصدقته حد اليقين...

ربما لأن الاحتمال الآخر يقتلها ببطء...

لازالت تذكر حضنهن الجماعي الذي حظين به قبل أن تسافر آسيا في تلك الرحلة المشئومة...

لازالت تذكر قولها لآسيا أنها ستعود بينهن من جديد لكنها ستعود أخري قوية تحدد مصيرها بنفسها...

ولا تريد تصديق عكس ذلك...



لا تقولوا أن آسيا استسلمت لمصير الجواري وأنهت حياتها يائسة بهذا الشكل!!!!

لا تقولوا أن طغيان قاسم النجدي ذبح الحياة في قلب آسيا النابض !!!

لا تقولوا أن آسيا رحلت ككل شئ جميل في هذه الحياة ...

أم أنها -آسيا-كانت أجمل من أن تبقي في عالم قبيح كهذا؟!!!

تنهدت في حرارة وهي تتذكر قسمة النجدي لهن ...

آسيا لحمزة...

وجويرية لعمار...

وهي لحذيفة!!!



هي الوحيدة وسط أخواتها التي لم تعترض علي هذه القسمة...!!!

هي الوحيدة التي أرضتها منحتها لحذيفة...

نعم...

هي تحبه!!!

جنون؟!!!!

نعم...لا توجد امرأة عاقلة يمكنها الاطمئنان لحذيفة...

حذيفة العابث الذي تتحدث المدينة كلها عن علاقاته العاطفية ومغامراته مع النساء!!!

حذيفة الذي فشل في دراسته ولولا عمله في تجارة جده مع عمار لكان الآن عاطلاً في الشوارع...

حذيفة الذي يرمقها دوماً بنظرات الاستهجان وكأنه يستكثر نفسه عليها....!!



ورغم كل هذا تحبه...

تشعر نحوه بشعور الأم نحو طفلها المشاكس الذي يضايق الجميع بشقاوته لكنها تراه أروع طفل في العالم...

نعم....

حذيفة يستفز أمومتها الكامنة ...

تشعر أن بداخله روحاً طيبة لكنه يفتقر فقط لمن يرشده للطريق الصحيح...

وهي تظن نفسها قادرة علي ذلك....

فقط ...لو يمنحها الفرصة!!!!!!

هي تعرف قدر نفسها جيداً...

فهي أقل أخواتها جمالاً...



وبدلاً من أن يدفعها هذا للاهتمام بمظهرها كي تبدو أفضل دفعتها طبيعتها العنيدة للظهور دوماً بمظهر "المسترجلة" ونأت بنفسها عن أي مظهر للأنوثة في مظهرها...

بل إنها لا تبالغ لو قالت أنه لولا حجاب رأسها لبدت في ثيابها كالصبيان...!!!!

ببنطالها المصنوع من الجينز...وقميصها الطويل فوقه!!!

هذا هو طرازها الذي حافظت عليه ولم تغيره...!!!

صحيح أنها فكرت في تغييره يوماً ربما تلفت نظر حذيفة إليها...

لكنها تراجعت...

من ناحية ...كرامتها تمنعها من لفت انتباهه بهذه الطريقة الرخيصة...!



ومن ناحية أخري هي لا تريد الدخول في هذه المعركة الخاسرة ...

ساري "المسترجلة" ستخسر المقارنة حتماً مع أي من فتيات حذيفة اللاتي يحُمن حوله...

فلماذا ترهق نفسها في هذه الحرب التي تعرف نتيجتها مسبقاً؟!!!!!

رفعت وجهها أخيراً وهي تنتبه أنه حتي لم يواسِها بعد مصيبة آسيا ولو بكلمة...

وكأنه عازف حتي عن الحديث إليها...

لكنها تعرف أنه سيرضخ لرغبة قاسم النجدي في النهاية...

سيتزوجها راغماً...

لا تدري إن كان من المفترض أن يحزنها هذا أم يسعدها...



لكنها ستتقبل مصيرها راغمة!!!

ستترك الأيام تدير لها دفة حياتها دون تدخل منها...

من يدري؟!!!!

ربما كان هذا هو الأفضل...

هاهي ذي آسيا اعترضت...

وخرجت عن سيطرة النجدي في سابقة تعد الأولي في هذه العائلة...

فما الذي جنته؟!!!!

تذكرت آسيا فعادت دموعها تنهمر من جديدفي حزن واضح...

عندما سمعت صوته خلفه...

_كيف حالك يا ساري؟!



التفتت بحدة لتجده بلال ...

بلال الهاشمي شقيق رقية والذي هو زميلها في نفس الكلية...

وفي نفس العام أيضاً!

جلس جوارها وهو يقول في إشفاق:

_البقاء لله...رحم الله شقيقتك !

مسحت دموعها في إباء وهي تقول في هدوء:

_شكراً يا بلال...

تأملها طويلاً في مودة حقيقية...

ساري النجدي فتاة مختلفة عن بقية الفتيات هنا في الجامعة...



رغم أنها تبدو "مسترجلة" لكنه يعرف أن بداخلها أنثي حقيقة...

أنثي تمتلئ حناناً وعاطفة لكنها تخفي ذلك خلف مظهرها الرجولي الواثق هذا!!!

هو يعرف عن أنشطتها الخيرية الكثيرة لمساعدة الفقراء والمحتاجين...

والتي تبذل فيها وقتها وجهدها ومالها أيضاً دون بخل...

فتاة كهذه جوهرة نادرة في هذا الزمان...

حيث لم تعد الفتيات منشغلات سوي بالموضة والثياب وقصص الحب الهابطة!!!!

سألها في اهتمام:



_كيف حال والدتك؟! لاريب أنها منهارة...كوني قوية من أجلها يا ساري ...هي تحتاج إلي قوتك الآن.

ابتسمت في شحوب وهي تفكر...

كم تمنت سماع هذه الكلمات من حذيفة...

كم تمنت لو يحدثها بهذا الاهتمام وهذه النظرة المقيمة لقوتها...

كم تمنت لو يواسيها ولو بجملة مجاملة...!!!!

بينما ابتسم بلال لابتسامتها التي أنارت وجهها رغم شحوبها...



وهو يقول في إعجاب واضح:

_السيدة فريدة أحسنت تربية بناتها.

احمرت وجنتاها وهي تقول بحرج:

_رقية أختك رائعة أيضاً...أنا أحبها كثيراً...

اتسعت ابتسامته وهو،يقوم من مكانه ليقول بهدوء:

_لن أطيل الجلوس معك حتي لا أضايقك...أنا أردت فقط أن..... أطمئن عليك.

قال عبارته الأخيرة بعاطفة اخترقت قلبها كشعاع نور...

راقبت خطواته المنصرفة بحسرة واضحة...

لماذا لم تحدثني يوماً بهذه الطريقة يا حذيفة؟!

لماذا لم ترمقني بهذه النظرة الحنون؟!



لماذا تكون المرة الأولي التي يخفق فيها قلبي لثناء رجل لا تخصك أنت؟!!!

أنت الذي لم أتمنَ يوماً رجلاً سواه!!!!

ابتلعت تساؤلاتها المريرة وهي تقوم من مكانها لتغادر مكتبة الكلية...

عائدة لمنزلها...

وهي تتمني في كل خطوة تخطوها أن يتغير وضعها البائس هذا...

وأن تكتب الأيام لفريدة وبناتها ما يستحققنه من السعادة!!!

====



سمعت طرقات خافتة علي باب غرفتها فتجاهلتها ...

لاشئ يستحق الاهتمام الآن...

لقد رحلت آسيا...

قطعة من روحها تركتها ولن تعود...

شعرت بألم حقيقي في قلبها فوضعت يدها علي صدرها...

عادت الطرقات علي الباب اكثر قوة...

فتحاملت علي نفسها لتقف وتتوجه نحو الباب ...

فتحت الباب....

ليطالعها وجه ياسين...!!!!

ظهرت القسوة في عينيها للحظات...

هي تحمله مسئولية ما حدث بشكل أو بآخر...



لو لم تحبه آسيا بكل هذا الجنون لما أنهت حياتها بهذه الصورة...

لو لم يجبن عن مواجهة جده بحبهما ربما كانت ستكون هناك فرصة لهما معاً...!!!

استغفرت الله سراً...

وقد عاد إليها إدراكها...

ياسين لم يكن يملك من الأمر شيئاً...

لماذا تلومه علي جبنه وهي مثله...

كلهم مثله..

لا أحد يجرؤ علي الوقوف في وجه قاسم النجدي!!!!



تحولت نظرات فريدة تدريجيا من القسوة إلي الحزن...

وهي تتمعن في ملامحه الآسفة الحنون...

ثم أطرقت برأسها وهي تهمس في حزن مزق قلبه:

_لقد رحلت آسيا يا ياسين.

أخذ ياسين نفساً عميقاً وهو يرفع رأسه لأعلي يكتم دموعه التي لو سمح لها بالنزول فلن تتوقف أبداً...

آسيا الحبيبة لا تكفيها كل دموع الكون رثاءً!!!

آسيا التي أحبته حتي الموت دون أي مبالغة!!!

آسيا التي أخذت برحيلها جزءاً من روحه معها وأبداً أبداً لن يعود!!!!



تنحت له فريدة لتفسح له الطريق هامسة بانكسار :

_ادخل يا بني...

دخل ياسين غرفتها بوجل...

لتدخل هي وراءه...

جلس علي أحد الكراسي وهو يقول بأسف:

_جدي يقول أنك تحملينني مسئولية رحيل آسيا.

تنهدت في حرارة وهي تجلس قبالته هامسة في حزن:

_قدر الله وما شاء فعل...

دمعت عيناه وهو يهمس بحرارة:

_أنتِ تعلمين جيداً يا عمتي مكانة آسيا عندي...يعلم الله كم يحترق قلبي لفراقها...



سالت دموعها علي خديها وهي تهمس:

_أعلم يا بني...أعلم...هي أيضاً أحبتك من كل قلبها...لهذا فعلت ما فعلته!!

هتف بألم واضح:

_لم يكن ذنبي يا عمتي...لم أستطع الوقوف في وجه جدي!

ربتت علي كفه في حنان وهي تقول:

_أعلم يا بني...ليس منا من يستطيع الوقوف أمام كلمة النجدي...سامحني لو كنت قسوت عليك في البداية...لكن صدمتي في رحيلها كانت....

قطعت عبارتها عندما غلبتها دموعها التي انهمرت في جنون...

وهي لا تصدق أنها تتحدث بهذه البساطة عن وفاة بنت من بناتها...!!



آسيا بالذات كانت قطعة من روحها...

ربما كان قلبها يشعر أنها ستُحرم منها قريباً لهذا كانت تخاف عليها دوماً...

طالما لقبتها بقطعة الكريستال...

هشة سهلة الكسر لكن بريقها يخطف الأبصار...

آسيا بالذات وسط شقيقتيها كانت شديدة الضعف...

حبها لياسين كان كل حياتها...

وعندما فقدته...

لم تعد تري لحياتها أي داعٍ!!!

انتفض جسدها بدموعها فقام ياسين من مكانه ليجثو علي ركبتيه أمامها هامساً بتوسل:

_أرجوكِ يا عمتي تماسكي...من أجل جوري وساري...أرجوك لا تحملي لي أي ضغينة...أقسم لكِ أن جرحنا واحد...



ربتت علي رأسه وهي تكرر عبارته بشرود حزين:

_نعم يا بني...جرحنا واحد!!

====

أفاقت جويرية من إغماءتها أخيراً...

فتحت عينيها ببطء ليطالعها وجهه الوسيم الباسم...

ظلت تتأمله للحظات وكأنها تحلم...

من هذا الوسيم الذي يتأملني بحنان؟!!!

هكذا خاطبت نفسها وهي تتفرس في ملامح زياد....

فيما لاحظ عمار نظراتها فهتف مخاطباً زياد بخشونة:

_حسناً...لقد أفاقت ...يمكنك الآن الانصراف...

لكزته راجية في جنبه وهي تقول لزياد بحرج:

_لا تؤاخذه يابني...ابنة عمه متوفاة حديثاً...وكلنا نمر بضغوط شديدة...

هتف زياد بتسامح:



_أعرف يا سيدتي...المدينة كلها تتحدث عن فقيدة آل النجدي العزيزة...أنا أقدر حزنكم...وتقبلي خالص تعازيّ في فقيدتكم.

هزت راجية رأسها في تفهم...

عندما تأوهت جويرية بضعف وهي تهمس:

_ماذا حدث لي؟!

ابتسم زياد بحنان وهو يقول:

_أنا الذي ينبغي أن يسألك هذا السؤال.

فتحت فمها لتجيبه عندما اندفع عمار يقول بنزق:

_لقد كانت تبكي في انهيار ثم اشتكت من عدم قدرتها علي التنفس لتسقط بعدها فاقدة لوعيها....هذا كل ما حدث!



أشاحت جويرية بوجهها في ضيق وهي تنتبه الآن فقط أنها في غرفته...

هذا يعني أنه هو من حملها إلي هنا...

هذا البغيض حمل جسدها بين ذراعيه إلي غرفته بل ووضعها في فراشه!!!!

إنه يتصرف حقاً وكأنها زوجته!!!

كم أكرهك يا عمار!!!

كم أكرهك!!!

هكذا حدثت نفسها وهي تراقب زياد الذي فتح حقيبته ليخرج منها جهاز الضغط ...

تناول ذراعها ببساطة ليكشف كم ثوبها حتي يستطيع قياس الضغط...

فهتف عمار في حدة:

_أنت يا هذا!!!!

ماهذا الذي تفعله؟!



نقل زياد بصره بحذر بين الجميع...

المريضة الحسناء تبدو حزينة وهذا طبيعي فالفقيدة شقيقتها كما استنتج...

وهذا الرجل الخشن عصبي المزاج يبدو وكأنه ضائق بوجوده هنا...

لكن المرأة تبدو غير راضية عن تصرفات ابنها...

صدق ظنه عندما هتفت راجية بضيق:

_اصمت يا عمار ودع الطبيب يكمل عمله...وإلا ارحل من هنا.

كز عمار علي أسنانه ...

وهو يرمق زياد بنظرات مشتعلة...

تجاهلها زياد تماماً وهو يضع السماعة علي أذنيه...

ليقيس لها الضغط...



شعرت جويرية بالخجل واحمرت وجنتاها وهي تختلس النظرات إليه...

لا تدري لماذا شعرت نحوه بالألفة والسكينة...

شعرت أنه رجل لطيف....

هل هذا غريب؟!

لا....!!

ففي وجود عمار ...أي رجل سيبدو لطيفاً ودوداً حنوناً!!!!!

انتهي من قياس ضغطها فنزع السماعة من علي أذنيه وهو يقول بلهجة عملية:

_الضغط منخفض للغاية..سأكتب لها دواءً مناسباً...



كتب لها الدواء علي ورقة فتناولها منه عمار بغلظة وهو يقول وكأنه يطرده:

_لقد أتعبناك معنا!

لكزته راجية في

جنبه من جديد...

فيما همست جويرية بامتنان:

_شكرا...يا دكتور...

ابتسم لها زياد في حنان وهو،يقول:

_زياد...زياد حسان..

اشتعلت نظرات عمار في هذه اللحظة وهو يلعن صديقه الذي نصحه بهذا الطبيب!!!!

هل خلت المدينة من الأطباء حتي لا يجد صديقه سوي هذا الرجل المتأنق اللزج الذي يبدو وكأنه خرج لتوه من غلاف مجلة؟؟!!!



نهض زياد ليقول بهدوء:

_سأعاود زيارتها غداً للاطمئنان عليها.

هتف عمار بجفاف:

_لا داعي لذلك....ستكون بخير.

أطرق زياد برأسه في حرج...

وهو يخرج من الغرفة...

تبعه عمار ليوصله إلي باب الشقة...

عندما احتضنت راجية جويرية وهي تقول بحنان:

_حمداً لله علي سلامتك يا حبيبتي.

عاد عمار بعاصفته الغاضبة إليهما بعد رحيل زياد
وهو يهتف مخاطباً جويرية :



_ما هذه الطريقة المائعة التي كنت تخاطبين بها الطبيب؟!

هتفت جويرية بحنق:

_عن أي ميوعة تتحدث؟!!!! هل كلمته أصلا؟!!!

عاد يهتف بغضب:

_لو كنتِ أزدتِ كلامك معه كلمة واحدة لكنت قطعت لك لسانك!

عقدت حاجبيها في غضب وهي تصرخ:

_كيف تسمح لنفسك أن تحدثني هكذا؟! بل كيف سمحت لنفسك أصلاً أن تحملني إلي غرفتك ؟! وعلي سريرك؟!!!! هل صدقت أنني أصبحت حقاً زوجتك؟!!!!

اقترب منها وهو يهتف بحدة:



_لقد كنتِ فاقدة الوعي يا حمقاء!!!! هل كنت أتركك حتي تموتي أو تأكلك الفئران في تلك الحجرة الحقيرة؟!!!

زاد غضبها وهي تهتف وقد فقدت السيطرة علي انفعالها:

_الموت أهون ألف مرة من رؤيتك يا عمار....أنا أكرهك...وأكره اليوم الذي ولدتني فيه أمي ليختارني القدر زوجة لك!

شهقت راجية في استنكار وهي تسمع عبارتها الأخيرة...

ليسود الصمت في الغرفة للحظات...

لحظات تمزق فيها قلبه وهو يسمعها تتفوه بهذه الكلمات...



طالما قالت أنها لا تريد الزواج منه...

طالما أحس أنها تخافه...

لكن أن تصرخ بكرهها هذا له ...

فهذا كان قاسياً جداً عليه...!!!!

وكعادته كلما استبد به الغضب تسلح ببروده الثلجي...

ليقول بلهجة جامدة:

_لا يعنيني حبك أو بغضك...ستكونين زوجتي...شئتِ أم أبيتِ!!!

قالها وهو يغادر الغرفة في خطوات بطيئة...

لا يدري لماذا تخذله طباعه أمامها...

هو الذي كاد يموت خوفاً عليها...!!!



هو الذي لم يعشق امرأة سواها....!!!!

هو الذي كاد يختنق بغيرته وذاك الطبيب اللزج يحدثها بهذه الرقة وهي تنظر إليه بهذه الطريقة التي لم تنظر بها إليه يوماً...!!!

ومع كل هذا...

يغلبه طبعه الناري في كل مرة...

فلا يستطيع ملاطفتها بكلمة حنون...

لقد حاول صدقاً...

لكنه لم يستطع...

لم يعتد التعبير عن مشاعره ...

لا يجيد عبارات التغزل التي يلقيها أصدقاؤه علي مسامع الفتيات...

إنه ليس كياسين الحنون بالفطرة والذي يفيض حنانه علي كل من حوله...



وليس كحذيفة...ساحر النساء الذي يتلاعب بقلوبهن كالدمي!!!!

هو الذي اختصته الأقدار بطبعه الغليظ هذا والذي لم يستطع تغييره...

لكنه يتمني لو يتغير فقط من أجلها...

لو يستطيع أن يريها مكانتها في نفسه...

ربما..لو،ضمها لصدره مرة واحدة...

وأحست بخفقاته الهادرة لأجلها...

ربما...ساعتها تشعر بمكانها في قلبه!!!!!

وعلي سريره كانت جويرية تبكي بعنف...

لا تدري كيف انفلت منها الزمام لتصرخ في وجهه بهذه الكلمات...



ربتت راجية علي ظهرها وهي تقول بعطف:

_لقد قسوتِ عليه كثيراً يابنتي...عمار لا يستحق منك هذا...هو طيب القلب لكن طباعه خشنة...كثير من الرجال كذلك...لكنني واثقة من أنه يحبك...

ابتسمت جويرية في سخرية وهي تقول في نفسها....

يحبني؟!!!

وهل يعرف عمار هذا الحب؟!!!!

إنه مجرد صنم بلا مشاعر...

بل إنها تشك في وجود قلب بين ضلوعه القاسية مثله!!!!!



قطعت راجية أفكارها وهي تقول بحنان:

_لا تغضبي منه لأنه جاء بكِ إلي هنا...لقد خشي علي والدتك من الصدمة لو رأتكِ فاقدة للوعي...أنتِ تعلمين حالتها الآن...

عقدت حاجبيها في شك وهي لا تصدق أن عمار أتي بها هنا لهذا السبب...

لا...

هو ليس رقيق القلب إلي هذه الدرجة...

لقد أتي بها إلي هنا ليثبت لها ملكيته لها...

ليثبت لها أنه سيدها وهي مجرد جارية...

جارية منحها له قاسم النجدي بصك زواج!!!!



وهكذا كان كل من عمار وجويرية يدور في حلقات مفرغة من أفكار متضادة...

لكنها حلقات لا تتلاقي...

لم يفهم أي منهما صاحبه...

بل ظل غارقاً في محيط هواجسه...

ليحترق كلاهما بالنار نفسها!!!!

====

طرقت باب غرفته بتردد...

فسمعت صوته الحنون يهتف بحزنه الذي أصبح ملازماً له:

_ادخلي يا رقية!

فتحت الباب لتدخل بتردد...

جلست علي الكرسي المجاور لسريره وهي تسأله بقلق:



_كيف حالك الآن يا ياسين؟!

كان مممداً ظهره علي السرير مستنداً علي وسادته ينظر للسقف في شرود...

صورة آسيا لا تفارق مخيلته...

لا يتصور أنه حرم منها بهذه السرعة...

لكن رقية المسكينة لا ذنب لها...

ما جريرتها في هذه المأساة التي حلت علي هذه العائلة؟!!!

هي التي كانت تعيش كالملكات في منزل والدها...

لتذوق معه هنا هذا العذاب في صمت...

دون حتي أن تشكو...

هي لم توجه إليه ولا كلمة لوم واحدة....

علي العكس...



منذ وفاة آسيا وهي تمنحه عنايتها وحنانها ...

بتحفظ نعم...لكنه يقدر أن هذا أقصي ما يمكنها منحه له الآن!!!!

فقد قالت له رقية الهاشمي كلمتها منذ البداية...

وحددت وضعهما بدقة...

غريبين في بيت واحد!!

التفت نحوها وهو يهمس في أسف:

_كيف يمكنني أن أعوضك عن كل ما رأيتِه منذ دخلتِ هذا البيت؟!!!!

شعرت بأسفه الحقيقي الذي لم يستطع مداراته فقالت في رقة لم تتكلفها:



_لا تقل هذا يا ياسين...دعك مني واهتم بحالك...أنت تهمل نفسك كثيراً منذ...

قطعت عبارتها إشفاقاً علي وقعها عليه...

لكنه فهمها فأغمض عينيه في قوة وهو يهمس بعكس ما يشعر به:

_الحياة يجب أن تستمر...

ثم تنهد قائلاً:

_جدي يريد منا أن نسافر لأي مكان ؟!

عقدت حاجبيها بشدة وهي تهتف باستنكار:

_نسافر؟! في هذه الظروف؟!

هز رأسه قائلاً:

_لقد قلت له هذا لكنه يصر علي ذلك إشفاقاً عليك



هتفت باعتراض :

_لا طبعا...أنا لن أقبل بهذا...هل تريدون قتل العمة فريدة حية؟!!! ابنتها تموت لأجلك وأنت تسافر لتتنزه مع عروسك؟!!!!

اتسعت عيناه في صدمة من كلماتها التي لم تحسب حسابها....

لكنها أصابت قلبه في مقتل!!!

شعرت بقسوة عبارتها عليه فهتفت بسرعة:

_أنا آسفة يا ياسين...أرجوك لا تؤاخذني علي اندفاعي.

أطرق برأسه في حزن واضح...



فانتقلت جواره علي طرف الفراش وهي تهمس في أسف:

_اعذرني يا ياسين...أنا مشفقة علي العمة فريدة كثيراً...هي أعظمكم مصيبة...ربما يحزن جدك علي حفيدته لكنه سيعود لاهتمامه بتجارته وبقية أحفاده...وربما تحزن أنت علي حبيبتك لكنك ستمضي في حياتك بعدها...وحدها فريدة ستبقى محملة بحسرتها علي ابنتها طوال العمر...

أمسك كفها وهو ينظر إليها للحظات ثم همس في إعجاب:

_أنت تملكين قلباً من ذهب...صدق من أسماكِ رقية يا صاحبة الإحساس الراقي.

احمرت وجنتاها في خجل وهي تحاول ادعاء الجدية لتقول بهدوء يناقض اشتعال روحها:



_إنه الواجب يا ياسين...لا يصح أن نسافر إلي أي مكان...يجب أن نبقي هنا معها...حتي لو كرهت وجودنا...لكن لا تدعها ترانا هكذا نعيش حياتنا بطبيعية وهي غارقة في مأساتها...

تنهد قائلاً وهو لا يزال ممسكاً كفها بكفه:

_العمة فريدة لن تكره وجودنا...هي لا تعرف الكره أصلاً...هي حالة خاصة وسط النساء...وكأنها بئر من حب لا يجف أبداً...

ابتسمت في حنان هامسة:

_يبدو أنك تحبها جداً...

نظر في عمق عينيها وهو يقول بصدق:

_هل تعلمين أنها تشبهك كثيراً؟!

ازدردت ريقها ببطء وارتعش كفها في يده وهي تهمس:

_تشبهني أنا؟!!

أومأ برأسه قائلاً:



_نعم...تهتم بمن حولها أكثر من اهتمامها بنفسها...توزع حنانها علي الجميع وتشعر بمسئوليتها عنهم...أم بالفطرة!!!

نزعت كفها من كفه برفق...

وهي تشعر بالاضطراب..

ثم قامت لتقول بحزم أثار دهشته:

_سأذهب لغرفتي....إذا أردت شيئاً أخبرني....

قالتها وهي تغادر الغرفة بسرعة وكأنها تهرب...

بل إنها فعلاً كذلك...

تكره ضعفها هذا أمامه...



تكره استسلامها للحنان في عينيه وفي كلماته...

تكره شعورها بالشفقة في عينيه عليها...

وهي رقية الهاشمي...!!!!

التي عاشت في بيت أبيها سلطانة...

لن تسمح أبداً أن تكون بديلاً ينسي به حبيبته الراحلة...

ربما وقفت جواره في الأيام السابقة بدافع الشفقة علي مأساته التي رأتها بعينيها...

لكن هذا لا يعني أن تتهاون فيما يخص كرامتها وكبرياءها...

لو أراد ياسين النجدي أن يحصل علي رضاها ...

فسيدفع مقابل ذلك الكثير...

الكثير جداً...!!!!!



هي السلطانة التي لا تقبل بفتات عشق يلقيه لها رجل مكلوم...

هي السلطانة التي تستحق أفخر تيجان الهوي علي رأسها...

هي السلطانة التي تركع لها القلوب وتنحني لها جباه الأرواح...

ولن ترضي أبداً بما ترضي به الجواري!!!!

=====

جلست ساري في هذا المطعم الفخم مع صديقاتها اللاتي أصررن علي أن يخرجنها من عزلتها وحزنها...

لكنها لم تستطع...



جلسن جميعاً يتندرن بالحكايا والدعابات...

لعلها تخرج من حزنها الذي كسا ملامحها ...

لكنها ظلت علي شرودها الحزين...

كل يوم يمر يكذب ظنها في أن تكون آسيا علي،قيد الحياة...

لكنها تتشبث بذرة أمل أن يصدق ظنها في النهاية...

كانت شاردة تنظر للجدار بحزن...

عندما وقعت عيناها عليه يجالس تلك الصهباء الفاتنة علي المائدة المقابلة لها...

نعم...إنه حذيفة!!!



التقت عيناها بعينيه فعقد حاجبيه في ضيق...

أشاحت بوجهها عنه بسرعة وقد ازدادت خفقات قلبها الملتاعة..

عادت ببصرها إليه بعد لحظات لتجده يغادر المكان مع رفيقته الفاتنة بخطوات سريعة...

دمعت عيناها وهي تشعر بقلبها يختنق...

حذيفة لا يراها ...

ولا يمكن أن يراها...

هذه الفاتنة التي رأتها معه هي واحدة من عشرات النساء اللاتي هن علي علاقة به...

هي تسمع الكثير عن علاقاته النسائية فطالما كان ياسين العزيز يتندر بحكاياته عنهن مع آسيا...

لكنها أول مرة تراه مع إحداهن...

ورغم جرح قلبها الكبير...



كان جرح كرامتها أكبر!!!

لقد رحل بصديقته من أمامها دون أن يلقي لها بالاً...

وكأنها لن تصبح زوجته بعد شهور قليلة علي أقصي تقدير...!!!!

لكن لماذا تتعجب من تجاهله لها وهو عادة ما يفعله معها...؟!!!

هو لا يكاد يوجه إليها أي حديث...

حتي بعد حادثة آسيا لم يكلف نفسه حتي تقديم العزاء إليها...

وكأنه يخبرها دون كلمات أنها ليست أكثر من حمل ثقيل علي كاهله...

ولولا أن كلمة قاسم النجدي لا ترد لما فكر في الزواج منها أبداً...!!!



تناست جرح قلبها الذي تزامن هذه المرة مع نزيف كبريائها الصامت...

وتصنعت المرح مع صديقاتها ...

حتي انقضي اليوم...

عادت إلي المنزل مرهقة...

وما ان ولجت قدماها بوابة المنزل الكبير حتي وجدته ينتظرها في المدخل المؤدي إلي الدرج....

أطرقت برأسها في ترقب وهي تراه يقترب منها حتي صار أمامها مباشرة...

انتظرته أن يبدأ حديثه...

لكن صوته لم يصلها....

اضطرت في النهاية لرفع عينيها إليه لتصطدم بعينيه القاسيتين...



أغمضت عينيها بقوة وهي تحاول ألا تحتفظ بذكري هذه النظرات المنفرة...

لكنه نطق أخيراً بنبرة أكثر قسوة من نظراته:

_هل تفكرين في الشكوي لجدي بعد ما رأيته اليوم؟!

زفرت في قوة وهي تستجمع قوتها لتقول ببرود:

_لا.

ظهر الغضب في ملامحه وهو يهتف بحدة:

_يجب أن تفهمي مكانك في حياتي جيداً...أنتِ لستِ أكثر من فرض سأؤديه قهراً ...ربما سأتزوجك...لكن لا تطمحي في أكثر من ذلك...

أخفت جرحها ببراعة وهي تهتف في قسوة لم تعرفها في نفسها من قبل:



_وكذلك أنت ...لست أكثر من فرض...وفرض كريه أيضاً!!!

ابتسم في سخرية وهو يقول بغرور:

_علي من تكذبين يا صغيرة؟! هل تظنيني غافلاً عن نظراتك الهائمة نحوي عندما نلتقي؟!!!

ابتسمت في سخرية مماثلة وهي تقول بثقة:

_يبدو أن خبرتك في النساء لا تتعدي الساقطات التي اعتدت مرافقتهن...كيف ستفهم من هي مثلي؟!!!

كز علي أسنانه وقد أفحمه ردها ....

لم يتخيل أنها قادرة علي الرد عليه بهذه القسوة وهذه الثقة...



طالما ظنها فتاة ضعيفة لا شأن لها...

مجرد جارية قضي له بها قاسم النجدي....

مثلها مثل شقيقتها التي ستتزوج أخاه...

أو مثل تلك الأخري التي هربت ثم انتحرت وجلبت العار للعائلة كلها!!!!

ليت عمه سعد لم ينجبهن أبداً...!!!!

خاصة تلك ال"مسترجلة" التي تبدو ببنيتها النحيفة كالصبيان....!!!!

من تظن نفسها لتحدثه بهذه الطريقة؟!!!!

وهو حذيفة النجدي الذي تلاحقه الفاتنات قبل حتي أن يفكر هو بملاحقتهن!!!!



ضاقت عيناه وهو يلوح بسبابته في وجهها هاتفاً:

_إياكِ أن تحدثيني بهذا الأسلوب مرة أخري!!

رفعت رأسها في كبرياء وهي تقول :

_امنعني لو استطعت!

اقترب منها خطوة وهو يقول بتهديد واضح:

_عندما تكونين زوجتي سأعرف كيف أربيكِ من جديد!!

رغم كل الخوف الذي شعرت به من تهديده...

ورغم نحيب قلبها الذي كادت دقاته تصرخ الآن قهراً...

وجدت نفسها تهتف في صلابة:

_لا تتعشم كثيراً يابن النجدي!!!...من يدري مالذي ستحمله لنا الأيام القادمة....؟!!!



قالتها وهي تزيحه من طريقها برفق...

لتكمل صعود الدرج بخطوات واثقة...

نجحت بجدارة في مداراة جرحها بها....

تاركة إياه خلفها يغلي من الغضب...

هذه الحمقاء الصغيرة تتحداني أنا....

أنا حذيفة النجدي !!!!!

ألا يكفي أنني قبلت تلك القسمة الجائرة ورضيت بتلك "المسترجلة" لتكون زوجة لي؟!!!!

كيف سأواجه بها أصدقائي ؟!!!

حتماً سيسخرون مني!!!!

من يصدق أنها -هي-من اختارها حذيفة النجدي نفسه لتكون زوجة له؟!!!

لكنه فعلاً لم يخترها!!!!



هي مجرد أمر آخر من أوامر قاسم النجدي سينفذه صاغراً كما اعتاد...

زفر في قوة وهو يصعد السلالم نحو شقة راجية...

ألقي نظرة حانقة علي شقة فريدة المقابلة...

وهو يفكر بسخط...

لم يكن ينقصني سوي تلك المسترجلة!!!!!

====

مشطت مارية شعرها في شرود وهي تستعد للخروج مع آندي...

منذ محادثتها الأخيرة مع حمزة ورفضه مصاحبتها لحفل آندي وهي حانقة عليه...

تتحاشي الحديث معه أو حتي رؤيته...

ظنت أنها بهذا تعاقبه...



لكنها اكتشفت أنها تعاقب نفسها قبله!!!!!

لقد اشتاقت إليه بجنون...

افتقدت كل ما يخصه...

ابتسامته...نظرته الحنون...

دعاباته اللطيفة...

حتي طريقة نطقه باسمها والتي تراها مميزة مثله...!!!!

زفرت في قوة وهي تحمل حقيبتها لتغادر...

وما إن خرجت إلي حديقة المنزل حتي وجدته في حديقة منزله المجاورة....

اختلست نظرة مشتاقة إليه ودت لو طالت ....



ثم رفعت رأسها في كبرياء وهي تتجاهله عمداً وتمضي في طريقها...!!!

ناداها بصوته الذي افتقدته....كما افتقدت كل ما فيه...

فتوقفت مكانها دون أن تنظر إليه...

عبر السور بين الحديقتين بخفة وهو يقف أمامها ليقول بصوت حزين بعيد عن مرحه المعهود:

_مارية العزيزة غاضبة مني؟!

رفعت رأسها في كبرياء وهي تقول :

_ولماذا أغضب منك؟!



أطرق برأسه وهو يشعر بالاختناق...

منذ هاتفه جده منذ يومين وأخبره بما حدث لآسيا...

وهو يشعر كالسجين في غرفة ضيقة!!

أسوأ ما يمكن أن يواجهه المرء في غربته أن يفتقد التواجد جوار ذويه في مصائبهم قبل أفراحهم...

شعور هائل بالعجز ...

مكبل هو بقيود غربته وثأره وماضيه...!!!!

إن كان حزيناً لأجل آسيا الغالية...

التي كانت ستصير زوجته يوماً...

وحزيناً لأجل العمة فريدة التي أحبها كوالدته وتربي علي يديها منذ صغره...

فهو يتمزق من أجل جده ...

قاسم النجدي...



وتد العائلة الذي يظنونه جميعاً قاسياً صلباً لا قلب له...

لكن حمزة يعلم أن أحفاده هم نقطة ضعفه الوحيدة...

منذ فقد أولاده جميعاً في ريعان شبابهم...

وهو يخشي أن يلاقي أحفاده نفس المصير...

لهذا أبعده عن مصر نهائياً حتي يتبين موقف جسار من الثأر القديم...

وأجبر ياسين علي زواجه بابنة الهاشمي كي يضمن للعائلة سنداً من النفوذ والسلطة...

واختار لكل ابنة من بنات فريدة زوجاً من أبناء عمومتها كي يحافظ عليها ويصونها...



ربما لم يكن فكره هذا لائقاً بهذا العصر...

وربما يراه أغلب الناس جائراً...

لكنه يعلم أن جده لا يريد لهم إلا الخير...

كم تمني لو كان معه الآن...

جده الحبيب الذي يعتبر حمزة ولده وصديقه وليس مجرد حفيد...

بالتأكيد...كان وجوده معه سيؤازره في هذه الظروف!!!!!

لكن ما يحيره حقاً هو لماذا انتحرت آسيا....

حتي جده لا يعلم!!!

لن يهدأ له بال حتي يعرف سبب فعلتها هذه!!!!

لكن كيف يعرف؟!!!!

وهو منبوذ هنا في غربته...



لا حق له في أهله سوي بمكالمة هاتفية يختصه بها جده كل شهر ليخبره عن الجديد في اقتضاب ويطمئن عليه ثم يغلق الاتصال بسرعة خوفاً من أن يغلبه شوقه فيطلب منه العودة!!!!

تنهد في حرارة...

فتناست مارية غضبها منه وهي تسأله بقلق:

_ماذا بك يا حمزة؟!

رفع رأسه للسماء وهو يهمس في حزن هز أركان روحها:

_أنا متعب يا مارية....متعب للغاية...

اقتربت منه وهي تسأله بحنان:

_لماذا يا حمزة؟! ما الذي حدث؟!



نظر إليها طويلاً دون أن يجيب...

لكن الدمع الساكن في عينيه أنبأها الكثير عن آلام هذا الرجل...

هذا الرجل الذي لا تعرف عنه شيئاً لكنها تجد نفسها مجذوبة نحوه كالمسحورة...

والذي لا يشغلها الآن سوي أن تمحو عنه هذا الألم!!!!

دمعت عيناها تأثراً وهي تهمس:

_أخبرني عن الذي يحزنك إلي هذا الحد يا حمزة.

اغتصب ابتسامة شاحبة وهو يتصنع المرح ليقول بخفوت:

_سأعود لأقول لكِ...لو نطقتِها صحيحة...

فسأخبرك.



ابتسمت في عطف وهي تهمس:

_سأتعلمها يا حمزة...سأتعلمها من أجلك...

اتسعت ابتسامته وهو يرقبها بعاطفة عجز عن إخفائها...

ليسود الصمت الصاخب بين عينيهما للحظات...

قبل أن يقطعه هتاف آندي:

_ماري....هل نسيتِ موعدنا؟!

شهقت ماري للمفاجأة...

فيما عقد حمزة حاجبيه بضيق...

عندما تقدم آندي ليحيط كتف مارية بذراعه هاتفاً في ضجر:



_لقد تأخرتِ علي موعدنا فجئت لأصطحبك.

نزعت مارية ذراعه من علي كتفها وهي تقول في ضيق:

_عفواً آندي...لن أتمكن من الخروج معك اليوم....

نقل آندي بصره بينها وبين حمزة...

ثم قال مخاطباً حمزة ببرود:

_أنت إذن دكتور حمزة...ماري معجبة كثيراً....طالما حدثتني عنك.

هز حمزة رأسه في تحية مقتضبة وهو يقول في اقتضاب:

_أعتذر لو كنت تسببت في تأخير مارية...



قالها وهو يعطيهما ظهره ليعود لمنزله....

كادت مارية تناديه طالبة منه الانتظار...

لكن آندي هتف بها في ضيق:

_هيا يا ماري ...لقد تأخرنا بما يكفي...

زفرت مارية بقوة وهي تهمس:

_عفواً آندي...أنا أشعر بالصداع ...لن أتمكن من السهر الليلة...

قالتها وهي تعطيه ظهرها لتعود لمنزلها باندفاع...

حتي لا تسمح له بالاعتراض...

عقد آندي حاجبيه بغضب...

وهو يشعر بصدق ما توقعه ...

هذا المصري اختطف قلب ماري...



وها هي ذي تنسحب تدريجياً من عالمه...

لكنه لن يقف ساكناً...

سيعرف كيف يجذب ماري نحو عالمه من جديد...

هذا هو وعده لنفسه الذي لن يخلفه!!!

====



الفصل الخامس

جلست نغم مع والدتها التي كانت تتبادل الحديث مع سمية بود شديد...

السيدة فوزية عمتها هي كل من تبقي لسمية من ماضي عائلتها...

هي الوحيدة التي ائتمنتها علي سرها هي وبدر والذي لم يعرف عنه أحد سوي عمتها فوزية وعمه كساب...

سرهما الذي استطاعا الحفاظ عليه حتي الآن...

والذي تتمني لو لم يكتشفه أحد حتي لا ينهار عالمهما الصغير...

عالمهما الذي بنياه معاً بعيداً عن كل الضغوط...



تأملت نغم سمية بإشفاق وهي تلاحظ تبدل ملامحها الجميلة ونحول جسدها الشديد...

سمية التي كانت مضرب الأمثال في الجمال والرقة صارت الآن حطام امرأة!!

انتقل بصرها تلقائياً للصغير البالغ من العمر سبع سنوات ...

والذي يتعلق بأمه وكأنه يعرف أنه قد يفقدها في أي لحظة!!!

ثم خانتها عيناها لتختلس نظرة إلي بدر...

كم كانت محظوظة سمية برجل مثله...

ترك الدنيا كلها من أجلها...

رجل يبدو وكأن روحه معلقة بها...

يتأمل سكناتها وحركاتها في اهتمام وكأنه يراها لأول مرة...



لا يكاد يرفع عينيه عنها وكأنه يدخر كل نظرة منه إليها لتكون زاده في حرمانه الطويل منها...

قديماً قبل مرض سمية...

كانت نغم تتمني لو تلتقي رجلاً مثل بدر...

يحبها وكأنها سمية!!!

كانا بالنسبة لها أروع مثال للحب الذي صار نادراً في هذا الزمان...

وعندما علمت بمرض سمية ظلت تبكي ليلة كاملة...

لقد ظنت أن تمثال الحب الذي طالما صنعته لهما قد تهشم...

هشمته طعنة المرض الغادرة...

لكنها كانت مخطئة...



ربما هي خدشته فقط لكنه ظل وسيظل منتصباً أمام عينيها كما تري الآن...

صورة حية لحب لا يموت...!!!

لاحظ بدر نظراتها المختلسة إليه فشعر بالضيق...

ما بالها نغم تختلس النظرات إليه هذه المرة بغرابة؟!!!

هل حدثتها سمية عن شئ؟!!!

انقبض قلبه وهو يشعر بالاختناق...

أما كفاه قلقه عليها وخشيته من أن يفقدها في أي لحظة كي تزيد عذابه برغبتها في تزويجه بأي طريقة؟!!!

هل تظن سمية الحبيبة أنه قد يسمح لغيرها بدخول قلبه بعدها؟!!!



لماذا تؤرق نفسها وتؤرقه بهذه الفكرة؟!!!

لماذا لا تدعه يستمتع معها بأيامها الباقية؟!!!

قطعت العمة فوزية أفكاره وهي تقول بحنانها المعهود:

_لماذا تبدو شارداً يا بدر؟!

ابتسم بشحوب وهو يقول بتهذيب واضح:

_لا شئ يا عمتي...إنه فقط إرهاق السفر...

رمقته نغم بنظرة مشفقة عطوف أخطأت سمية تفسيرها فخفق قلبها بجنون...

رغم أن هذا ما تخطط له منذ فترة...

أن تكثر من زياراتها لعمتها في المدينة حتي يزداد بدر قرباً من نغم...



لكنها الآن تشعر بخنجر مسموم يطعن قلبها...

الغيرة شعور قاتل...!!!

لكنها لن تستسلم له...

لم يعد العمر يسمح لها بهذه الرفاهية...

نغم تبدو معجبة ببدر...

وهذا مع كونه مؤلماً لها كعاشقة...

لكنه في صالح خطتها الجديدة...

لأجله ولأجل الصغير...

لهذا وجدت نفسها تقول بسرعة:

_اسمحي لي يا عمتي أن نصطحب نغم معنا إلي المزرعة لتقضي معنا هذا الأسبوع...



ارتفع حاجبا نغم في دهشة فيما عقد بدر حاجبيه بضيق...

فيما أردفت سمية مخاطبة نغم:

_ستسعدين معنا كثيراً في المزرعة بعيداً عن صخب المدينة...المزرعة هادئه جداً ومريحة للأعصاب...كما أنك ستستمتعين بمشاهدة الخيل التي تعشقينها...

تحمست نغم للفكرة بشدة بينما قالت العمة فوزية بتردد:

_لكن يا سمية...نغم لديها عمل هنا...

هتفت نغم بسرعة:

_يمكنني أخذ إجازة من عملي يا أمي...لا تقلقي...أنا أتشوق لزيارة المزرعة...



ابتسمت سمية بشحوب وهي تفطن -كما ظنت- لسبب موافقتها علي القدوم...

فيما ازداد ضيق بدر خاصة عندما قالت العمة فوزية في استسلام:

_حسناً يا نغم...كما تشائين...ستكون فرصة للاعتناء بسمية والصغير...لاريب أنه يتعبها كثيراً...

ابتسمت نغم في سعادة...

وهي تري نفسها قد اقتربت كثيراً من عالم بدر وسمية الجميل الذي طالما راود أحلامها...

مزرعة منعزلة بعيدة حيث الزروع والخيل...

والحبيبان معاً لا يفرقهما شئ...

لا...



الموت قد يفعل في أي لحظة...

عادت ترمق سمية بإشفاق حزين...

لكن سمية نفسها كانت راضية...

حتي الآن خطتها تسير علي ما يرام..

====

خرجت ساري من مدرج المحاضرات بالكلية مطرقة برأسها ...

لقد تلون الكون حولها بالسواد فجأة...

في البداية رحيل آسيا...

ثم انتحارها ...

ثم مواجهتها القاسية مع حذيفة...

تنهدت في حرارة...

وهي تفكر...



أي جحيم ستعيشه لو تزوجها...

وأي جحيم ستعيشه لو لم يفعل!!!

حبه يخيرها بين جحيمين...

فأيهما أهون؟!!!

لكن ...

لماذا تشغل نفسها بالتفكير...؟!!!

هي مجرد مفعول به في جملة.... وحده قاسم النجدي فاعلها ومبتدؤها !!!!

قطعت أفكارها عندما سمعت صوته يقول برفق:

_كيف حالك يا ساري؟!



رفعت رأسها بابتسامة شاحبة...

وهي تقول:

_كيف حالك يا بلال؟!

اتسعت ابتسامته وهو يقول بأدب ظاهر:

_بخير حال...أنا لا أريد التطفل عليك لكنني كنت أود الانضمام لجماعتكم التي تساعدون فيها الفقراء...فهل تقبلونني بينكم؟!

ضحكت ضحكة قصيرة وقد عاد إليها مرحها لتقول:

_هل تمزح؟! نرفض انضمام بلال الهاشمي نفسه إلينا؟!!!! أنت مكسب كبير لنا...فلن يتعرض لنا أحد بالطبع وأنت معنا...

ضحك قائلاً:

_أنتم تريدون استغلالي اذن؟!



ضحكت وهي تلوح بسبابتها هاتفة:

_أسوأ استغلال.

هز رأسه وهو يقول في شرود:

_هل تعلمين؟! أنا لا أحب استغلال نفوذ أبي كثيراً...أنا ورقية عانينا من ذلك لفترة طويلة...حتي صار الأمر أشبه بعقدة نفسية لنا...

هزت رأسها في تفهم وهي تقول بهدوء مرح:

_نعم...لن أعيش في جلباب أبي!

التفت إليها بضحكة رنانة وهو،يقول:

_بالضبط....أنتِ أحسنتِ توصيف الأمر!

ضمت كتبها لصدرها وهي تقول برفق:

_حسناً يا بلال...سنبدأ استغلالك من اليوم...نحن في طريقنا لقرية صغيرة فقيرة جوار المدينة ونحتاج لمن يقلنا بسيارته لأن سيارتي معطلة...ما رأيك؟!



هتف بسرعة:

_موافق طبعاً...كم عددكم؟!

تنحنحت في حرج وهي تقول :

_أربعة...وسيلحق بنا الدكتور "......." المشرف علي الجماعة مع من تبقي.

هز رأسه قائلاً:

_حسناً...لا بأس.

وبعد ساعة كانت تستقل معه سيارته...

ومعها زميلاتها...

حيث وصلوا للقرية ووزعوا مساعداتهم علي الفقراء...

لقد كانت هذه لمحة السعادة الوحيدة التي رأتها ساري في هذا اليوم...



عادت لمنزلها مرهقة لتستقبلها فريدة بقلق:

_لماذا تأخرتِ يابنتي؟!

همست في تعب:

_كنا في قرية(.......)لتوزيع المساعدات.

سألتها فريدة بحذر:

_وكيف ذهبتِ إلي هناك وسيارتك معطلة؟!

قالت ساري في بساطة:

_بلال شقيق رقية أوصلنا إلي هناك..لقد انضم لجماعتنا...

شهقت فريدة وهي تقول بعتاب:

_وكيف تركبين معه سيارته..هل هذه ثقتي فيكِ يا ساري؟!

صدمت ساري للحظات ثم قالت تبرر موقفها:



_لم أكن وحدي يا أمي...كان معي ثلاثة من صديقاتي...ولحقنا دكتور(......) المشرف علينا!

هزت فريدة رأسها وهي تقول بحدة:

_أنا لا شأن لي بكل هؤلاء ....أنا لا يهمني سوي ابنتي....لم يكن يليق بكِ أن تركبي معه سيارته...ماذا لو رآك أحدهم....هل تنقصنا الفضائح....ألا تكفينا....

قطعت عبارتها وهي تنتحب بقوة...

وذكري آسيا الراحلة تغتصب تماسكها المزعوم...

منذ رحلت عنها وهي تخشي علي بنتيها أكثر من ذي قبل...

تخاف أن تفقدهما كما فقدتها...



تخاف أن تنهش عرضهما ألسنة الناس التي لا ترحم...

ورغم حنقها علي قاسم النجدي لأنه اختار لهما زوجي المستقبل دون أن يسألهما عن رأيهما...

لكنها تحمد له صنيعه هذا بعدما حدث لآسيا عساها تطمئن عليهما جوارها...!!!!

شعرت ساري بكل ما يحملها صدرها الحنون من هم...

فاندفعت تحتضنها بقوة وهي تهتف في حرارة:

_لا تغضبي يا أمي...لن أكررها...لن أخيب ظنك فيّ أبداً فقط لا تبكي أرجوكِ....



ربتت فريدة علي ظهرها وهي تبتسم بضعف....

عندما رن جرس الباب...

ذهبت فريدة لتفتحه فيما استلقت ساري علي الأريكة في إرهاق...

لقد كان يوماً متعباً بحق...

التفتت بحدة عندما سمعت صوت حذيفة الذي دخل ليتقدم نحوها هاتفاً بصوته الرخيم:

_كيف حالك يا عروسي؟!

عقدت حاجبيها بشدة وتبادلت نظرات قلقة مع فريدة التي تعجبت مثلها لما يحدث....

منذ متي يزورهن حذيفة؟!



إنـها لا تكاد تراه في البيت...

ولا يحاول الاحتكاك بهن أبداً...

فريدة تعلم أنه لا يحب ساري...

لكنها تعلم أيضاً أنه سيتزوجها طالما قضي بهذا قاسم النجدي!!!!

صحيح أنها لا تطمئن لحذيفة...

لكن ما حيلتها هنا؟!!!!

هي مثلهن...

تترقب بصبر راضٍ مصير الجواري!!!

قطع حذيفة أفكارها وهو يقول ببطء دون أن يرفع عينيه من علي ساري:

_اصنعي لي كوباً من العصير من فضلك يا عمتي...أريد محادثة ساري في أمر هام.



نقلت فريدة بصرها بينهما بحذر...

ثم تنهدت في ضيق...

لتذهب للمطبخ ...

جلس جوار ساري علي الأريكة فانتفضت من مكانها لتجلس علي الكرسي المجاور فابتسم في سخرية هامساً:

_لا تدعي البراءة والخجل يا صغيرة...لقد رأيتكِ تركبين سيارة بلال الهاشمي.

قالها وهو يتذكر انفعاله عندما رآها مصادفة علي الطريق...

كان متوجهاً بسيارته مع بعض أصدقائه للهو كالعادة في إحدي المدن الساحلية عندما لمحها تركب السيارة مع بلال...

بلال الهاشمي !!!!



لا يدري لماذا شعر ساعتها بالضيق...

ربما لأنه تصور وجود علاقة ما بينهما....

لكن...

كيف يفكر بلال الهاشمي في فتاة كساري...؟!!!

وجد نفسه فجأة يتفحص ملامحها وكأنه يراها لأول مرة...

تري كيف ستبدو هذه ال"مسترجلة" لو ارتدت ثوباً أنثوياً...

وتركت شعرها المخفي دوماً خلف حجابها هذا ينسدل علي ظهرها...

تري ...

كيف سيكون شكلها؟!!!!



قطعت ساري استرسال أفكاره وهي تقول بكبريائها المعهود:

_هل تساوي نفسك ببلال الهاشمي؟! نعم...كنت أركب معه سيارته لكن لم أكن وحدي كما رأيت...كنا في طريقنا لإحدي القري لتوزيع المساعدات علي الفقراء بينما أنا متأكدة أنك كنت بصحبة واحدة من فتياتك العابثات تمضي وقتك في اللهو ...هل عرفت الفارق بينك وبين بلال؟!!!

قالت عبارتها الأخيرة باحتقار تعمدته تخفي به مشاعرها نحوه..

والتي لو أطلقتها الآن...

فلن تسامح نفسها أبداً....!!!!



هب من مقعده غاضباً وهو يهتف في غضب:

_أنا حذيفة النجدي.... لا تقارنينني بأي مخلوق...

وقفت قبالته في تحدٍ تقول بسخرية:

_ومن حذيفة النجدي هذا؟! ...دعني أنا أخبرك...مجرد عاطل بالوراثة...فشل في دراسته ولولا نقود عائلته التي ورثها لما وجد له عملاً...نقود عائلته التي يهدرها علي فتياته العابثات ويهدر معها وقته وسمعته...أنت مجرد فقاعة فارغة...

_ساري!!!

هتفت بها فريدة في استنكار بعدما عادت من المطبخ لتسمع ما قالته...

فيما كز حذيفة علي أسنانه وهو يهتف في غضب عاصف:



_عندما نتزوج سأقطع لك لسانكِ هذا...سترين معي أياماً أشد سواداً من الليل...!!!

شهقت فريدة في جزع وهي تسمع تهديده الصريح...

فيما لم تغير ساري من وقفتها الثابتة وهي تبتسم في سخرية هاتفة:

_أخبرتك ألا تتعجل الأمور يابن النجدي...لا أحد يعرف ما الذي يحمله لنا الغد...

رمقها بنظرة عاصفة...

وهو يدفعها من طريقه بقسوة...

ليغادر المنزل صافقاً الباب خلفه في قوة....

اتسعت عينا فريدة في صدمة...

هل سيكون هذا زوج ابنتها؟!!!!!



توجهت بخطوات بطيئة نحو ساري تربت علي كتفها في إشفاق...

فتصنعت ساري الثبات وهي تقول بصلابة كاذبة:

_لا تقلقي علي ابنتك يا أمي...سأكون بخير...

قالتها وهي تتوجه لغرفتها...

أغلقت بابها خلفها لتستند عليه وتسمح لدموعها بالانهمار...

حذيفة النجدي...

وجع قلبها الأزلي...

والذي لن تبرأ منه أبداً كما يبدو!!!

====



وقفت علي قارعة الطريق الخالي نسبياً في هذا الوقت المتأخر من الليل تبكي بغزارة...

لا تصدق أنها خاضت هذه المغامرة وحدها...

هي آسيا قطعة الكريستال سهلة الكسر كما كانت تدعوها فريدة...!!!!

تذكرت فريدة فازداد انهمار الدمع من عينيها وهي تسأل نفسها...

تري كيف هي الآن...؟!!!

هي وجوري وساري...؟!!!

تدفق شلال الندم في نفسها جارفاً كل مشاعرها وهي تتذكر ...

كيف نفذت فكرتها ببراعة...



كيف اشترت لنفسها ملابس جديدة من ذاك المحل الذي دخلته عندما تركت السائق...

ثم بدلت ملابسها التي كانت ترتديها في المحل...

لتغادره بخفة...

استقلت سيارة أجرة حتي وصلت إلي شاطئ البحر...

لتلقي ملابسها القديمة في الماء ثم تلقي حقيبتها علي الشاطئ بعدما استخرجت منها النقود وبطاقتها الشخصية...

ذهبت بعدها لإحدي صديقاتها المقربات...والتي كانت تعلم أنها تقيم وحدها بعد سفر والديها...

قضت عندها بضعة أيام...

فقد تعاطفت صديقتها مع قصتها ووعدتها بأقصي مساعدة...



أخبرتها صديقتها عن امتلاك عائلتها لشقة في إحدي المحافظات البعيدة...

أعطتها مفاتيح الشقة لتقيم فيها ...

ووعدتها بمساعدتها في البحث عن عمل...

تقبلت آسيا مساعدتها بامتنان...!!

لقد منحها القدر فرصة مثالية للتحرر من سجن النجدي إلي الأبد...

لكن الأمور لم تسر علي ما يرام...

فالسائق الذي كان من المفترض أن يقلها إلي تلك المدينة البعيدة التي تقصدها لم يكن مريحاً علي الإطلاق...

كان يرمقها بنظرات غريبة طوال الطريق...

ظلت متوجسة منه خيفة حتي صدقت توقعاتها...



فقد وجدته فجأة يوقف السيارة متعللاً بوجود عطب فيها...

ثم ترجل منها...

ترجلت بدورها من السيارة هي الأخري لتجد ذاك السافل يتهجم عليها...!!!!

لكنها كانت متأهبة لأمر كهذا...

كانت تحتفظ في حقيبتها بصاعق كهربائي منحته له صديقتها وطلبت منها الاحتفاظ به خلسة في حقيبتها تحسباً لظروف كهذه ما دامت ستقيم وحدها بعيداً...

وصدقت مخاوفها...

صدقت بأقرب مما توقعت!!!



وبعدما تخلصت منه مؤقتاً...

وجدت نفسها تعدو هرباً في الطريق بلا هدف...

حتي استقر مقامها هنا في هذا المكان...

لتشعر فجأة بحجم المصيبة التي زجت نفسها فيها....!!!!

منذ ليلة زفاف ياسين وهي فقدت عقلها تماماً...

حماقة تتلوها حماقة!!!

حتي انتهي بها الأمر هكذا؟!!!!

ما ذنبها فريدة لتعيش كل هذا الألم ...؟!!!!

لاريب أنها تظنها الآن قد ماتت...

كلهم سيظنونها كذلك...

لكن...

ربما كان هذا أفضل...



أفضل من أن تظل جارية في سجن النجدي مدي الحياة...!!!!

أفضل من أن تحترق بنيران غيرتـها وحبها اليائس لياسين...!!

ياسين...!!

افتر ثغرها عن ابتسامة شاحبة وهي تتذكره...

وهل نسيته لتتذكره؟!!!

ياسين الحبيب يسري في دمها...

ماذا عساه يفعل الآن؟!!!

أتراه يبكيها كما تبكيه؟!!!

أم أنه تناساها متنعماً بزوجته الجديدة؟!!!



لن تعرف...

لن تعرف أبداً....

لقد انقطعت كل صلة لها بعائلة النجدي...

وأبداً أبداً لن تعود...!!!!

قطعت أفكارها عندما أغشي عينيها ضوء كشافي سيارة تقترب...

انتفضت في رعب...

هل هو فخ جديد؟!!!

لكنها ظلت واقفة بترقب..

من يدري...

ربما حملت لها النجاة هذه المرة!!!

====



_توقف يا بدر...هذه الفتاة تبدو بحاجة للمساعدة!

هتفت بها سمية في لهفة وهي تلمح آسيا الواقفة مكانها في ترقب....

فزفر بدر في ضيق...

وجود نغم هذه معهما يوتر أعصابه...

كلما نظر لمرآة سيارته وجد عينيها تترقبانه...

والآن هذه الفتاة أيضاً؟!!!!

ما قصتها هي الأخري؟!!!!

ترجل من السيارة...

ليتجه نحو آسيا التي كانت الآن ترتجف رعباً بحق...



بدر كان طويل البنية ضخم الجسم...

وهي كانت لاتزال تحت تأثير صدمتها السابقة...

تحسست حقيبتها التي تحتوي علي الصاعق الكهربائي بأنامل مرتجفة...

لكن شيئاً من الطمأنينة راودها وهو يغض بصره عنها هاتفاً بتهذيب واضح:

_هل أساعدك يا آنستي؟!

مدت رقبتها تنظر داخل السيارة لتجد امرأتين وطفلاً...

زاد هذا من سكينتها فهمست في خجل:

_هل يمكنك أن توصلني لأقرب مدينة من هنا.؟!



عقد حاجبيه بدهشة...

ما الذي يدفع فتاة بهذا الجمال للسير وحدها ليلاً هكذا...

لا...

إنها لا تبدو كالساقطات...

ثيابها محتشمة وحجابها متحفظ للغاية...

كما أن ملابسها رغم بساطتها توحي بالثراء...

فماذا وراؤها يا تري؟!!!!

قاطعت سمية أفكاره عندما ترجلت من السيارة لتتجه نحوهما...

تأملت آسيا في إشفاق واضح وهي تقول في حنان:

_تعالي يا صغيرة ...واركبي معنا...لا تخافي...



سنوصلك بأمان أينما تريدين.

أحست آسيا نحوها بألفة غريبة...

أم أنها هي التي كانت تفتقد هذا الحنان الذي كان يقطر من كلماتها؟!!!

لا تدري...

لكنها اطمأنت للركوب معهم...

بعدما رمقت بدر بنظرات مترددة....

استقلت المقعد الخلفي للسيارة جوار الصغير ونغم التي كانت ترمقها بفضول...

هذه الفتاة رائعة الجمال...

ما الذي يدعوها للوقوف وحدها هكذا في الطريق؟!!!



إنها حتي لا تحمل حقيبة سفر...

ولا أي أمتعة!!!!

لا تدري لماذا انتابها شعور أنها هاربة...

ربما لأن نظراتها كانت تحمل خوفاً واضحاً...

بدا ظاهراً في ارتعاش أناملها المضمومة....

ربتت نغم علي كفها وهي تسألها في مودة:

_ما اسمك ؟! وأين تريدين الذهاب؟!

ترقب بدر ردها وهو يراقب عينيها بعينيه النافذتين من مرآة السيارة....

طال صمتها كثيراً وهي لازالت خائفة...

ثم قالت بتردد:



_أنا آسيا...وأريد فقط الذهاب لأقرب مدينة وهناك سأتدبر أمري..

لعنت غباءها الذي جعلها تتسرع بذكر اسمها الحقيقي...

لكنها لم تفكر...

حسناً...لا بأس...

هي لن تطيل البقاء معهم علي أي حال...!!!

استدارت نحوها سمية بجسدها وهي تقول بطيبتها الفطرية:

_نحن نمتلك مزرعة قريبة من هنا...ابقي معنا هذه الليلة حتي يشرق الصباح وبعدها سيوصلك بدر للمدينة كما تريدين...



شعر بدر بالحنق وهو يري سمية تدعوها بسهولة هكذا للبقاء معهما في المزرعة...

عالمهما الصغير الذي اعتزلا فيه الناس جميعاً...

الذي حافظا علي سريته طيلة هذه الأعوام....

والذي تسعي الآن لإدخال الغرباء فيه...

في البداية نغم...

والآن...آسيا هذه!!!!

أطرقت آسيا برأسها وهي تشعر بالحيرة...

أيهما أكثر أمناً؟!!!

أن تقضي ليلتها معهم؟!!!

أم تذهب للمدينة القريبة؟!!

وماذا ستفعل في المدينة الآن؟!!!

هي لا تعرف فيها أحداً!!!!



ولا تريد تكرار تجربة السفر وحدها مع سائق غريب....

ماذا تفعل الآن؟!!!

دمعت عيناها وهي تشعر بالوحدة والغربة...

ضائعة هي ...

ضائعة...

ما الذي فعلته في نفسي؟!!!

أين أنت يا ياسين؟!!!!!!!!

تأمل بدر دموعها صامتاً في مرآة السيارة...

هذه الفتاة تحمل سراً...

لكن شيئاً فيها يجذبه لمساعدتها...

هي تبدو فتاة طيبة لكنها واقعة في ورطة...

صحيح أنه يفضل الابتعاد عن المشاكل بوضعه الحالي...



لكنه لن يتخلي عن فتاة ضعيفة مثلها....

فلتقضي الليلة معهم...

ولتغادر بعدها...

ماذا يمكن أن يحدث؟!!

إنها مجرد ليلة!!!!!!!

====

وقفت جويرية في المكتبة ترتب الكتب...

تفحصت إحدي الروايات ثم سحبتها برفق...

لتقرأ عنوانها بابتسامة عابثة...

-الحب من أول نظرة...

اتسعت ابتسامتها وهي تتذكره...

زياد...



الطبيب الوسيم الحنون الذي لم تره سوي مرة واحدة...

لكنه امتلك أحلامها كلها طيلة الأيام السابقة...

لا تدري لماذا تعلقت به بهذه السرعة...

ربما هو عقلها الباطن...

يهرب بهذا الحلم من واقعها الأليم...

تهرب في عالمها الموازي الذي اصطنعته لنفسها من جراح عالمها الحقيقي...

رحيل آسيا الغامض...

وزواجها الكارثي بعمار!!!!

عمار!!

زفرت بقوة وهي تزيح صورته عن ذهنها قهراً...

لتعود وتتأمل عنوان الكتاب...



سامحة لصورة زياد الباسمة من تملك أحلامها من جديد...

سمعت صوت الباب الخارجي للمكتبة يفتح...

فالتفتت لتشهق في عنف...

إنه هو...

زياد...

هنا؟!!!!!

تقدم نحوها بابتسامة كبيرة وهو يقول بلطف:

_صباح الخير يا آنستي؟! كيف حالك الآن؟!

تلفتت حولها في دهشة...

لا تصدق أنه حقاً هنا!!!

هل هي مصادفة؟!



أم أنه جاء خصيصاً من أجلها هي؟!!!!

لاحظ دهشتها وخجلها فاتسعت ابتسامته وهو يقول :

_دهشتك هذه تعني أنك تذكرينني...كنت أخشي ألا تكوني تفعلين!!

تمالكت نفسها لتقول في ارتباك:

_بالطبع أذكرك...أهلا بك يا دكتور.

تأمل المكان حوله في تفحص...

ثم التفت لها هامساً في إعجاب:

_مكان يليق بكِ...

رفعت إليه عينين متسائلتين فأردف بنفس الإعجاب:

_أنتِ تبدين كأميرة خرجت من كتب الأساطير....!!!!



احمرت وجنتاها بقوة...

إنـها المرة الأولي التي تستمع فيها لغزل كهذا من رجل...

وليس أي رجل...

إنه زياد...!!!!

طيف أحلامها الوردية...

الذي سيطر علي تفكيرها منذ أول لقاء....

ابتعدت عنه عدة خطوات وهي تحاول السيطرة علي انفعالها...

لتقول بصوت خرج رغماً عنها مهزوزاً:

_هل تريد شيئاً محدداً من هنا؟!



اقترب منها خطوة وهو يقول بثقة:

_نعم...أريد شيئاً محدداً...وأتمني لو أحصل عليه....!

أشاحت بوجهها في خجل وقد أنبأها قلبها بما يقصده...

لكنها تصنعت الجهل وهي تسأله:

_أي كتاب تريد؟!

تفحصها بعينين معجبتين وهو يقول بصوته العذب:

_اختاري لي أنتِ.

ثم اقترب منها خطوة أخري..

ليلتقط الكتاب الذي تمسكه بيديها...



ثم يقرأ عنوانه بصوت عال:

_الحب من أول نظرة....

كاد يغشي عليها عند هذه اللحظة...

خاصة عندما رفع عينيه إليها وهو يقول بلهجة ذات مغزي:

_سآخذ هذا.

التقط حافظته من جيبه وهو يستخرج منها ثمن الكتاب...

لكنها قالت في اعتراض قوي:

_لا لا...لن آخذ ثمنه...



وضع لها النقود علي مكتبها متجاهلاً اعتراضها....

وعليها بطاقة كتب عليها اسمه ورقم هاتفه...

ثم التفت لها هامساً:

_سأقرأه وأقول لكِ رأيي فيه...هل تسمحين لي؟!

لم تدرِ متي ولا كيف أشارت له برأسها في موافقة...

لينسحب خارجاً من المحل وهو يودعها بنظرة حارة...

انهارت علي كرسيها وهي تشعر بجسدها كله يرتجف...

هل كان حقاً هنا؟!!!!

هل حادثها هكذا؟!!!

لا لا!!!!



لقد كان حلماً كما اعتادت....

تعلق بصرها ببطاقته التي تركها مع النقود...

التقطتها بأصابعها في حذر...

لترفعها أمام وجهها...

دار رأسها في هيام...

وعطره العالق ببطاقته يداعب أنفها...

ضمتها لصدرها في قوة...

وهي تجرب هذا الإحساس لأول مرة في حياتها...

هل هذا هو الحب؟!!!!

تلك الخفقات المجنونة التي تجعلها تتمنى لو تدور وتدور حول نفسها كفراشة بين الأزهار؟!!!!



هذا الإحساس الثري الذي يغلف روحها برداء من السكينة والفرح...؟!!!

هذا الفضاء الواسع الذي يعدها أن تحلق فيه بلا قيود وبلا نهاية؟!!!!

ضحكت في خجل وهي تضع كفها علي شفتيها....

تتعجب من كل هذه المشاعر التي عصفت بها في لحظة!!!!

أيكون هذا كما يقولون دوماً...

الحب...من أول نظرة؟!!!!!

===

دخلت سيارة بدر إلي المزرعة لتتلفت آسيا حولها في انبهار...

هذه ليست مزرعة...



إنها قلعة حصينة وسط هذا الخلاء...

أسوارها مرتفعة للغاية...

يحيط بها حرس مسلحون ...

ما الذي يدفع زوجين وطفلهما للبقاء منعزلين في هذا الحصن؟!!!

قرأت نغم دهشتها فقالت في هدوء:

_لا تخافي يا آسيا...بدر،يقيم هنا مع سمية وياسين وحدهما...ولابد لهما من حماية مناسبة...

ارتفع حاجباها في حنان ...

وهي تضم الصغير لحضنها بقوة هامسة في عاطفة حارة:

_اسمه ياسين...حبيبي يا ياسين!!



عقد بدر حاجبيه وهو يراقب انفعالها العاطفي عندما علمت باسم طفله...

يبدو أنه صادف اسم شخص عزيز لديها...

فيما استدارت نحوها سمية بجسدها وهي تبتسم في حنان ...

تراقب احتضانها القوي للصغير برضا...

لا تدري لماذا شعرت وقتها أن آسيا هذه سيكون لها شأن معهم!!!

هي لا تعرف ظروفها جيداً...

لكنها تعرف هذا الضياع الذي يملأ عينيها...

هذه الحيرة...

وهذا الشتات!!!!



لقد عاشته يوماً بكل تفاصيله مع ياسين....

قبل أن تمنحهما الأيام جنتهما الصغيرة هذه!!!

آسيا الصغيرة تستفز مشاعر أمومتها...

تود لو تساعدها كما ساعدتها الظروف...

ربما كان هذا معروفها الأخير في هذه الحياة...!!!!

توقفت بهم السيارة أمام المنزل...

الذي بدا وسط المزرعة ككوخ صغير للعاشقين...

تلفتت آسيا حولها وهي تفكر...

لاريب أن جو هذه المزرعة في ضوء النهار سيكون ساحراً...

ترجلت من السيارة وهي تشعر بالخجل...

لم تتصور،يوماً أن تضعها الظروف في هذا الموقف...

هي آسيا النجدي...



حفيدة قاسم النجدي...

بكل ثرائه وسطوته...

تبيت ليلتها كالمتشردين لدي الغرباء!!!!

عاد إحساس الندم يراودها وهي تؤنب نفسها بقوة...

ليتها لم تفعل تلك الفعلة ...

لكنها للأسف...

لن تستطيع التراجع...

لقد مضت في طريق ولن تستطيع العودة منه...

لو عادت الآن الآن لقاسم النجدي...

فسيقتلها بيديه...

ليس لفعلتها عنده عقاب أهون من هذا!!!!



وضعت يدها علي صدرها في ألم...

وهي تتذكر حضن شقيقتيها تلك الليلة التي سبقت رحيلها...

دمعت عيناها وهي تشعر بالاشتياق يجتاحها لعائلتها وبيتها...

لمحت سمية دموعها ومنظرها المتألم...

فتوجهت نحوها تحتضنها بقوة وهي تهمس في أذنها بحنان:

_لا تخافي يا آسيا...أنا هنا شقيقتك...صدقيني ستكونين في أمان معنا...

لا تدري لماذا صدقتها بسهولة هكذا...

لكنها ببساطة سمية!!!!

سمية التي منحتها السماء تلك الهبة...



هالة من السكينة والدفء تحيط بها فتجعل من أمامها يطمئن لها بسهولة...

وكأنه يعرفها منذ ألف عام...!!!!

ابتسمت آسيا بضعف...

فاحتضنت سمية كفها واحتضنت كف نغم بيدها الأخري لتدخل معهما المنزل...

فيما كان بدر،يراقبهن بتفحص...

وعلي وجهه أقصي أمارات الضيق!!!!!

وبعد ساعة...

كان يتقلب علي فراشه كالمحموم...

وجود هاتين الفتاتين هنا يؤرقه...

خاصة تلك الغريبة...

تري...ما الذي خلفها؟!!!



وما سر احتضانها لولده بهذه اللهفة عندما تعرفت علي اسمه؟!!!

ولماذا افترض فيها حسن النية؟!!!

ألأنها فاتنة صغيرة السن؟!!!

ألا يحتمل أن تكون هاربة من مصيبة وتجر قدميه إليها؟!!!

كيف استجاب لسمية وسمح لها بالمبيت هنا دون أن يعرف عنها شيئاً...

هذا قمة الإهمال منه!!!!

لقد بدأ يفقد حذره المعتاد منذ مرض سمية...

وهذا ليس جيداً...

فقد ينكشف سرهما في أي لحظة...

وحينها سيخسر كل شئ...



وسيجد ياسين الصغير نفسه في دوامة لن يستطيع الفكاك منها...

وهو الذي قضي هذه السنوات كلها هنا معزولاً ليحميه من هذا المصير!!!!

شعرت سمية بقلقه فالتفتت إليه وهي تقول برقتها المعهودة:

_لا تقلق يا بدر...قلبي يخبرني أنها فتاة جيدة...أليس هذا ما يقلقك؟!!

التفت نحوها وهو يتنهد قائلاً:

_أنا أخشي أن ينهار كل ما بنيناه طيلة هذه السنوات...

ربتت علي كفه في حنان وهي تهمس:

_لا تخش شيئاً...لن يضيعنا الله أبداً...نحن اخترنا الخير...

لذا أعاننا الله عليه...



قطعت عبارتها وهي تتأوه في قوة...

لقد عاودتها تلك النوبة من الآلام...

انتفض بدر جوارها وهو يهتف في قلق:

_تماسكي يا سمية...سأحضر لك الطبيب حالاً....

عضت علي شفتيها في ألم...

وهي تفكر...

سيستغرق الطبيب وقتاً حتي يأتي...

والألم شديد حقاً هذه المرة...

اشتد ألمها كثيراً فظلت تصرخ بقوة للحظات

ثم سقط رأسها علي الوسادة فاقدة لوعيها...

وربما كان هذا من رحمة السماء بها في هذه اللحظة...!!!



خرج بدر من الغرفة بسرعة ليحضر الطبيب ...

فاصطدم بنغم وآسيا اللتين كانتا واقفتين ينظران إليه في رعب...

فقال بقلق:

_لقد انتابت سمية نوبة الألم المعتادة....لكنها شديدة جداً هذه المرة...سأحضر الطبيب...

اندفعت آسيا نحو الغرفة دون استئذان...

فعاد بدر يدخل وراءها متعجباً...

تفحصتها بسرعة...

عندما انزلق الوشاح من علي رأسها....

فهتفت آسيا بجزع:

_هل هي مصابة بال...؟!



قطعت عبارتها بارتباك لكن بدر فهمها وأومأ برأسه في إيجاب.....

فتماسكت آسيا وهي تلتقط قلماً من علي الكومود المجاور للسرير ...

كتبت شيئاً علي ورقة ثم ناولتها له وهي تقول بسرعة:

_أرسل من يحضر لها هذه الحقنة...وسأراعيها أنا حتي تفيق...

نظر بدر لاسم الحقنة التي كتبتها في تفحص...

إنها نفس الحقنة التي يكتبها لها الطبيب في العادة...

يبدو أن آسيا هذه تعرف ما تفعله!!!!



نادي الخادم بسرعة ليحضر لها الحقنة...

عندما سمع نغم تسألها بدهشة:

_هل أنتِ طبيبة؟!

راقب ردها بعينيه النافذتين...فنقلت آسيا بصرها بينه وبين نغم...

ثم قالت بتردد :

_نعم...أقصد...لا...

حينها ازداد شك بدر فضاقت عيناه وهو يقول بحزم:

_لا وقت لهذا الحديث الآن...

وبعد فترة قصيرة...

كانت سمية نائمة في سلام ...

بعدما أعطتها آسيا الحقنة...

شكرها بدر بفتور....



عندما قالت نغم بإرهاق:

_دعينا ننم الآن يا آسيا طالما اطمأننا عليها...

وقفت آسيا لتسير خلفها نحو غرفتهما عندما هتف بدر بحزم:

_انتظري يا آنسة آسيا....أريد التحدث إليك....

وقفت آسيا مكانها في قلق...

فيما قال بدر لنغم بصوت بدا غاضباً:

_اذهبي أنتِ للنوم ...لا تقلقي...ستلحق بكِ آسيا حالاً....

رمقتها آسيا بنظرة راجية ألا تتركها معه وحدها...

لكن نغم لم تستطع الاعتراض علي أمره...

فتركتهما مرغمة...



التفت نحوها بدر وهو يتفحص ارتباكها بتمعن ثم سألها مباشرة:

_من أنت؟! وما قصتك بالضبط؟!

شعرت آسيا بالخوف من نظراته النافذة...

هذا الرجل يبدو خطيراً...

إنه يذكرها بجدها الذي لم تستطع يوماً الكذب عليه....

فهو يستطيع بنظراته النافذة هذه قراءة ما تخفيه دوماً....

تمالكت خوفها لتقول بصوت خفيض:



_لا يحق لك سؤالي عن أمور خاصة ...إذا كنت تريدني أن أرحل من هنا فسأفعل حالاً...

قالتها وهي تتجه بالفعل نحو باب الغرفة ليستوقفها هتافه الصارم:

_انتظري.

ازدردت ريقها ببطء وهي تقف مكانها دون أن تجرؤ علي النظر إليه....

فاتجه نحوها ليقف قبالتها قائلاً بخشونة:

_أمورك الخاصة هذه قد تجلب لي مصيبة أنا في غني عنها...

رفعت رأسها إليه ليصدمه الخوف الواضح في عينيها....



لكنها قالت في هدوء:

_سأرحل حالاً...لا تقلق...

قاطعها قائلاً في حزم:

_لن ترحلي قبل الصباح...لكنني أريد فقط أن أعرف شيئاً واحداً....

ثم لوح بسبابته هاتفاً:

_هل فعلتِ شيئاً خارجاً عن القانون أو ما شابه؟!!!

اتسعت عيناها ذعراً وهي تقول بسرعة:

_لا لا أبداً....أنا لست كما تظن أنا......

قطعت عبارتها وهي تبكي بعنف....

لم تتصور أن تقف يوماً هذا الموقف!!!!



بهذا الذل...وهذا الهوان!!!!

ما الذي يظنه فيها هذا الرجل...

أنها خارجة عن القانون...

مجرمة...!!!!!!

لكن لماذا تلومه...؟!!!

ما الذي يمكن أن يظنه فيها وقد وجدها شريدة بلا مأوي ولا حتي متاع...

وجدها ملقاة علي قارعة الطريق...!!!

ومن يدري ماذا كان يمكن أن يحدث لها لو لم يتكرم عليها بالمجئ معه....؟!!!!



عقد حاجبيه بشدة وهو يري دموع انكسارها المنهمرة في صمت....

فغمغم في ضيق:

_يمكنك الذهاب لغرفتك...

تركته مهرولة نحو غرفتها...

فعاد لفراش سمية النائمة في سكينة....

أمسك كفها وقبّله وهو يهمس في ألم:

_لا تتركيني يا سمية...أنتِ مصدر قوتي...بكِ واجهت العالم من قبل...ولن أستطيع مواجهته من جديد دونك...

====



عاد ياسين من عمله متأخراً كعادته منذ أيام...

إنه يقتل وقته في العمل قبل أن يقتله همه...

لم يعد يطيق هذا البيت...

ولولا رقية الحنون التي تشمله بعطفها ورعايتها لما احتمل البقاء فيه....!!

دخل صالة المنزل بهدوء حذر...

ليجدها نائمة علي الأريكة...

اتجه نحوها وهو يتأملها في حنان...

لابد أنها نامت وهي تنتظره...

هذه الرائعة التي احتملت الكثير منذ دخلت هذا المنزل...

لكنها صبرت وتحملت دون شكوي...



لا يدري إلي الآن لماذا تفعل ذلك...

أي واحدة مكانها كانت ستتركه عائدة لبيت أهلها دون مناقشة...

لكنها تحتمله بصبر...

وتسمع شكواه وهموم قلبه بعد رحيل آسيا بتفهم لا يصدقه...

بل إنها تمدحه دوماً أمام عائلتيهما بشكل يثير خجله...

هو الذي لم يستطع حتي الآن مكافأتها أو تعويضها عن كل ما تسبب لها به....!!!!

جثا علي ركبتيه أمامها...

يتأمل ملامحها النائمة...

إنها حقاً فاتنة...



قليلات من النساء قد حظين بجمال الوجه والروح معاً...

ورقية كانت منهن....!!!!

مد كفه ببطء يتحسس وجنتها...

ففتحت عينيها...

التقت عيناهما للحظات...

خفق فيها قلبه بقوة...

شعر عندها بتأثيرها عليه...

تأثير قوي مسيطر ....تماماً مثلها!!!



انتفضت من مكانها وهي تقول بارتباك:

_عفواً لقد غلبني النوم هنا....

قام واقفاً ليمد لها كفه هامساً:

_قومي لتنامي في غرفتك...

تجاهلت كفه الممدود وهي تقوم من مكانها...

لتقف قبالته...

لم يستطع رفع عينيه عنها...

وهو يشعر بها شعوراً مختلفاً هذه المرة...

شعور رجل بامرأة!!!

بينما أربكها حصار نظراته التي لم تعتدها...

فهمست في توتر:

_لماذا تنظر إلي هكذا؟!



رفع وجهها بأنامله وهو يقول بحنان:

_وهل يمكن ألا أنظر إليك وأنت بهذا الجمال؟!!

أشاحت بوجهها عنه...

وهي تقول بجدية تخفي بها اشتعال جوارحها الآن:

_لا أحب هذه الكلمات...

ابتسم قائلاً:

_لا تحبين الكلمات نفسها؟! أم لا تحبينها مني؟!

تهربت من إجابة السؤال وهي تقول بهدوئها المعتاد:

_كنت أريد أن أستأذنك في شئ...

أحاط وجهها بكفيه وهو يقول بحنانه الذي يدمر كل حصونها:



_أنتِ تأمرين يا سيدتي...

احمرت وجنتاها في خجل...

لكنها ناقضت ذلك بقولها في قوة:

_كنت أريد قضاء بضعة أيام في بيت أبي؟!

عقد حاجبيه في ضيق مس قلبها وهو يهمس:

_لماذا يا رقية؟! هل ضايقك أحد؟!

همست في هدوء وهي تتمنى لو يفك حصار كفيه عن وجهها والذي يشعرها بكل هذا الضعف:

_لا...لكنني أشعر بالملل...أنت تختفي في عملك طوال اليوم...وأنا لا أغادر الشقة حتي لا تراني السيدة فريدة فأنكأ جرحها...



هز رأسه في تفهم ...

فهمست في صوت خفيض:

_بضعة أيام فقط ...

وجد نفسه دون وعي يقترب بوجهه من وجهها الذي يحيطه بكفيه وهو يهمس:

_ولا يوم واحد!

خفق قلبها بعنف وهي تشعر به يقترب بشفتيه من شفتيها.....

فارتدت برأسها للخلف وهي تضع كفها علي شفتيه بسرعة هاتفة في حدة:

_رقية الهاشمي لا يمسها رجل لا يحبها....حتي لو كان زوجها!



تطلع إليها مصدوماً للحظات...

لا يصدق أنه كاد يقبلها...!!!

ولا يصدق أنها رفضت...!!!

كيف ضعف أمامها هكذا...؟!!

وكيف صدته هي بهذا التحفز...؟!!!

أفاق من صدمته بعد لحظات...

ليطرق برأسه هامساً:

_أنا آسف يا رقية.

أشاحت بوجهها عنه...

فقال في حزم:

_أعدكِ ألا يتكرر هذا.



رمقته بنظرة عاتبة...فابتسم قائلاً:

_أنتِ علي حق...رقية الهاشمي تستحق بجدارة ألا يمسها سوي رجل يحبها...وبجنون أيضاً...!!!

تنهدت في حرارة وهي تتجه نحو غرفتها...

فاستوقفها هاتفاً:

_أعدي حقيبتك...سنسافر معاً لبضعة أيام...أنا أعتذر لأنني لم أقدر وحدتك طيلة الأيام السابقة ....اعذريني..

التفتت نحوه بعينين مليئتين بكلام لم يفهمه....!!!!

لازالت رقية الهاشمي لغزاً بالنسبة إليه...

وجوهها العديدة تربكه...



من كان يري وجهها العطوف المتفهم بعد أزمة رحيل آسيا...

لا يصدق وجهها الذي صدمه بصلابة ردها منذ قليل...!!!

لكنه يريد بشدة اختراق حصونها المنيعة التي تقف بينهما....

يريد أن يفهم وجوهها كلها...

أن يفك طلاسم شخصها الذي يثير انبهاره وحيرته...

رقية الهاشمي...

امرأة...ليست كباقي النساء!!



الفصل السادس

عاد حذيفة إلي شقة راجية قرب الفجر...

كان قد أخبرها أنه سيبيت ليلته بالخارج...

لكن الفتاة التي كان سيواعدها أصيبت بتعب مفاجئ فتخلفت عن الحضور...

فتح باب الشقة ببطء كي لا يوقظ راجية التي ستكون نائمة حتماً في ذلك الوقت...

لكنه دهش عندما وجد نور غرفتها مفتوحاً...!!!!

تسحب ببطء وهو يسمع صوت ساري معها بالداخل...

اختبأ خلف الجدار وهو يمد عنقه ليقع بصره عليها....



اتسعت عيناه في دهشة...

وهو يراها ترتدي ثوباً منزليا ورديا قصيراً وترفع شعرها الطويل علي هيئة ذيل الحصان فيتدلي علي أحد كتفيها...

كانت تحتضن والدته في حنان وتربت علي رأسها...

في صورة نابضة بالأنوثة والرقة!!!

مط شفتيه وهو يقول في نفسه...

لا بأس بها!

يبدو أن هذه المسترجلة يمكن أن تتحول لأنثي حقيقية متي شاءت!!

عاد يختبئ خلف الجدار وهو يسمعها تقول لوالدته:

_حمداً لله علي سلامتك يا عمتي...



لقد كدت أجن عندما طرقتِ علي الباب ثم سقطتِ أمامي....

عقد حاجبيه في ضيق...

اذن فقد أصيبت والدته بنوبة السكر المعتادة وهي وحدها...

واستعانت بها...

وهذا سبب وجودها هنا الآن!!

سمع صوت والدته تقول بضعف:

_أبقاكِ الله لي يا ساري...اعذريني لو كنت أثقلت عليكِ لكن عمار وياسين مسافران حالياً وحذيفة سيبيت ليلته بالخارج كما أخبرتك...



ابتسم بخبث وهو يفكر...

لهذا تنام هكذا في أريحية مع والدته دون تحفظها المعهود...

ومظهرها المسترجل الذي تحافظ عليه دوماً...

فكر بمكر لو يفاجئها الآن بوجوده ليري ردة فعلها...!!!!

لكنه تراجع...

والدته مريضة...

ولا مجال لهذا العبث!!!

وصله صوت راجية تقول بحنان:

_أنا أحمد الله علي أنك ستكونين زوجة لحذيفة...جوري لا تحب عمار...أنا أشعر بهذا للأسف...لكنك تحبين حذيفة...لهذا سيكون سعيداً معك...



لم يستطع مقاومة فضوله ليري ردة فعلها...

مد رقبته بحذر...

ليراها مطرقة برأسها طويلاً دون أن ترد...

عقد حاجبيه في ضيق...

عندما قالت راجية بقلق:

_ألا تحبين حذيفة يا بنتي؟!

تنهدت في حرارة وهي تقول:

_لا يهم إن كنت أحبه أو أكرهه...كلمة جدي لن ترد!

ابتسمت راجية وهي تقول في حنان:

_أنا أراكِ كثيراً تختلين بنفسك علي سطح المنزل تحتضنين دميته التي أهداها لكِ منذ كنتِ صغيرة...أنا أذكرها جيداً لأنني اشتريتها معه...أنا أعرف أنك تحبينه يابنتي...



عادت ساري تتنهد في حرارة وهي تقول بحزن واضح:

_ليتنا بقينا صغاراً...فأرضي منه بمجرد دمية!!

نفذت عبارتها لقلبه كسهم مسموم...!!!!!

لقد تذكر تلك الدمية التي أهداها لها في صغرهما عندما صفعها صفعة قوية فجرح شفتيها...

لازال يذكر أنها تماسكت يومها فلم ترد له ضربته ولم تشتكِ لأحد...

لكنها تحاشت الكلام معه نهائياً...

حتي ذهب مع راجية واشتري لها هذه الدمية ليصالحها بها....!!!



ابتسم في حنين...

وهو يذكر سعادتها بدميته...

هل من المعقول أنها تحتفظ بها حتي الآن؟!!!

وتختلي بها علي السطح أيضاً؟!!!

هل يعني هذا أنها تحبه؟!!!!

لماذا تنكر هذه الحمقاء اذن؟!!

ولماذا تجعل الأمر يبدو وكأنها مجبرة علي هذه الزيجة؟!

قطعت أفكاره عندما أتاه صوت راجية تقول بحزن:

_أنا أعرف أن حذيفة يبدو عابثاً لكن له قلب طيب...



ردت ساري بيأس:

_أعرف يا عمتي...لكن ماذا يفيد القلب الطيب طالما كان مغروساً في الوحل...

عقد حاجبيه في ضيق ...

وهو يسمع رأيها هذا فيه...

خاصة عندما أردفت راجية بأمل:

_يمكنك تغييره يابنتي...

عاد يمد رقبته ليري ردة فعلها عندما ابتسمت في سخرية لتقول بمرارة:

_أخشي أن يغيرني هو للأسوأ...أخشي أن أضيع معه...



اكتفي بهذا القدر مما سمع...

وهو يعود أدراجه إلي باب الشقة...

خرج منها بحذر كما دخلها...

وأغلق الباب خلفه في خفوت...

نزل درجات السلم شارداً...

لم يكن يتوقع هذه المفاجأة الليلة...

لقد جعلته كلمات ساري التي قالتها ببساطة ومرارة يعرف قدر نفسه جيداً...

مجرد فقاعة تماماً كما قالت...!!!!

لكن عناده عاد يسيطر علي أفكاره وهو يقول في نفسه...

هذا أنا ولن أتغير...

فلتحبني كما أنا...



أو لتضرب رأسها في الحائط...!!!

لن أتغير...!!

لن أتغير...!!

====

_كيف حالك يا عزيزتي؟!

هتف بها حمزة في حنان وهو يلمحها مقبلة عليه في مكتبه في المشفي....

فاندفعت نحوه تقول بلهفة طاغية:

_حمزة أين كنت؟

تنهد قائلاً:

_كنت أحتاج لإجازة طويلة...أعصابي كانت مرهقة....



نظرت إليه بحنان وهي تقول:

_أتمني لو تعتبرني صديقتك...لو تصارحني بما يضايقك...

تجاهل عبارتها مرغماً....

ثم سألها بمرح:

_هل كنتِ تذاكرين دروسكِ في غيابي؟!

أدركت أنه يتهرب من عبارتها فأطرقت برأسها وهي تهمس في حزن:

_لم أتمكن من فعل أي شئ في غيابك يا حمزة...لقد اعتدت وجودك وعندما غبت فجأة هكذا شعرت بفراغ كبير...

تأملها للحظات وهو يزن كلماتها التي أحس صدقها...



ما الذي تعنيه مارية بكلماتها هذه؟!

هل تعتبره مجرد صديق؟!

أم أن الأمور لديها تطورت لأكثر من هذا؟!!!

بقدر ما يشتاق لمعرفة مكانه الحقيقي في قلبها...

بقدر ما يخشي عواقب هذا!!!

رغم أنه يشعر بميل قلبه نحوها...

لكن مارية بوضعها الحالي لا تناسب مقاييس الزوجة التي طالما حلم بها!!!

تنهد في حرارة وهو يقول بلهجة محايدة:

_يمكننا اذن العودة للدروس من اليوم...حتي تدركي ما فاتكِ...



نظرت إليه نظرة طويلة...

حملت له كل مشاعرها نحوه...

مشاعرها البكر النقية التي لم تحملها يوماً لرجل غيره...

وتتمني لو يبادلها مثلها وأكثر!!!

دخل الدكتور آدم في هذه اللحظة ليراقب النظرات المتبادلة بينهما...

ترقبهما لحظة بحذر ثم همس بخفوت:

_مارية ...ماذا تفعلين هنا؟!

انتفضت مارية من شرود أفكارها وتعلق نظراتها به لتلتفت نحو والدها هاتفة في ارتباك:

_كنت أسأل حمزة عن شئ...



هز والدها رأسه ثم قال بحزم:

_يريدونك في قسم الأطفال...حالة طارئة!

غادرت الغرفة بسرعة وهي تشعر بالارتباك من نظرات والدها المتفحصة...

فيما جلس الدكتور آدم قبالة حمزة علي مكتبه وهو يسأله مباشرة:

_ما هي حدود علاقتك بمارية يا حمزة؟!

ابتسم حمزة وهو يقول بمواربة:

_مارية تعتبرني صديقاً لها...وأنا أعطيها دروساً في اللغة العربية والقرآن...

هز دكتور آدم رأسه ثم قال بلهجة ذات مغزي:

_هي تعتبرك صديقها...وأنت ماذا تعتبرها؟!

أطرق حمزة برأسه للحظات ثم رفعه ليقول بهدوء:



_مارية عزيزة جداً لدي...لكنني لا أجد لشعوري بها مسمي...

ابتسم دكتور آدم في إعجاب وهو يقول بارتياح:

_لو قلت غير ذلك...لما صدقتك...لكن قولك هذا جعلني أثق بك أكثر...

رمقه حمزة بنظرة متسائلة ...

فأردف في شرود:

_لا تنس أن وضعك الآن يشبه وضعي كثيراً عندما جئت إلي هنا لأول مرة...لهذا أفهمك جيداً...تماماً كما أفهم ابنتي...مارية مبهورة بعالمك الجديد الذي يختلف عن عالمها والذي عجزت أنا للأسف عن إشعارها بالانتماء إليه بسبب انشغالي...



طرق علي المكتب بأصابعه وهو يكمل:

_مارية حرمت حنان والدتها التي توفيت وهي صغيرة...لتجد نفسها نصف عربية ...نصف انجليزية...أنا أحرص علي الذهاب بها لأعمامها في مصر كي تختلط بهم ولا تنسي هويتها...لكن رحلاتنا هناك تزيد شتاتها...هي مرتبطة بأصدقائها هنا بطبيعة الحال وقد كان هذا يمنحني تصوراً عن اختيارها للعالم الذي تريد الانتماء إليه حقا...لكن ظهورك في حياتها الآن يغير كل هذا...لا أدري حقاً إن كانت مارية ستختار أن تكون عربية أم تكمل طريقها الذي بدأته هنا...

عقد حمزة حاجبيه وهو يقول بضيق:

_لا أظنني بهذا التأثير القوي عليها...



ابتسم دكتور آدم وهو،يقول بحنان:

_بل أنت كذلك...مارية ابتعدت كثيراً عن أصدقائها هنا منذ ظهرت أنت...وأنا ألاحظ اهتمامها الشديد بك...لكنك أنت الذي لا تريد هذه العلاقة ...أليس كذلك؟!

أطرق حمزة في حرج فأردف دكتور آدم في حكمة:

_أنا أعرف عن أصولك الصعيدية يا حمزة...أعرف أن مارية ليست الصورة التي يمكنك الارتباط بها...لهذا احترمت صدقك معي عندما قلت أن مشاعرك نحوها بلا مسمي...

نظر إليه حمزة بحيرة وهو لا يعرف مغزي هذا الحوار....

ما الذي يريده دكتور آدم منه بالضبط...



قام دكتور آدم من مكانه وهو يقول بحزم:

_كل ما أرجوه منك ألا تؤذها يا حمزة...أنا أثق بك وأعرف أنك تستحق ثقتي هذه...

قام حمزة بدوره وهو يقول بصدق:

_اطمئن يا دكتور آدم...

نظر إليه دكتور آدم نظرة طويلة...

يود لو يطلب منه بنفسه أن يتزوج ابنته...

حمزة هو الرجل الوحيد الذي يراه لائقاً بها...

هو الوحيد القادر علي لمّ شتات روحها المبعثرة بين عالمين متناقضين...

لكن المشكلة في مارية نفسها...

يجب أن تأخذ هي هذا القرار وحدها دون أي تدخل...



وهو يشعر أنها في طريقها لهذا...

ابتسم في أبوة خالصة وهو يصافح حمزة هاتفاً في حميمية:

_أنا أثق بك!

====

جلس بدر علي كرسيه في المزرعة يراقب غروب الشمس...

لقد كان هذا اليوم حافلاً...

عالمه الصغير الذي اختلي فيه بمحبوبته بعيداً عن الناس يوشك علي الانهيار...

سمية الحبيبة قد يختطفها الموت في أي لحظة...

وهاتان الغريبتان اللتان دخلا بينهما فجأة...

خاصة آسيا هذه...!!!!



زفر في ضيق وهو يتذكر إصرار سمية علي بقائها معهم...

بل إنها عرضت عليها أن تعمل هنا كمعلمة للصغير ...

هذا طبعاً بعدما اطمأنت لاعتنائها بها في مرضها...!!

هي تدعي أنها مجرد ممرضة...!

لكنه يعلم أنها تكذب...

هيئتها وثيابها توحي بثراء كبير...

بل إن ساعة يدها وحدها تساوي ثروة...

هو يعرف ذلك جيداً لأنه أهدي سمية واحدة مثلها العام الماضي...

فما سرها هذه الفتاة الغريبة؟!!



وهل ستوافق علي العمل معهم؟!

_سيد بدر!

التفت ليجدها خلفه مباشرة...

أشار لها بالجلوس جواره هاتفاً في تهذيب:

_تفضلي يا آنستي.

جلست آسيا جواره وهي تقول في تردد:

_السيدة سمية عرضت علي العمل هنا...

نظر إليها بتفحص وهو يقول بحذر:

_وما رأيك؟!

أطرقت برأسها وهي تقول في خجل:

_أنت ما رأيك؟!



أشاح بوجهه عنها وهو،يتنهد في حرارة...

فأردفت قائلة بتوتر لم يخف علي عينيه الخبيرتين:

_أنت لا ترحب بوجودي هنا...لهذا جئت أخبرك أني سأرحل...

صمت لحظات قبل أن يقول بحذر:

_هل عدم ترحيبي،بوجودك هو فقط ما يدفعك للرحيل؟!

تلفتت حولها في ارتباك وهي تقول بحيرة حقيقية:

_لا أعرف...أنا حقيقة لا أعرف!!

هز رأسه بلا معني....

هذه الفتاة ضائعة ...

خجلها وتوترها وحيرتها ....

كل هذا يوحي له بأنها فتاة من أصل طيب لكنها في ورطة...



ابتسم في هدوء ثم قال برفق:

_صدقيني أنا أريد مساعدتك...ولا أظن بكِ سوءاً...لكنني لا أحب المفاجآت خاصة مع مرض سمية الذي يستنزف مشاعري كلها...

أومأت برأسها في تفهم وهي تقول بصدق:

_سأخبرك بحقيقة وضعي يا سيد بدر...لكن أرجوك أن تحافظ علي سري...لا أريد أن يعرف عنه أحد سواك.

هز رأسه في موافقة ...

فأردفت بشرود:

_أنا حديثة التخرج في كلية الطب أعيش في مدينة(.......)....عائلتي شديدة الثراء والشهرة في مدينتنا...لكن جدي أصر علي تزويجي بابن عمي قسراً فهربت ...هذا تقريباً ملخص قصتي...



أطرق بدر برأسه وهو يفكر...

لم تخطئ سمية حين أدركت بحدسها أن قصة آسيا تشبه قصتها...

لكن سمية هربت معه إلي هنا...

هو كان سندها وأمانها...

فمن لآسيا هذه؟!!!

من سيحافظ علي فتاة مثلها وسط هذا العالم القاسي؟!!

لقد اختارت لها الأقدار هذه الحصن الذي بناه له ولحبيبته بعيداً...

وكأنها تقصد حمايتها هي بالذات...!!!

وهو من هذه اللحظة لن يتخلي عنها...



إنه يري فيها صورة سمية منذ سنوات طويلة...

حين وقفت في وجه الجميع لتعلن اختيارها له وحده...

صحيح أنها دفعت ثمن ذلك غالياً...

لكن يشهد الله أنه حاول تعويضها بكل ما يستطيع طيلة هذه السنوات...

ولو استطاع أن يمنحها عمره كله لما تردد...!!!!

طال صمته فأساءت آسيا فهمه لتقف قائلة:

_يبدو أن حديثي ضايقك!

رفع رأسه إليها وهو يقول بابتسامة حنون:

_اعتبريني شقيقك الأكبر منذ هذه اللحظة يا آسيا...لن يصيبك أذي مادمت بيننا...ولن ترحلي إلا إذا رغبتِ أنتِ في ذلك...



ابتسمت في ارتياح وهي تقول بامتنان:

_أشكرك يا سيد بدر...

قالتها وهي تشعر أخيراً بالطمأنينة...

هذا المكان مثالي للاختباء بعيداً عن قاسم النجدي وعيونه...

ستبقي هنا لبعض الوقت حتي تهدأ الأمور...

وبعدها يمكنها الرحيل لتبدأ حياتها من جديد في أي مكان تختاره....

ابتسم بدر بدوره وهو يري ابتسامتها وارتياح ملامحها...

غافلاً عن هاتين العينين اللتين كانتا تراقبانهما من خلف النافذة...

لقد كانت نغم!!



نغم التي ظنت سوءاً عندما رأت اختلاءهما ببعضهما هذا ...

والابتسامة التي ارتسمت بوضوح علي وجهيهما...

لتشعر بغضب شديد يتملكها...

هذه الغريبة قد تسرق بدر من سمية...

هذه الغريبة ستحطم تمثال الحب الذي ظل أمام ناظريها طوال هذه السنوات...

لكنها لن تسمح لها بذلك...

ستحرص علي أن تحبط مخططها...

سمية الحبيبة لا ينقصها جرح جديد...

كفاها ألم المرض الذي هدها هداً...

ستبقي معهم هنا حتي لا تسمح لتلك الغريبة بالتمادي...



هذا ما استقرت عليه وهي تغلق النافذة بسرعة...

لتتجه نحو غرفة سمية!!

====

دخلت رقية بتردد إلي الشاليه الذي سيقضيان فيه إجازتهما هي وياسين...

لقد كان موقعه خرافياً...

يطل مباشرة علي الساحل لكنه منعزل عما حوله...

ابتسمت في سخرية مريرة وهي تفكر...

كم يبدو مثالياً لزوجين في (شهر العسل) ...

لكن...

ليس لهما بالتأكيد!!!

أمسك ياسين كفها ببساطة وهو يريها المكان كاملاً...



حتي وصل بها إلي غرفة النوم ليضع الحقائب هناك...

تلفتت حولها في ارتباك ثم قالت بهدوء مصطنع:

_هذه الغرفة لا تحوي سوي سرير واحد ....أين سأنام أنا؟!

تنحنح في حرج وهو يقول :

_للأسف هذا صحيح...

رفعت رأسها في كبرياء وهي تقول:

_حسناً...سأنام علي الأريكة بالخارج.

تقدم منها بضع خطوات ليقول بحزم:

_لا!

عقدت حاجبيها بشدة فتنهد قائلاً:

_لا تكوني عنيدة يا رقية...الجو بارد هذه الأيام...لن ينام أحدنا علي الأريكة ...



فتحت فمها لتعترض لكنه أردف بحزم أخرسها:

_لن أمسّكِ يا رقية دون رضاكِ...لقد أعطيتك كلمتي في هذا الشأن...لكن دعينا نعيش حياتنا بصورة شبه طبيعية...بدلاً من تشددك هذا...

أطرقت برأسها فسألها بحدة :

_ألا تثقين بي يا رقية بعد كل هذا؟!

همست في تردد يمتزج بخجل:

_الأمر لا علاقة له بالثقة...أنا فقط...

قطعت عبارتها التي لم تستطع إكمالها...

فساد الصمت بينهما لحظات....

قبل أن يبتسم بحنان وهو يقول برفق:



_أكثر ما يعجبني فيكِ أنكِ تفهمينني جيداً...

رمقته بنظرة متسائلة فأردف في إعجاب واضح:

_لا تسيئين استغلال حناني معك...تتوقفين عند الحدود التي أضعها...كثيرات من النساء يخطئن تأويل حِلم الرجل...يعتبرونه ضعفاً...لكنكِ لستِ كذلك...

ابتسمت في رقة وهي تقول بشرود:

_لأن أبي مثلك...شديد الحنان معنا لكن كلمته كالسيف لا ترد...طالما تمنيت أن أتزوج رجلاً مثله...

ضحك ضحكة قصيرة وهو يقول في حنان:

_ليتكِ تكونين محظوظة بي كما أنا محظوظ بكِ!!



أشاحت بوجهها في خجل...

ثم ابتعدت عنه بضع خطوات وهي تفتح الحقائب لترتب الملابس في الخزانة...

اتجه نحوها يساعدها ببساطة

وهما يتبادلان التعليقات المرحة..

حتي انتهيا....

تمدد ياسين علي السرير في إرهاق...

وهو يقول في تعب:

_لقد أرهقني السفر جداً...

ثم التفت إليها هامساً بحنانه المعهود:

_لا ريب أنكِ أيضاً متعبة...

هزت رأسها نفياً وهي تهمس في اعتراض خفيض:

_لا...أنا بخير.



اتسعت ابتسامته الحنون وهو يمد لها كفه هامساً:

_تعالي يا رقية...

جلست جواره علي طرف السرير مطرقة برأسها فهمس بصدق :

_لقد وعدتكِ ألا أفعل إلا ما يرضيكِ...فلا تخافي...

أومأت برأسها إيجاباً وهي تبتسم ...

فابتسم بدوره وهو يشعر نحوها بمزيج من مشاعر مختلفة...

هو شديد الإعجاب بها حقاً...

روحها الفريدة ترفعها لمصافّ الملكات....

تعرف جيداً كيف تمزج قوتها بخضوعها في مزيج متجانس...

لتمنحه سعادة حقيقية بقربها...



سعادة لا يعرف لها سبباً...

لكنه أدمنها...

تماماً كما أدمن وجودها حوله كالهواء!!!

وجواره كانت رقية تكاد تذوب خجلاً...

رغم ما تدعيه أمامه من صلابة...

لكن كل يوم يمر لها معه...

تشعر أنها لم تخطئ عندما اختارته هو من بين كل من تقدموا إليها....

ياسين النجدي رجل رائع...

لم يكن ذنبه كما لم يكن ذنبها أنها التقته في الوقت الخطأ...

لكن من يدري...



ربما يجئ اليوم الذي يحبها فيه كما تحبه...

بل أكثر!!!

رقية الهاشمي لن تقبل بأقل من عشق مجنون...

وغرام يحملها فوق غمام السماء...

لهذا ستصبر عليه مهما طال الوقت...

فقلبها يخبرها أن صبرها ستجني ثماره بأروع مما تتمني...

وليت قلبها يصدق هذه المرة!!!

====

ظلت تترقب باب المكتبة في قلق يمتزج باللهفة...

زياد لم يتوقف عن زيارتها في المكتبة منذ ذلك اليوم الذي منحته فيه الكتاب...



يأتيها كل يوم في نفس الموعد تقريباً ليقضي معها بضع دقائق...

لكنها تساوي يومها كله...

يناقشها في أمور عديدة...

فيشعرها بقيمة عقلها واحترامه لها....

لم تكن تصدق أن هناك رجلاً يجمع كل ما حلمت به مثله...

حنانه...

رقته...

تفهمه...

عقله...

وأخيراً....وسامته!!!



تنهدت في حرارة وهي تفكر....

ماذا لو كان من حقها أن تختار شريكها بنفسها....

ساعتها كانت ستختاره هو دون تردد!!!

لا تدري كيف تعلقت به بسرعة هكذا...

ليصير فجأة وكأنه الرجل الذي كانت تحلم به عمرها كله!!!!

زفرت في ضيق وهي تتذكر أن عمار سيعود اليوم من سفره...!!!

لقد كانت سعيدة جداً في غيابه طيلة الأيام السابقة...

كيف لا؟!!!

ووجوده حولها كالحجر الثقيل علي صدرها...!!!!



نفضت رأسها بقوة وكأنها تطرده من أفكارها عندما فتح باب المكتبة...

ليدخل زياد بوجهه الوسيم الباسم في حنان...

ابتسمت في سعادة حقيقية وقلبها يخفق في جنون...

تقدم نحوها ليقول بود ظاهر:

_كيف حالك اليوم يا جويرية؟!

همست بخجل:

_بخير حال...كيف حالك أنت؟!

صمت لحظات قبل أن يقول مباشرة دون مقدمات:

_أنا أريد مقابلة جدك يا جويرية...

اتسعت عيناها في ارتياع وهي تقول في خوف:

_جدي؟! لماذا؟!

نظر لعينيها لحظات ثم همس بصوته الرخيم:

_ألا تعلمين لماذا؟!



شلتها الصدمة للحظات...

قبل أن يقول بحب لم يستطع إخفاءه:

_أريد التقدم لخطبتك...

انهارت جالسة علي كرسيها وهي تبكي في عنف...

لقد انهار حلمها سريعاً...

بأسرع مما توقعت...

لماذا تقدم بطلبه هذا الآن؟!!!

لماذا لم يتركها غارقة في خيالها ...

في عالمها الوردي ...؟!!!

حيث لا أحد سواهما معاً؟!!!

لماذا أيقظها علي صدمة الحقيقة التي تحاول تناسيها؟!!!

لماذا؟!!!



عقد حاجبيه بشدة وهو يري انهيارها هذا أمامه فهتف بجزع:

_ماذا بك يا جويرية؟! هل أزعجكِ طلبي إلي هذه الدرجة؟!!!

رفعت عينيها إليه تحدثه دون كلام...

أزعجني؟!!!

لا...

لقد هدم قصر أحلامي علي رأسي...!!!!

عجّل بالنهاية التي تمنيت لو لم تأتِ أبداً...!!!!

سحب كرسياً ليجلس جوارها هامساً في قلق:

_ما الأمر يا جويرية...أخبريني أرجوكِ.



همست في انهيار وسط انتفاضة جسدها المرتعش:

_أنا...أنا شبه مخطوبة لابن عمي؟!

اتسعت عيناه في صدمة...

وهو يتذكر ذاك الرجل الغليظ الذي كان ضائقاً بوجوده يوم ذهب إليها في منزلها...

عمار...

نعم...إنه يذكر اسمه جيداً....

سألها وهو يكز علي أسنانه :

_هل هو عمار؟!!!

أومأت برأسها إيجاباً ....

فهتف في استنكار:

_ولماذا لم تخبريني من البداية أنكِ مخطوبة؟!!! أنتِ حتي لا ترتدين خاتم الخطبة كما اتفق!!!!



ازداد نحيبها فشعر أن في الأمر شيئاً ما مريباً...

تنهد في حيرة وهو يهتف في حنان:

_اهدئي يا جويرية....قد يدخل أحد الزبائن المحل ويراكِ هكذا...

مسحت دموعها بسرعة...

وهي تنتبه لموقفهما...

ثم همست في أسف بصوت متقطع:

_أنا آسفة يا دكتور زياد...

تفحص ملامحها بأسف واضح...

ثم قال في إصرار:

_أخبريني عن حقيقة الوضع ...أنتِ لا تبدين راضية عن هذه الزيجة...

همست في سخرية مريرة:



_ومن يهمه رضايَ؟! جدي قال كلمته وانتهي الأمر...

ارتفع حاجباه في إدراك وهو يستوعب الحقيقة...

هكذا الأمر اذن...

القصة التقليدية...

أن تتزوج الفتاة من ابن عمها حتي دون رضاها ...

لكن ...

ألا زال أحد يفكر بهذه الطريقة في هذا العصر؟!

ألا زال أحد يتجاهل رأي المرأة في زوجها...؟!

قام واقفاً وهو يقول في حزم:

_لن أسكت علي هذا الأمر....سألتقي بجدك وأطلبك منه رسمياً....

هتفت في جزع:



_لا...إياك أن تفعلها...أنت لا تعرف جدي ...وعمار قد يقتلك ويقتلني معك...

عقد حاجبيه هاتفاً:

_أين نعيش هنا؟!!!

هزت رأسها في يأس وهي تقول:

_انس الأمر يا زياد...ليس بيدنا شئ...

سألها مباشرة دون مواربة:

_هل ترينني زوجاً مناسباً لكِ؟!

أطرقت برأسها دون أن تجيب...

فهمس في استجداء:

_أجيبيني يا جويرية أرجوكِ!

أومأت برأسها إيجاباً ثم همست في حزم غريب علي ضعفها الذي تشعر به:



_لا تعد هنا أرجوك يا زياد...أنا أجبتك عن سؤالك بصدق...لكن هذا لا يعني شيئاً...لستُ لك..ولن أكون...

رمقها بنظرة عاتبة....

ثم أعطاها ظهره...

ليغادر المكان بخطوات سريعة...

لقد رحل زياد...!!!

الحلم القصير الذي لم تستمتع به سوي بضعة أيام...

رحل وتركها لمصيرها مع عمار البغيض...

لكن...

بقيت لها فرصة أخيرة...



ستفعل الشئ الذي طالما جبنت عن فعله...

لكنها ستتحلي بالشجاعة هذه المرة...

مالذي يمكن أن يحدث لها أسوأ من الزواج بعمار هذا!!!!

ستنفذ ما عزمت عليه...

هذه الليلة!!!!

====

توجهت نغم نحو غرفة سمية...

فتحت الباب برفق...

لتجد سمية جالسة علي الأرض تقرأ القرآن في مصحفها...

تأملتها بحنان...

ثم جلست جوارها تقول بعاطفة:

_تقبل الله!



ابتسمت سمية بسكينتها المعهودة وهي تقول:

_منا ومنكم يا حبيبتي...

تنحنحت نغم في حرج وهي تقول في ارتباك:

_تلك الفتاة آسيا...لقد علمت أنكِ تريدين منها العمل هنا كمعلمة لياسين....لا تثقي بها كثيراً....

عقدت سمية حاجبيها وهي تقول بقلق:

_لماذا ؟! هل رأيتِ منها شيئاً؟!

هتفت نغم باندفاع:

_نعم...رأيتها تختلي ببدر في المزرعة وكانا يتضاحكان...

اتسعت عينا سمية في ارتياع...

بدر وآسيا....

لا...

ولماذا لا؟!!!



آسيا تبدو فتاة طيبة ومنذ جاءت هنا وهي تهتم بياسين اهتماماً غير عادي...

ربما تكون نغم هي الأفضل لخطتها...

لكن يبدو أن بدر قد اختار...

بدر اختار؟!!!!!

دمعت عيناها بقوة وهذه الفكرة المسمومة تملأ رأسها...

فهتفت نغم في أسف:

_سامحيني يا سمية...لم أشأ أن أضايقكِ...لكنني لم أرتح لوجودهما سوياً....

تمالكت نفسها وهي تربت علي كف نغم هامسة:

_لا عليكِ يا حبيبتي...فقط دعيني وحدي الآن....



رمقتها نغم بنظرة مشفقة...

وهي تندم ألف مرة علي مصارحتها لها بما حدث...

لم تحسب حساباً لغيرتها وحزنها...

كل ما جال بخاطرها وقتها أن تحافظ علي زوجها من تلك الدخيلة....

قامت نغم ببطء...

لتغادر الغرفة بخطوات متثاقلة....

قامت سمية هي الأخري...

لتفتح النافذة وتأخذ نفساً عميقاً...

هل أتي هذا اليوم الذي تغار فيه علي بدر من أي امرأة...

وهو الذي كان ملكية خاصة لها طيلة هذه السنوات....



استغفرت الله سراً وهي تفكر...

ربما كان هذا من رحمة الله به...

أن يعوضه علي صبره عليها وعلي مرضها خيراً...

ربما كانت نغم هي البديل الذي اختارته هي....

لكن يبدو أن القدر قد يختار آسيا هذه....!!!!

دخل بدر الغرفة...

ليتجه نحوها في سرعة...

أدار كتفيها إليه وهو يهمس في اشتياق:

_افتقدتك يا حبيبتي....لم أركِ طوال النهار...



ابتسمت له ابتسامة شاحبة...

وهي تدفن وجهها في صدره فضمها إليه بقوة وهو يقول بصدق:

_لو تعلمين كم يساوي حضنك هذا؟! الدنيا كلها....

رفعت إليه وجهها وهي تسأله مباشرة:

_هل رأيت آسيا اليوم؟!

أومأ برأسه إيجاباً وهو يقول بهدوء:

_لقد جاءتني تسألني عن رأيي في عملها هنا....

سألته بترقب:

_وما رأيك؟!

تنهد قائلاً:

_لم يعد لدي مانع في بقائها...فلتبقَ معنا...



رغم بساطة عبارته التي قالها ولم يلقِ لها بالاً لكن سمية شعرت بها تحرقها حرقاً...

نعم...

هي التي تتمني له السعادة من كل قلبها...

هي التي تود الاطمئنان عليه قبل رحيلها...

هي التي سعت خلف مجئ نغم إلي هنا لتزداد منه قرباً...

لكن...

ما حيلتها في هذه الغيرة التي تنهش قلبها بمخالب قاسية؟!!!



أخذت نفساً عميقاً وهي تغتصب ابتسامة باردة لتقول بخفوت:

_أنا سعيدة لقرارك هذا...

قالتها وهي تتجه لفراشهما...

لتتظاهر بالنوم...

فيما بقي هو شارداً يتأمل منظر السماء الصافية من النافذة...

ويدعو الله بصدق...

أن يطيل عمر سمية الحبيبة...

وأن يخفف عنها آلامها التي اشتدت مؤخراً...

فيما راقبت سمية شروده بحزن...

أتراه منشغل الآن بالفاتنة التي دخلت حياته فجأة...؟!!!

أتراه شارداً فيها...؟!!!



فيمَ كانا يتضاحكان معاً...؟!!!

وما الذي جعله يغير رأيه في بقائها معهم؟!!!

هل تعلق بها بهذه السرعة؟!!!!!!!

وهكذا كانت تساؤلاتها تجوب رأسها في حيرة بائسة...

فيما كان بدر لازال معلقاً بصره بالسماء يدعو لها بخشوع!!!!!

====

_سأصوم رمضان هذا العام ...لم يتبق عليه سوي شهور قليلة...

هتفت بها مارية لحمزة بعدما أنهي معها درس اللغة العربية والذي يعطيه لها في حديقة منزله....

فابتسم قائلاً:

_أنا فخور بكِ ...



ابتسمت في سعادة وهي تصفق بكفيها كالأطفال هاتفة:

_كم أتشوق للاحتفال بالعيد معك هذا العام...

اتسعت ابتسامته وهو يقول بصدق:

_وأنا أكثر يا مارية...

سألته في تردد:

_لماذا لم تتزوج حتي الآن يا حمزة؟!

تهرب من الإجابة وهو يسألها بخبث:

_ولماذا لم تفعلي أنتِ؟!

تنهدت قائلة:

_لم أتلقَ عرضاً جاداً سوي من آندي...

عقد حاجبيه هاتفاً:



_آندي يريد الزواج منكِ؟! وهل تقبلين أنتِ؟!!

هتفت بسرعة:

_لا لم أقبل بالطبع...أنا لا أفكر في الزواج من انجليزي...رغم أن القانون يمنحني هذا الحق...لكنني لا أستسيغ هذه الفكرة...

ظل الغضب مرتسماً علي وجهه وهو يقول بضيق:

_هل يعلم دكتور آدم بهذا؟!

هزت رأسها نفياً وهي تقول ببراءة:

_لو علم أبي فلن يسمح لي بالخروج معه...وأنا أريد الاحتفاظ به كصديق...



خبط حمزة بقبضته علي المنضدة ...

وهو يقول بحنق:

_أي صداقة هذه وهو يريد الزواج منكِ....لا أصدق أنكِ بهذه الحماقة!!!

اتسعت عيناها بارتياع لإهانته...

ثم هبت من مقعدها وهي تكاد تعدو نحو حديقة منزلها...

جري خلفها حتي وقف قبالتها يقول بأسف:

_اعذريني يا مارية...أنا أعتذر منكِ...

أشاحت بوجهها عنه ...

فقال بضيق:

_لأول مرة أفقد السيطرة علي كلماتي...سامحيني...



نظرت إليه وهي تهتف في انفعال:

_أنا لست حمقاء يا حمزة...أنت لا تفهم عنائي هنا...انا غريبة هنا وغريبة في بلدي...لا أكاد أعرف فاصلاً بين الصواب والخطأ وأنا لا أعرف لأي فريق أنتمي....

هز،حمزة رأسه وهو يقول مهدئاً:

_حسناً يا عزيزتي...أنا أعتذر منك مرة أخري...أرجوكِ اهدئي...

أطرقت برأسها فهمس يسترضيها:

_ما رأيك لو قبلت دعوة دكتور آدم لقضاء الغد معكم في منزلكم الريفي؟!

هتفت بلهفة:

_حقاً؟!



أومأ برأسه إيجاباً وهو يلمح لهفتها الطفولية فهمس بحنان:

_كنت سأعتذر عن دعوته آسفاً فلدي الكثير من العمل هنا...لكنني سآتي معكما حتي لا يفوتك درس الغد...

ابتسمت في سعادة وقد نسيت غضبها في لحظة لتقول بمرح:

_ستسعد جداً معنا...الريف رائع...وأنت ستجعله أروع...!!

قالت عبارتها الأخيرة بصدق مس قلبه...

هذه مارية الطفولية التي تغضب في لحظة وترضي في لحظة...!!



التي لا تعرف خبثاً ولا لؤماً...

ولم تسمع يوماً عن تدلل النساء!!!!

هكذا فكر وهو يرقبها بابتسامته الحانية...

وهو يشعر أنه يسقط دون وعي في بئر من عاطفته نحوها.....

====

فتحت ساري باب الشقة لتتجه للخروج ...

لتصادف وقوف حذيفة أمام باب شقته هو الآخر يهم بالدخول....

أغلقت الباب خلفها في هدوء وتجاهلته تماماً وهي تمر جواره لتهبط الدرج...

عندما أمسك ذراعها فجأة ليقول بحزم:

_انتظري...



نزعت ذراعها منه وهي تقول في برود:

_ماذا تريد؟!

نظر لساعته هاتفاً:

_إلي أين تذهبين الآن...هل هناك محاضرات في هذه الساعة؟!

قالت بهدوء:

_ليست محاضرة...لكننا سنجتمع في الجامعة ثم ننطلق لوجهتنا...

عقد حاجبيه متسائلاً:

_وما هي وجهتكم بالضبط؟!

زفرت في ضجر وهي تقول:

_سنشتري بعض الأجهزة الكهربائية لعروس فقيرة ثم نذهب لنعطيها لها...



ازداد انعقاد حاجبيه وهو يسألها ببطء:

_هل سيكون بلال الهاشمي معكم؟!

هتفت بضيق حقيقي:

_هل هو تحقيق رسمي؟!!!

نظر إليها طويلاً نظرات لم تفهمها....

ثم قال بلهجة غريبة:

_تعالي معي إلي السطح!

نظرت إليه نظرتها لمعتوه وهي تكرر كلمته باستنكار:

_السطح؟!

اقترب منها خطوة وهو يقول بلهجة أكثر ليناً يعرف تأثيرها علي الفتيات اللاتي اعتاد مرافقتهن:

_أريد أن أتحدث معكِ وحدنا...أنا وأنتِ فقط...



رغم خفقات قلبها الهادرة في هذه اللحظة...

ورغم توسل جوارحها كلها بأن تستمع إليه...

ورغم الضعف الشديد الذي شعرت به تجاهه...

إلا أنها رفعت رأسها لتقول بكبرياء:

_لا يحق لك الحديث معي وحدنا !!

رفع حاجبيه في دهشة ثم ابتسم في سخرية هاتفاً بغرور:

_أنتِ ترفضين الحديث معي أنا علي انفراد؟!

ابتلعت إهانته المستترة لتقول ببرود يخفي جرحها كعادتها:

_معك أو مع غيرك...ساري النجدي تعرف حدودها جيداً!



قالتها وهي تزيحه من طريقها برفق...

لتهبط درجات السلم بسرعة ....

فيما كان يراقبها بغضب هادر...

لكن ..يخالطه شئ من الإعجاب....!!!

وجد نفسه بعدها يتتبعها خفية بسيارته خلف سيارتها الصغيرة...

حتي وصلت إلي الكلية...

ترجل من سيارته ليراقبها من خلف جدار قريب...

وهناك كان بلال الهاشمي ينتظرها مع مجموعة من الفتيان والفتيات...

لاحظ بشئ من الضيق تعلق نظرات بلال بها في إعجاب لم يعرف سببه...



ما الذي يجذب شاباً كبلال الهاشمي في فتاة عادية كساري...؟!!!

ظل يراقب حديثها معهم بدقة لكنه لم يلحظ اهتمامها ببلال...

كانت تتحدث معهم بمنتهي الجدية والعملية وكأنها قائدة هذه المجموعة....!!!

هموا بالانصراف لبغيتهم فعاد يختبئ خلف الجدار...

ليراها تستقل سيارتها مع الفتيات...

فيما استقل بلال سيارته مع الفتيان...

لتنطلق السيارتان بعيداً بعد فترة...



غادر مكانه وهو يعود لسيارته...

لا يعرف ما الذي دفعه لتتبعها إلي هنا؟!

ربما كان يريد تصيد أي خطأ لها حتي يكسر أنفها المرتفع دوماً في شموخ....!!

أو ربما كان يريد معرفة مدي علاقتها ببلال الهاشمي بالضبط...!!

وربما...

كان يريد التقرب أكثر من عالم هذه الفتاة الغريبة التي يفترض أنها ابنة عمه التي تربت معه وتسكن في الشقة المقابلة له بل ستكون بعد قليل زوجته....

لكنه مع كل هذا اكتشف أنه لا يعرف عنها أي شئ!!!



عاد بسيارته نحو منزله...

ليصعد الدرج نحو شقتهم...

ويلتفت بابتسامة خفيفة لشقتها المقابلة...

هل يشعر أنه افتقدها...

أم هو واهم؟!!!

===

جلسا متجاورين علي كرسيي الشاطئ...

يراقبان مظهر الغروب الساحر في هذه البقعة المنعزلة من الساحل...

لتهمس رقية في افتتان:

_أنا أعشق هذا المنظر...

ابتسم ياسين في حنان دون أن يلتفت إليها هامساً:

_ومن لا يعشقه؟! للغروب سحر غريب...يداعب كل شجون النفس

وآلامها....



أحست أنه الآن يذكر حبيبته الراحلة...

آسيا غريمتها التي لا تحمل لها الآن سوي شعور جارف بالشفقة...

والذنب...

ربما لو لم تدخل هذه العائلة...

لكانت آسيا الآن تتنعم بالسعادة مع ياسين...

ياسين الذي قتله فراقها حياً!!!!

أحست بجرحه فسألته بحذر:

_لماذا تقدمت لخطبتي مادمت كنت تحبها؟!

تنهد قائلاً في شرود:

_قاسم النجدي قضي بآسيا لحمزة ابن عمي منذ زمن بعيد...ولما كان راغباً في مصاهرتكم كنت أنا الوحيد المناسب

وسط أخويّ...



سألته بدهشة:

_وأين حمزة هذا؟! أنا لم أره أبداً....

ابتسم قائلاً:

_حمزة درس الطب بلندن ويقيم هناك منذ سنوات طويلة هرباً من ثأر قديم...

اتسعت عيناها في ارتياع وهي تهتف:

_ثأر؟!

أومأ برأسه إيجاباً وهو يقول بشرود:

_ثأر قديم...حصد ثماره القاسية أبي وعمي والد آسيا...ولما كان حمزة هو الحفيد الأكبر فقد كان الدور قادماً حتماً إليه لهذا أبعده جدي عن هنا...ولكن من الغريب أن الرجل الذي من المفترض أن يسعي خلفه اختفي تماماً ولا نعرف عنه أي شئ...لهذا نعيش قلقاً بلا أجل مسمي...



ولا يمكننا السماح لحمزة بالعودة حتي نعرف مصير هذا الرجل...

هزت رأسها في عدم تصديق وهي تقول:

_أنا أشعر أنني في فيلم سينما....هل تحدث هذه الأشياء في الواقع....؟!!!!

ثم أردفت في حدة:

_ولماذا كان جدك حريصاً علي مصاهرة أبي إلي هذه الدرجة؟!

عاد يقول في شرود:

_جدي لا يهمه سوي مصلحة العائلة...أحفاده هم نقطة ضعفه الوحيدة...هو أراد مصاهرة عاصم الهاشمي ليستفيد من سلطته ونفوذه في حمايتنا لو ظهر جسار هذا الذي يطاردنا بالثأر...



وفي نفس الوقت اختار لكل واحدة من بنات عمي زوجاً منا ليضمن لها ألا تخرج من العائلة لتبقى دوماً محمية بيننا...

أومأت برأسها في تفهم وهي تقول بحزن:

_لكنه لم يحسب حساباً لآرائهن...وكانت هذه هي النتيجة...لقد ظلمنا أنا وأنت وآسيا...ومن يدري ربما كان دور جويرية وساري قادماً...

أحس بجرحها في كلماتها لكنه لم يستطع أن يواسيها....

ماذا عساه يقول لها؟!!!

هي محقة في كل ما قالته الآن...

لكنه يتمني بصدق لو يسعدها...

لو يعوضها حرمانها هذا...

لكن كيف؟ !!!



قطعت أفكاره عندما قامت لتقول بابتسامة مصطنعة:

_دعنا نعد إلي الداخل...الجو صار بارداً نوعاً...

أمسك كفها وهو يدخل معها إلي الشاليه...

ليغلق الباب خلفهما...

ثم أمسك كتفيها هامساً وهو ينظر لعينيها بعمق:

_سأسألك سؤالاً وتعدينني أن تجيبي بصدق...

عضت علي شفتيها وهي تشعر بالارتباك...

لكنها أومأت برأسها في إيجاب...

فسألها وهو لا يحيد بعينيه عن عينيها:

_لماذا اختارتني رقية الهاشمي من وسط العشرات الذين تقدموا لخطبتها؟!



أطرقت برأسها وقد دمعت عيناها...

فرفع وجهها إليه بأنامله وهو يهمس :

_جدي قال لي يومها أن فرصتي في الارتباط بك ضعيفة جداً لأن الكثير من العائلات كانت تتمني الفوز بكِ لهذا كانت دهشتي بالغة عندما علمت أنكِ وافقتِ علي أنا...

خفق قلبها بعنف ....

عندما عاد يسألها في تصميم:

_لماذا أنا يا رقية؟!

هربت بعينيها بعيداً عن حصار عينيه...

فابتسم لخجلها الذي لون وجنتيها بحمرة لذيذة ليقول بخبث:

_تذكري أنكِ وعدتني أن تجيبي علي سؤالي...



عادت تنظر إليه نظرات لم يفهمها جيداً...

كعادته في حديث عينيها الغامض...

ليسود الصمت بينهما لحظات طويلة...

قبل أن تهمس رقية بابتسامة ماكرة:

_وعدتك أن أجيب سؤالك...لكنني لم أحدد متي...

ارتفع حاجباه في دهشة...

ثم ابتسم في حنان...

عندما أردفت بثقة لا تليق إلا بها:

_عندما يحين الوقت المناسب ستفي رقية الهاشمي بوعدها.

====



الفصل السابع

خرجت جويرية من غرفتها وقد عزمت علي تنفيذ ما جبنت عنه منذ فترة طويلة...

توجهت لغرفة فريدة بخطوات مترددة...

لتجدها جالسة علي سريرها تحتضن أحد أثواب آسيا وتبكي في صمت...

انقبض قلبها بقوة وهي تشعر بعناء فريدة الصامت...

ليتها تستطيع أن تسعدها...

لكن كيف تسعدها وهي نفسها ليست سعيدة...؟!!!!

ولن تكون...

فاقد الشئ لا يعطيه...!!!!!



عادت إلي صالة المنزل تاركة فريدة لحزنها الصامت...

ثم ارتدت إسدال صلاتها وغادرت الشقة ببطء...

نزلت الدرج متجهة لشقة جدها لتطرق باب غرفته في وجل...

سمح لها قاسم بالدخول فدخلت لتقبل يده...

ثم وقفت مكانها في تردد....

سألها قاسم في هدوء:

_كيف حالك يابنتي؟!

أجابته ببطء :

_بخير حال يا جدي...

تأمل قاسم وقفتها المضطربة في تفحص...

ثم سألها في اهتمام:



_هل تريدين شيئاً يابنتي؟!

نظرت إليه في وجل وقلبها يخفق في شدة...

هذا طريق لو سارت فيه فلن يمكنها العودة...

لكنها ستواجه الأمر بشجاعة...

آن الأوان لتتمرد علي مصير الجواري الذي اختاروه لها...

لن تهرب مثل آسيا...

لكنها ستواجههم باختيارها وليكن ما يكون!!!!

قالت بعد صمت طويل صبر عليه قاسم وكأنه استشعر وراءه أمراً جللاً:

_أنا لا أريد الزواج من عمار يا جدي....



وكأنما ألقت قنبلة في المكان!!!!

هب قاسم من مكانه بغضب هادر وهو يصرخ فيها:

_ماذا تقولين يا فتاة؟!!!

ارتجف جسدها رغماً عنها وهي تستشعر غضبته التي تربت علي الخوف منها...

عجزت عن النطق وهو،يعيد الصراخ فيها هاتفاً:

_لا تريدين ماذا؟!!!

ازدادت ارتعادة جسدها وهي تنتبه أخيراً لفداحة فعلتها...

عندما اندفع قاسم ليفتح باب الغرفة صارخاً في الخادمة:

_أريد فريدة وعمار حالاً....



لم تمض بضع دقائق حتي جاء عمار وفريدة إليه يتعجبان من ثورته...

فأشار لجويرية هاتفاً في ثورة:

_هذه الفتاة تقول أنها لا تريد الزواج منك....

أغمض عمار عينيه في قوة...

وهو يشعر بجرح عميق تزداد قسوته يوماً بعد يوم...

لكن هذه المرة تختلف...

جويرية تغلبت علي الخوف الذي تربي فيهم جميعاً من جدها...!!!!

جويرية تحدت أوامر النجدي علانية في وجهه لأول مرة في حياة العائلة..!!!!

فعلتها لأنها لا تريد الزواج منه....!!!

إلي هذه الدرجة تكرهه؟!!!!!



أخذ نفساً عميقاً يحاول استيعاب جرحه المزدوج لكرامته قبل قلبه...

أي رجل يمكنه تحمل هذا الموقف...؟!!!

وهو يري حبيبته التي لم يعشق سواها منذ صغرهما...

تبذل كل هذا الجهد لتتخلص منه علانية أمام الجميع....!!!

لكن قاسم لم ينتبه لألمه الذي أخفاه ببروده كالعادة...

وهو يخاطب فريدة صارخاً فيها:

_هل هذه تربية بناتك يا فريدة؟! واحدة تهرب ثم تنتحر لتجعل شرفنا مضغة في الأفواه والثانية تعصي أمري في الزواج من ابن عمها؟!



لم تتمكن فريدة من الرد وهي تشعر بالألم يخنق صدرها....

لماذا فعلتِ هذا يا جوري؟!

لماذا؟!

لازلت لم أستفق بعد من صدمتي في آسيا...

فلمَ تعجلين بصدمة أخري؟!!!!

عاد قاسم لجويرية وهو يجذبها من ذراعها ليهتف بحدة:

_لا تريدين الزواج من عمار؟! وماذا ستفعلين لو أصررت أنا علي ذلك؟! هل ستهربين مثل شقيقتك..؟!

تحرك عمار بجمود يخفي اشتعاله...



ليجذبها من ذراعها الآخر مخفياً إياها خلف ظهره ليحميها من بطشه قائلاً لجده في حزم:

_كلمة قاسم النجدي لن ترد...اطمئن يا جدي...جويرية لن تتزوج أحداً غيري...

نقل قاسم بصره بين الجميع بتفحص....

ساد فيه الصمت لحظات...

ثم جلس علي كرسيه وهو يسند رأسه علي عصاه مطرقاً إلي الأرض....

قبل أن يرفعها ليقول بحزم:

_سيتم زواجكما بعد شهر واحد...لن تخرج فيه هذه الفتاة من باب البيت أبداً...



اتسعت عينا جويرية في رعب وكأنها تلقت -لتوها- حكماً بإعدامها!!!!

شهر واحد وتكون زوجة لذاك البغيض!!!

شهر واحد وتدفن كل أحلامها الوردية برجل يحبها ويحتويها بحنانه!!!!

شهر واحد وتُسلّم الجارية إلي سيدها الجديد ليقضي فيها كيفما شاء!!!

سحبتها فريدة من ذراعها بقوة وهي تقول لقاسم في خضوع كعادتها:

_كما تأمر يا عمي...

التفتت إليها جويرية في صدمة...

لم يقف أحد معها...

بل علي العكس كلهم يرونها مذنبة!!!!



وكأنها أجرمت يوم صرخت بعدم رغبتها في عمار هذا...

فماذا لو أخبرتهم عن زياد؟!

هل سيدفنونها حية؟!!!!!

سارت خلف فريدة التي كانت تجرها من ذراعها جراً لتتجه معها نحو شقتهما...

فقال قاسم لعمار بحزم:

_أغلق الباب وتعال...

نفذ عمار أمره ليقف بين يديه قائلاً بجمود:

_ماذا تريد مني يا جدي؟!

تأمله قاسم للحظات بعينيه الخبيرتين ...

ثم قال بلهجة مخيفة:



_جويرية ستكون زوجتك...إياك أن تؤذيها أو تعاقبها يوماً علي ما سمعته اليوم...

أشاح عمار بوجهه ...

فلوح قاسم بسبابته في تهديد وهو يقول بصوته الصارم:

_أنا لم أحرص علي تزويجهن منكم إلا للحفاظ عليهن...لو آذيتَها سأكون أنا خصيمك!

أطرق عمار برأسه وهو لا يعرف بماذا يرد علي تهديد جده...

هو لم ولن يفكر يوماً في أذيتها...

هي جوريته الحبيبة...

هل يحتاج لمن يوصيه بها؟!!!!



ربما تغلبه خشونة طبعه أمامها...

ربما لا يتمكن من البوح لها بما في صدره...

لكنها ستبقي جوريته الغالية التي يفتديها بعمره....

وفي غرفتها كانت جويرية تنتفض ألما وقهراً...

وقفت فريدة أمامها تتأمل دموعها في صمت...

ثم توجهت نحوها لتحتضنها بقوة وتهمس في شرود:

_منذ أكثر من عشرين عاماً كنت أبكي مثلكِ هكذا زواجاً لا أريده...كنت أشعر أنني سأموت لو لم أتزوج الرجل الذي هام به قلبي حباً...

رفعت إليها جويرية عينين مذهولتين وهي تقول بصدمة:

_أنتِ يا أمي؟!



أومأت برأسها إيجاباً وهي تردف في خفوت:

_كان جاراً لنا في بلدتنا بالصعيد قبل أن نأتي للمدينة...لم يخبرني عن حبه لكنني كنت أشعر بترقبه الصامت لي في كل حركاتي...أحببته سراً....وتمنيت لو يكون زوجاً لي....

همست جويرية في ترقب:

_وماذا حدث بعدها؟!

تنهدت فريدة قائلة:

_قضي القدر لي بسعد النجدي والدكما ليكون زوجاً لي...كان نعم الزوج والأب والصديق حتي قتل غدراً...

ثم نظرت لجويرية هامسة في ألم:

_هل تعلمين من الذي قتله؟!

هزت جويرية رأسها وهي تهمس في شك:

_لا تقولي أنه هو!



همست فريدة بأسف:

_نعم يابنتي...كان هو...الرجل الذي ظننته حب العمر الذي لم أحصل عليه..استسلم لرغبة عائلته في الثأر وقتل زوجي أنا...

وضعت جويرية كفها علي شفتيها وهي تسمع هذه الحقيقة لأول مرة...

فهمست فريدة في تماسك:

_أنا أقول لكِ هذا لتعلمي أن الحب الحقيقي لا يأتي إلا بعد الزواج...لن تستطيعي معرفة معدن الرجل الذي معكِ إلا عندما تعاشرينه...ربما لم أحب سعد قبل زواجنا لكنني متّ حقاً يوم مات...بينما ذلك الآخر الذي ظننتني أحبه لم يكن في النهاية سوي رجل بلا قلب...

هزت جويرية رأسها وهي تهمس في يأس:

_ليس عمار يا أمي...

ليس عمار.



ابتسمت فريدة وهي تقول في حكمة:

_ربما هو خشن الطباع غليظ القول لكنه طيب القلب ويحبك...صدقيني...هذا النوع من الرجال مخلص في حبه حتي الموت...

أشاحت جويرية بوجهها وهي لا تستطيع تصديق هذا...

ولا تريد!!!

عمار البغيض سيبقي كذلك ولو أقسموا لها بكل الأيمان...

لن تتقبل وجوده في حياتها بأي صورة...

حتي لو تزوجها قسراً...

ستبقي تكرهه طوال عمرها...

هذا هو،قسمها لنفسها الذي لن تحنث به أبداً!!!!!

استيقظت ساري من نومها فجرا كعادتها...



أدت صلاتها وهي تدعو الله لجوري العزيزة أن يقدر لها الخير...

فقد علمت بما حدث ليلة الأمس...

ولا تدري ردة فعل عمار الغليظ علي فعلة جوري الطائشة هذه!!!

استغفرت الله بصوت مسموع...

وهي تتجه نحو خزانة ملابسها...

فتحتها لتستخرج منها دميته التي تحتفظ بها كصديقتها المقربة...

الذكري الحلوة الوحيدة التي تحملها منه...

ماتبقي لها من حذيفة رفيق الطفولة والصبا الذي أحبته بكل كيانها!!!!

والذي يختلف عن ذاك العابث المستهتر الذي صار إليه!!!



ضمتها لصدرها بقوة وهي تتذكر قسوة حواراتهما الأخيرة...

دمعت عيناها وهي تتصور كيف ستكون حياتهما بشعة لو تزوجها!!!!

أخذت نفساً عميقاً وهي تود الاختلاء بنفسها...

فغادرت الشقة بهدوء وهي تصعد إلي سطح المنزل محتضنة دميتها التي صارت كاتمة أسرارها الوحيدة...

فتحت باب السطح ببطء تتأمل ضوء النهار الذي بدأ يغازل السماء في خجل ...

ابتسمت وهي تشعر بالسكينة...

لتتجه نحو الأرجوحة القديمة الملقاة في آخر المكان...



جلست عليها وهي تؤرجح جسدها في شرود...

تحتضن دميتها هامسة في ألم:

_ليتنا بقينا صغاراً...

وخلفها كان هو واقفاً يراقبها خلسة...

لم يصدق عينيه عندما عاد من سهرته فجراً ليجدها تتجه للسطح محتضنة دميته كما كانت والدته راجية تقول...

اذن فقد كانت والدته محقة عندما قالت أنها تحبه...

لكن تلك الحمقاء تكابر!!!

صعد خلفها بخفة...

ليراها تتأرجح علي الأرجوحة القديمة التي طالما لعبا حولها صغاراً...

تأمل المكان حوله في دهشة



ثم لم يلبث أن جرفه طوفان الحنين....!!!

كم من السنوات مرت عليه قبل آخر مرة كان فيها هنا!!!!!

كيف مر عمره بهذه السرعة...؟!!!

إنه يذكر أيام طفولته هنا في نفس المكان وكأنها كانت بالأمس فقط...!!!!

اقترب منها ببطء حذر...

ثم وضع كفيه علي عينيها من خلفها دون أن ينطق بكلمة...

فهمست في شرود:

_هل استيقظتِ مثلي يا جوري؟!



قالتها وهي تضع كفيها علي كفيه لتصطدم بخشونتهما....

هذان ليسا كفّي جوري!!!!

انتفضت من مكانها بقوة وهي تلتفت لتواجهه بصدمة تميل للخوف هاتفة:

_ما الذي تفعله هنا؟!

لف حول الأرجوحة ليقف قبالتها هامساً برقة غريبة علي أسلوبه معها:

_جئت من أجلك!

تلفتت حولها في ارتباك وهي تشعر بالقلق...

فتناول منها دميتها هامساً:

_كنتِ تختلين بها هنا لأنها تذكركِ بي...أليس كذلك؟!



ازدردت ريقها في توتر وهي تهمس:

_من أخبرك هذا؟!

اقترب منها خطوة وهو يهمس بنفس الصوت الآسر:

_لقد رأيتكِ مع والدتي تلك الليلة التي قضيتِها معها....وسمعت كلامكما كله...

اتسعت عيناها في ارتياع وهي تهتف في صدمة:

_سمعت؟!

ابتسم بخبث وهو يقول:

_ورأيت أيضاً....!!!

احمرت وجنتاها رغماً عنها فغمزها وهو يهمس بصوته الرخيم:

_يليق بكِ الورديّ يا عروسي....



ظلت واقفة مكانها مصدومة...

لا تصدق أنه سمح لنفسه أن يراها دون حجابها في ثوبها الوردي القصير وهي التي كانت تعتني بوالدته المريضة بينما كان هو يتسكع مع إحدي رفيقاته!!!!

بل ويتحدث عن هذا بكل صفاقة!!!!

أي أخلاق فاسدة يمتلكها هذا الرجل؟!

أساء فهم صمتها فاقترب منها خطوة أخري وهو يهمس بصوتٍ مغوٍ:

_ألا تريدين معرفة سر سحري الذي يغوي النساء؟!!!!

قالها وهو يقترب بشفتيه من شفتيها...

حين شعر ،بصفعتها العنيفة تهوي علي وجهه قبل أن يمسها!!!!!



عاد برأسه للخلف وهو يضع كفه علي مكان صفعته فيما هتفت هي وسط دموعها التي انهمرت كالسيل:

_الساقطات والعابثات فقط يابن النجدي ...هن فقط من يغويهن سحرك المزعوم!

ظل واقفاً مكانه يتأمل مظهرها الغريب...

صفعتها وكلامها المهين القوي يناقض انهمار دموعها علي وجنتيها بلا توقف...

لوحت بسبابتها في وجهه وهي تهتف بقوة:

_ألم تلاحظ منذ فترة أنني لم أعد أناديك باسمك...لا أقول لك إلا ابن النجدي...لأنك لا تستحق أن تكون حذيفة الذي تربيت معه وعشت معه طفولتي...أنت مسخ منه...مسخ بشع...



قالتها وهي تتناول منه دميتها لتهتف بنفس الصوت الباكي:

_هذه التي تستدل بها علي أنني أحبك؟!

ارتد للخلف مصعوقاً وهو يراها تطوح الدمية في الهواء لتسقط من علي سور السطح في الطريق....

عاود الالتفات إليها مراقباً بذهول عدوها السريع لتغادر السطح....

ظل واقفاً مكانه للحظات...

لا يدري كيف تجرأ عليها هكذا...؟!!!!

وكيف سمح لنفسه بالتطاول معها إلي هذا الحد....؟!!!



عاد يتحسس صفعتها علي وجهه في شرود...

وكأنه لا يصدق أنها فعلتها!!!!

ساري صفعته هو؟!!!!

سار بضع خطوات ليستند علي سور السطح...

متأملاً دميتها التي استقرت علي قارعة الطريق...

لقد رمتها بكل سهولة...

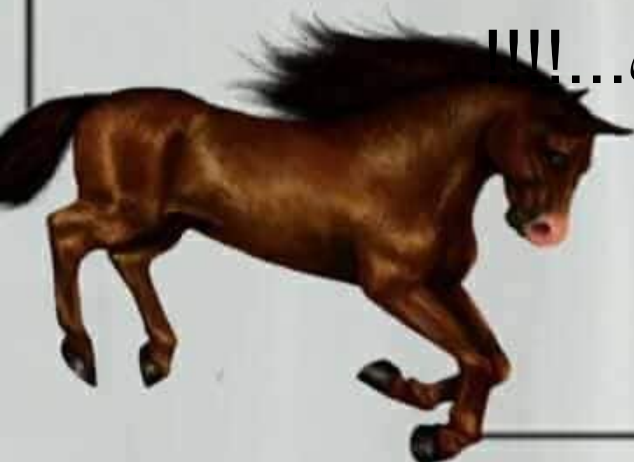
وكأنها ترمي معها كل شعور جميل ظنها تحمله له يوماً!!!!

أطرق برأسه في أسف...

وهو يغادر السطح لينزل الدرج...

فتح باب المنزل بسرعة ليلتقط الدمية التي سقطت -لحسن الحظ-أمام المنزل تماماً...

لكنها اتسخت بالوحل...!!!!



ابتسم في سخرية مريرة...

وهو يتذكر وصفها لقلبه عندما قالت لراجية:

_وماذا يفيد القلب الطيب طالما كان مغروساً في الوحل...

كم هي مصادفة لائقة!!!

دميته اتسخت بالوحل كقلبه....!!!!

زفر في قوة وهو،يغلق باب المنزل خلفه...

ليصعد الدرج ويتجه نحو شقتهم...

ذهب إلي المغسلة الكهربائية مباشرة...

ليضع فيها الدمية ثم يشغلها بنفسه...

ويراقبها وهي تدور وتدور....

وتدور معها أفكاره...!!!!



ما الذي فعلته به تلك ال"مسترجلة"؟!!!!

كيف جعلت كيانه كله ينهار هكذا؟!!!

إنه يشعر الآن بضياع رهيب...

لم يشعر به قبلاً...

كلماتها التي قذفته بها كالرصاص اخترقت قلبه دون رحمة...

عاد يتحسس وجنته التي هوت عليها صفعته...

وهو يهمس في شرود...

تستحقها يابن النجدي...

تستحقها!!!!

====



مدت كفها إليه وهي تهمس بصوتها العذب الذي اشتاقه...

_ياسين!

مد كفه نحوها وهو يقول بلهفة:

_كنت أعلم أنكِ لازلتِ علي قيد الحياة...تعالي يا آسيا..

ابتسمت في سعادة لتظهر غمازتها اليتيمة التي يعشقها...

قبل أن تتبدل ملامحها بسرعة لينهمر الدمع من عينيها غزيراً ...

تقدم نحوها خطوة ليسألها عن سبب بكائها...

لكن الموج حال بينهما بقوة وهو يبعدها عنه...

ليصرخ في جزع...

آسيا!!!



انتفض ياسين من نومه فجأة بعد هذا الكابوس...

فاستيقظت رقية جواره لتسمع صراخه باسمها...

راقبت بقلق تفاصيل وجهه المنزعج والعرق المتفصد علي جبينه...

فقامت لتهمس في توتر:

_هل رأيت كابوساً يا ياسين؟!

التفت إليها بحدة وكأنه لا يصدق أنه كان مجرد كابوس...!!!

لقد كانت آسيا معه...

لقد رأي ابتسامتها قبل أن يخطفها الموج منه!!!!



استغفر الله بصوت مسموع...

فنهضت رقية لتحضر له كوباً من الماء ثم جلست جواره علي طرف السرير...

شرب الماء بشرود...

فوضعت كفها علي رأسه وهي تتمتم بالرقية التي تحفظها...

ابتسم في سكينة عندما انتهت...

ثم سألها في عجب:

_ماذا كنتِ تفعلين؟!

ابتسمت في خجل وهي تقول:

_أمي كانت ترقيني بهذه الآيات والأدعية عندما كانت تنتابني الكوابيس في صغري...ومن يومها وأنا أحفظها وأرددها كثيراً عندما أخاف أو أمرض!



ابتسم في ضعف وهو يقول :

_إنها فعالة حقاً...أنا أشعر بالهدوء الآن...

تأملته بإشفاق وهي تسأله بحذر:

_هل كان الكابوس يخص آسيا؟!

أشاح بوجهه دون أن يجيب...

فهمست في حنان:

_رحيلها لم يكن ذنبك يا ياسين...انزع هذه الفكرة من رأسك...

هز رأسه وهو يتنهد هامساً:

_ليتني أستطيع تبسيط الأمور هكذا...لكنني أشعر بذنبها في عنقي...رغماً عني...صدقيني...



ربتت علي كتفه وهي تهمس بنفس الحنان:

_كل شئ في الدنيا يبدأ صغيراً ثم يكبر...إلا الهموم...تبدأ كبيرة ثم تصغر حتي تتلاشي...أنت فقط تحتاج لوقت...وتحتاج لصبر...وأنت لا تفتقر لكليهما!!

أطرق برأسه في أسي...

وهو يشعر أنه يتمزق...

آسيا الغالية!!!

هذا الكابوس المزعج جعله يشعر وكأنه يفقدها من جديد...!!!!

تأملت رقية مظهره بإشفاق...

لتتفجر ينابيع حنانها كلها نحوه...

مدت إليه ذراعها بتردد...



حسمته بسرعة وهي تضمه إليها هامسة:

_هون عليك يا ياسين...ادع لها بالرحمة...هذا أفضل لها من انهيارك هذا...

دفن رأسه في كتفها وهو يشعر بحنانها يضمد جروح روحه كلها......

فربتت علي رأسه بكفها وهي تهمس في شرود:

_عندما توفيت صديقتي المقربة منذ عدة سنوات شعرت بالانهيار...كانت بمثابة أختي ولم نكن نفترق إلا ساعة النوم...وقتها أصبت باكتئاب شديد...لكنني لم أنسَ جملة أبي التي قالها لي يومها...قال لي أن دعائي لها أفضل بكثير من حزني عليها...



رفع رأسه إليها ينظر إليها بتمعن...

هل هذه المرأة حقيقية؟!

أم أنها ملك هبط عليه من السماء؟!!!

لا يصدق أنها تحتويه بكل هذا الحنان في مصيبته وهي التي احتملت منه ما لا تحتمله أي امرأة في ظروفها...!!!

همس بصدق اخترق قلبها بنقائه:

_أنا آسف يا رقية...لا أدري إلي متي سأقولها...لكنني سأظل أعنيها...أنا ظلمتكِ معي ولازلت أظلمك...

دمعت عيناها وهي تربت علي رأسه هامسة:

_ربما لم يسعدني الحظ فأعرف حباً كحبك لآسيا...لكنني أقدره وأتفهمه...وأدرك ألمك بعدها...أنا راضية بدوري في حياتك...



أمسك كفها الذي تربت به علي رأسه وقبله ليهمس في رجاء:

_لا تتركيني أبداً...امنحيني وعد رقية الهاشمي الذي لا تخلفه أبداً أنك لن تتركيني...

أطرقت برأسها وهي لا تدري بماذا ترد عليه...

وعدها هذه المرة لن يكون مجرد وعد...

بل سيكون قراراً تبني عليها حياتها القادمة كلها...

هل هي حقاً راضية بدورها الحالي في حياته؟!!

ولو رضيت به اليوم...

فهل سترضي به غداً ؟!!!

دمعت عيناها وهي تشعر بالعجز...



لقد خاضت وسط بحر هائج الأمواج لتجد نفسها فجأة في وسطه...

لا تستطيع العودة...

ولا تستطيع الرجوع...!!!!

هي رقية الهاشمي التي طالما تباهت بقوتها ورجاحة عقلها...

تشعر الآن بكل هذا الضعف...

وبكل هذا العجز...!!

رفع وجهها إليه ليروعه منظر الدموع في عينيها ...

فأعاد همسه في رجاء:

_امنحيني وعدكِ يا رقية...



أغمضت عينيها بقوة وهي تأخذ نفساً عميقاً تمالكت به نفسها ثم قالت في تصميم:

_سأعدك بشئ واحد...لن أتركك مادمت تحتاجني...

نظر إليها بتفحص فأردفت في كبرياء:

_سأتركك بمجرد أن أشعر أنك صرت في غني عني....

ابتسم في ارتياح وهو يعيد دفن رأسه في كتفها هامساً:

_إذن...لن تتركيني أبداً....

====



جلست آسيا في غرفة ياسين الصغير تحكي له حكاية من الحكايات التي يعشقها حتي استسلم للنوم بين ذراعيها...

ضمته لصدرها بقوة وهي تهدهده برفق...

كم افتقدتك يا ياسين...!!!

همست بها سراً وهي تقبل رأس الصغير في شرود...

وذكري ياسين الحبيب تلف عقلها بغلالة من حنين....

ثم تنهدت في أسي...

تفكر في وضعها الحالي...

شريدة وحيدة ...

غريبة عن كل شئ...

حتي عن نفسها...



هل من الممكن أن يقتلنا الحب أحياءً؟!!!

هل من الممكن أن نموت به كما كنا نعيش لأجله؟!!!

تنهدت في حرارة غافلة عن عيني سمية اللتين كانتا تراقبانها بتفحص منذ دقائق...

دخلت سمية عليها لتهمس بود:

_يبدو أنك تحبين ياسين كثيراً....

ابتسمت لها وهي تضم الصغير أكثر هامسة في شرود:

_ياسين هذا حبيبي...

جلست سمية جوارها وهي تقول بحنانها المعهود:

_لا يبدو لي أنكِ تتحدثين عن ياسين ابني فحسب...يهيأ لي أن قلبك يحوي "ياسين" آخر!!!



أغمضت آسيا عينيها بقوة وهي تهمس في حزن:

_هذا صحيح...

ربتت سمية علي كتفها وهي تهمس في إشفاق:

_هل تأتمينني علي سرك يا آسيا...يمكنك اعتباري صديقة لك...

أومأت آسيا برأسها إيجاباً وهي تهمس في ألم:

_أنا أحتاج لهذا حقاً...أحتاج أن أبوح بجرحي لأحد...لم أعد أحتمله وحدي....

ربتت سمية علي كتفها في مؤازرة...

فاندفعت آسيا تحكي لها عن تفاصيل قصتها كلها...

تارة تبتسم ...

وتارة تبكي...

لقد كانت تحتاج بشدة لأن تتكلم...



وكأنها باستعادة ذكرياتها معه تستعيد هويتها المفقودة...

تستعيد آسيا القديمة التي ضلت عنها...!!

كانت سمية تستمع إليها في اهتمام ...

تدرك أكثر،من أي أحد في الدنيا حبها المجنون هذا لابن عمها....

وكيف لا؟!

وقد عاشت مثله يوماً!!!!

لكنها لم تتخيل أن آسيا الهشة الرقيقة قد أقدمت علي محاولة الهرب تلك وحدها...

ورضت بأن تتخلي عن عالمها كله ...

بل عنه هو نفسه...

لتقنع الجميع بقصة انتحارها هذه كي تبدأ من جديد...



لكن القدر كان رحيماً بها لأقصي حد...

المزرعة هنا أنسب مكان لحمايتها طالما قررت المضي في خطتها هذه...

لكن...

ماذا عن خطة سمية نفسها؟!!!

هل يمكن أن تفكر آسيا في الزواج من بدر وهي لازالت عالقة في حب ابن عمها كما يبدو...؟!!!

يجب أن تمهد لهما الطريق...

يجب أن تتجاهل غيرتها التي تمزق صدرها الآن...

حتي تضمن أن بدر الحبيب لن يضيع في وحدته بعدها...

هي تعلم أنها هي وياسين الصغير وعمه كساب عالمه الوحيد...



لكنها ستحرص أن تبقي له آسيا هنا معه...

ستحاول التقريب بينهما قدر ما تستطيع...

ستمنح كلاً منهما مفاتح قلب الآخر حتي تمهد الطريق لحياة قادمة بينهما...!!!

ليس بدر وحده من يحتاج آسيا...

آسيا أيضاً تحتاج لمن ينسيها حبها اليائس لابن عمها...

خاصة أنه تزوج فعلاً...

وحالياً يظنها قد ماتت..

ولا ريب أنه بدأ حياة جديدة مع زوجته...

وهي تثق أن بدر سيعوضها بحنانه عن كل ما افتقدته في حياتها !!!!



قطعت أفكارها عندما طرق بدر باب الغرفة ليتنحنح قائلاً :

_هل يمكنني الدخول؟!

ابتسمت سمية وقد لاحظت آسيا بوضوح إشراق وجه سمية عندما رأته...

السيد بدر رجل طيب...

وسمية تستحق كل الحب الذي يمنحه لها...

هكذا فكرت آسيا وهي تراه يصطحب سمية للخارج ليذهبا معاً للمركز حيث تتابع علاجها...

وفي طريقهما تأملته سمية بتفحص وهي تقول :

_آسيا هذه جاءتني نجدة من السماء ...فتاة رائعة يا بدر...



ابتسم بدر وهو غافل عن مسعاها ليقول بحنانه الآسر:

_قلبك الطيب هو الذي يري الناس بعينه الطاهرة...

تنهدت في حرارة وهي تعيد المحاولة قائلة باستطراد:

_إنها حقاً تستحق كل خير...كل ما فيها جميل...ليس وجهها فقط بل روحها وفكرها...كما أنها تحب ياسين بجنون...أتمني لو تبقي معنا...

اتسعت ابتسامته وهو يقول برفق:

_كما تشائين يا حبيبتي...

ظلت تحكي له عنها طوال الطريق ...

مستغلة ما تعرفه عن طباعه وتفكيره وهي تحاول جاهدة لفت نظره إليها...



لكن بدر لم يكن يري في آسيا سوي صورتها هي منذ سنوات...

صورة سمية!!

نعم...آسيا لم تزد في نظره عن كونها فتاة في ورطة...

لن يتخلي عنها مروءةً....

لا أكثر!!!

====

طرقت فريدة باب غرفة ساري لتجدها دافنة رأسها في وسادتها وجسدها ينتفض بعنف...

شهقت بقوة وهي تسألها بجزع:

_هل تبكين يا ساري؟!



لم تستطع حتي رفع رأسها إليها...

منذ عادت لغرفتها فجراً وهي تشعر بخلاياها كلها منهارة...

تتمني لو تبقي حبيسة غرفتها للأبد...

فلا تعود تري أحداً ولا أحد يراها!!!

لا تصدق كيف تجرأ عليها إلي هذا الحد...

وليته فعل ذلك بدافع من عاطفة!!!

ربما كانت وقتها وجدت له عذراً!!!

لكنها شعرت وكأنه يتعمد إهانتها بهذا الفعل...

وكأنه يقصد إخبارها أنها ليست أفضل من العابثات اللاتي يقضي وقته معهن!!!

لم تعد تريد الزواج منه...

بل لم تعد تريد رؤيته ...

لكن ماذا عساها تفعل؟!!



هل ستكرر فعلة آسيا أم فعلة جويرية؟!!!

لم تفلح إحداهن بكلتي طريقتيهما...

فما حيلتها هنا؟!!!!

جلست فريدة جوارها علي السرير وهي تربت علي ظهرها هامسة في أسي:

_ماذا بكِ يا ساري أنتِ الأخري؟! ما الذي أصابكنّ فجأة يا بنات فريدة؟!!!

شعرت ساري بجرح والدتها الذي يقطر من كلماتها ولم تشأ أن تزيده...

رفعت رأسها لتمسح دموعها وهي تقول كاذبة:

_أنا بخير يا أمي...أنا فقط حزينة من أجل جوري....



لم تصدق فريدة كذبتها...

ساري تتألم لكنها تخفي ألمها عن الجميع كالعادة...

ساري أكثر بناتها تحملاً للمسئولية رغم كونها الصغري...

لكن قلبها الكبير يتسع للجميع دون قيود...

ربما لم تحظَ بفتنة آسيا الطاغية...

ولا حضور جوري المميز...

لكن لها روحاً كالألماس تنير حياة من يقترب منها...

لن تنسي أبداً يوم اشتركت في هذه الجماعة لمساعدة الفقراء منذ سنوات...

يومها كانت سعيدة وكأنها وجدت بغيتها في هذه الحياة...



كل ابتسامة كانت ترسمها علي وجه فقير أو مريض محتاج..

كانت تزيد روحها تألقاً وبهاءً...

هذه هي ساري التي تفخر دوماً بكونها ابنتها ...

بل إنها لا تبالغ لو قالت أنها تشعر أحياناً وكأنها أمها..!!!!

بعقلها الكبير وحنانها الفياض....

ابتلعت كذبتها مرغمة....

فهي من ناحية لن تحتمل المزيد من الألم بعد فعلة جويرية البارحة...

ومن ناحية أخري هي تعرف أن ساري الكتومة لن تفصح عن جرحها لأحد!!!!



عادت تربت علي ظهرها وهي تهمس في حنان:

_حذيفة جاء وأحضر لكِ هذا!!

وكأنما لدغتها أفعي!!!!

هبت ساري من نومتها لتنظر لما تتحدث عنه والدتها...

اتسعت عيناها بصدمة وهي تري دميتها التي ألقتها بنفسها في الطريق تعود إليها...

تناولتها منها وهي تشعر أنها أكثر نظافة مما كانت عليه...

غريب!

تشممتها بأنفها لتشعر،برائحتها العطرة...

ثم ضغطتها بأناملها برفق...

إنها مندّاة!!



وكأنها كانت مغسولة!!!!

التفتت لوالدتها وهي تحاول التماسك قدر المستطاع لتسألها بصلابة:

_ماذا قال لكِ بالضبط؟!

ابتسمت فريدة في حنان وهي تقول :

_لقد قال لي أن أبلغكِ أن الوحل يمكن إزالته بسهولة ....وليس كما تظنين!!!

ثم هتفت في حيرة:

_ما الذي يقصده؟! عن أي وحل يتحدث؟!

شردت ساري،ببصرها وهي تتذكر أنه سمع حديثها مع والدته...



تري هل سمعها عندما كانت تقول لوالدته...

_وماذا يفيد القلب الطيب طالما كان مغروساً في الوحل؟

نعم...

لابد أنه سمعها ولهذا يبلغها هذه الرسالة عن طريق دميتها ...!!!

يبدو أن حذيفة النجدي العظيم ساحر النساء لا يراها الآن أكثر من تحدٍ جديد لرجولته...

دمية غريبة استعصت عليه ويريد أن يلهو بها كغيرها قبل أن يزهدها ويلقيها بعيداً!!!!

هذا كان تفسيرها الوحيد لفعلته هذه...!!!

قطعت فريدة أفكارها وهي تسألها بقلق:

_ما الذي يدور ،بينك وبين حذيفة يابنتي؟!



تنهدت قائلة في شرود:

_لا تقلقي يا أمي...كل شئ سيكون علي ما يرام...

تأملتها فريدة بقلق للحظات..

ثم تنهدت في استسلام...

ساري الكتومة لن تبوح بما هو أكثر...

قامت من جوارها لتغادر الغرفة وتغلق الباب خلفها...

فيما ظلت ساري تنظر لدميتها في شرود...

ثم دمعت عيناها من جديد وهي تفكر...

حتي الذكري الحلوة الوحيدة التي تركتها لي يا حذيفة...

أبيتَ إلا أن تفسدها ؟!!!!!!

====



جلس زياد في عيادته حزيناً...

منذ لقائه الأخير بجويرية وهو يشعر بانقباض في صدره...

رغم أنه لم يلتق بها سوي بضع مرات في المكتبة لم يطل فيها اللقاء لأكثر من دقائق...

لكنه يشعر وكأنه يعرفها منذ زمن بعيد...

تنهد في حرارة وهو يذكر دموعها الغزيرة وانهيارها المفاجئ في آخر مرة رآها...

بقدر ما هو حانق عليها لأنها لم تلمح له حتي بخطبتها رغم شعورها بالإعجاب المتبادل بينهما...

بقدر ما هو مشفق عليها من هذه الزيجة...

لا يتخيل أبداً أن جويرية الرقيقة الحالمة ...

التي تبدو كأميرة خرجت من كتب الأساطير كما قال لها يوماً...



قد تتزوج عمار،هذا الذي يبدو وكأنه يتشاجر مع ذرات الهواء حوله!!!!!

رن هاتفه برقم غريب...

فأغلق الاتصال دون أن يرد...

لا يريد محادثة أحد الآن...

عاد هاتفه يرن بإصرار...

فتح الخط ليقول بتحفظ:

_السلام عليكم!

لم يصله رد للحظات...

قبل أن يسمع صوت بكاء خفيض علي الطرف الآخر...

ظل صامتاً للحظات...



لا يدري لماذا شعر أنها هي...

ربما لأنه كان يتمني هذا من كل قلبه...!!!!

طال الصمت الذي لم يحاول تجاوزه لدقيقة كاملة لم يصله فيه سوي صوت البكاء الخفيض...

لم يشعر بنفسه إلا وهو يهمس في ترقب:

_جويرية؟!

انقطع الاتصال فجأة فزاد إحساسه أنه كان مصيباً...

يكاد يقسم أنها كانت هي!!!

عاود الاتصال بالرقم مرات ومرات...

لكن لا إجابة في كل مرة...



عاد برأسه إلي الوراء...

وهو يشعر أنه مكبل من رأسه إلي قدميه...

منذ فترة ووالداه يلحان عليه في الزواج...

لكنه لم يجد فتاة ترضي قلبه وعقله سواها هي...

هي التي ليست له...للأسف!!!!

وعلي سريرها كانت جويرية تنتفض ألماً وقهراً...

إنه يفكر فيها...

لقد شعر بها وهمس باسمها رغم أنها لم تتفوه بكلمة...

وهو لا يعرف رقمها....

لكن قلبه أحس بها تماماً كما تحس هي به!!!



تأوهت في قوة وهي تحتضن جسدها بذراعيها...

هذا هو الحب الذي أرادته دوماً وتمنته من كل قلبها...

هذا هو الحب الذي قرأت عنه في كتبها التي طالما عاشت بين سطورها...

هذا هو الحب الذي ستحرم منه طيلة عمرها لأن قدرها ببساطة أن تكون جارية!!!!

هي لم تكن تنتوي التحدث معه...

لكنها أرادت فقط أن تسمع صوته...

لعله يؤازرها في معركتها التي خسرتها...

والتي تقف فيها وحدها!!!!



لكن رد فعله هذا جعلها تتعلق به أكثر وأكثر...

ظل هاتفها يرن برقمه بعدها لدقائق...

وأناملها تتوسلها وتقسم عليها بكل عزيز أن ترد...

لكنها لن تفعل...

كفاها تعلقاً بحبال واهية!!!

توقف هاتفها عن الرنين في النهاية ...

لتشعر وكأن أحلامها توقفت معه...!!!!

وخارج غرفتها كانت فريدة غارقة في حزنها...

ما الذي جري لبناتها كلهن هذا؟!!!!

تذكرت آسيا همها الأكبر...

فرفعت رأسها للسماء وهي تشعر أن قلبها يتمزق ...



لتهمس في خشوع يمتزج بحرقة صدرها:

_الصبر يارب...لا تسؤني في بناتي...هن حصاد عمري يارب فلا تضيع أملي فيهن...

أطرقت برأسها وهي تشعر بالسكينة تنساب لروحها بعد هذا الدعاء رويداً رويداً...

عندما رن جرس الباب...

توجهت نحو الباب بتثاقل تفتحه ليطالعها وجه عمار البارد قائلاً:

_السلام عليكم يا عمتي...كنت أريد التحدث إلي جويرية...بعد إذنك....

نظرت إليه فريدة في إشفاق...

هي تعرف عمار جيداً...



تعرف أن غلظته وخشونة طبعه ليست سوي غلاف قاسٍ لقلبه الطيب...

تماماً كما تعرف أن بروده هذا هو سلاحه الوحيد عندما يستبد به الغضب أو الألم...

وكلاهما يجتاحه الآن بلا رحمة!!!!!

فردت ذراعها بطوله وهي تقول بحنانها المعهود:

_تفضل يابني...

جلس علي الأريكة لدقائق...

قبل أن تأتيه جويرية مطرقة في جمود...

لم يعد هناك ما يستحق الانفعال...

لا الفرح...ولا الحزن...

كل الأمور

صارت سواسية!!!



جلست علي الكرسي المجاور له دون أن تنظر إليه...

الجارية ستحافظ علي أدبها في حضرة سيدها الجديد...

ماذا ستجني من عصيانها أو تمردها سوي الجلد بسياط الحقيقة...

فلتستسلم...

ربما هون هذا مرارة مصيرها المنتظر!!!

نقلت فريدة بصرها بينهما في قلق...

ثم قالت لتتركهما وحدهما قليلاً:

_سأعد لك شيئاً تشربه يابني.



غادرتهما وهي تدعو الله سراً أن يهدي لهما الحال...

فالتفت عمار لجويرية وهو يتأمل وجهها المتورم من كثرة البكاء...

ليقول بجمود :

_ماذا جنيتِ من فعلتكِ الطائشة سوي غضبة جدي عليكِ ؟!

لم ترد عليه...

لا تملك القدرة ولا الرغبة لتفعل!!!

فليقل ما يشاء ليرحل بعدها...

أغاظه جمودها الذي لم يعتده منها فهتف بغلظته المعهودة:

_كان يجب أن تدركي أنكِ لي أنا...أنا وحدي...

لم ترد عليه أيضاً فازداد سخطه وهو يهتف:

_لا يعنيني رضاكِ

أو غضبك...



أنتِ زوجتي شئتِ أم أبيتِ!

وصلت فريدة هذه اللحظة لتستمع لجملته الأخيرة...

فقالت في عتاب:

_هل يصح أن تحدثها هكذا يا عمار؟!

تقافزت شياطين الغضب علي وجهه....

وهو يقوم من مكانه ليغادر الشقة صافقاً بابها خلفه في عنف....

ثم جلس علي إحدي درجات السلم وهو يطرق برأسه إلي الأرض...

لقد كان ذاهباً ليسترضيها...

ليعلم ما الذي جد عليها لتواجه جدها بهذه الجرأة...

لكن طبعه الغليظ غلبه كعادته...

ليزيد الطين بلة!!!!!



مظهرها البائس المستسلم أدمي قلبه نعم...

لكنه أشعل براكين غضبه كلها!!!!!!

لماذا تكرهه إلي هذه الدرجة...

هو فقط يريد فرصته كاملة ليتقرب إليها دون قيود...

يريدها أن تعبر حاجز كراهيتها الغير مبررة هذا ....

لعلها تجد خلفه نهراً من حبه يجرفهما معاً!!!!

فهل هذا كثير عليه؟!

وهو الذي لم يرَ في حياته امرأة سواها....؟!!!

كم يود لو كان بإمكانه أن يتغير من أجلها...

أن يهذب طباعه الجافة هذه...



أن يجيد التعبير عن مشاعره كما يحسها...

لكنه للأسف...

لا يستطيع!!

رفع رأسه لينظر لباب شقتها في يأس...

هامساً لنفسه في قنوط...

أنت عدو نفسك في معركة حبها يا رجل...

أنت عدو نفسك!!!

====

_الريف الانجليزي رائع حقاً كما يروون عنه!

هتف بها حمزة في انبهار مخاطباً مارية التي رمقته بنظرة معجبة كعادتها وهي تجلس معه علي الأرض العشبية أمام منزلهم الريفي....لتقول:

_أنت تجعله أروع...صدقني...



ابتسم لها في حنان وهو يدور بعينيه في المنظر الساحر حوله...

عندما سألته بتردد:

_ما هي صورتك للمرأة التي تريد الزواج منها يا حمزة؟!

أطرق برأسه وهو يدرك معني سؤالها...

يود لو يجيبها...

لكنه يخشي أن يجرحها...

طال صمته كثيراً فهتفت تستحثه للإجابة:

_أخبرني يا حمزة ...أرجوك...ربما أجد لك عروساً مناسبة...

قالت عبارتها الأخيرة بمرح لعلها تخفي تحفزها لما سيقول...

فقال بخبث:



_أخبريني أنتِ أولاً عن صورتك للزوج الذي تريدينه...

نظرت لعينيه طويلاً ثم قالت بعاطفة صادقة:

_أريده مثلك...

أغمض عينيه بقوة يحاول استيعاب فيض مشاعره الآن...

سعيد هو بتلميحها الصريح هذا...

لكنه لا يعرف بماذا يرد عليها...

لازالت مشاعره نحوها مترددة وجلة...

لازالت بعيدة جداً عن الزوجة التي يتمناها ويستطيع مواجهة عالمه بها...



تهرب من الأمر بذكاء وهو،يسألها :

_أخبريني أنتِ ...ما الصورة التي تظنينني أبتغيها في زوجتي...

صدمها سؤاله للحظات ...

وكأنها لم تفكر فيه من قبل...

لتسطع الحقيقة في وجهها كشمس متوهجة!!!

عروس حمزة التي يتمناها لا يمكن أن تشبهها أبداااا

اغتصبت ابتسامة باردة ثم قالت بشرود حزين:

_لست أدري...لكنها بالتأكيد ليست مثلي...أليس،كذلك؟!



مس قلبه هذا الحزن الصادق الذي غلف كلماتها...

لكنه لم يستطع أن يمنحها أملاً كاذباً...

فأطرق برأسه صامتاً...

ظل الصمت يكسوهما لفترة قبل أن تهمس مارية بحزن:

_أنا أحبك يا حمزة...لن أستطيع أن أخفيها أكثر من هذا...فهل تقبل حبي هذا أم ترفضه....؟!

رفع رأسه إليها حائراً...

لقد كان دوماً يتهرب من تلميحاتها المباشرة بذكاء...

لكنها حاصرته هذه المرة...

تصريحها هذا يضعه أمام قرار لابد أن يتخذه...

وهو لا يستطيع الآن..



قرأت حيرته في عينيه...

وفهمت ما لم يستطع البوح به...

حمزة النجدي الذي ظننته سيرجح كفة أحد العالمين اللذين يجذبانها بشدة...

لم يزدها إلا حيرة وشتاتاً...

يبدو أنه يحسب الأمور بعقله...

ومارية آدم بالنسبة إليه نغمة شاذة علي لحنه الذي اعتاده...

هو يراها غريبة...

تماماً كما الآخرين...

يبدو أن قدرها أن تعيش دوماً غريبة بين الناس...

إلا إذا قررت أن تختار انتماءها الذي ستتبعه بكل روحها...



لقد تمنت أن يسير حمزة معها هذا الطريق...

أن يعينها ويثبتها علي اختيار عالمه...

لكن يبدو أنها ستضطر للاختيار وحدها...!!!!!

قامت من جلستها وهي تنفض كفيها وثيابها لتقول ببساطة مصطنعة:

_عفواً علي إزعاجك بكلام لا يعنيك...دعنا نعد لدكتور آدم حتي لا نتركه وحده طويلاً...

قالتها وهي تعدو تقريباً إلي داخل المنزل...

تاركة إياه خلفها يشعر بالضيق...

لقد جرحها وهو الذي حرص طيلة هذه الفترة ألا يفعل...



جرحها صمته بأكثر من كلماته...

مارية تظنه رفض حبها...

لكنه في الواقع رفض غربتها وشتاتها...

رفض سلبيتها واستسلامها لحياة ليست كالحياة...

هو يريدها قوية تعرف طريقها الذي اختارته وتريد المضي فيه...

وليست مجرد طفل منبهر ينتظر من يمسك يده ليدله علي الطريق...

لقد أشار لها نحو الطريق فحسب...

وسينتظر ليري ماذا ستفعل...

هل ستخذله مارية آدم وتعود أدراجها لحياتها السابقة بعد أن خذلها ورفض حبها...؟!!

أم أنها ستتبع بصيرتها لتدخل راضية هذا العالم الذي طالما شعرت بالخجل منه وانتقاصه؟!!!



تنهد في ضيق وهو يقوم من مكانه لينفض كفيه هو الآخر ويعود إلي داخل المنزل...

ارتفع حاجباه في دهشة وهو،يراها تضاحك أباها وكأن شيئاً لم يكن...

دعاه الدكتور آدم للطعام فجلس علي المائدة صامتاً يشعر بالخجل...

تجاهلته مارية تماماً ثم استأذنت بمرح مصطنع لتستريح في غرفتها...

تأمل حمزة انصرافها بشئ من الدهشة...

لم يتصور أن يكون هذا رد فعلها...

فيما سأله دكتور آدم بتفحص:

_لماذا تنظر لمارية هكذا؟! هل حدث شئ؟!



هز رأسه نفياً وهو،يقول بتوتر:

_لا يا دكتور...أنا فقط أشعر بالرضا لأنها سعيدة هنا....

تأمل دكتور آدم توتره بتفحص...

قلبه كأب يخبره أن مارية تحب حمزة وسيكون له شأن معها...

لكن عقله يوقن من صعوبة هذا الأمر...

بل وربما استحالته!!!

لكن من يدري...

ربما...



الفصل الثامن:

جلست جويرية في مكتبتها تجمع حاجياتها منها بعدما سمح لها قاسم النجدي بمرة أخيرة تغلق بعدها هذه المكتبة نهائياً...

انتهت من جمع حاجياتها فوقفت تتأمل المكان بشجن...

هنا كان عالمها الموازي الذي تهرب فيه من قسوة عالمها الحقيقي...

هنا كانت تجد حياة أخري وسط السطور ...

أبطال من ورق لكنهم ينبضون بالحياة ربما أكثر من كثيرين يعيشون الحياة بلا معني!!!



توجهت نحو ركن خاص للكتب...

تحسست محتوياته بأناملها وهي تشعر بالفقد!!!

لقد حرموها أحلامها كما حرموها حق الحياة...

حتي مجرد الحلم صار حراماً!!!

التفتت بحدة عندما سمعت صوت باب المكتبة يفتح...

لتجده هو...

تماما كما تمنت...!!!!

اقترب منها ببطء وهو يلاحظ وجهها المتورم من البكاء...

ثم همس بأسي:

_لماذا لم تأتِ بالأمس...لقد ظللت أنتظرك طوال اليوم في المطعم المقابل للمكتبة لكنها ظلت مغلقة !!!



أخذت نفساً عميقاً وهي تقول باستسلام:

_جدي قرر أن أغلق المكتبة نهائياً...أنا جئت اليوم فقط لأجمع حاجياتي من هنا...

عقد زياد حاجبيه في شدة...

فأردفت بنفس الاستسلام:

_كما قرر تزويجي من عمار بعد أقل من شهر....

أطرق برأسه في حزن وهو يهمس:

_لهذا كنتِ تبكين علي الهاتف؟!

تصنعت الجهل وهي تقول بتماسك مصطنع:

_عمّ تتحدث ؟!

تناول هاتفه ليرن علي الرقم الغريب الذي ظنه لها...



فرن هاتفها علي المكتب المجاور...

أطرقت برأسها في خجل...

فهمس في حزم:

_كنت أعلم أنك أنت!!

ابتعدت عنه بضع خطوات وهي تعطي له ظهرها...

حسناً...لقد عرف أنها هي التي هاتفته يومها...

فهل يشكل هذا فارقاً؟!

عبث!!

كل هذا عبث!!

حياتها كلها عبث!!

لن تهتم لشئ بعد الآن...



هي مجرد راكبة في سفينة حياتها التي اختطفها القراصنة ليتحكموا في دفتها دونما أي اختيار منها...

فلتتقبل نصيبها في استسلام...

لعل الألم الذي يخنقها هذا يتلاشي مع الزمن...

بينما تنهد هو في حرارة وهو لا يدري ماذا يمكنه فعله ...

جزء بداخله يخبره أن مجرد وجوده هنا غير لائق...

هذه فتاة مخطوبة وعلي وشك الزواج ...

وجوده هنا خطأ كبير!!!

لكن جزءاً آخر يعارضه...



من قال أن وجوده خطأ؟!

علي العكس...

ربما كان وجوده هو تصحيح لخطأ...!!!!!

التمعت فكرة ما في رأسه فتوجه نحوها وهو،يقول بهدوء حذر عارضاً فكرته المجنونة:

_اسمعيني جيداً يا جويرية...وفكري فيما سأقوله لك...أنا منتدب لبعثة في أمريكا بعد شهر ...ما رأيك لو نتزوج ونسافر مباشرة...سنبقي هناك لثلاث سنوات...نعود بها فتكون الأمور قد هدأت...ونواجه عائلتك بالأمر الواقع...

التفتت إليه بحدة وهي تهتف في غضب:

_ما هذا الذي تقوله؟! تريدني أن أهرب من أهلي معك؟!!!



هتف محاولاً إقناعها:

_ليس هروباً يا جويرية...إنه زواج...زواج باختيارك وليس رغماً عنكِ...

هزت رأسها نفياً وهي تقول باضطراب:

_لا طبعا...لن أخذل أمي...لن أكرر فعلة آسيا ...

أطرق برأسه وهو يقول بأسف:

_ليس لدي ما أساعدكِ به سوي هذا العرض...للأسف ليس لدينا الكثير من الوقت...يمكننا الزواج في منزل عائلتي ثم أسافر لأتدبر أمر أوراقك وأرسل إليكِ لتلحقي بي....

نظرت إليه بشرود وقد بدأ عرضه يغريها...

حياة جديدة وبلد جديد مع رجل تحبه...

بعيداً عن طغيان قاسم النجدي...



وغلظة عمار البغيض...

وقسمة الجواري!!!!

حياة جديدة تفتح لها ذراعيها بالأمل والحب...

تمنحها فضاءً عريضاً من الأحلام...

تكون فيها سيدة قرارها الذي اختارته بنفسها...

وليست مجرد لعبة في أيديهم...

لا لا لا!!!!

فريدة الغالية لا تستحق منها هذا...

إنها لم تستفق بعد من صدمتها في آسيا...

فكيف تجرحها جرحاً كهذا من جديد...

قد تموت حقاً لو حدث هذا!!!!



لكن فريدة تريد لها الخير والسعادة...

وهي وإن كانت لا تثق في سعادتها مع زياد...

لكنها تثق أنها أبداً لن تكون سعيدة مع عمار...

فريدة في النهاية أم...

أم لا يهمها سوي فرحة ابنتها...

وهي تريد أن تفرح وتسعد فريدة...

وزواجها بعمار لن يحقق لها ذرة من السعادة....

لكن كيف تأمن هكذا بسرعة لزياد...؟!!!

وهو الذي لم تعرفه سوي من أيام قليلة...

فكيف تأتمنه علي عمرها القادم كله؟!!!

لكن...من قال أن الشعور بالأمان يرتبط بالوقت...؟!!!



وهي التي تعرف عمار منذ وعت علي هذه الدنيا
لكنها لا تشعر بذرة أمان معه!!!

وهكذا ظلت صامتة لدقائق طويلة...
تتخبطها أفكارها الحيري...
عرض زياد هذا جاء في وقته المناسب...
لينقذها من مصيرها البشع مع عمار...
هكذا فكرت وهي تنظر إليه بتردد....

فهتف مشجعاً:
_لا تخافي يا جويرية...أنتِ أكثر قوة من أن تتقبلي مصيراً كالذي ينتظرك...أنا أعدك بل أقسم لكِ أن أسعدك بكل طاقتي...



شعرت بالتشتت...

كانت قد فقدت كل أمل لها في التخلص من زواجها الكارثي بعمار...

والآن يأتي زياد حاملاً لها وعوداً وردية وحياة طالما حلمت بها...

لكن...

شعر زياد بحيرتها فقال في حنان :

_سأمنحك فرصة للغد...لو وافقت علي عرضي يمكنك مهاتفتي ...

رمقته بنظرة ساحرة ...

أو هكذا شعر بها هو...

نظرة جمعت حيرتها وقلقها بعاطفتها نحوه...

فابتسم وهو يلوح لها بكفه مودعاً...



راقبت انصرافه بقلب عاد يخفق من جديد...

عادت دقاته تنتفض وتتراقص علي لحن من الحب يخصه وحده...

زياد الحبيب...

فارس أحلامها المنقذ!!!

====

وقفت رقية في المطبخ في منزلهما المنعزل علي الساحل...

تحاول التعرف علي مكان الأشياء...

هي لم تحاول الطبخ في حياتها ولو مرة واحدة...

لكنها كانت تراقب الخادمة كثيراً أثناء الطهي...

واليوم تشعر برغبتها في أن تطبخ له بيديها...

وتتمني لو تفلح!!!



ارتفعت علي أطراف أصابع قدميها تحاول النظر لما يحتويه هذا الرف العالي...

لكنها لم تستطع ...

فزفرت في حنق!!!

فيما كان هو واقفاً منذ دقائق يراقب انهماكها خلسة فيما تصنعه..

رقية الهاشمي نفسها تطبخ من أجله هو!!!!

ياله من فخر!!!

لاحظ أنها لا تطال الرف العالي محاولة عدة محاولات مضحكة...

فاقترب منها بخفة ليرفع ذراعه خلفها محضراً لها العلبة التي حاولت الحصول عليها دون جدوي...



انتفضت في فزع وهي تراه خلفها هكذا مباشرة فابتسم هامساً بمداعبة:

_تفضلي يا قصيرة!

ابتسمت في خجل فبدت له ساحرة وهي تهمس في حياء:

_هل تعايرني بقصر قامتي؟!

اتسعت ابتسامته وهو يقبل رأسها الذي يقابل صدره هامساً:

_بل أنتِ رائعة...

هزت رأسها بلا معني وهي تبتعد عنه لتعاود الانهماك في الطبخ...

فداعبها قائلاً:

_يقولون أن المرأة القصيرة أكثر أنوثة من الطويلات...هل يرضيكِ هذا؟!



هزت رأسها نفياً وهي تقول بجدية:

_عين القلب لا تري كل هذه المسميات...عين القلب تعشق الروح قبل الجسد...

هز رأسه موافقاً وهو يرمقها في إعجاب...

ثم خطر له خاطر مزعج...فسألها في تردد:

_هل شعرتِ بالحب يوماً يا رقية؟!!

كادت تجرح أصابعها بالسكين الذي كانت تقطع به بعض الخضروات...

فاقترب منها وهو يراقب ارتباكها هامساً:

_هل ضايقكِ سؤالي إلي هذا الحد؟!

أطرقت برأسها تخفي مشاعرها عنه للحظات...



قبل أن تستجمع قوتها لترفع رأسها قائلة في تماسك:

_هل تظن أنه من حقك أن تسألني هذا السؤال؟!

عقد حاجبيه بشدة وهو يشعر بالغضب فهتف بحدة غريبة علي طبعه الحنون:

_بالطبع من حقي!!!

أجفلت من ردة فعله العنيفة فارتدت للخلف في صدمة...

زفر في قوة وهو يلوح لها بسبابته محاولاً كظم غيظه هاتفاً:

_لا تحاولي العبث في هذه المنطقة مرة أخري يا رقية....هذه الفكرة بالذات لا تقبل عندي المزاح أو التلاعب بالألفاظ...

أطرقت برأسها...



فاقترب منها أكثر وهو يقول بحزم :

_والآن أجيبيني عن سؤالي...

رفعت رأسها إليه لتلتقي عيناهما مباشرة...

ثم همست في شرود:

_لقد حرمت الحب علي نفسي طيلة أيامي السابقة...رقية الهاشمي ادخرت مشاعرها كلها لرجل سيختاره الله لها زوجاً...كنت أسمع حكايا البنات عن الحب فيهفو قلبي لتجربة هذا الإحساس الرائع الذي يحكين عنه...لكنني كنت أترجم كل هذا في دعوات صادقة أن يرزقني الله زوجاً أتذوق معه حلاوة هذا الإحساس دون قيود...

دمعت عيناها فجأة فأخذت نفساً عميقاً تتمالك ثباتها ثم قالت في صلابة:



_هأنذا أجبت سؤالك...دعني وحدي حتي أستطيع إنهاء عملي...

قالتها وهي تعطيه ظهرها لتعاود ما كانت تفعله...

فأمسك بكتفيها يديرها إليه وهو يسألها بتفحص:

_وهل الحب اختيار؟! حتي تحرميه علي نفسكِ بإرادتك...

رفعت رأسها في كبرياء وهي تقول:

_في عُرف رقية الهاشمي ليس هناك ما لا يخضع لإرادتي...قد لا أملك أمر قلبي لكنني يمكنني ردعه متي شئت...لو تنافس قلبي مع كرامتي لدهست قلبي تحت قدمي ورفعت كبريائي علي رأسي...

نظر إليها مبهوراً وهو يري هذا التحول في كلامها...

من منتهي الرقة...

الي منتهي القوة...



إنه يشعر أنه ينجذب إليها في كل يوم أكثر...

يريد استكشاف شخصها الغريب الذي يثير إعجابه بشدة...

هذه ليست امرأة عادية...

هذه امرأة ملكت كل مشاعر الدنيا في قلب كالألماس...

وملكت كل كبريائها في روح قوية كالجبل...

ابتسم لها في إعجاب واضح وهو يهمس :

_أتمني ألا يتنافس قلبك وكبرياؤك يوماً...قلبك الرائع هذا يستحق أن يرفع دوماً علي رأسك تماماً ككرامتك...

أشاحت بوجهها عنه...

وهي تكاد ترجوه أن يخرج الآن...

تريد فقط هدنة قصيرة من حربها مع مشاعرها هذه...



هو لا يتصور كم المعاناة التي تعانيها معه...

كم الضغط النفسي الذي تعيشه في وضعهما الغريب هذا...

هي قوية...

وتعلم أنها قوية...

لكنها متعبة...

مستنزفة...

رقية الهاشمي التي كانت نجمة تهفو إليها القلوب ثم وجدت نفسها فجأة زوجة مغدورة لرجل يعشق سواها...

لكنها لا تستطيع تركه الآن...

لأنه يحتاجها...

وهي سعيدة بكونها قادرة علي مساعدته في محنته...



لكن كل يوم يمر لها معه يجعلها تتعلق بحباله الواهية أكثر...

وهي تخشي أن تضعف...

لو ضعفت أمامه ستكره نفسها قبل أن تكرهه!!!

لاحظت أنه لم يرفع عينيه من عليها فزاد ارتباكها وهي تهمس:

_انتظرني في الخارج من فضلك...

أمسك كفيها بكفيه وهو يواجه عينيها مباشرة ليهمس في حنان وبلهجة ذات مغزي:

_لو انتظرتك أنا فهل تعدينني أنتِ أن تنتظري...؟!!

فهمت عبارته الموحية لكنها أشاحت بوجهها بعيداً وهي تهمس في ثبات مصطنع:



_أنت تطالبني بالكثير من الوعود هذه الأيام....

رفع كفيها يقبلهما في امتنان وهو يهمس:

_أنتِ كنز حقيقي يا رقية...أحمق من لا يطمع فيه!!!

أغمضت عينيها علي صورته هذا ...

تود لو تختزنها في ذاكرتها طول عمرها...

تري هل بدأ قلبه يشعر بها كامرأة...

أم أنها مجرد دواء مسكن لجرحه القديم...

لن تعرف أبداً إجابة هذا السؤال...

لا...

ستعرفها!!!

قلب رقية الهاشمي الذي لم ينبض لرجل قبل ياسين النجدي قادر بسهولة علي هذا...



قلبها الذي يتراقص الآن بين ضلوعها منتشياً
يخبرها أنه قد بدأ يجد صدي لدقاته في قلب هذا الرجل أمامها...

قلب ياسين النجدي بدأ يفتح ذراعيه لها...

يدعوها لتنتظر...

و ستنتظر...!!!

====

توجه حمزة نحو مكتبها بخطوات مترددة...

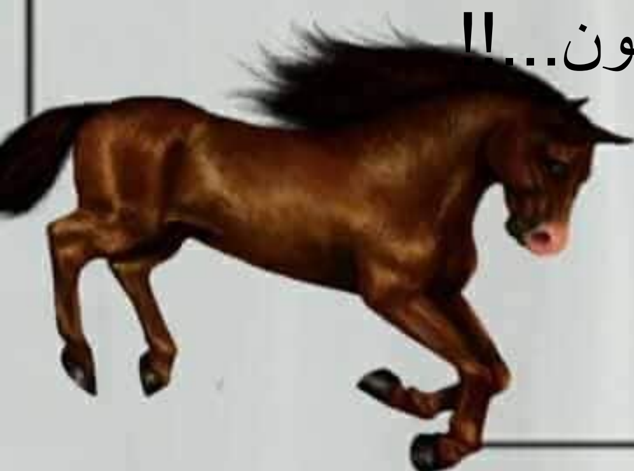
منذ لقائهما الأخير في منزل والدها الريفي وهي تتحاشاه تماماً...

هو لا يلومها كثيراً في الواقع ...

أي امرأة مكانها كانت ستتصرف هكذا...

لكن ما حيلته في قلبه ...؟!!

وهو الذي اشتاقها بجنون...!!



دخل عليها مكتبها فنظرت إليه بتوتر...

ثم أخفت الكتاب الذي كانت تقرؤه في درج مكتبها بسرعة...

عقد حاجبيه وهو،ينتبه لحركتها...

ماهذا الكتاب الذي يستدعي أن تخفيه مارية منه هكذا؟!!!!

تقدم نحوها ببطء حذر فقالت ببساطة:

_مرحباً دكتور حمزة...هل هناك شئ؟!

نظر إليها طويلاً ثم قال بصدق:

_افتقدتك يا مارية...لماذا توقفتِ عن الدروس؟!

هزت كتفيها وهي تقول ببساطة دون أن تنظر إليه:

_لم أعد في حاجة إليها.



عقد حمزة حاجبيه بشدة...

هذا ما كان يخشاه...

مارية كانت تواظب علي الدروس فقط من أجله...

هو كان دافعها للتغيير فحسب...

لكنها لم تكن رغبة صادقة منها...

وها هي ذي تتراجع عن طريقها كل تلك الخطوات التي قطعتها عندما لم تجد لنفسها أملاً معه!!!

أطرق برأسه في حزن واضح...

لقد خذلته مارية كما خذلها...

خيبت ظنه كما خيب ظنها!!!!

قطع أفكاره عندما دخل آندي إلي الغرفة يقول لمارية بمرح واضح:



_ماري عزيزتي ...افتقدتك يا صغيرتي...

هتفت مارية بلهجة محايدة:

_كيف حالك آندي...تفضل بالجلوس...

جلس آندي قبالة حازم ليقول في برود:

_كيف حالك دكتور حمزة؟!

أشار حمزة برأسه في تحية مقتضبة ثم قام من مكانه ليقول لمارية في أسف واضح:

_اعتني بنفسك يا مارية...واعذريني لو كنت قد ضايقتك...

ابتسمت في برود وهي تقول:

_لم تضايقني إطلاقاً دكتور حمزة...مرحباً بك في أي وقت...



غادر الغرفة وهو يشعر بثقل علي صدره...

لم تسر الأمور كما كان يخطط لها...

مارية العزيزة خرجت من عالمه بأسرع مما توقع...

سيندم علي تفريطه بها يوماً...

لكنه الآن لا يملك سوي أن ينتظر هذا اليوم في حسرة!!!

وعلي مكتبها تأملت مارية انصرافه بحزن...

فهتف آندي بضيق:

_رجل سخيف.!

تمالكت نفسها لتقول برقة:

_دعك منه يا آندي وأخبرني هل دبرت لي الأمر الذي طلبته منك....



هز رأسه في أسف وهو يقول:

_رغم أنني لا أفهم قرارك هذا لكنني سأساعدك...

ابتسمت في امتنان وهي تقول:

_هذا ظني فيك دوماً يا آندي...

دخل الدكتور آدم في هذه اللحظة ليجدها تبتسم لآندي الذي كان يبتسم بدوره فقال بضيق:

_كيف حالك يا آندي؟!

قام آندي يصافحه وهو،يقول باحترام:

_بخير دكتور آدم...

ثم نظر لمارية هاتفاً:

_سأرحل الآن ماري وألتقيكِ في المساء...



راقب دكتور آدم انصرافه بضيق ثم قال لمارية:

_لا أرتاح لخروجك المتكرر مع آندي هذا....

قالت مارية بغموض:

_لا تقلق من أجلي يا أبي...مارية أقوي كثيراً مما تظن!!

تقدم نحوها ليسألها بحذر:

_لماذا لم أعد أري حمزة معك؟! هل ضايقكِ في شئ؟!

هزت رأسها نفياً وهي تقول ببساطة:

_لا...إنه لم يعد يعجبني فحسب!

مط شفتيه في استياء وهو،يقول :

_وآندي هذا يعجبك؟!

أومأت برأسها إيجاباً وهي تقول :



_آندي يعتني بي...يمنحني الاهتمام الذي يجعلني أشعر كأنني ملكة...لكن حمزة هذا ينظر لي باستهانة...وكأنني لا أرتقي لمستوي فكره...لهذا من الطبيعي جداً أن أرتاح لآندي أكثر...

هز دكتور آدم رأسه في أسف واضح...

لقد خذله حمزة...

كان يتمني لو استطاع أن يكسب قلب مارية...

لكن يبدو أن خلفيته الشرقية وقفت حاجزاً دون قبوله لمارية كزوجة له!!!

هو يعذره في هذا...

لكنه خيب أمله في الحقيقة!!!



قامت مارية من علي مكتبها ثم توجهت إليه لتقبله علي جبينه هاتفة:

_لا تنتظرني علي العشاء...لدي الكثير من الأمور لأنجزها وسأتناول عشائي مع آندي...وداعاً...

راقب انصرافها بحسرة كبيرة وهو،يهمس في سره:

_ياللخسارة يا حمزة...ياللخسارة!!

===

صعدت ساري الدرج متجهة لشقتها...

منذ لقائها الكارثي بحذيفة علي السطح وهي لا تخرج من شقتها إلا إلي الجامعة...

لم تعد تزور العمة راجية كالسابق ولا عادت تختلي بنفسها علي السطح كما اعتادت...

تباً له حذيفة!!



لقد صنع لها سجناً قبل أن يتزوجها فماذا هو فاعل بها عندما تكون تحت سقف بيته؟!!!

وصلت للدور الثاني حيث شقتها لتجد باب شقة العمة راجية مفتوحاً علي غير عادته ...

وسمعت صوت جدها بالداخل!!!

عجيب...

قاسم النجدي لا يدخل شقة راجية ولا فريدة...

هو يستدعي من يشاء لشقته لكنه لا يغادرها....

فما الذي أتي به إلي هنا؟!!!

قطعت أفكارها عندما سمعت صوت جدها يقول بغضب:

_هذا الفاسد ابنك لا يكف عن جلب المصائب!!!



عرفت أنه يقصد حذيفة بالتأكيد...

عمار غليظ خشن لكنه ليس فاسداً**!!!!**

لم تستطع مقاومة فضولها فدخلت لتلقي السلام...

لتجد عمتها راجية تصرخ وهي تهرول نحو غرفة حذيفة:

_تعالي يا ساري وانظري...ماذا حدث لحذيفة؟**!**

سقط قلبها بين قدميها وهي تسمع جدها يهتف:

_ولد فاسد**!!**

قالها وهو،يغادر الشقة بغضب عاصف دون أن يوجه كلمة لساري...

فاندفعت ساري إلي حجرة حذيفة ليهولها المنظر...

كان جالساً علي سريره ووجهه كان غارقاً كله بالدماء...



مسحت راجية الدم عن وجهه بمنشفة صغيرةوهي تولول هاتفة:

_عين وأصابتك يابني!

ثم تناولت قطنة لتضعها في طبق صغير به مطهر ما لتضعها علي جرحه بحرص...

فتأوه بضعف...

دلفت ساري إلي الداخل صامتة...

تحاول استيعاب هذا الموقف...

فقامت راجية من مكانها وهي تهتف:

_أكملي تطهير جرحه يا بنتي حتي أجهز له الطعام...

كادت تعترض لولا أن اندفعت راجية لتغادر الغرفة مهرولة...



جلست علي طرف الفراش وهي تتناول قطعة قطن أخري نظيفة لتطهر بها جرحه...

ظل ينظر إليها في صمت...

لا يكاد يرفع عينيه من عليها...

فيما تحاشت هي النظر لعينيه في إصرار ...

وهي مستمرة فيما تقوم به...

وكأنه واجب لا أكثر!!!!

ولما طال صمتها وتحاشيها النظر إليه...

وجد نفسه يسألها بهمسه الرخيم:

_لازلتِ غاضبة مني؟!

لم ترد عليه بل ظلت منهمكة فيما تقوم به وكأنها لم تسمعه...

فأردف بنفس اللهجة:



_كنتِ تتمنين لو كانت الطعنة في قلبي وليس في وجهي أليس كذلك؟!

هنا...

رمقته بنظرة عاتبة..!!

نظرة واحدة عادت بعدها لجمودها...

فهمس في خبث:

_ألا تودين معرفة ما الذي حدث لي؟!

لم تستطع مقاومة فضولها فقالت في جمود دون أن تنظر إليه:

_ماذا حدث لك؟!

ابتسم وهو يتشبع من ملامحها التي بدت له الآن فاتنة!!!!

ثم قال باقتضاب:



_مشاجرة مع أحد الرجال.

ابتسمت في سخرية وهي تقول:

_أنت تحولت من العبث مع النساء إلي التشاجر مع الرجال...تطور عظيم حقاً...!!!!

أشاح بوجهه في ضيق...

فهتفت بحزم:

_لا تشح بوجهك دعني أنهي عملي.

هتف بحنق:

_لا تحدثيني هكذا...أنا زوجك!

ابتسمت وهي تقول في سخرية:

_يبدو أن الضربة أثرت علي عقلك...لست زوجي بعد يابن النجدي!!!

كز علي أسنانه وهو يقول في سخط:

_لا تستفزيني يا ساري



كظمت غيظها وهي تعاود تطهير جروحه...

فصمت لدقيقة كاملة يتأمل ملامحها الجامدة...

ثم همس بعاطفة:

_ساري!

لم ترد عليه...

بل لم تنظر إليه حتي!!!

فعاد يهمس :

_سوسو!

ابتسمت رغماً عنها وهي تتذكر عندما كان يناديها هكذا وهي صغيرة لتدليلها...

كم كانت أياماً رائعة...

ليتنا بقينا صغاراً يا حذيفة!!!

ليتنا بقينا صغاراً...



تحكمت في ابتسامتها ليعود لوجهها جموده فهمس بندم واضح:

_لا تغضبي مني...أنا نادم حقاً علي ما حدث...

قامت من جواره وهي تقول بجمود:

_لقد طهرت لك جروحك كلها وتوقف النزيف...هل تريد شيئاً آخر...؟!!

وقف قبالتها ليقول برجاء:

_انظري إلي يا ساري.

أشاحت بوجهها بعيداً فهتف بحدة:

_لماذا تعاملينني بهذه الطريقة؟! لقد اعتذرت لكِ فماذا تريدين أكثر؟!

لم تهتز،شعرة من حدته بل قالت ببرود دون أن تنظر إليه:

_لا أريد منك شيئاً ....دعني أمضي...



قال بضيق واضح:

_ساري...لن تستقيم أمورنا هكذا...عندما نتزوج سنكون...

قاطعته هاتفة بنفس البرود:

_قلت لك من قبل ألا تتعجل الأمور يابن النجدي...من يدري ماذا يحمله لنا الغد؟!!!!

قالتها وتركته يغلي مكانه...

هذه ثالث مرة تقول له فيها هذا...

فما الذي تعنيه؟!!!

إنها تبدو واثقة من حدوث شئ ما يمنع زواجهما...

وما الذي يمكن أن يغير كلمة قاسم النجدي...؟!!!



ظل واقفاً مكانه يعصف به الغضب لدقائق...

قبل أن يتوجه نحو شقتها ليطرق الباب ....

سمعت ساري طرق الباب فظنتها فريدة...

فهي لم تجدها عندما عادت إلي الشقة....

فتحت الباب لتجده هو فهتفت بحدة:

_ماذا تريد...والدتي ليست هنا ولا يصح أن....

قطع عبارتها وهو يدفعها للداخل ليغلق الباب خلفه...

شعرت ساري بالخوف فهتفت بغضب :

_ارحل الآن يابن النجدي...وإلا صنعت لك فضيحة...



حاصرها بينه وبين باب الشقة المغلق ليقول بغضب:

_ماذا كنتِ تعنين بقولكِ ألا أتعجل الأمور؟! ما الذي يمكن أن يحمله الغد في نظرك فلا تكونين زوجتي؟!

ازدردت ريقها ببطء...

هي لم تكن تعني شيئاً محدداً...

هي أرادت استفزازه فقط!!!!

أساء فهم صمتها فظن أنها تخفي شيئاً...

اقترب بوجهه من وجهها أكثر...

فرفعت كفها لتصفعه لكنه أمسكه بسرعة...

هو وكفها الآخر ليلصقهما جوارها بالجدار هاتفاً:

_ليس في كل مرة يا صغيرة!

شعرت ساعتها بخوف حقيقي...

ضربات قلبها جاوزت الحد المعقول...

فهمست وقلبها يكاد يتوقف:

_اتركني يا حذيفة...

أرجوك...



لم تصدق عينيها عندما ارتخي ذراعاه الممسكان بكفيها...

ليبتعد عنها وشبه ابتسامة علي شفتيه...

ثم همس في خبث:

_سأتركك هذه المرة لأنكِ دعوتني حذيفة...!!

تجمدت مكانها مصدومة...

وهي تنتبه أنها لم تدعُه بابن النجدي هذه المرة...

فاتسعت ابتسامته وهو يهمس في حنان غريب عن هذا الموقف كله:

_وأنا اشتقت لسماعها منكِ!!!

تمالكت فيض مشاعرها في هذه اللحظة لتفتح باب الشقة بسرعة وهي تقول :

_ارحل الآن...



أومأ برأسه إيجاباً وهو يقول بحزم:

_انتِ زوجتي يا ساري....هذه حقيقة لن يغيرها شئ ولن يبدلها غد....فلا تعيديها ثانية!!!!

قالها ثم غادر الشقة لتغلق الباب خلفه بسرعة...

وكأنها لا تصدق أنه رحل!!!!!

وضعت كفها علي صدرها لعلها تهدئ خفقات قلبها الذي كان ينتفض انتفاضاً....

لا تصدق هذه الحالة الغريبة من الضعف التي تعتريها أمامه...

ولا تصدق تغير أسلوبه معها لكنها تفهم دوافعه...

هي بالنسبة إليه رهان جديد يريد كسبه...

هذا النوع من الرجال كحذيفة يؤلمه غروره عندما يشعر أن امرأة ما تستعصي عليه...



هو يريد ترويض شراستها فحسب...

حتي إذا أحس بانجذابها نحوه زهدها ومل منها....

ورغم أنها تكاد توقن من استنتاجها هذا...

لكنها لا تملك إلا أن تتأثر بأسلوبه الجديد معها...

كيف لا؟!

وهو يحمل لها كل ما ظلت تحلم به خلف ستائرها الوردية من عشقها القديم له....

كم كانت صادقة عندما قالت...

حذيفة النجدي سيكون وجع قلبها الأزلي!!!!

====

طرقت سمية باب غرفة نغم فسمحت لها الأخيرة بالدخول...

دخلت سمية بابتسامتها الصافية لتقول بمودة:

_كيف حالك يا نغم؟!



ربتت نغم علي كتفها وهي تقول بحنان:

_كيف حالك أنت يا حبيبتي؟!

جلست سمية جوارها علي السرير وهي تقول بترقب:

_ما رأيك في آسيا؟!

أشاحت نغم بوجهها وهي تقول بضيق:

_إنها تبدو طيبة وتحب ياسين كثيراً للحق!!! لكنني لا أستوعب كيف تأتمنينها علي زوجك هنا؟!

تنهدت سمية في حرارة وهي تقول:

_ألم تفكري أن هذا بالضبط هو ما أسعي إليه؟!!

اتسعت عينا نغم في دهشة...

ثم بدأت تدرك الأمر...

آه يا سمية العزيزة!!!!



هل أنتِ حقاً بهذه الرقة والمثالية؟!!!!

تأملت سمية ملامحها المندهشة لتقول بشرود:

_بدر بدأ يرتاح للحديث معها...بل إنه بدأ يمزح كثيراً في وجودها...وأظن أنه لو منحت له الفرصة وتنحيت أنا عن طريقه فسيجد معها سعادته التي يستحقها....

دمعت عينا نغم وهي تهمس:

_أنتِ تتحملين ما لا يتحمله بشر يا سمية...لماذا تقسين علي نفسك هكذا؟!!!

ابتسمت سمية وسط دموعها وهي تهمس:

_أنا راحلة قريباً ولن تعنيني الدنيا بأسرها...فقط أريد الاطمئنان علي بدر الذي ترك عالمه كله لأجلي...أريد أن أترك معه من تنير عالمه بعدي فلا يشعر بالوحدة...وآسيا جاءتني كهدية من الأقدار لأري فيها ضالتي....



ثم التفتت لنغم هامسة في رجاء:

_وأنتِ يا نغم كوني دوماً بقربهما وبقرب ياسين الصغير...لأجلي أنا...

ربتت نغم علي كفها وهي تفهم الآن ما الذي يدور حولها بالضبط...

وهي التي كانت تتعجب طيلة الأيام السابقة...

كيف تحتمل سمية وجود فتاة بفتنة آسيا وبوضعها الغريب هذا في بيتها مع زوجها...

لم تتصور أبداً أنها تتعمد هذا....

قامت سمية من جوارها بعدها لتعود لغرفتها...

فتحت النافذة تتجول بنظرها في المزرعة لتري آسيا جالسة علي كرسيها وبدر يقترب منها ...

ثم يبدآن في الحديث...

راقبتهما للحظات...

ثم لم تحتمل أكثر...



أغلقت النافذة وعادت لسريرها لتستلقي عليه...

وهي تستغفر الله في خشوع...

لعلها تهدئ قلبها المحترق!!!!

وفي مكانها كانت آسيا جالسة تبكي في حرقة...

كلما مر عليها يوم هنا شعرت أنها في سجن...

تضيق جدرانه عليها أكثر وأكثر...

لقد اشتاقت لأهلها حد الجنون...

كل يوم تراودها نفسها أن تعود إليهم ...

تتمرغ في حضن فريدة الغالية...

تشبع من المزاح مع جوري وساري...

تلقي نظرة واحدة علي ياسين...

ثم ليكن بعدها ما يكون!!!!

حتي لو قتلها قاسم النجدي بعد ذلك....

لن تكون نادمة!!!!



حمقاء كانت يوم ظنت أنها يمكن أن تبدأ حياتها من جديد بعدهم...

أي حياة بعدهم بقيت لها؟!!!

أي حياة؟!!!!

ازداد نحيبها في هذه اللحظة...

فسمعت صوت بدر جوارها يهمس في قلق:

_لماذا تبكين يا آسيا؟! هل ضايقكِ أحد؟!

قالها وهو،يسحب كرسياً ليجلس جوارها...

فهزت رأسها نافية وهي لا تستطيع حتي مجرد الكلام...

ظلت تبكي بعدها للحظات...

تحملها هو صابراً ثم قال بخشونة متعمدة:

_ألم يكن هذا قرارك ؟!



هزت رأسها إيجاباً فقال بشرود:

_احتملي عواقبه اذن للنهاية...وأكملي الطريق....

أطرقت برأسها وهي تتنهد في حرارة فقال بحنان هذه المرة:

_هل تعلمين أن قصتك تشبه قصتي أنا وسمية...لقد هربنا سوياً إلي هنا لننشئ عالمنا الخاص...بعيداً عن كل الشرور التي نغصت عيشنا....

همست في ترقب:

_ألم تندما علي ذلك؟!

أطرق برأسه وهو،يقول :

_لا أخفيكِ قولاً أنني أحياناً كنت أشعر بالندم...بالوحدة...كشجرة تقف عارية في طريق مقفر...



لكن سعادتنا بحبنا وبطفلنا كانت تعوضنا عن هذا الإحساس البغيض...سمية كانت ولا تزال كنز عمري الذي أفتديه بكل غال...

تأملته آسيا بدهشة وهي تشعر أنها تراه لأول مرة...

كم يختلف هذا الرجل عن ياسين...

ياسين تخاذل عن الحفاظ عن حبهما...

جبن عن التصريح برغبته فيها...

لم يستطع الوقوف في وجه قاسم النجدي بطغيانه وجبروته...!!!!

لكن بدر فارس حقيقي...

هرب بحبيبته بعيداً في قلعة حصينة ليحافظ علي حبهما الفريد...



لم يكن ذنبه أن المرض اختطفها منه...

لكنه باقٍ علي حبها حتي بعدما تحولت لحطام امرأة...

لا تدري لماذا شعرت ساعتها بصورة ياسين تتضاءل رويداً رويداً جوار هذا العملاق...

بدر الذي استطاع اختطاف غنيمته من بين مخالب الأيام...

نعم...سمية كانت غنيمته التي استحقت هذا العناء ....

والتي حفظها تاجاً علي رأسه طوال هذه السنوات.....

ابتسم لها بدر وهو يقول بحنان:

_سمية تحبك كثيراً لأنها تري نفسها فيكِ..لكنني لا أري ذلك...



عقدت حاجبيها في تساؤل فقال مفسراً:

_أنتِ أقوي كثيراً مما تبدين عليه...لهذا ستتجاوزين أزمتكِ سريعاً...وحدكِ ودون مساعدة أحد....لكن سمية لم تكن لتقوي علي فعل شئ دوني...

ابتسمت لتشجيعه ثم قالت في شرود:

_طالما كانت والدتي تشبهني بالكريستالة...في هشاشتها وسهولة قابليتها للكسر...

اتسعت ابتسامته وهو يقول بمؤازرة:

_ربما تكونين مثلها في قيمتها لكن ليس في هشاشتها بالتأكيد...

ابتسمت بسعادة طفولية وهي تسمع كلمة مديح لأول مرة منذ زمن طويل...

فهمست في امتنان:



_شكرا يا سيد بدر...أنت ساعدتني كثيراً...

قام بدر ليقول برفق:

_لقد ازدادت برودة الجو هنا...عودي لغرفتك الآن...

استسلمت لأمره راضية...

وهي تشعر ببعض الاطمئنان...

لقد كانت تحتاج لكلماته المشجعة هذه كي تحتمل أيامها الصعبة القادمة...

كم هي محظوظة سمية برجل مثل بدر...

ترك الدنيا كلها من أجلها...

وجدت نفسها فجأة تدعو الله لسمية بالشفاء في صدق...



بدر لا يستحق عناء فقدها...

فحبهما خلق ليبقي لا ليموت!!!

===

وقف عمار في شرفة غرفته يراقب الطريق في يأس...

رجل مثله علي وشك الزواج من المرأة التي عشقها طوال عمره...

ومع هذا يشعر أنه أبأس أهل الأرض...!!!!!

تنهد في حرارة عندما لمحها قادمة نحو باب المنزل الخارجي...

كيف خرجت ؟!!!

ألم يمنعها قاسم النجدي من الخروج ؟!!!



غادر الشقة مسرعاً ليلقاها صاعدة علي الدرج...

فهتف بخشونة:

_أين كنتِ؟!

أطرقت برأسها وهي تتحاشي النظر لعينيه هامسة:

_لقد استأذنت جدي في الذهاب للمكتبة لآخر مرة قبل إغلاقها....

تأمل حزنها الصامت للحظات ...

ثم قال بأقصي ما استطاعه من رفق:

_عندما نتزوج يمكنك فتحها من جديد...أنا لا أمانع....

ابتسمت في سخرية...

يالكرمك يابن النجدي!!!!



وكأنني سأجد للحياة طعما بعد زواجي منك فأعود لما كنت عليه؟!!!

أنت ستكون لعنتي الأخيرة...

التي ستقضي علي كل أثر للحياة في روحي...

كم أكرهك يا عمار...

كم أكرهك!!!!

طال صمتها لكنه لم يستطع الكلام هو الآخر...

كلماته تعانده...

يود لو،يسألها برقة عن حالها...

لو يخبرها كم يشتاق لتكون جواره...

لو يضمها لصدره ويربت علي ظهرها حتي تطمئن إليه...



لكنه ببساطة لا يستطيع...

طباعه الخشنة تغلبه!!!!

زفر بقوة غاضباً من نفسه أولاً قبل أي شئ...

ليجد نفسه يقول لها بغلظة:

_اصعدي لشقتك ولا تخرجي منها بعد الآن...

أغمضت عينيها في قوة...

وكأنها لا تريد أن تراه...

بل هي فعلاً كذلك!!!

رؤيته تجعلها تشمئز...

فكيف لو،لمسها؟!!



اقشعر جسدها من الفكرة فتجاوزته سريعاً لتصعد الدرج نحو شقتها...

تاركة إياه خلفها يهز رأسه في إحباط!

فيما دخلت هي غرفتها بسرعة لتبدل ملابسها وتستلقي علي،سريرها تفكر في شرود...

هل تقبل عرض زياد بكل مميزاته وعيوبه...

أم تتقبل مصيرها في استسلام...

ظلت حائرة لساعات تتقلب بين أفكارها في شتات...

حتي استعادت صورة عمار الغليظ في رأسها وتصورته زوجاً لها بعد أسابيع...

لا!!!

انتفضت من فراشها وهي تمسك بهاتفها لتطلب رقم زياد...



رد عليها بصوت ملهوف لتقول له بحسم:

_أنا أوافق علي السفر معك.

====

جلس العم كساب أمام اسطبل الخيل يداعب شيئاً ما بيده في شرود...

توجهت آسيا نحوه بمرح وهي تهتف:

_كيف حالك اليوم يا عمي؟!

التفت كساب نحوها وهو يقول بفرحة حقيقية:

_يشرق يومي عندما أراكِ يا لؤلؤة.

ضحكت بمرح وهي تجلس جواره هاتفة:

_أنا لؤلؤة؟! هل تغازلني صراحة يا عمي.؟!

ضحك كساب ضحكة طويلة ثم هتف بخبث:

_رغم أنك تستحقين المغازلة يا لؤلؤة...لكنني أعنيها حقاً!!!



نظرت إليه بامتنان وهي تهمس في صدق:

_هل تعلم يا عمي ؟! رغم أنني لم أقض هنا فترة طويلة لكنك عوضتني بصدق عن حنان والدي...أنا ممتنة لك كثيراً..

اتسعت ابتسامة كساب وهو يقول بمودة حقيقية:

_أنتِ فتاة رائعة يا آسيا...نحن محظوظون بكِ هنا...ياسين الصغير كان دوماً حزيناً بعد مرض سمية الذي هدها هي وياسين معاً...لكن ظهورك في حياتنا أسعدنا جميعاً...حتي سمية تحسنت حالتها النفسية كثيراً بعدما اطمأنت علي ياسين في صحبتك...

تنهدت آسيا في حرارة وهي تقول:

_سمية هذه ملاك يا عمي...تستحق كل الحب الذي يمنحه لها بدر...



أومأ برأسه إيجاباً وهو يقول بحذر:

_وبدر أيضاً فارس حقيقي محظوظة من تكون بقلبه...

قالها كساب وهو يحاول استكشاف مكنون نفسها نحو ابن أخيه....

هو مثل سمية يتمني لو يمضي بدر في حياته بعد رحيل سمية...

وآسيا فتاة مثالية من وجهة نظره...

لكن...هل ترضي ببدر وظروفه المعقدة؟!!!

آسيا طبيبة من عائلة ثرية ...

شابة فاتنة لا تزال الحياة تفتح لها ذراعيها بأحلي الأماني...



فهل تقبل الارتباط ببدر بكل ملابسات حياته المعقدة؟!!!

لكن آسيا لم تنتبه لكل هذا....

قالت ببساطة غافلة عن مقصده:

_لن تكون في قلبه سوي سمية ...رجل كبدر غير قابل للقسمة...وهذا ما يجعله مميزاً...

_صباح الخير!

انتفضت آسيا من مكانها وهي تسمعه يلقي إليهم بتحية الصباح...

لقد استمع لعبارتها الأخيرة حتماً...



تضرجت وجنتاها بحمرة الخجل وهي ترد تحيته بصعوبة ...

ثم تنسحب شبه راكضة نحو المنزل...

ابتسم كساب وهو يراقب خجلها ثم قال لبدر في عتاب:

_لقد أحرجتها يا بدر.

ابتسم بدر وهو يجلس مكانها الذي كانت تحتله منذ قليل ليقول:

_أعجبني رأيها فيّ...أنا فعلاً غير قابل للقسمة!

هز كساب رأسه في يأس وهو يقول ليغير الموضوع:

_كيف حال سمية؟!



اختفت الابتسامة من وجه بدر وهو يقول بضيق:

_تتألم كثيراً يا عمي...قلبي يتمزق من أجلها....

ظهر الألم علي وجه كساب وهو يرفع وجهه للسماء هاتفاً:

_لطفك بنا ياالله!

أطرق بدر ببصره للحظات...

ثم رفعه لينتبه للشئ الذي يمسكه كساب بيده...

ابتسم في شحوب وهو يقول لعمه في إشفاق:

_لازلت تحتفظ بقلادتها يا عمي؟! لازلت تذكرها؟!

تحسس كساب القلادة برفق وهو،يقول:

_هي عمري كله يا بدر...هل ينسي المرء عمره؟!



قال بدر بدهشة تمتزج بحيرته:

_رغم كل ما حدث... ؟!!!إنها تظنك قتلت زوجها....لاريب أنها الآن....

قطع عبارته لما أحس أنها ستجرحه...

لكن كساب فهمها فأردف في حزن:

_لا ريب أنها تكرهني يا بدر...أنا أعرف ذلك...لكنني أشعر أنني سألتقيها يوماً لأشرح لها...أتمني فقط أن يمهلني عمري فلا أموت قبل أن تعرف هي الحقيقة....

قام بدر من مكانه ليربت علي كتفه وهو يقول :

_لا تثقل علي نفسك يا عمي...

ربت كساب علي كفه وهو يقول بيقين:

_يوماً ما ستتضح الحقيقة كاملة...وأنا أشعر أنه ليس ببعيد....



استيقظ ياسين من نومه علي صوت أناتها الخفيض فقام هاتفاً:

_ماذا بكِ يا رقية؟!

همست في ألم:

_بطني يؤلمني بشدة.

انتفض من مكانه ليتناول هاتفه قائلاً:

_سأهاتف طبيباً صديقاً لي صادف أنه هنا في الساحل هذه الأيام...

لم تمضِ ساعة حتي تفحصها الطبيب ليعلن بأسف أنها مريضة بالتيفود...

وبعدما أعطاه قائمة بالأدوية والطعام المسموح...

انصرف مطمئناً له أنها ستكون بخير...



جلس ياسين جوارها علي طرف السرير ...

تحسس جبهتها ليجدها ساخنة لكنه همس مطمئناً:

_حرارتكِ جيدة...

تركها بضع دقائق ليحضر لها الدواء...

ثم عاد بسرعة ليعطيه لها بنفسه...

تأمل ملامحها المنهكة بإشفاق ثم همس في قلق:

_كيف أنتِ الآن؟!

تحاملت علي نفسها لتخفي ألمها هامسة:

_دعنا نعد يا ياسين...أريد الذهاب لأمي لتعتني بي...

هز،رأسه نفياً وهو،يقول بحزم:

_لن يعتني بكِ أحد غيري...

همست في ألم:



_لا أريد أن أتعبك...كما أن أمي ستتفهم الوضع أكثر...فقد أصبت به مرتين من قبل...

أمسك كفها يقبله وهو يقول بحنان:

_لن يعتني أحد برقية الغالية سواي أنا...

ابتسمت رغماً عنها وهي تحاول تصنع المرح لتتغلب علي ألمها هامسة:

_لن تحتمل ...صدقني ستعيدني لوالدتي بعد يوم واحد علي الأكثر...

رفع أحد حاجبيه وهو،يهمس مداعباً:

_تراهنينني؟!!

اتسعت ابتسامتها وهي تهمس بدورها:

_أراهنك!

أمال رأسه متفحصاً لها وهو،يقول بخبث:

_ولو كسبت الرهان؟!



أزاحت خصلة من شعرها وراء أذنها لتهمس في خجل:

_ماذا تريد؟!

تأملها في افتتان بخجلها الذي يزيدها حسناً ليهمس في ترقب:

_ستجيبين عن سؤالي الذي أجلتِ إجابته...

عقدت حاجبيها في تساؤل فأردف في تفحص:

_لماذا أنا بالذات يا رقية؟!

أطرقت برأسها دون أن تجيب...

فرفع ذقنها بأنامله وهو يهمس:

_هل تتهربين من الرهان؟!



تنهدت في حرارة وهي تهمس في مرح لتتهرب منه:

_أنت تجيد استغلال الظروف...أنت تاجر ماهر!

همس بحنان وهو،يلاحظ تحسن حالتها نوعاً:

_سلمكِ الله يا رقية من كل شر...وأبقاكِ لي دوماً...

أسندت رأسها علي وسادتها وهي تهمس في صوت ناعس:

_أشعر أن رأسي ثقيل كالجبل!

ربت علي رأسها وهو،يهمس بحنان:

_نامي يا رقية...عندما تستيقظين ستكونين بخير...

ابتسمت له في امتنان ثم تثاقل جفناها فجأة لتسقط في نوم عميق بفعل الدواء...



تنهد في حرارة وهو يتحسس جبهتها ليجد حرارتها قد انخفضت بالفعل...

تأمل ملامحها النائمة في سكينة وهو يشعر نحوها بذنب كبير...

رغم ما تبديه من قوة وتحمل..

لكنه يعرف أنها تحتمل وحدها وزراً ثقيلاً...

وحدها تماماً...

لا تشكو لأحد من أهلها...

ولا لصديقاتها...

بل إنها حتي لا تشكو له هو!!!!

أي صبر تملكه هذه المرأة...

وأي قوة؟!!!



والذي يدهشه حقاً هو لماذا تحتمل...

ولماذا وافقت عليه هو دوناً عن سواه...

هل من المعقول أنها....

أحبته؟!!!!

راجع كل مواقفهما السابقة في ذهنه يحاول استكشاف مشاعرها...

لكنه لم يصل لشئ...

رقية كانت تعامله بحنان ...بتفهم...

لكن لا يستطيع الجزم أنه كان حباً...

ولو أنه يتمناه!!!!

عاد يتحسس جبهتها في حنان ...



وهو يشعر أنها صارت غالية جداً عنده...

ليتها تبقي جواره أبداً ...تنير حياته بروحها المتوهجة كضوء النهار...

====



الفصل التاسع:

استيقظ ياسين من نومه ليجدها نائمة علي صدره تحتضنه بكلي ذراعيها...

قبل جبينها بخفة ليشعر بدرجة حرارتها طبيعية أخيراً بعدما كانت مرتفعة طوال الليل...

ابتسم في حنان وهو يتذكر هذيانها طوال الليل باسمه وباسم أبيها...

حتي فوجئ بها تحتضنه بقوة لتظل هكذا حتي الآن....!!!!

زفر بقوة وهو يتمني لو يضمها إليه ...

لو تصير له زوجة حقاً وليس مجرد حبر علي ورق...



رقية كامرأة شديدة الفتنة يصعب علي أي رجل مقاومتها...

خاصة رجل مثله لم تكن له تجارب قبلها....

لكنه سيحترم وعده لها...!!!!

لن يمسها إلا برضاها...

إلا وهو يحبها ...

رقية الهاشمي تستحق ألا يمسها سوي رجل يحبها وبجنون....كما أخبرها يوماً!!!!

شعر بالارتباك للحظات...

لو استيقظت لتجد نفسها هكذا ربما تظن به سوءاً...

لهذا سيتظاهر بالنوم حتي تفيق من نومها وحدها...

ليري ماذا ستكون ردة فعلها...!!!!



لم تمر دقائق حتي أفاقت رقية من نومتها لتجد نفسها تحتضنه هكذا...

شهقت بقوة وهي تنتفض بفزع لتجده لازال نائماً كما ظننت...

أسندت رأسها علي الوسادة مبتعدة عنه وهي تشعر بصداع رهيب...

جسدها كله يؤلمها...

لكن...كيف كانت تحتضنه هكذا؟!!!

كيف فعلتها؟!!!

هزت رأسها في ضيق وهي تحمد الله أنها استيقظت قبله...

ماذا كان سيكون رد فعلها لو استيقظ قبلها ليجدها كذلك!!!!



حاولت النهوض من السرير...

لكن خذلتها قدماها...

لتتهاوي عليه من جديد في إعياء....

فتح ياسين عينيه أخيراً وهو يهمس في حنان:

_صباح الخير يا رقية...كيف حالك الآن؟!

تحاشت النظر إليه وهي تشعر بالخجل هامسة:

_بخير...

قام من الفراش وهو يقول لها برفق:

_سأصلي ثم أحضر لكِ الإفطار...ابقي في الفراش...

هتفت باعتراض:

_لا ...سآتي معك...

اقترب منها قائلاً بحزم:

_ابقي مكانك يا رقية...

أنتِ مريضة...



همست في إعياء:

_لا يصح أن تخدمني أنت...دعني أعد لأمي...

جلس قبالتها علي طرف الفراش وهو يقول بلين:

_هل سنتحدث عن هذا الأمر من جديد.؟!!..ستبقين معي هنا ولو قصرت أنا في رعايتك يمكنك ساعتها الذهاب لوالدتك كما تريدين...اتفقنا؟!

همست في خجل:

_حسناً لكن دعنا نستدعي خادمتنا كي لا أتعبك...

هز رأسه نفياً وهو يقول ممازحاً:

_لا...أنا أريد الاستفراد بك هنا دون دخلاء....

احمرت وجنتاها وهي تقول بحرج:

_ما ذنبك في أن تبقي حبيساً جواري هنا...الأمر مرهق صدقني...لقد جربته قبلاً...

قام من مكانه ليقول بحسم:



_لن أتحدث في هذا الموضوع ثانية...

قالها وهو يغادر الغرفة ...

ثم عاد بعد دقائق طويلة حاملاً صينية صغيرة...

وضعها جوارها علي الكومود...

ثم تناول طبق الحساء الذي أعده ليقول بمرح:

_هيا نري هل سيعجبك طبخي؟!

ابتسمت في امتنان وهي تقول :

_يكفي أنك أتعبت نفسك...

وضع الملعقة في الطبق ليحمل إليها بعض الحساء ثم قربها من فمها هامساً:

_بالهناء والشفاء.

ابتعدت بوجهها وهي تقول بخجل:



_سآكل وحدي...لا داعي لذلك...

ابتسم هامساً في حنان:

_أحب أن أطعمك بيديّ.

عاد يقرب الملعقة من فمها لتتناولها منه ثم همست بابتسامة رقيقة:

_أخشي أن أخبرك أنه أروع حساء تذوقته فتظنني أسعي لاستغلالك فيما بعد!

ضحك ضحكة طويلة ثم همس بحنانه المعهود:

_استغليني كما شئتِ.

شعرت بجسدها كله يرتجف تأثراً بهذا الحنان الذي يفيض منه...

مم خلق هذا الرجل حتي يكون بكل هذه الروعة...؟!!



إنها تشعر جواره بأمان يلفها في احتواء ...

ينسيها كل مخاوفها وجراحها...

ويعدها بغد وردي ملئ بالأحلام!!!!

عاد يطعمها وهو يسألها بحذر:

_بم كنت تحلمين بالأمس؟!

هزت رأسها قائلة بحيرة:

_لا أدري...لا أذكر شيئاً...هل كنت أهذي؟!

ثم أردفت بخجل:

_عندما كنت أصاب بهذا الدور سابقاً أمي كانت تقول أنني أهذي بجنون...!



همس بهدوء مخفياً واقعة احتضانها الكارثية له:

_كنت تهذين باسمي وباسم والدك...

شعرت بالارتباك وهي تسأله :

_هل كنت أقول شيئاً معيناً؟!

رفع أحد حاجبيه بمكر وهو يقول:

_هل تخافين من شئ تخفينه؟!

هتفت بسرعة:

_لا...إنه مجرد سؤال...

شعر بارتباكها فأشفق عليها منه....

ليعود لإطعامها وهو يقول برفق:

_هل افتقدتِ والدك؟!



تنهدت لتهمس في شرود:

_جداً...افتقدت حياتي السابقة كلها...

عقد حاجبيه وهو يسألها بضيق:

_إلي هذه الدرجة لستِ سعيدة معي؟!!

التفتت إليه لتقول برقة:

_لا يا ياسين لم أقصد هذا...أنت تبذل كل ما تستطيع لإسعادي وأنا ممتنة لك كثيراً...

ثم أردفت بعاطفة:

_لكن علاقتي بوالدي شئ فريد ...هو الوحيد الذي أئتمنه علي ضعف رقية الهاشمي الذي لم يظهر إلا أمامه...حتي والدتي رغم حبي الشديد لها لكن أبي حالة خاصة...هل تعلم ...لقد استطعت الكذب علي والدتي بخصوص علاقتنا...ربما لو كان أبي هو من سألني لما تمكنت من إخفاء الأمر عليه...



أومأ برأسه في تفهم وهو يقول:

_لهذا كنتِ تبكين علي صدره في انهيار عندما جاء لزيارتنا؟!

أسندت رأسها علي الوسادة وهي تهمس في شرود:

_أبي هو سندي الوحيد...هو أكثر من فهمني...كل من حولي كانوا يرون رقية القوية التي لا يكسرها شئ...وحده أبي كان يشعر بضعفي...يتفهمه...يحتويه...

همس بحنان:

_أنتِ تحبينه كثيراً...محظوظ هو بابنة مثلك...

ابتسمت بسعادة وهي تهمس:

_بل أنا المحظوظة به حقاً...



ناولها الملعقة الأخيرة ثم وضع الطبق جانباً...

ليقول برفق:

_كيف يراني والدك؟!

أطرقت برأسها وهي تقول بهدوء:

_لا أحد يختلف علي شخصك يا ياسين...أنت رجل مميز ...

رفع ذقنها إليه وهو،يسألها:

_أجيبيني بصراحة....هل أنتِ نادمة علي زواجك مني يا رقية؟!

هربت بعينيها من عينيه وهي تهمس:

_لا ...أنا مقتنعة أن الله وضعني في طريقك لحكمة ما لا أعرفها...لكنني سعيدة بكوني جوارك في محنتك...



أخشي أن تتهمني بالغرور لكن دعني أخبرك أن امرأة غيري لم تكن لتقوي علي ذلك...لكن الله قدر أن أكون أنا ...في هذه الظروف وهذا التوقيت...

أومأ برأسه وهو يهمس في إعجاب واضح:

_ليس غروراً يا رقية...أنتِ تعرفين قدر نفسكِ جيداً...معك حق...وحدها رقية الهاشمي من كنت أحتاجها الآن...

همست في امتنان:

_شكراً يا ياسين...

أمسك كفها يقبله هامساً:

_بل أنا من يشكركِ يا رقية...شكراً علي كل شئ...

==

_هل جننت يا زياد؟! تريد الزواج من فتاة دون علم أهلها؟!!!



هتفت بها صفية في حنق وهو مصدومة...

ابنها الأكبر الذي تتوسله ليتزوج منذ فترة طويلة يفاجئها أخيرا برغبته في الزواج...

ولم تكد تفرح حتي أخبرها بظروفها لتصرخ في وجهه ...

هل خلت المدينة من الفتيات فلم يجد سوي هذه بظروفها المعقدة؟!!!!

ترجمت أفكارها لكلمات مسموعة فهتف زياد بإصرار:

_أنا أحببتها يا أمي ومصر علي الارتباط بها....

هتفت بسخط:

_أحببتها؟!!! متي؟!!!أنت تقول أنك لم تلتق بها سوي من شهر واحد علي الأكثر....

هتف بصدق:



_لكنني تمنيتها زوجة لي من كل قلبي....

فتح باب الشقة ليدخل والده هاتفاً:

_السلام عليكم.

عاجلته صفية بقولها:

_تعال يا رياض واسمع ماذا يريد ابنك....

نقل رياض بصره بينهما بحذر وهو يسأله:

_ما الأمر يا زياد؟!

أطرق زياد برأسه فيما أردفت صفية:

_يريد الزواج من فتاة دون علم أهلها لتسافر معه إلي أمريكا؟!!! هل رأيت جنوناً أكثر من هذا؟!!

أطرق رياض برأسه للحظات ثم قال لصفية:

_دعينا وحدنا قليلاً...



تركتهما صفية وهي تكاد تحترق غضباً....

فجلس رياض جواره ليقول برفق:

_ما الأمر بالضبط يا بني؟ !

أخذ زياد نفساً عميقاً ثم قال بهدوء:

_الأمر ليس كما تظن يا أبي...هي فتاة من عائلة محترمة لكن جدها رجل متسلط يريد تزويجها رغماً عنها من ابن عمها البغيض...أنا نفسي رأيت ابن عمها هذا عندما كنت أجري الكشف عليها...لن تتخيل مدي غلظته وفظاظته...لم أكن أعلم أنها مخطوبة له ...وعندما عرضت عليها الأمر فوجئت بها تنهار في البكاء...هل تصدق أن فتاة في عصرنا هذا تجبر علي الزواج دون إرادتها؟!!!



تنهد رياض قائلاً:

_الأمر ليس سهلاً يابني...الزواج ليس مجرد رجل وامرأة لكنه عائلة ترتبط بعائلة...ما تقوله ليس هيناً أبداً...

هتف زياد بتصميم:

_ظروفي أكثر،من مناسبة لها يا أبي...أنا في طريقي للسفر كما تعلم ...سأتزوجها وتقيم هنا معكم قليلا حتي أستطيع تدبر أمر أوراقها ثم تلحق بي هناك....

نظر إليه والده طويلاً...

زياد يبدو مصراً علي هذه الفتاة...

لم يره يوماً بهذا التصميم علي شئ في حياته...

وهو لا يريد أن يخسر ابنه...



خاصة وهو يمكنه الزواج منها دون رغبتهم ثم تلحق به في سفره كما يرغب....

لهذا هادنه وهو يقول في رفق:

_أخبرني عن هذه الفتاة....ماهي معلوماتك عنها؟!

اندفع زياد يحكي له كل ما دار،بينه وبين جويرية ووالده يستمع إليه في صبر حتي انتهي....

فتنهد رياض قائلاً:

_هل أنت مقتنع بهذه الزيجة ؟! هل ترضاها لشقيقتك يابني؟!

هتف زياد بقوة:

_نعم...لو وقع عليها ظلم كجويرية ولقيت رجلاً يحبها كحبي لها فأنا أرضاها لها طبعاً....

قام رياض واقفاً ثم قال بهدوء:

_دعني أتدبر الأمر مع والدتك وليقض الله ما يشاء....



غادره والده فشرد ببصره وهو ،يفكر...

تري ماذا ستحمل الأيام القادمة لهما معاً...؟!!!

لم يبق أمامه الكثير من الوقت...

وهو يخاف أن تخذله الظروف ...

لكنه سيتشبث بها مهما حدث...

====

انتظرها بلال خارج مدرج المحاضرات حتي رآها...

فناداها بلهفة:

_ساري!

توجهت إليه بابتسامة عريضة فهتف بعتاب:

_هل أنتِ غاضبة مني؟!



هزت رأسها نفياً وهي تقول بتعجب:

_لماذا تظن هذا؟!

قال بتردد:

_أنتِ تتحاشين التحدث معي.

اتسعت ابتسامتها وهي تقول بمرح مشيرة لمنصب والده القوي:

_أنا أتحاشي التحدث مع بلال الهاشمي نفسه؟!! هل تريد أن تجلب لي مصيبة؟!!!

لم يستجب لمزاحها هذه المرة بل أطرق برأسه فسألته بقلق:

_ما الأمر يا بلال؟! أنت لا تبدو بخير...

أشاح بوجهه للحظات ثم قال لها بتردد:

_والدي يريدني أن أسافر لأدرس في الخارج...

عقدت حاجبيها وهي تسأله:

_ولماذا الآن؟!



تنهد قائلاً:

_هو يسعي لهذا منذ فترة طويلة وأنا كنت أرفض...لكن ضغوطه زادت هذه الأيام...

سألته بحيرة:

_ولماذا هذه الأيام بالذات؟!

لوح بكفه قائلاً:

_ظروف البلد غير مستقرة...وأنتِ تعلمين حساسية مركز أبي...

أومأت برأسها في تفهم وهي تقول:

_أنا أقدر قلقه...الأمور الآن مضطربة حقاً...

أردف زياد بقلق:

_الأمر ليس هكذا فحسب إنه يتلقي تهديدات كثيرة بالاغتيال له ولعائلته ....لهذا يريد إبعادي عن هنا.



انقبض قلبها بشدة وهي تهتف:

_يا إلهي! إلي هذا الحد؟!

أطرق برأسه فأردفت بعد لحظات صمت:

_ولماذا لا تريد السفر يا بلال؟!

نظر إليها طويلاً دون أن يجيب...

ماذا عساه يقول لها؟!!!

إنه يرفض السفر من أجلها هي...

لا يتصور أن يمر عليه يوم دون أن يراها...

لقد ملكت قلبه تماماً طيلة الأيام السابقة...

وكان ينتظر أن يتخرجا ليطلب يدها من أهلها...

لكن هاهو ذا والده يطالبه بتعجيل سفره...

وهو لا يريد ترك الأمور معلقة حتي يعود...



قطعت أفكاره وهي تقول بحنان:

_سافر يا بلال ...سلامتك أهم من أي شئ.

ابتسم في عاطفة واضحة وهو يقول بمواربة:

_سأفتقد الجميع هنا...لقد اعتدت صحبتكم ...

ضحكت وهي تقول:

_هناك ستجد صحبة أفضل...لا تقلق.

يأس من أن تفهم شيئاً عن شعوره كما يبدو ...

لكنه قال في صدق:

_لن أجد أفضل منكم أبداً!!

ابتسمت لمجاملته-كما ظنتها-فسألها بترقب:

_هل يمكنني مراسلتك علي الايميل الخاص بكِ لمعرفة أخبار جماعتنا...سأرسل لحسابك البنكي مبلغاً دورياً لتساهمي به في نشاطاتها كما ترين...



كانت سعيدة لحماسه لمساعدة المحتاجين...

بلال الهاشمي كما تراه رجل يعتمد عليه...

لقد كان يساعدهم في العمل المجتمعي طيلة الأيام السابقة بتفانٍ واضح...

يبدو أن السيد عاصم محظوظ في ذريته...

رقية وبلال من أفضل الناس الذين عرفتهم في حياتها....!!!

لهذا قالت له في بساطة:

_نعم بالطبع...يمكنك مراسلتي علي الايميل...

برقت عيناه بعاطفة قوية لكنها لم ترَ منها شيئاً وهو يقول:

_سأمر لأراكم وأودعكم قبل سفري...

قالت بأسف واضح:



_سنخسر عضواً نشيطاً معنا...لكنني أتمني لك الخير والسلامة يا بلال.

استأذنها في الانصراف فتابعته ببصرها في شرود...

لو كان الحب بالعقل لكانت أحبت بلال الهاشمي بكل ذرة في كيانها...

لكنه للأسف ليس كذلك...!!!

قلبها الأحمق لا يري سوي واحد فقط...

واحد فقط حكمت عليها الأقدار قسراً بالزواج منه...

ومع ذلك...تشعر أنها ستكون أتعس امرأة في الدنيا معه!!!

ياللعجب!!!



أي فتاة مكانها كانت ستشعر بالسعادة لأنها ستتزوج أخيراً حبيب طفولتها الذي لم تعشق يوماً غيره...

لكنها تعلم علم اليقين أي أيام عصيبة تنتظرها معه!!!

====

جلست آسيا مع سمية تلعبان الشطرنج في ردهة المنزل...

عندما دخل بدر ليقول ببشاشة:

_السلام عليكم.

ابتسمت سمية وهي تهتف:

_حمداً لله أنك أتيت يا بدر...آسيا توشك علي هزيمتي...تعال وتصرف.... أنت مثلي تماماً...

تقدم نحوها بدر ليقبل رأسها هاتفاً:

_لا أحد يهزم حبيبتي وأنا حي أرزق...



سأهزمها من أجلك فقط...

ضحكت آسيا في مرح وهي تقول:

_أرني آخر حدود مهارتك يا سيد بدر...أنا أنتظر...

قامت سمية ليجلس بدر مكانها ثم حرك إحدي القطع فهتفت سمية:

_لا يا بدر...دور جديد...

ابتسم بدر هاتفاً:

_أوامر الملكة سمية لا ترد.

قالها وهو يعيد ترتيب القطع فراقبتهما سمية بحنان...

بدر لا يكف عن تدليلها وإشعارها بمكانتها عنده...

لكنها تريد أن تدفعه نحو آسيا التي تبدو غافلة عنه



هي الأخري غارقة في حبها القديم...

هذان الاثنان يحتاجان لمن يقرب بينهما...

وهي ستفعل...!!!

قامت من مكانها عندما بدآ اللعب لتقول لبدر:

_أنا أشعر بالتعب سأذهب للنوم...أكمل معها الدور لآخره وأخبرني غداً بالنتيجة...

كاد بدر يقوم معها لكنها ربتت علي كتفه هاتفة في مرح:

_لقد وعدتني بالفوز...هل نسيت؟!

ابتسم لها في حنان فغادرتهما بعد أن ألقت التحية علي آسيا...



حرك بدر إحدي القطع وهو،يقول:

_أنتِ ماهرة حقاً يا آسيا...من علمك؟!

حركت إحدي القطع في شرود وهي تهمس:

_ياسين علمني.

نظر إليها بدهشة هاتفاً:

_ياسين ابني؟!

هزت رأسها نفياً وهي تنتبه من شرودها هامسة:

_ياسين ابن عمي.

ابتسم وهو يحرك قطعة ويلتقط أخري ليقول بمرح:

_انتبهي من شرودك يا صغيرة...لقد ضاع حصانك..



شهقت بقوة وهي تهتف في غضب طفولي:

_أنت تغش! لقد استغللت شرودي.

هز كتفيه قائلاً بخبث:

_ليس ذنبي!

زفرت بقوة وهي تحاول التركيز في اللعب...

ثم سألته ببساطة:

_من أي البلاد أنت سيد بدر؟!

عقد حاجبيه بشدة وهو يقول ببطء:

_لماذا تسألين؟!

ظلت علي تركيزها في اللعب وهي تردف في هدوء:

_مجرد سؤال.



حرك إحدي القطع فصرخت بفرح طفولي:

_ضاع وزيرك سيد بدر!!

التفت لرقعة الشطرنج وهو يقول بسخط:

_أنتِ تعمدتِ إرباكي.

ضحكت بمرح وهي تهز كتفيها هاتفة:

_واحدة بواحدة.

ضحك رغماً عنه وهو يقول بمرح:

_أنتِ خطيرة!

حركت إحدي القطع وهي تقول :

_لو كسبت هذا الدور فسأطلب مكافأة كبيرة.

حرك قطعة بدوره وهو،يقول بتركيز:

_لكِ مكافأة حتي لو خسرتِ!

ابتسمت وهي تلتقط إحدي القطع لتقول بسعادة طفولية:



_ضاع الفيل أيضاً سيد بدر...لا أحب المكافآت بلا مقابل...

ابتسم بخبث وهو يلتقط قطعة فشهقت في عنف وهو يقول بمكر:

_كش ملك يا صغيرة...تقبلي المكافأة بلا مقابل اذن.

ظلت مصدومة تتأمل رقعة الشطرنج بذهول...

لا تصدق أنه هزمها بسهولة هكذا...

فشعر بالإشفاق عليها ...

إنها تبدو كطفلة كبيرة...

رغم ما تبديه من صلابة وتماسك...



لكنها بداخلها طفلة مندفعة...

وهو يشفق عليها من اندفاعها هذا....

لقد سلم الله أمرها هذه المرة عندما هربت من أهلها ليجدها هو ...

ما الذي كان يمكن أن يحدث لها لو عثر عليها أناس بلا ضمير...؟!!!

قطعت أفكاره وهي تقول بأسف:

_لقد خسرت.

ابتسم في إشفاق وهو،يقول:

_لكِ المكافأة التي طلبتيها كما وعدتك...

رفعت إليه بصرها في تردد وهي تقول:

_لا...لا أريد...



اتسعت ابتسامته وهو يقول بحزم حنون:

_ستقولين وأعدكِ ألا أخبر سمية أنني أنا من ربح!

ضحكت في مرح ثم قالت بامتنان:

_شكراً سيد بدر...شكراً علي كل شئ...

أومأ برأسه وهو،يعيد سؤالها برفق:

_ماذا كنتِ تريدين ؟!

ترددت للحظات ثم قالت بخفوت:

_كنت أريد ركوب الخيل...طالما حلمت بهذا...

ارتفع حاجباه في حنان وهو يكرر عبارتها:

_طالما حلمتِ بهذا؟!!

أومأت برأسها في إيجاب وصورة من ماضيها تأتيها باهتة فهمست في شرود:

_المزرعة كلها تشبه حلمي...



كوخ منعزل في فضاء شاسع وحصان يحملني لأقصي حدود بصري...تماماً كما كان يرسمها ياسين...

تأمل شرودها بتفحص...

ثم سألها بحذر:

_يبدو أن ياسين هذا له مكانة خاصة عندك...هذه ثاني مرة تذكرينه فيها...

التفتت إليه بحدة من شرودها وهي تقول بارتباك:

_نعم...لقد تربينا معاً...لهذا يشاركني الكثير من ذكرياتي...

سألها بدهشة:



_هل هو ابن عمك الذي أرادوا تزويجك له قسراً؟!

هزت رأسها نافية وهي تقول باقتضاب:

_لا...إنه رجل آخر.

قام من مكانه ليقول لها بحنان:

_حسناً ...غداً نحقق حلم آسيا الأول هنا بركوب الخيل.

وقفت بدورها لتقول بسعادة :

_لا أدري كيف أشكرك سيد بدر.

همس بحنان وهو يري فيها صورة سمية منذ سنوات:

_كوني سعيدة...فقط كوني سعيدة يا آسيا.

وخلف باب غرفتهما كانت سمية واقفة تراقبهما خفية...



تشعر بالرضا رغم سهام الغيرة التي ترشق قلبها بعنف...

====

وقفت آسيا أمام الحصان في حيرة وهي تقول لبدر:

_كيف سأركب الحصان دون أن يؤذيني...؟!

ابتسم بدر وهو يقول :

_امنحيه الأمان أولاً...

نظرت إليه بتساؤل فأعطاها طبقاً به بعض مكعبات السكر قائلاً:

_في البداية أطعميه بعض السكر...

تناولت مكعباً من السكر ثم قربته بحذر من فم الحصان الذي اندفع بفمه بسرعة نحو يدها فارتدت للخلف في صدمة....



ضحك بدر طويلاً وهو يقول ممازحاً:

_يبدو أنكِ من يحتاج منحه الأمان وليس الحصان.

ازدردت ريقها بصعوبة وهي تهمس في خوف:

_لا أريد.

تنهد بدر قائلاً:

_لا تيأسي هكذا من أول مرة.

التفتت إليه تسأله :

_أنا أراهم في الأفلام يطلقون الأسماء علي الخيل...هل لهذا الحصان اسم؟!

ابتسم قائلاً:

_جسار.



انتفضت بقوة عندما سمعت الاسم الذي تربت من صغرها علي الخوف منه...

جسار الذي يطاردهم بثأر قديم...

والذي هو السبب في إقصاء حمزة بعيداً...

لهذا وجدت نفسها تقول باستياء:

_ولماذا هذا الاسم بالذات؟!

هز كتفيه قائلاً:

_سمية من أطلقت عليه هذا الاسم يوم ولد....

زاد هذا من خوفها من الحصان فقالت في تردد:

_اختر لي حصاناً آخر...لا أريد جسار هذا...



صهل الحصان وقتها بشدة وكأنه فهم ما تقول فارتدت للخلف ثانية وملامح الذعر علي وجهها...

فيما انطلق بدر ضاحكاً وهو يقول:

_لا تغضبي جسار يا صغيرة...

شعرت آسيا بالغيظ منه وهو يضحك منها هكذا فتناولت منه طبق السكر في عصبية...

ثم التقطت منه قطعة قربتها من فم الحصان بحذر وهي تربت علي رأسه بحنان هامسة جوار أذنه:

_خذ هذه من آسيا يا جسار.

مد الحصان رأسه ببطء من يدها هذه المرة ...

فعادت تربت علي رأسه وهي تهمس:

_جيد يا جسار.



تناولت السكر من الطبق قطعة وراء قطعة وهي تربت علي رأسه بهمسها الحاني...

فقال بدر في إعجاب:

_جسار بدأ يعتادك...هذه خطوة جيدة...دعينا نختبر هل سيقبل أن تمتطيه أم لا...

جاءت سمية في هذه اللحظة وهي تقول برضا:

_مرحباً...هل أعجبكِ جسار يا آسيا؟!

التفت نحوها بدر بحدة فيما قالت آسيا بقنوط:

_أعجبني لكن يبدو أنني لم أعجبه...

ضحكت سمية في مرح وهي تقول :

_لا تقولي هذا قبل أن تمتطيه...



قالتها وهي تمد لها يدها لتعاونها علي امتطائه...

ولحسن الحظ لم يتذمر الحصان بل ظل ساكناً...

فابتسمت سمية في رضا وهي تلتفت نحو بدر هامسة:

_لقد أعجبت جسار كما أعجبها...!!!

نظر بدر لسمية طويلاً...

ليسود الصمت بينهما للحظات....

وكأن كلاً منهما يستقرئ ما بداخل الآخر...

صمت صاخب...

لو كان للصمت أن يكون صاخباً....



قطعته آسيا وهي تهتف في فرح :

_هل يمكنني الانطلاق به الآن؟!

التفتت سمية إليها وهي تنتزع عينيها قسراً من نظرات بدر المتفحصة...

ثم قالت بحنان:

_ليس بعد يا حبيبتي...بدر سيسير معكِ به أولاً حتي يعتاد عليكِ وبعدها يمكننا تدريبك لتسيري به وحدك.

ابتسمت آسيا في سعادة...

فيما قالت سمية لبدر فيما يشبه الرجاء:

_سر بها يا بدر...

ظل بدر ينظر إلي سمية نظرات طويلة غامضة...



فابتسمت له وهي تقول برفق:

_سأنتظركما بالداخل مع ياسين....

راقب بدر انصرافها بشرود وهو يشعر بثقل علي صدره...

تري ما الذي يدور في بالكِ يا سمية؟!

====

دخلت ساري باب المنزل الكبير لتغلقه خلفها فوجدته ينتظرها في المدخل هاتفاً:

_أخيراً جئتِ.

زفرت بقوة وهي تهتف:

_ماذا تريد ؟!

اقترب منها فضمت كتابها الذي تحمله لصدرها وهي تقول بحدة:



_لو كررت أفعالك الطائشة سأصرخ وسيسمع جدي لتكون فضيحة.

ابتسم قائلاً:

_لا تخافي يا سوسو...لن أضايقك.

هتفت بحنق:

_ولا تدعوني هكذا...لا أحب هذا الاسم السخيف.

رفع أحد حاجبيه وهو،يقول بمكر:

_كنتِ تعشقينه حتي عهد قريب...

أشاحت بوجهها وهي تهتف:

_كنت..ولم أعد...

لم يرفع عينيه من عليها دون أن يتكلم للحظات...

فسألته بضيق:

_ماذا تريد الآن؟!



قال باستكانة مصطنعة:

_أنا لم أتناول غدائي بعد ...واشتقت لطعام عمتي فريدة...فهل تدعينني علي الغداء؟!

ابتسمت رغماً عنها وهي تشيح بوجهها...

فأردف بخبث:

_أم أنكم بخلاء؟!

ضربته بالكتاب الذي تحمله بخفة علي كتفه وهي تهتف:

_عيب يابن النجدي.

نظر إليها طويلاً وهو يهمس:

_حذيفة يا ساري...حذيفة...

أطرقت برأسها وهي تشعر بنظراته تخترق قلبها كحمم من لهيب...



ثم رفعت رأسها بعدها بلحظات لتقول :

_تفضل معي...

صعد معها الدرج حتي وصلا لشقتها...

طرقت الباب الذي فتحته فريدة بسرعة ثم ابتسمت بسعادة وهي تراهما معاً لتقول:

_أهلا يا حذيفة...تفضل يابني.

دخل حذيفة ليجلس علي الأريكة في صالة المنزل فيما قالت ساري لفريدة:

_حذيفة اشتاق لطعامك يا أمي...سيتناول غداءه معنا...

ابتسمت فريدة في سعادة وهي تربت علي كتفه قائلة:

_حذيفة هذا حبيب قلبي طوال عمره...سيكون الطعام جاهزاً في دقائق...



همت ساري بالدخول لمساعدتها لكنها قالت لها بحنان:

_اجلسي أنتِ مع حذيفة حتي أعود...

جلست علي الكرسي المجاور له صامتة فسألها برفق:

_كيف حال دراستك...

أومأت برأسها دون أن تجيب...

فسألها بحذر:

_هل ترين بلال الهاشمي؟!

قالت ببساطة:

_نعم...كان يودعنا اليوم قبل سفره...

عقد حاجبيه متسائلاً:

_إلي أين؟!

هزت رأسها

تقول بهدوء:



_لم يخبرني...قد أسأله عندما يراسلني علي الايميل...

اتسعت عيناه وهو يسألها باستنكار:

_يراسلك علي ماذا؟

مطت شفتيها في استياء وهي تحاول كظم غيظها قائلة:

_سيراسلني علي الايميل ليعرف أخبار جماعتنا ونشاطاتها فهو يساهم معنا في تقديم المعونات للمحتاجين...

هتف بسخط:

_ولماذا أنتِ بالذات؟!

قالت بهدوء:

_لأنني رئيسة الجماعة وأعتبر قريبته بحكم النسب بيننا...

زفر في ضيق...



عندما جاءت فريدة بالطعام لتقول بحنان أصيل:

_تفضلا...الطعام جاهز...

قاما ليجلسا علي مائدة السفرة ...

فيما غادرتهما فريدة وهي تدعو الله أن يوفق بينهما....

فتناولت ساري طبق السمك وهي تقول برفق:

_دعني أقشره لك...أنا أعرف أنك تحتاج دوماً لمن يفعل هذا....

ابتسم في حنان وهو يراقب أناملها التي تقشر له السمك هامساً:

_لازلتِ تذكرين!

ابتسمت بدورها وهي تقول :

_عيبي أنني لا أنسي شيئاً..



ضحك بمرح وهو يتأمل ملامحها بإعجاب واضح...

ليهمس بعدها بعتاب خفي:

_قلبك أسود كما يقولون....

ضحكت بمرح هي الأخري وهي تقابله بقوة عينيها الآسرة:

_بعض ما عندكم ....

وضعت طبقه أمامه بعدما قشرت له السمك فقال بعاطفة:

_هل ستفعلين هذا عندما نتزوج؟!

تنهدت في حرارة فرفع سبابته في وجهها هاتفاً:

_إياكِ أن تقولي أنني لا أعرف ما يحمله الغد....

نظرت إليه نظرات غامضة لم يفهمها وهي تقول بحزن:

_هذه حقيقة !



نظر إليها طويلاً وهو يشعر بقلبه يخفق بجنون...

هو يريدها...

يريدها ليست كأي امرأة يرغبها...

بل يريدها هي بالذات....

ليهمس بعدها بحرارة:

_ستكونين لي يا ساري.

أطرقت برأسها دون أن ترد...

عندما رن هاتفه...

مد يده في جيب قميصه ليتناوله فسقط منديل صغير من جيبه علي المائدة...

اتسعت عيناه في ارتياع وهو يتمني ألا تلاحظ...

لكنها لاحظت ...

لاحظت جيداً...



المنديل كان متسخاً بأحمر شفاة!!!!

تناولت المنديل باشمئزاز واضح وهي تعطيه له قائلة بثبات يداري انكسارها ببراعة كعادتها:

_أعده لجيبك...لا تدع قذاراتك تلوث بيتنا...

أشاح بوجهه عنها وهو،يزفر في ضيق...

فقامت من جواره لتقول بجمود:

_شهية طيبة...

قالتها وهي تتجه نحو الداخل فقال برجاء:

_تعالي وتناولي طعامك يا ساري.

نظرت إليه بقوة وهي تقول :

_شبعت.

قام من علي كرسيه ليتوجه نحوها فأوقفته بإشارة من كفها هاتفة:



_ابق مكانك يا ابن النجدي...لا فائدة...

ثم هزت رأسها مكررة في احتقار واضح:

_لا فائدة.

====

وقف حمزة في حديقة منزله شارداً...

لم يرَ مارية منذ بضعة أيام...

لا في المشفي ولا هنا...

وكأنها تتهرب من مجرد رؤيته...

زفر في قوة وهو يشعر بافتقادها إلي أقصي حد...

مارية كانت اللون الوحيد في حياته الباهتة...

لكنه وضع عليها آمالاً أكثر مما احتملته طبيعتها الهشة...

فخذلته كما خذلها!!!



التفت فجأة لمنزلها المجاور ليجدها عائدة مع آندي الذي ودعها ورحل...

صادفت التفاتته التفاتتها هي الأخري فالتقت عيناهما طويلاً...

هل يري شوقاً في عيونها يماثل شوقه أم هو واهم؟!!!

اقترب من السور الفاصل بين حديقتيهما ليقول بهدوء:

_مرحباً يا مارية.

سارت نحوه لتقترب حتي لم يعد يفصلهما سوي السور القصير بين الحديقتين لتقول بصوت خانها بعاطفته:

_كيف حالك يا حمزة؟!



ابتسم واسمه الذي نطقته بلكنتها المميزة يداعب أذنه بحلاوة تشبه حلاوتها ....

ثم همس بصدق:

_افتقدتك يا مارية...افتقدتك جداً....

أغمضت عينيها بقوة وكأنها تقاوم مشاعرها بصعوبة...

ثم عاد إليها برودها لتقول ببساطة:

_شكرا لمجاملتك دكتور حمزة...ليلة سعيدة...

قالتها وهي تهم بالانصراف...

فاستوقفها قائلاً:

_مارية...لا تغضبي مني...أنا لم أقصد أن أجرحكِ يوماً....



ابتسمت في برود لتقول بلهجة ثلجية أدهشته:

_لا أحد يستطيع جرحي ما لم أمنحه أنا هذه الفرصة...وأنا لن أمنحها لأحد بعد...

قالتها وهي تعطيه ظهرها لتعود لمنزلها بخطوات واثقة...

فيما بقي هو واقفاً مكانه يشعر بالدهشة...

ماذا حدث لمارية المرحة الطفولية البسيطة....

كيف تحولت هكذا لهذه الصورة الباردة الثلجية....

أيعقل أن يكون هو السبب؟!!!

عقد حاجبيه وهو يزفر في ضيق...

لماذا يلومها...

بل ماذا ينتظر منها أصلاً...



وهو الذي أقصاها عن عالمه ؟!!!

_أليس هذا هو صوت العقل الذي سرت خلفه؟!....هنيئاً لك به يا ابن النجدي!!!

همس بها في سخط وهو يعود أدراجاً لمنزله...

شاعراً أنه خسر شيئاً لن يمكنه أبداً تعويضه.....

====

وقفت رقية في شرفة المنزل الساحلي تتطلع للسماء في سكينة...

لقد مرت بضعة أيام منذ أصابها المرض وكادت تتماثل للشفاء...

أيام قضتها تتنعم بحنانه اللا محدود...

قضاها جوارها يغمرها برعايته وتدليله...



ولولا آلام مرضها لأقسمت أنها كانت أروع أيام حياتها....

تقدم نحوها ليهمس خلفها مباشرة:

_كيف حالك الآن؟!

التفتت إليه لتقول بامتنان:

_الحمد لله...بأحسن حال...

ابتسم بدوره وهو يهمس بحنانه الذي يعرف طريقه لقلبها دوماً:

_يارب دوماً...

أطرقت برأسها فتتنحنح قائلاً بمرح:

_أنا كسبت رهاني ...وأريد مكافأتي...



احمرت وجنتاها وهي تتصنع الجهل لتقول ببراءة مصطنعة:

_أي رهان؟! وأي مكافأة...؟!

أمسك بكتفيها وهو ينظر لعينيها مباشرة هامساً:

_إلي متي ستهربين من الإجابة؟!

تنهدت في حرارة وهي تشيح بعينيها بعيداً للحظات....

ثم حسمت أمرها فعادت تنظر لعينيه مباشرة هامسة:

_سأجيبك يا ياسين...اخترتك لأجل هذا الذي أراه في عينيك الآن...هذا الحنان الآسر الذي ترجوه أي امرأة...ولا يخطئ طريقه لروحها...هذا الحنان الذي يطوقني ليدفع عني كل الهواجس والظنون...هذا الحنان الذي أثق أنه كنزي الذي لن يضيع ولن يسرق بل سيبقي ملكي للأبد...



اتسعت عيناه في دهشة ....

لا يصدق اعترافها هذا....

لا يصدق أنها تراه بهذه الصورة...

رقية الهاشمي تري فيه كل هذا؟!!!!

لكن سعادته لم تدم وهي تردف في ألم لم تستطع إخفاءه:

_هكذا كنت أظن قبل أن أعلم أن هناك من سبقني إليك...

شعر بكلماتها كصعاقة تضرب قلبه بعنف!!!!

هذه هي المرة الأولي التي تتحدث فيها عن الأمر،بهذه الصورة...

لقد كانت دوماً تتصنع القوة واللامبالاة...



لكنها اليوم نزعت عنها هذا القناع لتبدو حقيقية...

متألمة..

مجروحة...

وربما....عاشقة؟!!!!!

أخذت رقية نفساً عميقاً كعادتها لتتمالك انفعالها ثم عادت لها نبرتها القوية لتقول بهدوء:

_هل يمكننا الخروج للتسوق من "السوبر ماركت" الواقع علي الطريق...لقد مللت البقاء في البيت.

تنهد في حرارة وهو يلاحظ محاولتها الواضحة للتوقف عن الحديث في هذا الأمر....

ثم قال بهدوء:

_كما تشائين.



وبعد ساعة كانت معه يتسوقان ...

عندما تناول إحدي قطع الشيكولاتة البيضاء ليقول لها بمرح:

_حلواكِ المفضلة!

ضحكت في سعادة وهي تقول بمرح مماثل:

_اشتقت لها كثيراً..

قالتها وهي تمد يدها ليتتناولها فأبعدها عنها في مشاكسة وهو يقول :

_ليس بعد حتي تتعافي تماماً...

علت ضحكاتها وهي تهتف في رجاء طفولي:

_لأجل خاطري يا ياسين...لن آكل سوي قطعة صغيرة...



ضحك بقوة عندما سمع هتافاً بجانبهما:

_روكا....ماهذه المفاجأة؟!

التفتت رقية لمصدر الهتاف ثم توجهت نحو صاحبه لتقول بفرح:

_باسل...كيف حالك؟!

شعر ياسين بغضب شديد من هذا الذي يدللها هكذا وسط الناس....

وكز علي أسنانه وهو يتقدم نحوهما...

عندما التفتت إليه رقية هاتفة:

_باسل ابن خالتي يا ياسين...

صافحه ياسين في هدوء محاولاً مداراة ضيقه...



فيما التفت باسل نحو،رقية يمازحها بمشاكسة لتتعالي ضحكاتهما سوياً حتي شعر ياسين أنه يكاد يحترق....

جذبها من ذراعها برفق وهو يقول بتحفظ:

_فرصة سعيدة ...

لوح لهما باسل بكفه مودعاً....

ثم توجها للسيارة...

ليظل ياسين صامتاً طوال الطريق...

فسألته برفق:

_ماذا بك يا ياسين؟!

كظم غيظه هاتفاً:

_لم أر باسل هذا في زفافنا.



ابتسمت في مرارة وهي تشيح بوجهها هامسة:

_أنت لم تر أحداً في زفافنا يا ياسين...عيناك كانتا مشغولتين...

تجاهل المعني الذي تعنيه وهو يزفر في حنق خابطاً علي مقود السيارة هاتفاً بصوت عال:

_حتي لو كان ابن خالتك لا يصح أن تضحكي معه هكذا بميوعة في مكان عام..

ارتددت للخلف مصعوقة وهي تهتف باستنكار:

_ميوعة؟! أنا؟!

وصلا للمنزل في هذه اللحظة فترجلت من السيارة بعصبية وهي تتجه نحو المنزل...



بدلت ملابسها بسرعة ثم اندست تحت الغطاء في فراشهما تحاول كتم ضيقها....

لو واجهته الآن فلن تضمن نتيجة هذا الانفجار...!!!!

ركن هو السيارة ثم عاد للمنزل ليجدها مندسة تحت الغطاء لا يبدو منها ولا حتي رأسها!!!

زفر بضيق وهو يبدل ملابسه ثم استلقي جوارها صامتاً لا يجد ما يقال...

ظل هكذا للحظات...

ثم أغلق المصباح الصغير علي الكومود جواره ليعم الظلام المكان....

لم يستطع النوم لأكثر من ساعة...

يفكر فيما حدث ...

وفي سبب ضيقه المبالغ فيه...



لكنه عزا الأمر لدمائه الصعيدية...

ياسين النجدي حفيد قاسم النجدي لا يزال لا يستسيغ مزاح زوجته مع آخر غيره بهذه البساطة!!!!

قطعت أفكاره عندما شعر بها تنسحب من جواره في صمت حذر...

لتخرج من الغرفة في هدوء...

استغفر الله سراً...

ثم لحقها بعد دقائق...

ليجدها جالسة علي الأريكة في الردهة ترفع ركبتيها لصدرها محتضنة إياهما بذراعيها...

وهي تدفن وجهها بينهما وجسدها ينتفض بضعف...



اقترب منها ببطء وهو يجلس جوارها هامساً بلوعة فجرها قلقه عليها:

_رقية!

رفعت رأسها إليه بذعر وهي تمسح دموعها بسرعة ثم قامت من مكانها لتعطيه ظهرها....

لا تريده أن يري ضعفها ودموعها...

هي رقية الهاشمي التي لا يشهد علي انكسارها أحد!!!

وضعت كفها علي شفتيها وهي تأخذ نفساً عميقاً لتتمالك بكاءها...

فقام ليقف قبالتها وهو يهتف في قلق:

_يالله!! كل هذه الدموع يا رقية!!!

أطرقت برأسها وهي تقول بتماسك:



_دعني وحدي يا ياسين

مد أنامله ليمسح دموعها هامساً بعتاب حنون:

_أتركك وحدك تبكين؟!

عاد لها تنمرها وهي تبتعد بوجهها عن أنامله لتهتف :

_لا أحب أن يراني أحداً أبكي...

تفهم انفعالها ليقترب أكثر مربتاً علي كتفها هامساً:

_أنا لست أي أحد يا رقية...أنا زوجك...

وكأنما ضغطت كلمته علي جروحها كلها لتتنزف ثانية....



انهارت في البكاء من جديد فلم يقاوم أن يضمها لصدره بقوة هامساً:

_اهدئي يا رقية...

دفنت وجهها في صدره وهي تشعر بالألم...

بالإهانة...!!!

ياسين النجدي استكثر عليها مجرد المزاح مع ابن خالتها!!!

لكنها هي مطالبة أن تتعايش مع قصة حب بأسرها له مع ابنة عمه...

أن تعيش هذا الوضع الغريب الذي لا تعرف لنفسها فيه مسمي...

أن تقاوم مشاعرها نحوه لأنها لا تعلم نهاية الطريق الذي تسير فيه...



أن تحارب إدمانها لحنانه الذي ينساب ببطء ليحتل كل ذرة في كيانها....

وكل هذا في صمت!!!!

لأنها رقية الهاشمي القوية التي لن تسمح لأحد بأن يكسرها أو يري انكسارها!!!!

هذا يفوق احتمالها...

يفوقه بكثير!!!!

هدأ بكاؤها نوعاً فابتعدت عنه وهي تشيح بوجهها...

لكنه جذبها من ذراعها ليجلس علي الأريكة ويجلسها علي ساقيه كطفلة ....

ثم ربت علي شعرها هامساً بحنان يمتزج بعاطفة لم يعد يعرف لها توصيفاً:



_هل كان خطئي كبيراً إلي هذه الدرجة؟!

أطرقت برأسها وهي تهمس بحزنها الراقي:

_لا أريد الكلام يا ياسين...

ضم رأسها لصدره بذراعيه وهو يهمس في أذنها بحنان آسر:

_كيف أسترضيكِ يا غاليتي؟!

أغمضت عينيها في قوة وهي عاجزة عن الرد....

تشعر بتملكه لها هكذا بين ذراعيه يذيب روحها.....

تشعر بهمسه الحاني يضمد جروحها كلها...

لكنه يزيد عذابها به أكثر...

يدفعها دفعاً نحو دوامة عاصفة من حب بلا أمل....



يلوح لها بسراب خادع من أحلام شهية ...

لكنها تبقي مجرد سراب!!!

تخلل خصلات شعرها بأنامله برفق وهو يهمس بما يشبه الاعتذار:

_اعذري اندفاعي يا رقية...هذا أسوأ ما فيّ...لا أملك لساني عند غضبي...

طال صمتها ولم ترد...

فرفع وجهها إليه يتأمل ملامحها بعينين تمتلئان بالعاطفة....

ليتوه في وديان عينيها الساحرة للحظات....

ثم ازدرد ريقه ببطء ليتمالك نفسه وهو يهمس بحزم حنون:



_لكن هذا لا يعني أنني سأسمح بما فعلته مع قريبك....لا تفعليها ثانية يا رقية لأجلي...

أومأت برأسها إيجاباً فقبل وجنتها بخفة ليهمس مداعباً:

_فتاة مطيعة...

ابتسمت رغماً عنها فتنهد قائلاً وهو يتفحص ملامحها بحنان:

_لا تحرميني ابتسامتك أبداً يا رقية...أنا أعشقها...

احمرت وجنتاها بخجل وهي تكاد تقف لتقوم من علي ساقيه لكنه تشبث بها هامساً:

_ابقي معي قليلاً...دعينا نعوض اللحظات الكئيبة الماضية...



أزاحت خصلة من شعرها وراء أذنها وهي تهمس بارتباك:

_وكيف نفعل؟!

أراح رأسها علي صدره وهو يهمس:

_احكي لي أكثر عن رقية الهاشمي...تكلمي كما شئتِ...قولي كل ما ترغبين به دون قيود....

أغمضت عينيها في سكينة علي صدره...

كيف عرف أن هذا بالضبط ما تحتاجه الآن...؟!!!

إنها تريد الحديث عن نفسها...

عن حياتها السابقة...

عن روحها القديمة التي ضلت عنها منذ زمن...

لعلها تستقوي بها علي هذا الضعف الذي تشعر به يغزو حصونها...



لترفع راياتها البيضاء مشهرة بلا شروط....!!!

اندفعت تروي له تفاصيل كثيرة عنها...

عن طفولتها ومراهقتها...

هواياتها...وصديقاتها...

طرائفها ومواقفها التي لا تنساها...

علاقتها ببلال الحبيب الذي تعتبره ابنها وصديقها وليس مجرد أخ...

عاصم الهاشمي بروعة شخصيته الآسرة...

إكرام بطيبتها الفطرية التي لا تتعارض مع نزعتها الأروستقراطية...

ظلت تحكي وتحكي ...

فلا هو ملّ من الاستماع...

ولا هي ملت من الحديث حتي الفجر.....

====



الفصل العاشر:

وقفت رقية توضب أغراضهما ليستعدا للرحيل...

تنهدت في حرارة وهي تتمني لو يظلا هنا ولا يرحلا...

سمع ياسين تنهدها فابتسم قائلاًبإشفاق:

_غاليتي رقية لا تريد الرحيل؟!

نظرت إليه وهي تقول بأسف:

_ينبغي علينا ذلك...زفاف عمار وجوري اقترب ويجب أن نكون مع العائلة.

أومأ برأسه إيجاباً وهو يقول بصدق:

_أنا أيضاً أتمني لو نبقي هنا للأبد...

ثم أردف بابتسامته الحنون:



_أعدكِ عندما تسمح ظروف عملي أن آتي بكِ إلي هنا في أقرب وقت.

تلفتت حولها تتفحص المكان وهي تقول بشرود:

_أتمني ذلك يا ياسين...لقد أحببت هذا المكان جداً....

نظر إليها طويلاً ثم قال بعاطفة:

_أنا أحببته أكثر ...فأنا أدين له بالكثير...لقد جعلني أستكشف الكثير عن رقية الهاشمي...

ابتسمت في خجل وهي تهمس:

_لقد أتعبتك في مرضي وحتي عندما تعافيت...هل تذكر تلك الليلة التي ظللت أثرثر فيها حتي الفجر؟!

اقترب منها وهو يحيط وجهها بكفيه هامساً:

_لن أنسي تلك الليلة بالذات أبداً....لقد سمحتِ لي أخيراً أن أدخل لعالمك لأعرف عنكِ أكثر...

همست في شرود:



_لم أكن يوماً ثرثارة ...لكنني كنت جائعة للكلام إلي أقصي حد...

هز رأسه قائلاً بتقرير:

_لأنكِ تكتمين الكثير يا رقية...لم أسمعك تشتكين من شئ منذ تزوجنا رغم أن الوضع كله كان يفوق تحملك...

أشاحت بوجهها عنه وهي تتحاشي التطرق لهذا الأمر...

لقد تناست -بالكاد-مشاعرها السلبية القديمة...

ورضيت منه مؤقتاً بهذه المشاعر التي يغدقها عليها...

والتي لم يحاول أي منهما البحث لها عن مسمي...

ولا تريد العودة للخلف...



أدار وجهها إليه وهو يقول بحزمه الحنون الذي لا تعرف كيف يجيده إلي هذا الحد:

_دعينا نبدأ عهداً جديداً يا رقية ...لا تخفي عني شيئاً بعد الآن....

هزت رأسها نافية وهي تهمس في يأس:

_لا أعدك بهذا يا ياسين...ليس كل الكلام يقال!

ضم رأسها لصدره وهو يقول بحنان يمتزج بالمرح:

_سيكون هذا إذن رهاني القادم معكِ...أن أكسب صداقتك ...

رفعت رأسها إليه وهي تبتسم قائلة:

_وماذا لو خسرت رهانك؟!

التمعت عيناه وهو يقول بتصميم:

_لن أخسره يا رقية.



اتسعت ابتسامتها وهي تريح رأسها علي صدره لتهمس في ترقب:

_وماذا ستطلب مني لو كسبته؟!

قبل رأسها وهو يهمس في حنان:

_يكفيني أن أكسبه فقط يا رقية....هو ليس هيناً لو تعلمين!

أغمضت عينيها وهي تشعر بقدميها تحملانها بعيداً لعالم وردي...

لم تدخله قبلاً...

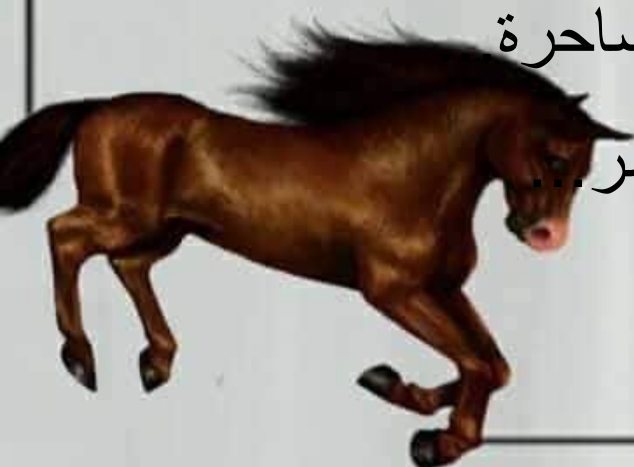
عالم تطير فيه كفراشة بلا قيود...

سعيدة...سعيدة...

سعادة من نوع خاص....

محلّاة بنكهة وجوده الساحرة

مطعمة بحنانه الآسر...



مزخرفة بنقوش رجولته النادرة...

سعادة تحمل اسمه هو فقط...

ياسين النجدي!!!

=====

_لا أريد يا سمية ....أخشي أن يراني أحد!

هتفت بها آسيا في قلق...

فقالت سمية بحنان:

_لا تخشي شيئاً يا آسيا...المدينة صغيرة ونحن نذهب دوماً لمتجر معين للتسوق...ونعود سريعا....

ثم التفتت لبدر قائلة بابتسامة:

_ثم إن بدر سيكون معك...لن يسمح أن يحدث لكِ مكروه....أليس كذلك يا بدر؟!



أشاح بدر بوجهه في ضيق...

هو لا يمانع في اصطحاب آسيا أينما شاءت...

لكنه ضاق ذرعاً بمحاولات سمية المستميتة للتقريب بينهما...

هو يفهم سمية جيداً...

لقد كانت تخطط لهذا الدور مع نغم...

لكن نغم عادت لوالدتها...

ويبدو أن الدور انتقل لآسيا....

شعر بالعجز وهو لا يستطيع محادثتها في الأمر بوضوح...

رغم أنه يكاد يقسم أن هذا ما يدور،برأسها...

لكنه سيتصنع الجهل...



التغابي هو الحل الأفضل في هذه الحالة!!!!

أومأ برأسه إيجاباً وهو يسألها باستسلام:

_لازلتِ لا تريدين المجئ معنا؟!

هزت رأسها نفياً وهي تقول :

_أنا أشعر بالتعب اليوم...سأبقي مع ياسين...

نظرت إليهما آسيا بقلق يمتزج بالحرج...

هي لا تريد مغادرة المزرعة ...

حصنها الذي تشعر فيه بالأمان بعيداً عن العيون...

كما أنها تتحرج من السفر مع بدر وحدهما...

صحيح أن السيد بدر رجل مهذب خلوق...

لكنه يبقي رجلاً غريباً لا يليق أن تخرج معه بمفردها....



قطعت سمية ترددها وهي تقول بحماسة:

_هناك محلات للملابس رائعة ستجدين فيها كل ما تريدينه...ليس الملابس فقط كل شئ يا آسيا...اخرجي يا حبيبتي وتنزهي واسعدي....

ثم تهدج صوتها وهي تردف:

_عيشي حياتك كما ينبغي ...

أغمض بدر عينيه بقوة وهو يشعر بألمها الحارق يكويهما معاً في هذه اللحظة...

ليس هو فقط من يري في آسيا صورة سمية...

سمية نفسها تري هذا كما يبدو...!!!!

سمية تريد آسيا امتداداً لها...

تريدها أن تحيا الحياة التي حرمت هي منها...



أن تستكمل بها العمر الذي أوشك علي النفاد...

أن تستخلفها علي مملكتها الصغيرة بعدها...

نقلت آسيا بصرها بينهما بحيرة...

ثم قالت برجاء:

_لا أريد...

التقط بدر عبارتها ليقول بسرعة:

_حسناً...لا داعي لهذه النزهة مادمتِ خائفة....

هتفت سمية بلهفة:

_لأجل خاطري يا بدر...آسيا حبيسة هنا منذ جاءت...ليس من العدل أن نحتجزها هنا كالرهينة....



نظر إليها بدر بنفاد صبر...

ثم قال لآسيا:

_هيا يا آسيا لن نتأخر...

ترددت آسيا لحظة لكن سمية منحتها نظرة مشجعة فابتسمت لها...

ثم سارت خلف بدر في استسلام...

حتي ركبت جواره في السيارة التي انطلقت بهما مبتعدة...

راقبتهما سمية ببصرها في رضا حتي اختفيا عن ناظريها....

ثم جلست علي الأريكة تحتضن ياسين هامسة:

_هل تحب آسيا يا ياسين؟!

قال الصغير ببراءة:

_جداً يا أمي...



ربتت علي رأسه في حنان...

وهي تفكر...

لن تحمل هم بدر وياسين بعد الآن...

مرحباً بالموت في أي وقت...

لقد اطمأن قلبها عليهما أخيراً...

====

سارت آسيا جواره في هذا المتجر الكبير نوعاً وهي تشعر بالحرج...

رغم أنها تعتبر السيد بدر كأخيها الأكبر...

لكنها تشعر ببعض الذنب في خروجها معه هكذا...



لو كان ياسين معها لنهرها علي فعلتها وربما كان خاصمها ليوم كامل....!!!!

ابتسمت في شرود وهي تتذكر...

ياسين الحبيب لم يكن يقوي علي خصامها لأكثر من يوم...!!

يعود لها بعدها وبمجرد ما تنظر إليه في اشتياق كان يبتسم لها وكأن شيئاً لم يكن...

دمعت عيناها وهي تعود لواقعها المؤلم...

حيث لا حب ولا خصام ولا اشتياق...

لا ياسين!!!

فقط آسيا الشريدة الهاربة المختبئة كالمجرمين....!!!!



بينما كان بدر يشعر بالضيق....

نظرات الناس حوله تتمركز حول آسيا بشكل ملحوظ...

الفتاة فاتنة حقاً...

ويبدو أن هذا ليس رأيه وحده...!!!

لاحظ أحد الشباب الذي اقترب ليتصنع الاصطدام بها وكأنها صدفة...

فجذبها بدر بعيداً عنه في اللحظة الأخيرة وهو،يرمقه بنظرة زاجرة....

همست آسيا بحرج:

_المكان أكثر ازدحاماً مما توقعت...



أومأ بدر برأسه إيجاباً وهو يقول:

_إنه أكثر ازدحاماً هذه الأيام....لبدء موسم الدراسة....

همست آسيا في شرود:

_كان من المفترض أن أتسلم عملي في هذه الأيام...

رمقها بإشفاق وهو يشعر بمرارتها...

آسيا لازالت تعيش مسلسل خسارة مستمر....

وهو يخشي عليها عاقبة هذا....

للأسف...لا يري لها غداً مشرقاً...

إلا لو تركت المزرعة...

يمكنها ساعتها البدء من جديد في مكان آخر...

لكن من يضمن له ألا يستغلها أحدهم....



فتاة بفتنتها وظروفها المعقدة ستكون مطمعاً للكثيرين!!!

للأسف هذه الفتاة في ورطة...

وجودها معهم في المزرعة يقطع عنها فرص الحياة...

ورحيلها عنهم يهدد أمانها...

وهو لا يدري كيف يساعدها؟!!!

نفض أفكاره البائسة وهو يلاحظ أنها ليست أفضل منه حالاً...

فقال محاولاً التسرية عنها:

_لماذا لم تشترِ شيئاً من هنا؟! يمكنك الحصول علي ما تريدين ...أنا أدخر لكِ راتبك منذ قدمتِ إلينا...

هتفت في اعتراض:



_أي راتب سيد بدر؟!!!أنتم تتحملون إقامتي كاملة...لا طبعاً لا أريد راتباً....

لوح بسبابته هاتفاً بصوته الذي يخيفها أحياناً:

_لا جدال في هذا الأمر يا آسيا...راتبك أدخره كاملاً وستحصلين عليه متي تريدين...أو عندما تغادرين المزرعة...

اتسعت عيناها بجزع وهي تهمس:

_أغادر؟!!

تنهد في يأس وهو يري الضياع في نظراتها بمجرد نطقه للكلمة فقال بتعقل:

_لن يطلب منك أحد الرحيل يا آسيا...نحن نحتاجك أكثر مما تحتاجيننا أنت...لكن لو أردتِ أنت الرحيل فلن يمنعك أحد....



دمعت عيناها وهي تهمس بصدق:

_لا أريد ترككم سيد بدر...لقد عوضني الله بكم عن أهلي...العم كساب أبي...سمية أختي وأنت أخي...وياسين ابني الذي لم أنجبه...فلماذا أترككم؟!

هز رأسه وهو،يفكر...

هذه الغافلة لا تدرك أن الحياة أكبر من هذا....

لا تدرك أن عمرها سيتسرب منها دون أن تكون عائلة حقيقية....

قطعت أفكاره عندما همست :

_دعنا نعد سيد بدر...لم أعد أريد البقاء هنا بعد اذنك....

لوح بكفه هاتفاً:

_لكنكِ لم تشتري أي شئ....



قالت بابتسامة صغيرة:

_لم أكن أريد شيئاً...أنا فقط هادنت سمية الحبيبة كي لا تغضب....

ابتسم لاهتمامها بسمية فقال باستسلام:

_حسناً....كما تريدين...

عاد بها لسيارته التي استقلتها جواره...

وفي مصادفة قدرية نادرة...

التفتت للسيارة التي تجاور سيارتهما علي الطريق...

لتلمحه...

نعم...ياسين...!!!!!!



الذي كان عائداً لمدينتهم مع رقية التي كانت تضاحكه الآن بمرح....

تسمرت عيناها عليه وهي تكذبهما....

نعم...عيناها تكذبان...

وقلبها صادق...

ياسين لن ينساها بسرعة هكذا....

لكنه..حقاً فعل!!!!

ياسين نسيها؟!!!!

مضي في حياته مع زوجته يسافر معها ويضاحكها ونسي آسيا حب عمره؟!!!!

الآن فقط صدقت أنها ماتت...!!!



ليس وهماً كما حاولت أن تقنع أهلها...

لكنها الحقيقة الآن...

طالما أعلنها ياسين ميتة في قلبه فكأنما أعلنها العالم أجمع....!!!!

انتحبت بقوة وهي تراقب سيارته تختفي عن ناظريها دون حتي أن يلاحظها...

وكيف يفعل؟!!!

وعيناه كانتا غافلتين حتي عن الطريق معلقتين بزوجته...

الآن صدّقي يا آسيا...

أنتِ ميتة...

ميتة!!!!



دفنت وجهها بين كفيها وهي منهارة ودموعها تنعي حباً ظننته أقوي من أن يموت...

أوقف بدر السيارة علي جانب الطريق وهو،يسألها بقلق:

_ماذا حدث يا آسيا؟!لماذا تبكين هكذا؟!!!!

لم تستطع الرد عليه فقد كانت غارقة في صدمتها بما رأت...

أحس بدر بالعجز وهو لا يفهم ما الذي أصابها فجأة...

وهي غير قادرة علي الكلام كما يبدو....

أعاد تشغيل السيارة عائداً للمزرعة آملاً أن تتمكن سمية من معرفة ما الذي جري لها....



وصلا إلي المزرعة بعد دقائق...

لتترجل آسيا من السيارة بسرعة هاربة إلي غرفتها الخارجية وهي تبكي في غزارة....

رأتها سمية فانتفضت بقلق من جلستها وهي تتوجه نحو،بدر لتسأله:

_ما الذي حدث لآسيا يا بدر؟!

هتف بقلق :

_لا أدري يا سمية...كانت تجلس جواري في السيارة وفجأة وجدتها تبكي،هكذا دون سبب...سألتها فلم ترد علي...اذهبي إليها واسأليها ما خطبها....

اندفعت سمية نحو غرفة آسيا الخارجية والتي تقع خارج المنزل كما اختارتها لها منذ قدمت...

طرقت الباب برفق



ثم دخلت ليروعها منظر آسيا الباكية في انهيار...

توجهت إليها لتحتضنها بقوة فصرخت آسيا في انهيار:

_لقد مت يا سمية ...مت...ياسين نسيني...

ربتت سمية علي ظهرها وهي تقول بقلق:

_اهدئي يا آسيا وأخبريني ماذا حدث....

ظلت آسيا تبكي في حضنها للحظات عاجزة عن الكلام...

ثم حكت لها باقتضاب...



تنهدت سمية وهي تقول بتعقل:

_لابد أن تفرحي لأجله يا آسيا وليس العكس...

رفعت آسيا رأسها لتهتف في استنكار:

_أفرح؟!

ابتسمت سمية وهي تقول بشرود:

_هل كنتِ تفضلين لو يقضي عمره بعد رحيلك في حزنه ووحدته؟!!

هزت آسيا رأسها نفياً وهي تهمس بألم:

_لا طبعي...عمري كله فداء لحزنه...لكنك لا تدركين شعوري عندما رأيته معها...نار يا سمية...نااار...

دمعت عينا سمية وهي تأخذ نفساً عميقاً لتهمس في غموض:



_أدركه يا آسيا...أدركه بأكثر مما تتصورين...

أطرقت آسيا برأسها غافلة عما تقصده سمية...

فربتت سمية علي،رأسها وهي تقول بحنان:

_ياسين فعل الصواب...مضي في طريقه ولم يعاند قدره...افعلي مثله يا آسيا...امضي في طريقك وتصالحي مع قدرك...

هزت آسيا رأسها وهي تهمس في ألم:

_ياسين كان طريقي...وكان قدري...

تنهدت سمية هامسة :

_كان يا آسيا...كان...

نظرت إليها آسيا بصدمة...



كيف تتقبل أن يخرج ياسين من حياتها هكذا...

هل يسلخ المرء من جلده بهذه البساطة؟!!!

ياسين ليس مجرد حب قديم اختلط بسنوات طفولتها وشبابها...

ياسين هو الهواء الذي كانت تتنفسه...

هو الحلم الذي كانت تحيا لأجله...

ياسين كان الحياة...كل الحياة....!!!

تفهمت سمية صدمتها وهي تربت علي ظهرها هامسة:

_لا تفكري في الماضي يا آسيا...من يدري...ربما كان القدر يدخر لك غداً فاتحاً ذراعيه بالوعود...



أطرقت آسيا برأسها وهي تفكر في كلماتها بشرود...

سمية تمثل صوت العقل الذي لا ينكره أحد...

لكن ما حيلتها في قلبها الذي يكاد ينفطر الآن حزناً وحسرة...؟!!

قلبها الذي تربى بين يديه يوماً بيوم...

وكبر بحبه ساعة بعد ساعة...

كيف ستستعيد دقاته التي تبعثرت بعده...

كيف ستكون آسيا لو لم يكن هناك ياسين؟!!!

=====

ركبت ساري سيارتها لتغادر القرية التي كانت تحمل لها المساعدات...

نظرت لساعتها في توتر ...

لقد تأخر الوقت وهي لم تنتبه...



تناولت هاتفها من حقيبتها لتجده قد فرغ شحنه...!

مطت شفتيها في استياء ...

فريدة العزيزة ستقلق عليها جداً...

كان من المفترض أن تكون في البيت منذ ثلاث ساعات...

لكن الطريق كان معطلاً في رحلة ذهابها..

وهي كانت مضطرة لتسليم هذه الأدوية لأصحابها اليوم....!

بلال العزيز كان مفيداً لهم جداً في هذه المواقف...

لقد كان هو من يقوم بهذه المهام المتضمنة لسفر طويل....



تذكرت بلال فابتسمت في مودة...

لقد اشتاقته حقاً...

عسي الله أن يحفظه في غربته ويرده سالماً...

تذكرت رسائله التي يرسلها لها يومياً عبر الايميل...

رقيقة مهذبة مثله...

لكنها تشعرها بقيمتها عنده...

بلال يحترمها ويقدرها كامرأة...

يهتم بها ولأمرها...

وهو شعور تفتقده تماماً مع حذيفة...!!

حذيفة الوقح الذي كان يحدثها عن تقشيرها للسمك له بعد زواجهما وهو يحتفظ بمنديل متسخ بأحمر شفاه بالتأكيد لا يخص والدته!!!!!



حذيفة الذي يعاملها وكأنها ملكية خاصة بلا نقاش...

في الوقت الذي عجز فيه عن التخلي عن رفيقاته العابثات وحياته الماجنة...!!

شهقت في عنف وهي تفيق من شرودها لتري رجلين يعترضان طريق السيارة بهراوتين غليظتين في يديهما....

توقفت بالسيارة تلقائياً لتركنها علي جانب الطريق...

تقدم أحدهما نحوها هاتفاً:

_انزلي.

نظرت للرجلين في تردد وهي تستغيث الله في سرها...

لا تعرف ماذا تفعل في هذه الورطة....

دمعت عيناها وقلبها يرتجف بعنف...

ما الحل الآن؟!



سمعت صوت رصاصة خلفها فالتفتت...

لم تصدق عينيها وهي تري حذيفة يترجل من سيارته ليواجه الرجلين بمسدس يحمله....

هرب الرجلان بسرعة...

فيما تقدم نحوها هو ليهتف بغضب:

_هل هناك فتاة محترمة تقود سيارتها ليلاًّ وحدها في طريق كهذا وبظروف البلد الآن؟!

كان جسدها يرتعش من هول الموقف فلم تقوَ علي الرد...

فيما زفر هو بقوة وهو،يفتح بابها هاتفاً:

_انزلي واركبي معي....اتركي السيارة هنا سآتي لآخذها لاحقاً...



أطاعته وهي ترتجف حرفياً ...

لم تتعرض لموقف مثل هذا في حياتها...

ماذا كان يمكن أن يحدث لها لو لم يأتِ حذيفة الآن؟!

ركبت جواره في،سيارته وهي صامتة...

لينطلق هو بالسيارة بسرعة...

احترم صمتها للحظات ثم سألها أخيراً بإشفاق لا يخلو من خشونة:

_أنتِ بخير؟!

أومأت برأسها إيجاباً دون أن تتكلم...

فزفر بقوة وهو يقول بضيق:

_كدت أجن عندما أخبرتني العمة فريدة أنكِ تأخرت اليوم وهاتفك مغلق...



اتصلت أمامي بصديقتك التي أخبرتها أنكِ سافرتِ لتلك القرية وحدك...لم أكد أصل للقرية حيث العنوان الذي منحته لي صديقتك حتي أخبروني أنك رحلتِ لتوك...لم أصدق عيني عندما رأيت سيارتك من بعيد تتوقف أمام هذا الفخ البشري...حمداً لله أنني تمكنت من ترخيص سلاحي قبل فترة بعدما جد في ظروف البلد مؤخراً...

همست بصعوبة:

_آسفة لأني أتعبتك.

خبط علي مقود السيارة وهو،يهتف بغضب:

_آسفة؟! وماذا كنت سأجنيه من أسفك هذا لو كان حدث لكِ مكروه؟!



أطرقت برأسها وهي تهمس في اقتضاب:

_كنت ستتخلص من فرض جدك الكريه الذي أجبرت عليه.

التفت نحوها بحدة وهو يقول بسخط:

_هل تظنين أنني لازلت أراكِ كذلك.؟!

رفعت رأسها وهي تنظر للطريق قائلة:

_انظر أمامك ...انتبه للطريق...

توقف بالسيارة بعنف فاندفع جسدها للأمام بقوة وهي تشهق في عنف...

التفتت إليه بحدة وهي تهتف:

_ماذا تفعل؟!



نظر لعينيها بقوة وهو يقول بانفعال:

_يجب أن نتحدث في هذا الأمر يا ساري...

أشاحت بوجهها وهي تقول بمرارة:

_وبمَ سيفيد الحديث؟! لن يلتقي طريقانا يوماً يا حذيفة...

ثم التفتت إليه لتقول بحزن واضح:

_تلومني لأنني سافرت وحدي اليوم وأنا كنت أوزع أدوية علي محتاجين لا يجدون ثمنها...بينما لا تعرف أنت السفر إلا مع رفيقاتك للهو والمرح...كيف ستفهمني اذا كان حذيفة النجدي لا يري سوي نفسه فقط؟!!!

صدمه منطقها فتنهد في ضيق...

فيما أردفت بحزن مرير:



_لا أتصور أن أكون يوماً زوجتك...أري نظرات الناس حولي تتأرجح بين السخرية والإشفاق علي تلك الزوجة التي يعرف الجميع أن زوجها يخونها كل يوم...أن أقضي يومي في،سماع إشاعات الناس حول آخر علاقاتك العاطفية...أن أستيقظ ليلاً علي صوت هاتفك باتصال من امرأة تريدك...أن أفتح عيني نهاراً علي جانبك الخالي من الفراش...أن أكون مجرد ظل لرجل لا يراني أكثر من دمية ربحها في مقامرة ...فرض ثقيل أداه مجبوراً...

دمعت عيناه حقيقة وهو،يسمعها تتحدث بكل هذه المرارة...

لا يعرف بم يرد عليها...

هي محقة في كل ما قالته عنه...

لكنه ....



قطعت أفكاره وهي تهتف في عجز:

_ها قد تحدثت فهل أفاد حديثي شيئاً؟! دعنا نعد للبيت ...أمي قلقة لأجلي...

قالتها وهي تشيح بوجهها...

نظر إلي جانب وجهها طويلاً لا يعرف ماذا يقول...

هو يعرف أنه ليس علي الطريق القويم لكنه لا يريد أن يتغير...

حياته الحالية تعجبه...

يعيش شبابه بكل الفرص التي منحتها له الحياة...

ولا يختلف في هذا عن رفقائه الذين حوله...

كلهم مثله يجدون سعادتهم في طريقهم هذا...

فلماذا يشق علي

نفسه بالتغيير؟!!!



ساري ستكون له في النهاية..

حتي لو رغماً عنها...!!!

وربما...

ربما...عندما يتزوجها يزهد في بقية النساء...

هذا يعتمد علي مهارتها في استبقائه جوارها...!!!!

عليها هي أن تبذل جهدها للحفاظ عليه...

لكنه هو لن يتغير !!!

هذا ما حدث به نفسه وهو يعيد تشغيل السيارة ليعود بها للمنزل...

لم يتحدث أحدهما بكلمة طوال الطريق...

لم يعد هناك ما يقال!!!



وصلا إلي المنزل ليجدا ياسين ورقية أيضاً علي وشك الدخول...

وبعد طقوس الترحيب المعهودة صعد الجميع لشقة الجد قاسم...

حيث كان السيد عاصم الهاشمي ينتظر رقية هناك...

ارتمت رقية في حضنه وهي تقول بعاطفة:

_افتقدتك يا والدي جدا...

ضمها عاصم إليه وهو ينظر إلي ياسين المبتسم ليقول برضا:

_سعادتك تبدو علي وجهك كخيوط النور يا رقية...

رفعت رأسها إليه وهي تقول بصدق لم يخلُ من خجل:

_جداً يا أبي...جداً...



اقترب ياسين منها ليمسك كفها هاتفاً بمرح:

_أدام الله علينا رضا السلطانة رقية...

ضحك الجميع بمرح فقال عاصم لابنته:

_يمكنكما الصعود للراحة بعد تعب الطريق...سأبقي مع الحاج قاسم قليلاً....

صعدت رقية مع ياسين متشابكي الأيدي...

فالتفت قاسم لساري التي كانت تراقبهما بحسرة...

رغم إعجابها الشديد برقية لكنها لا تملك إلا أن تتذكر آسيا التي كان حلم عمرها أن تكون مكانها.....

..لكن لا مكان للأحلام في قلوب الجواري!!!!

لقد ضاع حلم آسيا...

وضاعت آسيا نفسها!!!!



تأمل قاسم شرودها للحظة ثم قال بهدوء:

_اصعدي لوالدتك يا ساري...هي قلقة من أجلك...

همت بالصعود لكن السيد عاصم استوقفها بقوله في حنو:

_ابقي قليلاً يابنتي...أريد التحدث مع الحاج قاسم بشأنك...

تشنج حذيفة الذي كان واقفاً مراقباً في صمت يمتزج بلامبالاة....

حتي قال السيد عاصم هذه العبارة لتنتبه حواسه كلها...

ما الذي يريد السيد عاصم التحدث بشأنه عن ساري...؟!!!

هل من الممكن أن...؟!!!



قطع قاسم أفكاره الهائجة وهو يخاطب السيد عاصم قائلاً:

_لا تُخجلها يا سيد عاصم...سأسألها أنا علي انفراد...

قام السيد عاصم واقفاً وهو،يقول ببشاشة:

_أنا أستبشر خيراً يا حاج قاسم...

صافحه قاسم بحرارة ثم ودعه حتي باب البيت...

ليعود لساري وحذيفة الذي أدرك تقريباً فحوي الحديث...

جلس قاسم علي كرسيه مسنداً رأسه علي عصاه ...

شرد للحظات يفكر ثم قال لساري ببطء:

_السيد عاصم يريدك لابنه بلال...



اتسعت عينا ساري في دهشة...

بلال يريد الزواج منها هي؟!!!!

وحذيفة؟!!!

هل سيخلف قاسم النجدي كلمته؟!!!

قاطع حذيفة أفكارها وهو،يهتف بنزق:

_كيف هذا يا جدي؟! أنت قلت أنها لي أنا!

هتف قاسم بصوته المهيب:

_اخرس يا ولد.

احمر وجه حذيفة بغضب عندما أردف قاسم بحدة:

_أنا أردت تزويج بنات سعد من أولاد عمومتهن لحمايتهن...لكنني لا أئتمنك عليها كلية...أنت خيبت ظني...كل المدينة تحكي عن فسادك وطيشك...



ومع هذا كنت آمل أن تتغير بعد الزواج ...

وهذا لازال وارداً...

عقد حذيفة حاجبيه وهو،يغمغم بتوتر:

_لا زال وارداً؟! ماذا تعني يا جدي؟!

التفت قاسم نحو ساري ليقول بلين غريب علي طبعه الجاف:

_أنتِ أقرب حفيداتي لقلبي يا ساري...ربما لأنك لم تتنعمي بحنان أبيكِ بالقدر الكافي كأختيكِ كما أنني أثق في رجاحة عقلك...لهذا سأمنحك ما لم أمنحه لأختيكِ طالما شاء للكِ القدر هذا أنتِ بالذات...

همست في ترقب:

_ما الذي ستمنحني إياه يا جدي؟!

دق قاسم بعصاه علي الأرض وهو يقول بحزم:

_الاختيار!



ثم أردف في شرود:

_عاصم الهاشمي نسب لا يرفض ...سعيت إليه سعياً مع ياسين...لكن حذيفة يبقي ابن عمك الذي هو أولي بكِ من الغريب...فانظري ماذا ترين...

تحاشت ساري النظر لحذيفة الذي كاد يحترق الآن غضباً وهو يقول :

_سأنصرف بعد إذنك يا جدي.

لوح له قاسم بكفه في امتعاض فخرج مسرعاً...

فيما وقفت ساري لتقول لجدها بارتباك:

_امنحني بعض الوقت للتفكير يا جدي.



نظر إليها قاسم بعمق وكأنه يدرس ملامحها ثم قال بغموض:

_حذيفة معدنه أصيل لكن يعلوه بعض الصدأ...سيتعبكِ كثيراً قبل أن تتمكني من إجلائه ليعود براقاً كما كان...لكن لو أردتِ الربح السريع فبلال الهاشمي صفقة رابحة لن تخيب رجاءك....

أطرقت برأسها وهي تقول بتوتر:

_سأعقل كلامك كله يا جدي قبل أن أعطيك كلمتي...

أومأ برأسه في إيجاب...

فغادرت شقته مسرعة لتصعد الدرج نحو شقتها عندما رأته واقفاً ينتظرها في الردهة بين شقتيهما...

نظرت إليه بترقب ليفاجئها بأن جذبها من ذراعها بقوة ليقول بغضب:



_طبعاً ستختارين ابن الهاشمي...أليس كذلك؟!

ازدردت ريقها بتوتر وهي تشعر بالاضطراب...

لم تتصور أن تتغير الأمور هكذا بين عشية وضحاها...

لقد كانت تتعامل مع زواجها منه وكأنه أمر مسلم به!!!

لكن عرض بلال الهاشمي في هذا التوقيت أقرب للمعجزة!!!

قطع أفكارها وهو يهمس غاضباً حتي لا يسمعه أحد:



_لهذا كنتِ دوماً تقولين لي ألا أتعجل ما يحمله الغد؟!!! كنتِ تدبرين هذا الأمر مع ابن الهاشمي؟!!

عقدت حاجبيها بشدة وهي تهمس بدورها :

_احترم نفسك...ساري النجدي لن تعطي وعداً لرجل وهي في حكم المخطوبة لرجل آخر...حتي لو كان مثلك!

قالت عبارتها الأخيرة باحتقار واضح فكز علي أسنانه هامساً بتصميم:

_أنتِ لي يا ساري...حتي لو اضطررت للوقوف في وجه قاسم النجدي نفسه!

اتسعت عيناها في ارتياع وهو يردف بغموض:

_لكنني لن أفعل حتي أستنفذ معكِ أنتِ كل الطرق...

نزعت ذراعها منه وهي تقول باضطراب:

_لن أعطي كلمتي قبل زفاف جوري وعمار...



ابتسم بسخرية وهو يقول بقسوة:

_كلمتك الوحيدة ستكون لي أنا...أنا سأكون اختيارك يا ساري...

====

دخل ياسين شقتهما ليقول لها بحنانه الموشوم باسمه:

_فلتتفضل السلطانة بالدخول.

دخلت وهي تبتسم هامسة في خجل:

_أنت تدللني كثيراً يا ياسين.

ابتسم قائلاً في تقدير:

_تستحقين كل التدليل يا رقية...

اتسعت ابتسامتها وهي تتجه نحو غرفتها الصغيرة قائلة:

_سأبدل ملابسي...



استوقفها بندائه ليلحق بها ويمسك كتفيها هامساً بما يشبه الرجاء:

_ابقي معي في غرفتنا يا رقية...لقد اعتدت علي وجودك جواري...اعتدت أن يكون وجهك آخر ما أراه قبل نومي وأول ما أفتح عليه عيني...

أطرقت برأسها وهي تتمني لو تخبره أنها مثله وربما أكثر...

لقد تغلغل بين خلايا روحها كلها حتي أدمنت وجوده جوارها....

كل يوم...

بل كل دقيقة تمر له معها تخبرها أن قلبها كان صادقاً في حدسه....

ياسين النجدي...يستحق كل دقات الفرح التي اختصه بها قلب رقية الهاشمي...

ربما من أول لقاء...



أدرك قلبها أنه هو الرجل الذي ادخر له حب العمر كله....!!!

أساء فهم إطراقها فرفع ذقنها إليه لينظر لعينيها هامساً:

_لا تقلقي...أنا علي وعدي لكِ...رغم أنه صار يشق علي كثيراً...

أشاحت بوجهها في خجل وهي تدرك ما يتحدث عنه...

فأمسك كفها ليتوجه بها نحو غرفتهما...

تأملت رقية الغرفة بدهشة...

كم تشعر بالغربة بين جدرانها...

إنها تشعر بالحنين لمنزلهما المنعزل...



حيث لا أحد سواهما...

تستمتع بقربه الذي يمنحها سعادة لا توصف....

وكأنه كل عالمها...

وكأنها كل عالمه!!!

قرأ ما بعينيها فهمس بحنان:

_سنعود إليه قريباً يا رقية...أنا أيضاً افتقدته مثلك....

ابتسمت بعاطفة صادقة وهي تراه يفهمها دون كلمات فقالت بمرح:

_صرتَ تفهمني يا صديقي...يبدو أنك علي الطريق الصحيح لكسب رهانك....



شعر بابتسامتها وكلماتها وكأنها تدغدغ روحه ...
تشق طريقها لقلبه بخجل لكن...بثقة...
ثقة امرأة تعرف قدرها جيداً...
وقدر ما يمكنها منحه إذا شاءت!!

اقترب منها ليمسك كتفيها هامساً بحزمه الممتزج بحنانه:
_سأكسبه يا رقية...أنا أحتاج لذلك...
نظرت إليه بعاطفة وهي تهمس :
_أنا أيضاً أحتاج لذلك يا ياسين...خاصة بعد سفر بلال وانشغال والديّ بالاضطرابات التي يمر بها البلد...أنا أحتاج لصداقتك....
ضم رأسها لصدره وهو،يهمس:



_لن أخذلك يا رقية...ولن أخذل نفسي قبلك...

رن جرس الباب في هذه اللحظة ....

فتوجه ياسين ليفتحه ليجدها والدته التي احتضنته بحرارة هاتفة:

_حمداً لله علي سلامتك يابني...

توجهت رقية نحوهما وهي تبتسم برقة فاحتضنتها راجية بقوة وهي تهتف:

_حمداً لله علي سلامتك يابنتي....لماذا تبدين شاحبة هكذا؟!

ضم ياسين رقية بأحد ذراعيه وهو،يقول:

_لقد مرضت هناك يا أمي...

شهقت راجية بعنف وهي تضع كفها علي صدرها لتقول :



_يا حبيبتي...سلمك الله يا غالية...لماذا لم تعد بها عندما مرضت يا ياسين؟!

رفعت رقية رأسها إليه لتنظر في عينيه قائلة في امتنان:

_ياسين لم يقصر يا عمتي...لقد أشبعني عناية وتدليلاً....

قبل رأسها وهو يقول:

_أبقاكِ الله لي يا رقية...

نظرت راجية إليهما بسعادة وهي تري معاملتهما الجديدة...

قلبها يخبرها أن ابنها سيجد سعادته مع هذه الفتاة الرائعة بعدما هيأت لهما الظروف كل السبل...

رقية الهاشمي فتاة رائعة...



يستحقها ابنها البكر بعد طول عذابه السابق....

=====

جلست ساري علي سريرها شاردة تفكر في وضعها الجديد...

حذيفة يظنها كانت علي علاقة ببلال..

بلال الذي يشهد الله أنها لم تعتبره أكثر من أخ عزيز...

لكن هذا الأحمق حذيفة يتوعدها...

ماذا كان يعني بقوله أنه سيستنفذ طرقه معها؟!!!

هل يظن أنه يمكنه إجبارها علي القبول به؟!!!

تنهدت في حرارة وهي تفكر...



لست في حاجة للإرهاب كي تجبرني علي اختيارك يا حذيفة...

قلبي الأحمق لن يختار غيرك ولو عانده عقلي وكبريائي وطموحي...

ولو عاندته الدنيا كلها!!!!

وأنا لن أتزوج رجلاً وقلبي معلق بغيره!!!

قطع أفكارها دخول جوري وفريدة لغرفتها....

فابتسمت في شحوب وهي تقول بمرح مصطنع:

_تعاليا وانظرا لهناءتي وسعدي....عريسان ينتظران تفضلي بقبول أحدهما وأنا أتدلل.

رمقتها فريدة بإشفاق...

ساري كعادتها تخفي ألمها .



تكابر كي لا تبدي حزنها وحيرتها...

لكنها تشعر بها وبقلبها الذي تعلم علم اليقين أنه ملك حصري لحذيفة منذ الأزل...

ضمتها فريدة إلي حضنها وهي تجلس جوارها قائلة:

_لكِ الحق في حيرتكِ يا ساري...بلال الهاشمي لا يرفض...لكن حذيفة...

قطعت عبارتها وهي تهز رأسها في حيرة وكأنها تشارك ابنتها ارتباكها...

دفنت ساري وجهها في صدرها وكأنها تحتمي به من همومها...

ثم لم تعد قادرة علي التظاهر أكثر فهمست في ألم:



_انصحيني يا أمي...أختار من أحبه أم من يحبني؟!

هتفت جوري بحدة:

_لا تختاري هذا ولا ذاك....اختاري من تحبينه ويحبك...أنت تستحقين هذا...لن تعيشي سعيدة مع بلال وأنت تحبين حذيفة ولن تسعدي مع حذيفة وقلبه ليس لكِ...اسمعي نصيحتي وارفضي كليهما....

هزت ساري رأسها بحيرة وهي تقول:

_وهل سيمكنني قاسم النجدي من ذلك...؟! إنه -بالكاد-منحني حق الاختيار في سابقة لم تحدث من قبل...

أطرقت جويرية برأسها في ألم وهي تهمس:



_لعنة الجواري التي أصابتنا لن تتركنا حتي لو منحونا حق الاختيار...هو يخيرك بين جحيمين لا يقل أحدهما في لظاه عن الآخر...

تنهدت ساري في حرارة...

لا تدري هل جاء عرض بلال الهاشمي في هذا التوقيت كهدية من القدر حتي تقتلع جذور حذيفة السامة من تربتها لتورق أشجار حب جديدة ...

أم أن حذيفة النجدي هو لعنتها الأبدية التي لن يمكنها الفرار منها مهما حدث...؟!!!!

وأمامها كانت جوري تراقبها بإشفاق...

كم تتمني لساري رجلاً كزياد يحبها وتحبه....

خفق قلبها بعنف وهي تتذكر ما اتفقت عليه معه في مكالمتهما الأخيرة..



ستهرب معه في الليلة السابقة لليلة الزفاف مباشرة...

ليلة الحناء كما يدعونها...

سيكون البيت كله مشغولاً بالاعدادات...

يمكنها التسلل دون أن يشعر بها أحد....

نظرت لفريدة في إشفاق يحمل آلاف الاعتذارات...

هي تعلم أنها ستتألم لما سيحدث...

لكنها ستترك لها رسالة تخبرها فيها أنها ستكون سعيدة...

ومن يدري؟!

ربما عندما تمر الأيام وتعود إلي هنا مع زوجها تكون الأحوال قد تغيرت ..

رحل من رحل...!



ونسي من نسي...!

هذا هو أملها الذي يهون عليها مشقة ما هي مقدمة علي فعله...

وليس أهون علي الإنسان من خداع نفسه!!!!

=====

رن جرس الباب في شقة فريدة فتوجهت جوري لتفتحه...

صعقت عندما رأت عمار في وجهها فهتف بضيق:

_ألن تكفي عن هذا التعبير المزعج الذي ترسمينه علي وجهك كلما رأيتني؟! سأكون زوجك بعد أيام يجب أن تعتادي هذا....

أشاحت بوجهها في ضيق وهي تسأله بنفاد صبر:

_ماذا تريد يا عمار؟!

هتف بخشونة:



_بدلي ملابسك وتعالي معي لنشتري ثوب الزفاف....أنا استأذنت عمتي فريدة...

أطرقت برأسها وهي تشعر بالاختناق...

لا تريد صحبة هذا الغليظ ولا حتي للتسوق الذي تعشقه كباقي النساء...

لكنه مع عمار يصبح هماً ثقيلاً....

مثله تماماً!!!!

هتفت بضيق:

_انتظرني حتي آتيك...

وبعد نصف ساعة خرجت معه لأكبر محلات المدينة وأفخمها...

إنه زفاف جويرية وعمار النجدي...



ليس أقل من أفخم ثوب زفاف يليق بالأساطير كي يناسب لقب العائلة ومكانتها...

من يراها في ثيابها الفخمة الملكية لا يتصور أبداً أنها في نهاية الأمر ليست أكثر من جارية...

فهل تغير الثياب مهما فخمت حقيقة الجواري؟!!!!

اختارت أحد الفساتين بعشوائية دون أن تسأله عن رأيه بالطبع!!!!

هذا ثوب لن ترتديه أبداً...

لكنها ستكمل هذه المسرحية كي لا تثير الشكوك!!!

دخلت إلي "البروفة" الداخلية لترتدي الفستان...

ثم خرجت إليه لتسأله عن رأيه مجبورة!!!



تأملها عمار بانبهار...

هذه هي الصورة التي حملها لها طوال عمره...

جوري الحبيبة بفستان زفافها الأبيض...

عروس له وحده....

ظل يتأملها طويلاً في وله...

لا يدري هل يضئ هذا الثوب حقاً؟!

أم أنها هي من تضئ!!!

وكيف لا تفعل

وهي الشمس والقمر معاً...؟!!!

بل وكل النجوم...

نعم...جوري هي النور الذي تغلغل في روحه رويدا رويداً حتي تملكها...!!!!



فيما راقبت نظراته بدهشة بالغة...

هذه أول مرة تري،في عينيه هذه النظرات...

نظرات عاشقة مسحورة تلتمع كنجوم صغيرة في صفحة الليل السوداء!!!

نظرات تحوطها...تطوقها...تغلفها...تربت عليها...

تضمها...وترفعها...

ترفعها لأعلي جبال العاطفة...!!!

هل يحبها عمار حقاً كما يقولون؟!

لماذا إذن يعاملها بهذه الفظاظة؟!

هل يعرف قلباً خشناً كقلبه حباً كالذي تراه الآن نابضاً في عينيه؟!!!



ظل الحديث يدور بين عينيهما طويلاً...

حديث لا توفيه الكلمات حقه فوقفت مكانها عاجزة...

لم يقطعه سوي صوت صاحب المحل الذي جاء ليقول في مجاملة:

_تبدين فاتنة في هذا الثوب يا آنسة...

التفت إليه عمار بحدة وهو،يهتف:

_ماذا قلت؟!

ارتبك صاحب المحل وتنهدت جوري في استياء وهي تعلم مصير هذه المحادثة....

عادت إلي "البروفة" لتخلع الثوب ....

رفعته لتهم بخلعه لكن شيئاً ما جعلها تستبقيه علي جسدها للحظات...

تتأمله بشعور غريب...



ابتسمت ولم تعرف السبب!!!!

لكن ابتسامتها اختفت وهي تسمع عمار يصرخ في الرجل بالخارج:

_وما شأنك أنت إن كانت تبدو فاتنة أم لا؟! رجل وقح...

زفرت بقوة وهي تخلع الثوب بعصبية...

لتخرج لعمار الذي ظل يصرخ في الرجل...والرجل يحاول الاعتذار دون جدوي....

منحت الرجل الثوب لتقول ببرود:

_سنأخذ هذا...

أخذ منها الرجل الثوب وهو،يهرول لمكانه بعيداً لا يصدق أنه نجا من هذا الشجار!!!!

فيما التفتت نحو عمار لتقول بنفس البرود:



_إذا كنت أنهيت شجارك فهيا بنا...

عاد بها إلي المنزل يغلفهما الصمت طوال الطريق...

حتي وصلا فتوجهت لشقتها في عصبية...

لكنه استوقفها قائلاً:

_خذي ثوبك يا جوري.

تناولته منه بعنف فنظر لعينيها وهو يقول بلهجة غريبة وبصوت متهدج:

_لقد تشاجرت معه لأنه سبقني وقال ما كنت أريد قوله....

اتسعت عيناها في صدمة وهي تسمع منه هذا...



يبدو أنه بذل مجهوداً خرافياً ليتفوه بهذه الكلمات...

لا تصدق أن عمار يقول لها هذا...!!!

وبهذه اللهجة...وبهذا الانفعال....

شقت ابتسامة شاحبة طريقها لشفتيها ببطء....

وهي تنظر لعينيه العسليتين اللتين تكاد تقسم أنها أول مرة تركز في لونهما...

لتري فيهما شيئاً مختلفاً...

وعود؟؟!!!!

نعم...رأت آلاف الوعود بأشياء طالما حلمت بها خلف ستائرها الوردية...

أسف...واشتياق...وحب....

حب؟!!!



نفضت رأسها بقوة وهي تبتعد بعينيها عن عينيه لتقول في ارتباك:

_شكراً يا عمار.

عادت له غلظته رغماً عنه وهو،يقول بخشونة:

_احرصي علي ارتداء وشاح ساتر لأن الثوب ضيق...وإياكِ أن تقومي للرقص ليلة الزفاف حتي لو معي أنا.

قالها وهو يغادرها سريعاً خوفاً من أن تغلبه مشاعره نحوها...

فيما نظرت هي إلي الثوب بما يشبه الحسرة...

ليتها كانت عروساً عادية...

تفرح بعريسها وثوبها في ليلة العمر وسط أهلها....

لكنها مجبرة علي الاختيار...



وهي اختارت قلبها وسعادتها...

ولن تتراجع عن اختيارها....

من هذا الذي يريدونها أن تكمل عمرها معه؟!!!

عمار؟!

عمار الذي تشاجر لتوه وهو،يشتري ثوب الزفاف...؟!!

بل ربما لن يتورع عن الشجار ليلة زفافه نفسها!!!!!

لا لا لا لا ....

لن تتراجع...

هو زياد وعالمه الجديد ولا خيار آخر!

====



وقف بدر خارج الغرفة التي تحتجز فيها الآن سمية في المشفي وهو يكاد يموت...

أسبوع كامل مر عليها هنا غارقة في غيبوبتها لا تكاد تفيق منها إلا بضع دقائق...

كل الأطباء يشفقون علي حاله ويخفون عنه وضعها لكنه يشعر أن النهاية اقتربت...

اقتربت جداً....

أخذ نفساً عميقاً يحاول تهدئة قلبه الذي يرتعد بين ضلوعه...

هل سترحل سمية للأبد حقاً كما يقولون؟!

لن تبقي معه دوماً كما تعاهدا منذ زمن بعيد...؟!

لن يشرق صباحه بشمسها التي دونها الكون كله جليد؟!!!



لن ينام علي حكاياتها التي تداعب أذنيه بصوتها العذب؟!!!

سمية سترحل؟!!!

ستتركه وحيداً في عالم صنعه خصيصاً من أجلها...

هو الذي هرب بها بعيداً عن كل الناس لتكون وحدها كل أهله وكل دنياه!!!

اقتربت منه آسيا وهي تقول بإشفاق وسط دموعها الغزيرة:

_دعنا ندخل سيد بدر ربما تكون قد أفاقت من غيبوبتها...



نظر إليها بشرود وهو،يفكر...

هو يتحرق شوقاً للدخول إليها ...

لاحتضان كفها لعله يبعث الدفء في أوصاله...

للتفحص في ملامحها لعله يتزود منها قبل صيامه الطويل عنها...

لكنه يخاف...

أنامله ترتعد علي مقبض الباب...

يخشي أن يدخل فيجد الموت سبقه إليها ...

يخشي أن يشهد بعينيه آخر نفس تلفظه روحها معه...

يخشي ألا يحتمل هذه اللحظة وهو الذي يعد نفسه لها منذ عهد طويل لكن دون جدوي!!!



أحست به آسيا فقالت بحزن:

_دعنا ندخل...إنها حتما ستشعر بوجودنا معها حتي لو لم تستفق من غيبوبتها...يكفي أن نبقي جوارها...

قالتها وهي تمسك المقبض لتلفه برفق...

ثم دلفت إلي الداخل...

جلست علي طرف السرير وهي تمسك بيد سمية هامسة في حب وكأنها تسمعها:

_سمية...حبيبتي وصديقتي وشقيقتي...أفيقي لأجلي...لأجل بدر وياسين...قاومي يا حبيبتي لأننا كلنا نحتاجك...لقد حُرِمت من أهلي يا سمية...ولا أريد أن أُحرم منكِ أنتِ أيضاً....

غلبتها دموعها في عبارتها الأخيرة...

فقال بدر بمواساة:



_كلنا أهلك يا آسيا...هوني عليك...

وكأنما شعرت سمية بهما ففتحت عينيها ببطء وهي تتلفت حولها لتهمس بابتسامتها ذات السكينة:

_بدر...آسيا...حمداً لله أنكما هنا..

توجه بدر نحوها بلهفة وهو،يقبل كفها قائلاً:

_الحمد لله يا حبيبتي ...افتقدت صوتك يا سمية...افتقدتك بجنون...

ابتسمت له سمية بصعوبة وهي تنقل بصرها بين كفها الذي يمسكه بدر...

وكفها الآخر الذي تمسكه آسيا....

لتهمس بخفوت:

_الحمد لله...



قامت آسيا لتهتف بلهفة:

_حمداً لله علي سلامتكِ يا حبيبتي...سأنادي الطبيب حالاً...

غادرتهما بلهفة لتنادي الطبيب...

فهمست سمية بصعوبة:

_وصيتي لك هي آسيا...لا تتركها ...

ضغط علي شفتيه بقوة وهو يقاوم دموعه هامساً:

_لن نتركها يا سمية...أنا وأنتِ سنرعاها كما كنا....

تلفتت حولها وهي تهمس بضعف:

_كنت أريد رؤية ياسين...لكن من الأفضل ألا يراني هنا...اعتنِ به يا بدر علمه ركوب الخيل ليكون مثلك...أخبره عني دوماً واجعله يدعو لي...أخبره أني أنتظره في الجنة....



أغمض عينيه في ألم وهو يتمني لو يكون كل هذا مجرد كابوس.....

سيصحو منه ليجدها جواره تربت علي كتفه وتخفيه في حضنها حتي ينام من جديد.....

ابتسمت سمية في شحوب وهي تهمس:

_اشتقت لاسمك الحقيقي يا حبيبي...

قبل كفها وهو يهمس:

_وأنا اشتقت لسماعه منكِ...لكننا اتفقنا ألا نعود إليه كي لا نهدم كل ما بنيناه...

همست وهي تشعر بأن روحها تتسرب منها...:

_آخر مرة...آخر مرة سأقولها...أحبك يا...جسار...!!!



ضم كفها لصدره ولم يعد قادراً علي منع دموعه ليقول بحرارة:

_وأنا أحببتك وسأحبك طوال عمري يا سمية...

اتسعت ابتسامتها وأضاءت ملامحها بنور عجيب..

ثم همست بالشهادتين في خفوت...

ليرتخي كفها الذي يحتضنه علي صدره....

لقد رحلت سمية...

رحلت للأبد....



الفصل الحادي عشر:

خرجت فريدة من شقتها لتتوجه نحو شقة راجية لتتدبر معها أمر الحفل الصغير الذي سيقام الليلة...

ليلة الحناء...

تركت الباب خلفها مفتوحاً وهي تهتف بصوت عالٍ:

_الحقي بي يا جوري...لا تتأخري....

دمعت عينا جويرية وهي تعتصر رسالتها التي ستتركها لفريدة في يدها...

ستدسها لها الآن تحت وسادتها حتي تقرأها بعدما ترحل....

لعل هذا يخفف من قلقها عليها...



ولو أنها تعلم كم ستكون صدمتها وقتها....

لكن...ليس بيدها...!!!!

زياد ينتظرها الآن علي أول الشارع المجاور حيث سيتوجهان لأقرب مأذون...

لتصير زوجته...

لتتحرر الجارية أخيراً من رقّها وتذوق طعم اختيارها أيا ما كان...

زياد بالطبع لم يستطع إقناع والديه بفكرة زواجه منها رغماً عن أهلها...

لكنهما رضخا في النهاية بعدما أخبرهما أنه سيتزوجها ويسافر بها علي أي حال....

ولأنهما يعرفان عناده الشديد...



اضطرا للقبول بالأمر علي مضض!!!

وهكذا مهدت الظروف الطريق لجوري لتخرج عن سيطرة قاسم النجدي في سابقة ثانية لهذه العائلة....

وعلي باب شقتها كان عمار يهم بالدخول ليطلب شيئاً من فريدة...

لكنه توقف مكانه وهو يراها تبكي في غرفتها...

اختبأ خلف باب الشقة يراقب دموعها بحسرة...

هو يعلم أنها لا تريده...

لكنه لا يريد سواها!!!!

كل ما يطلبه هو فرصة...!!!

فرصة واحدة تراه فيها علي حقيقته بعيداً عن غلظة طباعه وخشونتها....



فرصة واحدة تعيش فيها معه ...

تتذوق حبه دون قيود لتعرف قيمتها عنده....

ويقسم بالله...

أنها لو لم تُرِده بعدها فسيطلق سراحها دون تردد...!!!!

لكنه سيكون قد أرضي واجبه نحو،قلبه الذي يعشقها بجنون...

لكن ما حيلته إذا كانت طباعه النارية تخونه!!!!

عقد حاجبيه بارتياب وهو يراها تتسحب خلسة من غرفتها ....

لتتوجه نحو غرفة فريدة لتضع ورقة ما تحت وسادتها!!!!



عاد بظهره بسرعة مختبئاً خلف الباب وهو يراها تتجه نحو باب الشقة تتأهب للخروج...

صعد درجات السلم دون صوت تقريباً ليختبئ مراقباً إياها وهي تخرج من شقة فريدة...

ناظرة إليها بيأس ودموعها الغالية تغرق وجنتيها...

ثم نظرت لشقته المقابلة في حذر يمتزج بالخوف....

أخذت نفساً عميقاً تبتلع به توترها....

ثم توجهت للأسفل...

تاركة باب الشقة مفتوحاً حتي تتوهم فريدة أنها لازالت بالداخل وستلحق بها قريباً....

انتظر حتي هبطت بضع درجات..

ثم اندفع بخفة لشقة فريدة ليقرأ ما كتبته في رسالتها:



أمي الحبيبة...

سامحيني...

لم أتقبل فكرة الزواج من عمار....سأرحل مع رجل يحبني ويحبه...سنتزوج ونسافر بعيداً...لا تقلقي علي...سأكون سعيدة....

سامحيني أرجوكِ...

جرت عيناه علي السطور بسرعة ثم قبض علي الورقة بكفه يكاد يسحقها ليعدو علي السلم بأقصي سرعته لاحقاً بها وهي توشك علي الخروج بعدما فتحت الباب....

صرخ بحدة:

_جوري!



شهقت في رعب وهي تراه يتقدم نحوها بملامح أقل ما توصف به أنها مخيفة....

حتي اقترب منها كثيراً ليغلق الباب بعنف وهو ينظر إليها نظرات حارقة.....

كادت أنفاسها تختنق في صدرها...

لكنها تمالكت نفسها لتسأله بصوت خانها ليخرج مهزوزاً:

_ماذا تريد يا عمار؟!

نظر إليها نظرة طويلة كادت تميتها ذعراً...

ثم بسط كفه لتظهر رسالتها المطوية في كفه...

اتسعت عيناها في رعب وهي تتصور أسوأ ردود فعله....

لم تستطع التفوه بكلمة...



ظلت تنظر لعينيه في خوف وصدرها يعلو ويهبط في انفعال....

لحظات مرت كأنها سنوات....

ليجذبها بعدها من ذراعها بعنف ويصعد السلم جارّاً إياها خلفه...

حتي صعدا لشقة فريدة الخالية الآن...

أغلق بابها خلفه بعنف...

وهو يجذبها نحو المطبخ ليحضر سكيناً كبيراً...!!!!!

شهقت في رعب وهي تراه يلصق ظهرها بالحائظ...

ويضع السكين علي رقبتها....!!!!!



أغمضت عينيها بقوة تنتظر مصيرها المحتوم....

وأمامها كان هو واقفاً يكاد يحترق...

نااااار...!!!!

نار،بصدره تحرق في طريقها كل شئ....

مصدوم تكاد صدمته تطير عقله...

رغم كل ما كانت تبديه نحوه من نفور...

رغم كلماتها الصارخة دوماً بكرهها له...

رغم تجرئها علي رفضه أمام قاسم النجدي...

رغم كل شئ لم يتصور يوماً أن تصل بها الأمور لهذا!!!!!



جوري...!!!

جوري كادت تهرب مع رجل غيره...

ليلة زفافهما!!!!!!!

كل كلام الدنيا لن يستطيع وصف تمزقه وغضبه...!!!

لقد بدأت صدمته في التراجع...

ليحل محلها الإدراك...

ثم الفوران!!!!!

براكين صدره تحرق روحه بحمم من لهيب.....

هذه الفاسقة تستحق القتل!!!!!

فتحت عينيها عندما طال صمته ليهولها الغضب العاصف في عينيه...



سالت الدموع من عينيها قهراً وهي تشعر بالظلم البين...

هذا الذي يمسك السكين ليقتلها ليس له حق عليها...

هو يعرف أنها لا تريده زوجاً...

هي لم تخدعه...

كلهم يعرفون أنها لا تطيقه...

ومع هذا يرقبون مراسم تزويجها له في هدوء ....

بل بفرح!!!!!

وكأنهم لا يبالون !!!!

يريدونها أن تفرح؟!

أن تستسلم لقدر الجواري؟!

وعندما تجرأت لتطالب بحقها في الاختيار يأتي هذا ليذبحها بسكينه!!!

حسناً...فليفعل...



لم تعد تبالي بحياتها....

فهي حياة ليست كالحياة!!!!

همست وسط دموعها في قهر:

_اقتلني يا عمار...هذا أفضل لكلينا...

ظل ينظر لعينيها ببركان غضبه الثائر واضعاً سكينه علي رقبتها حتي رن هاتفها الذي كانت تمسكه في يدها...

ارتبكت وهي تفكر...

لاريب أنه زياد يستعجلها...

ألقي السكين من يده وهو يتناول الهاتف من يدها لعله يجد اسماً للمتصل فيعرف هويته...

من هذا الوغد الذي تجرأ علي زوجته؟!!!

أين وكيف ومتي عرفها وعرفته؟!!!!

نظر للشاشة في سخط....



لقد كان رقماً غريبا..

جويرية كانت أكثر حرصا من أن تسجل رقم زياد باسمه....!!

فتح الاتصال ليصله صوت رجل غريب يهتف بلهفة:

_لماذا تأخرتِ يا جوري؟!

أغمض عينيه بقوة وهو يكز علي أسنانه...

هذا السافل يدللها أيضاً...

لكن لم العجب؟!!!

لقد كانت علي وشك الهروب معه لتتزوجه....

ومن يدري ماذا حدث بينهما أيضاً؟!!!

انقبض قلبه عند هذا الخاطر الرهيب الذي راوده...



فقذف الهاتف بعنف ليرتطم بالحائط فيسقط متهشماً...

ثم التفت إليها يريد التكلم...

لكنه لم يستطع...

لم يتمكن حتي من النطق بكلمة!!!!

رغم كل الغضب المشتعل علي وجهه...

قلبه يكاد يتوقف ألماً....

وأخيراً بعد لحظات صمت طويلة.....

قبض كفه بقوة وهو يرفعه أمام وجهها ثم قال ببرود تعرفه هي جيداً عندما يداري به شدة غضبه:

_تجرئي واخرجي من باب غرفتك قبل الزفاف...وسأريكِ عذاباً لم تتصوريه حتي في كوابيسك...



قالها ثم جذبها من ذراعها ليدخلها غرفتها بعنف..

ثم أغلق بابها خلفه...

ليغادر شقة فريدة...

ثم يجلس علي درجات السلم أمام شقتها كعادته...

أطرق برأسه يخفي الدمع الذي يجاهد للفرار من عينيه...

أخيراً تراجع طوفان الغضب مخلفاً وراءه جديباً مقفراً من الحزن والألم....

أي جرحٍ هذا الذي تركته له تلك الفاسقة؟!!!

لماذا لم يذبحها بالسكين قصاصاً وهي التي ذبحته بفعلتها ذبحا؟!!!!

مع من كانت ستهرب تلك الحقيرة...؟!!!



وإلي أي حد وصلت علاقتها مع ذاك الوغد الذي كانت ستهرب معه؟!!!

أخذ نفساً عميقاً لعله يتمالك مشاعره الهائجة وهو يتوعدها في سره هامساً:

_موعدنا غداً يا فاسقة...أليس الغد بقريب؟!!

====

وقفت جويرية أمام مرآتها تتأمل شكلها في ثوب الزفاف...

انطلقت الزغاريد حولها بصوت رنان لكنها لم تكن تسمع شيئاً...

لقد ارتدت الثوب الذي ظننت أنها لن ترتديه أبداً...!!!!

وبعد قليل سيعقد القران لتزف عروساً إلي عمار...

أبغض أهل الأرض إليها!!!



لقد قضت أسوأ لياليها البارحة...

رغم أنها تعرف عمار طوال عمرها لكنها لا تستطيع التنبؤ بردة فعله...

ماذا عساه ينتوي لها...؟!!!

إنها تعرف أنه لن يمرر لها فعلتها أبداً...

ليته قتلها وارتاحت من هذا العذاب!!!

تذكرت زياد فامتلأت عيناها بالدموع....

هل استنتج ما حدث...

أم أنه يظنها خانت اتفاقهما وستتزوج عمار راضية؟!

لقد فكرت أن تهاتفه باستخدام هاتف ساري أو فريدة...

لكنها لم تجد ما تقوله له...



كما أن وعيد عمار لها كان يخنقها خنقاً.!!!

إنها تخاف عمار بحق!!!!

نظرة واحدة للغضب في عينيه كفيلة بجعلها ترتجف رعباً....

فكيف ستمر الليلة يا تري؟!!!

الليلة فقط؟!!!

بل كل الليالي القادمة!!!!

ستعيش معه كابوساً مستمراً....

هي واثقة من هذا!!!!

عاد زياد بصورته الوسيمة الباسمة يحتل ذهنها...

فابتسمت وبكت في نفس اللحظة!!



هل سيسافر ويتركها؟!

لاريب أنه سيفعل...

سيتخلي عنها مثل الجميع...

جويرية النجدي ستبقي وحيدة كالقمر في ليلة بلا نجوم....!!!

رأت فريدة دموعها فقالت بطيبة :

_ستفرحين معه يابنتي...عمار يحبك وسيسعدك...فقط امنحيه الفرصة...

ابتسمت في سخرية..

ثم تنهدت في حرارة ...



فاقتربت منها ساري لتحتضنها هامسة بحنان:

_ستحتوينه بقلبك الطيب يا جوري...مهما كانت فظاظته سيلين بين يديكِ قلبه الصلب ...أنا أثق في ذلك...

أخفت وجهها في كتف ساري وهي تود لو لا ترفعه أبدا...

هي لا تعرف ما الذي يخططه لها ذاك البغيض...

لكن قلبها يخبرها أن أمانها كله سيتلاشي بمجرد ما تغادر شقة فريدة....!!!

عادت الزغاريد للانطلاق...

فالتفتت جويرية بترقب لتري عمار يقترب منها ببرود...



وجهه كأنما قُدّ من صخر...

تأبطت ذراعه مرغمة فسار بها حتي هبطا الدرج...

ليفتح لها باب السيارة التي تنتظرهما ليتوجها للقاعة التي سيقام فيها الزفاف...

ظل صامتاً طوال الطريق ...

لم يكلف نفسه مشقة النظر إليها حتي...

وهو الذي تمني هذه اللحظة طوال عمره...

أن تجلس جواره بثوب الزفاف لتشهد الدنيا كلها أنها صارت ملكه...

ملكه وحده!!!

كانت تختلس النظرات إليه في رعب حقيقي...

برود عمار هذا تعرفه جيداً...



يخفي وراءه غضباً هادراً لو أطلقه لأحرق الأخضر واليابس....

انقبض قلبها وهي تفكر...

كيف ستنتهي هذه الليلة...

حدسها ينبئها أنها ستنتهي بكارثة!!!

أطرقت برأسها وهي تشعر برأسها يكاد ينفجر من هذا الضغط...

تري كيف سيكون عقاب الجواري في عُرفك يا عمار؟!!

=====

أغلقت ساري باب شقة فريدة خلفها وهي تهرول للحاق بهم إلي القاعة...



لقد سبقوها إلي هناك بينما تأخرت هي في ارتداء ملابسها...

لم تعتد أن ترتدي هذه الثياب الأنثوية...

كلما نظرت لنفسها في المرآة تعجبت وكأنها تري واحدة أخري!!!

هي اعتادت مظهر "المسترجلة" وألفته فلماذا تغيره؟!!!

لماذا لا يسمحون بارتداء القمصان وال"جينز" في المناسبات؟!!

هكذا فكرت وهي تمط شفتيها في استياء ...

همت بنزول الدرج لتفاجأ به أمامها...

أطرقت برأسها وهي تراه يقطع عليها طريقها لهبوط الدرج...



تأمل مظهرها الجديد علي عينيه بافتتان ...

ثوبها رغم بساطته كان شديد الأنوثة...

يختلف تماماً عن مظهرها الذي اعتاده...

بدت فيه كأميرة من الأحلام...

لكن للأسف!!!

أميرة تعانده وترفض أن تكون له....!!

جذبها من ذراعها فجأة ليدخلها شقة راجية التي كانت خالية الآن بطبيعة الحال...

الجميع الآن في القاعة والبيت خالٍ إلا منهما!!!

سحبت ذراعها منه بقوة وهي تدفعه لتخرج لكنه أغلق الباب ليسده بجسده هاتفاً:

_لن تخرجي من هنا الآن يا ساري...



هتفت بحدة:

_ألن تكف عن أفعالك الطائشة هذه ؟! ماذا تريد مني يا ابن النجدي؟!

اقترب منها ببطء وهو يقول بلهجة أخافتها:

_لا تعرفين ماذا أريد منكِ يا ساري؟!

ابتعدت بظهرها حتي التصقت بأحد كراسي المائدة لتهتف بتوتر:

_لا تعاملني كفتياتك العابثات ....لا أحب هذا الأسلوب...

اقترب منها حتي لم يعد يفصل بينهما سوي أنفاسهما ليهمس بصوت بدا لها كالفحيح:

_ماذا تحبين إذن؟!



دفعته بكفها بقوة لكنها كانت كمن يدفع جبلا....

فهمست بيأس:

_لماذا تفعل هذا؟!

نظر لعينيها بعمق وهو يهمس بحزم:

_لتكوني لي يا ساري...حتي لو رغماً عنكِ....

اتسعت عيناها بارتياع وهي تفهم أخيراً قصده وما ينتويه...

فدفعته بكل قوتها فجأة ثم دارت حول المائدة وهي تهتف بفزع:

_هل جننت؟! ماهذا الذي تفكر فيه؟!



دار قبالتها حول المائدة محاولاً إمساكها ليقول بغضب:

_أسترد حقي الذي ستمنحينه لابن الهاشمي!

شعرت بالذعر وهي تري بعينها سواد أفكاره!!!!

لكنها لن تجادله الآن...

ستهادنه حتي تجد فرصتها للهرب....

همست بحذر وهي تحاول الاقتراب من باب الشقة ببطء:

_لم أقل كلمتي بعد يا حذيفة...

هتف بقسوة:

_أنا سأعرف كيف أضمن كلمتك هذه!



اندفعت تعدو نحو باب الشقة لكنه أمسكها في اللحظة الأخيرة قبل أن تتمكن من فتحه ليلصق ظهرها به هاتفاً في جنون:

_لن تكوني إلا لي أنا....

أخذ صدرها يعلو ويهبط في انفعال وهي تشعر بالرعب...

لا نجدة لها هنا...

وحذيفة لن يردعه وازع ولا ضمير...

هل هي النهاية؟!!!



سالت دموعها علي وجنتيها وهي تهمس بتوسل:

_اتق الله يا حذيفة...ما تفكر فيه لا يرضي أحداً...

هزها بقوة وهو يهتف بحدة:

_أنتِ زوجتي...سأتزوجك...لكنني سأضمن أولاً ألا تفكري مجرد تفكير في اختيار رجل غيري...

انتفض جسدها بعنف وهي تهمس وسط دموعها:

_أنا ابنة عمك يا حذيفة...كيف تفكر في أن تسلبني شرفي ؟!!

ضغط علي شفتيه بقوة وهو يكاد يعتصر ذراعيها غضباً...

ثم قال بحزم:

_شرفك هو شرفي...وأنا لن أتركك...لكنها وسيلتي الوحيدة لأتأكد من نتيجة اختيارك...



أغمضت عينيها بقوة وهي تدعو الله أن يكون هذا كله مجرد كابوس...

لا تريد أن تصدق أن حذيفة يفكر في فعل هذا بها...

حذيفة الذي أحبته بكل ذرة في كيانها...

رغم كل مساوئه وزلاته...

لكنها لم تعرف لقلبها مالكاً غيره...

لكنه يصر في كل يوم أن يشوه صورته التي تملأ كيانها كله...

أن يفسد كل ذكري جميلة ادخرتها له...

ياللخسارة...

ياللخسارة!!!

فتحت عينيها لتشير إلي جرح قطعي قديم في ذراعه هامسة بألم:



_هل تذكر متي جُرح ذراعك هذا؟! ومن تسبب لك فيه؟!

نظر لجرح ذراعه القديم وهو يتذكر...

لقد كانت لا تزال في مرحلتها الإعدادية عائدة من مدرستها إلي منزلهم...

عندما حاول أحد الشباب الاعتداء عليها ...

لكن تصادف أن رآه حذيفة في الطريق...

اندفع نحوهما ليتشاجر مع ذاك الشاب فجرحه بمُدية في ذراعه وجري...

لتسبب له هذا الجرح الذي ترك أثره في ذراعه إلي الآن...

همست والحزن يخنق صوتها وسط دموعها المنهمرة:



_لو كنت أعلم يومها أنك ستنقذني منه لتعتدي أنت عليّ لتمنيت الموت قبل أن أري هذا بعيني...

أطرق برأسه وهو يشعر بالخزي...

لكنه لم يفلتها من بين ذراعيه...

شئ أقوي منه يصرخ بداخله أنها ملكه...

ساري النجدي ملكية خاصة له...

سيفعل أي شئ كي لا يخسرها....

لا تهمه الوسيلة لكنه فقط يريدها....

هو حذيفة النجدي الذي لم تستعصِ عليه امرأة يريدها....

وساري لن تكون استثناء!!!



قطعت ساري أفكاره وهي تهمس بأسي:

_اتركني يا حذيفة...وأعدك أنني سأختارك أنت....

سألها بخشونة:

_وكيف أضمن أنكِ لن تخلفي وعدكِ هذا؟!

نظرت إليه نظرة ذبحته!

بكل ما حملته من عتاب وألم...

ثم همست بين دموعها بصدق مس قلبه:

_لم تكن تحتاج لهذه الحركة الحقيرة...ساري التي أحبتك قبل حتي أن تعرف ما هو الحب ما كانت لتختار رجلاً غيرك...

ظل ينظر إليها للحظات...



وكأنه لا يستوعب اعترافها لكنه يستشعر صدقه...

نعم...لازالت ساري لغزاً لا يفهمه...

صنفاً مختلفاً عما اعتاده من النساء...

لكن إحساسها وصله كاملاً ...

واضحاً لا يحتاج تأكيد...!!!

فك حصار ذراعيه حولها ببطء....

ليقول بحزم متحاشياً النظر لملامحها المكسورة:

_ستذهبين معي إلي جدي الآن في القاعة...وتخبرينه أنكِ اخترتني أنا...لنعقد قراننا اليوم مع جوري وعمار...

نكست رأسها وهي تهمس باستسلام:

_سأفعل....سأقبل الزواج منك ...



ابتعد عنها ليفتح الباب ...

فقالت بأسف يمتزج بألمها النازف في هذه اللحظة:

_لكنني سأبقي أكرهك طوال عمري....

تجمدت ملامح وجهه وهو يستوعب عبارتها التي بدت غريبة علي أذنه....

تكرهه؟!"

ساري...تكرهه هو؟!!!

أردفت هي بعدها بمنتهي الألم:

_لن أنسي لك أبداً أنك كسرتني...سأسمح لك بتملك الدمية التي استعصت عليك فرغبت فيها...سأسمح لك بالفرح بانتصارك الوهمي...حتي تزهدني وترحل عني...ساعتها أعدك أنني سأنهض من جديد ...أنثي قوية شفيت من لعنتك التي أصابتها



للأبد...سأكرهك بكل قوتي كما أحببتك من كل قلبي...

أسند جبينه علي الباب المفتوح وهو يشعر بكلماتها تخترق قلبه كسهام خبيرة تعرف طريقها...

لم يعد يهتم بانتصاره علي بلال الهاشمي وحصوله عليها...

بقدر ما مهتم بمحو هذا الألم الذي بدا وكأنه يعتصرها اعتصاراً...

لم يعد يراها ساري ...الوزر الثقيل الذي أجبره عليه جده ثم استغفله بلال ليخطفه من وراء ظهره...

لكنه يراها الآن ساري التي تربت معه طفلة...

و شاركته سنوات من عمره نقية مثلها...

طاهرة كالمطر...



قبل أن يتلوث بعدها بخطاياه وزلاته!!!

اعترافها الآن لها بحبه ثم توعدها له بأن تكرهه طوال عمرها كان كضربة علي رأسه...

أفقدته توازن أفكاره كلها!!!

تخطته ساري لتخرج ثم همست بضعف فكل انفعالاتها السابقة هدت جسدها وكأنها كانت في سباق طويل:

_هيا...كي لا نتأخر أكثر...

نظر إليها نظرة أخيرة...

ثم خرج بدوره ليغلق الباب خلفه وهو يشعر أنه ليس الباب الوحيد الذي أُغلق هذه الليلة!!!!!

======



وقف الحاج قاسم بين المدعوين ينظر للعروسين بقلق...

خبرته بعمار تؤكد له أنه ليس بخير...

هو يعرف بروده الصامت هذا والذي يستتر خلفه غضب عنيف...

تري ما الذي يفكر فيه هذا الفتي؟!

هل لازال غاضباً بسبب فعلة جويرية تلك الليلة عندما جاءت إليه لتخبره أنها لا تريده؟!

لاريب أنه كذلك...

خاصة أن الفتاة هي الأخري لا تبدو سعيدة....

دق بعصاه علي الأرض وهو يفكر...

هل أخطأ في حق جويرية حين سمح بهذه الزيجة؟!

لا...لم يفعل...



هو يعرف جيداً معدن عمار النجدي...

قد يكون خشناً غليظاً...

لكنه رجل يعتمد عليه...

رجل سيحفظ ابنة عمه اليتيمة التي ليس لها سواه...

ويحميها ولو بعمره كله!!!

قطعت أفكاره عندما لمح تقدم حذيفة وساري نحوه...

فعقد حاجبيه في تفحص...

هل اتفق هذان علي شئ؟!

بادره حذيفة بالسلام وهو يقبل يده قائلاً:

_مبارك زواجهما يا جدي.



أومأ له برأسه ثم التفت لساري بنظرة متسائلة خبيرة فقالت وكأنها تتخلص من حمل ثقيل:

_أنا حسمت أمري يا جدي....

ثم أطرقت برأسها وهي تهمس:

_اخترت حذيفة!

نظر لها قاسم بتفحص...

وكأنه يقرأ ما وراء اعترافها هذا...ثم قال ببطء:

_أنتِ واثقة؟!

هزت رأسها إيجاباً فقال حذيفة بتردد:

_لو تسمح لنا يا جدي أن نعقد قراننا الليلة هنا مع عمار وجوري!

نقل قاسم بصره بينهما



ثم سألها بلهجة ذات مغزي:

_هل تذكرين جيداً ما قلته لكِ آخر مرة عندما تحدثنا في الأمر...؟!!

سرحت ببصرها وهي تتذكر وصفه لحذيفة بالمعدن الصدئ...

لقد كان قاسم النجدي محقاً...

سيتعبها كثيراً حتي تجلوه ليعود براقاً...

لكن من قال أنها لا تزال تهتم...؟!!!

فليبقَ بصدئه!!!!!!

لقد خرج حذيفة من خانة الحبيب منذ تجرأ علي فعلته الحقيرة هذه الليلة...



ليصير كما كانت تخبره- كاذبة- من قبل...

فرضاً كريهاً أُجبرت عليه!!!

أفاقت من شرودها علي صوت جدها وهو يعاود سؤالها برفق غريب:

_هل تذكرين يابنتي؟!

اغتصبت ابتسامة شاحبة وهي تهمس:

_أذكر يا جدي...أذكر جيداً...ومتأكدة من اختياري...

دق قاسم علي الأرض بعصاه بضع مرات...

وبدا علي وجهه التفكير ...

ثم قال بحزم:



_اذن ...هيا لنعقد قرانكما مع عمار وجوري....

ابتلعت ساري غصتها فيما نظر إليها حذيفة نظرات عجيبة...

بدت له في هذه اللحظة كما كانت تبدو منذ سنوات...

عندما كان يغضبها وهي طفلة فلا تشكو ولا تتذمر...

بل تتحاشاه وتبتعد في صمت...

حتي يشتاقها فيعود إليها ويصالحها...

العجيب أنها كانت تسامحه ببساطة في كل مرة...

لكنها لم تكن أبداً تبدؤه بالكلام!!!



كانت تنتظره حتي يجئ وحده ثم تسامحه مباشرة...

وكأن قلبها الطيب لم يكن يقوي علي خصامه أكثر...

فتعود لتلعب معه وكأن شيئاً لم يكن!!!

تري..ألازال قلبها علي عهده من التسامح والنقاء؟!!

هل ستقوي علي الصفح عنه هذه المرة؟!!

أم أن أفعاله السوداء أحرقت كل سفنه لديها...

فنفد رصيده عندها؟!!!

قلبه يخبره أنها- وإن كبرت-ستبقي ساري الطفلة البريئة الطيبة التي ستعفو وتصفح دوماً...

لكن عقله يسخر منه هاتفاً بقسوة الحقيقة التي ينكرها:



_لم تعد طفلة يا حذيفة...كما لم تعد أنت طفلاً...

لقد أصبحتَ رجلاً هددها بفقد أغلي ما تملكه ليستغلها في لحظة ضعف...

فكيف ستعفو عن ذلك يا أحمق..؟!!!

صفحها الآن درب من المستحيل!!!

====

تعالت الزغاريد في القاعة بعد عقد القران المزدوج...

فابتسمت فريدة في سعادة وهي تحمد الله سراً...

وتدعوه أن يرزق بنتيها الفرحة والبركة...

تذكرت آسيا الغالية فامتلأت عيناها بالدموع...

صغيرتها التي اختطفت من حضنها في عز شبابها لتلاقي مصيراً مجهولاً...

يقولون أنها ماتت..



لكنها لا تريد التصديق...

وكأن قلبها الذي لن يتقبل هذه الصدمة يدفع عنها هذا الإحساس بكل قوته...

أخذت نفساً عميقاً وهي تهمس في خشوع:

_اللهم احفظها والطف بها أينما كانت....

وبعيداً عنها قليلاً كان ياسين يجلس مع رقية علي مائدتهما...

كانت رقية ترقب جويرية بشرود...

هذه الأجواء تذكرها بليلة زفافها الكارثية...

أغمضت عينيها بألم وهي تتذكر منظر ياسين محتضناً آسيا بعاطفة...

لا تظنها ستنسي ألم هذه الليلة أبداً...

قد ينسي الناس هذا الأمر..



بل إنهم بالفعل نسوه وتواري مع الزمن...

لكنها هي لن تنسي حرقة قلبها يومها...

تأمل ياسين ملامحها المتألمة وهو يدرك بحدسه ما يدور برأسها...

أمسك كفها يقبله بما يشبه الاعتذار وهو يهمس جوار أذنها:

_لا تفكري بالماضي يا رقية...

التفتت إليه لتلتقي عيناهما للحظات....

فابتسم لها بمؤازرة ثم قال بتردد:

_لقد بدأ عزف موسيقا هادئة...كل زوجين يستعدان الآن للرقص...هل تريدين ذلك؟!



هزت رأسها نفياً وهي تهمس بخجل:

_لا أحب أن يراني الناس أرقص هكذا.

اتسعت ابتسامته وهو يهمس برضا:

_أنا أيضاً لم أحب ذلك...لكنني ظننتكِ ترغبين به...خشيتُ أن أُضيّق عليكِ!

هزت رأسها نفياً وهي تهمس دون أن تنظر إليه:

_أنا أعرف عن طبعك المتحفظ يا ياسين...صحيح أن أبي كان يتهاون معي كثيراً فيما يتعلق بأسلوب حياتي...لكنني لم أخن ثقته يوماً...كما لن أفعل معك...سأحترم ما يثير حفيظتك ...لا تقلق...

نظر إليها في إعجاب حقيقي وهو يهمس:

_لن تكفي عن إبهاري يا غاليتي!

أشاحت بوجهها في خجل فاقترب بوجهه من أذنها وهو يهمس:

_لكن لي طلباً...



نظرت إليه بتساؤل فقال بحنانه الذي يأسرها:

_عندما نعود لشقتنا...سنعوضها برقصة أخري...

احمرت وجنتاها وهي تطرق برأسها فهمس بابتسامة ساحرة وكأنه يستأذنها:

_رقية...!

أومأت برأسها إيجاباً دون أن تنظر إليه فقبل كفها هامساً:

_أنتِ أجمل امرأة في حفل اليوم.

نظرت إليه بعتاب وهي تهمس:

_هذا يعني أنك نظرت إليهن كلهن؟!

انطلق ضاحكاً في مرح فابتسمت برقة...

قبل أن يقول بصدق وهو ينظر في عينيها:



_لا أحتاج للنظر إليهن يا رقية...يكفيني أن أنظر إليكِ أنتِ لأدرك الفارق الكبير!!!

ضحكت برقة وهي تتلفت حولها ثم قالت بمرح:

_أنت تجيد المغازلة يا صديقي...علي عكس ما تبدو...

ضحك بمرح هو الآخر وعيناه تلمعان بسعادة أحس بها قلبها فهمست في شرود:

_ضحكتك هذه تذكرني بأبي...

ابتسم في حنان وهو يربت علي كفها قائلاً:

_أنا أعرف أنكِ تفتقدينه لكنه مرتبط بأعمال كثيرة هذه الأيام ...لولا هذا لكان حاضراً معنا الليلة...

أومأت برأسها إيجاباً وهي تعود لشرودها....



فيما كان يتأملها ياسين بدهشة تمتزج بالإعجاب...

هذه المرأة ساحرة!!

لا يدري متي ولا كيف تعلق بها هكذا...

كل يوم له معها يجذبه نحوها أكثر وأكثر...

عقله يخبره أن الأمر لا يعدو نوعاً من الهروب من جرحه القديم...

آسيا وحبها اليائس الذي قتلهما معاً...

وهو يجد سلواه في عالمه مع رقية...

لكنه لا يريد تصوير الأمر هكذا...

كفاه ظلماً لهذا الملاك الذي أعطي بكل سخاء دون أن يطلب أي شئ...

لن يستجيب لفكرة كونها مجرد مسكن لألم جرحه القديم...

بل سيسعي إليها بكل قوته..



رقية الهاشمي تستحق أن يحارب نفسه من أجلها...

تستحقها بجدارة...!!!

=====

صعد ياسين بها إلي شقتهما بعد أن انتهي حفل الزفاف بسلام...

أغلق الباب خلفه برفق وهو يقول برضا:

_الحمد لله أن تم هذا الزواج علي خير....

هزت رأسها في تساؤل فقال موضحاً:

_عمار أخي يعشق جوري بجنون...لكنها لا تفهم طبعه الصعب...

ابتسمت في شرود وهي تقول:

_محظوظة من تجد زوجاً يحبها بجنون...أنا أثق أنها ستتفهمه مع الوقت...



أحس بمرارتها في كلماتها...

فشعر بوخز في قلبه...

اقترب منها وهو يهمس في حنان:

_قبل أن تبدلي ثوبك الرائع هذا...أريد الرقص معك كما اتفقنا....

أطرقت برأسها في خجل...

فتوجه لمشغل الأغاني هناك علي المائدة ليختار لحناً شهيراً هادئاً...

ثم توجه إليها ليمسك خصرها بكفيه هامساً:

_هكذا أفضل...أنا وأنتِ فقط...



تعلقت بذراعيها في عنقه وهما يتمايلان ببطء علي هذه الأنغام...

لتشرد ببصرها بعيداً...

كم يشبه ياسين الآن تلك الصورة التي رسمها خيالها منذ زمن لفارس أحلامها الرائع...

حنانه وتفهمه ...

عقله الذي يزن الأمور بمثاقيلها...

روحه التي تنافس المطر في نقائه...

نفس الصورة التي طالما حلمت بها...

باستثناء شئ بسيط...

أنه ...لا يحبها...!!!

هو فارس لكنه ليس لها.



قلبه معلق بماضٍ ثبت جذوره في قلبه منذ زمن ولن يزول...

ضمها إليه أكثر وهو يهمس:

_فيمَ شردتِ يا غاليتي؟!

التفتت إليه لتهمس برقة:

_لا عليك...

نظر لعينيها طويلاً...

ليري فيهما مشاعر لا تقبل الجدل!!!

حب كهذا الذي يراه في عينيها لا يمكنها إخفاؤه...

حب يخترق صدره بسهام من نور ...

حب نقي سخي ...مثلها تماماً....



ظل ينظر لعينيها وكأنه ينهل من بئر عاطفتهما دون ارتواء...

ثم همس بترقب:

_لو أخبرتكِ بما تفكرين الآن فهل أكون ربحت رهاني؟!

ابتسمت برقة وهي تهمس:

_يمكنك المحاولة يا صديقي...

اقترب بوجهه من وجهها أكثر لتلتقي عيناهما من جديد...

بحوار أكثر صخباً وحرارة...

ثم همس بتقرير:

_أنتِ تحبينني يا رقية...



توقفت مكانها مصدومة...

في نفس التوقيت الذي انتهت فيه الأغنية...

ليتوقف هو الآخر...

بل ليتوقف كل شئ حولهما.....

تسمرت مكانها...

وهي تتطلع إليه في دهشة تمتزج بالألم...

لم تكن تريده أن يدرك هذا الآن...

رغم أنها تمنت لو تهمس له بها منذ زمن بعيد....

تحتاج لأن تقولها له بشدة...

وكأن حبها الذي ملأ قلبها حتي فاض لم يعد قابلاً للإخفاء أكثر...

يريد التحرر من سجنه الضيق لينطلق حراً علي فضاء صدره!!!



لكن كيف عرف؟!

هل تفضحها عيناها إلي هذه الدرجة؟!!

أطرقت برأسها في يأس وهي تفكر...

لو لم تفضحها عيناها لفضحها قلبها...

قلبها الذي يفقد السيطرة علي جموح دقاته في وجوده...

فتنطلق هادرة بعنف...

صارخة بحبه الذي لم تعد تقوي علي كتمانه!!!

رفع ذقنها إليه مشفقاً علي حيرتها وهو يهمس:

_عندما تحب رقية الهاشمي فإنه حتماً لن يكون كأي حب...لا تتعجبي أنني شعرت به فحبك مثلك أقوي من أن يُقاوَم!!....



ابتعدت بعينيها عن عينيه وكبرياؤها يستحلفها أن تنكر...

أن تنفي...

أن تسخر منه!!!

أن تخبره أنها لن تحب رجلاً قبل أن يذوب عشقاً لها!!!

أن تكذب وتقول أنها باقية معه فقط لأنه يحتاجها وسترحل عنه متي يسترد قوته!!!

لكنها لم تستطع...

رقية الهاشمي ...خذلتها قوتها في هذا الموقف...

قلبها الذي كان يدرك جيداً عظمة العشق الذي يحمله لم يسمح لها أن تنكره...

كل ما استطاعت فعله هو الصمت...



الصمت سيظل ساتراً لكل ما عجزت عن البوح به...

سيظل يحميها من غدر قلبها لو تاق للاعتراف بما يملؤه...

طال صمتها فناداها هامساً:

_رقية...

نظرت إليه بوجل يمتزج بترددها فمنحها درعاً من نظراته الحانية التي تطوقها في احتواء...

ثم ضمها إليه ليهمس في أذنها:

_هل ستنتظرني غاليتي حتي أعترف لها اعترافاً يليق بها؟! اعتراف لا تشوبه رواسب ماضٍ لازال يقيدني بذنب قديم؟!



لم يصله ردها فأبعدها عنه قليلاً ليلمح دمعاً غالياً في عينيها....

قبل عينيها بحنان ....

ثم همس في رجاء:

_اصبري معي قليلاً يا رقية...حتي أمنحكِ الحب الذي تستحقينه...حب لا يليق إلا بقلبك الملكيّ...لن أرضي لكِ بأقل من هذا.

فتحت عينيها وهي تبتسم ...

رغم أنه لم يصرح لها أنه يحبها...

لكنها تجد وعده أكثر من رائع...

وعد يرفعها ملكة علي جبال الحب لكنها تنتظر مراسم تنصيبها الفاخرة...



وعد حنون متملك كصاحبه يعرف طريقه لمنافذ قلبها...

وعد ستنتظره بشوق ..

لأنه يستحق أن تنتظر...

===

استلقت ساري علي سريرها تحدق في السقف بشرود...

منذ عادت من حفل الزفاف وهي عاجزة عن تصديق ما حدث...

لقد تحاشت النظر إليه بعد عقد القران واستغلت انشغال الجميع بتهنئتها لتهرب،منه...

للأسف...

حذيفة الذي كان حب عمرها لم يعد الآن سوي خطيئة!!



خطيئة قلبها الذي أحب الرجل الخطأ!!!

أغمضت عينيها في ألم وعقلها يسترجع مشاهد الليلة كلها...

كيف احتجزها في شقته كوغد بلا ضمير...

وما كان ينوي عليه لولا أن الله سلم!!!

تقلبت علي أحد جانبيها لتري صفحة السماء صافية بلا نجوم تبدو من زجاج شرفتها ...

ليت قلبها يعود لصفائه كهذي السماء...

بلا حذيفة...

وعشق حذيفة...

وظلم حذيفة!!!



حذيفة؟!!!!

انتفضت من سريرها بعنف وهي تراه واقفاً في شرفتها يطرق علي الزجاج من الخارج...

اتسعت عيناها بذعر وهي تتبين أنه هو حقيقة وليس خيالاً...

كيف جاء إلي هنا؟!

ولماذا؟!

عاد يطرق علي الزجاج بعنف...

فقامت لتفتح له باب الشرفة الزجاجي ...

ثم تنهدت وهي تغمض عينيها هامسة:

_ماذا تريد الآن؟!وكيف وصلت إلي هنا؟!

ابتسم بمرح وهو يقول ببساطة:



_شرفتي تكاد تلاصق شرفتك...لم يكن هذا صعباً...

أطرقت برأسها وهي تفكر...

كل حياتك قائمة علي الاحتيال يا حذيفة...

كل حياتك!!!!

دفعها برفق ليدخل حجرتها متفحصاً إياها بنظراته....

كل ما فيها ورديّ...

يبدو أنه لونها المفضل!!!

التفت إليها ليهمس بإعجاب:

_كنت أريد رؤية غرفتك...يبدو أنكِ تحبين اللون الوردي...



لم ترد عليه وهي لا تزال علي إطراقها...

فوضع يده في جيب قميصه ليستخرج منه خاتماً من الألماس...

ثم التقط كفها ليلبسها إياه...

قبل باطن كفها برقة وهو يقول:

_أردت أن أراه في يدك قبل أن أنام...لم يكن ليغمض لي جفن قبل أن أصالحك...

نزعت كفها من كفه وهي تهمس في برود لم يخلُ من مسحة حزن:

_أهكذا تصالح فتياتك دوماً يا ابن النجدي؟!

أحاط وجهها بكفيه وهو يهمس أمام عينيها مباشرة:

_أولاً لا تناديني بابن النجدي أبداً بعد اليوم...أنا حذيفة...حذيفة الذي أحببتِه قبل أن تعرفي ماهو الحب أليس هذا كلامك؟!



ظلت علي برودها قامعة تمرد قلبها الذي ينتفض الآن بين ضلوعها وهي تهمس بلهجة ثلجية:

_وثانياً؟!

اقترب بوجهه من وجهها ليهمس بصوته المغوي الذي طالما جرب تأثيره علي النساء:

_وثانياً...لا تساوي نفسكِ بأي امرأة...أنتِ مختلفة...مميزة....

قالها وهو يتناول شفتيها بشفتيه مستغلاً خبرته المشئومة في هذا الشأن...

لكنها لم تتأثر...

ظلت واقفة مكانها في ثبات...

حتي رفع رأسه إليها في تساؤل يمتزج بالضيق فهمست ببرود :

_هل انتهيت؟!



عقد حاجبيه بضيق وهو يستشعر برودها الخانق....

ربما لو كان قبل تمثالاً من الحجر لأبدي استجابة أكبر.....!!!

زفر بقوة وهو يهمس بدوره:

_أنتِ الآن زوجتي يا ساري...لقد عقدنا قراننا بالفعل وحدد جدي زفافنا بعد شهر واحد فلماذا تمنعين نفسك عني؟!

أغمضت عينيها وهي تهمس في مرارة:

_قبل هذه الليلة كنت علي استعداد لفعل أي شئ من أجلك...للتضحية بكل شئ في سبيلك...لكن الآن...لم تعد لدي طاقة حتي علي منحك مجرد ابتسامة...حتي مجرد الحديث إليك صار مهمة شاقة...لم يكن أحد بقادر علي أن ينزع حبك من قلبي إلا أنت يا حذيفة...أنت فعلتها للأسف...



أمسك كتفيها وهو يهمس في حدة:

_كل هذا لأنني أردت التمسك بكِ وعدم التفريط فيكِ؟!

التوت شفتاها بابتسامة ساخرة وهي تزيح ذراعيه من علي كتفيها لتهمس:

_من تخدع بهذا الكلام؟!!!أنت فقط استكثرت أن يحصل بلال علي دميتك العنيدة التي لم تهاودك كباقي فتياتك...لم أكن بالنسبة إليك أكثر من تحدٍ جديد أردت الحصول عليه بالاحتيال كما تفعل في حياتك كلها

نظر إليها مصدوماً عاجزاً عن الرد...

هذا فعلاً ما كان يملأ عقله وقتها...

لكن الآن...



وبالتحديد بعدما اعترفت له أنها كانت تحبه طوال عمرها...

بعد هذه المرارة التي يشعر بها في همسها المتألم...

وبعد هذا الجرح الذي يبدو له جلياً علي صفحة وجهها...

يشعر أن إحساسه بها مختلف...

هو يريد حبها هذا الذي تزعم أنه لم يعد له وجود...

يريده بشدة...

يشعر أنه ترياقه من سموم حياته الماجنة...!!!

لكن ...كيف يستعيده؟!

ساري -كما يبدو-لن تسامحه بسهولة...

بل إنه لن يبالغ لو قال أنها لن تسامحه أبداً!!!



عاد يمسك كتفيها وهو ينظر لعينيها هامساً بصدق:

_أتمني الآن لو أضمك لصدري فأمحو عنك كل ألم تسببت لكِ به...

سالت دمعة من عينيها وهي تهمس:

_الحضن وطن يا حذيفة...لكن حضنك أنت غربة!!!

ضمها إليه وهو يتأوه بضعف هامساً:

_إلي هذه الدرجة يا ساري؟!

بقيت علي جمودها بين ذراعيه وهي تهمس:

_خذ ما يمكنك أخذه مني ...لكن لا تنتظر أن أعطيك أنا شيئاً بعد...

أبعدها عنه قليلاً وهو يستشعرها ميتة بين يديه...

برودها وتباعدها يمزقان صدره...

يدفعانه للهرب بعيداً عنها...



لكن هذا الحزن المسافر في عينها...

والذي يحمل له رائحة حبها القديم ...

يجعله يتمني لو يبقي ملاصقاً لها للأبد...

لو يصلح صنم حبها له الذي كسره بيده!!

ربت علي وجنتها برفق وهو يهمس بأسف:

_أنا أعرف أني خذلتكِ...لكنني....

لم يستطع إكمال عبارته التي لم يجد لها بقية!!!

فابتسمت في شحوب وهي تهمس في مرارة مكملة له جملته بنفسها:

_لكنك ...حذيفة!!



قالتها وكأنها تسبّه بها!!!

وكأن اسمه صار مرادفاً للخذلان والخيبة!!!

لكن من يلومها بعد كل ما فعله؟!!!

من يلومها؟!!!!

ازدرد ريقه ببطء وهو يهمس برجاء:

_علميني كيف أحبكِ يا ساري

أشاحت بوجهها وهي تأخذ نفساً عميقاً ثم احتضنت جسدها بذراعيها لتقول بألم:

_لو علمتني كيف أنسي جرحك...فسأعلمك كيف تحبني...

أطرق برأسه للحظات ...



ثم غلبه عناده ليرفع رأسه هامساً بحزم:

_ستسامحينني يا ساري...وسيعود قلبك ينبض بحبي...حذيفة النجدي لم يخسر يوماً شيئاً أراده!

====

دخلت معه إلي شقتهما الجديدة المقابلة لشقة ياسين في بيت قاسم النجدي الكبير...

أغلق الباب خلفه برفق ...

لكن قلبها انتفض بقوة وهي تراه ينظر إليها بعمق لأول مرة منذ بدأت هذه الليلة ...

طوال الزفاف وهو يتحاشي النظر إليها بتصميم...

وهو ما أثار رعبها بشدة...!!



عمار لن يسامحها علي ما فعلته ...

لكنها لا تعلم ما يمكن أن يدور برأسه...

وما ينتويه...

والأهم...

لماذا لم يخبر قاسم النجدي بما كانت ستفعله؟!!

لو أخبره لكان قتلها بيديه دون تردد!!!

لكن هذا يعني أن عمار يدخر لها عقاباً أسوأ من الموت.....

اقترب منها ببطء وهو يرمقها بنظراته النارية...

فتراجعت تلقائياً وهي تشعر أنها ستموت فزعاً

حتي قبض بكفه علي رقبتها فشهقت برعب...

سار بها وهو قابض بكفه علي رقبتها حتي وصل بها لغرفة نومهما...



أغلق الباب بالمفتاح ثم ألصق ظهرها به وهي تكاد تختنق من ضغط كفه علي رقبتها...

سالت دموعها رغماً عنها ...

فأرخي قبضته علي رقبتها قليلاً وهو يسألها في جمود:

_من هو؟!

أخذ صدرها يعلو ويهبط بسرعة...

تكاد أنفاسها تختنق...

لا تصدق هذا الجحيم الذي دخلته للتو بقدميها...

خبط رأسها بالباب فتأوهت بضعف وهو يعيد سؤاله بنفس الجمود:

_من هو؟!



هزت رأسها نفياً وهي تهمس بخوف:

_لن أخبرك.

أخذ نفساً عميقاً وكأنه يتمالك به غضبه ثم همس باحتقار واضح:

_كنت أعلم أنكِ لن تفعلي!

ارتجف جسدها بخوف وهي تشعر أنها ستنهار قريباً...

تمنت لو تحدث معجزة تجعله يتركها الآن ولو لدقائق...

تلملم فيها شتات نفسها المذعورة...

قلبها يكاد يتوقف بحق...



لكنه عاد لجموده وهو يسألها:

_ما الذي حدث بينكما بالضبط؟! إلي أي مدي وصلت علاقتكما؟!

اتسعت عيناها في ارتياع وهي تري مدي سوء ظنه...

لا تصدق أنه يفكر أنها فرطت في شرفها!!!!

هتفت بانفعال:

_ما هذا الذي تقوله؟!

زاد ضغطه علي رقبتها فتأوهت بقوة وهو يهمس:

_إياكِ أن ترفعي صوتكِ...

أومأت برأسها إيجاباً وهي تهمس في حرارة وسط دموعها التي انهمرت كالسيل:

_لم يحدث بيننا شئ يا عمار....أقسم لك...



فك قبضته من علي رقبتها ببطء...

ثم مد كفيه فجأة ليمزق طوق ثوبها قائلاً بنفس البرود:

_هذا ما سنراه الآن!

اتسعت عيناها في ارتياع وقد فقد عقلها وعيه اختيارياً...

وكأن عقلها الباطن يحميها من تذكر هذه اللحظات التي تعيشها الآن....

أغمضت عينيها بقوة كي لا تري ما يفعله!!

لم تقاوم ولم تتحرك...

فقط...تجمدت في استسلام وعقلها يمدها بالذكريات تؤازرها في هذه اللحظات القاسية...



ذكريات اندفعت كالسيل في رأسها لتشوش علي هذا الذي يحدث...

_حضنهن الجماعي...

هي وآسيا وساري...

آسيا التي رحلت لأنها أجمل من أن تعيش في عالم قبيح كهذا...

_عمار وسكينه علي رقبتها!!!!

_زياد بوجهه الوسيم المبتسم...

_رواية الحب من أول نظرة...

_أرقام هاتفه الحبيبة التي عشقتها ورأت فيها خلاصها!!

_عمار وسكينه علي رقبتها!!!



_كتبها التي عاشت بين سطورها...

_أبطال الروايات الذين عاشت تحلم وسطهم خلف ستائرها الوردية...

_صوت باب المكتبة يفتح ووجه زياد يشرق من خلفه!!!

_عمار وسكينه علي رقبتها!!!!

_زياد وهو يعدها بالسفر...

_عالم جديد وحلم جديد...

_صورة طائرة تحلق بهما بعيداً عن كل هذا الظلم!!

_عمار وسكينه علي رقبتها!!!!



كل صور ذكرياتها تداخلت...

تقاطعت بقوة مع المشهد الذي كان يتكرر...

عمار بسكينه علي رقبتها...!!!!

حتي انتصر عليها جميعاً...

ليحتل ذاكرتها كلها الآن!!!!!

صرخت بقوة رغماً عنها...

وعقلها يعود لوعيه تدريجياً...

لتكون صرختها آخر ما تودع بها هذه الليلة العصيبة!!



الفصل الثاني عشر

خرج عمار من الحمام الصغير المرفق بغرفتهما وهو يختنق ضيقاً...

حتي الماء البارد لم يخفف اشتعال براكين الغضب بصدره...

رغم أنه تأكد أنها لم تفرط في شرفها مع ذاك الوغد الذي لا يعرفه...

لكن مجرد فكرة أنها كانت ستهرب معه لتلوث اسم العائلة وشرفها تثير جنونه!!!

ألم تكفِها فعلة شقيقتها الأخري؟!!!

هذا بالطبع بعيداً عن حسابات قلبه الذي ذبحته بفعلتها...



والذي أقسم هو ألا يستجيب لضعفه نحوها بعد الآن ولو لحظة واحدة!!!!

ألقي نظرة عابرة علي الفراش لجسدها المختبئ بأكمله تحت الغطاء حتي رأسها...

كان جسدها ينتفض بقوة فعلم أنها لازالت تبكي...

منذ مزقت أذنه صرختها الوحيدة التي أطلقتها وهو لم يسمع بعدها لها صوتاً...

كانت هذه هي الاستجابة الوحيدة التي تلقاها منها هذه الليلة التي أوشكت علي الانتهاء!!

توجه لشرفة غرفتهما ليستنشق بعض الهواء لعله يهدأ...

لكن كل نفس كان يدخل لصدره بدا وكأنه يحمل حمماً من اللهيب...



رفع وجهه للسماء ليري القمر واضحاً...

ابتسم في سخرية وهو يفكر...

كم كان يري وجهها علي صفحة القمر قديماً...

وجهها الذي خدعته براءته وهي تخفي خلفه جرأة فاسقة!!!

استند علي سور الشرفة وهو يطرق برأسه...

من كان يصدق أن تنتهي ليلة زفافه عليها التي تمناها طوال عمره هذه النهاية؟!!!

دمعت عيناه وهو يتذكر الخطط التي كان يرسمها لهذه الليلة...

كيف سيحملها بين ذراعيه عندما تدخل من باب الشقة...



ليدخل معها العالم الذي حرمه هو علي أي أنثي سواها!!!!

من سوي جويرية النجدي عرفت طريقاً لقلب عمار؟!!!

ولا واحدة!!

لكنها للأسف دمرت كل شئ بفعلتها...

كل شئ...!!!

كم تمني لو استطاع أن يتغير من أجلها...

أن يقترب من عالمها لتعلمه كيف يمكنه أن يكسب قلبها...

كيف يكسر قناع غلظته الذي ينفرها...

ليظهر حبه العاصف لها من ورائه فيذيبها بحرارته!!!!



كم تمني لو يصارحها في ليلة كهذه ...

والقمر يبدو مكتملاً واضحاً في السماء...

أنها حبه الذي كبر معه يوماً بيوم...

ولحظة بلحظة!!

كم تمني....وتمني...

لكن...

ضاعت كل الأمنيات!!!!

تنهد في حرارة وهو يعود للغرفة...

ليلاحظ جسدها المستكين تحت الغطاء...

وانتظام أنفاسها الهادئة...

هل نامت؟!



اقترب منها ببطء ليرفع الغطاء عن وجهها ليروعه مظهر هذه الكدمات علي رقبتها وذراعها...

هل هو من فعل هذا؟!!!!!

رفع الغطاء أكثر ليري انتشار هذه الكدمات علي ما ظهر من جسدها تحت قميصها الذي ارتدته بصعوبة قبل أن تدفن جسدها تحت هذا الغطاء...

عقد حاجبيه بضيق وهو يشعر بالغضب من نفسه...

كيف فقد السيطرة علي انفعاله حتي فعل بها هذا؟!!!

كان ضميره غارقاً في تأنيبه بينما كان عقله يصر علي أن هذه الفاسقة تستحق ما حدث لها!!!!

وبينهما كان قلبه يترنح كالذبيح...



لا يصدق أن من نامت غارقة في دموعها وآلام جسدها في ليلة زفافها هي جويرية...

حبيبته الوحيدة!!!

اقترب من وجهها ببطء ليري جرحاً صغيراً بشفتيها ينزف ببطء...

أغمض عينيه بألم للحظات...

ثم تناول منديلاً صغيراً ليمسح به قطرات الدم برفق حتي توقفت...

لكن العجيب أنها لم تتحرك...

هل هي غارقة في النوم لهذه الدرجة؟!!

أعاد تغطيتها برفق...



ثم تمدد جوارها محدقاً في السقف في شرود...

حتي غلبه النوم.....

لم يدرِ متي استيقظ لكنه فتح عينيه ليجدها لازالت نائمة جواره...

نظر لساعة الحائط ليجد أن النهار أوشك علي الانتهاء...

هل ناما طوال هذه الفترة....؟!!

التفت إليها ليتأمل ملامحها المستكينة ثم جاءه خاطر مزعج...

فهزها برفق وهو،يهتف:

_جويرية ...استيقظي..



لم تبدُ عليها أي استجابة...

فعاد يهزها بقوة أكبر وقد تأكد هاجسه لكنها لم تستجب أيضاً...

إنها ليست نائمة...

إنها فاقدة للوعي!!

تناول هاتفه بسرعة ليتصل بطبيب وهو،يشعر بالذعر...

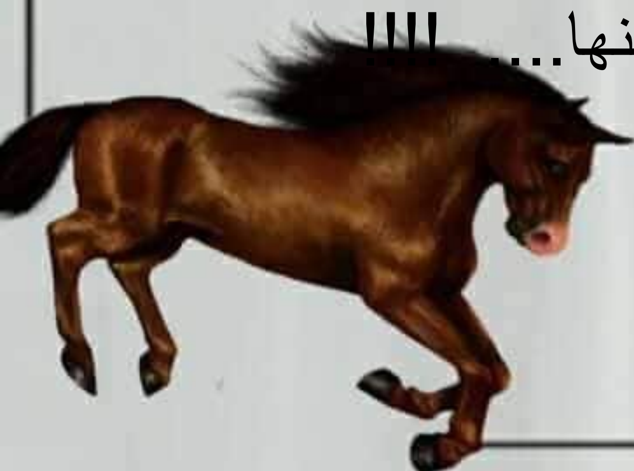
وبالطبع لن يكون ذاك الوسيم المتأنق الذي حضر المرة السابقة!!!

أكد علي الطبيب سرعة الحضور لخطورة الأمر...

ثم حاول إفاقتها بزجاجة عطرها لكنها لم تستجب...

جسدها كان مستسلماً كأنه ميت...

ولولا أنفاسها المنتظمة لظنها...!!!!



انقطعت أفكاره المذعورة عندما رن جرس الباب..

هل وصل الطبيب بهذه السرعة؟ !!

قام من جوارها ليفتح الباب ليطالعه وجه فريدة المبتسمة في سعادة وهي تهتف:

_مبارك يا ولدي...لم أرد إزعاجكما منذ الصباح فأتيت الآن لأطمئن عليكما....

قال بضيق وبغلظته المعتادة:

_جويرية مغشيٌ عليها....

شهقت بعنف وهي تندفع نحو غرفة النوم لتحتضن جسد ابنتها الملقي بلا حراك هاتفة:

_جوري...ما بكِ يابنتي...جوري...جوري..



ظلت تناديها وهي تهزها لكنها لم تستجب...

فتفحصت جسدها المكدوم بلوعة وهي تقول لعمار بدهشة تحمل أطناناً من اللوم:

_لماذا يا عمار؟! ما الذي فعلته بها؟!!

أشاح بوجهه وهو يضرب الحائط بقبضته بقوة....

فهتفت فريدة بحرقة وهي تبكي:

_أمنتك علي ابنتي لتفعل بها هذا؟!!!!!

أطرق برأسه ولم يرد....

ماذا يعرفون هم عن خطة تلك الفاسقة التي أحبطها لها....؟!!!

لو لم يكن موجوداً لكانت الآن هربت مع ذاك السافل الذي لا يعرفه ومرغت وجوههم في الطين...

لكنه لن يفضح سرها...



لو علم قاسم النجدي بما كانت تنتويه لقتلها دون تردد....

لا رفق لدي النجدي الكبير في أمر كهذا!!!!

رن جرس الباب فترك فريدة للوعتها علي ابنتها ليعود بالطبيب الذي تفحصها...

ثم سألهم بحذر:

_ما الذي حدث لها بالضبط....؟!

نظرت فريدة لعمار بعتاب....فيما أطرق عمار،برأسه...

فهز الطبيب رأسه في تفهم....

ثم حاول إفاقتها بطرق أكثر فعالية حتي أفاقت أخيراً....



فتتنهد عمار في ارتياح وهو،يشعر أن روحه ردت إليه....

فيما احتضنتها فريدة بقوة وهي تهتف:

_ماذا بكِ يا جوري؟! بماذا تشعرين؟!!

نظرت إليها جوري بضعف دون أن تنطق...

فسألها الطبيب برفق:

_كيف حالك يابنتي؟!

نظرت أمامها بشرود دون أن ترد...

فعاد يسألها :

_هل تسمعينني يا بنتي؟!

أومأت برأسها إيجاباً...



فسألها بقلق هذه المرة:

_هل يمكنكِ التحدث؟!

فتحت فمها لتحرك شفتيها لكن صوتها لم يظهر...

فهزت رأسها في عجز...

هتف عمار،بقلق :

_لماذا لا تتكلم؟!

انتبهت إليه جويرية ساعتها فنظرت إليه بذعر وهي تهمهم بأصوات غير مفهومة....

فانخرطت فريدة في البكاء وهي تكاد تصرخ:

_ما الذي حدث لك يابنتي؟!

دفنت جويرية وجهها في صدر فريدة وكأنها تحتمي فيه من عمار!!!



فقال الطبيب برفق:

_اهدئي يا بنتي...وحاولي أن تتكلمي...

نظرت إليه جويرية وهي تحاول التحدث لكنها لم تستطع !!!

فعادت تدفن وجهها في صدر فريدة وهي تبكي في صمت....

قام الطبيب من مكانه وهو يقول :

_سأكتب لها دواء مهدئاً...وآتي لها غداً....

غادر الغرفة بهدوء فلحقه عمار،بسرعة وهو،يغلق الباب خلفه ليسأله بلهفة قلقة:

_ماذا حدث لها؟!أنا زوجها يمكنك إطلاعي علي الحقيقة كلها...



تنهد الطبيب في ضيق وهو يقول:

_حالة من الخرس الهستيري المؤقت نتيجة صدمة نفسية عنيفة...العلاج الدوائي في هذه الحالة ليس فعالاً بما يكفي...الأهم هو الحالة النفسية للمريضة...أنا لاحظت نظراتها المتوترة نحوك...لا أريد الدخول في أمور،شخصية لكن لو كنت تعلم ما الذي أدي بها إلي هذه الحالة فستعلم بالتأكيد كيف تخرجها منها....

عقد عمار حاجبيه بقلق بالغ وهو يسأله:

_كم من الوقت ستستمر علي هذه الحالة؟!

هز الطبيب،رأسه ليقول بحسم:

_لا أحد يعلم...هذا أمر تقديري يخضع للظروف المحيطة...



غادر الطبيب المنزل بعدما كتب لها بعض الأدوية...

فيما عاد عمار لها لينظر لها في تشتت...

لا يصدق أنه تسبب لها في هذا...

رمقته فريدة بنظرة عاتبة لكنها لم تشأ تقريعه أمام جويرية...

يكفيها ما هي فيه!!!

فقال لها برجاء:

_اتركيني معها وحدنا يا عمتي....أرجوك...!!

تشبثت بها جويرية وهي تتحاشي النظر إليه ....

فترددت فريدة وهي تنقل بصرها بينهما ....

ثم ربتت علي كتف جويرية لتقول بحنان:



_سأذهب لأعد لكِ الطعام الذي تحبينه...يجب أن تأكلي لتستردي قوتك...

هزت جويرية رأسها نفياً وهي تحاول التحدث بعجز لكنها فشلت ...

فأطبقت شفتيها في قهر وهي تعود لتسند رأسها علي وسادتها مغمضة عينيها في ألم.....

ألقت عليها فريدة نظرة حزن أخيرة وهي تشعر،بقلبها يتمزق علي ابنتها العروس التي أصيبت هكذا فجأة!!

نظرت لعمار بعتاب شديد ثم تركتهما مضطرة لتخبر،قاسم النجدي بما حدث....!!!!

لعله يجيد التصرف مع حفيده الذي فعل هذا بابنتها!!!!



قاسم النجدي برغم قسوته وتسلطه...

لن يرضي بما حدث لجويرية...

لابد أن يأخذ لها حقها من عمار الطاغية هذا....

هل يظن أنها جارية عنده ليعاملها بهذه الطريقة؟!!!

هذه كانت أفكارها العاصفة وهي تتجه خارج منزلهما....

فيما كان عمار،ينظر لجويرية المغمضة العينين ثم جلس قبالتها علي طرف السرير ليهتف بانفعال:

_انظري إلي يا جوري.

ظلت مغمضة العينين وهي تهز رأسها نفياً...

فاقترب منها أكثر وهو يقول بقلق:



_هل أنتِ لا تستطيعين الكلام حقاً؟! أم أنكِ تدعين ذلك؟!

سالت الدموع من عينيها وهي تشعر بالقهر...

يظنها تدعي هذا العجز!!!

لا بأس!!!

لقد ظن بها أسوأ من هذا....!!

قبض كفه بقوة وهو يشعر بالعجز ....

دموعها تحرق،صدره...

وحالها الجديد هذا لو استمر فسيموت حياً!!!

ازدرد ريقه ببطء وهو يقول لها برفق غريب علي غلظته المعهودة:



_لو كنتِ تدعين هذا لتتخلصي مني...فأنا أعدكِ بشرفي بل أقسم لكِ أن أطلق سراحك للأبد لو عدتِ تتكلمين من جديد...

فتحت عينيها ببطء...

وهي تنظر إليه بترقب...

فتحت فمها وهي تحاول جاهدة أن تتكلم....

أمام عينيه المترقبتين...

وهو يكاد يتوسلها أن تنطق ....

بأي شئ!!!!

لكنها عادت تطبقهما وهي تهز رأسها في عجز...

اندفع نحوها فجأة....



ليحتضنها بقوة وقد خانته دموعه ليهتف بعنف:

_تكلمي يا جوري...تكلمي وسأخرج من حياتكِ للأبد...حتي لو مت بعدها ...لكن لا تفعلي بي هذا...لا تجعليني أعيش بذنبك عمري كله.

رفعت رأسها إليه وهي تتطلع لدموعه التي تراها لأول مرة تملأ عينيه ممزوجة بقلقه الواضح...

لا تصدق أنه يبكي من أجلها...

عمار يبكي!!!

نظرت إليه في ضياع وهي تشعر بالغربة في كل شئ...

هذه ليست غرفتها...

وهذا ليس،بيتها...



هذا الذي يحتضنها بقوة ويبكي لأجلها ليس عمار...

وهذه البائسة التي لا تستطيع الكلام....ليست هي...

كل هذا غريب...

هذا كابوس.......!!!!

======

وقف زياد في شرفة منزله يشعر بهم ثقيل....

جويرية لم تأته في موعدها...

وعندما هاتفها انقطع الاتصال ثم أغلق هاتفها نهائياً...

تري ماذا حدث؟!

هل اكتشف أحد من أهلها فعلتها؟!

أم أنها هي من اختارت إتمام زواجها من ابن عمها بإرادتها...؟!!!



فقط لو يمكنه الاطمئنان عليها...

لو يعرف طريقة للاتصال بها!!!

دخلت عليه صفية وهي تري حاله الهائم...

فسألته بتردد:

_ماذا حدث بينك وبين هذه الفتاة؟! لماذا لم تحضرها إلي هنا منذ يومين كما كنت تقول؟!

أطرق برأسه دون أن يرد...

مزاجه الحالي لا يسمح له بالمجادلة أو التقريع...

اقتربت منه لتربت علي كتفه هامسة بحنان:

_أنا لست ضد سعادتك يابني...لكنني أزن الأمور بالعقل الذي تتجاهله أنت في حساباتك...



الزواج ليس مجرد رجل وامرأة...الزواج تضافر عائلتين يمتزجان بنسبهما...

أخذ نفساً عميقاً وهو يرفع رأسه للسماء ثم قال بألم:

_لا داعي لكل هذا الكلام الآن...لقد انتهي الأمر.

عقدت حاجبيها في تساؤل فأشاح بوجهه وهو يهمس:

_دعيني وحدي يا أمي...أرجوكِ لا أريد التحدث عن الأمر.

سكتت علي مضض رغم الفضول الذي يحرقها لتعرف ماذا حدث بالضبط...

توجهت نحو باب الغرفة لتخرج...

ثم تذكرت شيئاً فالتفتت إليه لتقول بهدوء:

_ابنة عمك ستعود اليوم من لندن لتبقي معنا لبعض الوقت ....



ابتسم بضعف وهو يتذكر ابنة عمه التي لم يرها منذ عامين أو أكثر...

مارية ..

الغريبة الشقراء التي تبدو كدمي الأطفال في ملامحها...

والتي لا تعرف في اللغة العربية سوي بضع كلمات علي الأكثر...!!

تنفست صفية الصعداء عندما رأت ابتسامته التي خالطها الحنين...

كم تتمني لو يتعلق قلبه بمارية بدلاً من تلك الفتاة التي ستجلب لهم المشاكل...

ومن يدري؟!



ربما كان مجيؤها الآن في هذا التوقيت بالذات هدية من القدر ليعود ابنها لرشده ويصرف نظره عن تلك الزيجة البائسة....

قطعت أفكارها عندما سألها زياد بفضول:

_هل سيأتي عمي آدم معها؟!

هزت صفية رأسها نفياً وهي تقول بحيرة:

_لا...وهذا محير فعلاً...هذه هي المرة الأولي التي تأتينا فيها وحدها....

أومأ زياد برأسه في موافقة ثم عاد لشروده بخصوص جويرية التي لم يعد يعرف عنها شيئاً....

كم يخاف عليها بطش عائلتها...

ليته يعلم أنها وافقت علي الزواج من عمار البغيض بإرادتها ...



هذا أهون عليه من أن يكون مسها سوء بسبب فكرته الغبية التي طرحها عليها...

زفر بقوة وهو يشعر بتأنيب ضميره...

هو الذي حرضها علي هذه الفعلة ...

والآن تتحمل هي النتيجة وحدها!!!

أمسك هاتفه بعجز يحاول الاتصال بها دون جدوي...

فألقاه بعنف وهو يهتف بقلق:

_تري كيف أنتِ الآن يا جوري؟!!!!!

===

عقد حمزة حاجبيه بقلق وهو يتطلع لمكتبها الخالي منها لليوم السادس علي التوالي...



مارية تتباعد عنه منذ زمن بعيد...

وعندما يحاول التحدث إليها ترد عليه ببرود لطيف...

وكأنها تخبره أنه لم يعد يعني لها شيئاً...!!

ودكتور آدم كذلك صار يتجنب الحديث معه...

لن ينكر أنه خذله فيما طلبه منه يوماً...

لقد طلب منه ألا يؤذي مارية...

لكنه آذاها...

آذاها بأكثر مما توقع للأسف...!!!



هو يشعر أن برودها ومزاحها المبالغ فيه مع زملائها هنا ومع المرضي طيلة الأيام السابقة ليس أكثر من صدي لبرودة روحها المتألمة...

خروجها المتكرر مع آندي الذي لم تكن تفارقه تقريباً لم يكن يعني لديه سوي وسيلتها في الهروب من جرحه لها...

لقد آذاها رجل فذهبت لتتنساه مع رجل آخر!!!!

لكن ...ما باله يصور الأمر بهذا الغرور؟!

ألا يحتمل أن تكون مارية فعلاً لم تعد تهتم له....؟!!!

ألا يحتمل أنه لم يمثل لها أكثر من عالم غريب انبهرت بطقوسه ثم زهدتها؟!!

ألا يحتمل أن يكون آندي وعالمه الذي ألفته ونشأت عليه هو الشاطئ الذي رسا عليه قارب حيرتها في النهاية؟!!!



زفر بقوة وهو يشعر أنه لم يعد يحتمل...

مارية آدم صارت تحتل تفكيره كله...

لم يعد قادراً علي تحمل الأمر أكثر...

قطعت أفكاره عندما مر الدكتور آدم جواره ليلقي عليه تحية مقتضبة...

فلحقه حمزة بسرعة وهو يهتف:

_دكتور آدم...كنت أريد التحدث إليك...

نظر إليه دكتور آدم نظرة طويلة...

ثم قال بهدوء:

_تفضل معي في مكتبي...

دخل حمزة معه ليجلس قبالته علي كرسي المكتب...



ثم سأله بتردد:

_أين مارية؟! لم أرها منذ فترة...

شبك دكتور آدم أصابعه وهو يقول ببرود:

_مارية سافرت لعمها في مصر....

ارتد حمزة مصعوقاً علي ظهر كرسيه وهو يهمس:

_سافرت؟! لماذا؟!

تأمل دكتور آدم صدمته للحظات...

ثم قال بهدوء:

_مارية تصر منذ فترة علي دراسة اللغة العربية وحفظ القرآن...وتخطت شوطاً كبيراً في هذا الشأن...



لهذا لم أندهش كثيراً عندما طلبت مني السفر لمصر...مارية تريد حسم أمرها الذي طال ترددها فيه كثيراً...أخيراً ستتمكن من اختيار أحد العالمين اللذين يجذبانها بشدة...

عقد حمزة حاجبيه وهو يسأله:

_ماذا تعني دكتور آدم؟!

عاد دكتور آدم بظهره للوراء وهو ينقر بإصبعه علي مكتبه قائلاً:

_أنت أشرت لها علي الطريق لكنك خذلتها ورفضت المضي معها فيه...لكن مارية كانت الأقوي مما توقعت أنا...لقد قررت هي أن تختار علي اقتناع...وليس لمجرد الانبهار بشخص أو بعاطفة...لهذا شقت طريقها بنفسها دون تدخل من أحد حتي مني أنا...



ثم مال بجسده للأمام وهو يقول بتقرير؛

_سفرها لمصر في هذا التوقيت ليس له عندي سوي معني واحد...مارية تريد معايشة العالم الحقيقي الذي حُرمت العيش فيه بتفاصيله...تريد أن يكون اختيارها واثقاً حتي لا تعود فيه...

ازدرد حمزة ريقه ببطء وهو يقول بشرود:

_لكن ماذا لو لم تعجبها الحياة في مصر...ماذا لو خذلها هذا العالم كما خذلتها أنا؟!

تنهد دكتور آدم بحرارة وهو يقول:

_هذا ما أتمني ألا يحدث...



استأذنه حمزة في الانصراف وهو يشعر بغربته تزداد أكثر فأكثر....

مصر الحبيبة التي حُرم منها ومن أهله ...

الآن صار يحبها أكثر ويشتاقها أكثر...

وكيف لا؟!

وهي الآن منزل محبوبته الرائعة...

مارية التي فاجأته بقوة شخصيتها...

كما بهرته من قبل بطفولتها البريئة...!!!

مارية التي كانت تهون عليه غربته هنا...

والآن زاده فراقها مشقة!!!

مارية التي يدرك الآن أكثر من أي وقت...

أنه يحبها....بجنون!!!!

====



جلست علي سريرها شاردة...

لا تدري ماذا يحدث لها...

إنها تشعر أنها ليست هي...

تلفتت حولها في الغرفة تشعر بضياع رهيب...

لماذا لا تستطيع الكلام؟!!

ما الذي حدث لها؟!!!

وهل ستبقي هكذا طوال عمرها؟!!

تساؤلات كثيرة تملأ عقلها....

لكن أهمها ماذا سيحدث مع عمار؟!!

فريدة أخبرتها أن قاسم النجدي استدعاه لغرفته...

فماذا سيحدث بينهما....؟!



لن تلوم عمار لو دافع عن نفسه أمام جدها وأخبره بما كانت تنتويه من الهروب المشين...

ساعتها لن يتردد قاسم النجدي عن قتلها بنفسه...

لكن هل يفعلها عمار حقا؟!!!!

لا تظن...

عمار يبدو لها غريباً منذ علم عن خرسها هذا....

لن تنسي دموعه التي ملأت وجهه ساعتها...

ولا احتضانه الحاني لها...!!!

رغم ما فعله بها ليلة زفافهما لكنها الآن تشعر أنه كان معذوراً...



أي رجل مكانه يجد خطيبته تفر مع عشيقها ليلة زفافها كان سيظن بها السوء حتماً...

أغمضت عينيها في ألم وهي تشعر بالمهانة...

لقد كان القدر رحيما معها ففقدت وعيها اختياريا تلك الليلة...

لا تذكر أي تفاصيل...

حتي أنها تعجبت من هذه الكدمات علي جسدها...

لا تذكر أنه فعل بها شيئاً...

هل أصيبت بالجنون؟!

أم أن مرضها شديد الخطورة لدرجة أن أفقدها النطق والذاكرة؟!!!

قطعت فريدة أفكارها وهي تدخل عليها حاملة صينية الطعام...



فأشارت جويرية بإصبعها في نفي...

تنهدت فريدة في حسرة وهي تري ابنتها العروس في هذه الحالة المزرية...

تباً لك يا عمار!!

ماذا فعلت بها لتنتكس هكذا؟!!!

دخل عمار في هذه اللحظة لينظر لجويرية نظرة غريبة طويلة لم تفهمها...

ثم سأل فريدة بقلق:

_هل تناولت طعامها؟!

تحاملت فريدة علي نفسها لترد عليه باقتضاب قائلة:

_لا تريد.



تناول منها صينية الطعام برفق ثم قال بصوت قتله الإرهاق قتلاً:

_دعيني معها وحدنا يا عمتي...سأطعمها أنا...

نظرت إليه فريدة في ارتياب...

ثم نظرت لجويرية وكأنها تستأذنها...

فأطرقت جويرية برأسها...

غادرتهما فريدة مغلقة الباب خلفها وهي تدعو الله أن يصلح الأحوال....

تناول عمار الطبق ليجلس قبالتها علي السرير ...

نظر لعينيها طويلاً ثم تنهد تنهيدة حارة...



ود لو تحمل لها ولو ذرة من أسفه وندمه علي ما فعل بها!!!

تحركت شفتاها تريد أن تتكلم ....

لكنها لم تستطع...

فانقبض قلبه أكثر وهو يسألها بقلق:

_هل تريدين شيئاً يا جوري؟!

تلفتت حولها في عجز وهي لا تعرف كيف يمكنها سؤاله عما يدور بذهنها...

زفر بقوة وهو يخرج لها قلماً من جيبه ثم بسط لها كفه هامساً:

_اكتبي ما تريدين قوله...



نظرت إليه بتشتت ثم أمسكت كفه بتردد لتكتب عليه:

_ماذا حدث مع جدي؟!

ارتعش جسده كله وهو يشعر بها تمسك كفه والقلم يدغدغ باطنه برقة تشبهها....

فأخذ نفساً عميقاً ثم قرأ ما كتبته...

لينظر إليها قائلاً في شرود:

_خلاصك مني مرتبط بقدرتك علي الكلام...جدي عاقبني علي فعلتي بأمره لي أن أطلقكِ لكن ليس الآن خوفاً من كلام الناس...عندما تستردين عافيتك سننهي ما بيننا..ليس هذا فحسب لكنه سيقصيني عن بيت العائلة أيضاً...



نظرت إليه بصدمة...

قاسم النجدي عاقبه هو...!!

إذن هو لم يخبره عما كانت ستفعله....

عادت تمسك كفه لتكتب عليه:

_لماذا لم تخبره عما حدث مني...ما كان ليعاقبك لو علم عن خطيئتي...

قرأ ما كتبته ثم نظر لعينيها مباشرة وهو يقول في اقتضاب:

_أنتِ تعلمين ماذا كان سيفعل لو عرف...

أطرقت برأسها في خجل...

فرفع الطبق الذي يحمله في يده أمام وجهها وهو يقول بابتسامة مريرة حملت يأسه كله:



_كلي يا جوري...وتناولي دواءكِ...حتي تستردي عافيتكِ بسرعة...كلما تحسنتِ أسرع كلما قرب خلاصك من هذا السجن....

دمعت عيناها وهي تشعر بشعور غريب....

عمار ليس فظاً كما كانت تظن...

رغم كل ما فعله بها لكنه تستر عليها وتحمل العقاب وحده حتي لا يمسها هي سوء...

والآن يريدها أن تتعافي لتتركه رغم أنها تشعر أنه سيتألم لو رحلت...

هل تغير هكذا فجأة؟!

أم أنها هي التي كانت تسجنه في فكرة وضعتها هي في رأسها وأبت أن تصدق إلا هي!!!

كلهم كانوا يخبرونها أنه يحبها...



لكنها كانت تكذبهم بيقين...

والآن تشعر أنها كانت غافلة...

عمار هذا الذي يطعمها ويحنو عليها لا يمت بصلة لعمار البغيض الذي طالما كرهت مجرد النظر إليه...!!!

ملأ لها الملعقة بالطعام وهو يتصنع المرح ليقول:

_عندما كنتِ صغيرة ...كنت أخبركِ أن فمك الصغير لن يحتمل الملعقة كلها...فكنتِ تلتهمين طعامك عن آخره لتثبتي لي أنني مخطئ...هل سأضطر لفعل ذلك الآن؟!

ابتسمت وهي تتذكر ما يحكي عنه...

ثم فتحت فمها ببطء...



ابتسم لابتسامتها وهو يدخل الملعقة برفق في فمها.....ثم قال بشرود:

_لا تحملي هماً يا جوري...قريباً تستعيدين عافيتك وتتخلصين من عمار البغيض الذي حوّل حياتك إلي كابوس...سأثأر لكِ من نفسي...أعدكِ أن أفعل...

===

رآها تتسحب خلسة لتصعد إلي السطح فصعد خلفها بخفة...

اختبأ خلف الباب ليراها تجلس علي الأرجوحة تبكي بحرقة...

هاقد نزلت دموعها التي حبستها طويلاً حتي لا تزيد لوعة فريدة الغالية التي يكفيها بحق ما هي فيه...

خاصة عذابها الجديد بجوري...

زاد انهمار دموعها وهي تتذكر،حال جوري البائسة...



من يصدق أن العروس الفاتنة تتحول لهذه الهيئة بعد يومين فقط من زواجها...؟!!

دخل بخطوات بطيئة ليجلس جوارها علي الأرجوحة فانتفضت واقفة بعنف وهي تهتف وسط دموعها:

_ما الذي تفعله هنا؟! كف عن ملاحقتي....

وقف قبالتها وهو يقول بإشفاق:

_أنا آسف لأجل جوري ...

ابتسمت في سخرية وهي تهتف بين دموعها:

_آسف؟! لماذا؟! أنت صورة من أخيك عمار...أنتم أولاد النجدي لعنتنا كلنا...ياسين دمر آسيا وعمار فعلها مع جوري وأنت وأنا سنكون خاتمة هذه الحكاية المريعة....



اقترب منها أكثر وهو يشعر بكلماتها تكويه...

ضمها إليه فظلت تضربه بقبضتيها علي صدره وهي تصرخ بجنون:

_أنا أكرهك...أكرهكم كلكم!!!

ظل واقفاً يحاول ضمها إليه محتملاً ضرباتها في صبر حتي تخاذل كفاها فسقط رأسها علي كتفه وهي تهمس في انهيار:

_أكرهك...

اعتصرها بين ذراعيه وهو يربت علي ظهرها بصمت...

لا يجد ما يقوله لها...

كل ما ذكرته صحيح...للأسف!!!



وكأن القدر يسخر من قاسم النجدي الذي أراد تزويج حفيداته من أولاد عمومتهن حتي يحافظوا عليهن فكانوا عليهن وبالاً وخيبة!!!

ظلت تتنهنه علي كتفه لحظات طويلة لا تدري عددها ...

بينما كان هو صامتاً يحتويها دون كلمات...

تارة يربت علي رأسها...

وتارة يربت علي ظهرها...

لكنه لا يستطيع الكلام...

كل كلماته جفت علي شفتيه...

حذيفة النجدي الذي طالما أوقع الفتيات في حبائله بكلماته المعسولة....

يقف الآن أمامها عاجزاً عن النطق بأي كلمة...!!!!



استشعر أن بكاءها قد هدأ نوعاً فابتعد عنها قليلاً...

ليرفع ذقنها إليه متطلعاً لعينيها اللتين تكتبان سطوراً من العتاب والألم!!!

أغمض عينيه لحظة ثم فتحهما ليغرق من جديد في بحور عينيها الهائجة.....

ثم همس بصدق:

_لا أريد أن أكون لعنتك يا ساري...أريد أن أسعدكِ حقاً كما تستحقين.

هربت بعينيها من عينيه وهي تهمس في ألم:

_أنا أفهمك أكثر من نفسك يا حذيفة...لن تتغير...من تعوّد علي الأخذ لن يتمكن من العطاء...وأنت تلوثت بذنوب عالمك الأسود الذي لن تتخلي عنه...

ازدرد ريقه ببطء وهو يهمس :



_ربما لن أستطيع وحدي...لكنك ستكونين معي...تسندينني كي لا أقع علي ظهري من جديد...

نظرت إليه بحسرة وهي تهمس:

_ومن يسندني أنا يا حذيفة لو وقعت؟!

ضمها لصدره بقوة وهو،يهمس بألم:

_هل أنا ضعيف في نظرك إلي هذا الحد؟!

رفعت رأسها إليه وهي تهمس في أسي:

_لست ضعيفاً لكنك ....لست لي!

هزها بقوة وهو يهتف بحدة:

_من قال لكِ هذا؟! أنا أحبك ..



تجمد كلاهما مكانه عندما قالها!!!!

هو الذي كانت صدمته أكبر وهو لا يدري كيف نطقها...!!

حذيفة النجدي مع كل مغامراته العاطفية لم يقلها لامرأة في حياته...!!

فكيف خانه لسانه لينطق بها هكذا دون وعي!!!!

أتراه يحبها حقاً؟!!!

وكيف لا يفعل؟!!!

وهي مزيج كامل من كل محاسن النساء؟!!

حنانها ...قوتها...كبرياؤها...عاطفتها...إحساسها بغيرها...

ساري هي المرأة التي عاش يسعي إليها غافلاً عنها وهي أمام عينيه!!!



وأمامه كانت هي تنظر إليه بذهول..

كاذب؟!!

لا...إنه لا يكذب...

هو مصدوم مثلها...

وكأنه قالها دون وعي...

لكن...ما الذي يعنيه اعترافه هذا؟!!

حتي لو أحبها...

هي لم تعد تحبه...!!!!

لن تنسي له فعلته الحقيرة وإجباره لها علي الموافقة علي الزواج منه...

وحتي لو فعلت...

كيف تشعر بالأمان معه؟!!!



وهو حذيفة الذي لا يعنيه شئ سوي نفسه وملذاته!!!!

أفاقت من ذهولها لتحرر نفسها من ذراعيه هامسة في إعياء واضح:

_دعني يا حذيفة...لم تعد لدي طاقة لمجادلتك...

اقترب بوجهه من وجهها وهو يهمس برجاء:

_قولي فقط أنك تصدقين أنني أحبك...

نظرت لعينيه الصادقتين نظرة طويلة...

حملتها كل عتبها وألمها ...

لكنها اصطدمت لأول مرة بفيوض من العاطفة في مقلتيه...

من سواها يمكنه تمييزها وهي التي طالما عانت من جليد نظراته وصقيع مشاعره؟!!!



لكنها مع كل هذا لازالت لا تشعر بالأمان...

لازال طريقه معها طويلاً!!!

أحست بالتشتت والضياع...

لكنها همست في النهاية وهي تتنهد في حرارة:

_أصدقك.

ابتسم بسعادة في هذه اللحظة واقترب من وجهها أكثر يغمره كله بقبلات خفيفة سريعة كالفراشات...

فبدا كطفل هانئ في ليلة عيد...!!!!

ابتسمت رغماً عنها مبتعدة عن طوفان قبلاته المجنون مثله...

ثم أعطته ظهرها لتعود لشقتها...

فأمسك ذراعها وهو يواجهها بعينيه ليهمس بصدق:



_يكفيني منكِ هذا الآن فقط...وأعدكِ أن أكمل الطريق حتي يعود قلبك يخفق بحبي كالسابق....

====

_حمداً لله علي سلامتك يابنتي.

هتفت بها صفية بالانجليزية وهي تحتضن مارية التي احتضنتها بدورها وهي تقول بالعربية:

_سلمكِ الله يا عمتي.

ارتفع حاجبا صفية في دهشة فضحك رياض وهو يقول بمرح:

_أنا تعجبت مثلك عندما استقبلتني في المطار لتفاجئني بحديثها بالعربية مثلنا...

ابتسمت مارية وهي تقول في شرود:



_بعض الحروف لازالت صعبة علي لساني...حرف الحاء أتعبني كثيراً ولا أزال لا أجيد نطقه...رغم أني تعلمت العربية خصيصاً لأجله...

ضحك رياض وهو يسألها في مرح:

_ولماذا حرف الحاء بالذات؟!

التفتت إليه من شرودها وهي تقول بشجن:

_حرف مميز...حاء حنان....حاء حب...حاء حنين...

ليكمل قلبها عبارتها بدقاته الملتهبة دون صوت...

حاء حمزة...!!!

أغمضت عينيها بقوة وهي تقاوم صورته التي احتلت تفكيرها كله...

كم اشتاقت إليه...!!!!



قطع رياض شرودها وهو يقول بحنان:

_ستجيدينه يابنتي كما أجدتِ بقية الحروف...فقط امكثي معنا لبعض الوقت ...لقد اشتقنا إليك....

خرجت عاصفة متحركة من الغرفة المجاورة...

عاصفة في صورة فتاة مراهقة اندفعت نحو مارية تحتضنها وهي تهتف بالانجليزية في صخب:

_مارية الحبيبة....افتقدتكِ يا شقراء!!!!

احتضنتها مارية بقوة وهي تشعر بترحيبها الصادق لتقول بالعربية:

_وأنا أيضاً يا مروة.



قهقهت مروة بشقاوة لذيذة وهي تقول بمرح:

_لقد تعلمتِ العربية اذن...حسناً...اصبري معنا قليلاً وسأعلمك كل الأغاني الشعبية التي أحفظها...سأجعلك "بنت بلد" علي حق!

ضحك الجميع في مرح عندما خرج زياد من غرفته ليتقدم نحوها قائلاً في مودة:

_كيف حالك يا مارية...

ابتسمت وهي تقول بحنين:

_زياد العزيز...افتقدتك يا زميل الطب...كيف حال عملك هنا؟!

ردت صفية في فخر:

_هو علي وشك السفر في بعثة لأميريكا...

رفعت مارية حاجبيها ثم قالت بحنان:



_تستحق الخير كله يا زياد...متي سيمكنك العودة؟!

هز زياد رأسه وهو يقول في شرود:

_لا أدري متي سيمكنني العودة لكنني سأحرص علي العودة في أقرب وقت.

قالها وهو يعنيها حقاً...

لم يبق الكثير علي سفره الذي لن يستطيع تأجيله للأسف...

لكنه سيعود في أقرب فرصة ليطمئن علي جويرية...

هو يريد فقط أن يعلم أنها بخير...

حتي لو كانت تزوجت عمار هذا...

لكن كفاه يطمئن عليها!!!



وردت فكرة مجنونة بخاطره فنظر لمارية بتفحص...

لتختمر الفكرة في رأسه...

نعم...مارية هي الوحيدة التي تصلح لهذه المهمة...

فقط لو تتفهمه ولا تخذله!!!

نعم...هو يثق أنها ستفعل!!

====

وقفت مستندة علي سور الشرفة في منزل عمها...

شرفة المنزل تطل علي النيل الساحر وقت الغروب...

رغم أنها رأت الكثير من المناظر الطبيعية الخلابة في انجلترا...

لكن تبقي صورة النيل وقت الغروب بأشرعة المراكب السائرة فيه لها عبق أصيل في نفسها...!!!



أخذت نفساً عميقاً وهي تتذكره...

حمزة...

ابتسمت في شوق جارف وهي تري صورته مرسومة بعين خيالها علي صفحة الماء...

رغم أنه خذلها ورفض حبها ...

لكن قلبها لم يطاوعها في نسيانه...

علي العكس...

كلما اقتربت أكثر من عالم والدها العربي...

من ثقافة دينها الإسلامية...

شعرت أنها تحترمه أكثر وتقدره أكثر...!!!

لقد جاءت لمصر خصيصاً لتعايش هذا العالم بصدق...



لقد ملت هذا التشتت الذي عاشته طوال سنواتها السابقة...

غربتها الدائمة بين عالمين لم تشعر بالانتماء الكامل -بعد-لأحدهما...

لكنها ستقطع علي نفسها طريق حيرتها هذه قريباً...

قريباً جداً ستختار أن تكون مارية من مصر...

أو ماري من لندن!!!

قطع زياد أفكارها وهو يدخل إليها ليقول برفق:

_كيف حالكِ يا مارية؟

ابتسمت في سعادة وهي تتطلع لمنظر الغروب الساحر لتقول بهيام:

_سعيدة جداً معكم يا زياد...

ابتسم في حنان وهو يقول:

_اللهم دوماً!



ضحكت في مرح...

عندما راودتها ذكري قديمة فقالت له بتردد:

_زياد...كنت أريد منك شيئاً....

ضحك في انطلاق وهو يقول بمرح:

_يا محاسن الصدف...أنا أيضاً كنت أريد منكِ خدمة.

صافحته بحرارة وهي تقول بحماس:

_حسناً....واحدة بواحدة...

ضحك وهو يتأملها في إعجاب قائلاً:

_لم تتغيري يا مارية...نفس الطفلة المرحة في انطلاق....

تنهدت في حرارة ومسحة حزن تكسو صوتها لتقول بشرود:



_بل تغيرت...تغيرت كثيراً....

ثم أردفت بمرح لتغير الموضوع:

_قل لي ماذا تريد مني؟!

لوح بسبابته وهو يقول بالانجليزية بحزم يخالطه المرح:

_النساء أولاً....ألا تقولون ذلك في لندن؟!

ابتسمت لتقول في استسلام يخالطه الخجل:

_حسناً...كنت أريد ...."عروس المولد"!!!!!!!

ارتفع حاجباه في دهشة وهو يسألها:

_تلك الدمية البلاستيكية ؟!

هزت رأسها نفياً وهي تقول بشرود:



_لا...ذاك التمثال الذي يؤكل!

ضحك بشدة وهو يقول بتعجب:

_من أين عرفته أيتها الانجليزية؟! لقد أوشك علي الانقراض هنا...لم أعد أراه كثيراً....

مطت شفتيها في استياء فقال باشتياق:

_لكن هل تعلمين....أنا أيضاً اشتقت ل"حصان المولد" الذي كان يحضره لي أبي وأنا صغير...كانت أياماً جميلة...حسناً...سأقلب الدنيا حتي أجد لكِ ما تريدين...رغم أننا في شهر شعبان وهذه الأشياء ترتبط بمواسم معينة....

ابتسمت في سعادة وهي تقول:

_أنا سعيدة لأنني سأقضي شهر رمضان معكم هنا....سيكون مميزاً بالتأكيد!!!



أومأ برأسه إيجاباً فسألته بحنان:

_هيا ...لقد جاء دورك...ماذا تريد مني؟!

تنهد في حرارة ...

ثم حكي لها باقتضاب عن حكايته مع جويرية...

ارتفع حاجباها في تأثر عندما انتهي لتقول بحزن:

_يا إلهي...لا أصدق أن الفتيات هنا يتعرضن لهذا الظلم....

هز رأسه نفياً وهو يقول:

_ليس كل الفتيات ...لكن جويرية لها ظروف خاصة....

سألته باهتمام:

_ماذا تريد مني؟! سأفعل كل ما تطلبه ....



ابتسم في حنان وهو،يقول:

_لم تخيبي ظني في حنانك يا مارية...

ثم أردف بتردد:

_أريدك أن تزوريها في منزلها زاعمة أنكِ صديقتها لتعرفي أخبارها...أنا أخشي أن يكون أحد قد اكتشف خطتنا وآذاها....

أومأت برأسها إيجاباً وهي تقول بهدوء:

_حسناً...أعطني العنوان...وسأذهب إليها...

تنحنح في حرج وهو يقول ببطء:

_فقط قبل أن تذهبي لابد أن تغيري "قليلاً" من شكللك....

أمالت رأسها في تساؤل فقال موضحا:

_أنتِ تبدين أجنبية بملامحك وشعرك المكشوف وطريقة ثيابك...



يمكنكِ ارتداء حجاباً وملابس مناسبة من مروة شقيقتي...حتي يكون مظهركِ أكثر إقناعاً....

ارتفع حاجباها في مرح وهي تصفق بكفها كالأطفال لتقول بالانجليزية بمرح:

_مارية آدم سترتدي حجاباً...واااااو....هذا مثير!!!!

لوح بسبابته هاتفاً:

_ها قد عدتِ للانجليزية...إياكِ أن تخطئي وتستخدمينها هناك...ستفضحين الخطة كلها....

ضحكت في مرح وهي تغمز بعينها هاتفة:

_لا تخش شيئاً...سأؤدي المهمة بالنجاح....

ضحك بدوره وهو يراقبها بشرود....



ليتها حقاً تأتي له بأخبار سارة عنها...

لو علم أنها تزوجت فسيبتعد عنها تماماً ويتمنى لها السعادة....

إنه فقط يريد أن يغلق هذا الباب قبل سفره...

ويتخلص من قلقه وشعوره بالذنب نحو هذا الملاك الذي لا يستحق الظلم الواقع عليه.....

====

جلس بدر في صالة منزله مسنداً رأسه علي ظهر مقعده في شرود...

كم مر علي وفاة سمية؟!

أسبوع؟!

أسبوعان؟!

شهر؟!

شهران؟!



ما جدوي حساب الزمن بعدها؟!!

كل الأيام بعد سمية متشابهات...!!!!

دمعت عيناه رغماً عنه وهو يتذكر وداعها الأخيرله....

أخذ نفساً عميقاً وهو يفكر...

لقد رحلت سمية...

وأخذت عمره كله معها...

لم تترك له سوي حطام جسد وقلب تبكيها دقاته كل ساعة!!!

دخل عليه العم كساب ليهز رأسه في يأس...

بدر سيقتل نفسه لو ظل علي هذا الحال!!



جلس جواره وهو يقول بحنان:

_هون عليك يابني...علي الأقل من أجل ياسين...والذي لولا آسيا الغالية التي لا تتركه لحظة لصارت حالته أكثر سوءاً منك...

هز بدر رأسه في موافقة...

فقال العم كساب برفق:

_أنت أهملت العمل في المزرعة...العاملون هنا صاروا يتكاسلون عن أعمالهم طالما لا توجد عليهم رقابة...وأنا صحتي لم تعد تسمح لي بالكثير من المجهود...

أومأ بدر برأسه إيجاباً وهو يقول بحزن:

_معك حق يا عمي...أنا أحتاج لأن أقتل نفسي في العمل...ربما يهدأ فوران عقلي هذا....



ربت العم كساب علي ركبته وهو يقول بحزم:

_ابدأ اذن من الآن...الطبيب البيطري الجديد يريد مقابلتك بشأن شئ ما يخص الخيل...

هز بدر رأسه في موافقة...

فخرج العم كساب لدقائق ...

ثم عاد ومعه الطبيب الجديد الذي تقدم ليصافح بدر قائلاً بتهذيب:

_مصطفي الشيمي...الطبيب البيطري الجديد...

قام بدر ليصافحه بقوة وهو يقول بهدوء:

_تشرفنا يا دكتور مصطفي...ماذا لديك بخصوص الخيل...؟!!



عدل مصطفي نظارته علي أنفه ثم اندفع يحكي له عن كل المشاكل التي تواجهه هنا...

استمع إليه بدر في اهتمام واضح ليركز معه تدريجياً...

عندما لاحظ تجمد نظرات مصطفي فجأة علي شئ ما خلف ظهر بدر....

التفت بدر خلفه بتلقائية ليري ما لفت نظر مصطفي إلي هذه الدرجة...

فوجدها هي...

نعم...آسيا الفاتنة!!!

زفر بضيق لم يدرِ سببه ...

هذه الفتاة تجذب الأنظار أينما حلت!!!



قال لها باقتضاب:

_هل تريدين شيئاً يا آسيا؟!

ابتسمت آسيا لتزداد ملامحها إشراقاً ثم نظرت لمصطفي بتردد وقالت بارتباك:

_سأمر عليك في وقت لاحق...

قام مصطفي من مكانه وهو لا يكاد يرفع عينيه من عليها ليقول لها برفق:

_تفضلي يا آنستي...أنا تقريباً أنهيت ما جئت من أجله....

ابتسمت له آسيا ببراءة...

فانصرف مودعاً لهما بعدما رمقها بنظرة متفحصة أخيرة....



لاحظ بدر نظراته المعجبة لها فسألها بتفحص:

_هل هي أول مرة ترين فيها دكتور مصطفي؟!

هزت رأسها وهي تقول ببراءة:

_هل يُدعي دكتور مصطفي؟!نعم إنها أول مرة أراه فيها....

هز رأسه بلا معني فسألته بحنان:

_كيف حالك سيد بدر؟!

ابتسم بشحوب وهو يقول :

_بخير ...الحمد لله...

عادت تقول بحنانها الطاغي:

_يجب أن تتماسك أكثر لأجل ياسين...ياسين يشعر بالاكتئاب وهو يراك بهذه الحالة خاصة بعد....



قطعت عبارتها بوجل وهي تخشي تأثيرها عليه...

فنظر إليها طويلاً ليقول بامتنان:

_لست أدري ماذا كنت سأفعل دونك يا آسيا؟! أنتِ ملاك حقيقي...لقد اهتممتِ بياسين طوال الفترة السابقة حق الاهتمام....كيف أشكركِ؟!

قالت بصدق مس قلبه:

_أنتم عائلتي يا سيد بدر...أنت أخي وياسين ابني...

هز رأسه في امتنان ...

فقالت في تردد:

_هل يمكنني أن أطلب منك شيئاً سيد بدر؟!

قال بصوته الذي ما عاد الحزن يفارقه تقريباً:

_ادعيني بدر فقط يا آسيا...ألم تقولي أنني سأخيكِ...

ابتسمت في خجل وهي تقول:



_حسناً ...ياسين يريد التنزه قليلاً...كنت أقترح لو نذهب به للملاهي التي في المدينة...

لاحظ أنها تهربت بخجل من ذكر اسمه مجرداً...

فابتسم في حنان...

رائعة هذه الفتاة ...

كم يتمني لها الخير الذي تستحقه...

تأملها بشرود وهو يتذكر وصية سمية الأخيرة...

وصيتها الوحيدة كانت آسيا!!!

لماذا أحبتها لهذه الدرجة؟!

ألأنها تشبهها قديماً عندما هربت من عالمها لتكون هنا معه؟!!



أم لشعورها الصادق بحبها لياسين الصغير الذي تعلق بها هو الآخر حد الجنون؟!!

أم لعلمها بظروفها الخاصة التي دفعتها للهرب والتي رفضت مصارحته بها ....

حتي في تلك الليلة التي عادت فيها آسيا معه من المدينة منهارة وهو لا يدري إلي الآن سبب انهيارها آنذاك...

لاحظت آسيا شروده فقالت بحنان:

_أنا أقدر شعورك ...لكن ياسين لا ذنب له...

انتبه لها من شروده فقال بلين:

_حسناً يا آسيا....دعينا نذهب به الليلة إلي الملاهي...



وبالفعل لم تنتهِ الليلة حتي ذهبا معاً بياسين الصغير إلي الملاهي ...

كان بدر يراقبه بشرود ...

يتذكر عندما اصطحبتهما سمية هنا...

تناول هاتفه من جيبه ليستخرج صورها معهما...

دمعت عيناه وهو يأخذ نفساً عميقاً....

كم افتقدها تلك الغالية!!!

لو كان العمر يُشترَي لاشتري عمرها بكل ما يملك!!!!

راقبت آسيا شروده بتفهم وحنان...

لقد عايشت جرحه هذا من قبل...

كم هو قاسٍ فراق الحبيب!!!



كم يذكرها حزنه علي سمية بحرقة قلبها علي ياسين...

جرحهما تقريباً واحد...!!!

التفت إليها من شروده ليلمح نظراتها المتفهمة...

التقت عيناهما في حديث طويل...

ممزوج بشعور خاص...

لا...ليس حباً...

لكنه شعور متبادل...

إعجاب وتفهم وامتنان...

كل منهما يري في صاحبه طوق نجاة أهداه له القدر...

لكنه يخاف التعلق به أكثر!!!!



قطع ياسين الصغير حوار عينيهما العجيب هذا عندما اندفع نحوهما ليقول بمرح طفولي:

_شكراً يا آسيا...شكراً يا أبي...أنا سعيد جداً....

ربت بدر علي رأسه وهو يقول بحنان:

_هل اكتفيت من اللعب؟! يمكننا العودة الآن؟!

أومأ الصغير برأسه إيجاباً...

فحمله بدر علي كتفه وهو يقبله في حنان...

عادا بعدها إلي المزرعة ليودعها بدر عند باب غرفتها الخارجية قائلاً بامتنان:

_شكراً يا آسيا...شكراً علي كل شئ!!!

ابتسمت له برقة وهي تفتح باب غرفتها ثم تغلقه في رفق خلفها...



ظل واقفاً مكانه للحظات خلف باب غرفتها المغلق...

ثم توجه بخطي بطيئة لمنزله...

غافلاً عن عيني مصطفي اللتين كانتا تراقبانهما منذ وصلا إلي المزرعة.....



الفصل الثالث عشر

جلست جويرية علي سريرها تفكر في شرود...

وجوارها كانت فريدة الصابرة ترقيها بخشوع....

ما هذا الذي أوشكت علي فعله؟!!!

هل كانت حقاً علي وشك الهروب مع زياد؟!!!

أخيراً تنبه عقلها لفداحة ما كادت تقدم عليه!!!

كانت ستكون فضيحة لو لم يتمكن عمار من منعها!!!!

كما أن جدها كان سيتمكن من منعها من السفر لو استعان بنفوذ عاصم الهاشمي...

ولو كان هذا حدث لكانت الآن في عداد الأموات...



حانت منها التفاتة لفريدة التي كانت تتمتم في خشوع...

فشعرت بوخز ضميرها...

فريدة العزيزة لم تكن لتحتمل صدمة كهذه!!!

رن جرس الباب فارتجفت بذعر...

رغم أن عمار يعاملها بلطف شديد هذه الأيام...

لكنها لا تستطيع منع ارتجافة جسدها عندما تشعر باقتراب مجيئه...

صحيح أنها لم تعد تخاف منه كالسابق...

لكن شيئاً ما يبقي!!!

قامت فريدة من جوارها لتفتح الباب....

غابت لبضع دقائق...



ثم فوجئت جويرية بهذه الشقراء الغريبة تدخل لتقول بلهجة غريبة:

_مرحباً يا جوري...

نظرت إليها جويرية بدهشة فغمزتها مارية وهي تشير لها لكتاب "الحب من أول نظرة" الذي تحمله إشارة ذات مغزي...

فابتسمت جويرية وهي تومئ برأسها إيجاباً....

قالت فريدة بطيبتها الفطرية:

_ابقي معها قليلاً يابنتي حتي أعد لها الطعام...فهي لم تأكل منذ الصباح...



غادرتهما فريدة بسرعة فقالت لها مارية بحنان:

_أنا أخبرت والدتك أنني صديقتك وكنت أتردد عليكِ أيام كنتِ تفتحين المكتبة...وأخبرتني آسفة عما حدث لكِ...أتمني لك الشفاء العاجل يا جوري...

ثم تلفتت حولها بحذر لتهمس بتحفظ:

_لاريب أنكِ استنتجتِ أن زياد هو من أرسلني ليطمئن عليك....

نزعت جويرية ورقة من الكتاب ثم تناولت قلماً بجوارها لتكتب:

_لا تخبريه عن حالتي أرجوكِ...دعيه ينسي ما كان بيننا...أنا الآن امرأة متزوجة...



أعطت الورقة لمارية التي قرأتها بسرعة ثم أومأت برأسها في تفهم....

مزقت جويرية الورقة إلي قطع صغيرة جداً من باب الاحتياط ثم ألقتها جوارها في سلة المهملات الصغيرة...

فربتت مارية علي كفها وهي تقول بحنان:

_أنا أحببتكِ حقاً يا جوري...أنا مارية ابنة عم زياد وطبيبة مثله...هل يمكنني متابعة حالتك مع طبيبك حتي أطمئن عليكِ...

ابتسمت لها جويرية وهي تومئ برأسها إيجاباً ثم كتبت لها من جديد:

_لكن لا تخبريه أي شئ....



ربتت مارية علي كفها من جديد وهي تقول:

_لا تقلقي يا جوري...سأخبره أنك راضية بزواجك ...هل يناسبكِ هذا؟!

أومأت جويرية برأسها إيجاباً...

فقامت مارية لتقول بلطف:

_لن أطيل بقائي هنا كي لا أزعجكِ...لكن هل تسمحين لي باسم طبيبك المتابع لأتعاون معه في علاجك...

تناولت جويرية الورقة بتردد...

وهي تفكر..

هل من الصواب أن تثق في هذه الفتاة؟!!

هي تعرف مارية من كلام زياد السابق عنها...



فهو أخبرها سابقاً عن أفراد عائلته كلها...

لكنها تريد أن تغلق الباب مع زياد للأبد...

لا تريد أن يبقي بينهما أي اتصال...

لاحظت مارية ترددها وفهمت ما يدور بخلدها فقالت بهدوء:

_ما تفكرين به هو الصواب يا جوري...

نظرت إليها جويرية بتساؤل فأردفت مارية بتعقل:

_إذا كنتِ تريدين حقاً غلق هذا الباب فأغلقيه للأبد...

نظرت إليها جويرية في إحراج فقالت مارية بابتسامة:



_لا بأس يا جوري...أنا أقدر موقفك...لن أزعجكِ ثانية...

قالتها مارية ثم صافحتها بمودة...

لتغادر المنزل بهدوء...

بعدما أدت مهمتها كما يجب...

لقد أغلقت جويرية بابها مع زياد...

ورغم ما تعانيه حالياً من فقدها القدرة علي الكلام...

لكنها تثق أنها حالة مؤقتة...

للأسف...هناك قصص حب لا يكتب لها النجاح...

كقصة زياد وجويرية...

وكقصتها مع حمزة النجدي !!!!



عادت مارية لمنزل عمها فاستقبلها زياد بلهفة...

تأملته بإشفاق للحظات...

ثم قالت بحسم:

_لقد تزوجت يا زياد...

ظهرت الصدمة علي وجهه للحظات...

ثم سألها بألم:

_هل هي بخير؟!

تمالكت نفسها لتكذب قائلة:

_نعم...

هز رأسه بلا معني ...

ثم قال لها بشرود:

_شكراً يا مارية...لقد أتعبتك معي...



تركها بخطوات بطيئة ليتوجه لغرفته مغلقاً إياها خلفه...

فنظرت نحو غرفته بإشفاق...

ورغماً عنها تذكرت حمزة ...

فابتسمت في حنين...

طافت بذاكرتها كل أيامها معه...

حتي ذلك اليوم الذي اعترفت له بحبها فخذلها...

انقبض قلبها عندما تذكرت ألمها يومها...

فعادت تنظر لغرفة زياد في يأس..

إنها تقدر ألمه ولوعته ...

دخلت غرفتها التي تتشارك فيها مع مروة لتتطلع لصورتها بالحجاب...



ذاك الذي اضطرت لارتدائه حتي لا ينكشف أمرها مع جويرية...

لا تنكر أنه جعلها تشعر بالحر أكثر...

لكنها شعرت براحة أخري وهي ترتديه...

شعرت به خطوة تقربها اكثر من عالمها هنا...

ظلت تنظر لنفسها لحظات ...

ثم أخذت قراراً حاسماً...

لن تخلعه بعد!!!

====

سمعت صوت مفتاحه في الباب الخارجي للشقة فتدثرت بغطائها متظاهرة بالنوم...

ابتسمت بخجل وهي تتذكر حيلتها الجديدة التي تمارسها عليه...



عمار الغليظ الخشن الذي يعرفه الناس جميعاً اتضح أنه يملك قلباً رقيقاً كالطير...

وصوتاً أعذب من هديل الحمام في همسه الصادق!!!

بدأت حيلتها هذه صدفة عندما سمعته ذات ليلة بين يقظتها ومنامها يناجيها بكلام لم تتخيل سماعه منه يوماً...

لم يكن يظنها تسمعه!!

ومن يومها وهي تتظاهر بالنوم عندما يجئ من عمله عصراً لتسمع ما سيناجيها به وهو يتصورها نائمة!!!

كلمات لم تتخيل روعتها ولا صدقها...!!!

أجمل بكثير من تلك التي كانت تقرؤها في الكتب...

أين كنت تخفي فيض حبك هذا يا عمار...؟!!



وكيف استطعت طمسه بقناع غلظتك المدّعاة؟!!!

ولماذا لا تسمعني إياها إلا وأنت تظنني نائمة لا أسمعك؟!!

فتح باب الغرفة بهدوء ليجدها نائمة كعادتها في هذا الوقت...

ابتسم في حنان وهو يقترب منها ليتمدد جوارها علي السرير...

أشرف بجسده علي وجهها الملائكي النائم في سكينة...

ليجد نفسه يقترب من شفتيها دون وعي...

حتي كاد يلامسها...

لتصفعه فجأة ذكري ليلة زفافهما البغيضة علي نفسه عندما كان يمسح بمنديله أثر الدم النازف من جرح شفتيها...!!!



تراجع عنها فجأة وهو يغمض عينيه في ألم...

يخاف أن يؤذيها من جديد...

لم يعد يأتمن نفسه عليها!!!

زفر بخفوت...

ثم عاد ينظر إليها طويلاً ...

أمسك كفها وهو يهمس في أذنيها بكلام يثق أنها لن تسمعه:

_سامحيني يا جوريتي...لكنني أنا لن أسامح نفسي أبداً علي ما فعلته بكِ...أنتِ التي لم أعشق يوماً سواها...أنتِ التي أخاف عليها حتي مني أنا....أنتِ التي كبرت بقلبي منذ الصغر ساعة بساعة فاختلط حبها بدمي...أنتِ التي أدرك أنها لن تكون لي لكنني أنا ...أنا كلي لكِ...



كادت تذوب هذه المرة وهي تسمع كلماته بهذه الحرارة...

هل كان يجب أن تمر هي بكل هذا العذاب والألم حتي تتنعم في النهاية بهذه الجنة من مشاعره الخالصة...؟!!!

العجيب أنها في هذه اللحظة بالذات كادت تقسم أنها لم تحب زياد...

لم تعد حتي تتذكره...

كلما حاولت استدعاء صورته لذهنها كانت صورة عمار تشوش عليها حتي تحل محلها بثقة...

كيف تبدل حالها هكذا في أيام؟!!!

هل هو مرضها الذي يجعلها تهذي هكذا؟!!!

أم هل أصيبت بالجنون؟!!!



كيف يمكن أن تتحول مشاعرها نحو عمار هكذا في هذه الفترة القصيرة...؟!!

صحيح أنه أذاقها من حنانه في هذه الأيام ما لا يوصف...

لكن هل يعني هذا أنها سامحته علي ما فعله بها؟!

هل يعني هذا أن تشعر نحوه بهذا التعاطف العجيب؟!

شردت وهي تتذكر كيف يمد لها كفه كل مرة تريد فيها التعبير عن شئ لتكتب عليه...

وعندما كتبت له ذات مرة أن يحضر لها ورقاً بدلاً من هذا....

أخبرها بحنان أنه يحب أن تكتب علي كفه !!!



لم يخبرها-بالطبع- أنه يحب دغدغة القلم لباطن كفه برقة تشبهها...

لم يخبرها أنه يحب الاحتفاظ بكلماتها علي جلده...

لم يخبرها أنه يود لو لا يمسحها لتبقي تذكره بها وهو بعيد عنها...

لم يخبرها....وكيف يخبرها وهو عمار الغليظ خشن الطباع الذي لا يجيد التعبير أمامها ؟!!!

هي أيضاً لم تخبره أنها صارت تحب هذا مثله...

عندما يبسط لها راحة يده...

فتبدو خطوطها لها كخيوط من نور تحتضن عجزها برفق حليم...

عندما تمسك كفه بتملك وهي تعلم أنه سينفذ لها كل ما ستطلبه....



فيشعرها وكأنها ملكة علي عرش قلبه...!!!

عندما تتحسس أناملها كفه الخشن الذي يناقض لين قلبه الرقيق!!!

قطعت أفكارها عندما شعرت بهدوء أنفاسه المنتظمة جوارها...

لقد نام!!

لقد نام وكفها علي صدره!!!

فتحت عينيها ببطء ثم قامت بحذر محاولة ألا تحرك كفها الذي يمسكه كي لا يقلق...

ابتسمت في حنان وهي تتطلع لملامحه التي يبدو عليها الإرهاق التام...

أمالت رأسها تتفحص وجهه النائم بعمق...

ليبدو لها ساعتها أكثر رجال الأرض وسامة وسحرا!!!!



عقدت حاجبيها بشدة عندما جاءها هذا الخاطر!!!

عمار ؟!!!!

لا لا لا!!!!

لابد أن الدواء الذي تأخذه هذا فاسد!!!!

لقد أثر علي عقلها كما يبدو!!!

رن هاتفه الموضوع جواره علي الكومود فخشيت أن يقلقه!!

المسكين لم يكد ينام بضع دقائق!!!

تحركت ببطء محاولة التقاط هاتفه بكفها الحر دون أن تقلقه كي توقف صوت رنينه...

فاستيقظ فجأة ليجدها فوقه...

تشرف عليه من علوّ ....



وجهها يعلو وجهه كالقمر عندما تهفو إليه عيون المحبين!!!

التقت عيناهما للحظة خاطفة...

قبل أن ينتفض من نومه ليقول بلهفة:

_جوري...أنتِ بخير؟!

أومأت برأسها إيجاباً فشعر بالحرج من كفها الذي يحتضنه علي صدره...!!!

حرره من يده ببطء...

ثم التفت لها في ترقب...

فدفعته برفق إلي الوسادة وهي تضم كفيها علي إحدي وجنتيها في إشارة واضحة له أن ينام...

ابتسم قائلاً بإرهاق:

_لن أستطيع النوم طالما قلقت هكذا...



نظرت إليه بإشفاق...

فمنحها ابتسامة شاحبة ....ثم تناول هاتفه ليجده اتصالاً من أحد الموظفين بشركته...

هاتفه بسرعة فطلب منه الحضور لأمر هام...

أغلق معه الاتصال ثم قال لها بهدوء:

_يطلبونني في العمل...

مطت شفتيها في استياء...

فجاءه خاطر جعله يسألها في اهتمام:

_هل تريدين الخروج للتنزه يا جوري؟!

التمعت عيناها بلهفة وهي تومئ برأسها إيجاباً...

ابتسم للهفتها وهو يسألها برفق :

_أين تريدين الذهاب؟!



فتحت شفتيها ثم عجزت عن الكلام فأطبقتهما في عجز....

ازداد شعوره بالشفقة نحوها وهو يراها هكذا...

ربت علي كفها وهو يقول بحنان:

_لا بأس...دعيني أقترح عليكِ أنا....

أومأت برأسها إيجاباً فسألها بحيرة:

_تريدين التسوق؟!

هزت رأسها نفياً...

فعاد يسألها بتفكر:

_تريدين الذهاب للسينما ؟!

عادت تهز رأسها نفياً...فزادت حيرته وهو يعاود سؤالها:

_نتناول عشاءنا في أحد المطاعم علي النيل؟!



عادت تهز رأسها نفياً...

صمت للحظات يفكرثم سألها بتردد:

_ما رأيك لو نذهب لشاليه العائلة في الاسكندرية ونقضي هناك بضعة أيام؟!

صدمها اقتراحه للحظة ثم أومأت برأسها إيجاباً ببطء...

عاد يسألها بتردد:

_هل ستتمكن العمة فريدة من الحضور معنا؟! ساري تؤدي اختباراتها الأخيرة هذه الأيام ...لن تستطيع تركها وحدها...هذا يعني أننا سنذهب وحدنا...

عادت تومئ برأسها إيجاباً...

فسألها بحذر:



_ألا تمانعين في بقائنا وحدنا هناك؟!ألا تخافين من وجودك معي بمفردك؟!

هزت رأسها نفياً فزفر بقوة وهو،ينتفض من السرير ليحضر قلماً ثم قال لها برفق:

_اكتبي ما تريدينه يا جوري...حتي لا أسيئ فهمك...

أمسكت كفه الذي بسطه أمام وجهها بتردد ثم كتبت عليه:

_لنبقَ وحدنا...لم أعد أخاف...

رفع كفه أمام وجهه ببطء لا يكاد يصدق ما كتبته....

ثم عاد ينظر إليها نظرة عميقة...

أغمض عينيه بعدها بقوة وكأنه يقاوم شيئاً عظيماً بداخله!!!!



ليفتحهما بعدها قائلاً برفق:

_إذن هيا نعد الحقائب معاً لنسافر حالاً ....

تطلعت إليه بترقب ففهم نظرتها ليسألها بحنان:

_هل تريدين شيئاً آخر؟!

أومأت برأسها إيجاباً فقال بابتسامة عطوف:

_اطلبي ما تشائين يا جوري !

أمسكت كفه برفق لتكتب :

_أريد بعض الكتب من المكتبة...

قرأ عبارتها ثم قال بهدوء:

_حسناً...سنذهب سوياً لنحضرها في طريقنا...

ثم اقترب من وجهها ليقول بمشاكسة:



_أنا لا أقرأ ولا أحب الكتب...إياكِ أن تفكري أن تجعليني أقرأ معك...

أومأت برأسها إيجاباً وهي تبتسم برقة فقال بحزم:

_إذن ...هيا بنا بسرعة...

أشارت بعينيها إلي هاتفه تقصد عمله الذي ينتظر...

فابتسم بحنان وهو،يقول :

_لا شئ أهم من سعادتك يا جوري...حتي تتعافي بسرعة...

قال عبارته الأخيرة بصوت متهدج أدركت هي مغزاه...

عمار يتمني شفاءها لكنه يعلم أنه نهاية حياتهما معاً...



قاسم النجدي قضي بهذا عقاباً له علي ما فعل...

ولن ترد كلمته!!!

قاسم النجدي زوجها له بكلمة...

وسيطلقها منه بكلمة!!!!

=====

جلست آسيا أمام غرفتها الخارجية المخصصة لها تحكي قصة لياسين الصغير وهي تضمه لصدرها...

اقترب منها مصطفي بخطوات بطيئة حتي جلس جوارها ليقول بلطف:

_صباح الخير يا آسيا.

ابتسمت له آسيا وهي تحاول جاهدة تذكر اسمه لكنها فشلت...

فابتسم بلطف وهو يقول:



_أنا دكتور مصطفي...الطبيب البيطري الجديد...

هزت له رأسها برقة فسأله ياسين الصغير بقلق:

_الحصان نوار مريض ...هل سيموت؟!

ضمته آسيا لصدرها برفق وهي تقول :

_لا تخف يا حبيبي...سنعالجه وسيكون علي ما يرام...

هتف الصغير بحزن:

_العلاج لم يمنع والدتي من الموت!

ربتت آسيا علي رأسه في حنان...

فقال مصطفي برفق:

_لا تخشَ شيئاً علي نوار يا ياسين...أعدك أن أعالجه بسرعة لتعود وتركبه كالسابق...



ابتسم الصغير وهو،يقول ببراءة:

_سأحبك مثل آسيا لو فعلتها...

نظر مصطفي لآسيا نظرة عميقة وهو يقول بخبث:

_وهل تحب آسيا كثيراً؟!

ارتبكت آسيا من نظراته القوية فأطرقت برأسها في خجل...

فيما قال الصغير ببراءة:

_كلنا نحب آسيا.

ابتسم مصطفي وهو يغلفها بنظراته المتفحصة ليقول بلهجة ذات مغزي:

_إنها تستحق الحب!



وصل بدر في هذه اللحظة ليستمع للجزء الأخير من الحوار...

عقد حاجبيه بضيق وهو يسمع هذا الرجل يغازلها صراحة...

وهذه الحمقاء غارقة في خجلها لا ترد عليه...

هو لا يشك في أخلاقها...

لكنه غير راضٍ عن ضعفها هذا...!!

لهذا وجد نفسه يهتف بضيق:

_كيف حالك يا دكتور مصطفي؟! ما الذي تفعله هنا؟!

قام مصطفي من مكانه وهو يقول بحرج:

_كنت فقط ألقي السلام علي الصغير...وأطمئنه علي نوار....



رمقه بدر بنظرة حادة...

فعدل مصطفي نظارته علي وجهه وهو،يقول بارتباك:

_عذراً...سأعود لعملي....

قالها وغادرهم مسرعاً فجلس بدر جوار آسيا....

ثم صرف ياسين الصغير آمراً إياه بالعودة لغرفته....

تأمل إطراقها الخجول وهو يقول بلهجة لائمة:

_لا يعجبني تساهلك مع الناس يا آسيا...

دمعت عيناها وهي تقول بضعف:

_أنا لم أعتد المواجهة...أعرف أن ضعفي يجعلني مطمعاً لكن هذه طبيعتي للأسف...



أشفق علي ضعفها وقلة حيلتها الواضحة في كلامها فتنهد في حرارة...

ثم قال بحزم:

_تغيري...قاومي...تعلمي كيف تكونين قوية...

هزت رأسها في عجز وهي تقول:

_الكلام سهل ورائع لكنه يبقي مجرد كلام...

ثم قامت من مكانها وهي تقول بحزن:

_سأعود لغرفتي...

نظر إليها طويلاً...

ثم قال لها بحزم:

_اجلسي يا آسيا...

نظرت إليه كطفلة بائسة وجدت نفسها فجأة معرضة للعقاب...



فابتسم بحنان وهو يقول:

_اجلسي وسأوصي بكً جسار خيراً في نزهة اليوم.

ابتسمت بخجل وهي تعاود الجلوس...

فنظر إليها للحظات ثم قال برفق:

_فتاة مثلك ...جميلة..صغيرة...وحيدة...لابد أن تكون مطمعاً للكثيرين...ضعفكِ هذا قد يُساء فهمه ...قد يظنونه تشجيعاً لهم علي التمادي...

لم تلتقط من كلماته سوي وصفه لها بأنها جميلة!!!!

ضاعت منها كلماته التالية وقلبها يخفق لثنائه ...

لأول مرة تشعر بهذا الشعور الغريب نحو بدر...

شعور يتجاوز إحساسها القديم به ليدخله وحده في خانة بلا مسمي...



لا...ليس حباً كحب ياسين...

لكنه شعور خاص يتملكها يوماً بعد يوم خلسة دون وعي منها...

لتشعر به اليوم بعد ثنائه الذي-ربما لم يقصده حتي- عاصفاً قوياً مسيطراً....

أفاقت من شرودها عندما ناداها بقلق:

_آسيا...هل سمعتِ ما كنت أقوله؟!

عضت علي شفتيها وهي لا تعرف كيف ترد عليه...

فهز رأسه وهو يقول بضيق خفي:

_ترويض ضعفك هذا سيكون أشد علي من ترويض شراسة أي فرس جامحة....



ابتسمت في ارتباك فتنهد قائلاً:

_كم أخاف عليكِ يا آسيا.

صدمتها عبارته للحظات التقت فيها عيناهما بحديث غريب...

هي التي هزتها كلماته هزاً...

ولم تدر لماذا؟!

للصدق الذي نطقها به...؟!!

للحنان الذي فاض فيها...؟!!

أم لأنها شعرت -بحق-أنها تنتمي إليه؟!!!!

أن لها مكاناً خاصاً عنده؟!!

أما هو فكان غارقاً في وادٍ آخر...

آسيا الصغيرة الضعيفة قليلة الخبرة في الحياة...



والتي يعتبرها أمانته التي سيحافظ عليها بحياته...

كفي أنها كانت وصية سمية الأخيرة...

لم تكد سمية تخطر بباله حتي طغت صورتها علي كل الأفكار...

لتحتل وحدها عقله وذاكرته كما سبق واحتلت قلبه كله...!!

ومن بعيد كان مصطفي يراقبهما في ضيق خفي...

وقد اعتزم تنفيذ ما ينتويه هذه الليلة!!!!

=====

جلست فريدة في صالة شقتها الواسعة تحدق للسقف في شرود...



وضعت كفها علي صدرها وهي تفكر في حال بناتها الثلاثة...

آسيا...همها الأكبر التي لا تدري إلي الآن هل ماتت حقاً كما يدعون؟!!!!

أم أن قلبها يصدقها في إحساسه أنها لازالت علي قيد الحياة...

جوري...العروس التي لم تكد تقضي ليلة واحدة مع زوجها حتي أصابها ما أصابها!!!!

وأخيراً ساري ...

رغم أنها الوحيدة التي تمكنت من الاختيار...

لكنها تعيش حالة اكتئاب مزمنة منذ عقد قرانها علي حذيفة هذا!!!!

تنهدت في حرارة وهي تبث شكواها إلي ربها بدعائها المعتاد:



_لا تسؤني في بناتي يارب...هن حصاد صبري فلا تخذلني فيهن!!

قطع جرس الباب دعاءها فتوجهت إليه لتفتحه...

ليطالعها وجه حذيفة المبتسم هاتفاً:

_كيف حالك يا عمتي؟!

ابتسمت بحنانها المعهود وهي تقول:

_بخير يابني....تفضل...

دخل بخطوات سريعة وهو يتلفت حوله...

ثم سألها بصوت منخفض:

_أين ساري؟!



اتسعت ابتسامتها وهي تقول بحنان:

_في غرفتها ...لم تخرج منها منذ يومين ...اكتئاب الامتحانات المعتاد...

نظر إليها بتردد يمتزج بالرجاء وهو يقول:

_هل تسمحين لي أن أخرج معها للتسرية عنها قليلا؟!

ترددت لحظة ثم قالت بهدوء:

_لا بأس يابني...هي زوجتك الآن علي أي حال...

أمسك يدها يقبلها وهو،يقول بحنان:

_وأنتِ أمي الثانية يا عمتي...

ربتت علي رأسه وهي تقول له برجاء:



_لو كنتَ حقاً تعتبرني كذلك...فاعتنِ بساري...ساري يابني ليست كشقيقتيها...ساري تكتم حزنها عن الجميع...تخفي جروحها كي لا تؤذي بها غيرها...قلبها الطيب لا يعرف سوي أن يعطي دون مقابل...لهذا أخاف عليها نفسها...اكتئابها الزائد هذه الأيام يعني أن جرحها أكبر من أن تتحمله ...

تنهد في حرارة وهو،يقول :

_أعدكِ يا عمتي أن أبذل جهدي لأسعدها...

عادت تربت علي رأسه وهي تقول :

_هذا ظني فيك يا بني....



نظر لباب غرفة ساري المغلق ثم قال لها بتردد:

_سأدخل لها الآن لأخبرها عن خروجنا سوياً...

هزت فريدة رأسها في موافقة ...

ثم عادت لتجلس بعيداً علي أريكتها تعاود التحديق بشرود للسقف...

فتح حذيفة باب الغرفة برفق بعد أن طرق الباب ...

ليجدها جالسة علي مكتبها تعطيه ظهرها وهي تسند رأسها علي طاولة المكتب...

اقترب منها ببطء لينظر لشاشة حاسوبها أمامها...

والتي قرأ عليها رسالة الكترونية من بلال الهاشمي...

يبارك لها زواجها ويتمني لها السعادة...



قبض كفه بقوة وهو يشعر بالغيرة تخنقه...

هل هذا هو،سبب اكتئابها؟!!!

كاد يعنفها بما يدور في رأسه من أفكار...

لكن نظرة واحدة لرأسها -الذي لم ترفعه حتي من علي الطاولة ولو من باب الفضول- جعلته يدرك مدي سوء حالتها ...

فقرر تأجيل النقاش في الأمر حتي وقت لاحق...

لكن بعدما يطمئن أولاً علي هذه البائسة!!

قبض بكفيه علي كتفيها من الخلف وهو يقبل رأسها هامساً:

_كيف حالكِ يا حبيبتي؟!



رفعت رأسها ببطء وهي تستدير بجسدها نحوه ...

لو يعلم ما الذي فعلته بها كلمة "حبيبتي" التي نطقها هكذا بسهولة!!!!

لو يعلم أنها أماتتها وأحيتها آلاف المرات في لحظة واحدة!!!

لو يعلم كم تجاهد قلبها كي لا يصدقها...

وكم تجاهد عقلها كي يصدقه...!!!!!

نعم...نقيضان يتناحران في نفسها وهي بينهما عالقة...

حتي تستقر علي حال في معركتهما الحامية بشأنه...!!!

لم تكذب يوماً حين قالت أنه وجع قلبها الأزلي...

ليتها أدركت حينها أنه سيوجع عقلها أكثر!!!



أخذت نفساً عميقاً ثم قالت بهدوء يناقض الصراع الدائر داخلها:

_الحمد لله.

رفعها إليه لتقف وهو،يتأمل ملامحها بتفحص...

ثم همس بحنان:

_وجهك الحبيب يبدو مرهقاً...ألا تنامين جيداً...

أطرقت برأسها وهي تتمني لو تخبره...

وهل تنام امرأة عشقت مثلك يا حذيفة؟!!!!

رفع ذقنها إليه وهو يهمس بصوته الذي يدك حصونها:

_أنا السبب؟!



أشاحت بوجهها بعيداً وهي تدعي البرود لتقول بهدوء مصطنع:

_ماذا تريد الآن يا حذيفة؟!

ابتسم وهو يتفهم برودها الذي يعلم الآن بركان المشاعر الذي يخفيه وهو يهمس:

_أخبريني أولاً...لماذا لم تتفاجئي بوجودي الآن؟!

تنهدت في حرارة وهي تهمس دون أن تنظر لعينيه:

_عطرك يا حذيفة...عطرك الذي لم تغيره منذ سنوات...

أزاح خصلة من شعرها من علي عينيها ليعيدها خلف أذنها وهو يهمس في هيام:

_تميزين عطري منذ سنوات ؟!

أغمضت عينيها بقوة وهي تقول بصوت متعب:



_دعني وحدي يا حذيفة ...أرجوك...ضغط الامتحانات يوترني...ولا تنقصني مهاتراتك هذه...

ضم رأسها لصدره وهو يهمس في أذنها:

_سأختار لكِ أنا أيضاً عطراً يناسب شعوري بكِ ...لن تغيريه أبداً...ولو أنني لا أحتاج لعطر حتي أميز وجودك فقلبي يغنيني عن عطور الدنيا كلها!!!

رفعت رأسها إليه لتهمس بعتاب:

_كم مرة قلت هذه الجملة لامرأة غيري...؟!

قبل جبينها بقوة ثم همس أمام عينيها بصدق:

_ولا واحدة!!!

ثم أردف بحرارة:

_أنا أشد حرصاً منكِ علي أن تكون كلماتي لكِ كشعوري بكِ تماماً ...خاصة بكِ وحدك.



تأوه قلبها بقوة ولو كانت دقاته تنطق لصرخت فرحاً...

لكن عقلها دفعها لأن تقول ببرود:

_لم تخبرني عن سبب مجيئك اليوم.

لامس وجنتيها بأنامله في رقة وهو يهمس:

_أولاً لأنني افتقدتك جداً...جداً...جداً...

قالها وهو يميل علي شفتيها بقبلة عميقة جاهدت نفسها كي لا تستجيب لها...

فرفع رأسه إليها في عتاب خفي تجاهلته وهي تقول بنفس البرود:

_وثانيا؟!



أغمض عينيه بقوة يداري ضيقه من خذلانها المستمر له...

والذي يعذرها فيه بعد كل ما صنعه بها ...

لكن ...ماذا يفعل وبرودها هذا يحرق صدره حرقاً...؟!!!!

كم يتمني لو يأتِ هذا اليوم الذي تكسر فيه هذه الحواجز بينهما...

لتعود تعبر عن حبها له حراً جامحاً دون قيود!!!!!

احترمت صمته للحظات...

قبل أن يفتح عينيه ليقول بهدوء يناقض انفعالاته:

_جئت أصطحبكِ لنخرج سوياً.

هزت رأسها نفياً وهي تقول:



_لا وقت لدي...ولا مزاج أيضاً...

داعب أنفها بسبابته وهو يهمس بمرح:

_الوقت عليكِ...والمزاج عليّ أنا!!!

نظرت إليه في تساؤل فأردف بمشاكسة:

_امنحيني ساعة من وقتك...وسأحسن لكِ مزاجكِ الكئيب هذا..!!!

أطرقت برأسها فقال بحزم:

_سأنتظرك بالخارج...لا تتأخري...

وبعدها بساعة كانت تركب معه سيارته ....

سألها باهتمام:

_من هو مطربك المفضل؟!

ابتسمت وهي تقول:



_يسعدني سماع تخمينك.

شرد ببصره قليلاً ثم قال:

_أعتقد أنك ستحبين القصائد أكثر...يمكنني أن أجزم أنه القيصر!

اتسعت ابتسامتها وهي تقول:

_لا بأس...بداية موفقة...

عبث ببعض الأزرار لتنطلق الأنغام المميزة لهذه القصيدة...

أشهد أن لا امرأة

اتقنت اللعبة إلا أنت

واحتملت حماقتي عشرة أعوام

كما احتملت



ورتبت دفاتري

وقلمت اظافري

وأدخلتني روضة الأطفال

إلا أنت

أشهد أن لا امرأة تجتاحني

فى لحظات العشق كالزلزال

تحرقني

تغرقني

تشعلني

تطفئني

تكسرني نصفين كالهلال

وتحتل نفسي أطول احتلال

واجمل احتلال

إلا أنت



يا امرأة أعطتني الحب

بمنتهى الحضارة

وحاورتني مثلما تحاور القيثارة

تطير كالحمامة البيضاء فى فكري

إذا فكرت

تخرج كالعصفور من حقيبتي

إذا أنا سافرت

تلبسني كمعطف عليها

فى الصيف والشتاء

أيتها الشفافة اللماحة

العادلة الجميلة

أيتها الشهية البهية

الدائمة الطفولة



أشهد أن لا امرأة

على محيط خصرها

تجتمع العصور

وألف ألف كوكب يدور

أشهد أن لا امرأة غيرك يا حبيبتي

على ذراعيها تربى

أول الذكور

وآخر الذكور

إلا أنت

ابتسمت في شرود مغمضة عينيها تستمع للكلمات بنهم ...



قلبها العاشق يتراقص علي الألحان منتشياً...

وعقلها يتواري تدريجياً خلف حُجُب من العاطفة ...

فيهدأ الصراع بينهما نوعاً...

لتشعر بالسكينة تغلف روحها ...

وكأنما شعر بها هو فالتقط كفها يرفعه لفمه مقبلاً ثم همس بحرارة:

_من سواكِ تليق بها هذه الكلمات يا أجمل من تغنّي لها عاشق؟!!!

التفتت إليه من شرودها تنظر إليه بدهشة...

لا تصدق أن حذيفة يقول لها هذا...

ليست الكلمات فحسب!!

لكن حرارتها وصدقها!!!



نظر لدهشتها في حسرة وهو يهمس:

_لا تصدقينني؟!

دمعت عيناها فأغمضتهما تخفي عنه حديثهما وهي تهمس:

_اسكت يا حذيفة...أرجوك...

نظر إليها بتفحص وهو،يشعر بجسدها يرتعش...

وصدرها يعلو ويهبط فاضحاً انفعالها...

هز رأسه في يأس وهو،يفكر...

كيف يمكنه زرع الثقة فيها نحوه...؟!!!

كيف يمكنه أن يجعلها تتجاوز ماضيه الكريه...؟!!



كيف يمكن أن يقنعها أنه يحاول تطهير قلبه من وحل آثامه حتي يقدمه لها نقياً طاهراً كقلبها؟!!!

كيف ؟!!

كيف؟!!

====

_ ألم يحن الوقت للنسيان يا بدر؟!!

هتف بها كساب بقوة وهو يدخل عليه منزله ليجده شارداً كعادته...

بدر لم ينس سمية...

ولا يبدو أنه سيفعل!!

التفت إليه بدر بشدة من شروده ثم قال بضيق:

_لا تتحدث معي عن هذا الأمر يا عمي...أنت نفسك لم تتمكن من النسيان طيلة هذه السنوات...



جلس كساب جواره وهو يربت علي ركبته قائلاً بحنان:

_وضعك أنت يختلف...أنت لديك طفل يحتاج لرعاية...

زفر بدر بقوة وهو يقول بحدة:

_ماذا تريدني أن أفعل يا عمي؟!

نظر إليه كساب طويلاً ثم قال بوضوح:

_آسيا يا بدر.

أشاح بدر بوجهه وهو يفهم تلميح عمه ثم قال بتعقل:

_لا يمكنني أن أظلمها معي يا عمي...آسيا فتاة جميلة صغيرة السن ...ما ذنبها أن تتزوج رجلا لا يحبها لمجرد أن يستغل رعايتها لابنه...



تنهد كساب في ضيق ثم سأله بحدة:

_هل هذا آخر ما لديك؟!

أومأ بدر برأسه فقال كساب باستسلام:

_لله الأمر من قبل ومن بعد...اذن اسمع ما لدي....

ضيق بدر عينيه وهو يشعر بأنه سيسمع ما يسؤوه...

فقال كساب بضيق:

_دكتور مصطفي كلمني الليلة...إنه يريد خطبة آسيا...

اتسعت عينا بدر في ارتياع...

ثم كز علي أسنانه وهو يقول بغضب:

_كيف يتجرأ؟!

هتف كساب بغضب:



_الرجل لم يخطئ...الرجل يريدها لنفسه في الحلال...ماذا في هذا؟!!!

قبض بدر كفه بغضب وهو يشعر ببركان في صدره...

لا يتصور أن مصطفي هذا يفكر في الزواج من آسيا...

هو يعرف أن غضبه هذا ليس منطقياً...

لكنه لا يملك إيقافه...

إنه يشعر الآن برغبة في قتل مصطفي هذا...

وكأنه تجرأ علي عرضه!!!!

لا يدري لماذا تملكته هذه الانتفاضة عندما فكر مجرد تفكير أن تكون آسيا لرجل آخر...

هل يمكن أن يكون قد ....؟؟؟!!!!



عقد حاجبيه بشدة عندما راوده هذا الخاطر...

معقول؟!!!

لا لا لا....

آسيا بالنسبة إليه ليست سوي فتاة مسكينة يراعيها...

ويمتنّ لها لوقوفها جواره وجوار ابنه...

صورة من سمية في الماضي عندما هربت من عالمها لتكون معه...

لماذا إذن يشعر بكل هذا الاختناق الآن؟!!!

قطع كساب أفكاره وهو يقوم من مكانه ليقول بتعقل:

_فكر في الأمر يابني...وخذ رأي الفتاة...

التفت إليه بدر بحدة وهو يقول:

_رأيها؟!



ابتسم كساب في سخرية وهو يقول:

_نعم...رأيها...ألا يحتمل أن توافق علي الزواج منه...

هب بدر من مكانه بغضب متجهاً لغرفة آسيا الخارجية وشياطين الغضب علي وجهه...

فتمتم كساب بيأس:

_ياللخسارة!!

===

سارت جواره علي شاطئ البحر الذي خلا تقريباً إلا منهما في هذا الوقت من العام...

فسألها بقلق:

_هل تشعرين بالبرد؟!



هزت رأسها نفيا وهي تبتسم في امتنان...

فابتسم بدوره وهو يقول :

_حسناً...لكن دعينا نعد للشاليه...فقد مت جوعاً!!

اتسعت ابتسامتها وهي تفكر...

عمار،يشتهر في العائلة بنهمه للطعام...

رغم أنه لا يمتلك جسداً ممتلئاً...

لهذا طالما شعرت بالحقد عليه...

فهو مع ما يتناوله من كميات طعام رهيبة يمتلك جسداً رياضياً...

بينما هي تشعر أنها لو اشتمت رائحة الشيكولاتة فحسب فسيزداد وزنها بضعة كيلوجرامات!!!



عادت معه للشاليه فساعدها في إعداد الطعام وهو يقول بمرح:

_لو تأخر الطعام أكثر...أنا غير مسئول عن ذراعك!!

ضحكت ضحكة طويلة فتسمر مكانه للحظات...

ثم قال بشرود:

_هل تعلمين كم مر عليّ من وقت لم أسمع فيه ضحكتك هذه؟!

فتحت شفتيها ثم أغلقتهما في عجز وهي تهز رأسها...

فعلم أنها تريد قول شئ ما...



اقترب منها وهو يبسط لها كفه كعادته مخرجاً لها قلمه من قميصه...

فكتبت:

_كفاك تعذيباً لنفسك بذنبي...لا تقسُ عليها أكثر...

نظر لما كتبته ثم أطرق برأسه...

وهو لا يدري بم يرد عليها....

فضغطت علي كفه أكثر ليرفع رأسه إليها....

ثم عادت تكتب:

_أنا سامحتك يا عمار...

تنهد في حرارة وهو يشيح بوجهه عنها...

حتي لو سامحته ...



هو لن يسامح نفسه علي ما فعل...

ربما لو عادت تتكلم من جديد...

ربما لو أعاد إليها حريتها وأطلق سراحها من زواجهما الذي يدرك أنه ليس لها سوي قيد ثقيل بالنسبة إليها...

ربما لو محا من ذاكرتها كل أحداث تلك الليلة ...

ليلة زفافهما البغيضة علي نفسه!!!

ربما ساعتها يمكنه أن يسامح نفسه!!!

أخذ نفساً عميقاً ثم ربت علي كتفها وهو يقول:

_دعينا نتناول الطعام...



جلست جواره علي المائدة يتناولان الطعام بشرود....

هي غارقة في شفقتها علي حاله....

من كان يخبرها أنه سيأتي يوم تشفق فيه علي عمار الغليظ ؟!!

لكن...كيف لا تفعل؟!!

وهي تشعر به يحترق بذنبها...

تشعر بلوعته لأجلها تكوي قلبه...

ربما لا يستطيع التعبير كعادته...

لكنه يسمعها نجواه عندما يظنها نائمة...

فتشعر بكلماته الصادقة تحفر أخاديد الحنان عميقة في روحها...!!!!



كيف لا تسامحه من كل قلبها؟!!

وهو الذي عوضها بحنانه واهتمامه في هذه الأيام القصيرة ما افتقدته طوال عمرها من حنان الأب والأخ والصديق....؟!!!

ليتها فهمته هكذا من البداية...!!!

ليتها منحته الفرصة ليعبر عن حبه...!!!!

ليتها لم تغلق في وجهه كل أبواب قلبها...!!!!

ليتها!!!!!

أنهيا طعامهما وكلاهما غارق في صمته وشروده....

حتي قطعه هو بقوله :

_هل ستنامين الآن؟!



تحركت نحو المائدة الصغيرة لتحمل كتاباً رفعته إليه ...

تناوله منها ليقرأ عنوانه :

_خاتم في إصبع القلب....

ثم التفت لها متسائلاً:

_ما الذي يعنيه هذا؟!

جذبته من ذراعه وهي تجلس جواره علي الأريكة...

ثم أمسكت كفه لتكتب:

_اقرأه معي لو أردت.

هز رأسه قائلاً:

_لم أقرأ كتاباً في حياتي غير كتب الدراسة...حتي هذه فشلت فيها...



نظرت إليه بتوسل فابتسم قائلاً:

_حسناً...دعينا نقرأ سوياً...

مد ذراعه ليضمها إليه في تردد متسائلاً:

_هل تسمحين لي؟!

أومأت برأسها في خجل...

فضمها إليه بأحد ذراعيه ليمسك الكتاب بكفيه حتي يتمكنا من القراءة سوياً...

أراحت رأسها علي صدره وهي تجرب لأول مرة لذة القراءة المشتركة في هذا الوضع...

أغمض عينيه بقوة يقاوم أن يقبل رأسها المستريح علي صدره...



يشعر بقلبه يكاد يتوقف من قربها المهلك هذا...

جاهد مشاعره جهاداً وهو يمر بعينيه علي السطور...

لتأخذه أفكار الكتاب بعيداً...

ظلا علي هذا الوضع يقرآن لما يقارب الساعة...

حتي تناولت كفه لتكتب:

_يكفي هذا اليوم حتي لا تمل...

ابتسم لها هامساً:

_علي العكس...أنتِ أجدتِ الاختيار...الكتاب ممتع فعلاً...

ابتسمت في سعادة وهي تنزع ذراعها من حول كتفها برفق لتقوم ...



فقام بدوره ليسألها في حنان:

_تريدين النوم؟!

أومأت برأسها إيجاباً في كذب بيّن!!!!

هي لا تريد النوم قطعاً!!!

هي فقط تريد التظاهر بالنوم حتي تسمع ما سيقوله لها هذه الليلة أيضاً....

سار بها حتي وصلا للسرير...

تمددت عليه للحظات مغمضة عينيها...

مرت عليها دقائق طويلة ...

طويلة جداً كأنها شهور....

حتي سمعته يهمس جوار أذنها:

_هل نمتِ يا جوري؟



بالطبع لم ترد عليه وهي تتظاهر بالنوم...

فانتظر لبضع دقائق أخري وكأنه يتعمد أن يزيد عذابها...!!!

لكنه في الواقع كان يريد التأكد من أنها نامت حقاً ولن تسمع شيئاً...

عمار الغليظ الطبع لم يستوعب بعد فكرة أن يناجيها بحبه...

خاصة بعد كل ما حدث!!!

ربما يعاملها بحنان بل ويدللها كثيراً...

لكن يبقي التعبير عن مشاعره بالكلمات صعباً جداً علي نفسه!!!!



يبدو أن تظاهرها بالنوم كان ناجحاً فقد اقترب من أذنها ليهمس في حرارة:

_كيف سأقوي علي فراقك يا جوري...وكل يوم يمر علينا معاً يتعلق قلبي بكِ أكثر...ماذا أقول لكِ عن إحساسي وأنتِ بين ذراعي كما كنا الليلة...ماذا أقول لكِ عن قلبي الذي يحترق في قربكِ أكثر مما يحترق في غيابك...ماذا أقول لكِ عن روحي التي لا تجد سكينتها إلا معك...كم قلتِ لي أنني غليظ بلا قلب...وكم كنت أتشوق لأثبت لكِ عكس ذلك...لكنني اليوم أتمني لو أكون حقاً كما تقولين...لو أسحق قلبي تحت قدمي لعلي أُرحَم من عذابي بكِ...أنتِ قاتلتي يا جوري...أنتِ حبيبتي وقاتلتي!!!



غابت عن الوعي حقاً هذه المرة وهي تشعر بكلماته تدوّخها ....

تدور بها في فضاء كبير بسرعة كطفل صغير...

لتتعالي ضحكات روحها الصاخبة فرحة بكل هذه المشاعر التي لم تتخيلها يوماً....

سعيدة هي بحبه الكبير الذي يغرقها بفيضه...

لكنها لازالت حائرة بشأنه...

لماذا يعجز عن التعبير عن مشاعره هكذا؟!!!

لماذا لا يخبرها بكل هذا إلا وهو يظنها نائمة؟!!!

لماذا لا يترك نفسه علي طبيعتها لتبدو لها روحه الجذابة الآسرة؟!!!

لماذا؟!!

=====



الفصل الرابع عشر:

توجه بدر لغرفة آسيا وهو يكاد يغلي غضباً...

دون أن يدري،ما السبب...

لعله لا يطمئن لمصطفي هذا...

شئ ما في نظراته لا يوحي له بخير...!!!!

أو لعله يخشي فكرة زواج آسيا نفسها...

لأنه يعني أنها ستتركهم هنا وهذا سيؤثر سلباً علي ياسين الصغير...

ألا يكفيه فراق أمه؟!

فتفارقه آسيا أيضاً التي تعلق بها حد الجنون؟!!!

لا يهم الآن سبب غضبه...

المهم أنه يسيطر عليه في هذه اللحظة بجنون!!!



دق باب غرفة آسيا بقوة...

فخرجت له مبتسمة لتقول برقة:

_ماذا تريد يا بدر؟!

أخذ نفساً عميقاً ليتمالك غضبه ثم قال بتحفظ:

_تعالي نتحدث في الحديقة الخارجية...

سارت معه حتي الحديقة الصغيرة وهي تشعر بالاندهاش من تعابيره الصارمة...

حتي جلس فجلست جواره لتسأله ببراءة:

_ما الأمر يا بدر؟!

نظر لبراءتها الساطعة علي وجهها لحظات...

فأنبه ضميره...



كيف يسمح لأنانيته أن تحكم تصرفه معها...

كيف يمنعها عن فرصتها وحقها الطبيعي في الحياة فقط من أجل مصلحته ؟!!

جعله هذا يصمت قليلاً ثم قال بحسم:

_الدكتور مصطفي يرغب في خطبتك...

عقدت حاجبيها بشدة ثم أشاحت بوجهها ...

لا تدري خجلاً أم ضيقاً...

لا لم تشعر بالدهشة عندما سمعت عرضه...

لقد كانت نظرات مصطفي وتلميحاته أكثر من كافية لتفهم...!!!



لكنها تتعجب من عرض بدر للأمر عليها...

زواجها يعني أن ترحل من هنا....

هل هو حقاً يريدها أن ترحل؟!!

قطع بدر أفكارها وهو يسألها:

_ما رأيك يا آسيا؟!

نظرت إليه بتشتت ثم همست بضعف:

_لا أريد...

تنهد قائلاً:

_لماذا ؟!

نظرت إليه بتضرع وهي تهمس:

_لا أريد أن أترككم وأترك المزرعة.

نظر للسماء بعجز ثم قال بمرارة:



_هذا سيحدث يوماً ما يا آسيا...لا يمكن أن تبقي هنا إلي الأبد...

همست بجزع:

_لماذا؟!

قام من مكانه وهو يشرف عليها بطوله المهيب ليهتف بغضب:

_حتي تعيشي حياتكِ التي حُرمتِ منها...حتي تدركي عمركِ الذي يضيع...حتي تتخلصي من عقدة خوفك وضعفك !!

دمعت عيناها وهي تهمس بصوت مس قلبه:

_أنت وعدتني أن تحميني...أنت قلت أنك لن تتخلي عني...



تنهد في حرارة وهو يشيح بوجهه قائلاً:

_ولازلت علي وعدي يا آسيا...وحتي آخر لحظة في عمري...أنتِ وصية سمية الأخيرة التي لن أفرط فيها أبداً...لكن هذا لا يعني أن أدفنك هنا حية...واجبي نحوك أن أوقظكِ من غفلتك...

ثم التفت إليها ليقول بحزن:

_إلا العمر يا آسيا...إلا العمر لا يشتري ولا يعوّض!!

قامت من مكانها لتقول وسط دموعها:

_إذا كنت تريدني أن أرحل من هنا فسأرحل دون زواج...

قالتها وهي تعود بخطوات سريعة نحو غرفتها فجري وراءها هاتفاً:

_آسيا...انتظري...



وقفت مكانها وهي تشعر بجرح عميق في قلبها...

يا إلهي...ألن تنتهي غربتي هذه؟!!!

حتي بعدما رضيتُ بقدري كهاربة شريدة تأبي الظروف إلا أن تحرمني وطني الجديد؟!!!

سالت دموعها علي وجهها غزيرة وهي تشعر بالقهر...

فوقف قبالتها بدر وهو يشعر بالعجز ليهمس بحنانه الفياض:

_لا تبكي هكذا يا آسيا...يشهد الله أني لا أريد لكِ سوي الخير...



نظرت إليه طويلاً بعينيها الممتلئتين بحديث لا يفهمه...

ثم همست بضعف:

_ماذا تريدني أن أفعل؟!سأطيعك في أي شئ...

أشاح بوجهه عنها في ضيق وهو يقول بصوت متعب:

_أنتِ تزيدين همي بكِ يا صغيرة!

عادت تنتحب بقوة فزفر زفرة قصيرة ثم هتف بحدة:

_انفضي عنكِ ضعفكِ هذا...قوتكِ ليست مستمدة مني ولا من أي أحد....اختاري واحتملي نتيجة اختيارك ...



أشعرتها كلماته بالإهانة...

أشعرتها أنها مجرد عبء ثقيل علي كاهله...

أشعرتها كم هي صغيرة هينة في عينه...

فمسحت دموعها لتقول أول ما جاء بخاطرها:

_حسناً...أنا أوافق علي خطبتي لمصطفي...أبلغه هذا...لكن أخبره أولاً عن ظروفي كلها...

عقد حاجبيه بشدة وقد انعقد لسانه تماماً...

لم يتوقع أن يكون هذا ردها ...

لقد أرادها أن تكون قوية تفكر في قرارها وتتحمل عواقبه...

لكن الصغيرة البائسة لم تفهم...

ظننته يريد التخلص منها...



ألا تدرك تلك الغافلة أنه يحتاجها أكثر مما تحتاجه هي؟!!!

راقب انصرافها الحزين لغرفتها مغلقة بابها خلفها دون حتي أن تنظر إليه...

جلس علي كرسيه في الحديقة يراقب نور غرفتها الذي ظل مفتوحاً طويلاً...

وعاهد نفسه ألا يعود لمنزله حتي تغلقه...

ساعتها فقط يمكنه الاطمئنان أنها خلدت للنوم علي الأقل...

ظل جالساً طويلاًمغمضاً عينيه في ألم...

تري...هل ضيع وصية سمية؟ !!!



وفي غرفتها المضيئة جلست آسيا علي الأرض كعادتها كلما شعرت بالحزن...

أسندت ظهرها علي الباب المغلق وهي تبكي...

حاولت استحضار صورة ياسين الحبيب تخفف عنها بعضاً من عذابها لكنها للأسف فقدت مفعولها السحري!!!!

ياسين الحبيب لم يعد دواءً بقدر ما صار جرحاً قديماً...

حاولت استحضار صورة سمية الرفيقة المخلصة الحنون لكنها أيضاً خذلتها بذكري مرضها الأخير ووفاتها الصادمة فازداد جرحها غوراً...



استحضرت صورة بدر الشهم الذي طالما ساندها ودعمها بعطفه وحنانه لكنها تراجعت أمام قسوة رده عليها في اللحظات السابقة...

لم تجد سوي صورة واحدة علمت أنها أبداً لن تخذلها...

صورة حنون صابرة عطوف...

تعرف أنها تتألم لفقدها الآن أكثر من الجميع...

تعرف أنها مهما بعدت المسافات بينهما ستشعر بها لأنها قطعة منها....

نعم...

إنها صورة فريدة!!!



ازداد نحيبها في هذه اللحظة وهي تهتف بصوت مسموع :

_افتقدتك يا أمي...أحتاجك حقاً...أحتاجك....

احتضنت جسدها بذراعيها وهي تنهنه في ألم...

أي ضياع وأي غربة شعرت بها منذ غادرت حضن فريدة الحنون؟ !!

لم تشعر يوماً بالندم علي فعلتها بالهرب قدر ما شعرت به الآن...

لكنها للأسف لن تستطيع الرجوع!!!

ظل بدر بالخارج جالساً لأكثر من ثلاث ساعات حتي شعر بالقلق يخنقه...

قدم إليه العم كساب يسأله بقلق:



_ما الذي تفعله هنا يا بدر؟! لقد اقترب آذان الفجر...

هز رأسه بإرهاق وهو يقول بتعب:

_آسيا غضبت مني عندما طلبت منها التفكير في أمر الخطبة...ظنتني أريد التخلص منها...

عقد كساب حاجبيه وهو ينظر لغرفتها المضاءة قائلا:

_يبدو أنها لازالت مستيقظة كذلك.

أومأ بدر برأسه إيجاباً وهو،يقول بضيق:

_أبلغ مصطفي أنها وافقت علي الخطبة...دعنا ننتهِ من هذا الأمر...

نظر إليه كساب طويلاً ثم سأله بتفحص:

_هل أخبرتك أنها موافقة؟!



أومأ بدر برأسه إيجاباً فتنهد العم كساب قائلاً:

_حسناً...الخيرة فيما اختاره الله...سأبلغه بموافقتها...

===

طرقت فريدة باب غرفة الحاج قاسم بهدوء بعدما استدعاها لغرفته فهتف بصوته القوي:

_ادخلي يا فريدة.

دخلت بوجل وهي تتساءل عن سبب استدعائه لها...

لعله خير!!!

تفحصها قاسم بنظراته الخبيرة ثم قال لها برفق:

_اجلسي يابنتي...

جلست أمامه في خشية وترقب...

فقال بشرود:



_كيف حال جويرية مع عمار؟!لقد علمت أنها سافرت معه.

أومأت برأسها إيجاباً وهي تقول:

_لقد طلبت هي ذلك...لم تعد تخاف منه كالسابق...وحالتها النفسية تتحسن كل يوم عن سابقه...

أومأ برأسه في رضا...

فقالت بتردد:

_ألا زلت تصر علي أن يطلقها عندما تتعافي؟! عمار طيب القلب يا عمي...صحيح أنني كنت حانقة عليه بعد فعلته المشئومة لكنه فاجأني بحنانه الغريب معها بعدما حدث...لقد أخطأ وندم يا عمي.

قست لهجته وهو يقول بحدة:

_من أخطأ يتحمل عقابه!



ازدردت ريقها ببطء وهي تقول بتردد:

_لكن يا عمي...

قاطعها وهو يهتف بحدة:

_أنا حذرته قبل أن يتزوجها من أن يؤذيها...أخبرته أنني سأكون خصيمه لو مسها بسوء...لكنه لم يستمع لكلامي...لم يستمع سوي لصوت غضبه حتي فعل بها ما فعل...سيطلقها حتي يجرب معني أن يفقدها...حتي يدرك قيمتها الحقيقية...أنا أعرف أنه متعلق بها من صغره...وحرمانه منها أكبر عقاب له علي ذلك حتي لا يعيد إيذاءها....

اتسعت عيناها في دهشة وهي تهمس:

_هل تعني أنك...

قاطعها قائلاً بصرامة:



_سيطلقها أولاً حتي يتعلم الدرس...وبعدها لو رغبت هي في العودة إليه فلن أمانع...

دمعت عيناها وهي تشعر بأحاسيس غريبة...

قاسم النجدي ليس قاسياً تماماً كما يظنون...

فعلته هذه توحي أنه -برغم كل شئ-يقدر جويرية ويحبها...

وكأنه قرأ أفكارها...

فقال بشرود وهو يتطلع لصورة سعد التي غطاها بعباءته منذ خبر وفاة آسيا:

_لقد ضاعت مني أمانة من أمانات سعد...ولن أضيع واحدة جديدة...



أغمضت عينيها بقوة وهي تفهم ما يتحدث عنه...

ثم قالت بصبر تحسد عليه:

_لا تحمل نفسك ما لا تطيق يا عمي...قدر الله وما شاء فعل.

دق بعصاه علي الأرض بضع مرات وهو شارد في الفراغ...

ثم قال لها برفق:

_يمكنك الانصراف يابنتي...كنت أريد فقط الاطمئنان علي جويرية...

هزت رأسها وهي تغادر غرفته بخطوات متثاقلة...

لتغلق الباب خلفها وهي تفكر...



إلي أي مدي أنت مصيبٌ في قراراتك أيها النجدي؟!!!

===

خرجت ساري من لجنة الامتحان لتجده ينتظرها...

تقدم نحوها ليسألها بلهفة:

_كيف كان الاختبار؟!

ابتسمت وهي تهز رأسها هامسة:

_لا بأس.

أمسك كفها وهو يهمس جوار أذنها:

_دعكِ من الاختبارات وهذا الهراء...لدي لكِ نزهة رائعة بمناسبة حصولك علي الإجازة...

اتسعت ابتسامتها وهي تسير جواره حتي ركبت السيارة جواره...

ثم سألته بفضول:



_إلي أين سنذهب؟!

أمسك كفها وهو ينظر لعينيها هامساً :

_ششششششش....لا تسألي اليوم عن شئ...سلمي لي نفسك وقلبك وأعدكِ أن يكون اليوم رائعاً...

أخذت نفساً عميقاً وهي تستند برأسها علي ظهر مقعدها....

ستستمع لكلامه هذه المرة فقط...

ستأخذ هدنة قصيرة هذا اليوم بين صراع قلبها وعقلها عليه...!!!

لقد تعبت حقا...

وستستريح اليوم من هذا كله!!!



ابتسمت وهي تسترجع كنزها من ذكرياتها الطويلة معه...

متجاهلة بقوة جانبها المظلم...

حتي سمعته يناديها فالتفتت إليه وابتسامتها تنير وجهها...

ابتسم بدوره وهو يقول:

_هيا ...لقد وصلنا لأول محطة...

نظرت حولها لتجد نفسها أمام أحد المولات الكبيرة...

سألته بصدمة :

_ماذا سنفعل هنا؟!

وضع سبابته علي شفتيها وهو،يقول بحزم:

_اتفقنا ألا تسألي...



هزت رأسها وهي تفتح بابها لتترجل من السيارة...

فترجل بدوره وهو يلحق بها ليمسك كفها ويسيرا متجاورين...

سار بها حتي وصلا لأحد محلات الملابس الشهيرة...

تلفتت حولها في دهشة عندما رأته يمسك ثوباً وردياً محتشماً ليعطيه لها مع وشاح بدرجات الوردي مع الأبيض...ثم قال بإعجاب:

_سيبدو هذا رائعاً عليكِ.

احمرت وجنتاها وهي تهمس حتي لا يسمعها أحد:

_أنا لا أرتدي هذه الأشياء...سأبدو حمقاء لو ارتديته.



ضحك بخفة ثم همس في أذنها:

_اذن كوني حمقاء اليوم لأجلي.

ضربته بكفها علي كتفه بخفة ثم تلفتت حولها لتهمس في ارتباك:

_لا أريد يا حذيفة...

اقترب بوجهه من وجهها وهو يهمس:

_لأجل خاطري أنا يا سوسو.

أشاحت بوجهها في خجل ...

ثم تناولته منه بحركة عنيفة وهي تدخل لغرفة قياس الملابس بخطوات عصبية...

انتظرها لدقائق قبل أن تخرج إليه بطلتها الجديدة...



تأملها في افتتان وهو يتفحص وجهها الذي ينافس ثوبها في لونه الوردي الآن...

تحرك نحوها ثم أمسك كفيها بكفيه وهو ينظر لعينيها هامساً:

_لقد غيرت رأيي...لن تخرجي بهذا الثوب أبداً...

اختفت ابتسامتها الخجول لتسأله بصدمة:

_هل يبدو سيئاً إلي هذا الحد؟!

همس في أذنها بحرارة:

_بل أنتِ الآن أجمل امرأة رأيتها في حياتي...ولا أريد أن يري جمالك هذا غيري أنا.

أطرقت برأسها في خجل...

فرفع ذقنها وهو يسافر في بحر عينيها شرقاً وغرباً هامساً:



_لكن لا بأس... اليوم فقط لتكتمل روعة اليوم بثوبك المميز...

تلفتت حولها في ارتباك ...

ثم قالت بخجل:

_كفاك هذا يا حذيفة...الناس يتغامزون علينا..

تنهد في حرارة ثم توجه معها لخزينة المحل ليدفع ثمنه...

خرجت معه بثوبها الجديد وهي تشعر لأول مرة أنها امرأة كاملة الأنوثة...

أنوثتها التي طالما جرحها تجاهله لها وتحقيره من شأنها...

تشعر اليوم أنه يذوب اشتياقاً ليسترضيها!!!



عادت تركب معه السيارة لتجلس صامتة في ترقب...

تنتظر مفاجأة يومه التي أعدها لها...

أمسك كفها طوال الطريق لم يفلته...

حتي توقف في مكان منعزل نوعاً...

ثم همس بشرود:

_هل من الممكن أن يظل المرء طوال عمره يبحث عن شئ غافلاً عن وجوده تحت عينيه؟!

فطنت لما يقصده فهمست بدورها:

_المهم هو ما سيفعله عندما يعثر عليه...أخشي أن يزهده عندما يصير بين يديه ليعود ويبحث عن شئ جديد...



ضغط كفها بقوة بكفه وهو يهمس:

_هل يزهد المرء الهواء الذي يتنفسه مهما اعتاده؟!أم هل يزهد الماء مهما توفر؟! أنتِ هوائي ومائي...سأبقي عمري كله محتاجاً لوجودك...

أغمضت عينيها بقوة ...

فهمس برجاء:

_افتحي عينيكِ يا ساري...لا تهربي من الشعور بحبي...أنت تخافين أن تصدقي رغم أن قلبك يخبركِ أنني لست كاذباً..

فتحت عينيها ثم ابتسمت في ضعف لتهمس بشرود:

_في قضية حبك...قلبي أبداً ليس بشاهد عدل!

قبل كفها وهو يهمس:



_لأنه دوماً يصدقني؟!

همست دون وعي:

_بل لأنه ملكك.

ارتفع حاجباه في حنان وهو يسمعها منها لأول مرة...

فيما أشاحت هي بوجهها وهي تشعر بالغضب من نفسها...

كيف خانها لسانها لتهمس بها بهذه السهولة...

وبهذه الحرارة...؟!!!

غبية يا ساري...غبية!!!

هكذا حدثت نفسها وهي حانقة!!

أليس هذا حذيفة الذي توعدته أن تكرهها عمرها كله؟!!!



هل خدر عقلها بكلماته المعسولة كما يفعل مع غيرها؟!!

هل غيبها عن وعيها ببضع كلمات وقبلة علي كفها وثوب وردي؟!!!!!

أدار وجهها نحوه وهو يهمس في حنان:

_الآن أصدق أنه ملكي...لقد عاندكِ وأنصفني ليجعلكِ تقولينها دون وعي...

عضت علي شفتيها بقوة وهي تقاوم رغبتها في البكاء...

جوارحها كلها تدعوها للاستسلام لفيض،مشاعره هذا...

لكن عقلها وكبرياءها يحذرانها منه...



حذيفة لن يكون خالصاً لها كما تظن دوماً!!!

اقترب بشفتيه من شفتيها يطبع عليها قبلات خفيفة ثم همس بعاطفة صادقة:

_كوني لي اليوم فقط عاشقة كما ينبغي ثم عودي لعنادك من جديد...حتي أجاهد نفسي كل يوم لأستعيد رضاكِ...

أومأت برأسها إيجاباً...

فنظر لعينيها هامساً:

_لا قيود اليوم علي قلبك العاشق يا ملاكي...دعيه ينطلق حراً...وأذيبيني في لهيب عشقه...

ابتسمت في رقة وهي تسبل جفنيها بخجل...

فابتسم بدوره وهو،يعيد تشغيل السيارة ،لينطلق بها نحو وجهتهما...



فوجئت به يتوقف بالسيارة عند أحد المطاعم الفاخرة...

نزل من السيارة ثم فتح لها بابها ليهمس بحنان:

_تفضلي يا مليكتي...

ترجلت من السيارة فأمسك كفها ليصعد بها درج المطعم...

فتح الباب لتفاجأ بظلمة المكان إلا من شموع صغيرة تصنع ممراً نحو مائدة وحيدة في نهاية القاعة...

تلفتت حولها في انبهار وهي تلتصق به تلقائياً...

لتسير معه حتي تلك المائدة...

سحب لها كرسياً لتجلس ...

ثم جلس أمامها ليبدأ عزف موسيقا هادئة...



نظرت حولها لا تصدق شاعرية المكان...

ثم نظرت لعينيه اللتين كانتا ترقبانها بتفحص لتهمس بامتنان:

_رائع يا حذيفة!

أمسك كفها يقبله هامساً:

_كنت أعلم أنه سيعجبك...

سألته بدهشة:

_هل حجزت القاعة كلها لنا؟!

همس بعاطفة:

_لكِ وحدكِ !

ثم قلب كفها ليدور بإبهامه علي راحتها ببطء هامساً:

_أريدك اليوم أن تطيري فوق السحاب...



ليس لدينا اليوم سوي حب وحب...وحب!!!

خفق قلبها بجنون وهي تهمس بدفء:

_تكلم يا حذيفة...تكلم طويلاً...أريد أن أسمعك...كلماتك اليوم تبدو مختلفة...

تنهد في حرارة ثم بدأ حديثاً طويلاً لم تقاطعه هي أبداً...

لم يتصور يوماً أنه جائع للكلام كهذه اللحظة...

لا لم تكن مجرد كلمات...

لكنها كانت زفرات روحه المكلومة...

نزيف أفكاره المشوشة...

آهات حيرته وتخبطه...



لم يشعر يوماً براحة كراحته في الحديث معها الآن...

وكأن روحه التائهة وجدت فيها توأمها الذي يكملها!!!

فيما كانت هي تستمع إليه بكيانها كله!!

هذا هو حذيفة الذي عشقته منذ سنوات...

بعيداً عن هذا المسخ الذي شوهته الخطايا...

هذا هو...

ببراءة روحه النقية...

وصفاء نظراته الحانية...

وحنان لمساته التي احتوتها بعطف!!!



مر بهما الوقت يجري دون تمهل....

حتي انتبهت للوقت فقامت من مكانها لتهتف بجزع:

_لقد تأخر الوقت جداً يا حذيفة...لابد أن نعود.

قام بدوره ليقول بأسف:

_وددت البقاء أطول.

ابتسمت لتهمس بسعادة:

_وأنا أيضاً...

خفق قلبه للسعادة التي غلفت عينيها بغلالة رائقة من المشاعر الصادقة...

أخيراً تمكن من رسم ابتسامة فرح علي شفتيها...

تشابك كفاهما بحب وهما يغادران المكان بهناء...



عندما سمعا صوتاً خلفهما :

_حذيفة...أخيراً ظهرت أيها الهارب.

التفتت ساري بعنف لهذا الصوت الأنثوي لتصطدم بفتاة صارخة الجمال ترتدي ملابس ملفتة...

اقتربت الفتاة من حذيفة بجرأة مقبلة وجنتيه لتقول بمرح:

_عندما اختفيت طوال الفترة السابقة ظننتك تزوجت ابنة عمك المسترجلة...

ثم نظرت لساري لتغمزها هاتفة:

_لكنك تبدو غارقاً في جو جديد!!

ود حذيفة في هذه اللحظة لو تنشق الأرض وتبتلعه...



كان اليوم سيمر بمنتهي الروعة لولا تلك الحمقاء!!!

نظر بقلق إلي ساري وهو مصدوم...

لكن ساري ابتلعت صدمتها بسرعة كعادتها ثم قالت له ببرود:

_ابق أنت مع صديقتك ...يبدو أنها افتقدتك كثيراً...سأعود في سيارة أجرة.

لم تمنحه فرصة الاعتراض وهي تبتعد عنه بخطوات سريعة لتشير لأقرب سيارة ....

ثم ركبتها في عجل...

كان الطريق مزدحماً تماماً كأفكارها في هذه اللحظة...

رن هاتفها باسمه فأغلقته بعنف...

لقد وعدها بيوم رائع...



لكن منذ متي يفي حذيفة بوعده؟!!

أغمضت عينيها في ألم وهي تتذكر قول الفتاة أنه سيتزوج ابنة عمه المسترجلة!!!

هل هذا ما يقوله عنها أمام رفيقاته؟!!!

لهذا اشتري لها هذا الثوب اليوم؟!!

لأنه يخجل من مظهرها!!!

امتلأت عيناها بدموع القهر وهي تشعر بالإهانة!!!

لقد رفعها فوق السحاب ليهوي بها في قاع الخذلان!!!

تباً لك يا حذيفة...

بل تباً لي أنا ...

أخطأت عندما صدقتك...

حمقاء بحبك وسأبقي كذلك!!!



وصلت منزلها متأخرة بفضل زحام الطريق...

فتحت باب المدخل لتجده أمامها!!!

كيف وصل هذا قبلها؟!!!

اندفع نحوها ليهتف بعنف:

_لماذا كنت تغلقين هاتفك؟!

أشاحت بوجهها ولم ترد...

فأمسك ذراعيها يهزها قائلاً:

_كيف تتركينني هكذا وترحلين دون أن تسمعي مني؟!

أخذت نفساً عميقاً ثم نظرت لساعتها لتقول ببرود:

_لقد تعدت الساعة الثانية عشرة...انتهي اليوم يا حذيفة...



شكراً علي اليوم الرائع.

عقد حاجبيه بغضب وهو يهتف بحدة:

_لا تحدثيني بهذا الأسلوب.

أطرقت برأسها وهي تهمس:

_لن أحدثك أصلاً...

زفر بقوة وهو يقول بانفعال ظاهر:

_هذه مجرد فتاة حثالة ...لا تعني لي شيئاً

ابتسمت في سخرية مريرة وهي تهمس بألم:

_فتاة حثالة لا تعني لك شيئاً تعرف أنك ستتزوج من ابنة عمك المسترجلة...فماذا إذن تعرف بقية فتياتك؟!

تألم لألمها فهتف برجاء:



_افهميني يا ساري...الأمر ليس كما تظنين.

هزت رأسها وهي تهمس في سخرية مريرة:

_لم أعد أظن شيئاً...لقد اكتفيت من الظنون...

نظر إليها بيأس وهو يدرك حالتها الآن...

سخرية ساري الباردة هذه الآن تعني أن روحها تنزف ببطء...

تعني أن ألمها يعتصرها اعتصاراً...

ليتها تبكي...

ليتها تصرخ في وجهه...

بل ليتها حتي تصفعه كذلك اليوم!!!



لكن أن تواجهه بكل هذا البرود وبكل هذه السخرية فهذا يعني أن الأمر تجاوز الحد!!

تجاوزته لتصعد نحو شقتها فأمسك ذراعها لينظر لعينيها هامساً في ألم:

_أقسم لكِ أنني تغيرت...

أطرقت برأسها ثم حررت ذراعها منه لتهمس ببرود يخفي جرحها الملتهب:

_تصبح علي خير.

تركته لتصعد لشقتها تاركة إياه خلفها يختنق ألماً...

ماضيه التعس يلاحقه بسواده فلا يدع له فرصة للراحة معها....

حتي اليوم الذي وعدها فيه بالسعادة...



أخلف وعده لينتهي بها في هذه الحالة!!!

هل يعني هذا أن حياتهما لن تستقيم أبداً...؟!!

لا...سيثبت لها أنه تغير...

ليس بقوله فقط لكن بفعله...

سيخفف حصار عاطفته حولها ليرضي عقلها أولاً !!!

سيجاهد ماضيه الأسود بل سيطمسه!!!

ساري لا تستحق أقل من ذلك!!

=====

جلست جويرية في شرفة الشاليه تفكر في شرود...

صحيح أن حالتها النفسية تحسنت كثيراً...

لكنها لم تستعد بعد قدرتها علي النطق...



كما أنها لا تذكر شيئاً من أحداث ليلة زفافها الرهيبة...

يبدو أن صدمتها النفسية بما حدث ليلتها أفقدتها الذاكرة نسبياً لهذه الليلة...

كما أفقدتها القدرة علي الكلام...

بل إنها عندما تفكر في عمار الآن...

تشعر أنه ليس هو عمار الذي عرفته طوال عمرها...

تنهدت في حرارة وهي تفكر أنها افتقدته...

منذ استيقظت ولم تجده وهي تشعر بضيق خفي...

رغم أنها خمنت أنه ذهب يشتري بعض الحاجيات لهم من مكان قريب...



لكنها تشعر نحوه بشوق غريب!!!

لا...لم تعد مشاعرها نحوه تدهشها...!!!

لقد تعلقت به كثيراً...

وكيف لا تفعل؟!!

من هي المرأة التي يمكنها مقاومة همساته الصادقة ومناجاته الحارة لها كل ليلة؟!!

كل هذا وهو يعلم أنها لا تسمعه!!!

فكيف لو أراد أن يُسمعها ؟!!!!

شعرت بيد علي كتفها فالتفتت بذعر بدا واضحاً علي ملامحها....

عقد حاجبيه وهو يقول بضيق:



_لازلتِ تخافين مني يا جوري؟!

هزت رأسها نفياً وهي تبتسم في اعتذار...

ثم مدت يديها في جيب قميصه لتستخرج قلمه وتكتب علي كفه:

_لم أكن أعلم أنك أتيت ...لهذا خفت...

ثم نظرت إليه نظرة طويلة لم يفهمها...

لتكتب من جديد:

_لم أعد أخافك يا عمار...صدقني...

ابتسم بضعف ثم أظهرلها لفافة كان يخفيها خلف ظهره...

ابتسمت في مرح وهي تشير بكفها بمعني:

_ما هذا؟!



جذبها من كفها ...

ثم دخل معها ليغلق أنوار الشاليه حتي ساد الظلام تماماً...

التصقت به فضمها إليه هامساً:

_لا تخافي يا جوري...

فض اللفافة سريعاً فترقبت بلهفة ماذا ستكون...

برقت عيناها بمرح وهي تتبينه أخيراً بعدما سطع نوره حولها مع تلك الموسيقا المميزة...

إنه فانوس رمضان!!!

صفقت بكفيها في مرح ...

وهي تمسكه من طرفه وتلوح به كالأطفال ...

وأنغام الأغنية الشهيرة تنساب حولهما لتعيد لهما ذكرياتهما مع هذا الشهر الفضيل...



لم تشعر بنفسها وهي تتطاول علي أطراف أصابعها لتضمه ببراءة وهي تطبع قبلة علي وجنته!!!

كز علي أسنانه وهو يضم كفيه بقوة مانعاً نفسه بأعجوبة من أن يضمها إليه هو الآخر...

أغمض عينيه للحظات ...

يحاول استيعاب مشاعره العاصفة في هذه اللحظة!!!!

ثم قال لها بخشونة:

_سأستريح في غرفتي قليلاً...

نظرت إلي ظهره المنصرف في خجل يمتزج بالشفقة...



ما كان عليها أن تندفع هكذا...

عمار يعاني كثيراً في منع نفسه عنها كما تشعر...

ولم يكن تنقصه حركتها الحمقاء تلك!!!

جلست مكانها في شرود تتأمل الأنوار المتقطعة المنبعثة من فانوسها الجديد...

ما أروعك يا عمار!!

لقد أسعدتني هديتك بشدة...

ربما لهذا لم أفكر وأنا أضمك وأقبلك...

لقد كان شعوري بك وقتها خارجاً عن حدود الزمان والمكان...

خارجاً عن سيطرة عقلي وإرادتي...



شعور لن أحاول وصفه ولا تسميته...

ببساطة لأنني لا أجد له صفة ولا مسمي!!!

قامت من مكانها وتوجهت لزر الإضاءة لتعيد الأنوار للمكان...

ثم أغلقت زر تشغيل الفانوس...

ضمته لصدرها في حنان...

ثم عادت تنظر للغرفة حيث اختفي ذاك الرجل العجيب هناك!!

ذاك الرجل الذي كرهته لسنوات وتعاطفت معه في أيام...

لا ...ليس مجرد تعاطف ..

لكنه تعلُق...!!



تعلقٌ شديد بحنانه الذي لا يظهر في كلمات لكن تفضحه المواقف...

تعلقٌ بمناجاته الساحرة التي لا يقصد بها إغواءها ولا حتي التأثير عليها فهو موقن أنها لن تسمعها...

لكنه مع ذلك يداوم عليها وكأنه هو الذي يحتاجها ...

وكأنه ما عاد يقوي علي كتمان حبه أكثر!!!

تعلقٌ بوجوده وحضوره القوي الذي يشعرها بالأمان!!!

ابتسمت في سخرية وهي تفكر...

لو كان أحد ما أخبرها أنها ستشعر،مع عمار بالأمان لاتهمته بالجنون!!!

وها هي الآن تشعر بالقلق لمجرد أنه تركها لدقائق!!!



انقبض قلبها وهي تفكر...

هل سينفذ قاسم النجدي تهديده؟!!

هل سيطلقها من عمار حقا عندما تتعافي من هذه الحالة المؤقتة؟!!

بالتأكيد سيفعل!

قاسم النجدي لا ترد له كلمة!!!

ماذا عساها ستفعل وقتها؟!!!

تنهدت في حرارة وهي تجلس علي كرسي المائدة مسندة رأسها علي كفها في شرود....

هل ستقف في وجه النجدي الكبير من جديد لتطلب منه ألا يطلقها من عمار....

كما وقفت في وجهه من قبل تطلب ألا يزوجها له؟!!!!

يالسخرية الظروف!!!!



وعلي فراشهما تمدد عمار متدثراً بألمه قبل غطائه!!

أي عذاب هذا الذي يحياه وهي جواره ...؟!!!!

زوجته وحبيبته ولا يستطيع حتي احتضانها لتستشعر قوة عاطفته نحوها....

لو كان ما يحدث له الآن عقاب له علي ذنبه معها....

فهو وفّي عقابه بل زاد!!!

مهما حكي...

لن يستطيع وصف شعوره بها عندما احتضنته وقبلت وجنته...

تلك الطفولية البريئة الشهية...

المتألقة بنضارة زهر الجوري...

هي فعلاً جوريته الجميلة...

معذبته وقاتلته !!!



وقفت مارية في شرفة منزل رياض تعلق زينة رمضان المميزة علي الحائط...

ابتسمت بسعادة وهي تشعر بحلاوة طقوس رمضان هنا في مصر...

لم يتبق علي الشهر الفضيل سوي بضعة أيام...

وهي تنتوي أن تصومه هذا العام كاملاً....

انتهت من تعليق الزينة فنفضت كفيها وهي تقول لمروة التي وقفت تساعدها:

_ما رأيك الآن؟!

صفرت مروة في مرح شقي وهي تهتف:

_رائع يا مارية...ستكون شرفتنا الأكثر تميزاً في البناية كلها.

ضحكت مارية ثم قالت بحزن:



_كنت أتمني لو يبقي زياد حتي يقضي معنا رمضان...لكنه سافر للأسف...

همست مروة بتأثر:

_إنها المرة الأولي التي سنصوم فيها دون أن يشاركنا الإفطار...

ربتت مارية علي كتفها بحرارة.في مواساة...

ثم اصطحبتها لغرفتهما....

جلست مارية علي حاسوبها تتابع بريدها الاليكتروني....

لتجد عشرات الرسائل من آندي كالعادة....

ابتسمت في حنين وهي تفكر...

آندي العزيز هو الذي ساعدها علي الحصول علي كتب في اللغة العربية ودراسة القرآن...



وهو الذي حجز لها تذاكر السفر بنفسه...

لقد ساعدها حقاً لتختار علي اقتناع أي الطريقين ستسلكه...

لقد قال لها يومها بالحرف أنها تحتاج لأن تختار وتدافع عن اختيارها بقوة تليق بها وهو يثق بذلك...

آندي العزيز يدعمها دوماً بثقته فيها...

لهذا ستبقي ممتنة له طوال عمرها!!!

تنهدت في حرارة وهي تتابع البحث في رسائلها لتجدها...

نعم...

رسالة من حمزة النجدي!!!!



خفق قلبها بقوة وهي تفتحها لتقرأ:

_عزيزتي مارية...

لقد وعدتني أن تصومي رمضان هذا العام كاملاً لكنك لم تخبريني وقتها أنكِ لن تكوني معي...افتقدتك يا مارية...لا أبالغ لو أخبرتكِ أن كل الأشياء هنا تفتقدكِ معي...كل شئ فقد معناه منذ رحلتِ ...لكنني أتمني أن تكوني سعيدة...كم اشتقت لمصر...والآن أشتاقها أكثر...لأنها الآن موطن محاربة شجاعة أسعدني القدر بمعرفتها...محاربة هي أنتِ يا مارية....انتبهي لمعركتكِ جيداً...وسلاحكِ فيها بصيرتك...فطرتك النقية سترشدكِ للطريق...ربما لا أكون معكِ بجسدي...لكنني أدعو لك دوماً من كل قلبي...



انتهت رسالته التي قرأتها مراراً لا تدري عددها...

لكن إحساسها بها لم ينتهِ...

لقد قرأت بين كلماتها همسات صادقة من شوقه إليها...

من ندمه علي تركه لها...

من إعجابه بها...!!!

تنهدت في حرارة وهي تتمني لو ترد علي رسالته...

لو تخبره كم تشتاقه هي الأخري...

لو تخبره أنها لو تركت العنان لقلبها لاستقلت أول طائرة وعادت بها إلي لندن...

لكنها ....لم تفعل!!!



أغلقت حاسوبها ببطء وكأنها تغلق معه أبواب ترددها كلها...

لن تسمح لحمزة النجدي بالعودة إلي حياتها إلا عندما ترسو علي قرار...

عندما تختار طريقها باقتناع....

ساعتها يمكنها أن تسمح له أن يعيد المحاولة...

أن يسترضيها ويشبع كبرياءها قبل قلبها....

أن تؤلمه يده من قوة طرقه علي الباب الذي سبق وأغلقه في وجهها!!!!!

=====

جلس ياسين في شركته ينقر بقلمه علي المكتب في شرود...

ابتسم في حنان وهو يتذكر غاليته رقية...



تلك التي هبطت من علياء جنان الحب لتسقط حورية علي عالمه...

منذ تلك الليلة التي أخبرها بعلمه عن حبها له...

وهو يشعر بتغير في معاملتها معه...

صارت أكثر شروداً وتحفظاً...

وكأنها تخجل من مشاعرها نحوه...

وكم يحزنه هذا!!!

هو لم يشأ أن يحرجها يوم قال لها هذا...

بل علي العكس...

لقد أراد أن يكسر حاجز الكلفة بينهما...

أن يكسب ثقتها وصداقتها...

لكنه للأسف...



زاد الحواجز بينهما أكثر...!!!

تناول هاتفه من جواره...

ثم اتصل برقمها...

ليصله صوتها قائلة بهدوء:

_كيف حالك يا ياسين؟!هل تريد شيئاً؟

ابتسم وهو يقول بحنان:

_افتقدتك يا غاليتي.

لم يصله صوتها للحظات...

لتقول بعدها في تماسك:

_هل تريد شيئاً آخر؟ !

مط شفتيه في أسف وهو يلاحظ تهربها من جملته...



ثم همس بهدوء:

_لا يا رقية...كنت أريد فقط الاطمئنان عليك...

صمتت للحظات ثم سألته:

_هل يمكنني الذهاب لأبي الآن؟!

نظر لساعته ثم قال لها برفق:

_انتظري ساعتين وسآتي معك...فلدي اجتماع هام بعد دقائق.

قالت بهدوء:

_لا تتعب نفسك...والدي سيرسل لي سائقاً يصطحبني.

عقد حاجبيه وهو يقول بضيق:

_لا يا رقية...لا أحب أن تركبي وحدك مع السائق...اصبري ساعتين فقط وسآتي أنا.



لم يصله ردها للحظات فهمس بحذر:

_رقية.

جاءه صوتها مختنقاً وهي تهمس:

_حسناً يا ياسين...كما تشاء.

قالتها وأغلقت الخط بسرعة...

زفر في ضيق وهو يستشعر أنها كانت تبكي...

يبدو أنها ضائقة من شئ ما ولهذا تريد الذهاب إلي والدها...

تناول مفاتيحه وغادر مكتبه بسرعة...

ثم قال لمساعدته في حزم:

_أجلي الاجتماع لغد!



وبعد عشر دقائق كان يفتح باب شقتهما ليجدها كما توقعها...

تبكي وحدها علي الأريكة...

رفعت رأسها بسرعة عندما لمحته...

ثم مسحت دموعها لتسأله بثبات:

_لماذا عدت مبكراً؟!

جلس جوارها ثم ضمها إليه ليهمس في أذنها بحنان:

_لقد ألغيت الاجتماع.

لم تستطع رفع عينيها إليه وهي تسأله:

_لماذا؟!

رفع ذقنها إليه وهو ينظر لعينيها هامساً:

_أنتِ أهم!

هربت بعينيها من عينيه فسألها :



_ماذا يبكيكِ يا غاليتي؟!

تنهدت في حرارة وهي تهمس:

_دعنا نذهب لأبي...

همس بحنان:

_رقية...صارحيني بما يزعجكِ...ألست صديقكِ الآن؟!

ترددت لحظات ثم همست بألم:

_أنا أكاد أختنق هنا...هذا المنزل يكاد يطبق علي أنفاسي...في البداية حادث آسيا...ثم حكاية جوري البائسة وما حدث لها...وساري التي فقدت مرحها وصارت عابسة دوماً...العمة فريدة وشفقتي عليها...والدتك التي ...



قطعت عبارتها وهي تطبق شفتيها بقوة مانعة نفسها من البوح أكثر...

فعقد حاجبيه وهو يسألها بحذر:

_ماذا عن والدتي؟ !

هزت رأسها لتهمس باقتضاب:

_لا شئ...مجرد زلة لسان.

ظل عاقداً حاجبيه للحظات وكأنه يفكر في شئ ما...

ثم ضم رأسها لصدره وهو يهمس بصوته المداوي لكل الجروح:

_كل هذا كثير علي قلب رقيق كقلبك...لكن ما حيلتي يا رقية؟! إنها عائلتي...

رفعت رأسها

إليه لتقول بحزن:



_لا أريد أن أثقل عليك يا ياسين...أنا أعرف نفسي جيداً عندما يصيبني هذا الاكتئاب...دعني أبق مع والدي ليومين وسأكون بخير...

هز رأسه نفياً وهو يهمس بحنان:

_لن أتركك تذهبين وحدك...سأبقي معكِ هناك...

أشرق وجهها وهي تهتف بفرح:

_حقاً؟!

أومأ برأسه إيجاباً وهو يقول بأسف:

_لو لم أكن مرتبطاً بأعمال ضرورية لأخذتك في إجازة لمنزلنا في الساحل...

همست برقة:

_لا عليك...كفي أن أكون جوار أبي...أنا أحتاجه هذه الأيام.



عقد حاجبيه وهو يشعر بضيق خفي...

لا يدري لماذا يشعر دوماً بالغيرة من علاقتها بوالدها...

ربما لأنه يريد أن تكون له نفس المكانة عندها...

مجرد شعوره أنها تحتاج لغيره -ولو كان والدها- يقدح في رجولته!!

أبعدها عنه برفق ثم قام ليستكشف شيئاً ما...قائلاً لها بهدوء:

_بدلي ملابسك حتي أدبر أمراً ما بالخارج...

هزت رأسها بموافقة...

فغادر شقتهما ليتوجه نحو شقة والدته بالأسفل...



نعم...هو لم يغفل عن إشارة رقية إليها في حديثها...

لكنه يعلم أن رقية لن تفصح عن شئ...

ستكتم ألمها في صدرها كما تفعل دوماً...

لكنه سيعرف...

يجب أن يعرف ما الذي يدور هنا؟!!

فتحت له راجية الباب لتبتسم هاتفة بحنان:

_أهلا يا بني...تفضل...

قبل رأسها باحترام وهو يقول:

_كيف حالكِ يا أمي؟!

ربتت علي كتفه وهي تقول :

_بخير يا بني.



سار معها حتي جلسا علي الأريكة ...

وبعد أحاديث متفرقة بينهما أثارها حتي لا يبدو سؤاله القادم متعمداً...

سألها:

_كيف حال رقية معكِ؟!

تغير وجهها وهي تمط شفتيها في استياء فتحقق من ظنونه...

بينما هتفت راجية بسخط:

_عندما حظينا بهذا النسب كدت أطير من الفرح لكن يبدو أن هذه الفتاة تتكبر عليك بنفوذ والدها...

عقد حاجبيه وهو يحاول تمالك نفسه ليسألها :

_لماذا تقولين ذلك؟!



هتفت راجية بحنق:

_لماذا لم تحمل طفلاً منك إلي الآن؟!

اتسعت عيناه في ارتياع وهو يسألها:

_هل تكلمتِ معها في هذا الأمر؟ !

هتفت بغضب:

_عشرات المرات...وكل مرة تقول لي أنه لم يحن الأوان لذلك...حتي فاض بي الكيل وواجهتها بما في قلبي...أنت تعلم أنني لا أستطيع منافقة أحد...

ازدرد ريقه ببطء وهو،يسألها بحذر:

_ماذا قلتِ لها بالضبط؟!

لوحت بكفها وهي تهتف:

_الحقيقة! من الواضح أن ابنة عاصم الهاشمي تتكبر علينا...



خبط بقبضته علي مسند مقعده وهو يقول بضيق:

_لماذا قلتِ لها هذا يا أمي؟! رقية ليست أبداً كما تظنين.

هزت رأسها وهي تكاد تبكي هاتفة:

_هذا البيت يحتاج لفرحة يا ياسين...نحن لا نكاد نفيق من مصيبة حتي تتلوها أخري...في البداية كانت آسيا...ثم جوري...عمار يوجع قلبي بشدة...يتألم ويخفي في نفسه...ويعرف أن جده سيجبره علي طلاقها ويبعده عن بيت العائلة عقاباً له ومع هذا يتصنع الصبر ولا يشكو حتي...أنا واثقة من أنه لم يقصد إيذاءها وكيف يفعل؟! وروحه معلقة بها؟ !! وحذيفة حبيس غرفته منذ يومين لا يخرج مع رفقائه كعادته ويبدو عليه الاكتئاب...كل أملي كان فيك يا ياسين...أن تحمل لي الفرحة التي أشتاقها وتشتاقها العائلة كلها....



ابتلع ياسين غصته وهو لا يدري ماذا سيقول...

والدته محقة فيما قالته عن التعاسة التي صارت تخيم علي هذا البيت...

لكن ما ذنبها رقية في كل هذا...؟!!!

بل إن المسكينة تحملت إلحاحها في موضوع الإنجاب هذا طوال الفترة السابقة ولم تشكُ له حتي!!!

قبل رأس والدته بحنان ثم قال لها برجاء:

_لو كنتِ تريدين سعادتي حقاً...فلا تؤذيني في رقية يا أمي...أنا أقدرها كثيراً واعلمي أن قلبها الطيب لا يحمل مثقال ذرة من غرور...علي العكس...هي تحبني...تحبني جداً...



تهدج صوته في عبارته الأخيرة وهو يستشعر صدقها....

رقية لازالت تصبر علي ما لا تصبر عليه امرأة مكانها دون شكوي...

حتي عندما فاض بها الكيل اختارت أن تبتعد لمنزل عائلتها حتي لا تحمله همها....

أي مخلوقة رائعة هذه؟!

بل أي ملاك؟!!!

ربتت راجية علي رأسه وهي تقول بحنان:

_أنا لا يهمني سوي سعادتك يابني...مادمت راضياً عنها فهذا يكفيني.



ابتسم بضعف وهو يكرر عبارتها في نفسه...

راض عنها؟! !

من هو كي يرضي أو لا يرضي؟!!

إنها رقية الهاشمي!!!

كنزه الذي جاءه متأخراً للأسف...

لكنه لن يضيعه أبداً!!!

قام من جوار والدته ليقول بهدوء:

_أنا أعرف أنني لن أحتاج للحديث معكِ في هذا الأمر ثانية...أنتِ ستعتنين برقية كما تعتنين بي تماماً...أليس كذلك؟!

ابتسمت في حنان وهي تسأله:

_تحبها يا ياسين؟!



أغمض عينيه بقوة...

وقلبه يفرض عليه الإجابة الوحيدة المنطقية...

من الذي لا يحب رقية الهاشمي؟!!

من يمكنه ألا يحبها؟!!!!

لكن صورة باهتة من الماضي لازالت تؤرق كوابيسه...

كيف تسمح لنفسك بالعشق والحياة بعدي يا ياسين...

وأنا التي مت لأجلك؟!!!!

أنا آسيا...

هل نسيتني يا ياسين؟!!!



قطعت والدته الصراع المحتدم بداخله وهي تهمس بقلق:

_ألا تحبها يا ياسين؟!

ابتسم بشحوب وهو يأخذ نفساً عميقاً ثم قال بمواربة:

_رقية تستحق الحب كله يا أمي.

تنهدت في ارتياح وهي تقول:

_أسعدكما الله يا بني...ورزقكما الذرية الصالحة....

ابتلع غصته وهو يغادر شقة والدته...

ليعود لتلك الصابرة هناك...

وجدها قد بدلت ملابسها تنتظره بترقب...

فاقترب منها ليطبع علي جبينها قبلة اعتذار عميقة...

ثم سألها بعتاب:



_لماذا لم تخبريني عن مضايقة أمي لكِ بشأن موضوع الإنجاب هذا؟!

اتسعت عيناها وهي تهمس في خجل:

_هي من أخبرتك؟!

أومأ برأسه إيجاباً ...

فأشاحت بوجهها وهي تهمس:

_لا عليك يا ياسين...الأمر بسيط.

أحاط وجهها بكفيه وهو يتطلع لعينيها هامساً:

_ليس بسيطاً يا رقية...لكنكِ أنتِ العظيمة التي تهون أمامها الأشياء...صدقيني لو أخبرتك أن عمري كله لن يكفي لتعويضك عن كل هذا الذي تحملتِه صابرة معي...

دمعت عيناها وهي تهمس:

_يكفيني تقديرك هذا...



ابتسم لها في حنان عندما رن هاتفها برقم والدتها...

تناولته ببساطة لتجيبها...

ثم صمتت للحظات تستمع...

اتسعت عيناها في صدمة...

وصدرها يعلو ويهبط في انفعال هادر...

سقط الهاتف من يدها وهي تصرخ بحرقة:

_قتلوا أبي يا ياسين!

====



الفصل الخامس عشر:

خرجت إكرام من غرفة عاصم التي أصرت رقية علي ألا تغادرها منذ وفاته لتلتقي بياسين الذي سألها بقلق:

_ألازالت ترفض الطعام؟!

مسحت إكرام دمعها لتقول بكبريائها المعهود:

_بلي...لقد فشلت كل محاولاتي معها....

تنهد ياسين ثم همس بحزن:

_سأحاول معها من جديد.

دخل الغرفة بهدوء...

ليروعه منظرها وهي تجلس علي سرير والدها....



تحتضن وسادة عاصم تدفن وجهها فيها ...وجسدها ينتفض بالبكاء....

اقترب منها ببطء ليجلس جوارها هامساً بحنان:

_رقية...

لم ترفع وجهها إليه لكن انتفاضة جسدها هدأت نوعاً فعاد يهمس:

_انظري إلي يا غاليتي.

رفعت وجهها إليه ببطء ...

فضم رأسها لصدره كعادته وهو يربت علي شعرها هامساً بحزن لم يفارقه حنانه المعهود:

_هل تذكرين يوم قلتِ لي أن الدعاء أفضل من هذا الانهيار.



عاد جسدها ينتفض وهي تهمس وسط دموعها:

_رغماً عني يا ياسين...لقد كان هو سندي وقوتي في هذه الدنيا ...لم يعد لي سند ...

رفع وجهها إليه وهو يهمس في عتب:

_وأنا يا رقية؟!

هزت رأسها في عجز وهي تهمس بشرود وكأنها لم تسمعه:

_كنت أحتاجه...كنت في طريقي إليه...كنت سأرمي همومي كلها علي صدره ثم أنساها في نفس اللحظة...كما كنت أفعل دوماً...لقد رحل في أشد أوقاتي احتياجاً إليه...



أغمض عينيه في ألم وهو يشعر بالعجز...

رقية الغالية تشعر بالانكسار بعد وفاة والدها...

كم يتمني لو يستطيع أن يشعرها بالأمان الذي افتقدته...

لو يكون لها سنداً كما كانت هي طوال أيامها معه..

لو يعوضها -ولو بجزء بسيط-بعض ما افتقدته من حنان العزيز الراحل...!!

نظر إليها عندما قامت لتقف وهي تهمس مشيرة للغرفة في ألم يمتزج بشرودها:

_هنا كان يعيش أعظم رجل عرفه عالمي...هنا كنت أجد الأمان من كل شرور الدنيا ومخاوفها...هنا كانت رقية الهاشمي القوية التي يعرفها الجميع تبكي بلا خجل علي صدره فيتفهم حزني بلا ملل ولا شكوي...



هنا كان يدللني ...يمنحني الثقة ويدفعني لأكون أقوي...يمنحني دعمه وخبرته...ويرقبني بفخر وكأنني أعظم النساء...هنا كبرت أمامه يوماً بيوم وكبر معي إعجابي برجل لم يكن مجرد أب...لكنه صورة مجسدة من كل الصفات التي عشقتها في حياتي....هنا كان يعيش عاصم الهاشمي...هنا كنت أعيش أنا...

ثم انهارت في البكاء وهي تضع يدها علي صدرها صارخة في ألم:

_أشعر أني مت يوم مات!

انتفض من مكانه وهو يندفع إليها ليحتضن جسدها المنتفض بين ذراعيه وهو يهتف بقلق:

_اهدئي يا رقية...



ظلت تبكي علي صدره وهي تشعر بضعف بالغ...

لم يعد لها أحد...

لقد رحل عاصم...

وسافر بلال...

وياسين...

آه من ياسين!!!

جرح كبريائها الغائر...

ودواؤه!!!!

مرض قلبها المؤلم وشفاؤه...!!!

ياسين الذي لازالت تعاني مشاق طريقها الطويل معه...

وهي ليست واثقة في النهاية من نجاح مسعاها...



ليتها كانت تحارب امرأة أخري أو حب قديم...

ربما كان هذا محتملاً...

لكنها تحاربه هو نفسه!!!!

تحارب ضميره الذي يمنعه أن يستمر في الحياة وينسي التي ماتت لأجله!!!

تحارب قلبه الذي تربي بعشقها صغيراً وكبر معها يوماً بيوم !!!

تحارب ماضيه الذي يخنق حاضره ويحرمه حق الحياة!!!

تحارب،كل هذا وحدها...

نعم...الآن وحدها تماماً....!!!



رفع وجهها إليه وهو يهمس بحرارة:

_أقسم لكِ يا رقية...أنكِ الآن أغلي ما في حياتي...سأكون دوماً سندك وأمانك...أفتدي دمعكِ هذا بكل عمري!

نظرت إليه في تشتت...

رغم حرارة كلماته...

رغم الصدق الذي تنبض به حروفها...

لكن ياسين لم يذكر شيئاً عن الحب!!!

ربما تشعر بحنانه الأصيل الذي لا يتركه أبداً...

تشعر بتفهمه وعطفه مع امتنانه...

لكن يبقي الحب طريقاً آخر لن يسيرا فيه سوياً كما يبدو...!!!

=====



_أين ساري يا عمتي؟!

هتف بها حذيفة في ضيق وهو واقف أمام باب شقة فريدة التي قالت بحيرة:

_لقد سافرت يا بني...ألم تخبرك عن ذلك؟!

قست ملامحه وهو يسألها بغضب :

_أين سافرت؟!

قالت فريدة في ارتباك وهي تستشعر أن الأمور بينهما ليست علي ما يرام:

_سافرت في رحلة للاسكندرية اليوم مع زملائها في الجامعة.

كز علي أسنانه وهو يسألها:

_متي ؟!

ردت فريدة بقلق:



_لقد ذهبت للجامعة منذ عشر دقائق فقط حيث سيتجمعون هناك....لو كنت جئت مبكراً قليلاً لأدركتها.

أخرج هاتفه من جيبه ليتصل بها لكنها أغلقت الاتصال كعادتها منذ بضعة أيام...

بالتحديد منذ تلك الليلة التي التقت فيها بتلك الفتاة التي سممت بكلماتها الحمقاء أفكارها ...

بعدما كاد يقنعها بصدق عواطفه....

زفر بقوة وهو يقول لفريدة بحزم:

_هاتفيها أنتِ يا عمتي....

تناولت فريدة هاتفها لتتصل بها...

فردت ساري بهدوء:

_مرحباً يا أمي.



كادت فريدة ترد عليها عندما اختطف حذيفة الهاتف من يدها ليقول بحزم يختلط بالقسوة:

_عودي الآن للبيت وإلا فلا أضمن لكِ ما سأفعله!

أجفلت ساري عندما سمعت صوته واضطرب قلبها بعنف...

صوته الغاضب القاسي جعلها تتردد قليلاً...

ثم قالت في النهاية:

_ماذا ستفعل لو لم أعد؟!

كز علي أسنانه حتي هيئ إليها أنها سمعت صوت اصطكاكهما وهو يقول بقسوة:

_لقد جربتِ جنوني من قبل...هل تريدين اختباره هذه المرة أيضاً؟!



ازدردت ريقها بتوتر...

ثم لم تجد ما تقوله فأغلقت الاتصال...

تناولت حقيبتها واعتذرت لصديقاتها بسرعة...

ثم عادت إلي المنزل...

لتجده ينتظرها في مدخل البيت وشياطين الغضب تتقافز علي وجهه...

أغلقت باب البيت خلفها وتحاشت النظر إليه وهي تقول ببرود:

_ها قد عدت...ماذا تريد؟!

اندفع نحوها ليمسك ذراعها بقسوة هاتفاً:

_هل تتعمدين إثارة جنوني؟!!!

تأوهت بضعف ثم قالت بغضب :



_دع ذراعي...لا تعاملني هكذا...أنا لست جارية عندك...

هزها بعنف وهو يهتف بحدة:

_بل أنتِ كذلك...يبدو أنني أسرفت في تدليلك طوال الفترة السابقة حتي تجاوزت حدودك.

دمعت عيناها بقوة لكنها أخذت نفساً عميقاً لتمنع سقوطها علي وجهها....

فيما أردف هو بسخط:

_كيف تسافرين دون علمي؟! وماذا فعلت أنا لكل هذه القطيعة؟!!! أنتِ تعرفين ماضيّ الأسود كله...ووعدتكِ أن أتغير لأجلك...ماذا أفعل لكِ غير ذلك؟!

هتفت بحدة:



_لم أعد أريدك أن تفعل شيئاً...تضحيتك العظيمة بماضيك القذر لا تهمني بعد...يمكنك العودة له لو أردت.

قالتها وهي تنفض ذراعها من يده...

لتصعد السلم عدواً نحو شقتها...

فتحت الباب لتعدو نحو غرفتها وتغلق بابها خلفها...

ثم ارتمت علي سريرها تبكي بعنف....

ماذا يعرف هذا عن عذابها طيلة الأيام السابقة؟!!!

ماذا يعرف عن كلمات صديقته العابثة التي ذبحتها ذبحا؟!



ماذا يعرف عن نزيف كرامتها قبل قلبها المجروح؟!!!

يأتي الآن يتبجح مطالباً بحقوقه عليها؟!!!

أين كان طيلة الأيام السابقة؟!!!

ألم يتذكرها إلا الآن فقط؟!!!

قطعت أفكارها عندما سمعت صوت باب غرفتها يفتح بقوة...

رفعت رأسها لتجده هو....

مسحت دموعها بسرعة وهي تشيح بوجهها عنه...

بينما تطلع هو لدموعها بعجز وهو لا يدري ماذا يفعل؟!!!



طيلة الأيام السابقة وهو حبيس غرفته يفكر...

كيف يمكنه أن ينسيها ما سمعته تلك الليلة..؟!!!

كيف يمكنه أن يغرس فيها الثقة بحبه لها...؟!!!

كيف يسترضيها ويمنحها الأمان الذي تفتقده؟!!!

لكن فعلتها هذا الصباح وسفرها دون علمه أثارت جنونه...

هو حذيفة النجدي...

لا يسمح أن تعامله امرأة بهذا التجاهل والاحتقار!!!

حتي لو كانت ساري التي يحبها الآن من كل قلبه...!!

كان بكاؤها قد هدأ نوعاً فوقفت لتعقد ساعديها علي صدرها لتقول ببرود:



_ماذا تريد الآن؟!

ضم قبضته بقوة وهو يقول بغضب مكتوم:

_لم أعد أحتمل طريقتك هذه يا ساري...لم أعد أحتمل معاملتك لي وكأنني طفل معاقَب...

رفعت رأسها لتقول بكبرياء:

_هذا أسلوبي...وهذه طريقتي...احتمله أو....!!!

قطعت عبارتها دون أن تكملها...

فاقترب منها ببطء ثم ضيق عينيه وهو يسألها بحذر:

_أو ماذا؟!

أشاحت بوجهها دون أن ترد...



فضرب بقبضته علي الجدار جواره بقوة...

ليصطدم بصره بثوبها الوردي الذي اشتراه لها هناك في زاوية الغرفة...

ممزقاً لقطع صغيرة...!!!!

تحرك حتي وصل إليه ليلتقط قصاصاته هاتفاً بغضب هادر:

_لماذا فعلتِ هذا؟!

رفعت أنفها تقول بكبرياء:

_إذا كنت تخجل من مظهر "المسترجلة" التي ستتزوجها...فأنا لا أخجل...أنا أحب ملابسي ولن أغيرها.

توجه نحوها ليهتف باستنكار:



_أخجل منك؟! من وضع برأسكِ هذه الفكرة؟!

أشاحت بوجهها فعرف فيمَ تفكر...

لابد أنها كلمات تلك الحمقاء التي قذفتها في وجهها تلك الليلة...

لوح بكفه وهو يقول بغضب يائس:

_لم أعد أعرف ماذا أفعل معك!!!

التفتت إليه لتقول بتماسك خانها فيه دمعها الذي ملأ عينيها من جديد:

_ولا أنا!!! أنا مزقت ثوبك قطعة قطعة...ولو استطعت أن أفعل هذا بقلبي لفعلت!



كاد يرد عليها بحدة عندما حانت منه التفاتة لحاسوبها الذي كان مفتوحاً علي رسالتها لبلال...

توجه نحوه ليقرأ رسالتها إليه ثم نظر نحوها ليهتف بانفعال:

_لماذا تراسلين هذا الرجل بعد؟!

أشاحت بوجهها وهي تقول:

_كنت أعزيه في وفاة والده!

اندفع نحوها ليعتصر كتفيها بقبضتيه هاتفاً بقسوة:

_وطبعاً أنتِ الصدر الحنون الذي سيحتوي آلامه...أليس كذلك؟!

عقدت حاجبيها وهي تصرخ بوجهه:

_اخرس...لم يعد سوي أنت الذي يحدثني عن شرفي أنا؟!!! هل تظن الناس كلها مثلك؟!!



ازدادت قسوة قبضتيه علي كتفيها وهو يهتف بجنون لم يعد يستطيع السيطرة عليه:

_لقد حاولت تغيير نفسي لأجلكِ لكنكِ لا تستحقين...حسناً يا ساري...مادمتِ ترينني سيئاً علي أي حال فسأعود لما كنت عليه...من الليلة سأعاود الخروج مع رفيقاتي...

ثم اقترب من أذنها ليهمس بصوت مسموم:

_بل سأقضي الليلة مع واحدة بعينها...وأريني ماذا ستفعلين!!

أغمضت عينيها بقوة واسترخي جسدها المتشنج تحت قبضتيه العاصرتين لكتفيها ...

وهي تشعر باستسلام غريب...!!!!!!

انتظمت دقات قلبها فجأة بعدما وعت كلماته التي ألقاها حرفاً حرفاً!!!!



الآن يهدأ الصراع بين قلبها وعقلها الذي كان يؤرقها...!

الآن تستريح من تأرجح مشاعرها بين تصديقه وتكذيبه...!!!

الآن يعود حذيفة إلي قواعده سالماً...!!!

دون أطياف الحب الذي كان يدعيه...

دون دور العاشق المخلص الذي تقمصه...

دون رداء حنانه وتفهمه الذي خلعه أخيراً...

الآن يتفق قلبها وعقلها معاً...

حذيفة لم يحبني...

ولن يفعل!!!



حذيفة ليس بقادر علي الحب أصلاً!!!

ذنوب ماضيه تطوقه ولا يستطيع الفكاك منها!!!

لكنها لا تملك ما تفعله...

هي التي اختارته وستتحمل نتيجة اختيارها...

حتي وهو يظن أنه أجبرها علي اختياره ليلة زفاف جوري بتهديده الحقير لها...

لكن مالا يعلمه هو أنها ما كانت أبداً لتختار بلال الهاشمي أو غيره...

وجوده وحده في أي معادلة مع أي رجل كان سيحسم الأمر لصالحه!!!

وقف أمامها بعدما انحسرت موجة غضبه ليدهشه سكون جسدها فجأة تحت قبضتيه...



فتحت عينيها المغمضتين لتهمس بهدوء غريب:

_لن أفعل شيئاً..فافعل أنت ما شئت.

قالتها وهي تزيح كفيه من علي كتفيها برفق...

ثم همست وهي تثبت عينيها أمام عينيه بلهجة غريبة:

_فقط أخبرني في كل مرة تمس فيها امرأة غيري...أخبرني فحسب.

قالتها وهي تفكر أنها ستصنع من سم خيانته لها ترياقاً تشفي به من حبها المريض له!!!

في كل مرة سيمس فيها امرأة غيرها ستمزق من نسيج عشقه المتين قطعة ...

حتي يتساقط قطعة قطعة...



تماماً كثوبه الوردي!!!

ساعتها ستلقيه -مثل ثوبه-في زاوية قلبها ...

كخرقة بالية!!!!

عقد حاجبيه وهو يشعر أنه لا يفهمها...

لا يفهم طلبها الغريب،هذا...

لا يفهم سر سكونها واستسلامها بعدما كان جسدها ينافس لسانها في ثورته!!!

لا يفهم هذا الهدوء العجيب الذي سيطر عليها فجأة بعد تهديده !!!

لقد توقع أن تزيدها كلماته ثورة!!!!

أن يحنقها تهديده لها بخيانتها!!!

لم يتوقع أبداً سكينة هدوئها هذا!!!



أطرق برأسه للحظات ...

ثم غادر غرفتها بخطوات متثاقلة...

مغلقاً بابها خلفه!!

وكم من الأبواب ستغلق بينهما هذه الليلة!!

====

وقفت ساري في شرفة غرفتها تنتظر مجيئه...

لقد خرج الليلة كما هددها...

منذ ساعتين...

بالتحديد...منذ مائة وعشرين دقيقة وثلاثين ثانية!!

لا عجب أنها حسبتها بهذه الدقة!!!

فكل ثانية كانت تمر عليها كانت تقتل صبرها ببطء!!!



تنهدت في حرارة وهي تغمض عينيها...

تتصوره وهو يلتقي إحدي رفيقاته...

ربما تلك الصهباء الفاتنة التي رأتها معه ذات مرة...

تتخيله وهو يقبل كفها ...

ثم يداعب باطنه بسبابته كما كان يفعل معها...

يعتصرها بين ذراعيه ليلقي في أذنها المزيد من همسه الساحر...

يميل علي شفتيها ما بين قبلات خفيفة كالمطر...

أو عميقة تطالب بالمزيد...!!!!

نهرها عقلها عن جلد الذات الذي تمارسه هذا ...

لكنها لم ترتدع...

إنها تريد أن تزيد قسوة عذابها به أكثر...



أن تحرق نفسها بنيرانه بصورة أقوي وأقوي...

حتي يتعلم قلبها درسه جيداً...

فلا يرق -بعد-ولا يلين!!!

فتحت عينيها عندما سمعت صوت الباب الخارجي للمنزل يفتح...

لقد عاد...!!!

تقدم نحو مدخل البيت بخطوات بطيئة...

رفع رأسه نحو شرفتها...

لتلتقي عيناهما طويلاً...

في حديث ليس كأي حديث...!!!!

قبل أن تنسحب هي لتعود لغرفتها بهدوء...



جلست علي طرف فراشها وهي تتطلع لباب شرفتها الذي تركته مفتوحاً لعله يعبر من شرفته إلي شرفتها كما فعل من قبل..

راهنت نفسها علي أنه سيأتي ليعترف لها بخيانته كما طلبت منه...

حذيفة العنيد لن يضيع هذه الفرصة!!!!

ظلت تنظر للشرفة لبضع دقائق أخري...

حتي طال انتظارها كثيراً...

مرت بها الساعة تلو الساعة...

لكنه لم يأتِ!!!

تمددت علي فراشها تتطلع للسقف في شرود...

تعال يا حذيفة...!



تعال أخبرني عن ليلتك...!!

تعال واذبحني بكل تفاصيلها حتي أتعلم درسي جيداً...!!!

حتي يفيق قلبي الغافل من أوهامه ويصدق حديث عقلي عنك!!!

سالت دموع خائنة علي وجنتيها فمسحتها بسرعة وهي تهمس بصوت مسموع:

_لم يحن بعد أوان الدموع...سنبكي طويلاً لكن ليس الآن...

ظلت ترددها وكأنها تهذي بها حتي غلبتها عيناها بالنوم....

لتراه في حلمها...

كأجمل ما يكون...

بطلته التي تأسرها...



بابتسامته التي تذيبها...

بهمسه الذي يعرف طريقه جيداً إلي قلبها!!!

ممسكاً بثوبه الوردي ...ليتقدم نحوها هامساً:

_إنه لكِ...أنا وهو...كلانا لكِ!!!

لتبتسم في سعادة وهي تلتقطه منه بلهفة...

فيتحول لون الثوب فجأة إلي الأحمر...ثم إلي الأسود...

ثم لم يعد ثوباً...لقد تحول لأفعي مخيفة برزت أنيابها...

فصرخت بقوة:

_سأمزقه يا حذيفة...سأمزقه يا حذيفة.



ظلت تصرخ بها تباعاً حتي انتفضت من نومها فجأة علي صوته جوارها يهمس بقلق:

_ساري...استيقظي..

نظرت إليه بفزع وهي لا تزال تحت تأثير الحلم...

فضم رأسها لصدره وهو يربت علي شعرها بصمت...

دفعته بكفها في رفق...

وهي تنظر للغرفة حولها بتشتت...

فصب لها كوباً من الماء من الدورق علي الكومود جوار سريرها...

ثم ناوله لها وهو لا يزال علي صمته...!!!



تناولته منه لتشرب ثم وضعته علي الكومود...

لتنهض من سريرها وتتوجه للشرفة في شرود...

أخذت نفساً عميقاً تحاول أن تملأ صدرها من نسيم الفجر...

لعله يهدئ بركان صدرها المشتعل....!!!

شعرت به خلفها فاستدارت إليه...

لكنها لم تقو علي رفع عينيها إليه...

حاجز خفي يرتفع بينهما الآن...

أزاح خصلات شعرها المتهدلة علي جبينها لتبدو له ملامح وجهها المكسوة بالخوف...

تأمل صمتها الذي يحكي ألف حكاية...

وينبض بشكوي تلو شكوي...



ثم همس أخيراً بعد صمته الطويل:

_بم كنتِ تحلمين؟! ما هذا الذي كنتِ ستمزقينه؟!

أطرقت برأسها وهي لا تدري ماذا تفعل...

تخاف أن تغمضهما فتعود إليها أحداث هذا الكابوس...

وتخاف أن تفتحهما فتراه هو!!!

تري ..أيهما أقسي يا حذيفة...

كوابيسي بك...أم واقعي معك؟!!!!

طال إطراقها للحظات فعلم أنها لن تجيبه...

لم ينطق بكلمة هو الآخر...



بل ظل ينظر إليها بجمود...

حتي رفعت رأسها إليه لتنظر لعينيه قائلة بثبات:

_أخبرني عن ليلتك كما اتفقنا.

ظل ينظر إليها بجمود للحظات طويلة مرت عليها كدهر كامل....

ثم أخرج من جيب سترته الداخلي قطعة قماش شفافة مطوية...

فردها بيديه أمام وجهها...

لم تكن سوي ثوب نوم قصير...

قصير جداً في الواقع!!!



ظلت تنظر إليه طويلاً في جمود يماثل جموده...

ظنت أنها ستذوب خجلاً في موقف مشابه!!!

لكن مشاعرها الآن لم تكن لتسمح برفاهية الحياء!!!!

قلبها الذي انزوي مكسوراً بين ضلوعها كطفل يتيم...

لم يكن يشعر الآن سوي بألم خالص...

ألم خالص نقي لا تخالطه أي مشاعر أخري!!!

لكنها تخطت كل هذا كعادتها بصبر تحسد عليه...

لتمد يدها ملتقطة إياه ثم سألته ببرود:

_هل يمكنني الاحتفاظ به؟!



ابتسم بسخرية قاسية ليسألها:

_لماذا؟! هل ستمزقينه هو الآخر؟!

ابتسمت هي الأخري لكن ابتسامتها كانت شاحبة رغماً عنها وهي تهمس ببرود:

_بل أعدك أن أحافظ عليه حتي أرده إليك يوماً قريباً...

ضيق عينيه في تساؤل...

فأطرقت برأسها ليعلم أنها لن تقول أكثر...

رفع ذقنها إليه ليقول بتحدٍ:

_حافظي عليه جيداً لأن له ذكري خاصة جداً عندي...لقد كانت ليلة مميزة!

ابتسمت ببرود وهي تهمس بسخرية:



_لا تقلق....كل احترامي لذكرياتك الخاصة!!!

سمعت النداء لصلاة الفجر فقالت له بهدوء عجيب علي هذا الموقف:

_ دعني الآن لأصلي...

قالتها وهي تهم بالدخول لغرفتها...

فأمسك ذراعها ليمنعها الحركة...

نظرت إليه بترقب...

فنظر إليها طويلاً ثم قال ببطء:

_بماذا ستدعين في صلاتك؟!

ابتسمت بسخرية وهي تهمس ببرود:

_هل تخاف أن أدعو عليك؟!



لم يرد عليها بل ظل ينظر إليها طويلاً...

دون كلمات...

فهمست أخيراً بشرود:

_قبل اليوم...كنت أدعو الله أن يهدي قلبك للخير وأن تكون لي...

اقترب منها خطوة وهو يسألها بحذر:

_واليوم؟!

نظرت لعينيه بكل ما أوتيت من قوة لتقول بحزم:

_سأظل أدعو الله أن يهدي قلبك...لكنني لم أعد أريدك...

ثم أردفت بقسوة لم يعهدها فيها:

_من اليوم...لستُ لك يا حذيفة...لستُ لك ولستَ لي!!!!!

=====



وقف بدر في نافذة غرفته شارداً...

يراقب غرفة آسيا التي لا يكاد نورها يغلق ليلاً كعادتها منذ أيام...

منذ تلك الليلة التي أعلنت له فيها عن موافقتها علي الخطبة لمصطفي...!!!!

العم كساب أبلغ مصطفي بموافقتها...

كما أخبره عن ظروفها كاملة محاولاً تحسين الصورة بأقصي حد...

لكن العجيب أن مصطفي لم يبالِ بظروفها هذه...

بل إنه أصر علي تعجيل الزواج في أقرب وقت...

وهو ما أثار دهشة بدر وريبته...

من هو هذا الرجل الذي يقبل زواجاً بهذه الظروف...

إلا لو....!!!!!!



قطعت أفكاره وازداد انعقاد حاجبيه عندما لمح مصطفي يقترب من غرفة آسيا الخارجية ليطرق بابها ...

فتحت له آسيا الباب فدفعها برفق ليدخل ويغلق الباب خلفه...

جن جنون بدر وهو يندفع خارجاً من غرفته ليتوجه إليهما بسرعة...

وفي غرفتها كانت آسيا جالسة بشرود كعادتها عندما سمعت طرقاً علي الباب...

ظنته ياسين الصغير أو العم كساب...

قامت لتفتح الباب عندما وجدته أمامها فقالت بدهشة:

_دكتور مصطفي!!



دفعها برفق ليدخل ويغلق الباب خلفه...

فازدردت ريقها بتوتر وهي تتراجع للخلف قائلة بخوف واضح:

_لا يصح أن تغلق الباب هكذا...اخرج من فضلك.

التمعت عيناه برغبة ظاهرة وهو يقول بلهفة:

_أنا لست غريباً عنك يا آسيا...أنا سأكون زوجك.

دمعت عيناها وهي تلتصق بالحائط خلفها لتقول برعب:

_اخرج حالاً وإلا صرخت وكانت فضيحة....

وصل بدر في هذه اللحظة...

كاد يطرق الباب بعنف عندما سمع عبارتها الأخيرة لكن شيئاً ما جعله يتوجه لنافذة غرفتها نصف المغلقة...



ليستمع

لحديثهما خلسة...

عندما اقترب منها مصطفي ليقول باحتقار:

_هل تدعين الشرف الآن يا فتاة...أنا أعرف جيداً من أنت...

شحب وجهها بشدة وانعقد لسانها وهو يردف بحقارة:

_لقد كنت أحد المدعوين في زفاف رقية الهاشمي ...ذاك الذي أديتِ فيه رقصتك المبهرة التي ألهبت خيال الجميع...واختتمتها بذاك الحضن المؤثر لابن عمك ...العريس!!!

قال كلمته الأخيرة بسخرية مقيتة...

فانهمرت دموع آسيا بغزارة وهي تراه يصورها بهذه الحقارة...



لقد أخطأت يومها وكم ندمت علي خطئها هذا...
لكنها لم تتصور أن يكون عقابها بهذه البشاعة!!!!

اقترب منها أكثر وهو يقول بازدراء:

_دموعك البريئة هذه قد تخدع رجلاً ساذجاً مثل بدر...صاحب المزرعة الذي أوقن أنك تخططين لإيقاعه في حبائلك كما يقول جميع العاملين هنا ...

ثم أردف بخبث:

_هذا لو لم يكن نال بالفعل مراده منكِ...

صرخت وسط دموعها:

_اخرس...بدر أكثر شرفاً من أن تلوثه بلسانك القذر.



لوي مصطفي ذراعها خلفها...

فتأوهت بقوة وهو يهتف بصرامة:

_كوني مهذبة يا صغيرة...حتي لا أؤذيكِ أكثر...

انتحبت بقوة وهي تشعر برعب لم تتخيله في حياتها لتهمس بجزع:

_ماذا تريد مني؟!

نظر إليها نظرة مقيتة وهو يقول بخبث:

_أولاً أريد الزواج منكِ...هل تعلمين الثمن الذي ستدفعه عائلتك في مقابل استعادتك وتطليقك مني...

هتفت بيأس:

_أنت لا تفهم...سيقتلونني ويقتلونك معي...



ضحك بسخرية وهو يقول:

_يالقلبك الرقيق!!!

ثم أردف بقسوة:

_دعي لي أنا هذا الأمر...سنتزوج وبعدها ستطيعين أوامري حرفياً....وإلا...

ازدردت ريقها ببطء وهي تهمس بخوف:

_وإلا ماذا؟!

ابتسم في قسوة وهو يقول بتهديد واضح:

_وإلا سأخبر عائلتك أن ابنتهم الفاسقة تقيم علاقة غير مشروعة مع الرجل الذي هربت لأجله وتمكث عنده في مزرعته...



شهقت بعنف وهي تضع كفها علي شفتيها ....

هذا الوغد لو نفذ تهديده فسيعني هذا أن يصل إليها قاسم النجدي...

الذي لن يتورع ساعتها عن قتلها بدم بارد...

كما أنها ستكون وبالاً علي بدر...

بدر الذي لو نجا من أن يقتله قاسم النجدي...

فعلي الأقل سيفسد عالمه الذي هرب إليه من ماضيه كما أخبرتها سمية يوماً باقتضاب!!!

شعر مصطفي بالظفر وهو يري خوفها الواضح من تهديده فسألها بخبث:

_هل ستطيعين أوامري إذن يا صغيرة....أم ...؟!



ازداد انهمار الدموع علي خديها وهي تشعر بعجز رهيب...

ليتها ماتت قبل أن تعيش لحظة كهذه...

اقترب منها أكثر وهو يهمس بصوته البغيض:

_اسمحي لي اذن بهذا الاختبار البسيط لطاعتكِ يا صغيرة!

دفعته بقوة وهي تهتف بعجز:

_ابتعد عني.

عند هذه اللحظة دفع بدر شراعي النافذة ليفتحها كلياً ويقفز من خلالها للداخل...

شهقت آسيا بعنف وهي تراه في هذه اللحظة...



فيما عقد مصطفي حاجبيه بغضب...

اقترب منه بدر وعيناه مشتعلتان بغضب أسود ليقول بصوت هادر:

_هل تعرف عقوبة الاعتداء علي حرمات نسائنا أيها الوغد؟!

التفت مصطفي نحو آسيا ليقول بازدراء:

_لا تنفعل من أجلها يا سيد بدر...لو رأيت الزي الذي كانت ترتديه ليلة رأيتها راقصة في مجون ....لعلمت أية فتاة وضيعة سمحت لها بالبقاء في مزرعتك.

غطت آسيا وجهها بكفيها في هذه اللحظة وهي تتمني لو تنشق الأرض وتبتلعها



ماذا الذي سيظنه فيها بدر بعد ما سمعه؟!!!

قطعت أفكارها عندما هوي بدر بقبضته علي فك مصطفي هاتفاً:

_اخرس أيها الحقير.

كاد مصطفي يبادله لكمته لكن نظرة واحدة لفارق الحجم بينهما جعلته يتراجع...

ليرمقه بنظرة حاقدة...

ثم يندفع هارباً من غرفة آسيا...

ومن المزرعة كلها!!!!

كاد بدر يلحق به ليلقنه درساً لا ينساه شافياً غليل صدره من هذا الوقح....



لكن نظرة نحو آسيا التي كانت لا تزال تدفن رأسها بين كفيها تبكي بانهيار جعلته يتوقف مكانه للحظات...

ثم قال بجمود:

_أنا سأنتظرك بالخارج...

قالها وهو يغادر حجرتها ليتنشق الهواء بعمق مستشعراً هماً ثقيلاً علي صدره...

ما سمعه منذ قليل ليس هيناً...

ليس هيناً أبداً!!!!

رفع رأسه للسماء للحظات ثم أطرق برأسه ليهمس بحزن:



_ماذا أفعل يا سمية...بماذا كنتِ ستنصحينني في هذه الظروف؟!!!

تقدمت نحوه آسيا بعد دقائق عندما تمالكت بعض أنفاسها...

جلست جواره لتقول بترقب ...يمتزج بخوفها وخجلها:

_ماذا تريد يا بدر؟!

ظل صامتاً للحظات....ثم التفت نحوها ليقول بجمود:

_أنا لا أريد شيئاً...قولي أنتِ ما تريدين قوله...

أخذت نفساً عميقاً ثم همست بحزن:

_أظنني مدينة لك بتفسير ما رأيته...لكن دعني أولاً أخبرك عما لا تعرفه من حكايتي...



ضيق عينيه في اهتمام وهو يستمع إليها عندما همست بشرود وكأنها لم تعد تنتمي لهذا العالم:

_كنت أحب ياسين ...ابن عمي الذي حدثتك عنه يوماً...لكن جدي لم يوافق علي زواجنا...كان يريدني لابن عمي الآخر...وقضي بزواج ياسين لفتاة أخري طمعاً في نفوذ والدها...وليلة زفاف ياسين كدت أفقد عقلي..بل فقدته حقاً...كنت أشعر وكأنني جارية يقضون في أمرها دونما أي اعتبار لرأيها...وجدتني أندفع بحماقة لأرتدي ثياباً لم أرتدِها أبداً في حياتي لأتصرف تصرفاً لا أدري حتي الآن كيف جال بذهني...لكنني لم أكن في وعيي...كنت أريد الانتقام من الجميع...كنت أريد التمرد علي كل أعرافهم وتقاليدهم...

أطرقت برأسها وهي تردف:



_لم أشعر بنفسي وأنا أصعد المسرح لأرقص ...اشتعل غضب ياسين وقام ليصفعني ...لم أكد أبتلع صدمتي حتي فوجئت به يحتضنني لأول مرة في حياتي...أمام الجميع!!!!

عقد بدر حاجبيه بشدة....

فيما همست هي بمرارة :

_قد لا تصدقني وقد تظنني مجرد فتاة بلا أخلاق...لكن هذا لم يعد يهم...أنا أؤدي واجبي نحوك علي أي حال... وأخبرك بالحقيقة لعلي أفي ببعض ديني نحوك...

قال بحزم:

_أكملي.

ظلت مطرقة وهي تقول بحزن:

_عاقبني جدي علي فعلتي بأن أمرني بالذهاب لخالي ...



لكن نوبة اليأس والخجل التي انتابتني بعدما انتبهت لفداحة فعلتي جعلتني أفكر في الهرب بعيداً عن كل هذه الضغوط...هيأ لي شيطاني أنني يمكنني البدء من جديد بعيداً عن جبروت جدي وتسلطه...لكنني أدركت أنني لم أحظَ سوي بسجل حافل من الحماقات والخسائر...لو كنت أعلم أنني سأعيش لحظات كالتي عايشتها منذ قليل...لما فكرت لحظة في الهرب من عائلتي...

قامت من مكانها لتقول دون أن تنظر إليه:

_هذه قصتي كاملة...يشهد الله أنني لم أكذب في حرف مما قلته...أنا آسفة..آسفة علي،كل شئ.

قالتها ثم عادت لغرفتها بخطوات سريعة...



لتغلق بابها ونافذتها وكأنها تحتمي بحصنها الصغير هذا مؤقتاً...

ثم آوت إلي فراشها لتغطي نفسها حتي رأسها وكأنها لا تريد أن تري شيئاً مما حولها...

كل الكلمات لن تصف مقدار الرعب الذي شعرت به منذ قليل...

ولا الخزي الذي شعرت به أمام بدر...

وحيدة وحيدة...

كطفل نسيه أبواه في صحراء!!!

تتخبط بين ظلمات خطايا ماضيها وحاضرها...

لتجد نفسها تفكر فجأة...

لماذا عشت أنا وماتت سمية...



أنا لا أحد يحبني ولا أحد يحتاجني...

مجرد صفر بخانة اليسار...!!!!!

استغفرت الله سراً...

وصوت بداخلها يدعوها...

قومي ياابنة فريدة الصابرة...

واستعيني بالله ....لن يخذلكِ أبداً...!!!

قامت من فراشها وتوضأت لتصلي...

بثت شكواها لخالقها في سجودها...

حتي إذا ما انتهت كانت قد وصلت لقرار...

لم تدرِ صحته من خطئه...

لكنها ارتاحت إليه!!!!



جلست جويرية جواره يضمها لصدره بأحد ذراعيه ليقرآ سوياً كعادتهما الآن كل ليلة...

عندما أغلق الكتاب فجأة ليقول لها بصوته الذي قلما يفارقه الحزن الآن:

_يكفي هذا اليوم يا جوري!

أسندت رأسها علي كتفه تتنعم بدفء صدره ثم أمسكت كفه لتكتب:

_ماذا بك؟! تبدو حزيناً...

تنهد في حرارة وهو يربت علي ذراعها ...

ثم رفع رأسه للسقف في شرود...

ماذا عساه يقول لها...؟!!

كل يوم لها بجانبه هو طريق طويل من العذاب...

يتمني شفاءها...



يتمناه بكل ذرة من روحه...

لكنه كما يتمناه...يخشاه!!!

لقد اعتاد قربها...

خاصة بعد أيامهما القصيرة هنا...

والتي أوشكت علي الانتهاء...

كيف سيحتمل فراقها بعد هذا كله؟!!!!

وردت فكرة هروبها السابق علي خاطره ...

فسأل نفسه بحسرة...

تري هل ستكون لذاك الرجل الذي أحبته وكادت تهرب معه عندما يطلق هو سراحها؟!!!

بالتأكيد ستفعل...!!



أحس بطعم المرارة في حلقه وهو يتصورها مع رجل آخر غيره!!!

لكنه تذكر ما فعله بها ليلة زفافهما فقال لنفسه...

كفاك ما فعلته بها يا رجل...

كفاك إفساداً لحياتها...

إذا كنت تعشقها حقاً كما تزعم فأطلق سراحها لتعيش...

بدلاً من أن تموت ببطء كل يوم معك!!

نظرت إليه في إشفاق....

وهي تدرك جيداً ما يعانيه...

هي أيضاً اعتادت وجوده جوارها...

بل أدمنته...!!!

حتي أنها أحياناً تتساءل...

كيف كان شكل حياتها قبله!!!!



أمسكت كفه لتضغطه برفق وكأنها تناديه...

فالتفت إليها من شروده ليبتسم بضعف...

فكتبت:

_أخبرني عم يضايقك.

اتسعت ابتسامته الشاحبة وهو يربت علي رأسها ليقول :

_سنعود غداً لبيتنا...

هزت رأسها نفياً وأمسكت كفه تكتب:

_أريد البقاء هنا.

عادت لصوته خشونته يخفي بها مشاعره وهو يهتف:

_غداً...أول ليالي رمضان...يجب أن نكون مع العائلة!



قالها وهو يقوم من جوارها ليقف معطياً لها ظهره...

تنهدت في حرارة...

لم تعد تغضبها خشونته...

علي العكس...لقد صارت تتفهمها...

خشونته الظاهرة وغلظة كلماته ليست سوي غلاف قاسٍ لمشاعره الرقيقة...!!!

مشاعره التي يسكبها في أذنيها كنهر من عسل عندما يظنها نائمة...

عمار لا يحبها فحسب...

عمار يعشقها عشقاً لم تسمع عنه ولا في الكتب التي طالما غرقت في خيالاتها !!!!



قامت من مكانها لتتوجه نحوه...

وقفت قبالته تنظر إليه نظرات طويلة لم يفهمها...

تود لو تعتذر له ...

لو تشكره...

لو تخبره أنها سامحته...

أنها لم تعد تخافه...

بل إنها اعتادت وجوده وألفته...

لم تعد تقوي علي فراقه!!!!

طال صمتهما الصاخب الذي يفضح مشاعرهما بأكثر مما يداريها...

حتي سألها بحيرة:

_هل تريدين شيئاً يا جوري؟!



ظلت تنظر إليه في عجز...

تتمني لو تستعيد قدرتها علي النطق حتي تحدثه بحرية...

حتي تخبره عن كل ما تشعر به نحوه...

أطرقت برأسها أخيراً ...

فسألها بحنان:

_متعَبة؟!!!! تريدين النوم؟!

رفعت عينيها إليه وهي تومئ برأسها...

تحتاج لنجواه المختلسة لها الآن...

لقد صارت همساته شفاء لروحها في عالمها الجديد هذا....

وبعدها بدقائق...



وعندما أتمت تظاهرها اليومي بالنوم...

كانت همساته تداعب أذنيها لكن بحزن بالغ هذه المرة:

_نامي يا جوريتي...نامي وقرّي عيناً...غداً نفترق...غداً تتخلصين من كل ما كرهتيه...وأفقد أنا كل ما أحببته...أشعر أن يوم فراقنا قد اقترب...ولم يكذبني يوماً شعوري بكِ...لكنني أتمني عندما يحين هذا اليوم أن تعرفي أنه في مكانٍ ما من هذا العالم...سيكون هناك رجل بعيد عنك....أحبك كحبه للحياة وربما أكثر...أحبك بكل طاقته ...لكن خانته نفسه وطباعه...وخانته قبلهما الظروف...

أحست بتوقف همساته فشعرت بالقلق...

عندما شعرت بسقوط دمعة ساخنة منه علي وجنتيها هي...

يا إلهي...!!!

عمار يبكيها من جديد!!!



خفق قلبها بعنف وهي تترقب همساته...

لم يطل صمته ليعيد همسه الحار:

_سأحرص ألا نلتقي كي لا أعيد إليكِ كل ذكري بغيضة تحملينها نحوي...لكنني أقسم لكِ بمن رزقني حبكِ منذ وعيت علي هذي الحياة أنني لن أنساكِ أبداً...

لم تشعر بنفسها إلا ودموعها تنساب بحرارة علي وجنتيها...

ليرتد هو مصعوقاً هامساً بتردد:

_أنتِ مستيقظة يا جوري؟



لم يعد هناك مفر من المواجهة...

مضي عهد التظاهر والمداراة...

بعد كل هذه المشاعر الصادقة...

ليس هناك مجال للتخفي والخداع!!!!

فتحت عينيها لتنهض مواجهة له بدموعها الساخنة...

فعقد حاجبيه بشدة...

ثم أشاح بوجهه عنها...

ليقوم ويترك لها الغرفة...

بل و الشاليه كله!!!!

وقفت وحدها خلف الباب تشعر بالارتباك والتخبط...

عمار هرب منها...



هرب من مواجهتها بمشاعره...

ولن يعيد التعبير عنها من جديد!!!

لقد فقدت حتي مناجاته التي كانت تهون عليها سجن عجزها هذا!!!

ويالها من خسارة!!!

أما هو فقد اندفع سائراً بلا هدف...

يركل الحصي في طريقه وهو يزفر بحرارة...

كل زفرة من صدره كانت تخرج حاملة حمماً من لهيب روحه المحترقة...

لقد سمعته هذه المرة...

لقد اكتشفت ضعفه ومشاعره نحوها...

تلك التي طالما أخفاها عنها...

لم يكن يريدها أن تعلم.



حتي يخرج من حياتها دون أن يجرح كبرياءه...

لكن...

يبدو أنها تأبي إلا أن تهيج جروحه كلها قبل أن تفترق عنه!!!!

ظل هائماً علي وجهه في الطرقات يخشي العودة إليها...

يخشي مواجهة عينيها تحملان نحوه سهام الشفقة أو التشفي...

هو يشعر أن يوم فراقهما قد اقترب...

وبقدر ما كان يخشي هذا ...

بقدر ما يرجوه الآن..

هذا أفضل لكليهما من هذه العلاقة المسمومة....!!!



عاد إليها عند الفجر...

بعدما قضت ليلتها تنتظره قلقة في غرفتهما...

وما إن رأته حتي اندفعت نحوه بسرعة....

لتقف أمامه في عجز...!!!

أشاح بوجهه عنها وهو يتمني لو لم تكن الآن أمامه...

لأول مرة في حياته لا يريد أن يراها...

يخشي مواجهة عينيها اللتين لا يدري...

هل سترمقانه بشفقة علي حبه اليائس...

أم بشماتة علي ألمه الذي يستحقه!!!



أدارت وجهه إليها لتنظر في عينيه بمشاعر خالصة...

لم تكن شفقة ولا شماتة...

لكنها كانت مزيجاً من الندم والحنان والامتنان...

والكثير من...

الحب....؟!!!

عقد حاجبيه وهو،يتأمل نظراتها -الغريبة-جداً علي عينه!!!

لا يصدق أنها تنظر له بهذه الطريقة...!!!!

هذه النظرات التي طالما تمناها وحلم بها...!!!



اقتربت منه أكثر لتمسك كفه بين كفيها وهي تتطلع لعينيه بتلك النظرات القاتلة...

فتحت شفتيها تحاول بكل عزيمتها أن تنطق...

أن تقول أي شئ...

لكنها عادت تطبقهما في يأس!!!

تعلقت عيناه بشفتيها اللتين طالما كتب لهما قصائد الغزل في مخيلته....

وزاد تعلقه بهما في كل يوم يراقب تحركهما لعله يسمع صوتها الساحر ينبعث منهما من جديد....

والآن يتمني لو...!!!

نزع كفه من كفيها بعنف وهو يغمض عينيه بقوة هاتفاً بغلظة:

_اتركيني الآن حالاً يا جوري.



هزت رأسها نفياً والتمعت الدموع في عينيها ...

قبض كفيه بقوة وعاد يفتح عينيه عندما فوجئ بها تدفن وجهها في صدره وهي تبكي...

هنا ...

لم تعد له بقية صبر أو مقاومة!!!!

ومن يلومه الآن ؟!!

وجد نفسه يعتصرها بين ذراعيه ليغيبها معه في عاطفة غامرة...

لم يعد يدري أين تذهب به قبلاته ولمساته...

كان كالمسحور يسعي خلف عاطفته بعد طول حرمانه...

كالظمآن يروي عطشه من عذب وصالها بعد طول تعلقه بسراب...



لم يعد يذكر شيئاً ولا يهتم بشئ...

سوي بتلك التي تكاد تذوب بين يديه رقة وعذوبة!!!!

حتي استفاق أخيراً من طوفان عاطفته...

لينظر إليها بذهول للحظات طويلة...

قبل أن يقوم من رقدته جوارها...

ليقول بخشونة:

_سأعد حقائبنا حتي نرحل من هنا.

قالها ثم انطلق خارجاً من الغرفة بسرعة وكأنه يهرب...



ابتسمت في خجل وهي تتفهم مشاعره الآن...

الآن يبدو لها عمار ككتاب مفتوح...

رفعت غطاءها علي جسدها وهي تشعر بشعور غريب...

لو لم يكن ما يتملكها الآن حباً....فماذا يكون؟!!!

لو لم يستحقه عمار بعد كل هذا الذي رأته وسمعته بل...وأحسته منه....

فمن يستحقه؟!!!

دفنت وجهها في وسادتها الباردة علها تهدئ من حرارته....

لتتسع ابتسامتها رويداً رويداً وهي تشعر بنفسها في عالم طالما تخيلته خلف الستائر الوردية...



عالم من الحب الذي طالما انتظرت بشائره...

لكن ابتسامتها تجمدت علي وجهها فجأة عندما تذكرت...

هذا العالم لن يدوم...!!!!

قاسم النجدي سيهدمه علي رأسها بمجرد أن تسترد قدرتها علي النطق...

ورغماً عنها وجدت نفسها تتمني لو تظل كما هي...

حتي لو بقيت عاجزة طوال عمرها...

حتي لا تفقده!!!

هو الآن صار أغلي عندها من كل شئ...

هو الآن حلمها الذي تعبت طويلاً حتي تفسره...

وستتعب أكثر كي تحققه!!!!



الفصل السادس عشر:

خرجت آسيا باكراً عند شروق الشمس من غرفتها التي عاشت فيها طوال الشهور السابقة...

تحمل حقيبتها الصغيرة التي قدمت بها هنا أول مرة...

أغلقت الباب خلفها برفق وهي تنظر للمنزل الكبير...

ليتها تستطيع توديع العم كساب...

الرجل الذي أحبته كوالدها وعوضها بحنانه طوال هذه الفترة!!!



ليتها تستطيع توديع ياسين الصغير...

ليتها تستطيع إخباره أنه عوضها عن كل المشاعر التي افتقدتها ...

ليتها تخبره أن رحيلها عن هنا ليس بيدها...

لكنه لصالحه ولصالح والده!!!

والده!!

تنهدت في حرارة وهي تتذكر بدر...

لابد أنه الآن يظن بها سوءاً بعد كل ما عرفه منها...

بل وسمعه من ذاك الحقير...

لابد أنه يشعر بالقلق من أن ينفذ ذاك الوغد تهديده ويخبر عائلتها...



لن تلومه لو تمني رحيلها عن عالمه الذي حافظ عليه طيلة هذه السنوات...

قلعته الحصينة التي احتمي خلفها مع سمية بحبهما...

وتوشك فتاة -مثلها-علي تدميره!!!

لكنها سترد له دينه الذي يطوقها...

سترحل عن هذا المكان حتي لا تسبب له المزيد من المشاكل...

صحيح أنها لا تدري أين يمكنها الذهاب...

لكن...لا يهم...

المهم أن ترحل من هنا بأي طريقة...

وبعدها ستتدبر أمرها...



ستتعلم كيف تكون قوية وتنفض عنها ضعفها هذا...

ستعلمها الحياة أن تكون أشرس وأقوي...

ومن يدري؟!

ربما عادت إليهم يوماً عندما تتحسن الظروف...

لتطمئن علي أحوالهم...

هذا ما كانت تواسي به نفسها وهي في طريقها للباب الخارجي للمزرعة...

وهي تتذكر أول مرة جاءت فيها إلي هنا مع بدر ونغم...

وسمية الغالية...

تذكرت سمية ففاضت عيناها بالدمع وهي تهمس في نفسها:



_كم أفتقدك الآن يا صديقتي...كم أفتقدك...!!

توقفت مكانها للحظات...
لتأخذ نفساً عميقاً تكتم به دموعها...
عندما سمعت صوته خلفها:
_كنت أعرف أنك ستفعلين هذا!

التفتت إليه مصدومة...
فاقترب بدر منها ليقول بهدوء عاتب:
_إلي أين ستهربين هذه المرة أيضاً؟!
أطرقت برأسها لحظات تبتلع صدمتها ثم قالت بحزن:
_لا يهم...المهم أن أغادر هذا المكان.



أخذ نفساً عميقاً ثم قال بعتاب:

_هل تعلمين أنني لم أنم الليلة الماضية كلها بسببك...كنت أعلم أنكِ ستختارين الهروب ...دوماً تصدقين توقعاتي في ضعفك يا آسيا...

هزت رأسها لتقول دون أن تنظر إليه:

_ليس ضعفاً هذه المرة يا بدر...لكنه تصحيح لوضعي هنا...عالمك الذي تعبت لأجل أن تخفيه طيلة هذه الأعوام يوشك أن يتأثر بسبب الغريبة التي سمحت لها بالدخول إليه....

عقد حاجبيه بشدة و هو يسألها بحذر:

_من أخبركِ هذا؟!

همست بحزن:



_سمية رحمها الله أخبرتني باقتضاب عن هروبكما سوياً إلي هنا...

ضيق عينيه وهو يسألها:

_ألم تخبركِ عن شئ آخر؟!

هزت رأسها نفياً وهي تهمس:

_لا.

أومأ برأسه وهو يسألها بهدوء:

_أواثقة أنتِ من أنكِ تريدين الرحيل؟!

أومأت برأسها إيجاباً...

ففرد ذراعه علي طوله وهو يشير بيده للحارس من بعيد كي يفتح الباب الخارجي...

ثم قال لها ببرود:

_ارحلي يا آسيا.



أغمضت عينيها بقوة وهي تشعر بكلمته كصفعة علي صفحة روحها...

لم تتوقع أن يقولها لها بهذه البساطة...

لكن...ماذا كانت تنتظر إذن؟!

أن يرجوها البقاء حتي ينهدم المعبد علي رؤوس الجميع؟!!!!

أعطته ظهرها لتتوجه نحو الباب الخارجي عندما سمعته يقول خلفها بنفس البرود:

_ارحلي وشاهدي بنفسك قسوة هذا العالم وحدك...ارحلي وقابلي ألفاً من "مصطفي" يطمعون بفتاة في ظروفك...أو من يدري...ربما أدركتكِ عائلتكِ قبل ذلك لتنالي عقاب هروبك...



تجمدت مكانها مصدومة للحظات...

ثم التفتت إليه لتقول بحيرة تمتزج باللوم:

_لم أعد أفهمك يا بدر!

نظر إليها طويلاً نظرات لم تفهمها...

ثم قال بهدوء:

_هل تعلمين أنني لم أفشل في ترويض أي فرس حتي الآن؟!

عقدت حاجبيها بشدة وهي لا تفهم مغزي عبارته...

فابتسم بضعف وهو يقول:

_ألم أخبركِ قبلاً أن ترويض ضعفك سيكون أصعب عليّ من ترويض أشرس فرس عرفته؟!



هزت رأسها وهي لا تزال غير مدركة لمعني كلامه...

فتنهد ليقول بعد صمت قصير:

_سترحلين يا آسيا...لكن ليس الآن...ليس قبل أن أطمئن أنك قوية بما يكفي لمواجهة هذا العالم...ليس قبل أن أمحو مخاوفك كلها...

هتفت بعجز:

_ليس هناك وقت لهذا...أنا لا أضمن كيف سيتصرف ذاك الوغد بعدما حدث...ولا أريد التسبب لك في مشاكل...

نظر إليها طويلاً ثم حسم أمره ليقول بحزم:

_سنتزوج يا آسيا.



تراجعت خطوة للخلف وهي تهمس في ذهول :

_ماذا؟!

بسط كفه أمام وجهها وهو يقول بهدوء حازم:

_ليس زواجاً كما هو متعارف...لكنها مجرد ورقة لتحميكِ من بطش عائلتك لو وشي بكِ مصطفي هذا...كما أنها ستحفظ لكِ كرامتك في البقاء هنا منعاً للأقاويل خاصة بعد وفاة سمية...

ازدردت ريقها ببطء وهي تهمس:

_إلي متي؟!

أجابها بهدوء:

_كما تشائين...كما أخبرتكِ هو ليس زواجاً حقيقياً...لن يتغير وضعك بالنسبة إلي...أنتِ شقيقتي الصغري..وعندما تريدين فض هذا الاتفاق سأمنحك حريتك بلا مناقشة...



أطرقت برأسها تفكر في عرضه الغريب هذا...

عندما أردف بشرود:

_لقد قضيت الليلة كلها أفكر...لم أجد حلاً يخرجك من هذه الورطة إلا هذا...

نظرت إليه بتردد عندما سمعت صوت العم كساب خلفها يقول بهدوء:

_أنا أيضاً أري هذا.

التفتت إليه آسيا بترقب فابتسم بحنان أبوي خالص وهو يقول:

_سامحاني لو استمعت لحديثكما رغماً عني...

ثم التفت لبدر قائلاً في مرح:

_لكن لا أحد يعرض الزواج علي آنسة جميلة علي الملأ هكذا.!!



تضرج وجه آسيا بحمرة الخجل وهي تشعر بغرابة الوضع...

فيما أطرق بدر برأسه وهو،يشعر بالضيق...

هو ليس راضياً عن هذا الموقف الذي وضعته فيه الظروف...

لكنه اضطر إليه...

آسيا الصغيرة تحتاجه...

وهو لن يفرط في وصية سمية بها...

ولن يتخلي عنها كما وعدها...

سيمنحها اسمه مؤقتاً حتي تهدأ هذه العاصفة...

لو نفذ هذا الوغد تهديده فسيحميها من بطش عائلتها...



ولو مرت الأمور بسلام فهو علي الأقل سيضمن بقاءها هنا محفوظة الكرامة بعيداً عن أقاويل الناس التي لم يكن ينتبه إليها حتي ذكرها مصطفي بالأمس...

وعندما تريد هي الرحيل بإرادتها سيمنحها حريتها بعد أن يطمئن علي أنها صارت قادرة علي مواجهة الحياة وحدها....

هدأت خواطره عند هذه النقطة فالتفت لآسيا ليقول بهدوء:

_عودي الآن لغرفتك وفكري فيما عرضته عليكِ.

نظرت إليه بتردد ...

فابتسم في حنان شعرت به يربت علي جروح روحها كلها وهو يقول:



_لا تفكري أبداً أنني قد أتخلي عنكِ....مهما حدث...

ابتسمت وهي تشعر برغبة عارمة في البكاء...

عندما قال العم كساب بطيبة فطرية:

_وافقي يابنتي...صدقيني هذا هو الحل الأمثل...

نظرت للعم كساب بخجل عندما قال بدر :

_لا تضغط عليها يا عمي...دعها تقرر بنفسها...

ثم التفت لآسيا قائلاً بحنان:

_عودي لغرفتك واخلدي للنوم ...أنتِ لم تنامي ليلة الأمس...



ابتسمت له بامتنان لتتحرك خطوة واحدة نحو غرفتها ثم وقفت مكانها للحظات وسط دهشته هو والعم كساب.....

لتلتفت إليه وتقول بتردد:

_أنا أوافق...دعنا ننهِ هذا الأمر بسرعة...أنا أخاف ذاك الرجل.

تنهد العم كساب في ارتياح فيما نظر إليها بدر في إشفاق يمتزج بالضيق...

كم يود لو تتغير...

لو تتخلص من ضعفها وخوفها الزائد هذا...

لو تكون قوية بنفسها ...

ليس به ولا بأي أحد...!!!



نظرات الخوف والقلق في عينيها تثير ضيقه...

لكنه يلتمس لها بعض العذر...

هي فتاة صغيرة وحيدة وجدت نفسها فجأة في بحر الحياة الهائج دون معين...

لكنه لن يتخلي عنها...

سيمنحها كل الدعم الذي تحتاجه...

حتي تقف علي قدميها لتواجه مستقبلها القادم...

حتي لو اضطر لتغليف مساعدته بزواج علي الورق!!!

====

نظر بدر لدبلة سمية في إصبعه ودمعت عيناه في اشتياق وهو يهمس وكأنه يراها:

_كم يشق عليّ يا حبيبة عمري أن تدخل امرأة غيرك لحياتي ولو علي الورق ...



لكنها وصيتك وأمانتي التي تعهدت بالحفاظ عليها...أنا علي عهدي معكِ يا سمية...أنتِ أول وآخر حب سيعرفه قلبي...

أخذ نفساً عميقاً عندما سمع طرقاً علي الباب الذي فتح ليدخل منه ياسين الصغير كقذيفة مدفع هاتفاً بفرح:

_هل صحيح أنك ستتزوج آسيا هذه الليلة؟!

ابتسم بدر في حنان وهو يحتضنه ليسأله :

_هل أنت سعيد يا ياسين؟!

أومأ الصغير برأسه في إيجاب وهو يقول :

_بالطبع يا أبي...الآن يمكنني الاحتفاظ بآسيا معي في منزل واحد...حيث يمكنني رؤيتها في أي وقت...كما أنني سأطلب منها أن تنام معي حتي تحكي لي حكاياتها المثيرة...

ثم سأله ببراءة:



_أم أنها ستنام هنا كأمي؟!

عقد بدر حاجبيه بشدة وهو يهتف بحدة:

_لا.

أجفل الصغير فضمه بدر لصدره وهو يقول بحزن:

_هذه غرفة أمك يا صغيري...لن تدخلها امرأة غيرها...

دخل كساب في هذه اللحظة ليستمع لعبارة بدر الأخيرة...

فتنهد في ضيق وهو يفكر...

بدر اضطر لهذه الزيجة لكن من يدري...

ربما قربت الأيام بين قلبي آسيا وبدر...

لتطمس حبه القديم...



بدر يستحق أن يعيش السعادة التي حرم منها بعد وفاة سمية...

فقط لو يعطي نفسه فرصة لحب جديد...!!!

اقترب من بدر ليقول بحنان:

_مبارك زواجك يابني...المأذون جاء وينتظركما أنت وآسيا...اذهب وأئتِ بها...

عقد بدر حاجبيه وهو يقول بضيق:

_لا داعي للمباركات يا عمي...هو ليس زواجاً حقيقياً...

أومأ كساب برأسه في تفهم...

فيما زفر بدر بضيق ليغادر غرفته والمنزل الكبير...



ثم ذهب لغرفة آسيا الخارجية...

طرق بابها ففتحته لتنظر إليه بترقب...

أغمض عينيه لحظات عن جمالها الذي أغشي عينيه بفتنتها الزائدة هذه الليلة....

بثوبها الذي -مع بساطته-جعلها تبدو كالأميرات...

بوجهها الذي ينافس ضوء القمر...

بعينيها اللتين تحملان مع ضعفهما قوة غزو آسرة...

تسحق مقاومة أي رجل!!!

ثم تجاهل كل هذا ليسألها بتفحص:

_مستعدة يا آسيا؟!



أومأت برأسها إيجاباً...فسألها باهتمام:

_هل أحضرتِ بطاقتك الشخصية؟!

أومأت برأسها إيجاباً وهي تبتسم لتقول بمرح مصطنع تداري به اضطرابها:

_الحمد لله أنني انتشلتها من حقيبتي قبل أن أرميها مع بقية حاجياتي في الماء.

هز رأسه بلا معني...

ثم قال لها باضطراب:

_تعالي اذن...المأذون ينتظرنا...



سارت جواره وهي تشعر بالارتباك...

قلبها يخفق باضطراب...

لكنه اضطراب لذيذ!!!

شعور يختلف تماماً عن شعورها بياسين...

شعور بأنها محميةٌ معه من كل سوء!!!

قلبها الذي طالما أنكر شعوره ببدر....

الآن لا ينكر...

لا ينكر الأمان الذي يشعر به برفقة هذا الرجل...

لا ينكر تعلقه بخيوط الحنان في عينيه...

لا ينكر إعجابه بهذه الشخصية الفريدة...

بل إنها لا تبالغ لو قالت أنها تتمني...

لو كان هذا زواجاً حقيقياً!!!



احمرت وجنتاها بقوة عندما جاءها هذا الخاطر لينهرها عقلها بقوله:

_أفيقي يا آسيا...أنتِ لستِ سوي صنيع خيرٍ يؤديه بتثاقل...بدر لن يعشق سوي سمية صديقتك الغالية...

هنا كان الأوان ليتدخل ضميرها في المعادلة...

فيخرس صوت العقل والقلب معاً...

لتهدأ أفكارها كلها...!!!!

دخلا إلي صالة المنزل...

حيث جلس المأذون مع شاهد يعرفه ...

وجلس العم كساب جوارهما...

تقدم بدر ليجلس جوار آسيا...



ثم فتح المأذون دفتره ليقول لها بلهجة رسمية:

_هل تقبلين جسار كامل القاصم زوجاً لك؟!

اتسعت عينا آسيا في ارتياع وهي تهتف برعب:

_جسار القاصم؟! أين هو؟!

نظر بدر لرعبها في شك...

ثم قال بتردد:

_اسمي الحقيقي هو جسار يا آسيا...بدر هذا مجرد اسم حركيّ...

شهقت بعنف وهي تضع كفها علي،شفتيها لتهتف بخوف:



_أنت جسار القاصم؟! أنا لا أصدق !!!

تبادل بدر مع كساب نظرات متوترة...

فنقلت آسيا بصرها بينهما برعب....

ثم ناولته بطاقتها الشخصية بتردد لينظر في اسمها ثم تتسع عيناه بذهول...

هاتفاً بصدمة:

_أنتِ حفيدة قاسم النجدي؟!

نظرت إليه وهي لا تكاد تصدق...

طوال هذه المدة وهي تقيم مع الرجل الذي يهدد عائلتها كلها؟!!!!

الرجل الذي كان سبباً في إقصاء حمزة بعيداً طوال هذا الوقت؟!



الرجل الذي أثار فيهم كل هذا الرعب حتي دفع جدها لتزويج ياسين من رقية طمعاً في حماية والدها؟!!

بدر!!

بدر الحنون المتفهم الذي احتوي ضعفها وخوفها...!!

بدر الذي تعلق به قلبها كطفل صغير ورأي فيه أطياف عشقه القادم...!!

بدر والد ياسين وزوج سمية...

هو جسار!!!!!

جسار الذي عاشت عمرها ترتجف رعباً من مجرد اسمه!!!



فيما نظر إليها جسار بصدمة تمتزج بغضب هادر...

تلك الغريبة التي آواها في بيته هي حفيدة قاسم النجدي...

قاسم النجدي الذي هرب جسار من ثأره معه...

نعم...جسار لم يشأ أن يدخل نفسه في عجلة الثأر التي كانت تحصد أرواح الجميع بلا رحمة...

خاصة مع عشقه لسمية...

سمية التي أيدت موقفه بالهرب من هذا المستنقع الآسن كله!!!

ليهرب بها معه من قريتهما...

ويأتي بها إلي هنا...

في هذا العالم المنعزل...

حيث لا ثأر ولا عداوة!!!!



حيث لا خطر علي ياسين الصغير!!!

لقد ترك بلدته وأهله وعالمه كله وراءه...

وكاد ينساه...

فتأتي هذه الصغيرة لتقلب له دنياه رأساً علي عقب؟!!!!!

فيما قام كساب ليتقدم منها ببطء وهو يرمقها بحنان فائض ليهمس باشتياق لم يستطع إخفاءه:

_أنتِ ابنة فريدة؟!

نظرت إليه آسيا وهي تومئ برأسها شاعرة بالضياع....ثم همست بقلق:

_هل تعرف أمي؟!



ابتسم رغم الدمع الذي،ظهر في عينيه ليقول بعاطفة صادقة:

_أنا الآن أحبك أضعاف ما كنت أحبكِ قبل الآن....أنتِ الآن ابنتي بحق يا آسيا...

نظرت إليه آسيا.ولازالت تحت تأثير،صدمتها....

لا تعرف ماذا تفعل...

نظر المأذون إليهم بدهشة تمتزج بالحنق...

ألم يخطر لهم التعارف قبل عقد القران؟!!!

عائلة غريبة!!!



هكذا تمتم في نفسه بسخط قبل أن يهتف بضيق:

_هل سنتم هذا الزواج أم ماذا؟!!!

كان جسار أول من تمالك صدمته ليسأل آسيا ببرود يداري غضبه الهادر:

_هل نتم الزواج يا ابنة النجدي؟!

نظرت إليه آسيا وصدرها يعلو ويهبط في انفعال...

لا تدري بماذا ترد عليه!!!!

ترفض....أم تقبل؟!!!!

تشعر كأنها فأر وقع في مصيدة...

شعر بها العم كساب فمال علي أذنها وهو يهمس بحنان:



_لا تخافي يا بنتي...أنتِ الآن في حمايتي أنا وجسار...بدر هو جسار يا آسيا...لم يتغير في الأمر شئ!!!!

نقلت بصرها بين جسار الذي بدا وكأن وجهه قُدّ من صخر...

وبين العم كساب الذي بدا بسعادته بها وكأنه قد هبط عليه كنز من السماء!!!

ثم قالت أخيراً في استسلام:

_أجل...أوافق علي الزواج.

=====

خرجت ساري من شقتها لتجده واقفاً أمام شقته ...

أطرقت برأسها وهي تمر من جواره لتهمس باقتضاب:

_السلام عليكم.



أمسك ذراعها لينظر لعينيها هاتفاً:

_هل هذه تحية زوجة لزوجها في أول يوم من رمضان؟!

قالت بنفاد صبر:

_أنا لدي الكثير من الأعمال اليوم ولا طاقة لي بجدالك يا حذيفة!

نظر إليها طويلاً دون أن يفلت ذراعها فرفعت عينيها إليه مضطرة لتقول بضيق:

_اللهم إني صائمة!!

ابتسم بهدوء وهو يقول :

_كل عام وأنت بخير.



أشاحت بوجهها ولم ترد...

الوقح الذي يعود كل ليلة قرب الفجر بعد سهرة يعلم الله وحده محتواها....

ولا يكاد يحدثها منذ تلك الليلة العصيبة التي ذبحها فيها بخيانته...

يأتي اليوم ليهنئها بالشهر الفضيل...

ياللتقوي والورع!!!

أدار وجهها الذي أشاحت به نحوه وهو يقول بحزم:

_الجو حار وأنتِ صائمة...لا تقودي سيارتك..دعيني أنا أوصلكِ أينما تريدين...

زفرت بقوة فقال هو بتحفز:

_هذا ليس اقتراحاً...إنه أمر!



أطرقت برأسها وهي تتقدمه ليسير خلفها وهو يتنهد في حرارة...

ركبت جواره سيارته بعدما ساعدها في نقل بعض صناديق المساعدات والأدوية من سيارتها لحقيبة سيارته.....

ثم قالت باقتضاب:

_أريد الذهاب لقرية (.......)!

أومأ برأسه إيجاباً ثم سألها بتردد وهو يقود السيارة:

_ما الدور الذي كان يقوم به بلال الهاشمي معكم؟!

قالت بهدوء وهي تنظر أمامها:

_كان يساعدنا مادياً بمبلغ كبير شهرياً...كما كان يساعدنا في إيصال المساعدات للأماكن البعيدة...

هز كتفيه وهو يقول :

_هذا عمل بسيط.

قالت بشرود:



_كل عمل في سبيل الله يبدو بسيطاً..لكنه سبحانه وتعالي يرزقه لمن يحب...

تأملها متفحصاً بإعجاب ثم قال بجدية:

_أنا أريد أن أقوم بهذا الدور.

هزت رأسها في موافقة دون أن ترد...

ظلت صامتة طوال الطريق بينما كان هو يتميز غيظاً من برودها الظاهر...

لقد افتقد هذه الحمقاء المكابرة بشدة...

افتقدها حد الجنون!!!

وصلا القرية أخيراً فسار معها حتي وصلت لمنزل معين طرقت بابه برفق...



فتحت لها امرأة طاعنة في السن تبدو عليها علامات طيبة ظاهرة...

أشرق وجه المرأة عندما رأتها لتهتف بفرح:

_مرحباً يابنتي...تفضلا...

دخلت معها ساري وحذيفة الذي تأمل المكان بفضول...

عندما رأي في جانب الغرفة سريراً به شاب في مثل سنه لكنه يبدو مختلفاً...

تركتهما المرأة قليلاً فمال علي أذن ساري يسألها:

_ما باله هذا الشاب يبدو غريباً؟!

همست ساري في أذنه:

_إنه مصاب بمرض عقلي ويحتاج لعلاج مكثف لهذا أعطيه عناية خاصة.



أومأ برأسه في تفهم...

ثم حمد الله سراً وهو ،يستشعر أنها رسالة من السماء...

هذا شاب في مثل سنه لكنه حرم من أشياء كثيرة...

وهو الذي منحه الله المال والصحة والعقل فاستخدمها كلها في معصية الله ...

استغفر الله سراً وهو يشعر بالخزي...

عندما عادت المرأة لتعطي لها ساري صندوق المساعدات قائلة بحنان:

_كل عام وأنت بخير يا عمتي...أعتذر منكِ سأنصرف حالاً فلا زال أمامي الكثير من المنازل هنا.



قالتها وهي تقف فوقف حذيفة بدوره ...

ابتسمت لها المرأة وهي تقول بحرارة:

_رزقك الله الفرحة والزوج الصالح يابنتي.

ابتسم حذيفة وهو يضع ذراعه علي كتفها بتملك ليقول بفخر حقيقي:

_أنا زوجها يا حاجة!

رفعت المرأة حاجبيها بدهشة ثم قالت بسعادة:

_حقاً؟!!! هنأكما الله يا بني...ساري هذه ملاك...حافظ عليها .

نظر إلي جانب وجهها الذي كان الآن محمراً حرجاً ثم قال:

_بقلبي وروحي يا حاجة.



ابتسمت المرأة بحنان فيما سارت معه ساري حتي خرجا من المنزل ...

ليكررا الزيارة لمنازل عديدة لأهل هذه القرية الفقيرة...

حتي أنهيا مهمتهما علي خير وجه ...

وقبيل العصر...

كانا في طريقهما عائدين للبيت الكبير...

ظلت علي صمتها الشارد طوال الطريق فناداها هامساً:

_ساري!

لم تلتفت إليه وهي تهمس باقتضاب:

_نعم.



نظر لجانب وجهها وهو يسألها:

_لماذا لا تنظرين إلي؟!

تنهدت في حرارة وهي تقول بضيق:

_ماذا تريد بالضبط يا حذيفة؟! تسلية صيامك؟!!

أوقف السيارة علي جانب الطريق ثم أسند رأسه لظهر المقعد وهو يقول بشرود:

_لن أنسي هذا اليوم أبداً..لقد كان يوماً خاصاً..شعرت أنه رسالة من السماء لأدرك دوري الحقيقي في الحياة بعيداً عن حياة اللهو واللعب التي أعيشها...

ثم التفت إليها ليهمس بصدق:

_أشكرك يا ساري...



أطرقت برأسها وهي لا تعرف بم تجيبه...

هي تستشعر صدق حديثه...

لكنها لا تقوي علي مسامحته أو العودة للشعور بالأمان معه...

لقد خذلها...

خذلها تلك الليلة كما خذلها طوال عمرها كله!!!

أمسك كفها ثم رفعه إلي شفتيه يقبله وهو ينظر إلي جانب وجهها المطرق هامساً:

_لا تتصوري شعوري اليوم بالفخر وأنا أقول للناس أنني زوجك...

نزعت كفها من كفه برفق...

دون أن تنظر إليه ...

ثم قالت بشرود:



_أتمني لو يأتي يوم أكون أنا فيه فخورة بنفسي ...

سألها بتفحص:

_ولماذا لا تفعلين...أنا أراكِ امرأة مثالية...كاملة...

أخذت نفساً عميقاً ثم قالت بحزن:

_دعنا نعد للبيت يا حذيفة...أنا أشعر بالصداع...

نظر لحزنها الواضح في إشفاق...

ثم قال برجاء:

_انظري لعينيّ يا ساري.

أغمضت عينيها بقوة للحظات تعانده...

وكأنها تستمد من نفسها بعض القوة...

ثم سألته دون أن تنظر إليه:



_لماذا لم تعد تخبرني عن رفيقاتك كتلك الليلة؟!

أشاح بوجهه وهو يزفر في ضيق ثم قال :

_هل هذا حديث يليق بنهار رمضان؟!

هزت رأسها لتقول بسخرية مريرة:

_معك حق...الحديث لا يليق بنهار رمضان ...لكن الفعل يليق بليله؟!!

خبط بكفه علي مقود السيارة وهو،يهتف بحنق:

_لا فائدة فيكِ...لن تتغيري أبداً...

قالها وهو يعيد تشغيل السيارة...

ليعود بها إلي البيت الكبير يلفهما الصمت طوال الطريق...

حتي وصلا إلي باب البيت فقالت باقتضاب:

_شكراً يا حذيفة...



همت بالنزول عندما أمسك كفها بقوة لتلتفت إليه ...

نظر إليها طويلاً قبل أن يقول :

_أنا الذي أشكرك ...لقد كان يوماً رائعاً...

تعلقت عيناها بعينيه طويلاً دون أن تشعر...

لتشعر بقلبها الخائن يغافلها ويعلن تمرده وعصيانه...

زادت خفقاته حتي هيئ إليها أنه سيسمعها....

عضت علي شفتيها وهي تشعر بضعف غريب...

فيما شعر هو بما تعانيه تلك المكابرة العنيدة فقال لها بحزم يمتزج بحنانه الفريد:

_هل تعدينني بشئ؟!



نظرت إليه في تساؤل...فقال برجاء:

_لا تبكي بسببي ثانية.

تنهدت في حرارة وهي تود لو تخبره أنها لا تبكي إلا بسببه...

هو وجع قلبها الأزلي كما تدعوه دوماً... !!!!

فسألها بترقب:

_ماذا فعلتِ بالقميص الذي أخذتِه مني؟!

ابتسمت في برود ساخر لتقول:

_تذكارك الخاص؟! اطمئن ...لقد احتفظت به جوار دميتك القديمة...

عقد حاجبيه بشدة فأردفت بكبرياء ذبيح:



_حتي إذا ما نظرتُ إليها و فكر قلبي أن يلين لك عاد فتعلم درسه القاسي...حذيفة النجدي لن يتغير!

أشاح بوجهه عنها للحظات....ثم عاد يواجهها قائلاً:

_لقد حدد جدي موعد زفافنا ثالث أيام العيد...

اتسعت عيناها في ارتياع ...

لم تتصور الأمر قريباً إلي هذه الدرجة...

تماماً كما لم تتصور يوماً أن يكون هذا إحساسها به الآن!!!!

إحساس السجين الذي تلقي -لتوه-حكماً بإعدامه!!!

هزت رأسها ثم أغمضت عينيها بألم...



ليقول لها بعتاب:

_هل يضايقك الخبر إلي هذا الحد؟!

فتحت عينيها لتنظر إليه نظرات طويلة...

تتأرجح بين اللوم والرجاء...

قبل أن تهمس بألم...ونبرات صوتها الجريح تذبحه ذبحاً:

_سامحك الله يا حذيفة...لقد جعلتني أكره اليوم الذي تمنيته طوال عمري.

قالتها وهي تغادره لتترجل من السيارة...



وتندفع نحو شقتها ومنها إلي غرفتها لتجلس علي مكتبها مسندة رأسها علي مرفقيها...

أين دموعها؟!!!

لماذا لا تبكي الآن؟!!

ربما يطفئ الدمع لهيب الجرح في أعماقها...

لماذا خاصمتها دموعها وهي تحتاجها الآن أكثر مما مضي؟!!!

ألأنها وعدته ألا تبكي من أجله؟!!!

أم أن دموعها قد ملّت هي الأخري؟!!!

حتي الدمع سأم من جرحك يا حذيفة!!!!!!!

شعرت بكفه علي كتفها...

فرفعت رأسها إليه في صمت...



ثم استدارت إليه بجسدها دون أن تقوي علي الوقوف...

جثا علي ركبتيه جوارها ليكون وجهه مقابلاً لوجهها...

نظر إليها طويلاً وكأنه لا يجد ما يقول...

ثم وضع كفه علي مصحفها الموضوع أمامها علي المكتب ليهمس بصدق:

_أقسم أنني لم أمس امرأة منذ اعترفت لنفسي بحبكِ يا ساري!

اتسعت عيناها بصدمة وهي تنقل بصرها بينه وبين كفه علي المصحف...

ثم قالت بذهول:

_لم تخُنني؟!



ابتسم بضعف وهو ينظر لعينيها هامساً بحرارة:

_قد لا تصدقينني...لكن حذيفة النجدي تغير لأجلك...لم أستطع خيانتك ولن أستطيع حتي لو أردت ....

ثم تهدج صوته ليهمس بصدق:

_من الصعب علي رجل عشق امرأة مثلك أن يخون!!

همست بتشتت:

_وذاك القميص ال...

قاطعها وهو يخرج ورقة مطوية من قميصه ليهمس:

_هذه قسيمة شرائه...أنا اشتريته فقط لأعاقبك.

همست بعتاب:

_تعاقبني؟!



أومأ برأسه إيجاباً وهو يهمس لها بلهجة عاتبة:

_يجب أن تغيري أسلوبك هذا معي يا ساري...كُفّي عن إشعاري دوماً أنني مذنب مدان...امنحيني ثقتك كاملة...اجعليني أشعر أنني عظيم بعينيك...اجعليني...

قاطعت عبارته عندما مدت ذراعيها فجأة لتضمه لصدرها بكل قوتها وهي تضربه بكلتي قبضتيها علي ظهره برفق...

هامسة في أذنه:

_اسكت...اسكت...



ابتسم في حنان وهو يحيط خصرها بكفيه ليرفعها من علي المقعد ويقف قبالتها ليقول أمام عينيها:

_هذه هي أول مرة تضمينني فيها هكذا!

شددت ضغط ذراعيها علي عنقه وهي تهمس:

_لأنها أول مرة أشعر أنك حقاً....تحبني!!!

ثم سالت دموعها أخيراً علي وجنتيها وهي تبتسم لتهمس في سعادة:

_أنت تحبني يا حذيفة!

اتسعت ابتسامته وهو يمسح دموعها ليهمس بصدق:

_الحب كله قليل لأجلك يا أروع من عرفت !!



دخلت فريدة في هذه اللحظة لتفاجأ بعناقهما هذا...

فتنحنحت في حرج ثم قالت بمرح يخالط حنانها المعهود:

_تحشم يابن النجدي و عُد لبيتك.

ضحك حذيفة بمرح وهو يلتفت إليها ليقول بخبث:

_هذا أقصي ما أملكه من حشمة والله يا عمتي.!!!

ضحكت ساري بخجل وهي تبتعد عنه فيما نقلت فريدة بصرها بينهما بحب...

وهي تقول بفرحة ظاهرة:

_أسعدكما الله يا بني.

=====



جلست مارية علي مائدة الإفطار تتأمل محتوياتها في انبهار...

ضحك رياض وهو يقول لها بمرح:

_تبدين كطفلة وجدت نفسها فجأة في الملاهي بانطباعك هذا.

ضحكت بمرح وهي تقول بسعادة:

_لم أتخيل أن تكون طقوس رمضان بهذه الروعة في مصر.

لم تكد تتم عبارتها حتي سمعت صوت مدفع الإفطار...

فانتفضت من مكانها لتهتف دون وعي بالانجليزية:

_ماهذا؟!

انطلق كل من رياض وصفية ومروة في الضحك للحظات....

ثم قالت لها

مروة بمرح:



_ها قد عدتِ لأصلك الانجليزي عند أول ورطة...اجلسي أيتها الشقراء...إنه مدفع الإفطار.

جلست مارية وهي تضع كفها علي صدرها لتقول:

_ماذا يفعلون بهذا المدفع؟!

قالت صفية ببساطة:

_إنه تقليد قديم...يضرب المدفع في رمضان عند الإفطار والسحور لتذكير الناس.

هزت مارية رأسها بتفهم ....

ثم سمت الله كما يفعلون ...

وقالت دعاء الإفطار...

لتبدأ في تناول إفطارها...

عندما أعلن هاتفها عن وصول رسالة علي بريدها الاليكتروني....



ارتسمت ابتسامة حالمة علي شفتيها وهي تتوقع مرسلها....

حمزة الذي لا يمر يوم دون أن يراسلها رغم أنها لا ترد عليه!!!

فتحت الرسالة لتقرأها:

_عزيزتي مارية...لو كنتِ صائمة اليوم كما وعدتني...فهذا موعد إفطاركم في مصر...تقبل الله منكِ عزيزتي...وأتمني أن أراكِ قريباً....

ظلت تقرأ الرسالة عدة مرات...

تطارد طيفه الحنون بين كلماتها القصيرة...

آه لو يعلم...

كم تتمني لو تراه قريباً هي الأخري!!!



بل إنها فقط تتمني لو تتمكن من الرد علي رسائله...

لكن أشياء كثيرة تمنعها!!!

ليس كبرياؤها أولها ولا آخرها!!!!

قطع رياض شرودها وهو يتبادل نظرة ذات مغزي مع صفية ثم يقول بخبث:

_تري ماذا يشغلك عن الإفطار يا مارية؟!

ابتسمت في خجل وهي تقول:

_لا شئ يا عمي.

نظرت إليها صفية طويلاً ثم قالت:

_كم تمنيت لو يكون زياد معنا الآن...

ابتسمت مارية وهي تقول بلطف:

_وأنا أيضاً افتقدته كثيراً يا عمتي.



التمعت عينا صفية بسعادة وقد أخطأت تأويل عبارتها....

فلكزت رياض في جنبه لكزة ذات مغزي....

فقد كانت تحدثه الليلة الماضية برغبتها في تزويج زياد من مارية...

وقد كانت تظن أن زياد هو من أرسل لها تلك الرسالة علي هاتفها...

ابتسم رياض وهو يقول بحنان:

_ليتكِ تبقين معنا يا مارية...ليتك تبقين معنا دائماً....

====



اجتمعت العائلة كلها علي الإفطار كعادتها كل عام...

لكن المائدة هذا العام قد خلت من آسيا وياسين الذي يقيم الآن مع رقية في بيت عاصم الهاشمي ...

فهي تصر علي البقاء هناك بل لا تكاد تغادر غرفته...

وياسين لم يتركها لحظة منذ ذاك الحادث...

دق مدفع الإفطار ثم سمع صوت الآذان فردده الجميع ثم قال الحاج قاسم بحزن يليق بقوته:

_اجعلوا دعاءكم الأول لآسيا بالرحمة...ثم لجويرية بالشفاء.



أغمضت فريدة عينيها بألم...

وذكري آسيا الحبيبة تكاد تمزق صدرها...

لن تصدق أنها ماتت...

بل إنها دوماً تفكر أنها في مكان بعيد أجمل من هذا...

تعيش سعيدة هانئة...

هذا ما يمنحها الصبر الذي تبدو عليه...

ربما لو فكرت في غير هذا لأصيبت بالجنون!!!

نظرت فريدة نحو جويرية التي تشعر أن مشاعرها تغيرت نحو عمار...

تشعر أن قلبها بدأ يميل إليه...

ومن يدري ربما كان دافعاً لتعجيل شفائها...



هي تظن في الله خيراً أن عجزها هذا لن يطول!!

لكن عمار نفسه لا يبدو بخير...

يبدو أنه يحمل هم قاسم النجدي...

قاسم النجدي الذي أمره بتطليق جورية عندما تسترد عافيتها بل وترك بيت العائلة كله عقاباً له علي فعلته!!!

هزت رأسها بإشفاق وهي لا تدري علي أيهما حزنها أكبر...

علي جوري أم عمار؟!!!!

وعلي كرسيها كانت راجية تتطلع لمكان ياسين الخالي...



لقد افتقدت وجوده لكنها تعذره في مقامه جوار زوجته...

ثم وجدت نفسها تدعو الله لهما أن يرزقهما الذرية الصالحة!!

وعلي كرسيه كان حذيفة يجلس جوار ساري هامساً في أذنها:

_العام القادم تكونين في بيتي .

ابتسمت في خجل وهي تشعر بكفه يداعب كفها تحت المائدة...

بينما كانت جوري تنظر لعمار الصامت في إشفاق...

شارد غافل عنهم كأنه في وادٍ آخر...



منذ عادا من الاسكندرية وهو علي هذا الحال...

لا يكاد يكلمها ولا ينظر إليها...

لا تدري هل يعاقبها أم يعاقب نفسه علي استسلامه لعاطفة جسده نحوها من جديد...؟!!!!

مدت كفها تحت المائدة تربت علي ركبته...

فالتفت إليها بحدة من شروده...

ثم قام من مكانه بعنف وهو يقول بغلظته المعهودة:

_لقد شبعت...

رمقته جويرية بنظرة حزينة لكنه لم يرها....

فقالت له راجية بلطف:



_لو كنت شبعت يابني...فأحضر لي السكين من المطبخ لقد نسيت إحضاره...وأريد تقطيع قالب الحلوي.

ذهب عمار ليحضره ...

تراقبه جوري بشرود...

حتي عاد حاملاً السكين في يده فارتدت جوري لظهر مقعدها في صدمة...!!!!!

وذكري مشابهة تغزو،مخيلتها....

عمار والسكين في يده!!!!

نظر إليها عمار نظرة عابرة لكن التعبير المرتسم علي وجهها جعله يدرك بحدسه ما تفكر فيه الآن...

نقل بصره بتوتر بين عينيها المتجمدتين برعب علي يده والسكين الذي يحمله...



وهو لا يدري ماذا يفعل...

ظل واقفاً مكانه يراقبها بقلق بالغ!!!!

فيما كانت الذكريات تنهشها هي نهشاً...

وقد عادت إليها ذاكرتها التي فقدتها جزئياً عن أحداث ليلة زفافهما...

مختلطة بصورته المخيفة والسكين في يده...

منذ تلك اللحظة التي مزق فيها عمار طوق ثوبها...

كل ضربة من يده...!!!!

كل لمسة...!!!!

وكل...!!!!

دارت بها الدنيا وهي تسترجع أحداث تلك الليلة الرهيبة...



وبصرها معلق بعمار والسكين...

حتي وجدت نفسها تصرخ بقوة لتفقد الوعي بعدها!!!!

=====

استعادت جوري وعيها بسرعة لتجد نفسها في حضن فريدة التي هتفت بجزع:

_ماذا بكِ يا جوري؟!

فتحت فمها لتجيبها ببطء:

_أنا...أنا بخير!

صرخت فريدة في فرح :

_أنتِ تتكلمين يا جوري!!!! حمداً لله علي سلامتكِ يابنتي....



دمعت عينا عمار وهو يراقب شفتيها تتحركان ليخرج صوتها العذب من بينهما من جديد....

خفق قلبه وهو يترقب اللحظة التي طالما تمناها...

وطالما خافها!!!

لم يكذبه شعوره بها عندما ظن أن يوم فراقهما قد اقترب...

لكنه لم يكن يظنه قد اقترب إلي هذا الحد...

الآن تتركه جوريته...

بل يتركها هو!!

الآن يسحبون منه روحه ببطء...

يسحقون قلبه تحت أقدامهم...

ينزعون من أنفاسه الهواء...

الآن...يأخذون جوريته بعيداً عنه!!!



لكنه يستحق...

لن يسامح نفسه يوماً علي ما فعله بها...

ربما حرمانه منها هو العقاب الوحيد الذي يستحقه!!!

اندفع الجميع نحو جويرية يهنئونها بسعادة...

وبعدما انتهت عاصفة التهاني....

بحثت بعينيها عنه وسط الوجوه....

لتجده واقفاً في زاوية الغرفة مغمضاً عينيه في سكون...

كاد قلبها يذوب من أجله وهي تشعر به في هذه اللحظة...

رغم كل الأحداث المؤلمة التي عادت لذاكرتها عن ليلة زفافها المشئومة...



لكنها وجدت له ألف عذر وألف شفيع من مشاعره التي عايشتها معه في الأيام السابقة...!!

ودت لو تختلي به الآن لتتكلم معه...

لتخبره عن هذه الأحاديث الطويلة التي ادخرتها لأجله...

لتخبره عن أحاسيس قلبها الجديدة نحوه...

لتناجيه بهمسها هي هذه المرة لكن في صحوه وليس في منامها كما كان يفعل!!!

لكن قاسم النجدي قطع أفكارها وهو،يقول بصوته المهيب:

_حمداً لله علي سلامتك يابنتي.



ازدردت ريقها بصعوبة وهي تهمس:

_سلمك الله يا جدي.

قال قاسم بلهجة صارمة:

_اخرجوا جميعاً ودعوا لي عمار وجويرية فقط.

تبادل الجميع نظرات الشفقة الممتزجة بالترقب...

ثم نفذوا أمره صاغرين....

وعندما خرج الجميع ...

قال قاسم لعمار بحزم:

_لقد أخبرتك بعقابي جزاءً لك علي فعلتِك بابنة عمك....الآن تطلقها وترحل من هنا...



أطرق عمار برأسه فيما نظرت إليه جويرية في رجاء....

تناجيه بقلبها لعله يشعر بها....

لا تفعلها يا عمار...

لا تتركني...

لا تتخلّ عن حبك لي!!

أنا لن أقوي علي الوقوف بوجه قاسم النجدي فافعل أنت...

أرجوك يا عمار ...أرجوك....

لكن عمار كان في وادٍ آخر...

الأمر لا يتعلق فقط بأوامر قاسم النجدي التي لا ترد...



لكن بعلمه بأنها تحب رجلاً آخر غيره وكادت تهرب معه...

وبخوفه عليها من نفسه أن يؤذيها من جديد....

لقد وعدها أن يثأر لها من نفسه....

وأي ثأرٍ أقوي من أن يذبح قلبه فداءً لها؟!!!!!

لهذا رفع رأسه إليها أخيراً ليقول بصوت متقطع:

_أنتِ طالق!

=====

تمدد ياسين جوارها علي السرير وهو يضم رأسها لصدره هامساً:

_ألم يحن الوقت لنعود لبيتنا يا رقية؟!

رفعت رأسها إليه لتقول بما يشبه الاعتذار:

_دعنا هنا قليلاً يا ياسين...

ثم تلفتت حولها هامسة:



_هنا أتلمس سلواي من ذكراه التي تملأ المكان...لو رحلت عن هنا سيزداد شعوري أنه مات حقاً كما يزعمون...وأنا لا أريد أن أصدق...عاصم الهاشمي لن يموت...لن يموت أبداً...

قبل رأسها بحنان ثم همس برفق:

_كما تشائين يا غاليتي...أنا معكِ أينما تريدين...

قالها وهو يقوم من الفراش ...

فقامت بدورها لتقف قبالته وهي تهمس في امتنان:

_شكراً يا ياسين...لقد منحتني كل الدعم الذي كنت أحتاجه.

ربت علي وجنتها برفق وهو يهمس بأسف:

_ليتني أستطيع منحك ما تستحقينه يا غاليتي.



تنهدت في حرارة وهي تفهم مغزي كلماته...

عندما سمعا طرقاً علي الباب لتدخل الخادمة قائلة لرقية بأدب:

_هناك رجل بالأسفل يريد تعزيتك والسيد ياسين.

سألتها رقية بترقب:

_ألم يقل اسمه؟!

هزت الخادمة رأسها نفياً...ثم انصرفت...

فأمسك ياسين كفها وهو يقول بهدوء:

_تعالي نقابله سوياً...

نزلا معاً إلي بهو المنزل حيث كان هذا الرجل ينتظرهما...



والذي قام من مكانه عندما لمحهما ليصافح ياسين قائلاً بهدوء:

_تعازيّ الحارة سيد ياسين.

ثم التفت لرقية قائلاً:

_تعازيّ يا سيدتي...البقاء لله.

جلست رقية جوار ياسين الذي سأله بهدوء:

_لم نتشرف بمعرفة سيادتك.

ابتسم الرجل ابتسامة صفراء وهو يقول:

_اسمي مصطفي...دكتور مصطفي الشيمي...أعرف أن الوقت غير مناسب لكنني أردتك أن تدرك الفضيحة التي ألمت بعائلتكم.



عقد ياسين حاجبيه وهو يسأله:

_فضيحة؟!

سكت مصطفي للحظات ليعطي كلماته التأثير المطلوب....ثم قال بأسف مصطنع:

_آسيا ابنة عمك.

هب ياسين من مقعده ليقول بلهفة:

_ماذا عنها؟!

ابتسم مصطفي ابتسامته الصفراء وهو يقول :

_لم تمت كما تظنون.

ابتسم ياسين رغماً عنه ثم صمت لحظات مصدوماً.....

قبل أن يسأله بتلهف شديد:

_هل رأيتها؟!



هز مصطفي رأسه بإيجاب وهو يقول بأسف مصطنع:

_للأسف الموضوع مخجل لكنني مضطر لقول الحقيقة حتي تنقذوا الوضع.

نظر ياسين لرقية التي كانت مصدومة بدورها ثم قال له بقلق:

_ماذا تعني ب"مخجل" هذه؟!

أطرق مصطفي برأسه وهو،يقول :

_لقد هربت لتقيم مع رجل يدعي بدر في مزرعته في (..........).

تقدم ياسين نحوه ليجذبه من ياقة قميصه صارخاً بغضب:

_اخرس أيها الحقير...



هتف مصطفي بخوف واضح:

_اهدأ يا سيد ياسين ياسين...صدقني إنها الحقيقة.

قامت رقية لتقول لياسين بتوتر:

_اسمع منه يا ياسين...

ثم قالت لمصطفي بصرامة:

_أنت في فيللا عاصم الهاشمي...هل تدرك معني هذا؟!!!!يمكنني أن أزجك في السجن بإشارة واحدة مني...قل الحقيقة كلها.

نقل مصطفي بصره بينهما بقلق...

وهو يلعن غباءه وتهوره الذي دفعه للانتقام من آسيا وبدر بهذه الطريقة...

لكن...لم يعد هناك مجال للتراجع...

لهذا قال لياسين بتوتر:

_سأخبرك بكل ما أعرفه



الفصل السابع عشر:

غادرهم المأذون وشاهده...

ليسند جسار رأسه المطرق بين كفيه ...

لا...لا يستطيع التخلي عن آسيا !!!

لكن حقيقتها التي ظهرت ستفتح عليه أبواب الجحيم من جديد!!!

ماذا سيفعل قاسم النجدي لو علم أن حفيدته الهاربة تقيم هنا معه منذ تركتهم؟!!!!

ماذا سيظن؟!

سيظنه أغواها استجابة لثأره القديم!!!

وربما يؤجج هذا العداوة من جديد...

ليعود منجل الثأر يحصد الرؤوس بلا رحمة!!!



ربت كساب علي كتفه وهو يقول بحكمة:

_هون عليك يابني...من يدري لعل الله يحدث أمراً!

نظرت إليهما آسيا بقلق ثم قالت بتردد:

_ماذا سنفعل الآن يا بدر؟!

رفع جسار رأسه إليها لينظر إليها طويلاً ثم قال ببطء:

_جسار يا آسيا...وليس بدر...لقد مضي عهد التخفي...

شعرت بحسرته في كلماته تجلد ضميرها بالسياط...

هذا الرجل سواء كان بدر او جسار لم يقدم لها سوي كل خير...

بينما هي أفسدت له حياته كلها...



هتفت بأسف:

_أنا كنت لعنة علي هذه العائلة...ليتك تركتني أرحل !!

تنهد جسار وهو يقول بحزم:

_فات أوان هذا الكلام الآن يا آسيا...الآن مصيرنا واحد وطريقنا واحد.

قالها وهو يقوم من مكانه ليقول بضيق:

_سأعود لغرفتي...وأنتِ ستبيتين في غرفة ياسين...منعاً للأقاويل...

نظرت إليه وهو ينصرف عنها عائداً لغرفته في حسرة...

كم تمنت لو يبقي معها ولو قليلاً...



حتي يطمئن قلبها الذي يكاد يتوقف الآن ذعراً!!!

كم تتمني لو يغمرها الآن بحنانه الذي تعرفه...

لعلها تتصبر به علي قلقها من غدها...

لكن عقلها نهرها!!!

كفاكِ ضعفاً يا آسيا...

كفاكِ ضعفاً وأنانية...

هو الذي يحتاج للدعم الآن وليس أنت!!

لكنها للأسف لا تملك ما تفعله له...

حتي مجرد البقاء جواره..

لقد لفظها من حياته من أول ليلة...

ليشعرها أنها ليست سوي واجب ثقيل!!!



اقترب منها العم كساب متأملاً ملامحها باشتياق كاسح وهو يقول بحنان:

_كيف لم أنتبه للشبه بينكما؟! أنتِ تشبهين فريدة إلي حد كبير.

التفتت إليه آسيا وهي تقول بابتسامة شاحبة:

_يبدو أنك تعرف أمي جيداً!

ابتسم كساب في شرود وهو يقول بمرارة:

_أعرفها؟! فريدة هي عمري كله!

اتسعت عينا آسيا بصدمة وهي تسأله:

_عمرك كله؟!!!

تنهد في حرارة وهو يقول لها :

_تعالي معي يابنتي...سأريكِ شيئاً...



سارت معه آسيا حتي غرفته الكائنة خارج المنزل الكبير...

دخلها لبضع دقائق ثم خرج حاملاً قلادة مميزة منحها لها قائلاً بشرود:

_هذه هي الذكري الوحيدة التي حملتها منها...سقطت منها يوماً وهي تسير في الطريق...كنت أتبعها خلسة كعادتي...ولم أكد أراها حتي التقطتها لتبقي تذكرني بها...

هزت آسيا رأسها بحيرة وهي تسأله:

_ما حكايتك مع أمي بالضبط؟!

جلس العم كساب علي أحد المقاعد خارج غرفته...

ثم تنهد وهو يقول بعمق:

_الحكاية طويلة...لكن لا بأس...ليس شيئٌ أحَبُ عندي من الكلام عنها!!!



ابتسمت آسيا في حنان وهي تجلس جواره لتقول برفق:

_أخبرني يا عمي.

أسند كساب رأسه علي ظهر مقعده مغمضاً عينيه وهو يقول:

_فريدة كانت جارتي في البلدة...أحببتها منذ كانت صغيرة تتمايل بضفائرها علي الطريق...لا أذكر أن امرأة سواها تملكت دقات قلبي كما فعلت هي...ولما لم أستطع مصارحتها بشعوري...كنت أحاول لفت انتباهها بأي صورة...كنت أتتبعها في كل مكان تذهب إليه...أنظر إليها لعل عينيّ تفضحان ما عجزت عن البوح به...ظللت علي هذا لسنوات...حتي هيئ إليّ أنني نجحت عندما لمحتها مرة تبتسم لي...



ابتسمت آسيا في حنان ثم همست :

_وماذا حدث بعدها؟!

تنهد كساب قائلاً:

_لقد سبقني والدك رحمه الله وتقدم إليها...وافق والدها بالطبع لأن نسب النجدي لا يرد...التقيتها بعدها في السوق لتنظر إلي نظرة لن أنساها ما حييت...وكأنها تخبرني أنها لا ذنب لها وأنني هو من تأخر...

هزت آسيا رأسها وهي تسأله بدهشة:

_أنت لم تحدثها أبداً؟!

ابتسم كساب وهو يقول:

_ليس كل الحديث بالشفاه يا صغيرة...حديث العيون أصدق وأمتع..

ثم أردف بشرود:



_تزوجت فريدة من سعد النجدي...ولم أكد أبتلع حسرتي عليها حتي قُتل ابن عمي وذهبت ظنون الجميع لعائلة النجدي نظراً للعداوة القديمة بين العائلتين...ليبدأ بعدها مسلسل الدم الذي قطعه جسار بشجاعة وأنا ساعدته...

عقدت حاجبيها لتسأله :

_ماذا تعني؟!

قال بحزن واضح:

_عندما قُتل ابن عمي طلبوا مني أنا أن آخذ ثأره...ولما كان سعد هو الابن الأكبر لقاسم النجدي بعد وفاة عمك حبيب بمرض شديد...فقد طلبوا مني أنا أن أقتله...

شهقت آسيا بعنف وهي تسأله بارتياع:

_أنت الذي قتلت أبي؟!



نظر إليها كساب طويلاً ثم قال بأسي:

_هذا ما ظننته فريدة أيضاً...ظننتني قتلت زوجها...لكنني أقسم لكِ يابنتي أنني لم أفعل...لقد وجدوه مقتولاً علي الطريق...لكنني لا أعرف من قتله...

أومأت آسيا برأسها وهي تهمس:

_وماذا حدث بعدها؟

قال كساب بشرود:

_وقتها تشابكت كل الخيوط...اشتعلت العداوة أكثر بين العائلتين...وسقط القتلي من الجانبين ...ووسط دائرة الانتقام هذه وجد جسار نفسه مطالباً بثأر جديد...لكن سمية الغالية التي عشقته من كل قلبها أقنعته بالهروب من هذا كله....



هي التي اقترحت عليه أن يهربا معاً من كل هذا حتي يتوقف نزيف الدم...وهذا فعلاً ما حدث بعد هروب جسار ووفاة والده كامل القاصم وسفر جدك للمدينة مع أحفاده.....

صمتت آسيا طويلاً ثم هزت رأسها بحزن وهي تهمس:

_طوال هذه السنوات ونحن نعيش في رعب...حمزة ابن عمي الذي حُرم من البقاء بيننا وأبعده جدي خوفاً عليه...أنت لا تتصور الرعب الذي كنت أشعر به لمجرد سماع اسم جسار القاصم...لقد تربيت علي الخوف منه...وحتي الآن لا أصدق أنه هو بدر الرقيق الحنون الذي قابلته هنا....

قال كساب بحكمة:



_من يدري يا بنتي...لعل زواجكما يكون نهاية العداوة بين العائلتين.

هزت رأسها نفياً وهي تقول:

_ليس في هذه الظروف يا عمي...زواجنا سيبدو وكأنه تستر علي خطيئة وليس زواجاً حقيقياً...سيظنون أن جسار أغواني ليحقق انتقامه بخسة...ليعود نزيف الدم الذي لن يتوقف هذه المرة.

ثم أردفت بألم:

_ليتهم يقتلونني أنا ويدعونه هو وياسين الصغير!

نظر إليها كساب وهو يلمح صدقها في عينيها فسألها بحنان:

_تحبين جسار يا بنتي؟!



نظرت إليه في تردد أظهر مشاعرها الدفينة...

ثم قالت بشرود حزين:

_وماذا يفيده حبي يا عمي؟! حبي لن يزيده ولن ينقصه...أنا لست سوي واجب ثقيل أداه مضطراً...لعنة أصابت عالمه الذي ضحي بعمره لأجله ...ليتني لم آتِ إلي هنا...ليتني متّ فعلاً كما حاولت أن أوهمهم...

قالتها وهي تندفع نحو غرفتها الخارجية باكية بانهيار...

فتنهد العم كساب في حزن وهو يتأمل السماء بنجومها في شرود....



غافلاً عن عيني جسار اللتين كانتا تراقبانهما من خلف جدار قريب...

بعدما استمع للجزء الأخير من الحوار للأسف...

لم يكن يقصد التصنت عليهما...

لكنه شعر بالقلق عندما تفقد آسيا ولم يجدها مع ياسين الصغير...

ولا في المنزل كله...

ذهب ليسأل العم كساب عنها ليستمع مصادفة لحديثهما...

أطرق برأسه وهو يفكر أن الأمور تعقدت كثيراً...

مشاعر آسيا نحوه لابد أن تختفي...

يجب أن تتخلص من حبها اليائس له...

بل يجب أن تكرهه !!!



لن يسمح لها أن تضيع عمرها بحب لا طائل منه...

هو لن يكون سوي لسمية...

هو رجل غير قابل للقسمة كما قالت عنه يوماً!!!

لابد أن يتوقف عن معاملتها بحنانه السابق...

سيتجاهلها ...بل سيقسو عليها...

حتي ينتزع حبها هذا من قلبها...

لتعود حرة وترحل من هنا متي شاءت!!!

التفت نحو غرفتها الخارجية المضاءة ليحسم قراره الأخير...

جسار لن يكون كبدر يا آسيا...

لن يكون!!!



صعدت ساري إلي سطح المنزل تحمل دميتها الحبيبة ....

فتحت الباب برفق لتجد النور مضاءً...

ابتسمت في سعادة وهي تراه جالساً علي الأرجوحة الكبيرة هناك...

تقدمت نحوه فابتسم لها فارداً ذراعه جواره ليهمس بحب:

_تعالي.

جلست جواره ليضمها إليه بأحد ذراعيه ويربت علي وجنتها بالآخر هامساً:

_لماذا أنتِ مستيقظة إلي الآن؟!

رفعت وجهها إليه وهي تهمس:



_لقد كان يوماً طويلاً...لكنه انتهي نهاية سعيدة...جوري استعادت قدرتها علي النطق...

تنهد قائلاً:

_لكن عمار سيطلقها...أنا أدرك شعوره الحارق الآن...

دفنت رأسها في كتفه وهي تشعر بالأمان لتهمس :

_لو أرادها حقاً سيعرف كيف يستعيدها...

ثم عادت ترفع رأسها إليه لتهمس في عاطفة:

_كما فعلت أنت!

نظر إليها طويلاً...

ثم همس بصوت يحمل زخات من الندم:

_هل تذكرين ليلة زفاف جوري وعمار...لقد قلتِ لي يومها أنكِ ستكرهينني طوال عمرك...



تنهدت في حرارة وهي تشيح بوجهها لتقول بشرود:

_رغم أن فعلتك يومها ذبحتني...لكنني أحسست أنك تغيرت حقاً منذ تلك الليلة...

ثم التفتت إليه لتهمس:

_أحسست أن نبتة من حبي بدأت تنمو ببطء في صدرك...تجاهد كي تري طريق النور...لتزهر براعمها بقلبك وتمنحني عشقاً لم أتخيله يوماً...

ثم أسندت رأسها علي صدره لتهمس:

_حذيفة الذي أحببته طوال عمري وضل عني في تيه غفلته وعبثه...عاد إلي من جديد....

رفع ذقنها إليه وهو يهمس برجاء:

_سامحتني؟!



أومأت برأسها وهي تهمس:

_من كل قلبي يا حبيبي.

تأوه بقوة وهو يسمعها منها لأول مرة...

حلوة...

نقية..

صادقة...

تماماً مثلها!!!

أخفي وجهها في صدره هامساً بهيام:

_قوليها دوماً يا ساري...اجعليني اسمعها منكِ في كل وقت...اجعليها ترياقاً لي من سموم الماضي...احميني بها من شر نفسي...



رفعت رأسها إليه لتهمس بحب:

_حبيبي...حبيبي...حبيبي...

كاد يشعر بروحه تذوب منه مع حروفها التي ليست كأي حروف!!!

هذا حب لا يلقاه المرء إلا مرة واحدة في عمره...

محظوظ هو بملاك مثلها أحبه رغم زلاته...

رغم كل النساء اللاتي سارت خُطاهنّ علي دربه...

وحدها ساري استطاعت طمس آثارهن جميعاً...

لتصل وحدها لعرش قلبه...

متربعة في تملك !!!



ابتسم وهو يقبل جبينها بعمق ثم همس بشرود:

_أشعر اليوم بشعور غريب...وكأنني ولدت من جديد...وكأن عمري السابق كله في كفة...وعمري من اليوم في كفة أخري!!!

همست بسعادة:

_لا تتخيل سعادتي بك يا حذيفة...كم حلمت بهذا اليوم!

نظر لعينيها بعمق وهو يسألها بدهشة تمتزج بالاعتذار:

_كيف تحملتِ حبي طوال تلك السنوات...كيف استطعتِ التعايش مع قسوتي وتجاهلي لكِ؟!

أخذت نفساً عميقاً ثم همست ببطء:



_لم يكن اختياراً يا حذيفة...الحب الذي يولد وينمو معنا صغاراً يمتزج بدمنا وخلايانا...يصير جزءاً منا...لا يمكنني تذكر لحظة واحدة من أيامي السابقة ولا أذكرك معها...حبك كبصمة يدي مميزة لا تتغير...وتخصني وحدي...لا أشارك أحداً فيها...

رفع إبهامها إليه يقبل باطنه هو يهمس أمام عينيها:

_ولن يشاركك فيها أحد...

ابتسمت وهي تهمس:

_أنا أصدقك يا حذيفة...الآن أصدقك...قلبي يخبرني أنك تغيرت...

ثم مدت أناملها تداعب شعره لتهمس بحب:

_أنا أراهن نفسي عليك...وسأربح رهاني.

قرص وجنتها مداعباً وهو يهز رأسه هامساً بهيام:

_لا أصدق أنني أسمع هذا منكِ...لقد كاد شعري يشيب لنيل رضاكِ.



نظرت إليه بعتاب وهي تهمس:

_لم يكن الأمر بهذه الصعوبة...أنا لم أطلب سوي نظرة صادقة كهذي التي أراها في عينيك الآن...

نظر إليها طويلاً...

يتأمل ملامحها بعشق جارف....

ثم مال بعدها علي شفتيها بتردد...

يخاف أن تخذله ككل مرة....

لكنه لم يلبث أن حسم تردده سريعاً وهو يبثها عبر قبلاته حبه وندمه واعتذاره ....

وكثيراً جداً من وعوده...

أنه لن يكون من اليوم إلا لها!!



ويبدو أن قبلاته الصادقة حملت رسالته ببراعة...

ليشعر بها -ولأول مرة -تستجيب له بعاطفتها...

ساري التي سيجاهد نفسه الآن كي يستحقها...

وليته ينجح في اختباره الأيام القادمة!!

====

كان واقفاً في غرفتهما يجمع أغراضه ...

عندما تقدمت نحوه ببطء...

تتأمله بأسف واضح...

همست باسمه بكل ما أوتي قلبها من عاطفة :

_عمار.

لم يلتفت إليها وهو منهمك في جمع أغراضه لكنه هتف بخشونته المعهودة:

_ماذا تريدين؟!



وقفت أمامه تمنعه من الاستمرار فيما يفعله فنظر إليها كارهاً وهو يقول:

_انزلي عند والدتك حتي أنتهي من عملي...وأرحل عنكم للأبد...

امتلأت عيناها بالدموع وهي تمسك كفه الذي طالما كتبت عليه لتهمس:

_لماذا طلقتني يا عمار؟!

نزع كفه منها بعنف وهو يهتف:

_لتعودي لذاك الرجل الذي كنت ستهربين معه...اليوم لا حاجة للكِ في الهرب...انطلقي في الطريق الذي اخترتِه لنفسك.



سالت دموعها علي وجنتيها وهي تهمس :

_أنت لا تفهم!

هتف بغضب هادر:

_ولا أريد أن أفهم...لقد أديت واجبي نحوك ووقفت جوارك حتي شُفيتِ تماماً وبهذا أكون قد كفرت عن خطئي معكِ...وهأنذا أغادر حياتك للأبد...كما كنتِ تتمنين...

هزت رأسها بعجز وهي تشعر أن لسانها انعقد...

أين الأحاديث الكثيرة التي ادخرتها لتسمعها له...؟؟!!

أين اعترافاتها واعتذاراتها عن سوء ظنها فيه؟!!!

أين همسات امتنانها وشكرها لكل ما منحه لها طيلة هذه الأيام؟!!!



بل طيلة هذه السنوات...

لسانها يعاندها وكلماتها كلها هربت من علي شفتيها فجأة...!!!

ورغماً عنها ودون أن تشعر...

وجدت نفسها تسحب قلمه من قميصه...

لتجذب كفه من جديد وتكتب:

_لا تتركني...أرجوك...

وكأنها شعرت أن هذا هو أصدق تواصل بينهما...

عندما تمسك كفه في تملك فيتشرب جلده كلماتها لتصل إلي قلبه أسرع!!!



قبض كفه علي كلماتها بقوة مغمضاً عينيه للحظات...

وكأنه يحتفظ بكنز كلماتها الأخيرة كي لا يفقده**!!!**

يحاول السيطرة علي كل مشاعره الهادرة كبحر هائج الآن...

ويتمني لو يضمها اليه مرة أخيرة يودعها بعدها للأبد....

رفع رأسه لأعلي وكأنه يهرب منها ثم همس ببطء:

_لم تكوني لي من البداية يا جوري...أنا الذي أصررت علي عناد قدري...

فتحت شفتيها تريد أن تخبره أنها ما عادت تشعر نحوه كالسابق...

أنها تريده جوارها.



أنها تتمني لو لم تعد لها قدرتها علي النطق...

لو بقيت خرساء طوال عمرها...

كي لا تفقده!!!!

لكنها لم تستطع...

شئ أقوي منها يشل لسانها وحركتها...!!!!

ظلت تنظر إليه طويلاً في عجز يمتزج بالتوسل...

لكنه انتزع عينيه من سجن عينيها أخيراً ليغلق حقيبته ...

ثم أشاح بوجهه ليقول ببرود تعلم الآن جيداً ما يخفيه:

_وداعاً يا جوري!



قالها وهو يغادر الشقة تاركاً إياها متجمدة خلفه...

لا تصدق هذا الذي يحدث لها...

لا تصدق كل هذا التحول في مشاعرها نحوه...

لا تصدق كيف تحول عمار البغيض الذي كان يثير وجوده كل الرعب في أعماقها....

إلي رجل لم تعد تري أمانها إلا معه...

جلست علي طرف فراشها تنظر للباب الذي خرج منه بصدمة عجزها....

تري...هل تعود يوماً يا عمار...؟!!

هل تعود؟!!!!!

===

وقف ياسين في شرفة غرفة عاصم الهاشمي...

حيث يقيم الآن مع رقية



أخذ نفساً عميقاً يحاول استيعاب ما سمعه من ذلك الرجل مصطفي منذ ساعات...

آسيا لازالت علي قيد الحياة!!!!

إذن لماذا اختفت كل هذه الفترة؟!!!

وما صحة ما قاله ذاك الوغد عن علاقتها بصاحب المزرعة هذا؟!!!

لا لا لا....

هو يعرف آسيا جيداً...

لقد تربي معها....

لا يمكن أن تفعل ما يشين...

لكن....ألا يحتمل أن يكون هذا الرجل هو الذي أغواها؟!!!



ألا يحتمل أنه هو الذي يجبرها علي البقاء معه؟!!

كاد يجن بأفكاره الهائجة عندما عادت إليه رقية تحمل هاتفها لتقول بقلق:

_لقد أجريت اتصالاتي...كلام الرجل صحيح فيما يتعلق بمكان تلك المزرعة لكن مالكها لا يدعي بدر...اسمه الحقيقي جسار القاصم...

اتسعت عينا ياسين في ارتياع وهو يهتف بجزع:

_جسار القاصم!!!!

ازدردت رقية ريقها ببطء وهي تقول بتوتر:

_من هذا الرجل؟!

هز ياسين رأسه وهو يقول بصدمة:



_إنه الرجل الذي يطاردنا بالثأر منذ سنوات...لكن الثأر يؤخذ من الرجال...هذا الخسيس اعتدي علي حرمة نسائنا...غير اسمه ليغوي آسيا!!!!!

قالت رقية بتعقل:

_كيف يغويها وهي تعشقك أنت يا ياسين؟! ربما كانت فقط تعمل هناك ...

خبط علي سور الشرفة بكفه وهو يهتف بغضب:

_كيف تقيم هناك معه وحدها طيلة هذه الشهور....جسار القاصم لن يضيع هذه الفرصة لينتقم منا....ذاك الوغد انتظر كل هذه السنوات متخفياً...ولم يجد إلا آسيا لينفذ فيها انتقامه....؟!!!!

أخذت رقية نفساً عميقاً تستوعب به مشاعرها تلك اللحظة...



تخمد به لهيب قلبها الذي يشتعل غيرة من خوفه علي معشوقته...

وسعادته الملهوفة التي لم تخفَ عليها عندما علم أنها لازالت علي قيد الحياة...

تسكت به صراخ روحها التي تطالبها بالتمرد علي وضعها الغريب الذي طال...

وتستجيب لصوت العقل الذي يأمرها الآن...

لقد حان وقت الرحيل يا رقية!!

ارفعي رأسك ياابنة أبيك ...

وانفضي عن قلبكِ رداء ضعفه...

وعودي كما كنتِ رقية الهاشمي التي لم ولن يكسرها أحد.....!!!!



تناول ياسين مفاتيحه ليقول لها بسرعة:

_يجب أن نري حلاً لهذه الكارثة...حان الوقت لنعود لبيت العائلة..

تجمدت مكانها لحظات تنظر إليه طويلاً.....

ثم هزت رأسها نفياً وهي تقول بهدوء:

_عد أنت لبيت العائلة...أنا لن أعود معك...

عقد حاجبيه بشدة فأعطت له ظهرها وهي تقول بثبات تحسد عليه:

_لقد مات والدي الذي تزوجتني لأجل نفوذه...وحبيبتك عادت للحياة وتحتاج وجودك جوارها الآن لتنقذها مما هي فيه...الآن لم يعد لزواجنا معني...



سار ليقف قبالتها قائلاً بصدمة:

_ماذا تقولين يا رقية؟!

نظرت لعينيه وهي تقول بقوة:

_لقد وعدتك ألا أتركك طالما تحتاجني...وأنت الآن في غنيً عني...هاقد وفّت رقية الهاشمي بكل وعودها معك...والآن جاء دورك لتفي بوعدك معي...

ازداد انعقاد حاجبيه وهو يسألها بحذر:

_أي وعد؟!

اقتربت منه خطوة وهي تعقد ساعديها علي صدرها رافعة رأسها بكبرياء لتقول:

_وعدتني ألا تفعل إلا ما يرضيني...وأنا الآن أريد الطلاق.....



تهدج صوتها في عبارتها الأخيرة رغماً عنها...

ليفلت من عقال سيطرتها علي جميع جوارحها الآن...

فيما ظل هو ينظر إليها طويلاً...

لتلتقي عيناهما للحظات واجهته فيها بقوتها التي تميزها...

قبل أن تعطيه هي ظهرها من جديد لتنسحب قبل أن يخذلها تماسكها...

لكنه أمسك ذراعها ليديرها إليه ثم أمسك كتفيها لينظر في عمق عينيها هامساً:

_تريدين أن نفترق يا رقية؟!



هربت من عينيه لتقول بثبات:

_نعم...وبسرعة...

ابتسم في سخرية مريرة هامساً:

_بسرعة؟!!!

زفرت زفرة قصيرة وهي تقول بانفعال:

_زواجنا كان مجرد خطإ كبير...لم ندفع ثمنه وحدنا...بل دفعه معنا غيرنا...وآن الأوان لنصلح هذا الخطأ ويمضي كل منا في طريقه....

اقترب منها أكثر حتي كاد يلاصقها وهو يهمس عاتباً:

_زواجنا خطأً يا رقية؟!

هتفت بنفس الانفعال:



_نعم ...خطأ...ورقية الهاشمي لن تسمح -بعد- بأي نقطة ضعف في حياتها ...حتي لو مات عاصم الهاشمي ...وحتي لو فقدت دعمه وقوته...سأبقي قوية كما عهدني وكما عهدت نفسي...

ثم أردفت بنفس القوة وهي تشير للمكان حولها:

_الحمد لله أن هذا تم هنا...وأنا في بيته وفي غرفته...أشعر بروحه تؤازرني في قراري...

نظر إليها طويلاً في صمت قبل أن يسألها بنبرته اللائمة:

_وقلب رقية الهاشمي؟! هل يوافقك علي قرارك هذا؟!



رفعت رأسها في كبرياء لتقول :

_أخبرتك قبلاً لو تعارض قلبي مع كبريائي سأسحقه تحت قدمي وأرفع كبريائي علي رأسي...

تنهد في حرارة...

ثم أطرق برأسه للحظات...

قبل أن يرفع وجهه إليها لينظر لعينيها طويلاً...

لكنها لم تتأثر...!!

لقد أجادت السيطرة علي جوارحها تماماً هذه المرة...

مد أنامله يتحسس وجنتها برفق للحظات وهو لا يزال غارقاً في بحر عينيها الهائج....

لتشعر بروحها تنسحب منها رويداً رويداً...

وهي تشعر

بالسكينة في لمساته...



فأغمضت عينيها وهي تهمس باعتراض:

_ياسين!!

أحاط وجهها بكفيه وهو يقترب بشفتيه من شفتيها هامساً:

_لقد وعدتكِ ألا يمس رقية الهاشمي إلا رجل يحبها ...

فتحت عينيها بترقب...

وهي تنظر إليه بتساؤل...

فاقترب بشفتيه أكثر وهو يهمس:

_وأنا ..أحبك بجنون ...

تناول شفتيها بقبلة عميقة...



وهو يستشعر صدق كلماته...

هو لم يقلها ليسترضيها...

ولا ليثنيها عن قرارها...

لكنه قالها وهو يعنيها...

من للحب سوي رقية؟!!!

بل لمن خلق الحب إن لم يكن لها؟!!!!

أفاقت لنفسها بعد لحظات غابا فيها عن العالم في دنيا أخري من عاطفتهما الخاصة....

لتنظر إليه في عدم تصديق...

فرفع كفها إليه يقبل باطنه ليهمس أمام عينيها:



_الآن فقط...أقولها أمام عينيك دون قيود...أقولها وأنا أعنيها بكل حروفها...أنا أحب رقية الهاشمي التي لم ولن أعرف امرأة مثلها...

ثم ضم رأسها لصدره وكأنه يدفنه في ضلوعه هامساً:

_بعيداً عن نفوذ عاصم الهاشمي...وحتي لو عادت آسيا من جديد...قلبي الآن لا يحمل سوي حب واحد...حب أعظم من أن أضحي به مهما كان...حب رقية ...سلطانة العشق التي ملكت جوارحي وداوت جروحي...

شعر بدموعها تبلل قميصه...

فرفع وجهها إليه وهو يمسح دموعها هامساً:



_لا بكاء بعد اليوم يا غاليتي...قلبك لن يعارض كبرياءك بعد اليوم...كلاهما سيرفع علي رأسك ورأسي أنا أيضاً...

ابتسمت وسط دموعها وهي تشعر بصدق حبه الذي طالما انتظرته...

ليأتيها في نفس اللحظة التي كادت تموت فيها يأساً...

ياسين الآن صار لها كاملا....

لكن آسيا!!!!

سألته بتردد:

_وماذا عن آسيا يا ياسين؟!

أطرق برأسه وهو يقول :



_لن أتخلي عن آسيا هي ابنة عمي ولها معزة خاصة عندي...لكنها لم تعد عشقاً يتملكني...ما كان يمنعني عنك طيلة الأيام السابقة لم يكن حبي لآسيا...لكن شعوري بالذنب نحوها...شعوري من الخزي أن أعشق من جديد وقد كنت أنا السبب في موتها...لكنني الآن وبعدما صار أمامي الخيار متاحاً...أدرك أنني لم أعشق امرأة كما عشقتك أنتِ يا رقية....

ثم نظر لعينيها هامساً بعشق جارف:

_الآن يتحرر قلبي من أغلال ماضيه ليرتع في ربوع عشقك الساحرة...الآن تكونين صديقتي وحبيبتي وزوجتي...

دفنت وجهها في صدره وهي تقول:

_اااااااه يا ياسين...لو تعلم كم اشتقت لسماع هذا منك...

ضم رأسها لصدره بقوة وكأنه يريد غرسها بين ضلوعه....

ثم رفع وجهها إليه وهو يهمس:

_لو تعلمين كم اشتقت أنا لقولها لكِ!!!!

ابتسمت وسط دموعها وهي تهز رأسها ...

لقد صدقت رقية الهاشمي في قسمها لنفسها ليلة زفافها...

وصار ياسين النجدي بقلبه وروحه ملكاً لها...

====

صعد ياسين درجات سلم بيت العائلة الكبير ليلتقي عمار الذي كان يستعد للمغادرة...

نظر ياسين لحقيبته في يده هاتفاً:



_إلي أين تذهب يا عمار؟!

قال عمار بغلظة:

_جوري استعادت قدرتها علي النطق...وجدك جعلني أطلقها...وأمرني بترك المنزل...

زفر ياسين بقوة ثم قال له بقلق:

_دع حقيبتك هذه جانباً....وتعال ننظر ماذا سنفعل في هذه الكارثة...

عقد عمار حاجبيه وهو يهتف:

_أي كارثة؟!

سبقه ياسين وهو يقول بتوتر:

_سأنتظرك عند جدي.

دخل ياسين غرفة جده الذي كان جالساً علي كرسيه كعادته فسأله بهدوء:



_هل عدت أخيراً مع زوجتك؟!

قال ياسين بتوتر:

_هناك أمر يجب أن تعرفه يا جدي كي نستطيع التصرف بسرعة.

دق قاسم علي الأرض بعصاه وهو يقول بحذر:

_ماذا عندك؟!

تردد ياسين لحظات ثم قال بحسم:

_آسيا لازالت علي قيد الحياة.

وقف قاسم هاتفاً بصدمة:

_ماذا؟!

قال ياسين باضطراب:



_لقد تعرف عليها رجل زارني الليلة في منزل عاصم الهاشمي...لقد كان يعمل في المزرعة التي تقيم هي فيها الآن.

هز قاسم رأسه وهو يسأله بغضب هادر:

_أي مزرعة؟!!!

أشاح ياسين بوجهه للحظات ثم عاد يواجهه قائلاً:

_مزرعة في(.......)...لكن المشكلة ليست في هذا...المشكلة في مالك المزرعة...

ضيق قاسم عينيه بتساؤل فقال ياسين بحذر:

_جسار القاصم!



وضع قاسم كفه علي صدره وهو يشعر بألم شديد ...

لكنه تحامل علي نفسه ليقول بانفعال واضح:

_جسار القاصم اعتدي علي حرمة نسائنا؟! الخسيس هرب من ثأره مع الرجال طيلة هذه السنوات ليحقق انتقامه من فتاة!!!

وصل عمار في هذه اللحظة ليستمع للجزء الأخير من الحوار...

فسأل ياسين بقلق:

_ماذا حدث يا ياسين؟!

التفت إليه ياسين ليخبره...

عندما سمع صوت ارتطام خلفه...



لقد سقط قاسم النجدي...

قلبه لم يحتمل الصدمة!!!

====

اجتمعت العائلة كلها حول فراش قاسم النجدي بالمشفي يتبادلون النظرات بحيرة تمتزج بالقلق...

قاسم وبرغم قسوته وتسلطه علي الجميع...

لكنه كان الوتد لهذه العائلة...

وجوده فقط كان كفيلاً لإشعارهم بالقوة والأمان...

وعندما سقط هكذا فجأة...

وجدوا أنفسهم يشعرون بالضياع....

عائلة النجدي لن تساوي شيئاً لو رحل هذا الرجل...!!!



قاسم النجدي هو الذي كان يجمع شتات هذه العائلة وخيوطها بكفه...

لو قدر الله له الموت الآن...

فإن هذه العائلة لن تفقد أمانها وقوتها فقط...

لكنها ستفقد روحها كلها!!!

لهذا تنفس الجميع الصعداء عندما استعاد وعيه ليتفحص ملامحهم بترقب...

ثم همس بصعوبة:

_آسيا...أريد آسيا....

توجهت فريدة -الصابرة-نحوه...

والتي كانت أقلهم صدمة -للعجب-من خبر وجود آسيا علي قيد الحياة...



قلبها الصادق أخبرها قبل أن يخبروها...

أن "الكريستالة" الهشة ستعرف كيف تتدبر طريقها عندما تصقلها الظروف ...!!!!

صحيح أنها قلقة مما سيفعله بها قاسم النجدي...

ومما تحمله لها الأيام مع جسار ذاك...

والذي يعلم الله ما الذي فعله وسيفعله بها....

لكن قلبها المؤمن أنبأها أن الذي حفظ لها ابنتها طيلة هذه الشهور لن يضيعها....

ستعود ابنتها لحضنها سالمة...

هذا يقينها بربها الذي لم يخذلها يوماً...!!!

جلست فريدة علي طرف فراشه وهي تبتسم بشحوب لتقول:



_لا تقلق يا عمي...سنعيدها...اهتم بصحتك فحسب....

نظر قاسم للسقف في شرود...

وهم يراقبونه بتفحص...

هم يعرفون شرود قاسم النجدي جيداً...

سيأتي بعده أمر جلل....!!!

وصدق حدسهم عندما التفت نحو أحفاده ليهمس بصعوبة:

_أخبروا حمزة أن يعود.....آن له أن يرجع!!!!

====



استيقظت آسيا من نومها علي طرقات قوية علي باب غرفتها الخارجية...

نهضت من سريرها وهي تنتبه أنها نامت بثوبها هنا ...

لقد غلبها النوم بعد ليلة عصيبة من البكاء...

كل الحقائق التي تكشفت لها بالأمس جعلتها في حالة من الصدمة وعدم التصديق...

لكنها للأسف...

مجبورة هي علي المضي في الطريق الذي اختارته بنفسها...

وليتها لم تفعل!!!!

عادت الطرقات بقوة أكبر علي الباب هذه المرة...

فقامت لتفتحه...



وجدت جسار أمامها يبدو العبوس علي وجهه...

فهمست بقلق:

_ماذا بك يا بدر؟! هل جد شئ؟!

تأمل ملامحها المنهكة وهو يشعر نحوها بالشفقة...

لازالت بثوبها من البارحة...

عيناها الذابلتان تفضحان ليلة قاسية من البكاء والسهر...

والخوف!!!

لاريب أنها تشعر بالخوف من مستقبلها هنا...

الخوف من عائلتها...

بل...والخوف منه هو نفسه!!!



كم يود لو يمنحها الأمان الذي يعرف جيداً كم تحتاجه الآن...

لكنه لا يستطيع...

بعدما سمعه بأذنيه بالأمس من كلماتها التي أشعرته بأنها تحبه....

كل همسة حنان منه الآن جريمة في حقها!!!!

كل كلمة رقيقة وكل نظرة عطف ستعمق شعورها نحوه أكثر...

وهو ما لا يريده الآن!!!

آسيا يجب أن تبقي حرة...

قلبها ينبغي أن يتحرر من عشقه الوليد له!!!

حتي يمكنها الرحيل من هنا متي شاءت بكل يسر...



لهذا تجاهل كل شعوره بالشفقة والحنان نحوها ليقول بخشونة:

_قلت لكِ أنني جسار...لا تدعيني بدر ثانية...

أطرقت برأسها وهي تستوعب قسوته الجديدة معها...

والتي لم تختبرها قبلاً...

لاريب أنه يكره وجودها الآن أكثر...

لكنه مضطر لتحمل وزرها للنهاية...

كأي رجل نبيل!!!

ضم قبضته بقوة يداري عنها شعوره وهو يقول بقسوة:



_لماذا قضيتِ ليلتكِ هنا؟! ألم آمركِ أن تبيتي مع ياسين...هل تنقصنا أحاديث العاملين هنا؟!!!!

هزت رأسها وهي عاجزة عن النطق...

تشعر بالإهانة...بالامتهان...

لكنها تستحق!!!

هي التي وضعت نفسها في هذا الموقف !!!

لذا قالت بعد صمت لحظات طويلة دون أن تنظر إليه:

___آسفة يا جسار.

كانت المرة الأولي التي يسمع فيها اسمه الحقيقي منها...

وليته لم يفعل...



هل يمكن أن تحمل الحروف مشاعر صاحبها كما تفعل مع آسيا؟!!!!

عندما كانت تدعوه "بدر" ...

كانت حروفها تتراقص ...!!!!

تحمل له زخّات من امتنانها وحنانها ورقتها الفطرية دون تكلف...

تحمل له شعورها نحوه بالأمان والثقة!!

والآن وهي تدعوه "جسار" هكذا...

يشعر بحروفها ترتعش في خوف يمتزج بالحيرة...

وكأنها تشكو منه وتشكو إليه في نفس الوقت...!!!

نعم....حروفها تأتيه مشبعة بألمها وعُتبها علي قسوته الجديدة...



وكأنها عندما تدعوه"جسار" تذكره بما حملته له طوال عمرها من خوف ورهبة!!!

لكنه عاد يتجاهل كل هذا وهو يقول بجفاف:

_اذهبي الآن لغرفة ياسين...سأنجز بعض الأعمال وآتيكم بعد العصر...

قالها ثم أعطاها ظهره منصرفاً بسرعة...

فتأملت خطواته المنصرفة بحسرة...

لقد ذهب بدر الحنون الرقيق المتفهم...

ولم يبق سوي جسار الذي عاشت عمرها السابق تخشاه...

ويبدو أن عمرها القادم لن يخالف عهدها معه!!!



أغلقت باب غرفتها خلفها بعدما خرجت لتتوجه نحو المنزل الكبير...

توجهت نحو غرفة ياسين التي صارت الآن غرفتهما معاً...

فجسار بالطبع لن يشاركها غرفته!!!

بدلت ملابسها بأخري أكثر راحة...

وخلعت حجابها لتمشط شعرها في شرود...

ما أشد مرارة الخذلان!!!

عندما يخذلك كل من حولك...

حتي من ظننتهم أقرب الناس إليك...



يقولون لي : كوني قوية!!

من أين لي بقوة وسط هذا الحطام الذي يملأ روحي؟!

أنا لست أملك إلا دموعي وحسرتي علي ما كان...

وحدي أقاوم كي أقنع أنفاسي -فقط-بالبقاء في صدري...

فلا تنقطع!!!

وحدي أجاهد خطايا ماضٍ تطوقني بحبال من لهيب...!!

وحدي أربّت علي خوف قلبي من غدٍ يرهبه كالكابوس!!!

وحدي...

وحدي...!!!



هكذا كانت تحدث نفسها عندما دخل عليها ياسين ليقول بمرح طفولي:

_يا إلهي...كم أنت جميلة....أنتِ تبدين ك"سندريللا"!!!

ابتسمت وهي تفيق من خواطرها البائسة...

ثم ضمته لصدرها هامسة بحنان:

_وأنت تبدو كالأمير الشجاع...أنت بطلي يا ياسين...

دخل جسار في هذه اللحظة...

ليراها لأول مرة بهذه الصورة...

شعرها الذي يبدو كخيوط الذهب السائلة ينسدل كستار كثيف علي كتفيها...

لينافس عينيها في بريقهما الأخاذ...



تضم الصغير لصدرها في حنان بصوتها الذي يمزج براءة الأطفال بسحر النساء...

أناملها الرقيقة تداعب شعره برقة فتبدو كأنها حورية خرجت من إحدي حكايا العشق الأسطورية...

لتعزف علي قيثارة من الإحساس...

لقد كان يظنها فاتنة...

والآن يراها....آسرة!!

وقف لحظات يتأملها مأخوذاً دون أن تشعر هي به...

حتي انتبه لعبارتها الأخيرة التي قالتها لطفله...

ياسين!!

أي ياسين كانت تقصد وهي تتفوه بها...؟؟؟!!!!

أي ياسين هو أميرها وبطلها...؟؟؟!!!



أي ياسين كان بقلبها وهي تضمه بهذه الصورة الحانية؟؟!!!

ياسين طفله...أم ياسين عشقها القديم؟؟؟!!!!

عقد حاجبيه بشدة عند هذه النقطة...

وهو يشعر بضيق غريب...

وماله بها هو؟؟؟!!!

إنها ليست سوي غريبة تعهدها بالحماية...

فلتعشق من شاءت...

لا شأن له بمشاعرها...

بل لا شأن له بها علي الإطلاق!!!!

جعله إدراكه الأخير هذا يهتف في خشونة:



_اخرج الآن يا ياسين...أريد الحديث مع آسيا وحدنا.

انتفضت واقفة عندما رأته وهي تشعر بقلبها يكاد يتوقف خجلاً وذعراً...

لماذا عاد الآن...

ألم يقل أنه سيعود قبيل العصر؟!!!!

مدت يدها لحجابها بسرعة تتناوله...

عندما خرج ياسين الصغير من الغرفة بسرعة...

لفت حجابها كما اتفق لكنه انزلق من علي شعرها بسرعة ليسقط علي كتفيها....



ازدردت ريقها بارتباك...ثم أطرقت برأسها هامسة:

_ماذا تريد يا جسار؟!

أشار إلي حجابها المنزلق وهو يقول بجفاف:

_اخلعي هذا عندما تكونين في المنزل...الخادمات هنا يتناقلن الأحاديث بلا تحفظ...يجب أن تتعاملي معي بطريقة طبيعية أمام الجميع ...

أومأت برأسها إيجاباً...

ثم همست في ضعف:

_هل تريد شيئاً آخر؟!

زفر بقوة وهو يقول بخشونة:



_وكفّي عن تدليل الصغير هكذا...لا أريده أن يتعلق بكِ أكثر...حتي لا يشقّ عليه الأمر عندما ترحلين...

دمعت عيناها رغماً عنها وهي تسمعه يتحدث عن رحيلها بهذه البساطة...

وهو يعاملها بهذا الأسلوب الجديد...

رفقاً بي يا جسار...

لا تنقصني قسوتك هذه...

كفاني ما قد لاقيت ...

وما سألاقي!!!!

هكذا حدثت نفسها وهي تعطيه ظهرها كي لا يري عينيها الدامعتين...



وضعت كفها علي شفتيها تمنع انهمار دمعها الذي لم يعد لها سواه في غربة روحها هذه!!!

أساء فهم حركتها فجذب مرفقها نحوه ليهتف بقسوة:

_ولا تعطيني ظهركِ عندما أكلم...

قطع عبارته وهو ينظر لعينيها الدامعتين مأخوذاً...

لم تكن المرة الأولي التي يراها فيها تبكي...

لكنها المرة الأولي التي يراها فيها بهذه الهشاشة وهذا الضعف...

وهذا القرب!!!

أم أن هذا الضعف كان نابعاً منه هو نفسه؟!!!



نظرت إليه ترمقه بسهام من عتبها الممتزج برجائها هامسة:

_لماذا صرت تعاملني هكذا؟!

ثم أردفت بنفس الهمس المتألم الذي يحمل أنّات روحها الكسيرة:

_أنا أعرف أنني أُثقل عليك...لكنني الآن ليس لي أحد غيرك...

قالتها ثم انتفض جسدها كله بنحيبها الذي ما عادت تقوي علي كتمانه...

ليجد نفسه دون وعي يجذبها من مرفقها ليضمها إليه بقوة...

وهو يربت علي ظهرها في صمت....



لامست أنامله خيوط الذهب السائلة والمسماة -ظلماً- شعرها...

فأخذ نفساً عميقاً ليأتيه ممزوجاً بعبير الذهب الساحر....

أغمض عينيه لحظات...

لا يعرف سر هذا الشعور الغريب الذي يملؤه...

لا...إنه ليس مجرد شعور رجل بامرأة...

لكنه شعور بالاحتواء...

أو علي الأدق...بالاكتمال!!!

وكأنها كانت تنقصه حتي إذا ما ضمها...

وجد فيها كماله وتمام نقصانه...!!!!



ظل علي إحساسه-الغادر-بها للحظات...

قبل أن يستفيق فجأة من شعوره...

ليؤنبه ضميره بقسوة...

هل نسيت سمية بهذه السرعة يا جسار؟!!!!

ارتد عنها مصعوقاً فابتعدت عنه بخجل...

وهي تكاد تقسم علي علمها بما يشعر به الآن...

لم تكن تتوقع يوماً أن يضمها هكذا...

كما لم تتوقع أبداً أن يكون شعورها هكذا يوم يفعل!!!

ودت لو تشكره علي هذا الأمان الذي شعرت به بين ذراعيه...

لكن نظرة واحدة لملامحه كانت كافية لتدرك ..

كيف هو الآن شعوره بالندم...!!!!



جسار لا يحبها...

ولا يريد أن يحبها...

هو يريد العيش بين أطلال سمية للأبد...

ووجودها معه يذبحه بشعور الخيانة...!!!!

كانت تدرك كل هذا...

لهذا لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تهمس بشرود وكأنها تهذي:

_سأرحل يوماً ما ....وستنتهي القصة بالنهاية السعيدة للجميع...

قالتها وكأنها تطمئن بها نفسها...

قبل أن تطمئنه هو...



وكأنها تقنع نفسها بوجود معجزة قادرة علي حل وضعهما المتشابك...

وفك كل تلك العقد...

نظر لشرودها في حزن يمتزج بالضيق...

وهو لا يجد ما يقوله...

هو يريد الهرب من أمامها الآن فقط بأي صورة...!!!

توجه نحو الباب بخطوات متثاقلة ليسمعها تقول خلفه في رجاء :

_لا تقسُ عليّ ثانية ...لا تدّعِ دوراً ليس لك...لو كنت تفعل هذا لتضمن رحيلي من هنا...فأقسم لك أنني سأفعل يوماً...



أغمض عينيه بقوة دون أن يلتفت إليها...

وهو يشعر بكلماتها كالسهام موجهة لقلبه باحتراف...

كل سهم يعرف مكانه وتأثيره!!!

هز رأسه بعجز وهو يشعر أنه عالق مع هذه الصغيرة التي دخلت عالمه فجأة...

لتقلبه له رأساً علي عقب...

ومن يدري...ماذا تخبئ له أيامه معها؟!!!!!

===



الفصل الثامن عشر:

جلس بدر علي كرسيه يراقب غروب الشمس في شرود...

هذا أول مرور للشهر الفضيل عليه دون سمية...

ابتسم في حنين وهو يتذكر طقوسها الخاصة في هذا الشهر من كل عام...

كيف كانت تنتظر الأذان بصبر...

ثم تلتقط حبة تمر تشقها نصفين لتضع شقاً في فمها وشقاً في فمه...

ثم تدعو دعاء الإفطار المعروف...

لتقول له بعدها بحبها الصادق:



_ربما عجزت عن مكافأتك عما فعلته لأجلي...لكنني أدعو الله أن يجزيك هو من فضله عني خيراً...

دمعت عيناه وهو يأخذ نفساً عميقاً...

ليتمتم بعدها :

_رحمك الله يا سمية...لا أظن العمر كله يكفيني حزناً عليك...

انطلق صوت الأذان بعدها...

فدعا الله لها بكل ما أوتي به قلبه من صدق...

ثم نظر نحو المنزل الكبير في تردد...

آسيا!!

لا يريد أن يذهب...



لا يريد أن يراها...

أما يكفيه أنه أول "رمضان"يمر عليه دون سمية...

فيجد أخري مكانها علي المائدة أيضاً؟؟؟!!!!!

زفر في حنق وهو يشعر بالاختناق...

لكنه استغفر الله سراً...

ثم بقي مكانه وقد قرر أن يكتفي بشربة ماء...

ويؤخر ذهابه للمنزل لعلهم يفطرون دونه!!!!

وبعدها بما يقارب نصف الساعة...

دخل المنزل الكبير ليفاجأ بعمه يجلس وحده مع ياسين الصغير علي المائدة...

اندفع نحوه الصغير ليقول بلهفة:



_لماذا تأخرت يا أبي؟! نحن ننتظرك.

ربت جسار علي رأسه ثم التفت لعمه الذي رمقه بنظرة عاتبة...

تجاهلها مضطراً ليجلس مكانه علي المائدة...

ثم غافلته عيناه لتتجها رغماً عنه لطبق التمر...

الذي لن يجد من يشق له منه تمرة بعد اليوم!!!

ظل علي شروده حتي انتبه لصوت عمه يسأله بلوم:

_ألا تفتقد أحداً علي المائدة؟!

أشاح بوجهه في ضيق...

فيما هتف الصغير بحزن:



_آسيا لم تشاركنا الطعام.

عقد حاجبيه بضيق ثم التفت نحو عمه ليسأله بدهشة:

_ألم تتناول إفطارها بعد؟! لقد ظننت أنكم ....

قاطعه عمه ليقول بنفس اللهجة اللائمة:

_آسيا رفضت مشاركتنا الطعام في رمضان...قالت أن هذا سيؤذيك خاصة أنه أول "رمضان"يمر علينا بعد رحيل سمية.

ازداد انعقاد حاجبيه وهو يشعر نحوها بمزيج من الامتنان والذنب...

وبرغم ضيقه من قرارها هذا لأنه سيزيد من إحساسها بالنبذ...



لكنه حمد لها هذا التفكير...

بعدما سمعه بأذنيه عن حبها -الوليد -له....

لا يريدها أن تفرط في أحلامها بالنسبة لهذا الزواج...

تصرفها هذا يعني أنها تدرك قيمة سمية لديه....

كما تدرك مكانها هي عنده علي أي حال!!

قطع العم كساب تفكيره وهو يقول له بحزن:

_أنا قلق علي هذه الفتاة يا جسار...حالها يزداد سوءاً يوماً بعد يوم.

نظر إليه جسار وهو لا يجد ما يقوله...

عمه علي حق...



آسيا تزداد شحوباً وذبولاً كل يوم عن سابقه...

لكنه لا يريد أن يمنحها ما يعلقها به أكثر...

لهذا زفر بضيق وهو عاجز عن الرد...

فوقف عمه ليقول بحزم:

_سأذهب إليها أنا وأشاركها الإفطار في غرفتها.

هنا لم يجد جسار بداً من أن يقف بدوره ليقول مضطراً:

_ابق أنت يا عمي...سأذهب إليها أنا وآتي بها لتفطر معنا.

قالها وابتعد عنهم ليتوجه نحو غرفة ياسين الصغير حيث تقيم هي بطبيعة الحال...



كان الباب موارباً فنظر من خلاله ليجدها جالسة علي الأرض....

تفترش سجادة الصلاة ترفع يديها بالدعاء...

أرهف سمعه عندما وجدها ترفع يديها للسماء لتقول بحزن مزق قلبه:

_اللهم إني أدعوك أن تقبض روحي إليك...لم أعد أريد البقاء في هذه الحياة...فاجعل الموت لي راحة...

انقبض قلبه بشدة وهو يسمعها تدعو علي نفسها بالموت هكذا بكل هذا الصدق والإصرار...

ألم يكتفِ هذا البيت بالموت بعد؟!!!

اقترب منها ببطء وهي غافلة عنه تردد دعاءها بإلحاح ...

فهتف بغضب:



_آسيا!

انتفضت بعنف وعادت بظهرها لتستند بكفيها علي الأرض...

وهي ترمقه بنظرات مذعورة لما رأت الغضب في عينيه...

ظل ينظر إليها للحظات تجمد فيها الدم في عروقها وهي تري اشتعال عينيه....

قبل أن يغمضهما للحظات يستوعب فيها مشاعره المتناقضة...

ثم عاد يفتحهما وقد لانت نظراته نوعاً...

ليمد لها كفه كي تنهض ...

نظرت لكفه الممدود بتردد...



وصدرها يعلو ويهبط ليفضح خوفها الظاهر...

فمنحها نظرة مطمئنة وهو يشير لها برأسه...

ازدردت ريقها ببطء...

ثم مدت كفها لتتشبث بكفه...

رفعها ممسكاً بكفها لتقف قبالته...

فأطرقت برأسها وهي تشعر بالاضطراب...

ليقول هو بعتاب :

_ألا تعلمين أنه لا يجوز أن يدعو المرء علي نفسه بالموت؟!

ظلت علي إطراقها وهي لا تجد ما تقوله...

عندما سمعته يقول بقلق:



_كفك بارد كالثلج...ألم تتناولي شيئاً من الطعام إلي الآن.

لم تستطع رفع عينيها إليه...

وهي تشعر بضعف غريب...

لا تدري لماذا شعرت أن دعاءها قد استجيب...

وأن روحها الآن تغادر جسدها ببطء...!!!!

جذبها من كفها وهو يعود بها لمائدة الطعام...

ثم قال لها بلهجة آمرة:

_اجلسي وتناولي طعامك.

وقفت مكانها مترددة...



وهي تنظر للعم كساب برجاء...

وكأنها تطلب منه أن يجعلها تعود لغرفتها...

هي لا تريد أن تأكل معهم...

لا تريد أن تزيد من حنقه عليها عندما يراها مكان سمية الغالية...

حنقه هذا لا يجلب لها سوي المزيد من قسوته عليها...

وهي اكتفت من كل هذا العذاب!!!!

لكن العم كساب خذلها عندما وقف بنفسه ليجذب لها كرسياً ...

ثم أجلسها بحزم وهو يقول :

_تناولي إفطارك لقد تأخر الوقت.



أمسكت ملعقتها بأنامل مرتجفة...

لا تدري ضعفاً أم خجلاً...

ثم عادت بها الذكري لتجمع عائلتها الكبيرة في أيام رمضان...

دمعت عيناها وهي تتذكر مزاح جوري وساري علي الإفطار...

ونكات حذيفة الساخرة التي كانت تلهب الأجواء بالضحك...

وعمار الذي طالما اشتهر بنهمه للطعام رغم جسده الرياضي وكيف كانت معاناته في الصوم...

ونظرات ياسين الحانية وهو يأمرها بأن تتناول طعامها كله حتي لا يصيبها الدوار كالعادة...

وحتي تعليقات العمة راجية المنتقدة لها علي الدوام....



تذكرت دعاء جدها الذي كان الجميع يؤمّن عليه...

قبل أن يبدأوا جميعاً بالإفطار...

والحلوي المميزة التي كانت تعدها لها فريدة بيديها...

وعند ذكري فريدة الغالية...

لم تستطع منع دموعها فشعرت بغصة في حلقها...

وهي تتمني لو تعود لغرفتها -الآمنة -الآن لتبقي وحدها....

شعر بها العم كساب الذي كان يراقب انفعالاتها بحنان أبوي ليقول برفق:

_هوني عليك يا ابنتي...ستمر الأمور بسلام.



عندها نظر جسار إليها...

ليلمح دموعها علي وجنتيها...

وارتجافة أناملها الشديدة...

لم يعد ضعفها يثير ضيقه...

بقدر ما يثير رغبته في احتواء حزنها هذا...

لكنه لا يعرف كيف يفعل هذا دون أن يزيد تعلقها به...

ولو أنصف لقال أنه يخشي تعلقه هو بها أكثر!!!

تنهد في حرارة ثم مد كفه ليقبض علي كفها البارد لعله يهدئ ارتجافته...

ثم قال لها برفق:

_كلي الآن ولا تفكري في شئ.



نظرت إليه بمزيج من الضعف والرجاء فمنحها نظرة مطمئنة ...

ثم ملأ لها طبقاً كبيراً بالطعام وضعه أمامها...

ليقول بحزم:

_لا أريد أن تبقي منه شيئاً.

===

خفق قلبه بعنف عندما تفقد غرفة ياسين الصغير التي تقيم فيها معه كعادته كل ليلة...

لكنه لم يجدها...

اندفع خارجاً من المنزل الكبير يبحث عنها حتي اصطدمت عيناه بمنظرها الغريب...

كانت جالسة أمام اسطبل الخيل شبه مستلقية علي مقعدها...



رأسها يستند علي ظهر المقعد وذراعاها متدليان علي مسنديه في استسلام...!

ظنها نائمة للوهلة الأولي...

لكنه اقترب منها ببطء ليجد عينيها شاخصتين للسماء في شرود...

وضع كفه علي كتفها فانتفضت بذعر...

لكنه عاد يربت علي كتفها بحنان قائلاً:

_لا تخافي يا آسيا...إنه أنا.

أغمضت عينيها في ألم لم يخفَ عليه...



فسحب كرسياً ليجلس جوارها سائلاً إياها:

_لماذا تجلسين وحدك هنا؟!

ظلت مغمضة عينيها في سكون...

دون أن ترد...

فأمسك كفها يضغطه برفق وهو يقول بقلق:

_آسيا...تكلمي...ماذا بكِ؟!

لم ترد عليه للحظات....

وكأنها لم تسمعه....

ثم فتحت عينيها ببطء لتهمس بشرود:

_اليوم انتبهت أنني أشبه الخيل كثيراً...فيما عدا شيئاً واحداً...



ابتسم ابتسامة جانبية وهو يقول بحنان:

_أنت فعلاً تشبهين الخيل...جميلة ...متفردة ...وتعشق الانطلاق...

لم يبدُ عليها التأثر بمديحه ...

عندما عادت تهمس في شرود:

_لكنني لست قوية مثلها...ما أشبهني الآن بحصان مريض ينتظر رصاصة الرحمة.!!!

عقد حاجبيه بشدة وهو يسمعها تتحدث بكل هذا القدر من اليأس والقنوط...

هو يعرف أن وضعها صعب...

ويقدر كل هذا الألم الذي تفيض به روحها...

لكنه لم يتصورها

هشة إلي هذا الحد!!!



ضغط كفها بين أنامله وهو يغتصب ابتسامة ليهمس برفق حنون:

_ألم نتفق أنني سأروض ضعفك هذا...سأكون معك حتي تنطلقين كفرس قوية جامحة لا تقف أمامها حواجز ولا قيود...هذا وعدي لكِ أيتها "الكريستالة."

التفتت إليه من شرودها عندما سمعته يناديها بلقب فريدة المميز...

فريدة كانت تلقبها بالكريستالة...لأنها كانت تراها هشة قابلة للكسر بسهولة...

لكنه هو...

أكمل لها فكرتها عندما همس بثقة:

_سأقولها لكِ ثانية...

أنتِ كالكريستالة

في قيمتها...



وليس في هشاشتها...لا تصدقي يوماً سوي هذا.

عادت تغمض عينيها وهي تشعر بوهن عجيب....

وكأن روحها تغادرها ببطء...

لكنها راضية بهذا الاستسلام اليائس...

لعله يخفف من حدة نهايتها المتوقعة!!!

ما الذي تنتظره في أيامها القادمة...؟؟!!!!

لقد أضاع ماضيها حاضرها وغدها...

ولم يبق لها سوي انتظار النهاية!!!

تأمل ملامحها المستكينة بقلق بالغ...

كفها بارد كالثلج تحت أنامله...



وشفتاها شاحبتان علي غير طبيعتهما المتألقة...

وجهها كله صورة من ألم...وعذاب!!!

تنهد في حرارة...

ثم قام واقفاً ليجذبها من كفها...

فوقفت بصعوبة...

تأمل ملامحها المرهقة بإشفاق...ثم همس بحنان يمتزج بقوته:

_لا تحملي هماً يا آسيا...لن يمسكِ سوء ما دمتِ معي...

هزت رأسها وهي تهمس بألم دون أن تنظر إليه:

_لست خائفة علي نفسي....أنا أخاف عليك وعلي ياسين الصغير...



وعلي عائلتي كلها....لو عادت نار العداوة تتأجج بين العائلتين...فلن ترحم أحداً...

ثم سالت دموعها علي وجنتيها لتهمس بندم:

_ليتني رضيت بقدري...بدلاً من أكون لعنة علي رؤوس الجميع.

رفع رأسه للسماء بعجز...

يود لو يضمها لصدره يحتوي كل هذا الحزن والألم في روحها الكسيرة...

لكنه لا يستطيع...

كم من الحواجز تقف بينهما...

كم من العقبات!!!!



لكنه ربت علي كتفها برفق...

وهو يقترب منها أكثر ليرفع وجهها إليه هامساً أمام عينيها بصدق:

_امرأة دخلت حياتي لتساعد زوجتي في مرضها...وتتولي أمر ابني وكأنه ابنها...امرأة تعطي قبل أن تفكر في أن تأخذ...امرأة لا تحمل هم نفسها بقدر ما تحمل همّ غيرها...امرأة كهذه ليست لعنة...بل نعمة يتوجب عليّ أن أشكر الله عليها في كل وقت...

نظرت إليه مصدومة...

وكأنها لم تتوقع أن تكون هذه صورتها في عينه...

هل يراها جسار هكذا؟!!!!!



مسح دموعها بأنامله...

فزادت ارتعاشة جسدها....

مما زاد قلقه عليها وهو يشعر أن شيئاً ما ليس علي ما يرام!!!

لكنه ابتسم لها بحنان وهو يهمس:

_الآن تعود الصغيرة لفراشها لتنام قليلاً قبل موعد السحور...

أومأت برأسها ثم خفضته خجلاً...

عندما سار معها يلفهما الصمت ...

حتي وصلا لغرفة الصغير ....

فتح لها باب الغرفة برفق ثم همس بحزم:

_نامي جيداً ولا تشغلي رأسكِ بالتفكير...



كان انهيارها الآن قد بلغ مبلغه...

وهي تشعر أنها ستسقط في أي لحظة...

لهذا أسندت رأسها علي الحائط جوار الغرفة وهي تهمس في وهن:

_سأطلب منك شيئاً...

نظر إليها بقلق وهو يشعر أنها متعَبة حقاً...

فهمس بتوتر:

_ماذا بكِ يا آسيا؟! هل تشعرين بتعب ما؟!

هزت رأسها نفياً كاذبة لتهمس بصعوبة:

_إذا لقيتَ أمي فاطلب منها أن تسامحني...



اقترب منها أكثر وقد ازداد توتراً من عبارتها...

فهمس بضيق:

_لا تزيدي قلقي عليكِ يا آسيا...لماذا تقولين هذا الآن؟ !

ابتسمت بصعوبة وهي بالكاد تتحامل علي نفسها لتقف...

ثم همست برجاء:

_فقط عدني...أرجوك.

أمسك مرفقها ليسندها حتي أوصلها لسريرها الذي استلقت عليه في إعياء...

فدثرها بغطائها...



ثم ربت علي وجنتها برفق هامساً بقلق:

_استريحي الآن...لو بقيتِ متعبة هكذا حتي وقت السحور...فلن تصومي غدا.

أمسكت كفه وهي تشعر بجفنيها يتثاقلان...

ثم همست برجاء:

_**أمي!**

ربت علي كفها الممسك بكفه وهو يشعر بانقباض صدره...

ثم همس ليسترضيها:

_أعدك أنني سأوصل لها رسالتك لو قابلتها يوماً.



هنا أغمضت هي عينيها في استسلام...

ظل واقفاً يراقبها بقلق وهو يلاحظ خلودها للنوم بهذه السرعة...

انتقل بصره بينها وبين ياسين الصغير بحنان...

ثم غادر الغرفة بخطوات متثاقلة...

ظل ساهراً في غرفته بعدها لأكثر من ساعتين وقد جافاه النوم...

قلقه لأجلها يعتصر قلبه...

ودعاؤها علي نفسها بالموت أمامه يقبض روحه...!!!



آسيا تحتاج لمزيد من الثقة والأمان...

تحتاج لتغيير كل هذا الجو المشحون بالخوف والتوتر...

لابد أن يهتم بها أكثر...

لكن كيف يفعل دون أن تسئ فهمه...؟!!!

ودون أن تغرس قدماه أكثر في بحر رمالها المتحركة التي تجذبه يوماً بعد يوم....؟؟!!!

كانت هذه أفكاره العاصفة...

عندما سمع طرقات عنيفة علي باب غرفته...

فانقبض قلبه أكثر وهو ينتفض من مكانه ليقوم ويفتح الباب...

طالعه وجه ياسين الصغير مصفراً وجسده يرتجف بخوف...



وما إن رآه حتي تشبث بساقه...

ثم هتف بذعر طفولي:

_آسيا يا أبي!

=====

كان قاسم النجدي راقداً علي فراشه في منزل العائلة الكبير بعد عودته من المشفي ...

لكنه كان عازفاً عن الكلام مع الجميع...

لقد أرجأ الحديث عن أي شئ حتي يعود حمزة...!!!

لأول مرة في حياته يشعر أنه عاجز هكذا...

قاسم النجدي الذي كانت -ولازالت-تهتز لكلمته القلوب قبل الأجساد...



يقف الآن حائراً لا يدري أين كان خطؤه بالضبط!!!!

هل أخطأ عندما أراد تأمين حياة حفيداته بتزويجهن من أبناء عمومتهن حتي يبقين تحت رعايته ببيته؟!!!

يشهد الله أنه لم يفعل هذا سوي لأجل الحفاظ عليهن في هذا الزمن !!!

لقد تقبل مرض جويرية بصبر...

لكنه عاقب عمار علي فعلته...

مع أنه يشعر أن في الأمر سراً ما....

فعمار لن يفعل هذا بفتاة يعشقها منذ صغره دون سبب...!!!!!



ووافق علي اختيار ساري لحذيفة ...

رغم أنه لا يثق كثيراً فيه مع سيرته السيئة في كل مكان...

لكنه احترم رغبتها وتمني لو استطاعت تغييره....!!!!

لكن ...آسيا!!!!!

تسارعت أنفاسه اللاهثة عندما عادت الأفكار تلح علي رأسه....

ما فعلته هذه الفتاة سيظل عاراً علي العائلة للأبد!!!!

لكن السؤال كيف وصلت لجسار القاصم....؟؟!!!!

أم أنه هو من وصل إليها...!!!!

وما الذي فعله بها...؟؟!!!



ولماذا تكتم علي هذا الأمر حتي الآن...؟؟!!!!

فيم يفكر...وماذا يدبر؟!!!!

عاد يسند رأسه لظهر سريره وهو يشعر فجأة بأنه حقاً قد هرِم !!!

وبأن الوهن قد بلغ منه مبلغه...

يا ويله من نفسه لو أضاع أمانات أولاده...

يا ويله!!!!

قطعت أفكاره عندما سمع صوت جرس الباب...

لا يدري لماذا دق قلبه بقوة وكأنه استشعر هوية الطارق...

لهذا لم يتعجب عندما وصله صوت فريدة من الخارج تهتف بلهفة:



_حمزة...حمداً لله علي سلامتك!

===

أنهت فريدة صلاتها ثم افترشت الأرض ترفع يديها بالدعاء كعادتها....

ثم تنهدت في حرارة وهي تضع كفها علي صدرها لعلها تهدئ خفقات قلبها الهادرة....

منذ علمت عن أمر آسيا وهي تشعر بالترقب...

لكنها -للعجب-ليست خائفة...

قلبها العامر بإيمانه والذي أنبأها بأن ابنتها لم تمت وأنها لازالت علي قيد الحياة لازال يبعث إليها بإشارات خفية أن تطمئن...

رغم ما يعلمونه جميعاً عن كارثة الثأر مع جسار القاصم...

لكنها تشعر أن في الأمر سراً...



لماذا اختفي جسار هذا مع عمه طيلة هذه السنوات...؟!!!

قصة إغوائه لآسيا كما يزعمون لا تقنعها!!!

تنهدت في حرارة عندما ورد كساب علي ذهنها...

كساب القاصم ...!!!

حكايتها القديمة التي ظننت أن الزمن قد واراها التراب...

تعود الآن لتنتعش بتملك بين ضلوعها....

حكاية بدأت وردية معطرة بأحلام الحب العذراء...

وانتهت سوداء ملطخة بحمرة الدم !!!!

وليس أي دم...

إنه دم سعد النجدي !!!

زوجها ووالد بناتها!!!!



وليت الأمر يقتصر الآن علي جسار وكساب فحسب...

بل علي النجدي الكبير وأحفاده الذين تعلم جيداً ما سيدور بذهنهم...

آسيا الآن كما يراها الجميع عارٌ علي العائلة...

عارٌ لا يمحوه إلا الدم!!!

ورغم أن هذا الهاجس يذبح روحها ببطء...

لكن عودة حمزة تبعث قليلاً علي الاطمئنان...

حمزة -كما تعرفه-هادئ الطباع شديد التعقل...

كما أنه هو الوحيد القادر علي تغيير كلمة قاسم النجدي لو أراد...

نعم...حمزة النجدي هو نقطة ضعف جده الذي يشعر نحوه بالذنب منذ سافر وحده طيلة هذه السنوات بعيداً عن حضن العائلة!!!



ولعلّ عودته الآن تقلب كل الموازين...

أو بالأصح ...تضبطها!!!

هزت رأسها ودموعها تسيل علي وجنتيها من جديد...

ثم رفعت بصرها للسماء بدعائها الخاشع كعادتها:

_الصبر يارب!!!

===

جلس حمزة علي الأريكة في شقة جده ينظر للسقف في شرود...

لا يصدق أنه وصل مصر بهذه السرعة....

فبمجرد ما هاتفه ياسين وأخبره بأن جده مريض ويأمره بالعودة...

وقد سارت معه

الأحداث بسرعة غريبة....!!!!



لقد ساعده دكتور آدم في الحصول علي تذكرة سفر بسرعة قياسية....

بعدما أخبره حمزة بمرض جده واضطراره للنزول....

ثم طلب منه بشئ من التردد عنوان عم مارية حتي يمكنه أن يطمئنه عليها....!!!!!

ابتسم في حنين وهو يذكر تلك البريئة الطفولية التي افتقدها بكل جوارحه...

عروس لندن الساحرة...

التي منحته قلبها لكنه خذلها!!

والتي تعانده وتأبي الرد علي رسائله علي بريدها الاليكتروني..



رغم أنه موقن من أنها تتلقاها...!!!

اتسعت ابتسامته وهو يستعيد ذكرياته القصيرة معها...

من كان يتصور أن القدر سيكتب لهما اللقاء أخيراً....

هنا في مصر!!!!

قطعت أفكاره عندما دخل عليه ياسين ليسأله بقلق:

_ماذا قال لك جدي؟!

تنهد حمزة بحرارة وهو يعود لهذه المشكلة التي تنتظره...



والتي لا يبالغ لو قال أنها مأساة...!!!!

وربما نتجت عنها حرب صغيرة بين عائلتين من أكبر عائلات الصعيد...

لو لم تتدارك الأمور بحكمة....!!!

عاد ياسين يسأله بتوتر:

_حمزة...لا تُخفِ عني شيئاً....ماذا قال لك جدي؟!

تفرس حمزة في ملامحه قليلاً....

ثم سأله ببطء:

_لا تُخفِ أنت عني شيئاً وأخبرني...لماذا هربت آسيا من البيت من الأساس؟!



أطرق ياسين برأسه وهويفكر....

هذا ما كان يخشاه منذ عودة حمزة....

آسيا -كما يعرف الجميع_كانت ستكون عروس حمزة المنتظرة....

لولا كل هذه التشابكات....

وحمزة قد لا يسامحه لو علم بما كان بينهما من حب قديم...

والذي دفع آسيا للهرب يأساً عندما تزوج من رقية الهاشمي...

لكنه لن يكذبه...

سيخبره الحقيقة علي أي حال....!!!!

لهذا اندفع ياسين يروي له تفاصيل الأمر باقتضاب...



اتسعت عينا حمزة وهو،يقول بدهشة:

_اذن آسيا هربت لأنها لا تريد الزواج مني؟!

أطرق ياسين برأسه....

عندما أردف حمزة بضيق:

_ولماذا لم تخبرني بهذا؟! كنت سأجد طريقة لإقناع جدي بعدم إتمام هذا الزواج!

رفع ياسين رأسه ليقول له بحزن:

_يبدو أن ابتعادك عن هنا طيلة هذه السنوات أنساك من يكون قاسم النجدي ....كلنا نتعامل مع كلمة جدي علي أنها أمر واجب النفاذ....وآسيا كانت تعتبر زواجها منك من المسلمات...



تفرس حمزة في ملامحه وهو يقول بحذر:

_ويبدو أن زواجك زاد من يأسها ورغبتها في ترك هذا الجحيم كله.

هز ياسين رأسه وهو،يقول له بما يشبه الاعتذار:

_لم يكن بيدي ولا بيدها...لقد نشأنا علي هذه المشاعر بيننا وكبرنا بها...حتي تملكت منا...وأنت لم تكن موجوداً بيننا....كنت...

قاطعه حمزة ليقول بتفهم:

_كنت في حكم الميت.

انتقل ياسين ليجلس جواره مربتاً علي ركبته ليقول بحنان:



_أنت احتملت الكثير يا حمزة..وحرمت من عائلتك ووطنك...

ابتسم له حمزة وهو يضمه إليه بحنان أخوي ليقول:

_وها قد عدت إليكم ...ولن يفرقنا شئ بعد الآن.

ابتسم له ياسين بمودة حقيقية للحظات...

لكن القلق عاد يكسو وجهه وهو يقول:

_لكن...ماذا سنفعل بشأن آسيا؟!

تنهد حمزة قائلاً:

_جدي منحني تفويضاً شاملاً بالتصرف في الأمر،كما أشاء...آسيا كانت في حكم خطيبتي...ولو ثبت أن جسار القصام قد أساء لها...فهو تعدٍ علي عرضي أنا....وأنا الذي سيقرر ماذا سيحدث.



ثم اقترب منه ليقول بحزم حنون:

_اصدقني القول يا ياسين...لو أعدتُ آسيا إلي هنا -وسأفعل إن شاء الله- فهل لا تزال ترغب بها زوجة لك؟!

كاد ياسين يرد عليه عندما اندفع عمار الذي سمع عبارته مصادفة ليهتف بسخط:

_من هذه التي ستعود إلي هنا؟! أنا سأقتلها بيدي مع ذاك ال (......)بمجرد أن أراها.

زفر ياسين بقوة...

بينما وقف حمزة ليقول له بضيق:

_اهدأ يا عمار ....الأمور لا تحل هكذا.



هتف عمار بغضب:

_يبدو أن معيشتك في بلاد الأجانب قد أثرت علي دمائك الصعيدية....هذه الفاجرة تستحق القتل...بل الحرق حية...لقد أضاعت شرف العائلة كلها وأنا لن أتردد لحظة في زهق روحها بيدي جزاء لها علي فعلتها!!!

_عمار!!!

هتفت بها جويرية بجزع وهي تخرج من إحدي الغرف بعدما استمعت لعبارته...

فالتفت نحوها ليقول بغلظة:

_ما الذي أتي بكِ إلي هنا؟! عودي لشقتك.



هتفت بحدة:

_لا...لن أعود...ولن أسمح لك بالتحدث عن شقيقتي هكذا...

اقترب منها ليهتف بحدة:

_تدافعين عن تلك الفاسقة!!

اشتعلت عيناها بالغضب لتهتف بتحدٍ:

_نعم...أدافع عنها لأنني يوماً ما كنت....

وضع كفه علي شفتيها ليمنعها من إتمام عبارتها التي قرأها في عينيها قبل أن تتفوه بها.....

ثم كز علي أسنانه هامساً بنظراته المخيفة:

_اخرسي!



تبادل ياسين وحمزة نظرات الدهشة والتساؤل...

لكنه لم يلتفت إليهما ...

بل سحبها من ذراعها وصعد بها إلي شقتهما...

ثم أغلق الباب خلفه ليلتفت نحوها قائلاً بغضب هادر:

_هل جُننتِ؟! ما الذي كنتِ علي وشك البوح به؟!!!

هتفت بحدة:

_الحقيقة! لماذا تعاقب آسيا بذنب سامحتني أنت عليه؟!!!

أمسك كتفيها يهزها بعنف وهو يهتف:

_اخفضي صوتك...أولاً أنتِ لستِ مثلها...أنا أنقذت الوضع في اللحظة الأخيرة...

فتحت فمها لترد عليه ...



لكنه قاطعها هاتفاً بحدة:

_وثانياً...من أخبركِ أنني سامحتك.؟!!..أنا لم ولن أسامحك علي فعلتك هذه طوال عمري...

دمعت عيناها وهي تقول بقهر:

_أنت كاذب...أنت سامحتني...أنت تحبني وستبقي كذلك.

دفعها بقوة ثم استدار ليعطيها ظهره قائلاً بخشونة:

_عمار الخشن الغليظ لا يعرف الحب...ألم يكن هذا كلامك؟!

سارت لتتقف قبالته هامسة بين دموعها:

_كنت أظن ذلك...قبل أن أسمع مناجاتك لي كل ليلة...لأدرك أي قلب كبير تمتلكه.



عقد حاجبيه بشدة وهو يهتف بحنق:

_كنتِ تخدعينني وتتظاهرين بالنوم حتي تستدرجينني؟!!!

أغمضت عينيها بألم وهي تهمس :

_كانت هي الطريقة الوحيدة لأعرف ما بداخل قلبك....أنت لم تدع لي طريقة أخري!

ضم قبضته بغضب وهو يشيح بوجهه هاتفاً:

_كل يوم أكتشف كم كنت مخدوعاً في براءتك!

اقتربت منه أكثر...

لتهمس بخفوت:

_لكنني أنا كل يوم أكتشف كم كنت محظوظة بك!



بذل مجهوداً خرافياً ليتحاشي النظر لعينيها في هذه اللحظة...

لا يريد أن يضعف أمامها أكثر...

هو يعرف جيداً مدي سلطانها عليه...

نظرة واحدة قد تعيده لسجن عشقها الذي يود التحرر منه...

لأنه نقطة ضعفه الوحيدة!!!!

وكأنها شعرت بما يفكر فيه...

فاقتربت منه أكثر لتضع كفها علي صدره هامسة برجاء:

_عمار!



لم يستطع منع عينيه الآن من احتضان عينيها...

ليقرأ فيهما مشاعر لا يريد تصديقها...

لن يستطيع الثقة بها ...

هو سيبتعد علي كل حال...

لقد طلقها وانتهي أمرهما....

ووجوده هنا الآن ليس له سبب سوي مرض جده وعودة حمزة ...

وتلك الظروف العصيبة التي تمر بها العائلة...

لكنه ينتوي الرحيل من هنا للأبد عندما ينتهي كل هذا...

سيعيش في شقة منفصلة كان قد اشتراها منذ زمن...

بعيداً عن هذا الحب الذي دمره تدميراً!!!



بينما ظلت هي تنظر لعينيه في رجاء...

وكأنما تتمني أن يفهمها دون أن تتكلم....

لن تستطيع التصريح بمشاعرها نحوه...

لن تستطيع!!!

ضغطت علي شفتيها ولازالت تضع كفها علي صدره لتهمس أمام عينيه:

_عمار...تكلم أرجوك...قل أنك لن تتركني... أنا جوري حبيبتك التي أقسمت بمن رزقك حبها أنك لن تنساها أبداً...هل نسيت؟!

خفق قلبه بقوة تحت كفها الذي ضغط علي صدره برفق...

فأغمض عينيه كي يهرب من عينيها اللتين كانتا تطوقانه ...



لكن همسها وصل لأذنيه حاراً ليزيد غرقه في بحر عشقها الهائج:

_عمار...أنا أحتاجك...لا تتركني.

قالتها وهي تكاد تبكي من فرط تأثرها ببروده هذا الذي لم تعتده منذ فترة طويلة...

أين عمار الذي كان يذيبها في بحور عاطفته...

أين حنانه وتفهمه ورقته...

أين حبه؟!!!!

ظل علي وقفته الجامدة التي يداري بها بركان مشاعره....

فأمسكت بذراعيه تهزه وهي تبكي هاتفة بعجز:



_لم تعد تحبني يا عمار؟! كل مشاعرك التي أغرقتني بها بعد زواجنا كانت مجرد شفقة وإحساس بالذنب؟!

فتح عينيه أخيراً وقد صدمه ما قالته ....

فهتف بحنق:

_ماذا قلتِ؟! شفقة وذنب؟!!!! شفقة وذنب يا جوري؟!!!!

ازداد نحيبها وهي ترمقه بنظرات لائمة....

فسحبها ليضمها لصدره بقوة حتي خشي أن يكسر عظامها...

عن أي شفقة وإحساس بالذنب تتحدث هذه الحمقاء؟!!!!!



ألم تعرف -بعد-كم أعشقها؟!!!!!!

أجهشت بالبكاء وهي تدفن وجهها في صدره للحظات طويلة...

ثم رفعت وجهها إليه لتهمس :

_أنا وقفت أمام قاسم النجدي مرة لأطلب منه ألا أتزوجك...ومستعدة أن أقف في وجهه من جديد لكي أعود إليك...

هز رأسه بعجز...

هو لن يتركها بسبب كلمة قاسم النجدي فقط...

ليت الأمر اقتصر علي هذا...

لكن الحب الذي يحمله نحوها قد تعكر...

لم يعد صافياً كما كان...



رواسب كثيرة من فعلتها الشائنة التي أنقذها منها...

وخوفه من أن يكون قلبها معلقاً بغيره...

لكن رجولته تمنعه من سؤالها عن تفاصيل الأمر...

ستذبحه حقاً لو نطقتها...

لو أخبرته أن قلب جوريته دق لسواه!!!

كما أنه لم يعد يثق في قدرته علي إسعادها...

وذكري ليلة زفافهما الكارثية تؤرقه...

لقد ذبحها ...

وذبحته...

وما من حب يصمد في وجه ظروف كهذه!!!!

أساءت فهم صمته فهمست بخوف:

_أنت ستستمع لكلمته هذه المرة أيضاً...؟؟!!!! أنت ستتركني؟!



رفع رأسه لأعلي وكأنه يهرب منها ليهمس بألم:

_اسكتي يا جوري...اسكتي.

حررت نفسها من بين ذراعيه...

ثم مسحت دموعها بكفيها لتهمس بثبات مصطنع:

_حسناً يا عمار...سأسكت...لقد فهمت رسالتك...وآسفة علي إزعاجك.

قالتها وهي تتوجه نحو باب الشقة...

تتابعها نظراته الممتلئة بحسرته...

حتي فتحته ثم التفتت إليه لتهمس دون أن تنظر إليه:

_إذا كنت تخليتَ عني...فهل ستتخلي عن طفلنا أيضاً؟!



اتسعت عيناه في صدمة...

ثم قطع المسافة بينهما بخطوة واحدة وهو يهتف بذهول:

_طفلنا؟!!!

ازدردت ريقها ببطء...

ثم أطرقت برأسها لتهمس بحزن:

_لو كنت لا تريده فأنا يمكنني...

قاطعها وهو يغلق الباب بعنف ليلصق ظهرها به وهو يمطر وجهها بقبلاته الحارة...

طوقها بذراعيه وهو يعيدها لوطنها الأصلي علي صدره...



ثم نظر لعينيها أخيراً ليهمس بصوت متقطع وكأنه لا يصدق:

_ستكونين أم طفلي...كما حلمت ....طوال عمري.؟؟؟!!!!!!

أغمضت عينيها لتسيل دموعها علي خديها فقبل عينيها هامساً بحنان غريب علي طبعه الخشن:

_لقد رددتك يا جوري...لن أتركك أبداً.

فتحت عينيها لتهمس بعتاب:

_رددتني لأجل الطفل فقط يا عمار؟!!! جوري لم تعد لديك سوي أم طفلك فحسب؟!!!!



عاد يضمها إليه بعنف وهو يتأوه بقوة ثم همس في أذنها:

_جوري تعرف جيداً قيمتها عندي....

مرغت وجهها في صدره وهي تكاد ترجوه أن يقول أكثر....

أن يداعب أذنيها بهمسه العاشق الذي اشتاقته...

وهو موقن من انها تسمعه هذه المرة...

وليس وهو يظنها نائمة كالسابق...

لكنها تعرف أن عمار لن يبوح بها بسهولة...

طبعه الخشن سيغلبه ككل مرة...



لهذا كانت صدمتها بالغة عندما أردف بصوت متهدج:

_جوري تعرف أنها دنياي كلها!!

ابتسمت ابتسامة شاحبة...

فرفع وجهها إليه وهو يهمس:

_أنا لم أرد زوجتي لعصمتي ...أنا رددت روحي لجسدي!

خفق قلبها بقوة لعبارته التي تعلم جيداً أنه يقصدها بكل حروفها....

فاتسعت ابتسامتها وهي تتطاول علي أطراف أصابعها لتقبل وجنته هامسة:

_ورددت لي روحي أنا أيضاً...سامحني يا عمار.



ربت علي رأسها برفق...

فسألته بقلق:

_ماذا سنفعل مع جدي؟!

تنهد قائلاً:

_يبدو أنني سأضطر للوقوف في وجه قاسم النجدي ...سأسترد زوجتي رغماً عن أي أحد...

رغم سعادتها بما قاله لكنها همست برجاء:

_جدي مريض...وصدمة آسيا كانت شديدة جداً عليه...دعنا نؤجل الحديث في هذا الأمر لفترة...لو علم جدي عن حملي فلن يمانع في عودتي إليك...لكن ليس الآن...لن نخبر أحداً عن حملي هذا...سيكون سرنا حتي تهدأ الأمور...



أومأ برأسه موافقاً ثم ضم رأسها لصدره هامساً بحنان:

_لكنك زوجتي أمام الله...لن أفرط بعد فيكِ يا جوريتي.

رفعت رأسها إليه لتهمس بتردد:

_وآسيا يا عمار؟!

قست ملامح وجهه الذي أشاح به بعيداً...

فأعادته مقابلاً لعينيها وهي تهمس برجاء:

_أرجوك يا عمار...لن أستطيع العيش معك لو صار دم آسيا بيننا!!



زفر بسخط وقد عادت إليه طبيعته النارية ليهتف بانفعال:

_ماذا تريديني أن أفعل بهذه ال...؟!!!!

قطع عبارته عندما لمح النظرة اللائمة في عينيها...

فتنهد بحرارة...

عندما ربتت علي صدره لتهمس بتوسل:

_إنها آسيا يا عمار....اسمع منها أولاً واعرف ماذا حدث...أنا أثق أن آسيا ليست كما تقولون....لن تخطئ هذا الخطأ أبداً.

صمت للحظات يفكر...

ثم أومأ برأسه إيجاباً فضمته إليها بكل قوتها وهي تهمس بامتنان:



_كنت واثقة أن قلب عمار الطيب لن يخذلني أبداً!!!!

هز رأسه وهو يلوح بسبابته هامساً بخشونة:

_سأسمع منها...لكن لو ثبت لي أنها فرطت في شرفها وشرف العائلة فأنتِ تعلمين أنه لا تهاون في هذا الأمر.

ازدردت ريقها ببطء....

وقد عاد إليها خوفها...

تري ما الذي دفعكِ للبقاء مع ذاك الرجل يا آسيا....؟!!!!

كيف وقعتِ في طريقه؟!!!

تري ماذا حدث لك ؟!!!!

بل الأهم....

ماذا سيحدث؟!!!!!!



وقف يراقبها وهي تسقي الزهور في حديقة منزل والدها...

ابتسم في حنان وهو يفكر...

كم تبدو متألقة نضرة كتلك الزهور التي ترويها ...

بل إنه لا يبالغ لو قال أنها بعينيه أعذب وأحلي!!!

اقترب منها بخفة ثم رفعها من ظهرها بأحد ذراعيه ليلتقط رشاش الماء بذراعه الآخر هامساً بحنان لا يخلو من مرح:

_ألا تسقين قلبي قبل زهورك يا غاليتي؟!

شهقت للمفاجأة ثم ضحكت وهي تلتفت إليه لتهمس بخجل:

_أنزلني يا ياسين قد يرانا أحد!



قبل وجنتها ثم أنزلها برفق وهو يلقي رشاش الماء بعيداً...

ليطوقها بذراعيه هامساً بعاطفته التي تحررت الآن من كل قيودها:

_افتقدتك يا غاليتي..

اتسعت ابتسامتها الخجلي وهي تهمس:

_وأنا أكثر.

ثم جذبته من كفه وهي تسير بسرعة لتقول بمرح:

_تعال سأريك شيئاً جميلاً.

توقف وأوقفها معه ليقول بحنان:



_كل جميلٍ يُظلَم جوارك يا رقية...فالعين التي تراكِ لن تتسع لغيرك.

دق قلبها لعبارته فتنهدت في هيام وهي ترمقه بنظرات عاشقة....

ثم ابتسمت بعد لحظات وهي تهمس:

_سأريك شيئاً يخصك...بل يخصنا معاً.

عاد يسير جوارها حتي وصلا لحوض زهور مميزة لم يرَ يوماً مثلها....

فسألها باهتمام:

_ما هذه الزهور الغريبة؟! لم أرَ مثلها من قبل.



أمسكت كفه وهي تنظر لعينيه هامسة:

_اسمها "قلب ياسين".

ارتفع حاجباه بدهشة وهو يقول:

_هل هناك زهور بهذا الاسم؟!

ابتسمت وهي تقول بشرود:

_أبي أحضر لي بذورها خصيصاً عندما عاد من أحد أسفاره من إحدي البلاد الأجنبية...أخبرني يومها أنها زهور مميزة ولا يوجد مثلها هنا في مصر...لكنه أراني صورتها وهي متفتحة علي هاتفه ...شعرت أنها تشبه شكل " القلب"...فاقترح أبي أن نسميها "قلب رقية"!!



ثم التفتت إليه من شرودها لتهمس بحب:

_لكن ذلك اليوم -بالمصادفة-كان نفس اليوم الذي رأيتك فيه لأول مرة...لهذا وجدت نفسي يومها...وبعد أن رأيتك ذاك اليوم....أعود هنا لهذا المكان وأنا أفكر أنني سأغير اسمها لتكون "قلب ياسين"!

اقترب منها أكثر ليحتضن وجهها بكفيه هامساً:

_هذا يعني أنك أحببتني منذ أول لقاء لنا؟!!

دمعت عيناها وهي تهمس أمام عينيه بصدق مس قلبه:

_قلب رقية الهاشمي لم يكن ليخطئ التعرف علي مالكه الأبدي من أول لحظة!!!



أغمض عينيه في تأثر ثم ضمها إليه بقوة وهو يهمس بحب:

_ماذا أفعل فيكِ؟!!! وأنتِ بكل هذه الروعة!!!!

رفعت رأسها إليه لتهمس:

_عدني أن تحبني للأبد...

قبل جبينها هامساً:

_لم يعد للقلب حياة دونك يا غاليتي.

ابتسمت في سعادة ...

ثم تذكرت شيئاً ما فسألته بقلق:

_ماذا قرر جدك بخصوص آسيا؟! ماذا ستفعلون معها؟!

تنهد قائلاً:



_جدي فوض حمزة في التصرف في الأمر كاملاً...أعتقد أن حمزة يتسم بالحكمة وهذا أفضل لحل الأمر دون تهور قد يؤدي لبحور من الدم....لكن عمار وحذيفة يميلان للعنف...ولا أدري كيف سينتهي بنا الأمر...

غمغمت رقية في إشفاق:

_والعمة فريدة؟! كيف هي ردة فعلها علي كل هذا؟!!!

هز ياسين رأسه قائلاً:

_حالها محير جداً...هي صامتة دوماً ولا تتحدث عن الأمر...وكلما فاتحها أحد في الموضوع تقول بثقة "ابنتي ستعود"!!!



همست رقية بإعجاب:

_يعجبني صبر هذه المرأة.

ابتسم ياسين وهو يقبل وجنتها هامساً:

_ألم أقل لكِ أنها تذكرني بكِ؟!

ابتسمت وهي تحيطه بنظراتها العاشقة...

فانحني ليقطف لها زهرة من الزهور المميزة...

فرد كفها ليضع فيه زهرته ثم أطبقه عليها ليقترب بوجهه من وجهها هامساً:

_هكذا يكون دوماً "قلب ياسين"بيد رقية!

=====



وقفت علي باب غرفته مترددة...

ثم طرقتها حتي سمعت إذنه بالدخول...

فتحت الباب لتدخل فظهرت المفاجأة علي وجهه للحظة...

قبل أن يتجه نحوها ليضمها بلهفة هامساً:

_حبيبتي!

استسلمت للأمان الذي يدعوها بين ذراعيه ...

لعله يخفف من قلقها وتوترها...

لكنه شعر بتشنج جسدها فربت علي رأسها وهو يتنهد هامساً:

_اهدئي يا حبيبتي!



رفعت رأسها إليه وهي تهمس بتردد:

_هل ستفعلونها حقاً يا حذيفة؟!

مط شفتيه في استياء وهو يشيح بوجهه....

فأردفت بذعر :

_هل ستقتلونها؟!

زفر بقوة وهو يبتعد عنها ليقول بضيق:

_ماذا تنتظرين منا أن نفعل بها؟!!!لقد مرغت شرفنا في الوحل!

هتفت بقوة:

_هل عرفت ماذا حدث لتحكم عليها بهذا الحكم القاسي؟!!! هل تأكدت أنها فرطت حقاً في شرفها؟!!!

التفت نحوها

ليهتف بانفعال:



_ما الذي كانت تفعله وحدها في بيت هذا الرجل طيلة هذه الشهور؟!!!!لا تثيري جنوني يا ساري...أنا أكاد أحترق وأنا أتصور أن ذلك الوغد قد صبر طوال هذا الوقت ليحقق انتقامه بهذه الخسة والدناءة.

هزت رأسها في عدم تصديق وهي تهمس :

_إنها آسيا يا حذيفة....آسيا التي تربت معك منذ صغرها...كيف تصدق فيها هذا؟!!!

أشاح بوجهه وهو يقول بضيق:

_عندما يغلق باب واحد علي رجل وامرأة فلا صوت يعلو فوق رغبة الجسد.



اتسعت عيناها في ارتياع وهي تسمعه يتحدث عن شقيقتها بهذه الطريقة...

فهتفت بحدة وهي تلوح بسبابتها في وجهه:

_أنت تقول هذا لأنك تظن الناس كلها مثلك...أنا أعرف شقيقتي وأثق أنها لن تسمح للخطيئة بتلويثها....

كز علي أسنانه وهو يقول بغضب مكتوم:

_هل ستعودين لهذا الحديث ثانية؟!!

أعماها غضبها وحميتها علي شقيقتها فعادت تهتف بصوت أكثر حدة:



_من أنت لتحاسبها علي أفعالها؟!!! وهل حاسبك أحد علي أفعالك؟!!! ألم تفكر أنه حتي لو كان هذا الرجل أغواها...فإنه ذنبك الذي رُد إليك في أهل بيتك؟!!!

ضم قبضته بقوة وهو يشعر بغضب حارق....

لكنها لم تكن أقل منه غضباً وهي تردف بنفس الحدة:

_ذق عذاب الاعتداء علي الشرف....هذه بضاعتك رُدّت إليك!

كانت عيناه في هذه اللحظة كجمرتين مشتعلتين ....

لكنه اقترب منها وهو يمسك ساعديها بقوة حتي تأوهت ...ثم قال ببرود يخفي براكين صدره:



_لن أسمح لكِ بالتحدث معي بهذا الأسلوب ثانية....هذا هو تحذيري الثاني والأخير!

شعرت بقشعريرة في جسدها ...

وهي تشعر بأن غضبه تجاوز الحد هذه المرة...

جسده كله يرتج انفعالاً وكأنه يبذل مجهوداً خارقاً للسيطرة علي انفعاله...

وعيناه عادتا لقسوتهما القديمة...

وكأنهما ما امتلأتا بحبها يوماً!!!

أغمضت عينيها في ألم...

ثم حررت ساعديها من ذراعيه...

لتغادر غرفته بخطوات منهزمة...



تابع انصرافها بوجه بارد يكتم غضباً يعصف بكيانه كله...

ساري لن تتغير...

ستبقي دوماً تذكره بتاريخه الأسود وذنوبه التي يشهد الله أنه يجاهد نفسه للتوبة عنها....

سيبقي بعينيها آثماً مخطئاً يستحق العقاب!!!

توجه نحو شرفة غرفته....

لعل الهواء البارد يخفف عنه بعضاً من لهيب صدره...

لكنه لمحها تخرج مندفعة من باب المنزل وهي تمسح دموعها المنهمرة كالسيل!!!

نظر لساعته بحنق...



أين ستذهب هذه الحمقاء في هذه الساعة من الليل؟!!!

تناول هاتفه وميدالية مفاتيحه ليغادر المنزل لاحقاً بها...

لكنها كانت قد انطلقت بسيارتها...

ركب سيارته بسرعة وانطلق خلفها...

كانت تنطلق بسرعة رهيبة وكأنها تهرب...

بل إنها فعلاً كانت كذلك...

كل هذه الأحداث كانت تضغط علي أعصابها...

لا تريد أن تصدق أن حذيفة قد يقتل آسيا...

كيف يمكنها أن تبقي في حياته لو فعلها؟!!!



لكن من سيسمح لها بالاعتراض؟!!!

حتي لو دهست قلبها تحت قدميها وتجاهلت حبه...

سيدفعون بها إليه في النهاية...

فهي ليست في عرفهم سوي جارية...

لا تملك حق تحديد المصير!!!

قطعت أفكارها عندما وجدته يقطع الطريق عليها بسيارته...

فتوقفت مرغمة وهي تنتبه فجأة للطريق المقفر الذي تسير فيه...

زفرت بقوة وهي تسند رأسها علي مقود السيارة ...

وكأنها تستجمع قوتها أمامه للحظات...



عندما شعرت به يفتح الباب جوارها ....

ثم جذبها من ذراعها بقوة وهو يهتف:

_انزلي!

ترجلت من السيارة فسحبها من ذراعها خلفه حتي فتح باب سيارته ليدفعها بداخلها...

ثم دار ليجلس مكانه وهو يصفق الباب بعنف هاتفاً بجنون:

_ألن تكفي عن أفعالك الطائشة هذه؟!!!! كيف تخرجين وحدك في هذه الساعة من الليل؟!!

ارتعش جسدها بقوة ...

لا تدري برداً أم انفعالاً....



أغمضت عينيها وهي تشعر بطنين في أذنها....

لا تريد أن تسمعه ولا أن تراه...!!!!

رغم أن كل جوارحها تحتاج إليه الآن...!!!!!

ولولا كبرياؤها...لطلبت منه أن يضمها بقوة ...

حضنه الآن وحده هو ما تحتاجه...

وما تخشاه!!!!

لا فائدة!!!

حذيفة سيبقي وجع قلبها الأزلي...

ولعنة روحها العالقة في مشاعرها المتناقضة معه!!!

بينما كان هو يراقبها بغضب يمتزج بالقلق...

ارتعاشة جسدها والألم الواضح علي ملامحها...

مع هذا الصمت الذي لا يقلقه مثله...



فهو يعرف أن صمتها في هذه الحالة أقوي كثيراً من الصراخ!!!

خبط بقبضته علي مقود السيارة وهو يشعر بالعجز....

ثم ظل يخبط بها عدة مرات لعله يفرغ شحنة غضبه....

لكنها كانت غائبة عنه في عذابها -اللا منقطع- به....

التفت نحوها أخيراً ليجد نفسه دون وعي يجذبها لصدره...

ضمها بقوة وكأنه يحاول تخليص رأسها من كل هذه الهواجس التي تملؤها نحوه...



وكأنه يخبرها دون كلمات أنهما صارا كياناً واحداً...

ثم شدد بقوة من ضمته العنيفة قاصداً حتي تأوهت بضعف فهمس في أذنها بعتاب:

_هذا لتعلمي أن الحضن وطن...لكنه قد يؤلم لو ضغط علينا أكثر!!

رفعت عينيها إليه وهي تفهم مغزي عبارته لتهمس بألم:

_كلما ظننت أن الحواجز بيننا قد زالت...يرتفع بيننا واحد جديد!!

ألصق جبينه بجبينها وهو يهمس :

_لا تعنيني كل هذه الحواجز فأنا قادر عليها جميعاً...



لكن تبقين أنتِ أكبر الحواجز التي لن أقوي علي تخطيها...لن أستطيع تحمل لومك وإهاناتك في كل مرة نختلف فيها...

ثم ابتعد برأسه ليهمس بعينين مشتعلتين:

_حذيفة النجدي لن يقبل أن تعامله امرأته بهذه الطريقة.

أغمضت عينيها للحظة...

ثم عادت تفتحهما وهي تهمس بين دموعها:

_أنا آسفة.

اختفي الغضب من عينيه فجأة ...

وكأنها أطفأت ببرد كلمتها نيران غضبه بلحظة...!!!!



لتفيض عيناه حناناً وهو يمسح دموعها بشفتيه....

ثم أعاد رأسها لصدره وهو يضمها لكن برفق هذه المرة...!!

عندما سمعا صوتاً خارج السيارة يهتف بسخرية:

_يا له من عرض مثير!!

انتفضت ساري بعنف وهي تنظر للرجل الغريب الذي كان واقفاً خارج السيارة....

ومعه رجلان آخران يمسكان هراوات ثقيلة....

شهقت بخوف وهي تشعر بالذعر!!!!

فيما كان حذيفة يكز علي أسنانه وهو يتعرف علي هوية الرجل...



إنه الرجل الذي تشاجر معه من قبل ...

لأن حذيفة كان علي علاقة بشقيقته...

وتطور الشجار بينهما حتي ضربه الرجل بزجاجة مكسورة علي وجهه...

هتف حذيفة بحدة:

_ماذا تريد؟!

ابتسم الرجل ابتسامة صفراء وهو يقول بلهجة مقيتة:

_أريد رد معروفك يا "شهريار العصر".....لقد كنت أراقبك حتي تسنح لي الفرصة بالانتقام.

ثم فتح باب السيارة المجاور لساري وسحبها من ذراعها لينزلها قسراً من السيارة هاتفاً:

_المرأة بالمرأة....والبادي أظلم!



الفصل التاسع عشر:

_المرأة بالمرأة والبادي أظلم!!

هتف بها الرجل وهو يسحب ساري من ذراعها خارج السيارة...

فدفع حذيفة بابه ليخرج ويتوجه نحوه هاتفاً بغضب مشتعل:

_لا تلمسها أيها الحقير....خذ ثأرك مني أنا!

ابتسم الرجل بسخرية مقيتة وهو يقول بتشفٍ واضح:

_ومن قال أنني لن أفعل؟!!!لكنني سأجعلك تدرك



أولاً عذاب أن يعتدي أحد علي عرضك.

قالها ثم جذب ياقة قميص ساري بعنف ممزقاً إياه...

صرخت بفزع وهي تداري جسدها بذراعيها...

فاندفع حذيفة نحوه لكن الرجلين كبلا ذراعيه بقوة بينما تعلق بصره بغضب هادر بجسدها الذي كان يتلوي بعنف وهي تقاوم ذاك الحقير...

غلي الدم في عروقه وهو يشعر بأنه يحترق...

فانثني بجذعه فجأة في حركة سريعة ليضرب أحد الرجلين بكوعه في معدته....

تأوه الرجل بقوة وهو يبتعد عن حذيفة لتتحرر إحدي قبضتيه فيلكم الآخر في أنفه...

ثم اندفع بسرعة نحو "تابلوه" السيارة ليستخرج مسدسه ويصوبه نحوهم بسرعة خاطفة....



عدة رصاصات كانت كافية ليسقطوا أرضاً...

فاندفع بسرعة نحو ساري التي كانت تنتفض بشدة وهي تراقبهم بملامح مصدومة ....

الهلع يبدو واضحاً علي وجهها الذي شحب تماماً وهي عاجزة عن التنفس...

ضمها إليه بقوة يداري جسدها الذي انكشف بعضه بين ذراعيه وهو يهتف بانفعال:

_أنتِ بخير؟!

كانت عاجزة عن الرد وكل خلاياها تئن ألماً وخوفاً...

فربت علي ظهرها برفق وهو يكاد يعتصرها بين ذراعيه هامساً بندم:

_أنا آسف...آسف بحق!!



أبعدها عنه قليلاً ليخلع سترته ويضعها عليها...

دون أن ينتبه لأحد الرجال الذي استل مدية من جيبه ليقذفها بعنف نحوه ...

تأوه حذيفة بقوة والمدية تصيب كتفه...

لكنه أدارها هي ليخفيها خلف ظهره ثم صوب مسدسه ثانية نحو الرجل ليبادره بطلقة في كتفه...

صرخت ساري وهي تتلفت حولها بصدمة لا تصدق أن كل هذا حقيقي...

فجذبها حذيفة من ذراعها بسرعة نحو السيارة التي استقلت هي كرسي القيادة فيها...

لتبتعد بسرعة عن هذا المكان المشئوم...

التفتت نحو حذيفة الذي كان يضغط علي أسنانه بألم واضح...

فنظر إليها ليهمس بصعوبة:



_سامحيني يا ساري...سامحيني...

ظل يرددها وسط تأوهاته الخافتة فتمالكت نفسها بصعوبة وهي تحاول التماسك علي الأقل حتي تصل به لأقرب مشفي...

وبعد وصولهما ودخوله إلي غرفة الطوارئ...

وجدت القوة أخيراً لتتصل بفريدة وتخبرها بما حدث كي تطلب من أبناء عمومتها نجدة قريبة....

ثم انهارت جالسة علي كرسيها تضع رأسها بين كفيها وهي عاجزة عن تصديق كل ما حدث....

لقد كانت علي وشك الضياع هذه الليلة....

بسبب حذيفة!!!!



من يدريها أن ما حدث الليلة لن يتكرر...؟!!!!!

من يدريها أنه سيكون متواجداً كل مرة لينقذها...؟!!!!!

بل...من يدريها أنه قد تاب حقاً ولن يعود لعبثه من جديد؟!!!!

التمعت عيناها بتصميم وقرار واحد يملأ رأسها بقوة....

ثم رفعت رأسها نحو باب الغرفة الذي اختفي وراءه ليعود قلقها عليه يغلب عقلها وهي تهمس بتضرع:

_نجّه يارب....واحفظه لي....وليكن بعدها ما يكون....

=====

_لا أصدق أن جسار تزوج بهذه السرعة!!!

هتفت بها فوزية خالة سمية في ضيق واضح...



لقد علمت عن زواجه من آسيا منذ قليل ولازالت لا تصدق أنه فعلها بهذه السرعة....

أين ذهب إذن حبه لسمية الذي كان الجميع يشهد عليه؟!!!

لكن نغم ربتت علي كتفها وهي تقول بحزن:

_لا تتعجلي الحكم عليه يا أمي....سمية رحمها الله هي التي كانت تدبر لهذا الأمر بنفسها...لقد كانت تخشي عليه انهياره بعدها...وأنا رأيت بنفسي كم كان يحسن معاملتها رحمها الله...

هزت والدتها رأسها وهي تقول بشرود:

_رحمها الله كانت ملاكاً بحق...



أومأت نغم برأسها ثم عادت إلي غرفتها مغلقة بابها خلفها وهي تفكر بشرود...

هل تحطم تمثال الحب الذي كان في خيالها لسمية وجسار؟!!!

هل أخطأ جسار عندما بدأ حياته من جديد بعد وفاتها؟!!!

أم أنها سنة الحياة كما يقولون؟!!!

دمعت عيناها وهي تتذكر وصية سمية لها أن تعتني بجسار والصغير...

بعدما اختارت له آسيا بنفسها ليستكمل معها حياته...

عظيمة كانت سمية...

وأعظم منها كان هذا الحب الذي جمع بينها وبين جسار...



كم تتمني لو تكتب لها الأقدار حباً مثل هذا ...

لا ينتهي حتي آخر نفس من أنفاسها!!!!

ورغماً عنها تسللت صورة جسار لذهنها......

هل تراه أحب آسيا حقاً كي يقدم علي الزواج منها بهذه السرعة؟!!!

هل تراه نسي سمية كما تزعم أمها بهذه البساطة؟!!!

لا...هي لا تظن هذا أبداً...

الأمر يبدو وكأنه هناك لغز ما خلفه...

تري ....ما هو؟!!!

======

جذب جسار الصغير من كفه وهو يهرول إلي الغرفة التي تقيم فيها آسيا...



دخل الغرفة بسرعة ليهوله منظرها ...

جسدها كان يرتعش بقوة ووجهها كان شديد الاحمرار...

لكن جسدها كان بارداً كالثلج...

شفتاها لم تكفا عن الارتجاف وهي تهذي بنفس العبارة:

_سأموت يا أمي.

ظلت تردد هذه الجملة بلا انقطاع بصوتها المرتجف...

فسقط قلبه بين قدميه وهو يربت علي وجنتها بقوة هاتفاً:

_آسيا...أفيقي...



لكنها كانت غائبة عن الوعي تقريباً...

لا تفعل شيئاً سوي ترديد جملتها المشئومة...

صرخ الصغير بفزع:

_هل ستموت مثل أمي؟!

التفت إليه جسار بحدة ثم هتف بضيق:

_لا يا ياسين...إنها مريضة فقط.

قالها وهو يتناول هاتفه بسرعة...

لكن أنامله المرتجفة خانته ليسقط الهاتف من يده من فرط توتره...

عاد يتناوله ليتصل بالطبيب...

لكنه لم يرد بالطبع في هذا الوقت من ليل رمضان...



ألقي الهاتف في حركة عصبية وهو يزفر بقوة...

عندما دخل العم كساب ليفاجأ بمظهر آسيا المريع...

فهتف بجزع:

_ما الأمر يا جسار؟!

قام جسار من جوارها وهو يقول بخوف واضح:

_تبدو مريضة للغاية يا عمي...سأذهب لإحضار الطبيب لها.

قالها وهو يندفع نحو باب الغرفة ثم توقف مكانه وقد راوده هاجس مظلم...

ودعاؤها علي نفسها بالموت يعاوده ويكاد يصم أذنه...



ماذا لو تركها الآن ليعود فيجدها قد....؟!!!

أغمض عينيه بقوة يقاطع فكرته المشئومة....

لا لا...!!!!

ثم عاد لعمه قائلاً بضيق:

_لن أتمكن من القيادة ...أعصابي مشدودة .

نظر العم كساب لأنامله المرتجفة فقال بتفهم:

_سأذهب أنا بالسيارة لإحضار الطبيب...ابق أنت معها...

نظر جسار لياسين الصغير الذي كان يراقب آسيا بذعر...



ثم قال له بأقصي ما امتلكه من رفق:

_ياسين سيذهب مع العم كساب في رحلته بالسيارة.

نظر الصغير لآسيا ثم قال بحزن طفولي:

_أخشي أن أذهب فأعود ولا أجدها مثل أمي.

دمعت عينا جسار رغماً عنه وهو يستعيد لحظات وفاة سمية القاسية...

ثم امتلك زمام مشاعره بصعوبة ليقول له :

_ستكون بخير ...أعدك يا صغيري.

نظر لها الصغير بتردد لكن العم كساب توجه نحوه ليجذبه من كفه قائلاً بمرح مصطنع:

_هيا لنذهب

بنزهة بالسيارة.



لم ينتبه جسار لرحيلهما وقد تعلقت عيناه بجسدها الذي لم يتوقف عن الانتفاض...

فاندفع ليحضر لها كمادات مثلجة...

جلس جوارها علي طرف الفراش...

ثم بدأ بوضع الكمادات علي جبينها برفق...

وهو يدعو الله بخوف أن تكون مجرد نزلة برد عادية...

لكن الوقت مر...

ولازال جسدها علي انتفاضته المحمومة...

وشفتاها تتمتمان بنفس الجملة التي كانت تقتله ببطء...



لم يدر كم مر من الوقت حتي جاء العم كساب مع الطبيب الذي تفحصها بسرعة...

شعر جسار بالضيق عندما كشف الطبيب عن بعض ملابسها ليتفحصها...

أشاح بوجهه وهو يشعر بحنق غير مبرر...

لم يشأ الاعتراف بأنها غيرة...

لكنها كانت كذلك!!!

أنهي الطبيب فحصه بسرعة ليقول له بقلق واضح:

_هل تتعامل المريضة مع أي نوع من الحيوانات هنا؟!

عقد بدر حاجبيه وهو يقول بتوتر:



_الخيل أحياناً...لكن الحيوانات هنا في المزرعة كلها تخضع للكشف الدوري بانتظام...ولم نتبين أي حالات إصابة غريبة في الحيوانات أو في البشر.

عدل الطبيب نظارته ليقول بحرج:

_أخشي أنها مصابة بفيروس (........)..إنه منتشر جدا هذه الأيام...هذه الأعراض تنطبق علي ما أعرفه عن هذا المرض...لهذا أوصي بنقلها للمشفي...فالمرض خطير وقد...

قاطعه جسار وهو يتذكر ما تتداوله وسائل الاعلام عن هذا الفيروس الخطير ليهتف بحدة:

_لن تغادر هذا البيت...انظر ما تحتاجه من امكانيات وسأحضره لها هنا...لو طلبت تحويل هذا المنزل لمركز طبي فسأفعل.



أجفل الطبيب من حدته فقال بتوتر:

_أنا مقدر لقلقك يا سيد بدر...لكن ...

قاطعه جسار قائلاً:

_لا يوجد لكن...زوجتي لن تغادر المزرعة.

هز الطبيب رأسه بتفهم ثم قال باستسلام:

_حسنا...لكن أولاً لا تدعها في غرفة واحدة مع الصغير لأجل العدوي...وسأخبرك بباقي التعليمات...

ازدرد جسار ريقه ببطء وهو،يقول:

_سأنقلها لغرفة أخري.



قالها وهو يفكر أنه سينقلها إلي غرفته مؤقتاً...

هذه الغرفة صغيرة ولن يتمكن من المبيت فيها معها...

وهو لن يقوي علي تركها لحظة واحدة بعد الآن...

لكن...

هل سيسمح أن تدخل غرفة سمية؟!!!

أن تنام علي فراشها؟!!!

هز رأسه بعنف وهو ينفض عنه هذه الفكرة...

لا وقت لهذا الترف من المشاعر...

حياتها الآن علي المحك...

وهو لن يسامح نفسه للحظة لو أصابها مكروه!!!

قطع الطبيب أفكاره وهو يقول :



_لو انخفضت حرارتها عند الصباح فربما لن نحتاج لنقلها للمشفي...لكنني سأحتاج لبعض التحاليل...

تناول منه جسار الورقة التي كتب فيها التحاليل والدواء...

ثم شكره مودعاً علي لقاء قريب في الصباح...

ذهب العم كساب ليوصل الطبيب ويحضر الدواء...

فيما وقف جسار يراقب ملامحها بخوف شديد...

لم يعرف أنها تحمل هذه المكانة في قلبه إلا الآن...

إنه يشعر بروحه تكاد تتمزق من أجلها..

توجه نحوها ليحملها برفق...

ثم سار بها حتي أرقدها علي فراشه...



دثرها بالغطاء وهو يتحسس وجنتها بأنامله في حنان يمتزج بالقلق..

ثم جلس جوارها علي طرف الفراش...

ظل يضع لها الكمادات الباردة حتي عاد عمه بالدواء فأعطاه لها...

ربت العم كساب علي كتفه وهو يلاحظ خوفه الواضح ليقول مطمئناً:

_لا تقلق يا جسار...ستكون بخير.

ثم أردف بخشوع:

_دعنا نصل الفجر وندعو الله لها...

أدي جسار صلاته ثم عاد إليها ليجلس جوارها علي طرف الفراش...



وهو يلاحظ هدوء جسدها أخيراً من انتفاضته...

لكن حرارتها ظلت علي عدم استقرارها....

و شفتاها كانتا ترتجفان ولازالت تهذي بنفس العبارة:

_سأموت يا أمي!

ربت علي وجنتها برفق وقد بدت له كطفلة بائسة تنادي أمها بخوف...

مد أنامله ببطء ليشبك أصابعه بأصابعها الباردة كالثلج...

ثم اقترب من وجهها ليهمس بحنان يغلفه خوفه الواضح:

_لا تخافي يا آسيا...سأكون دوماً معك...



ثم دمعت عيناه وهو يعاود همسه بتوتر:

_قاومي مرضك لأننا كلنا نحتاجك...ياسين يحتاجك...ووالدتك تحتاجك...

ثم اقترب من أذنها وهو يهمس بما كان دوماً يخشي الاعتراف به:

_وأنا .....أحتاجك !!!

قالها ثم ابتعد بوجهه ليعاود التطلع لملامحها الشاحبة...

هز رأسه في يأس وهو يراها لا تزال علي حالها ...

فمال علي وجهها ليلصق جبينه بجبينها هامساً بألم:

_لا تتركيني أنتِ الأخري يا آسيا...

===



جلس حمزة علي حاسوبه متردداً أمام بريدها الاليكتروني...

هي لا ترد علي رسائله رغم أنه موقنٌ أنها تقرؤها...

ومع هذا يجد نفسه ضعيفاً أمام نداء قلبه في كل مرة...

قلبه الذي يلومه بحق علي تفريطه فيها....

خاصة بعدما تصالح مع عقله أخيراً بشأنها...

مارية الآن هي حلم قلبه الذي طالما تمناه ...

لكن يبدو أنه سيتعب كثيراً كي يصالح كبرياءها الذي خدشه دون قصد...

لكنه مستعد لأي ترضية...

فقط لو تمنحه فرصة جديدة...

وهو ما يشعر أنها ستفعله...



قلب مارية الطفولية البريئة لن يتلوث بحقد عليه بعدما امتلأ بحبه....!!!!

لهذا تغلب علي تردده...

وامتدت أنامله تكتب لها علي بريدها الاليكتروني:

_عزيزتي مارية...لو تعلمين كم افتقدتك...افتقدت مشاكساتنا معاً...اتساع عينيكِ انبهاراً بما أقول....ضحكة عينيكِ التي تفضح قلباً لم يعرف لؤماً ولا غدراً...روحكِ التي تشبه طفلة لا تزال تعدو حافية في حقول الورد...وكلامكِ الذي يعرف طريقه لقلبي دون استئذان...أعرف أنكِ غاضبة مني...لكنني واثقٌ أنكِ ستفهمينني لو شرحت لكِ...فهل تمنحينني فرصة...أم تكون هذه آخر رسائلي لكِ؟!!!



لو منحتِني فرصتي فسأخبركِ بمفاجأة قد تكون سارة بالنسبة إليكِ...ولو اخترتِ أن تكون هذه هي رسالتي الأخيرة فلن أزعجكِ بعد سأبتعد متمنياً لكِ كل الخير...

ضغط زر الإرسال ثم جلس مترقباً وهو يشعر أنها ستجيبه هذه المرة....

لكنه عاد يشعر بالخيبة والدقائق تمضي ببطء دون أن يصله ردها....!!!!

وعلي سريرها كانت مارية تقرأ رسالته ودموعها علي خديها....

قلبها يتوسلها أن تجيبه....

أن تسمع منه...

أن تعرف مفاجأته التي يحكي عنها...



لكن كبرياءها يمنعها.

هو تخلي عنها...

هو جرحها في أنوثتها يوم رفض حبها...

وبينهما كان عقلها حائراً لا يدري هل كان حمزة مخطئاً حقاً عندما رفض حبها بهذه الطريقة....؟!!!!

أم أنه فعلها لكي يكون دافعها نحو التغيير نابعاً من نفسها هي...

وليس من أجل عاطفة أو شخص؟!!!!

تنهدت في حرارة ثم ضغطت علي شفتيها لتهمس بعدها بشوق:

_افتقدتك يا حمزة...افتقدتك جداً...

ورغماً عنها استجابت أناملها لنداء قلبها لتجد نفسها تكتب له :

_حمزة!



ابتسم في حنين جارف وهو يقرأ كلمتها اليتيمة....!!!!

حمزة ...هكذا فقط؟!!!!

كلمة واحدة لكنها جعلت قلبه يتقافز بين ضلوعه بجنون...

وهو يتخيل كيف كانت تهمس بها بطريقتها المميزة فتكاد تذيبه من فرط حلاوتها من بين شفتيها....

اتسعت ابتسامته وهو يشعر بكلمتها تفضح شعورها الآن...

نعم...ماريته غاضبة...لكنها لا تريد أن تفقده...

لا تريد أن تحدثه...فاكتفت بكلمة تفتح له الطريق دون وعود...!!!!

كلمة واحدة...لكنها تكفيه...!!!



لهذا كتب لها بسرعة:

_شكراً يا ماريتي...هي كلمة واحدة لكنها تكفيني...مفاجأتي لن أخبركِ بها بل سأجعلكِ ترينها بنفسكِ...لكن أخبريني أولاً...هل عمكِ متواجدٌ غداً في المنزل؟!! سأرسل إليه شيئاً في الثامنة مساء بالضبط...

اتسعت عيناها في ترقب وهي تقرأ ما يكتبه....

أي مفاجأة سيرسلها لعمها في الثامنة...؟!!!

التمعت عيناها بفرح وهي تهتف بالانجليزية دون وعي:

_أووووه!!! حمزة سيبقي مشاكساً كعهده!

لكنها كلماتها ناقضت شعورها المشتعل وهي تكتب له باقتضاب:

_سأنتظر مفاجأتك.



اتسعت ابتسامته وهو يقرأ ردها المقتضب يتخيلها تزم شفتيها كطفلة غاضبة...ثم كتب أخيراً:

_تصبحين علي خير يا ماريتي.

رفعت هاتفها المحمول لشفتيها تقبله بعنف عدة مرات متتابعة...

ثم ألقت ظهرها علي الفراش تتطلع للسقف هامسة بهيام:

_أحبك يا حمزة....أحبك...أحبك....

بينما عاد هو بظهره للوراء يتأمل كلماتها المقتضبة وهو يشعر بسعادة لا متناهية...

برغم أنها لم تبح بشئ لكنه يكاد يتنفس عبير اشتياقها عبر حروفها القصيرة...



لكنه مشبعٌ برحيق كبريائها هذه المرة...

وما أروعه من مزيج...!!!!

مزيج خاص بطفلة تعرف متي وكيف تحمل سحر أنوثة امرأة....!!!!

طرقات عنيفة علي باب غرفته قطعت أفكاره...

فانتفض من مكانه ليفتح الباب فتواجهه فريدة هاتفة بجزع:

_أدرك حذيفة يا بنيّ!

====

تململت جوري في نومها وهي تشعر بالأرق...

كم اشتاقت نومتها جواره...

وهمساته العاشقة التي تدغدغ كيانها كله....



لكنها -للأسف-مضطرة للابتعاد عنه حتي تتحسن صحة النجدي الكبير...

ساعتها سيفاتحه عمار في أن تعود إليه لأجل الطفل....

تنهدت في حرارة وهي تتطلع لسرير ساري الخالي...

تري أين ذهبت حتي هذه الساعة...؟!!!

لاريب أنها مع حذيفة...

فقد رأته يخرج خلفها بسيارته....

ساري وحذيفة عاشقان كما هي وعمار!!!

ابتسمت ابتسامة حالمة عندما وصلت أفكارها إلي هذه النقطة...



ثم اتسعت ابتسامتها لتحمل شقاوة لذيذة وهي تنفض غطاءها...

ثم تسللت من غرفتها ببطء لتخرج إلي صالة المنزل...

فتحت الباب بحذر لتعيد إغلاقه ببطء شديد...

ثم صعدت السلالم بخفة نحو شقتهما التي يقيم فيها وحده الآن...

رنت الجرس رنة قصيرة وهي تدعو الله أن يكون مستيقظاً مثلها في هذه الساعة...

وعلي فراشهما كان عمار غارقاً في شروده فيها....

رغم سعادته بمشاعرها الجديدة نحوه وبطفلهما المنتظر...

لكنه يشعر أن ثمة شئ ما خطأ...



ربما فعلتها القديمة والتي لا يعلم حتي الآن مع من كانت ستنفذها....

وربما عدم ثقته في صحة شعورها المستحدث نحوه....

وربما هو خوفه من تداعيات الأمور لو رفض قاسم النجدي عودته إليها..

قام من فراشه وهو يزفر بقوة ثم ضم قبضته قائلاً بغلظته المعهودة:

_أنتِ لي يا جوري ولو حاربت الدنيا كلها لآخر نفس!

سمع صوت الرنة القصيرة للجرس فقام يفتح الباب مترقباً ليجدها أمامه...



ابتسم رغماً عنه وهو يري ارتباكها اللذيذ وكأنها فتاة مراهقة خرجت للقاء عشيقها...

خاصة عندما همست بصوت خفيض:

_هل كنت نائماً...هل أزعجت.....؟!!!

قطع عبارتها وهو يسحبها من ذراعها بقوة ليعتصرها بين ذراعيه مغلقاً الباب خلفها...

أخفت وجهها في صدره بينما زاد هو من قوة ضمه لها وهو يدفن أنفه في شعرها...

فهمست بدلال:

_عمار...أنت توجعني!

رفع ذقنها إليه لينظر لعينيها حبيبتي صباه وشبابه...

بل حبيبتي عمره كله ...



نظراته حملت عاطفة بكراً نقية لم ولن يعرفها إلا لها...

ولأنها كانت كذلك اخترقت قلبها بقوة قاهرة مثله ليدق بعنف داخل صدرها...

خاصة عندما همس هو بعتاب خشن:

_طالما أوجعتني يا جوريتي.!!!

مدت أناملها ببطء تتلمس شفتيه وهي تهمس برقتها الفطرية:

_اشتقت لهمسات العشق من شفتيك هاتين تحملني لدنيا أخري...

رفع أنامله تحتضن كفها الملامس لشفتيه ...

ثم قبل أطراف أناملها بهيام....



وعيناه في عينيها تأبيان مغادرة سجنهما القديم فيهما....

لا يصدق أنها هنا معه...

هي التي جاءته بقدميها....

تقول أنها اشتاقته بهذه الطريقة وبهذا الإحساس....!!!!

اقترب بوجهه من وجهها ليهمس أمام عينيها بصوت متهدج:

_جوري أنتِ حقاً هنا؟!! جئتني وحدكِ دون ضغط ودون قيد....جئتني لأنكِ....

عجز عن إتمام عبارته مع كل هذا الطوفان من المشاعر الذي كان يكتسحه وقتها....

والذي شعرت هي به فأحاطت وجهه بكفيها وهي تهمس بحنان:



_نعم...يا عمار...بإرادتي ودون ضغوط...أتيتك لأنـي....

صمتت لحظة شعرت فيها أن قلبه يكاد يرجوها أن تكملها...

قلبه الذي تكاد تسمع صوت دقاته الهادرة الآن...

ولم تكن لتخيب رجاءه أبداً...

ابتسمت في خجل وهي تردف بدلال يمتزج بعاطفتها:

_أحبك يا عمار.

اتسعت عيناه للحظة قبل أن يغمضهما بقوة...

وقدكان هذا آخر ما وعته هي...



قبل أن يميل بشفتيه علي شفتيها فيغرقها في طوفان عاطفته المجنون الذي افتقدته...

لتتواري كل أفكارها ويغيب عنها الإدراك....

مأخوذة بدفء لمساته التي حملتها للعالم الوردي الذي طالما تخيلته في أحلامها....

والآن تجده معه أجمل وأجمل!!!

وبعدها بدقائق طويلة كان هو جوارها علي فراشهما يتطلع لوجهها الذي كان يصلح الآن كصورة مجسدة للسعادة والخجل...

اتكأ علي جانبه ليشرف علي وجهها من علوّ...

ثم داعبت أنامله شعرها وهو يهمس بخفوت:

_شعر جوري الذي يشبه لونه ليل أيامي دونها...



انتقلت أنامله لعينيها اللتين أسبلتهما في خجل فلامسهما بخفة مروراً برموشها الكثيفة ليردف بنفس النبرة:

_وعيناها اللتان أجادتا احتلالي حتي ما عدت أطمع في حريتي بعيداً عنهما....

فتحت عينيها ببطء وابتسامة هانئة ترتسم علي شفتيها اللتين انتقلت إليهما أنامله وهو يردف:

_وشفتاها اللتان أقرأ عليهما أقدار عذابي...وأقدار فرحي....

مدت كفها تتناول أنامله لتضعها علي وجنتها هامسة :

_هل تدري قيمة أن تقول -أنت-لي هذا الكلام؟!!!!
عمار الغليظ تغير لأجلي...عمار صار يجيد الغزل لأجل جوريته...



دمعت عيناها في عبارتها الأخيرة...

فمال بوجهه يلصق جبينه بجبينها وهو يتأوه قائلاً:

_ولمن سواكِ أفعلها أنا؟!!!

اتسعت ابتسامتها الهانئة وهي تشعر بزغاريد قلبها تدغدغ ضلوعها برقة...

أين كنت أنا غافلة عن فيض حبك هذا يا عماري؟!!!

أين كنت؟!!!!

قطعت أفكارها عندما سمعت صوت الجرس فشهقت بقوة وهي تهمس بخوف:

_من ؟!!!

ربت علي وجنتها برفق ثم قام بسرعة ليقول بصوت عادت إليه خشونته:



_لماذا خفتِ هكذا؟!!! أنتِ هنا مع زوجك.

تشبثت بغطائها وهي تهمس بارتباك:

_لكن...ألم نتفق أن نخفي الأمر حتي يتحسن جدي؟!!! أرجوك يا عمار...

أشاح بوجهه في ضيق ثم قال لها بغلظة:

_ابقي هنا حتي أري من الطارق.

توجه نحو الباب يفتحه ليطالعه وجه حمزة القلق:

_حذيفة وساري في المشفي....هيا لنذهب إليهما...

===

فتح حذيفة عينيه أخيراً ليراقب الوجوه المجتمعة حوله بنظرات زائغة.....

فهتفت فريدة بلهفة:



_حمداً لله علي سلامتك يا بني.

دار بعينيه باحثاً عنها لكنها لم تكن هناك....

كل العائلة كانت حوله عداها هي !!!

حتي قاسم النجدي تحامل علي نفسه ليقوم من رقدته ويطمئن عليه...!!!!!

وهي لم تفعل!!!

ازدرد ريقه الجاف بصعوبة وهو يهمس:

_أين ساري؟!

ربتت فريدة علي كفه وهي تقول بحنانها المعهود:

_ساري بخير يا بني ....لا تقلق...هي فقط ...قلبها لم يطاوعها أن تراك في هذه الحالة....

تلعثمت في عبارتها الأخيرة فأدرك حذيفة أن في الأمر سراً....



التفت نحو جده الذي تقدم نحوه ليقول بصوته المسيطر:

_استرد عافيتك وبعدها سيكون لنا حديث طويل عما حدث هذه الليلة....

أغمض حذيفة عينيه وهو يشعر بالاختناق...

كل أحداث الليلة الفائتة لم تغادر مخيلته ...

ساري كادت تضيع بسببه...

بسبب خطايا ماضيه الأسود...

فكيف ستكون ردة فعلها تجاه الأمر؟!!!!

قد يتحمل غضب جده وقسوة لومه...

وقد يتحمل عتاب العمة فريدة الصامت...

لكن كيف سيحتمل النظر في عيني ساري بعد....؟؟!!!



ساري التي يبدو أنها لن تمرر الأمر بسهولة كعادتها...

ويحق لها أن تفعل!!!

لكن كيف استطاعت تركه في هذه الظروف؟!!!

هل غلب كبرياؤها قلبها هذه المرة حتي قويت علي التخلي عنه في هذا الوقت؟!!!!

لن يلوموها لو فعلت...

أي امرأة مكانها كانت ستطرده من حياتها بعد هذه الحادثة!!!!

لكن...ساري ليست كأي امرأة...

ساري تحبه...بل تعشقه...



فهل يشفع حبه لديها كي تتجاوز عن الأمر هذه المرة؟!!!!

هو لا يدري...

لكن قلبه يوشك علي الاحتراق بذنبه وترقبه ولوعته!!!!

وعلي أرجوحتها القديمة علي السطح كانت هي تجلس شاردة...

تضم دميته إلي صدرها وهي تسترجع كل ذكرياتهما...

قلبها يستحلفها أن تذهب وتطمئن عليه...

نظرة واحدة من خلف الباب وبعدها تعود دون أي كلمة.....

لكن عقلها كان يعنفها بهيمنة مسيطرة في هذه اللحظات...



كفاكِ تعلقاً بحبال واهية أيتها الغافلة...!!!!!

هذا هو حذيفة....وهذه هي حياته....

عالم أسود من الخطايا لم يكتفِ فيه بنفسه...

بل وجدتِ نفسكِ عالقة معه...

ولولا ستر الله بالأمس لكنتِ الآن في أسوأ حال يمكنكِ تخيله...!!!

حذيفة النجدي لا يصلح لكِ...

حتي لو امتلك قلبكِ بقبضة من حديد...

لكنه سيبقي القطب المضاد لمبادئك وأخلاقك وعقلك....

حمقاء أنتِ لو ظننتِ الحب يكفي...

لا يا صغيرة...



إنه حقاً لا يكفي وحده دون رصيد كافٍ من احترام واهتمام وثقة...

وقبلهما غطاء من اقتناع عقلكِ بدقات قلبك العاشق!!!!

عذراً يا حذيفة...!!!

ما عاد لي طاقة في إكمال هذا الطريق معك...

لن أنسي هذه الليلة أبداً...

ليلة بدأتها تتوعد شقيقتي بالقتل تزعم أنك تحافظ عن شرفك...

وأنهيتها تدافع عن شرفي الذي كاد ينتهك بسببك...

فيالظلمك يا حذيفة!!!!!

لقد تآمر عليك ماضيك ليفضح ازدواجية فكرك...

ويريني أنك لن تتغير...



وأن صورتي عنك ستبقي كما كانت...

أنت وجع قلبي وعقلي يا حذيفة...

لكنني لن أسمح لك أن توجع كبريائي بعد!!!!!

====

غادر ياسين المشفي بعد زيارته لحذيفة متجهاً لفيللا عاصم الهاشمي حيث لازال يقيم مع رقية...

استقبلته رقية بلهفة وهي تسأله بقلق:

_ما الأخبار يا ياسين؟!!!

ضمها إليه بقوة وقد عجز عن الحديث...

الأحداث اشتعلت فجأة والعائلة كلها علي صفيح ساخن...

رفعت رأسها إليه تتأمل ملامحه المنهكة...

هي تشعر الآن بما يدور برأسه...



الحرب أعلنت في جميع الجبهات ولن يستطيع أحد سد كل تلك الثغرات...

في البداية كانت كارثة جوري وعمار الذي طلقها بعدما عادت إليها الذاكرة والنطق...

ثم فضيحة آسيا التي استوجبت عودة حمزة ليفصل بنفسه في الأمر الذي رآه قاسم النجدي حقاً شخصياً له...

ثم حادثة ساري التي كادت تتعرض للاغتصاب بسبب عبث حذيفة ومجونه وهو ما لن يمرره قاسم النجدي بسهولة...

ومن يدري ما الذي تخبئه لهم الأيام بعد؟!!!!

جذبته من كفه لتجلس علي الأريكة وتضم رأسه إلي صدرها بذراعيها هامسة بحنانها الممتزج بقوتها:

_لا بأس يا يا سين...



صدقني ستمر الأمور بخير...قليل من الحكمة فقط هو ما تحتاجه العائلة لتجاوز هذه الأزمة...لقد أحسن جدك عندما أوكل الأمور لحمزة...عقلية قاسم النجدي بتسلطها لن تصلح لحل الأمور....

رفع ياسين رأسه إليها وهو يقول بصوت متعب:

_كل الأمور الآن متشابكة...هل تعلمين أنها المرة الأولي التي أشفق فيها علي جدي؟!!!!

ربتت علي رأسه وهي تقول بأسف:

_لقد فعل كل هذا للحفاظ علي أحفاده....والآن يجد حبات العقد كلها انفرطت من يده....

أومأ برأسه إيجاباً ثم قال لها بحزم لا يخلو من رجاء:



_حان وقت عودتنا لبيت العائلة....لم أعد قادراً علي تركهم في هذه الظروف....

أومأت برأسها إيجاباً وهي تقول بحنان:

_معك حق...هيا لنذهب معاً...

وبعدها بقليل كان يفتح باب شقتهما ليدخل ويده في يدها...

أغلق الباب برفق ثم استوقفها لينظر في عينيها هامساً بعاطفة صادقة:

_اليوم تدخلين لبيتي عروساً بحق...عروساً امتلكت قلبي بعدما احتلت حصون روحي كلها...

ابتسمت في خجل وهي تطرق برأسها ...



فانحني ليحملها بين ذراعيه وعيناه معلقتان بعينيها وكأن بينهما رباط لن ينفصم أبداً...

سار بها حتي وصل إلي خزانة ملابسها فأنزلها برفق...

ثم فتح الخزانة ليستخرج ثوب زفافها أمام عينيها المترقبتين...

فضه من غلافه ثم قال لها برجاء:

_أعرف أن التوقيت ليس مناسباً...لكنني أحتاج أن أراكِ اليوم عروساً بحق...

ابتسمت في خجل وهي تومئ برأسها إيجاباً...

ربما في ظروف أخري ما كانت لتخلع الأسود حداداً علي والدها أبداً ...

لكنها تشفق علي ياسين...



ياسين الذي تدرك الآن حجم الضغوط عليه...

تدرك أنه يحتاج إليها الآن لتكون فرحة قلبه التي تسنده في مواجهة كل هذا...

وهي أبداً لن تخذله!!!

خرجت إليه بعد دقائق لتجده ينتظرها في صالة الشقة ...

تلقاها بين ذراعيه يتأملها بثوبها الأبيض الذي بدت فيه كنجمة ماسية ....

وضع كفيه علي خصرها فتعلقت بعنقه وتلك الأنغام الخافتة تنبعث من مكان ما ...

فهمست بدهشة:

_أليست هذه...؟!!!!



أومأ برأسه إيجاباً وهو يهمس أمام عينيها:

_نفس الأنغام التي رقصنا عليها أول مرة....عندما وعدتكِ أن أعترف لك بحبي اعترافاً يليق بكِ...

ابتسمت وهي تشعر بقلبها يكاد يتوقف ....

عندما جثا علي أحد ركبتيه أمامها ليهمس بحب:

_هل تقبلين حبي يا سيدتي؟!!

اتسعت عيناها في دهشة للحظة...

ثم جذبته من كفه ليقف أمامها من جديد وهي تهمس بانفعال يمتزج بعاطفتها:

_لا تفعلها ثانية يا ياسين...ياسين النجدي لا يليق به هذا...



ابتسم في حنان وهو يضمها إليه ليهمس أمام شفتيها بعشق جارف:

_لأجل رقية الهاشمي فقط أفعلها....رقية التي تستحق أن تنحني لها الجبال وتتوقف من أجلها مدارات النجوم...رقية التي يوزن قلبها بمثاقيل الذهب والألماس...رقية التي سحرتني بقوتها قبل حنانها...وبروحها التي تشبه الملائكة في رقتها...ويغار من نعومتها الورد....

عضت علي شفتيها في خجل...

فاقترب بشفتيه من وجهها يتلمس بشرتها بقبلات خفيفة هامساً بين كل قبلة وأخري:

_رقية حبيبتي...

أغمضت عينيها بقوة وهي تشعر بنفسها تكاد تذوب بين ذراعيه...



ثم رفعت كفها لتضعه علي صدره هامسة بحنان:

_ياسين...حبيبي.

ابتسم في سعادة وهو يرفعها من خصرها ليدور بها هاتفاً بفرحة عاشق:

_أخيراً يا رقية....أخيراً سمعتها منكِ بأذني!!

ضحكت في خجل وهي تتشبث به هامسة باعتراضٍ واه:

_أنزلني يا يا سين.

ظل يدور بها وهو يهمس في أذنها برقة:

_أبداً حتي تقوليها ثانية.

ألصقت خدها بخده مغمضة عينيها وهي تكاد تقسم أنها لم تشعر بهذه السعادة من قبل ....

لتهمس بقلب غارق في نشوة حبه:

_حبيبي يا ياسين!!



لم يدر كم مر من الوقت عليه وهو جالس جوارها علي الفراش...

يشبك أنامله بأناملها وكأنه يتشبث بها خوفاً من أن تتركه وترحل...

ورغماً عنه وجد نفسه يغوص في بحر ذكرياته معها...

منذ رآها أول مرة خائفة وحيدة في الطريق...!!!

وكيف دخلت حياته بمحض صدفة لتكون هدية القدر له ولسمية...

فخبرتها الطبية رغم أنها محدودة ...

لكنها كانت أكثر من كافية في تلك الأيام التي كانت تحتاجها فيها سمية...

كما أنها رفعت عن كاهلهما حمل ياسين الصغير الذي تعلق بها ....



فكانت تشده لدنياها بعيداً عن الجو الكئيب
للمنزل...!!

وحتي بعد وفاة سمية...

كانت تستمع لشكواه بصبر ....

وتشاركه حزنه علي تلك التي اعتبرتها شقيقتها
وليست مجرد صديقة عابرة!!

وازدادت عنايتها بالصغير وكأنها استشعرت أن
دورها معه قد تعاظم لتكون هي له أماً بعد أمه!!

دمعت عيناه وهو يشعر لأول مرة بعظم الدور الذي
قامت به لأجله ولأجل صغيره..

لكنه -هو-لم يرد لها شيئاً من معروفها بعد!!!



حتي عندما تزوجها لأجل أن يحميها...

فوجئ باعترافها بحبه لعمه فجعله هذا يعاملها بقسوة وجفاء...

وهي التي كانت أحوج ما تكون لعطفه وتفهمه في وحدة روحها هنا!!!

ضغط علي أناملها أكثر وهو يهمس بحزن:

_كم تحملتِ الكثير يا صغيرة...اعذريني لأنني تركتك تعانين وحدك طوال هذا الوقت...

ثم رفع أناملها المشتبكة بأصابعه ليقبلها هامساً بصدق:

_لن أتركك وحدك بعد يا صغيرتي...



ربت علي جبينها بكفه الحر...

ثم تنفس الصعداء ...

لقد استقرت حرارتها أخيراً لعل هذا يعني خطأ تشخيص الطبيب...

لم يكد يتم فكرته حتي سمع طرقات خفيفة علي الباب...

ثم دخل العم كساب ومعه الطبيب الذي تفحص آسيا باهتمام...

ثم قال بارتياح:

_لقد كذب ظني...لكنني لن أتأكد تماماً إلا بعد رؤية تحاليلها كلها....لكن الوضع الآن تقريباً مطمئن.



تنهد العم كساب في ارتياح وهو يحمد الله بصوت مسموع....

فيما ظل جسار عاقداً حاجبيه بقلق...

لن يطمئن حتي تفتح عينيها وتفيق من هذيانها هذا...

لن يطمئن حتي يعود صوتها العذب يداعب أذنه برقته الآسرة...

لهذا سأل الطبيب بتوتر:

_لماذا لم تفق إذن؟!

هز الطبيب رأسه برفق وهو يقول بهدوء:

_مسألة وقت...لا تقلق.



ظل جالساً جوارها حتي أذان الظهر...

قام ليؤدي صلاته ثم عاد إليها ليشبك أنامله بأناملها من جديد...

شعر بألم حاد في ظهره فهو لم ينم ليلته السابقة كلها....

لكنه نسي ألمه كله عندما رآها تفتح عينيها ببطء ثم تتأوه بضعف....

فهتف بلهفة:

_آسيا...أنتِ بخير؟!

عادت تتأوه بقوة أكثر...

وهي تهمس بألم:

_رأسي يؤلمني...جسدي كله يؤلمني.



ربت علي وجنتها برفق وهو يهمس بإشفاق:

_لا بأس...ستكونين بخير.

نظرت حولها في دهشة ثم همست بخفوت:

_أين أنا؟!

عاد يربت علي وجنتها بكفه الحر وهو يهمس بحنان:

_أنتِ في غرفتي.

عقدت حاجبيها وهي ترفع كفها الذي اشتبك بكفه ...

ثم نظرت إليه طويلاً...

وكأنها تطالبه بتفسير...!!!!



لكنه ظل علي احتضانه لأناملها بأنامله وهو يملأ عينيه من ملامحها بعدما كاد يقتله خوفه عليها...

ثم همس برفق:

_استريحي ولا تفكري بشئ...أنتِ متعبة وتحتاجين للراحة.

أغمضت عينيها من جديد وكأنها كانت تنتظر كلمته...

لتهمس بخفوت:

_شكراً.

قالتها وعادت لسباتها العميق....

فابتسم في حنان وهو يشعر أنه قد اطمأن عليها...



لكن آلام ظهره عادت تزعجه بشدة...

فقام من جوارها ليترك كفها مجبوراً...

ثم سحب الأريكة الجانبية برفق ليضعها جوار سريرها...

تمدد علي الأريكة وهو يتأوه بضعف...

لكنه عاد يبتسم في ارتياح وهو يشعر أن هماً كبيراً قد أزيح من علي ظهره...

مد كفه ليمسك كفها المستلقي علي السرير...

ثم أغمض عينيه أخيراً ليسقط في نوم عميق...

كانت هي فيه بطلة أحلامه دون منازع!!

=====

جلست مارية في صالة منزل عمها تترقب الباب ...

عقارب الساعة تعاندها وتسير ببطء شديد منذ ليلة الأمس...



وهي تترقب مفاجأته التي سيرسلها لها...

تري ماذا ستكون؟!!!!

قلبها يكاد يتوقف قلقاً وترقباً...

لكنها لا تنكر سعادتها بكل هذا...

حمزة عاد لحياتها ومعه كل الألوان التي افتقدتها أيامها الباهتة دونه.....

ورغم غضبها منه...

وتوعدها الدائم له...

لكنها لا تنكر اشتياقاً يكتسحها بقوة....

وحباً يتملكها بجنون!!!!

رن الجرس أخيراً فانتفضت من مكانها وهي تعدل حجاب رأسها لتفتح الباب...



شهقت بعنف وهي تراه أمامها مبتسماً...

تجمدت مكانها بعدها للحظة...

لا تصدق أنه هنا حقاً....

حمزة الحبيب...هنا؟!!!!

معها؟!!!!

همست باسمه دون صوت تقريباً....

ثم لم تتمالك نفسها وهي تندفع دون أي تفكير لتلقي نفسها علي صدره....

وهي تضمه بذراعيها بقوة....!!!!!

ضم كفيه جواره مقاوماً رغبته في احتضانها هو الآخر...



ورغم مفاجأته السعيدة بما فعلته ابتسم في حنان وهو يبعدها عنه هامساً بصوته الآسر:

_ليس بعد يا ماريتي...عندما يكون من حقي أن أزرعك في ضلوعي فلن أتركك أبداً!!

انتبهت بدهشة لما فعلته بعدما تراجعت صدمتها...

لتتخضب وجنتاها بحمرة قانية وهي تتمتم بارتباك:

_عفواً ....كيف جئت؟!! أعني لماذا؟!....أنا....

كادت تهمس باشتياق أنها افتقدته...

لكنها تراجعت وهي تشعر بالخجل من اندفاعها الأحمق هذا....

لكنه قرأها في عينيها الصادقتين....



فنظر إليها هامساً بحب تراه في عينيه لأول مرة:

_وأنا افتقدتكِ أكثر !!

ثم أردف بسعادة واضحة وقد أدرك الأمر -لتوه-:

_لقد صرتِ تتحدثين العربية كأهلها....

أطرقت برأسها في خجل فعاد يهمس بافتتان وعيناه تدوران علي ملامحها التي يحتضنها حجابها برقة:

_ماريتي تبدو ملكة بحجابها...لا تتصوري سعادتي وأنا أراكِ به لأول مرة...

لم تستطع رفع وجهها إليه وهي تشعر بقلبها يكاد يسبقها إليه...

تأمل شكلها -الجديد-عليه بإعجاب واضح...

مارية اختارت طريقها وحدها...

ليس كي تسترضي عاطفته.



ولا كي تجرب شيئاً جديداً بدافع المغامرة....

بل فعلتها اقتناعاً به ...

وهذا ما رفعها بعينيه أكثر...

الآن يتصالح قلبه وعقله بشأنها...

فما عاد من صراع بينهما....

الآن يحارب الدنيا من أجلها....

نعم...معركته لأجل الشقراء الأجنبية لن تكون سهلة مع قاسم النجدي الذي لازال يطمح في زواجه بآسيا عندما يعيدها....

هذا الأمر الذي تأجل بسبب حادث ساري وحذيفة...

لكنه لن يحتمل التأجيل أكثر....

يجب أن يذهب بنفسه لجسار القاصم...

ليسترد ابنة عمه بأقل خسائر ممكنة....



هو يعلم أن المواجهة قد تكون دامية...

لكنه سيحاول أن يجنح للسلم قدر المستطاع!!!!

نفض أفكاره البائسة عن آسيا وصراعها مؤقتاً...

ثم اتسعت ابتسامته الحنون وهو يهمس لها بمرحه المشاكس كعادته:

_هل ستتركينني هكذا واقفاً علي الباب؟!!! أريد مقابلة عمك فلديّ حديث معه....

رفعت إليه عينين خجلتين ثم فردت له ذراعها لتغمغم بارتباك:

_تفضل...سأخبر عمي...

دلف إلي الداخل بخطوات ثابتة حتي جلس علي أحد الأرائك منتظراً رياض.....



صافحه رياض بحرارة عندما علم من مارية أنه كان زميلها في لندن مع الدكتور آدم...

وبعد عبارات الترحيب المعتادة...

دخل حمزة في الموضوع مباشرة ليقول بتهذيب واضح:

_أنا تقدمت لخطبة مارية من والدها....لكنه أرجع الأمر كله إليها...لهذا جئت إلي هنا لكي أطلب يدها من جديد ...

شهقت مارية للمفاجأة وهي تضع كفها علي شفتيها ....

بينما عقد رياض حاجبيه بضيق....

لقد كان يخطط لزواج مارية من زياد عندما يعود....



وظهور حمزة يربك مخططه هذا....

لكن حمزة لم ينتبه لضيقه وهو يقول بأسف:

_لدي بعض الأمور العائلية المرتبكة تجعلني غير قادر علي إتمام الأمر الآن....لهذا فسأضطر لتأجيل زيارة عائلتي....أنا فقط أردت إبلاغكم برغبتي .

ازداد انعقاد حاجبي رياض وهو يشعر بعدم الارتياح...

الشاب يبدو طيباً ويبعث علي الارتياح...

لكنه كان يريدها لزياد...

صفية ستجنّ لو علمت أنها ستضيع من يده....

وفوق كل هذا حديث حمزة عن عائلته لا يبشر بخير...



لكن مارية قطعت حيرته وهي تهتف بقوة:

_أنا لا أوافق!

نظر إليها حمزة مصدوماً...

بينما نقل رياض بصره بينهما بحيرة وهو لا يفهم ما الذي يجري بالضبط...

فقالت مارية لرياض برجاء:

_دعني مع الدكتور قليلاً يا عمي من فضلك.

تركهما رياض وحدهما مستسلماً لرغبتها...

فالتفت لها حمزة قائلاً بعتاب:

_لماذا يا مارية؟!!



سالت دموعها علي خديها وهي تهمس بانفعال:

_لأنني لست لعبة في يدك...أنت تخليت عني...ورفضت حبي...أنت...

قاطعها قائلاً بحزم يمتزج بحنانه المعهود:

_افهميني يا مارية...أنا لست الرجل الذي يسير خلف قلبه بعيداً عن نداء واجبه وعقله....أما عن عقلي فأنتِ تعلمين أنني قابلتكِ في حالة كنتِ فيها أنتِ نفسكِ مشتتة....تائهة...أنا أشرت لكِ علي الطريق لكنني لم أشأ أن أكون المكافأة الوحيدة التي تنتظركِ في آخره...بل أردت أن تختاريه باقتناع بعيداً عن أي ضغوط...وأما عن نداء واجبي فأنا التقيتكِ في أسوأ ظروفي...ربما لا تتفهمين ما أقول لكن واجب العائلة في عرفنا يعلو علي كل شئ...



عقدت حاجبيها في تساؤل...

فاندفع يحكي لها كل شئ...

بداية من الثأر الذي هرب لأجله...

ومروراً برغبة جده في تزويجه من آسيا...

ثم قصة انتحارها المزعوم بعدها...

وانتهاء باكتشافهم لوجودها في منزل غريمهم والذي هو كارثة وحدها يعلم الله كيف ستنتهي...

هزت رأسها بذهول وهي تهمس :

_هل تعني أنك ستستعيدها من بيت هذا الرجل لتتزوجها كي ترضي عائلتك؟!!!

نظر إليها طويلاً ثم قال بحزم:



_ربما لو لم تكوني أنتِ لكنت استجبت لرغبة جدي وفعلت هذا....لكنني الآن لن أتخلي عنكِ مهما حدث...حتي لو وقفت ضد رغبة جدي...

أطرقت برأسها وهي عاجزة عن الرد...

تتابع الأحداث السريع هذا صدمها...

رغم سعادتها بعودة حمزة وطلبه لخطبتها...

لكنها ممزقة الآن بين قلقها عليه بسبب موضوع الثأر هذا....

وخوفها من أن يجبره جده علي الزواج بابنة عمه...

وأمامها كان هو صامتاً مراعياً حيرتها...

ينتظر قرارها الذي يترقبه قلبه بلهفة...

حتي رفعت رأسها إليه تسأله بحيرة عاتبة:

_لماذا عدت إليّ يا حمزة؟!!



كانت تنطق اسمه بهذه الطريقة التي يعرفها عندما تبدل الحاء هاء.....

فرفع أحد حاجبيه وهو يقول بمشاكسته المعهودة كما كان يقولها لها دوماً:

_لو نطقتِها صحيحة فسأخبرك...

وقفت لتتوجه نحوه فقام واقفاً ليقابلها بوجه يمتلئ بعاطفة صادقة...

نظرت لعينيه طويلاً ثم ضغطت علي حروفها وهي تعيد سؤالها ناطقة اسمه بطريقة صحيحة...

صحيحة تماماً...!!!!!

ارتفع حاجباه في دهشة للحظة...

ثم ابتسم هامساً في تأثر:

_أنتِ نطقتِها صحيحة يا ماريتي؟!!!



ابتسمت وسط دموعها لتهمس برقتها الآسرة:

_لأجلك تعلمتها يا حمزة....والآن أخبرني لماذا عدت؟!

رفع ذراعيه نحوها بلهفة وكأنه سيهم باحتضانها...

ثم جمدهما مكانهما في آخر لحظة...

ليهز رأسه بانفعال واضح هامساً بعشق فياض :

_لأني أحبك يا ماريتي...لأني أحبك...!!!!



الفصل العشرون:

استيقظت من نومها لتجده ينظر إليها في هيام...

عيناه ترويان حكايا طويلة من غرامٍ صادق...

فابتسمت برقة وهي تهمس بصوت ناعس:

_حبيبي ياسين!!

مال علي وجهها يغمرها بقبلات ناعمة ...

فضحكت بخجل ثم ضمته إليه بذراعيها هامسة :

_هل استيقظت قبلي بكثير؟!

ضمها إليه هو الآخر وهو يتخلل شعرها بأنامله هامساً جوار أذنها:



_هذا هو سري الصغير معك...أنا أحب مراقبتكِ نائمة...ليس اليوم فقط...بل في كل يوم كنت تنامين فيه جواري وأنا عاجز حتي عن ملامستكِ...سلطانتي رقية جعلتني أقع في أسر حبها دون أن تحتاج سلاحاً....فقط قلبها الملكيّ كان يكفي كي أسقط أمامه كأسير حرب...

انطلقت منها ضحكة عالية حملت إليه سعادتها كاملة....

فاقترب بوجهه من وجهها يكاد يلاصقه وهو يهمس بحنانه المعهود:

_السلطانة رقية راضية عني؟!!

داعبت أنفه بأنفها وهي تهمس بسعادة خالصة لم تعرفها منذ زمن بعيد:



_تمام الرضا أيها السلطان ياسين!!!

ضحك بمرح هو الآخر ...

ليضمها إليه أكثر وهو يغرقها في طوفان عاطفة خاصة جرفتهما معاً....

ليزداد شعور كل منهما بأنه حقاً يعشق صاحبه...

عشقاً جارفاً بلا أول ولا آخر...

بلا قيود ولا سدود...

عشق لن يذوي ولن يموت...

لأنه بدأ بتصديق العقل قبل أن تنصاع له الروح...

ويذوب في نيرانه القلب....!!!

وبعدها بقليل...



قامت من جواره لتقول بلهفة:

_لقد سرقنا الوقت...لم يتبق سوي القليل علي آذان الفجر...

قام بدوره ليقول بمرح :

_لا تقلقي يا سلطانتي...السحور جاهز علي التسخين...أنا أعددته ...

أمسكت كفه وهي تتوجه معه نحو المطبخ حيث تعاونا في نقل الأطباق...

كادت تجلس علي كرسيها لكنه جذبها ليجلسها علي ساقيه هامساً بحنان أمام عينيها:

_حتي تأتينني بطفلة جميلة مثلك...سيكون هذا مكانكِ دوماً...



ابتسمت بخجل وهي تهمس باعتراض:

_لن تتمكن من الأكل هكذا....اتركني يا ياسين...

ضمها إليه أكثر...

ثم تأوه بقوة ليهمس بعدها بعاطفة أشعلتها:

_أتركك؟!!! ومن ذا يقوي علي ترككِ بعدما صرتِ بكل هذا القرب؟!!! أبداً لن أتركك يا سلطانتي...

لا تدري لماذا دمعت عيناها وهي تسمع هذا منه....

رغم أنها تصدقه...

بكل جوارحها توقن بحبه...

لكن شيئاً ما يقبض قلبها...

ينزع منها سعادتها -الكاملة -بعاطفته...



ربما هو خوفها من عودة آسيا....

وربما هو شعورها بمرارة الفقد التي ذاقتها بعد رحيل عاصم الهاشمي...

وربما سبب آخر لا تعلمه...

لكنه يخدش روحها بقسوة ويحرمها تلذذها بقربه....

لمح الدموع في عينيها...

مع سؤالها الذي همست به في رجاء يتعارض وقوتها المعهودة:

_هل هذا وعدٌ يا ياسين؟!!!

أحاط وجهها براحتيه ثم قبل جبينها بعمق...

ففتحت عينيها ثم عادت تسأله بنفس النبرة...

نظر إليها طويلاً...

ثم هز رأسه نفياً...



فاتسعت عيناها بصدمة...

ليهمس هو بعدها في حزم حنون:

_ليس وعداً يا رقية...ولا ميثاقاً...بل ولا حتي قسماً...الوعد يُخلَف...والميثاق يُكسر..والقسم يحنثون أحياناً به...لكنه هذا...

قالها وهو يضع كفها علي صدره...

ليردف بعدها بيقين وكأنه ينقش كلماته علي جدران معابدها....

:

_هذا القلب الذي لن تكذبكِ دقاته...ولن يخدعكِ نبضه...هذا القلب الذي صرتِ أنتِ حياته...ودونكِ يموت وأموت أنا معه...

أسندت رأسها علي صدره تضع أذنها علي قلبه وكأنها تجرب كلامه..



قلب ياسين صادقٌ مثله...

طالما وعدها فلن يخلف وعده....

ستكون حياته....كما هو حياتها....!!!!

ظلت هكذا علي صدره وهو يربت علي رأسها...

حتي سمعا صوت الأذان....

فانتفضت لتهز رأسها هامسة بأسف لا يخلو من مرح:

_ضاع السحور يا ياسين!!!

=====

فتح حذيفة عينيه فربتت راجية علي كتفه وهي تقول بحنان:

_أنت اليوم أفضل يا بني؟!!

أشاح حذيفة بوجهه وهو يشعر بالاختناق...



هذا هو يومه الثاني هنا وساري لم تقم بزيارته...

بل إنها حتي لم تهاتفه...

قلبه يخبره أن صمتها هذا وراؤه كارثة...

لهذا التفت نحو فريدة التي كانت جالسة بعيداً ترمقه بشفقة واضحة...

ثم همس بصوت متعب:

_أريد ساري يا عمتي.

تنهدت فريدة وهي تتبادل مع راجية نظرات غامضة...

فعاد يهمس بألم:

_هي غاضبة مني؟!!! صدقيني ما حدث كان رغماً عني...



قالت فريدة بحنانها المعتاد:

_أنا أعرف ذلك يا بني...لكن ساري لازالت في مرحلة صدمة...

تأوه بخفوت ثم عاد يهمس برجاء:

_دعيني أكلمها فقط ...أريد أن أسمع صوتها...

هزت فريدة رأسها في استسلام...

ثم تناولت هاتفها لتتصل بساري ...

أعطته الهاتف فتناوله بأنامل مرتجفة...

فتحت ساري الاتصال لتقول بلهفة:

_نعم يا أمي...حذيفة بخير؟!!

لم يصلها رد للحظات...



فعادت تهمس بقلق وقلبها يخفق بين ضلوعها بقوة :

_أرجوكِ يا أمي قولي أنه بخير...

صمت للحظات أخري وهو يستشعر قلقها الصادق عليه ليهمس بصوت ضعيف:

_مادمتِ قلقةً هكذا...فلماذا لم تأتِ لتطمئني بنفسك؟!!

وضعت كفها علي صدرها ودموعها تملأ عينيها بينما عجز لسانها عن الرد...

من كان يخبرها أنه سيأتي يوم يكون هو فيه في المشفي بينما هي ترفض رؤيته....؟!!!

من كان يخبرها أنها ستكون بكل هذه القسوة معه؟!!!

وبكل هذا التجاهل؟!!!



من كان يخبرها أن قلبها الذي فاض بحبه منذ وعت علي هذه الدنيا سيخذله في صراعه مع عقلها وكبريائها؟!!!!

تمالكت نفسها لتقول بصوت تصنعت بروده:

_لقد اطمأننتُ عليك ...الجميع يقولون أن جرحك سطحي وأنك ستعود للمنزل غداً...

أغمض عينيه في ألم...

صوتها رغم برودته يكوي صدره بسهام حارقة...!!!!

ساري لن تسامحه...

ستظل تجلده بهذا الذنب وربما أعدمت حبهما لأجله...!!!



همس بعد لحظات من الصمت والعتاب يحتوي همساته المختنقة:

_الجميع ؟! الجميع حولي عداكِ أنتِ !!!

سالت دموعها الحبيسة علي خديها وعبارته تصيب قلبها في الصميم...

لكنها تشبثت بآخر أسوار مقاومتها وهي تقول بنفس البرود:

_حمداً لله علي سلامتك ...اعتنِ بنفسك...

قالتها وأغلقت الاتصال بسرعة...

وقرارها الأخير الذي اتخذته يتملك رأسها أكثر...

غداً...عندما يعود لمنزل العائلة ستبلغه به...



وعلي سريره أغمض هو عينيه بحسرة...

لن يلومها رغم كل شئ ....

هو دوماً يخذلها...

إن لم يكن بإرادته فرغماً عنه...

حتي بعدما قرر أن يتغير ويرمي تاريخه الأسود كله خلف ظهره ليبدأ معها من جديد....

عادت ذنوب ماضيه تطارده لتقف حائلاً بينه وبينها...

وكأن القدر يعاقبه بقلبه...!!!

قلبه الذي طالما كفر بالحب والإخلاص...

والذي تغير بين يديها ليصير ناسكاً في محراب حبها...

الآن ...تطرده هي خارج أسوار مدينتها !!!!

========



فتحت آسيا عينيها لتجده جوارها مشبكاً أنامله بأناملها...

ابتسمت بشحوب وهي تتأمل ملامحه المرهقة...

منذ سقطت ضحية هذا المرض وهي تجده هكذا كلما أفاقت من نومها ...

يحتضن أناملها بكفه وكأنه يخشي أن تضيع منه...

وصلها صوته الحنون يغازل أذنها بعاطفته:

_كيف حالكِ الآن؟!

اتسعت ابتسامتها وهي تومئ برأسها هامسة:

_الحمد لله.

قالتها وهي تحاول النهوض لكنه وضع كفه الحر علي كتفها هامساً:

_ابقيْ مستريحة!!



دارت بعينيها في الغرفة وهي تهمس بدهشة:

_لماذا أنا هنا؟!

ربت علي وجنتها برفق وهو يملأ عينيه من ملامحها هامساً بحنان:

_حتي أستطيع العناية بكِ ...

خفق قلبها بقوة لعبارته...

مضي وقت طويل...طويل جداً...

منذ شعرت بأن أحداً ما يهتم لأجلها...

وكم تحتاج هذا الشعور الآن...

وبالتحديد منه هو...

هو الذي تشعر أنها ...!!!!

هزت رأسها تحاول نفض هذه الفكرة عنها....



ثم همست بخجل وهي تسبل جفنيها بعيداً عن عينيه المتفحصتين:

_هل كنت مريضة إلي هذا الحد؟!!

عاد يربت علي وجنتها ثم أغمض عينيه ليقول بصوت متهدج:

_الحمد لله!

اتسعت عيناها بدهشة للحظة وهي تنتبه لنبرة صوته المتهدجة...

ثم توجهت ببصرها لكفه الذي يحتضن كفها بقوة...

ما باله جسار؟!!!

لماذا تشعر أنه تغير معها؟!!!

لا...ليس الأمر مجرد شفقة.



شئ ما في نظرة عينيه قد تغير...

شئ ما يتواري خلف ستار حنانه المعهود...

شئ يشبه ال....!!!!

عادت تهز رأسها وهي تؤنب نفسها بقوة...

حمقاء يا آسيا...

حمقاء كعادتك!!!

جسار لن يراكِ سوي مجرد واجب ثقيل...

وبقاؤكِ هنا لن يزيد عن كونه صنيع معروف...

بل...من يدري...؟!!!

ربما عندما تتعافين من مرضك وينتبه أنكِ قد دخلتِ غرفة سمية يعود لسابق عهده من القسوة معك...



قطعت أفكارها عندما سمعت صوت طرقات خافتة علي الباب...

بعدها دخل العم كساب مبتسماً يقول لها بأبوته الصادقة:

_إذن فقد أفاقت الغالية......حمداً لله علي سلامتكِ يا ابنتي.

ابتسمت آسيا في خجل وهي تحاول سحب كفها من كف جسار حياءً من عمه...

لكنه تشبث به وهو يومئ لها برأسه في إشارة موحية...

نظرت إليه في حيرة وهي عاجزة عن الفهم...

بينما نقل العم كساب بصره بينهما في رضا...

وهو يشعر بشرارات جديدة من المشاعر بينهما...

ثم قال لآسيا بمرح:



_لقد كتب لكِ عمر جديد كما قال الطبيب..استغليه إذن في بداية جديدة...وكفاكِ خوفاً وحزناً..

التفتت إليه آسيا تتفكر في كلماته...

إنها تشعر فعلاً أنها قد كتب لها عمر جديد...

شئ ما بنفسها قد تغير فجأة ولا تدري ما السبب...

لم تعد تشعر بنفس الحزن والألم الذي كان يخنق روحها قبل سقوطها تحت سطوة مرضها هذا...

بل -للعجب-تشعر برغبة هائلة في الحياة...

في المواجهة...

في الدفاع عن حقوقها ضد ظلم أي أحد...!!!!!

ما الذي غيرها هكذا؟!!!

لا تدري...



هل هو شعورها بأنها كان من الممكن أن تموت وأن الحياة أهدتها فرصة أخري لتغير مسارها...؟!!!

أم أنها ملت من طول ضعفها وانكسارها أمام صفعات القدر...؟!!!

أم هو إحساسها -الجديد-بالأمان مع جسار...

جسار الذي تشعر أنه سيكون سندها حقاً في كل معاركها القادمة؟!!!

أم هو قلبها الذي عاد ينبض بحب جديد يختلف تماماً عن حبها القديم لياسين...

حب يستحق أن تقوم من عثرتها لتدافع عنه؟!!!!

لا تعرف...

هي حقاً لا تعرف...

لكنها موقنة فقط من أنها تغيرت...



ستكون (آسيا) جديدة أقوي كثيراً مما كانت...!!!!

لهذا ابتسمت ابتسامة جديدة عليها...

مزجت قوتها برقتها وهي تهمس بصلابة:

_معك حق يا عمي.

ثم التفتت لجسار لتهمس بنفس النبرة:

_يبدو أن فرسك الذي أرهقك ترويض ضعفها ستبدأ في الاستجابة ....

====

وقف قاسم النجدي أمام صور أبنائه يتأملها بحزن قصم ظهره...

لقد تقطعت خيوط العائلة وانفلت الزمام من يده...

لم يعد يستطيع السيطرة علي الأمور التي خرجت من يده....



آسيا التي هربت بفعلتها ومن يدري ما الذي فعله بها جسار القاصم...

جوري التي آذاها عمار الذي اختاره لها بنفسه فكان بئس الاختيار...

وأخيراً ساري التي كادت تضيع وينتهك شرفها بسبب عبث حذيفة...!!!

لقد ظن أنه يمنحهن السعادة والأمان جوار أبناء عمومتهن...

لكنه الآن يشعر أنه -ربما-كان مخطئاً!!!

وشعوره بالذنب يتخلل أعماقه رغماً عنه!!!

ولعل هذا ما دفعه لإعادة حمزة من غربته...

ليفصل في شأن آسيا...



لو كان قد عالج الأمر بعقليته القديمة فربما كان ذهب إلي جسار هذا بقوة من عائلته وأشعلها حرباً جديدة بين العائلتين...

لكنه أمسك لجام غضبه هذه المرة خوفاً علي آسيا....

لعل حمزة يتمكن بفكره -المختلف-من حل الأمر بصورة أخري تضمن سلامتها...

قطعت أفكاره عندما سمع طرقات خافتة علي باب غرفته..

فتح الباب ليبدو وجه راجية تقول له بخفوت:

_لقد عاد حذيفة من المشفي...هو الآن بغرفته...

أومأ برأسه إيجاباً...



ثم ذهب إلي غرفة حذيفة بخطوات بطيئة...

جلس علي كرسيه أمام فراشه...

فرمقه حذيفة بنظرات مترقبة...

قبل أن يقول بألم:

_صدقني يا جدي أنا نادم حقاً علي كل الماضي...أنا تغيرت...ساري جعلتني أتغير...أنا أعرف أنها كادت تضيع بسببي...لكنني...

قاطعه قاسم بإشارة من كفه وهو يتفحص ملامحه بدقة...

هو يعرف أحفاده جيداً...

يحفظ تعابير وجوههم كخطوط كفه...

وهذا الرجل أمامه ليس كاذباً ولا مدّعياً...

بل إنه صادق!!!



نعم...حذيفة نادم حقاً...

بل إنه يكاد يقسم أنه تغير...

يبدو أنه كان يحتاج ل"قرصة أذنٍ" كهذه كي يفيق من غفلته....

كي يدرك قيمة جوهرة ك"ساري" لن يجد مثلها كثيراً...

لهذا سيمنحه فرصة جديدة معها...

هذا الألم الممزوج بندمه في عينيه يستحق أن يمنحه محاولة جديدة!!!!

طرقات رقيقة علي الباب جعلته يلتفت...

ثم يقول بصوته المسيطر والذي شابه الآن مسحة من حنان:

_تعالي يا ساري.



التفت حذيفة نحوها وهو يكاد يقوم من مكانه ليضمها لصدره...

فلا يسمح لها بالإفلات أبداً...

لو يعوضها بكل ما تطلب وما لا تطلب عن قسوة اللحظات التي عاشتها بسببه...

لو يظل يصرخ باعتذاراته وتوسلاته أن تسامحه...

لو يقسم لها بأغلظ الأيمان أنه تغير...

فقط لأجلها...

نعم...هي صنعت المعجزة...

هي جلت الصدأ عن معدنه...

وغسلت الوحل عن قلبه...

ليولد في حبها من جديد...

طاهراً نقياً كما يليق بها!!!



لكنها حتي لم تنظر إليه وهي تتوجه نحو جدها فتقبل يده كما العادة...

ثم تقول بحسم :

_أرجوك يا جدي...لي لديك مسألةٌ فلا تردني.

أومأ قاسم برأسه وهو يتأمل ملامحها بترقب...

فأخذت نفساً عميقاً ثم قالت بصلابة تدعيها ببراعة كعادتها:

_لا أريد هذه الزيجة....هذا رجل لا أئتمنه علي نفسي.

أغمض حذيفة عينيه بألم وعبارتها تخترق صدره كطلقة غادرة....

لن يكترث لجرحها لكرامته بهذه العبارة...

لكن ماذا عساه يفعل بقلبه الذي تفتت من قسوتها...؟!!!

لا تأتمنه علي نفسها؟!!!

هل هذا حقاً ما تشعر به؟!!!



لكن لماذا يتعجب وهي التي طالما أشعرته بهذا...

ساري تحبه لكنها لا تحترمه...

هو هينٌ في عينيها...

تراه مجرد رجل ضعيف...

هذه ليست أول إهاناتها...

لكنه سيجعلها الأخيرة!!!

أفاق من بركان أفكاره علي صوت قاسم النجدي الذي قال بجفاء:

_ماذا تعنين بهذا؟!!! ألم يكن هذا اختيارك؟!!! أنتِ الوحيدة التي منحتها حق الاختيار والآن تتراجعين ؟!!!



ضغطت علي شفتيها تقاوم رغبتها العارمة في البكاء
...

لا تصدق أنها هي تقف الآن في وجه النجدي الكبير تعارضه في زواجها من حذيفة...

حب قلبها الذي لن يعرف قبله ولا بعده...

لكن ما حيلتها...

لقد نفد صبرها كله...

لم تعد تحتمل زلاته وخطايا ماضيه....

لقد امتلأ الكأس عن آخره حتي فاض ليغرق روحها بطوفانٍ من الألم...

لهذا عادت تقول بتماسك مصطنع:

_أخطأتُ الاختيار يا جدي...كدتُ أضيع بسببه...فهل ترضاها لي؟!!



كان حذيفة لازال مغمضاً عينيه وكلماتها تجلده جلداً...

هل هذه التي كانت تقول أنها تراهن نفسها عليه وستربح رهانها؟!!!

هل هذه التي كانت تزعم أنها أحبته قبل أن تعرف حتي ما هو الحب؟!!!

هل هذه التي كانت تقول أنها أبداً ستكون له وليس لأي رجل آخر؟!!!

هل هذه حقاً ساري؟!!!!!

وصله صوت جده يهتف بحدة:

_انزعي من رأسكِ هذا الكلام الفارغ...حذيفة تغير...لن نجلده بخطايا ماضيه طوال عمره...هو يستحق فرصة أخيرة...



انتحبت ساري بقوة وهي تهتف برجاء:

_لا أريده يا جدي...أرجوك لا تجبرني...

قام النجدي الكبير من مكانه ليهتف بسخط:

_أنا الذي كنت أظنكِ أكثر أخواتكِ عقلاً...ماذا جري لكنّ يا بنات فريدة؟!!!

_ساري محقة يا جدي!

هتف بها حذيفة بصوته المنهك...

فالتفت إليه قاسم النجدي بغضب...فيما أطرقت ساري برأسها تخفي دموعها....

لكن حذيفة نظر إليها ثم قال بحزم :

_أنتِ طالق يا ساري!!



أغمضت عينيها بقوة لا تصدق أنه نطقها هكذا ببساطة....

لكن...ألم تكن هذه رغبتها؟!!!

ألم يكن هذا قرارها؟!!!

حسناً...هي ليست نادمة...

طالما استمعت لصوت قلبها معه فخذلها...

والآن حان الوقت لتستمع لصوت عقلها...

لعله لا يخذلها هو الآخر!!!!

بينما كان قاسم النجدي جوارها ينتفض غضباً وهو يهتف بحدة :

_هل تتحداني يا ولد؟!!! كيف تطلقها دون أن ترجع إليّ؟!!!! هل جننت؟!!!



أطرق حذيفة برأسه وهو يقول بصوت ذبيح:

_حاشا لله يا جدي...لكنها حياتي أنا...وأنا أيضاً لم أعد...أريدها!!

تهدج صوته في كلمته الأخيرة وكأنه ينطقها خارج سلطان قلبه...

وقد كان هذا صحيحاً...

الآن هو يسبح ضد تيار قلبه الذي يعشقها...

وعقله الذي لم يتمنَ امرأة كما تمناها...

لكنه يفعلها ليس فقط لأجل كبريائه الذي طالما حذرها من أن تخدشه....

ولكن لأجلها هي أيضاً...

هي التي لا تستحق أن تعيش تجربة أخري كالتي عاشتها معه...



تقول أنها لم تعد تأتمنه علي نفسها...

والواقع أنها لم يعد يأتمن نفسه عليها أيضاً...!!!

هتف قاسم بوعيد صارم وهو يلوح بسبابته في وجهه:

_لم يجرؤ أحد قبلك علي مخالفة أمري علانية كما فعلت أنت...لهذا سيكون عقابك صارماً...عندما تستعيد عافيتك ستخرج من هذا البيت مع شقيقك البائس ولن تعود إليه أبداً ما دمتُ أنا علي قيد الحياة...وسأحرمك من كل قرش من مالي....ستبدأ من الصفر....هل تفهم؟!!!

قالها ثم أزاح ساري من طريقه بعنف...

فنظرت إلي ظهره المنصرف بذهول...



حذيفة تحدي قاسم النجدي علانية لأول مرة في تاريخ العائلة...

وخسر كل ما امتلكه يوماً...

قاسم النجدي سيطرده من بيته وتجارته...

حذيفة سيفقد كل شئ!!!

التفتت نحو وجهه الذي كان مطرقاً لتهمس بصدمة:

_لماذا فعلت هذا؟!

رفع وجهه لسقف الغرفة للحظات...

ثم قال ببرود يخفي جرحه:

_لقد حررتكِ من لعنة عمركِ كما كنتِ تقولين عني...الآن أرضيتُ كبرياءكِ وكبريائي معاً...غداً أغادر هذا المنزل للأبد ...



ثم التفت إليها ليقول بصوت خانه ليخرج مهزوزاً متألماً:

_غداً تصلكِ ورقة طلاقكِ يا ابنة عمي!!

=====

كانت جالسة علي فراشها تعقد ساعديها علي صدرها وهي تشعر بالاستسلام...

لكنه ليس استسلام ضعف...

بل استسلام من علم أنه لا مفر من المواجهة ليسترد حقه المسلوب....

فإما عاد به ...وإما هلك دونه!!!!

فتح الباب فابتسمت برقة عندما تقدم نحوها ليشبك أنامله بأناملها كعادته مؤخراً قبل أن يقبل جبينها هامساً بحنان طاغٍ:

_كيف حالكِ الآن؟!!!



أسبلت جفنيها في حياء واضح وهي تومئ برأسها في إشارة مقتضبة....

فابتسم وهو يتناول صينية الطعام الموضوعة جوارها علي المائدة ليسألها برفق:

_لماذا لم تتناولي طعامكِ حتي الآن؟!!

مطت شفتيها بدلال لا تتكلفه وهي تهمس برقتها الفطرية:

_لا شهية لديّ يا جسار...أرجوك.

رمقها بنظرة عاتبة وهو يهمّ بإطعامها بنفسه....

لكنها أمسكت كفه تمنعه وهي تقول بقوة غريبة علي طبعها:



_لا يا جسار...من الآن فصاعداً أريد الاعتماد علي نفسي في كل شئ...سأكون قوية بما يكفي لتدبر أموري كلها...

ارتفع حاجباه في دهشة للحظة من التغير الذي استشعر أنه قد طرأ عليها...

لتمتزج بعدها بإعجابه الواضح في عينيه ....

ثم رفع كفها الممسك بكفه يقبله هامساً بإعجاب:

_رغم سعادتي بما تقولين....لكن اعتمادك علي نفسك شئ...وتدليلي لكِ شئٌ آخر...

ارتعش جسدها كله بتأثير قبلته لتحمر وجنتاها بشكل زادها فتنة...

أطرقت برأسها وهي تشعر باضطراب لذيذ...

فاتسعت ابتسامته وهو يقول لها بمرح لم يعرفه منذ زمن طويل:



_هيا تناولي طعامكِ بنفسكِ كما زعمتِ وإلا سأكرر عرضي السخي بإطعامك...

بدأت في تناول طعامها بخجل تحت نظراته التي كانت تحتضن ملامحها كلها...

لا يدري متي ولا كيف تعلق بها كل هذا القدر...

ولا يعرف مسمي لشعوره هذا نحوها...

لكن ما هو واثق به تماماً أنه كاد يجن عندما أحس أنه قد يفقدها...

وقد عادت إليه روحه حقاً عندما بدأت تستعيد عافيتها...

أنهت طعامها لتتناول دواءها بنفسها ...

ثم غمغمت بشرود:



_مللتُ دور المريضة هذا....اشتقت لممارسة الطب...

ضغط علي كفها بين راحتيه وهو يقول بحزم:

_عندما تنتهي هذه الأزمة وأطمئن عليكِ ....أعدكِ أن أكون معكِ علي هذا الطريق حتي تحققي حلمكِ كاملاً...

ابتسمت في امتنان ...

فاقترب بوجهه من وجهها يهمس بثقة :

_آسيا الطبيبة ستكون أشهر من نارٍ علي علم...

هزت رأسها وهي تسأله بشك يختلط بالرجاء:

_هل تظن هذا حقاً؟!!!

ربت علي رأسها بحنان ثم نظر لعينيها هامساً بيقين:



_ومن أكثر قدرة علي مداواة الألم ممن عاشه
؟!!!لقد تعذبتِ كثيراً يا صغيرتي...لكن لعل هذا
يصقل قلبكِ أكثر ليجعلكِ أكثر رحمة ...

أومأت برأسها إيجاباً ولازالت تحتجز عينيه بنظرات امتنانها....

ثم شردت ببصرها لتهمس بعاطفة:

_افتقدت ياسين!

عقد حاجبيه بغضب وقد تشنجت عضلة فكه...

ألازالت تفكر فيه...؟!!!

وكيف تجرؤ علي قولها هكذا ببساطة أمامه دون اعتبار لأنه الآن زوجها؟!!!

حتي لو كان زواجاً علي الورق...

لكن يحق له أن تحترمه علي الأقل...



التفتت إليه من شرودها ليروعها الغضب البادي علي وجهه...

فهتفت بجزع:

_ما الأمر يا جسار؟!!! ياسين بخير؟!!! أنا لم أرهُ منذ أفقت من مرضي...

اتسعت عيناه في إدراك للحظة وهو يشعر ببعض الحرج...

لقد كانت تقصد ياسين الصغير وليس ابن عمها هذا...

يالله!!!!

ألم تجد الحياة لابن عمها هذا سوي اسم كاسم ابنه...؟!!!

فيجد نفسه في كل مرة تنطق به يحترق غيرة ...

غيرة؟!!!



هل اعترف أخيراً أنها كذلك؟!!!

قطعت أفكاره عندما نفضت غطاءها لتقوم واقفة وهي تهتف بقلق:

_سأذهب لأطمئن عليه بنفسي.

التفت إليها من شروده ليجدها تضع كفها علي رأسها وهي تترنح مكانها...

فقام بدوره ليضمها إليه قائلاً بحنان:

_لا تخافي يا صغيرتي ..ياسين بخير...

رفعت رأسها إليه في تشكك وهي تهمس برجاء:

_حقاً؟!!!لماذا إذن كنت غاضباً هكذا عندما سألتك عنه؟!!



ضم رأسها إلي صدره ليهمس جوار أذنها:

_كفاكِ قلقاً يا صغيرتي...أما اكتفيتِ من الترقب والخوف؟!!!

دفنت وجهها في صدره للحظات تتنعم بهذا الحنان الذي افتقدته منذ زمن بعيد...

هذا رجلٌ حضنه يحتكر حنان العالم وأمانه معاً...!!!

رفعت رأسها إليه وهي تهمس بصوتها العذب:

_لا تتصور كيف أشعر بالأمان عندما تدعوني "صغيرتي " هكذا...لم ينادِني بها أحد طوال عمري...أبي توفي وأنا صغيرة...وجدي كان يعتقد دوماً أن التدليل سيفسدنا...

خفق قلبه بقوة وهو يشعر بها الآن شعوراً مختلفاً...

بعيداً عن كونها أنثي فاتنة...أو امرأة حنون...



نعم...الآن يراها مجرد طفلة يتيمة فقدت الحنان عمرها كله...

وتشتاقه أرضها الظمأي إليه كي تنبت زروع الأمل بروحها من جديد...

ما أحوجها إليه...

وما أحوجه إليها!!!!

قبل جبينها بعمق ثم همس أمام عينيها:

_من الآن فصاعداً لن أدعوكِ إلا هكذا!!

اتسعت ابتسامتها مع حمرة خفيفة كست وجنتيها وهي تشعر أنها لم تكن يوماً أقرب إليه من الآن...

ليس فقط لجسدها الذي يختبئ بين ذراعيه...

ولكن لقلبها الذي تشعر أنه الآن يجاور قلبه...



شعور فريد بأنها صارت تحمل مكاناً خاصاً لديه...

رفعت عينيها إلي عينيه اللتين طوقتا ملامحها بحنان ثم همست بشرود:

_من كان يقول أن جسار القاصم الذي عشت عمري كله أخشي مجرد اسمه...سيكون يوماً هو أمان دنياي كلها؟!!

ارتفع حاجباه في تأثر للحظة...

ثم ضمها إليه أكثر وهو يربت علي ظهرها قائلاً :

_لا تخافي يا صغيرتي...جسار سيكون دوماً معك...حتي تصلي لبر الأمان...هذا هو وعدي لكِ!

=====



_غداً تصلكِ ورقة طلاقكِ يا ابنة عمي!!

ظلت عبارته تدوي في أذنها وهي جالسة في غرفتها التي لا تدري كيف حملتها قدماها إليها...

لقد انتهي الأمر هكذا بسرعة لم تتخيلها...

الآن لم يعد حذيفة لها...

ولم تعد له!!!

لقد منحها حريتها من سجنه ....

لكنه دفع ثمن هذا غالياً!!!

هزت رأسها بصدمة وهي تسترجع كل ذكرياتها معه...



دميته الحبيبة...ولعبه معها صغاراً علي السطح...

لقطات سريعة من تاريخ طفولتهما المشترك...

كيف كان دوماً يغضبها ثم لا يقوي علي خصامها فيعود ويسترضيها...

كيف كبر وكبرت معه معاناتها بسببه...

ليبتعد عن الصورة التي رسمتها له...

ثم يعود ليقتحم حياتها بقناع جديد من سيطرته وقسوته...

حتي شعرت أنه حقاً تغير...

ابتسمت وسط دموعها وهي تتذكر تصريحه لها بحبه أول مرة...

قبلاته التي زرعت الورد علي بشرة وجهها وهو يبثها عاطفته...

كلمة "حبيبتي" التي كانت تذيب روحها عندما ينطقها...

ثوبه الوردي...



وحديثه الطويل معها في تلك الليلة في ذاك المطعم علي ضوء الشموع...

ضمته الحنون لها وهي تجلس جواره علي الأرجوحة....

وأخيراً جملته القاتلة التي جعلها القدر آخر جملة لهما قبل ذلك الحادث في تلك الليلة...

عندما ضمها إليه بقوة حتي تأوهت ثم قال:

_هذا لتعلمي أن الحضن وطن...لكنه يؤلمنا لو ضغط علينا أكثر!!

هل ضغطت عليه هي؟!!!

أم أن الظروف هي التي ضغطت عليهما معاً؟!!!!

هل ظلمته وجرحت كبرياءه كما يدعي؟!!!

أم أنها ذبحت نفسها قبل أن تذبحه؟!!!



اقتربت منها فريدة ببطء ثم وضعت كفها علي كتفها...

فارتمت في حضنها وهي تجهش بالبكاء...

ضمتها فريدة بحنان ...

ثم ربتت علي ظهرها وهي تهمس في عجز:

_تسرعتِ يا ساري هذه المرة...لم يكن هذا ظني في عقلك...

زاد نحيبها بين ذراعيها وهي تهتف بصوتها الباكي:

_لا تعاتبيني يا أمي أرجوكِ...كفاني ما أنا فيه!!!

تنهدت فريدة في حرارة وهي تشعر بجروح قلبها تزداد يوماً بعد يوم...



آسيا التي لا تعرف حتي الآن ماذا سيكون مصيرها...

تكاد ترجوهم أن يعيدوها لحضنها بأي طريقة...

لكن ما يطمئنها -نوعاً-أن حمزة بعقله الكبير سينقذ الوضع دون عنف!!!

وجويرية التي طلقها عمار حسب أوامر النجدي الكبير...

والآن ساري التي سعت لطلاقها بنفسها لتحدث هذه الفتنة في العائلة...

ويقف حذيفة في وجه قاسم النجدي هكذا علانية دون خوف!!!!

شعرت بقلبها يكاد يتمزق من هول ما يحمله من هموم...



فرفعت رأسها إلي السماء وهي تهمس بخشوع كعادتها:

_بناتي يا رب!!!

=====

خرجت جويرية من الشرفة في شقة جدها حيث كانت واقفة مع حمزة....

لتلتقي عيناها بعيني عمار المشتعلتين بغضب....

ازدردت ريقها ببطء فاقترب منها هامساً بصوت جمدها رعباً:

_الحقي بي في شقتنا حالاً ...

أومأت برأسها إيجاباً فرمقها بنظرة حادة قبل أن يغادر شقة جده متجهاً لشقتهما...



تلفتت حولها في حذر تطمئن أن لا أحد يراها ثم تبعته إلي شقتهما حيث فتح لها الباب ليسحبها من ذراعها بقوة هاتفاً بسخط:

_ماذا كنتِ تفعلين مع حمزة في الشرفة؟!!!

تأوهت بضعف ثم اقتربت منه لتضع كفها علي صدره هامسة بخوف:

_أرجوك يا عمار اهدأ...أنت تكاد تقتلني رعباً عندما تحدثني هكذا...

ضم قبضته بقوة محاولاً تمالك غضبه وهو يرفع رأسه لأعلي للحظات...

ثم عاد ينظر لوجهها الذي اصطبغ بخوفها فزفر بقوة ...

ليضمها بعدها لصدره قائلاً بغضب مكتوم:

_اتكلمي.



ابتسمت رغم خوفها وهي تثبت عينيها في عينيه هامسة برقة:

_هكذا دوماً أجد أماني في حضنك يا عمار...مهما كنت غاضباً مني فلن تؤذيني مادمت بين ذراعيك...

ذاب غضبه كله بلحظة وهو يشعر بعينيها حبيبتيه تروضان كل وحوش غلظته...

فألصق وجنته بوجنتها وهو يهمس بصدق:

_حتي لو لم تكوني بين ذراعيّ يا جوريتي...لا تظني أني قد أؤذيكِ يوماً...

مدت أناملها تداعب خصلات شعره من الخلف لتلصق وجهه بوجهها أكثر ....

ثم همست بحب:



_أحبك عندما تدعوني "جوريتي"....أشعر ساعتها أنني لك ...ملكك...وكم أحب أن أكون ملكك...

أغمض عينيه بقوة وهو يبتعد بوجهه عنها يحاول السيطرة علي مشاعره في هذه اللحظة...

فتطاولت علي أطراف أصابعها لتطبع قبلة علي وجنته...

لكنه تراجع برأسه ثم وضع سبابته علي شفتيها هامساً بحزم:

_أخبريني أولاً ماذا كنتِ تفعلين مع حمزة؟!!!

عضت علي شفتيها بارتباك ثم همست بتوتر:

_كنت أريد أن أعرف ماذا سيفعل بشأن آسيا.....كما أنني كنت أطلب منه أن يحدث جدي بشأننا...

عقد حاجبيه بغضب فأردفت باضطراب:



_لقد تأزمت الأمور كثيراً بعد أمر حذيفة وساري...جدي لم يحتمل صدمة أن يعارضه حذيفة...ظل يردد أن أحفاده يظنونه قد هرم ولم يعودوا طوع أمره حتي ارتفع ضغط دمه وسقط مغشياً عليه....لن يستطيع أحد أن يعارضه بعد ذلك خوفاً علي صحته...لهذا ذهبت إلي حمزة...أنا أعلم أن جدي يحمل له معزة خاصة وطلبت منه أن يتحدث معه بشأننا ....

هتف في وجهها بحدة:

_ماذا؟!!!هل فعلتِ هذا حقاً؟!!! هل عدمتِ زوجاً يدافع عنكِ حتي تذهبي لغيره كي يحل لك مشكلتك؟!!!



ارتجف جسدها بين ذراعيه وهي تهمس بندم:

_لم أفكر في الأمر هكذا صدقني...لقد أردت فقط أن تمر الأمور بسلام دون مشاكل...العائلة لا تحتمل المزيد من الأحزان...

أشاح بوجهه في غضب ...

فدفنت وجهها في صدره وهي تهمس بألم:

_سامحني يا عمار...أنا لم أقصد التقليل من شأنك...لكنني لا أريد أن يعاقبك جدي كحذيفة ويحرمك من كل شئ...

رفع ذقنها إليه ليقول بانفعال:

_لا أريد شيئاً إلا أنتِ...لا تعنيني كل أموال النجدي...

أومأت برأسها وهي تهمس بحزن:



_وأنا أيضاً...لكن المسألة لم تعد أموالاً فحسب...إنها صحة جدي أيضاً...لن أسامح نفسي لو كنت سبباً في أن يمسه سوء.

أطرق برأسه وقد هزمه منطقها...

ثم رفعه ليقول لها بيأس:

_جدي طلب مني توثيق الطلاق غداً مع حذيفة...

شهقت بعنف وهي تضع كفها علي شفتيها...

فربت علي وجنتها قائلاً برفق:

_لا تخافي...سأسافر غداً باكراً كي أتهرب من أمر توثيق الطلاق هذا ....سأدعي أنه سفر طارئ لأجل العمل...شهر علي الأكثر...وأعود بعدها لأفاتح جدي في الأمر بعدما يكون قد هدأ غضبه نوعاً...



أغمضت عينيها بألم وهي تهمس:

_شهر يا عمار؟!!! شهر بأكمله بدونك؟!!!

ضمها إليه بقوة وهو يدفن وجهه في تجويف رقبتها هامساً:

_لا تزيدي عذابي يا جوري...أنتِ تعلمين أنه لن يكون يسيراً عليّ.

دمعت عيناها وهي تضمه بكلي ذراعيها...

إنها الآن تدفع ثمن غبائها وتعنتها...

لو لم تكن أقدمت علي فعلتها الشنيعة بالهرب ما كان كل هذا حدث...

لكن من كان يخبرها وقتها أن عمار،سيكون يوماً هو نبض قلبها وحياته؟!!!!



أبعدها عنه أخيراً ليرفع وجهها إليه فيصدمه منظر الدموع في عينيها...

تنهد في حرارة ثم أحاط وجهها بكفيه ليقبل عينيها هامساً:

_لا تبكي يا جوري.....سأهاتفكِ كل يوم ...بل كل ساعة...لن أجعلكِ تشعري بغيابي أبداً...لكن لا تبكي...

أومأت برأسها إيجاباً وهي تحاول كتم دموعها...

فوضع سبابته علي شفتيها هامساً بسيطرة رجولية:

_والآن موعد هديتك المؤجلة!!

ابتسمت في خجل ثم تطاولت علي أطراف أصابعها من جديد لتقبل وجنته بعمق...

فضمها إليه أكثر ليرد لها هديتها أضعافاً مضاعفة....

_ماذا تقول يا رياض؟!!!



هتفت بها صفية في سخط عندما علمت عن طلب حمزة الغريب لخطبة مارية....

لقد كانت تهيئ نفسها لأن تكون زوجة ابنها...

بل إنها بالفعل كانت تعتبرها كذلك!!!!

ولعل هذا أكثر ما كان يصبرها علي فراق العزيز زياد...

والآن تشعر أن كل آمالها قد ذهبت أدراج الرياح!!!!

قام رياض من علي كرسيه ليربت علي كتفها قائلاً بتعقل:

_مارية لم توافق بعد...صحيح أنني شعرت بميلها نحو حمزة هذا...لكنني لم أمنحه كلمة أخيرة...

تشبثت بكفه علي كتفها وهي تقول برجاء:



_لا تفعلها يا رياض...لن نجد عروساً لزياد أفضل من مارية...المسكين سافر بعد صدمته في تلك الفتاة التي كان يريد الهرب معها دون علم أهلها...ومن يدري ما الذي حدث بينهما كي تورثه كل هذا الحزن...زياد يستحق أن يفرح ونفرح معه....

عاد رياض يربت علي كتفها وهو يقول باستسلام:

_الكلمة الآن لمارية...ليس في أيدينا شئ...سأنام الآن حتي لا أتأخر علي عملي صباحاً...

قالها ثم توجه نحو فراشهما لينام تاركاً إياها غارقة في قلقها وشرودها....

وخارج غرفتهما استمعت مروة مصادفة لحديثهما....

فابتسمت بعبثها المعتاد.



ثم اندفعت كالصاروخ نحو مارية في غرفتهما تحتضنها قائلة بمرح صاخب:

_خاطبان في يوم واحد يا ست الحسن والجمال!!!!
من حمزة هذا الذي يشاغللكِ أيتها الشقراء؟!!!

قرصتها مارية في وجنتها ثم قالت بخجل لتصرفها عن الحديث عن حمزة:

_من هذا الخاطب الثاني؟!!!

هزت مروة رأسها بمرح لتقول بنبرة ممطوطة كمن يقول سراً خطيراً:

_الخاطب الثاني منتدبٌ في بعثة الآن....يقولون أنه ابن عمك!!



شهقت مارية بعنف وهي تضع كفها علي شفتيها هاتفة بالانجليزية:

_أه!! يا إلهي!! زياد يريد الزواج مني؟!!!!

ضحكت مروة بمرح وهي تصفق بكفيها في جذل لتقول:

_أحبكِ عندما تنفعلين فتعودين لأصلكِ أيتها الأجنبية!!!

خبطتها مارية علي كتفها ثم قالت بعتاب حقيقي:

_هذه الأشياء ليست للمزاح يا مروة...من أين جئتِ بحديثكِ هذا عن رغبة زياد في الزواج مني؟!!!

هزت مروة كتفيها ثم حكت لها تفاصيل ما دار بين رياض وصفية منذ قليل...



فزفرت مارية في ضيق وهي تقول لها بأسي:

_لم أكن أريد أن يسبب حبي لحمزة ضيقاً لأي أحد!!!

التمعت عينا مروة وهي تسألها بخبث:

_حبكِ لحمزة؟!!! ...ها قد اعترفتِ بالسر الذي كان يؤرقك طيلة هذه الأيام يا شقراء!!!

ابتسمت مارية رغماً عنها...

ثم احتضنت مروة وهي تتوجه معها نحو فراشهما...

لتروي لها قصتها مع حمزة منذ البداية...

لا تدري لماذا فعلتها...

لكنها كانت تحتاج لهذا الآن....



إنها تحتاج الآن لأن تسترجع كل ذكري لها مع حمزة ...

لعلها تهدئ من قلقها نحو الغد الذي لا تعرف -بعد- كيف سيكون...

قصة الثأر هذه تكاد تقتلها رعباً...

وابنة عمه المفقودة التي يريدون تزويجها له تميتها غيرة....

وبينهما يكاد قلبها -العاشق-يميتها اشتياقاً....

اشتياق لهذا الرجل الذي يتغلغل حبه داخل مسام روحها يوماً بعد يوم....

وساعة بعد ساعة...

خاصة بعدما اعترف لها الليلة بحبه...

لتشعر أنها فجأة قد صارت ملكة هذا الكون...

وكيف لا...



وحمزة النجدي نفسه قد جاءها بقدميه يطلب يدها مصرحاً بحبٍ طالما حلمت به!!!!!

وفي غرفتها كانت صفية تنظر لجسد رياض الذي انتظمت أنفاسه في شرود...

وهي تشعر بضيق حقيقي...

لقد أحبت مارية حقاً...

وتمنتها عروساً لابنها من كل قلبها...

والآن يختفي كل هذا في غمضة عين!!!

جاءها خاطر مفاجئ جعلها تقوم من مكانها لتخرج بعيداً عن رياض...

لا....لم ينتهِ الأمر بعد....

لازال الأوان سانحاً للتغيير..



تناولت هاتفها لتتصل برقم دوليّ هو كل شاغلها الآن...

حتي وصلها صوت زياد الحبيب يهتف بلهفة:

_كيف حالكِ يا أمي؟!!!

صبغت صوتها بنبرة منهكة تعرف جيداً تأثيرها علي ابنها الوحيد....

ثم قالت بضعف مصطنع:

_مريضة للغاية يا زياد...عد في أول طائرة إلي هنا.!!!

====

طرق حمزة علي باب غرفة جده حتي سمع إذنه بالدخول....



توجه نحوه بسرعة ليجلس جواره علي طرف الفراش يرمقه بنظرات آسفة....

ثم تناول كفه مقبلاً له باحترام يمتزج بعاطفته....

عاطفة حارة حقيقية....

حمزة كان أكثر أحفاد النجدي حباً له...

ربما لأنه كان كذلك أكثر من فَهِمَه!!!!

ولهذا كان النجدي الكبير يكنّ له معزة خاصة....

وربما أيضاً لأنه قد حرم منه لسنوات طويلة...

هذا بالطبع بعيداً عن خوفه الدائم عليه بسبب قصة الثأر هذه!!!!

لهذا نظر إليه قاسم نظرة طويلة حملت النذر اليسير من الضعف الذي يشعر به الآن ثم قال ببطء:



_اصدقني القول يا حمزة...هل ضيعتُ أنا الأمانة؟!!

ربت حمزة علي كفه وهو يقول بحنانه المختلط بحزمه:

_أنت فعلتَ ما رأيتَه صواباً يا جدي...لكنك أغفلت جانباً هاماً...

قالها وهو يرمقه بنظرة استئذان وكأنه يخشي ما سيقوله بعدها...

فأومأ له قاسم برأسه في إشارة لأن يكمل حديثه...

فتنهد مردفاً:

_أغفلتَ الإرادة الحرة لكلٍ منا في أن يختار ويتحمل نتيجة اختياره...أنتَ أردتَ أن تمنحنا الأمان في كنف العائلة...



أن تعطي لكل منا طوق النجاة الذي ينقذه من الغرق في هذه الحياة...لكن البعض نظر لطوق نجاته علي أنه حبل إعدامه...مجرد شعوره بالإجبار جعله كارهاً لحياته....لهذا حدث ما حدث...

أغمض قاسم عينيه بقوة فأردف حمزة بشرود:

_آسيا كرهت فرضي عليها كزوج فهربت كي تفر من أسرها...وجوري كرهت قيدها كذلك فسجنت،نفسها داخل فكرة واحدة...عمار الشبح المخيف...فكرة جعلتها تسئ إليه ويسئ إليها حتي انتهي بهما الأمر هكذا...وأخيراً ساري...ساري هي الأخري محبوسة في فكرة أنها مرغمةٌ علي الزواج من حذيفة...ورغم أنكم تقولون أنه تغير من أجلها...لكنها لازالت سجينة لفكرة مغروسة في عقلها ..



أنه أبداً لن يتغير وأنه سيبقي سيئاً طوال عمره...لهذا لم تستطع تجاوز الأمر هذه المرة...اتخذتها ذريعة لتصدق أنه لا يليق بها وأنها ستضيع معه كي تهرب من فكرة أنها مجرد جارية تم تسليمها لسيدٍ فاسد...

فتح قاسم عينيه وهو يعيد التفكر في كلام حمزة الذي يشعر أنه مختلف...

رغم أنه لا يقتنع به تماماً...

لكن من يدري...

ربما كان حمزة مصيباً...

ربما يكون قد أخطأ عندما ربي أحفاده كما تربي هو...

ونسي أنهم خُلقوا لزمانٍ غير زمانه!!!



تنهد قاسم في حرارة وهو يقول بحسرة لم يعد يستطع إخفاءها:

_هل هرم جدك يا حمزة؟!!! هل صار عاجزاً عن حماية عائلته واتخاذ القرار الصحيح؟!!!

عاد حمزة يربت علي كفه وهو يقول بنفس الحنان الحازم:

_أبداً يا جدي...كل يوم يزيد في عمرك هو مكسب حقيقي لهذه العائلة...هذه العائلة التي أنت وتدها وسندها...لكنني فقط أرجوك أن ترخي اللجام قليلاً حول خيولك الجامحة...هل تفهمني يا جدي؟!!

أشاح قاسم بوجهه للحظات...

يتفكر في كلمات حمزة ...



ثم عاد يتوجه ببصره نحوه وقد عاد إليه حزمه مع سيطرة نبراته:

_ماذا ستفعل مع آسيا؟!!! لماذا تتلكأ في هذا الأمر؟!!! أريدها هنا اليوم قبل غد!

هز حمزة رأسه قائلاً بحيرة حقيقية:

_أنا لا أتلكأ يا جدي لكن حادث حذيفة وساري شغلنا جميعاً....ومع هذا أنا لا أريد المزيد من العنف والدماء...قلبي يخبرني أن الأمر لن يُحل بهذه الطريقة...لو كان جسار هذا يريد انتقاماً رخيصاً لكان واجهنا بعد فعلته معها ...ما الذي جعله يصبر طيلة هذه الشهور؟!!!

عقد قاسم حاجبيه بغضب ثم هتف بانفعال:



_كفاك هراءً!!!! أمامك يومان فقط لتصطحب أبناء عمومتك مع بعض الرجال الثقات لتذهب لذاك الوغد في مزرعته وتنتزعها من هناك....

نظر إليه حمزة نظرة طويلة...

ثم قال بهدوء:

_اسمح لي يا جدي...أنت وكلتني في التصرف في هذا الأمر كما أري...آسيا هي عرضي أنا لأنها كان من المفترض أن تكون زوجتي الآن...فدعني -بعد إذنك- أدير الأمر كما أري...

أشاح قاسم بوجهه في غضب...

فصمت حمزة محترماً لغضبته التي يقدر أسبابها...

ليلتفت إليه النجدي الكبير بعد دقائق صمت طويلة...

ثم يقول بصرامة:



_افعل ما تراه...عساك تثبت لي أن ثقتي فيك كانت في محلها!!!!

====

وقفت آسيا في نافذة غرفة بدر ترقب الغروب بشرود...

حتي أنها لم تنتبه لدخوله الغرفة...

وضع كفيه علي كتفيها فالتفتت إليه بابتسامة ما عادت تفارق وجهها...

أحاط وجنتها براحته ثم قال بحنان:

_أدام الله لكِ هذه الابتسامة...

اتسعت ابتسامتها الخجول ثم همست بشرود:

_لا أدري سر شعوري بهذه القوة الغريبة التي تملؤني...أنا الآن علي استعداد لمواجهة الجميع ...

عقد حاجبيه وهو يسألها بتوجس:

_ماذا تعنين؟!!



التفتت إليه لتقول بثبات أدهشه:

_أنا أفكر في العودة لعائلتي...سأواجههم جميعاً...وأعترف لهم بالحقيقة...

ضمها إليه بلا وعي وهو يقول بغضب مكتوم:

_إياكِ أن تفكري حتي في مغادرة هذه المزرعة الآن....لن أخاطر بأن أفقدك تحت أي ظروف...

رفعت رأسها إليه لتقول برجاء:

_افهمني يا جسار...أنا أريد إبعاد الخطر عنك وعن ياسين ...سأعود إليهم ولن يعرف أحد أنني كنت هنا...

هز رأسه وهو يقول بحدة:

_وزواجنا؟!!

أطرقت برأسها وهي تهمس بخفوت:

_سأحلك من هذا القيد الثقيل...



أشاح بوجهه وهو يزفر بضيق...

فأردفت بضراعة:

_لم أعد خائفة يا جسار...أنا هزمت خوفي وضعفي...سأواجه قدري وأدافع عن اختياري...وسأتقبل النتيجة مهمت كانت...ألم يكن هذا كلامك...

هز كتفيها وهو يقول بقوة:

_افعلي هذا وأنتِ معي...لن أسمح أن تغيبي عن عيني لحظة واحدة...

دمعت عيناها وهي تهمس بخفوت:

_أنا كنت فقط أريد...

قاطعها هاتفاً بعنف :



_لن أتركِكِ يا آسيا...علي الأقل حتي أصل بكِ لبر الأمان...

أطرقت برأسها وقد علمت أن النقاش في الأمر قد انتهي...

هو لن يسمح لها بالمغادرة...

جسار لا يقول الكلمة مرتين...!!!

بينما تنهد هو في حرارة...

ثم ضم رأسها لصدره قائلاً ليغير الموضوع:

_ألم تفتقدي جسار؟!!

كانت تعلم أنه يقصد حصانه...



ومع هذا شعرت بأن وجنتيها تحترقان خجلاً وهو يسألها هذا السؤال ورأسها علي صدره...

فابتعدت بوجهها قليلاً لتهمس بخفوت:

_بالطبع...لكن هل ستسمح لي بامتطائه...أنت لا تزال تمنعني حتي من الخروج لياسين...

مد أنامله ببطء يتلمس وجنتيها المشتعلتين بابتسامة حانية...

ثم قال بحنان:

_ليس بعد يا صغيرتي...بضعة أيام فقط حتي أطمئن عليكِ تماماً...

رفعت إليه عينين راجيتين ثم همست بتردد:

_علي الأقل دعني أعد إلي غرفتي...أنا أشفق عليك من النوم علي الأريكة كل ليلة...صدقني أنا أصبحت بخير ...



تنهد في حرارة وهو يملأ عينيه من ملامحها الخلابة...

ماذا عساه يخبرها...؟!!!

أنه اعتاد وجودها هنا تحت عينيه...

أن يكون وجهها الفاتن أول ما تقع عليه عيناه عندما يصحو...

أن يشبك أنامله بأناملها -كعادته مؤخراً فيهدأ ضجيج قلبه الذي لازال يخشي أن يفقدها ...

بعدما عاش تلك اللحظات القاسية عندما سقطت مريضة بين ذراعيه....

أن يستيقظ من نومه بضع مرات في الليلة فقط كي يطمئن عليها ...

ويتأمل ملامحها النائمة المستكينة في سلام يتمني لو يدوم بعالمها...



نعم...هذا ما يؤرقه الآن بحق...

أن يضمن لها السلام في أيامها القادمة ...

وأن يحميها من سواد ماضيها المؤلم...

طال شروده في ملامحها فهمست بخجل:

_أرجوك يا جسار...أنا أثقلتُ عليك كثيراً في الفترة ال...

وضع أنامله علي شفتيها يقاطعها برفق هامساً بحزمه الحنون:

_مجرد وجودكِ في حياتي كان نعمة من القدر...والنعم لا تثقل سوي صدورنا من عظم الامتنان...



أطرقت برأسها للحظات تستجمع قوتها...

ثم قالت له بصلابة تتعارض مع ما يعرفه عن ضعفها المعهود:

_أنا أعرف أنه لولا ظروف مرضي لما سمحت لي أو لأي امرأة أخري بدخول غرفة سمية الغالية...وأنا أقدر هذا وأحترمه كثيراً...لكنني الآن صرت أفضل...ما عاد لبقائي هنا داعٍ...

ابتسم في إعجاب واضح وهو يتأمل ملامحها قوية الشكيمة بشكلها الجديد عليه...

لم تتلعثم أو ترتبك كعادتها...

بل كانت تتحدث بمنتهي القوة والصلابة...

امرأة تفهم من أمامها جيداً...

وتجيد التعبير عما تشعر به...

هذه هي آسيا الجديدة...



التي هو فخور بها ...فخور بقوتها التي بدأت تتجلي تحت قناع ضعفها المتشقق...

وبصلابتها التي تجعله مطمئناً علي غدها قبل حاضرها!!!

لهذا ربت علي وجنتها برفق وهو يهمس بحنان:

_تغيرتِ كثيراً يا صغيرتي...صرتِ تشبهين الخيل في كل شئ...قوتها...وجمالها...تفردها...وانطلاقها...

ابتسمت في سعادة لإطرائه...

وهي تشعر بحديثه يقوي عزيمتها أكثر...

نظرت إلي عينيه بامتنان يمتزج بعاطفتها...

فتنهد في حرارة ثم قال بحزمه الحنون:



_هذه الليلة فقط حتي تنتهي فترة تعاطيكِ للدواء...وبعدما أطمئن عليكِ يمكنكِ العودة لغرفتكِ...

=====



الفصل الحادي والعشرون:

كانت تبكي علي فراشها فتقدمت نحوها لتحتضنها بصمت دون كلمات...

استجابت ساري لدفء حضنها للحظات ثم همست بخفوت:

_هل ستلومينني أنتِ الأخري يا جوري؟!!

شددت جوري من ضمّتها الحانية لها وهي تهمس بحنان ممتزج بشفقتها:

_لو لامتكِ الدنيا كلها...أنا لن أفعل...أنا أشعر بكِ يا حبيبتي...تماماً كما أشعر بآسيا رغم بعادها...كلنا لاحقتنا لعنة الجواري...لكن مصائرنا اختلفت باختلاف طبائعنا...

رفعت ساري إليها رأسها لتهمس بألم:



_أنا الوحيدة التي كنتُ راضية بقسمة جدي بشأني...فما الذي حدث؟!!!

ربتت جوري علي ظهرها وهي تهمس بإشفاق:

_صراع قلبكِ وعقلكِ الذي لا يهدأ!!

هزت ساري رأسها ثم تأوهت بقوة...

لتهمس بعد لحظات وسط دموعها:

_أقسي ما يعذبني معه أنني لا أتصور حياتي دونه...ولا أتقبلها معه...!!!هو سيد قلبي وعدو عقلي...فماذا عساني فاعلة معه؟!!!

تنهدت جوري بحرارة وهي عاجزة عن الرد...

هي تدرك حيرة شقيقتها جيداً...

ما تعرضت له ساري ليس هيناً ولولا قوتها الحقيقية لما تجاوزته لأيام...



هي لا تلومها علي قرارها بالابتعاد...

ومع هذا تشفق عليها وعلي حذيفة...

نعم...

حذيفة تغير بشهادة الجميع...

حبه لساري غيّره...

لكن حبه سئ الحظ مثله...

تعثّر بماضيه الأسود ليقع علي ظهره ولا تظنه سيقوم من جديد بسهولة...!!!!

فبماذا تنصحها وهي نفسها حائرة مثلها؟!!!!

قطعت ساري أفكارها لتمسح دموعها هامسة لتغير الموضوع:

_أليس هناك أخباراً عن آسيا؟!!



زفرت جوري بخفوت وهي تهمس بأسي:

_الشئ الوحيد المبشر في الأمر هو أن جدي أوكل الأمر لحمزة العاقل...فيما عدا ذلك قلبي يرتجف رعباً من توقع مصيرها بين جسار القاصم وانتقام عائلة النجدي !!

أسندت ساري رأسها علي ظهر الفراش وهي تهمس بشرود:

_لو لم يستطع حمزة تدارك الأمور بحكمة فستعود الحرب بين العائلتين...ولن ينجو من بطشها أحد...

هزت جوري رأسها بموافقة...

ثم ربتت علي كفها هامسة بابتسامة حنون:

_لا أدري لماذا أشعر أن القدر يدخر لنا بعد كل هذه الغيوم أمطاراً من سعادة...

ابتسمت ساري بألم وهي تهمس بتهكم مرير:



_هل تظنين هذا حقاً؟!!!

اقتربت منها جوري لتضمها من جديد هامسة بمواساة:

_يوماً ما ستعرف السعادة طريقها لبنات فريدة وظني أنه قريب...

دفنت ساري وجهها في صدر شقيقتها وهي تتمني لو تملك ذرة من هذا الأمل...

قلبها الذي يترنح الآن مذبوحاً بطعناته لا يري لوناً للغد سوي الأسود الحالك...

وروحها تختنق بدخان يأسها وخوفها من جحيم أيامها بعده...

لكن عقلها لا يزال يزعم أنها علي صواب...

وأن خسارة العمر لن تفوقها أي خسارة...

فهل تراها تكسب عمرها عندما تخسر حبه؟!!!

========



_سافر؟!!!وتوثيق الطلاق؟!!!

هتف بها قاسم النجدي بحدة عندما أخبره حذيفة بسفر عمار لعملٍ طارئٍ كما زعم....

فأطرق حذيفة برأسه ليقول بهدوء يخفي غليان صدره:

_أنا سأرحل الآن يا جدي...لا تغضب مني أرجوك...أنا أتقبل عقابك...لكنني لن أتقبل غضبك...

أشاح قاسم النجدي بوجهه...

ثم أشار له بيده أن ينصرف...

غادر حذيفة غرفته فتلقته راجية بين ذراعيها هاتفة بصوت باكٍ:



_أين ستذهب يا بني....جرحك لازال يحتاج للعناية...

قبل حذيفة رأسها ثم قال بتماسك:

_أنا الآن بخير سأنتقل لمنزلكِ القديم في(.....) !!بعيداً عن ممتلكات النجدي كلها....وسأبحث عن عمل جديد...لا تقلقي يا أمي ...

شهقت بعنف وهي تهتف بجزع:

_لكنه منزلٌ قديم يا بنيّ ومهجورٌ أيضاً..ليس من مقامك...

ابتسم في مرارة وهو يشيح بوجهه هامساً:

_لم يعد لي مقام يا أمي...أنا الآن أبدأ من الصفر....

هزت راجية رأسها وهي تقول بعتاب:

_لماذا عصيت جدك يا حذيفة؟!!! لماذا فعلتها؟!!!



أطرق برأسه للحظات يتمالك عواطفه....

ثم قال باقتضاب:

_لا أريد الحديث عن هذا الأمر يا أمي...

قالها ثم انحني علي كفها يقبله...

قبل أن يتوجه نحو شقة فريدة...

رن الجرس ففتحت له فريدة الباب ترمقه بنظرات حنون كعادتها...

فابتسم بضعف ليهمس بخفوت:

_أنا آسف يا عمتي...وعدتكِ ألا أخذلكِ...لكنني فعلتها...سامحيني...

ضمته فريدة إلي صدرها بحنان وهي تربت علي ظهره....

ثم همست بخفوت:



_لا يا حذيفة...أنت لم تخذلني...علي العكس...أنا أعرف أنك تغيرت...

رفع إليها وجهاً ممتناً فربتت علي كتفه تقول بحنانها البائس:

_اعتنِ بنفسك يا بني...

أومأ برأسه إيجاباً ثم قال لها بصلابة:

_أخبري ساري أنني أنتظرها بسيارتي كي نذهب لإنهاء هذا الأمر...

تنهدت فريدة في حرارة...

ثم أومأت برأسها وهي تربت علي كتفه في مواساة...

كم تتمني لو ترجوه ألا يفعلها...

لكنها تعلم عناد ساري المشتعل...



وعناد حذيفة الذي لا يقل عنه اشتعالاً!!!!

انتظرها في سيارته وقد ترك لها مقعد القيادة...

حتي جاءت لتركب جواره ...

ظلت ساكنة للحظات تنظر للطريق أمامها في شرود...

ثم سألته دون أن تنظر إليه:

_لماذا تركت لي مقعد القيادة؟!!! هل جرحك يؤلمك إلي هذا الحد؟!!!

لم ينظر إليها هو الآخر وهو يقول ببرود:

_جرحي لا يؤلمني يا ابنة عمي...لكنني تركت لك القيادة في هذا الأمر من أوله لآخره...تتصرفين فيه كما تشائين...



وخزت عبارته قلبها وهي تشعر ببعض الضعف...

لكنها تشبثت بحكم عقلها الذي أيد قرارها بالانفصال عنه....

وتجاهلت -عامدة-توسل قلبها الذي كان يئن بين ضلوعها...

ابنة عمي؟!!!!

حذيفة لم يدعُها هكذا أبداً....

في صغرها كان يدعوها "سوسو" لتدليلها...

وعندما كبرا كان يناديها باسمها...

وبعدما اعترف لها بحبه كان يدعوها "حبيبتي"...

والآن...راح كل هذا...

الآن يدعوها "ابنة عمي"...وكأن هذا فقط ما صار بينهما!!!!



تمالكت دموعها بصعوبة...

وهي تسأله ببرود تدعيه:

_لماذا طلبت أن آتي معك؟!! لماذا لم ترسل لي وثيقة الطلاق فحسب؟!!

ظل وجهه علي جموده للحظات...

ثم قال بنفس اللهجة الثلجية ودون أن ينظر إليها أيضاً:

_قلت لكِ أنني أردتُكِ أن تشعري أنكِ من تقودين الأمور ...وليس أنا...أنتِ التي ستقود بنا السيارة نحو مكتب المأذون...وأنتِ التي ستطلب منه أن يوثق إجراءات الطلاق...وأنتِ التي ستتسلمين الوثيقة بنفسك لتعودي بها إلي منزلك...



التفتت إليه بحدة وقد ذاب برودها لتهتف بانفعال:

_هل تظن أنني سأندم؟!!! تظن أنك ستكسرني بهذا؟!!!

لم يلتفت إليها رغم انفعالها بل ظل علي بروده وهو يقول:

_بل أحرركِ من قيدكِ أيتها الجارية...الآن تتحرر ساري النجدي من رِقّها الذي طالما أغضبها...الآن تملك حق الاختيار الذي نزعوه منها...الآن تقود حياتها بنفسها كما ستقود هذه السيارة نحو طريق خلاصها من قيود ماضيها كلها...الآن تتخلصين من حذيفة الفاسد الذي كان وصمة عار في جبينك...وتبدئين حياتكِ نقية طاهرة كما تستحقين...



ازدردت ريقها ببطء وهي تتأمل جانب وجهه في صدمة...

هذا بالفعل ما كان يدور برأسها طيلة هذه الأيام...

حذيفة نطق ببساطة كل ما عجزت هي عن البوح به لأحد...

لقد عرّي الحقيقة التي طالما حاولت سترها...

عرّاها بمنتهي الوضوح فلم يعد هناك مجال للتواري والتخفي!!!

تناول مفاتيحه من جيب قميصه ثم ناولها لها ولازال لا ينظر إليها...

فأخذتها منه لتشغل السيارة بشرود وهي تسأله:

_العنوان؟!!



ذكر لها العنوان باقتضاب فأومأت برأسها وقد بدأت السيارة في التحرك...

ظلا صامتين طوال الطريق ...

ذاك الصمت الصاخب الذي هو أكثر ضجيجاً من الكلام...

صمتٌ ينعي حباً عمره سنوات...

تقريباً عمره من عمرها هي!!!!

أوقفت السيارة في مكانها ....

ثم التفتت نحو جانب وجهه الذي ظل علي جموده...

لتهمس بصوت خفيض جداً...

يكاد لا يُسمع:

_هيا بنا!



أطرق برأسه ثم مد لها ظاهر كفه دون أن ينظر إليها قائلاً بنفس الصوت الذي يقطر ثلجاً:

_انزعي عني دبلتي بنفسك...

خفق قلبها بقوة لعبارته بل كاد يتوقف ألماً...

لكن عقلها كان يدحر عاطفتها بقوة حديدية...

يدعمها في موقفها...

ويساندها في قرارها الذي اتخذته ....!!!!

ومع هذا ارتجفت أناملها بشدة وهي تتناول كفه ببطء تنزع منه دبلته...

وكأنها تنتزع معها روحها...



جسدها كله كان يرتعش بانفعال تجاهد ألا تظهره...

وهي تحاول إظهار تماسكها لأبعد حد...

لكن أناملها توقفت عندما وصلت الدبلة لمنتصف إصبعه...

لتجد نفسها دون وعي تحتضن كفه بكفيها متشبثة به بقوة...!!!

اختلس نظرة جانبية إليها لكنه لم يبدِ أي انفعال...

بل تركهها تختار قرارها كما شاءت...

تماماً كما أخبرها...

ظلت تحتضن كفه براحتيها للحظات...

كان جسدها كله ينتفض فيها كطير ذبيح....



حتي استعادت قوتها بعد فترة...

لتترك كفه ببطء...

ببطء شديد ...وكأن أناملها تعاندها....

ثم أخذت نفساً عميقاً لتكمل ما كانت تفعله بحركة آلية....!!!!

عضت علي شفتيها بقوة وقد خذلها خيط رفيع من الدموع سال علي طرف عينها...

لكنها عادت تأخذ نفساً عميقاً تتمالك به قوتها...

وهي تضع له الدبلة في كفه ثم تشيح بوجهها مخفية دموعها...



قبض بكفه علي دبلتها للحظات لم يبدُ فيه علي وجهه أي انفعال...

رغم أنه كان يشعر وقتها أن روحه تتمزق....

لم يتخيل أن تفعلها رغم كل شئ....!!!

لكن ...لا بأس...

لقد رأي منها الكثير من المفاجآت في الفترة الأخيرة...

وسيضيف هذه إلي القائمة...!!

وضع دبلته بخفة في جيب قميصه...

ثم فتح باب السيارة ليترجل منها...

فترجلت بدورها لتسير جواره حتي وصلا إلي مكتب المأذون...

هنا ...



نظر هو إليها لأول مرة منذ خرجا ...

نظرته كانت عميقة أخاذةً لأبعد حد...

لا تذكر أنها قد رأت عينيه صافيتين كهذه اللحظة...

وكأن القدر اختار هذه النظرة لتكون ملائمة للوداع...!!!

نظرة حملت عتابه كلها مشبعاً بكبرياء حذيفة النجدي الذي تعرفه....

لكنه كان هذه المرة مصبوغاً بعاطفته التي لم تستمتع بها إلا قليلاً...

خفض بصره عنها ثم أشاح بوجهه ليقول ببرود:

_أخبريه عمّ تريدين...وأنا سأنفذ ما يقول...



تقدمت ساري نحو الرجل الذي نظر إليهما بفضول...

ثم نظرت خلف ظهرها إلي حذيفة الذي كان واقفاً مطرقاً برأسه لا ينظر حتي إليها...

لتعود بعدها ببصرها إلي الرجل قائلة وقد حسمت أمرها:

_نريد توثيق قسيمة طلاق!!

=====

_بلال!!

هتفت بها رقية بلهفة وهي تفتح له باب شقة ياسين لترتمي في حضنه هاتفة بانفعال:

_كنت أحتاجك يا أخي...

ثم تهدج صوتها مردفة:

_عاصم الهاشمي تركنا يا بلال....



قالتها وقد عادت دموعها تغلبها من جديد بين ذراعيه...

فضمها إليه وهو يقبل رأسها بقوة...

هذه هي المرة الأولي التي تري فيها بلال بعد وفاة والدهما...

وكم كانت تحتاج إلي هذا....

ضمها بلال إليه بقوة أكثر وهو يقول بحنان لا يخلو من أسف:

_سامحيني يا رقية...رغماً عني...كنت ممنوعاً من العودة إلي مصر كما تعلمين...حياتي كانت في خطر ...ولولا هذا لكنتُ معكِ أنتِ وأمي...

ظلت بين ذراعيه للحظات تتنعم بحنانه الصافي...

بلال ليس مجرد أخ...



لكنها تشعر أنه ابنها وصديقها كذلك...

إنها تشعر أنه النسخة المصغرة من عاصم الهاشمي...

بحنانه الطاغي...وقوة شخصيته التي لا تقهر ولا تطغي...

بل تسند و تؤازر!!!!

وبعدها بدقائق...

كانت قد تمالكت قوتها من جديد...

فجلس جوارها علي الأريكة يربت علي ركبتها ثم سألها باهتمام:

_هل وصلت التحريات لقاتل والدي؟!!

هزت رأسها نفياً وهي تهمس بأسف :



_لا...ليس بعد...لكن الأمر له أبعاده السياسية كما تعلم...

أومأ برأسه في حزن....ثم ابتسم ابتسامة باهتة وهو يسألها بحنان:

_كيف حالكِ مع ياسين؟!!

ابتسمت في خجل وهي تهمس بصدق شعر هو به:

_سعيدة يا بلال....سعيدة جداً...

ابتسم بدوره وهو يقول بوقاره الذي لا يلائم سنه الصغير:

_الرجل الذي يجعل رقية الهاشمي نفسها تشعر بالخجل عند ذكر اسمه....هو رجل مميز حتماً...

ضحكت ضحكة قصيرة ثم همست بشرود:



_ياسين رجل رائع...لكنه مكبل بقيود عائلته...لن تتخيل حجم المآسي التي شهدتها هذه العائلة في هذه الفترة القصيرة...

عقد حاجبيه بتساؤل...

فاندفعت تحكي له كل شئ...

حتي انتهت بحادث حذيفة وساري...

ووقوفه أمام جده ليطلقها ضد رغبة الأخير...

اتسعت عينا بلال بصدمة وهو يهتف :

_حذيفة طلقها؟!!!

أومأت برأسها إيجاباً وهي تردف:

_لقد رأيته من الشرفة يخرج معها منذ قليل...لاريب أنه ذهب معها لتوثيق الطلاق...ورغم أن الجميع يرونه مخطئاً لأنه تحدي جده وطلقها...



لكنني احترمته كثيراً عندما فعلها...هو كان يعلم أن ساري لا تريده ورجولته لم تسمح له أن يمضي في زواجه منها رغماً عنها...حذيفة كسر حاجز الخوف من قاسم النجدي وأوامره التي لا ترد...وحرر نفسه وساري من زيجة كانت ستفشل حتماً...

ازدرد بلال ريقه ببطء وهو يسألها بحذر:

_ساري سعيدة بهذا الطلاق؟!!

تنهدت رقية بحرارة ثم قالت بشرود:

_ساري شخصيتها محيرة...رغم أنني لم أتحدث معها كثيراً لكنني كنت أشعر أنها تحبه...شئ ما في نظراتها التي كانت دوماً متعلقة به أينما ذهب...لكن هذا الحادث الصعب الذي تعرضت له بسببه جعلها تغلق كل الأبواب في وجهه فجأة...



وهذا ما صدمني...لو كانت أحبته حقاً لالتمست له عذراً...خاصة والجميع يشهدون أنه حقاً تغير بعد ارتباطه بها....لكنها بدت وكأنها كانت تنتظر أي ذريعة لتتخلص من هذه الزيجة...

أطرق بلال برأسه في حيرة...

لم يكن يتوقع هذا أبداً..

لقد كان يخشي عودته إلي مصر خوفاً من أن يراها بنفسه تُزفّ إلي رجلٍ غيره...

لكنه اضطر للعودة كي يكون جوار والدته وشقيقته بعد وفاة عاصم الهاشمي...

لم يكن يعلم أن القدر يدخر له هذه المفاجأة...

ساري الآن صارت حرة...

ويمكنه أن يحلم بها من جديد....!!!



تأملت رقية شروده بدهشة للحظات...

قبل أن تتسع عيناها في إدراك...

يا إلهي!!!

كيف غفلت عن هذا؟!!!

بلال كان يريد خطبة ساري من قبل...

فهل هذا هو سر شروده؟!!!

هل يريد تكرار عرضه من جديد؟!!!

ربتت علي كفه وهي تقول بحنان صادق:

_لازلت تريدها يا بلال؟!!

أشاح بوجهه ليقول بهدوئه المعتاد:

_هذا ليس أوان الحديث عن هذا يا رقية؟!!! عندما أشعر أنها قد تجاوزت محنتها فربما أحاول معها من جديد...



ابتسمت وهي تقول بأمل :

_أنت تستحق كل الخير يا أخي!!

====

كانت تستقل سيارته عائدة بها إلي منزل العائلة الكبير بعدما أنهيا توثيق الطلاق....

لم يتحدث إليها بكلمة واحدة بعدما خرجا من مكتب المأذون...

لكنه أعطاها مفاتيح سيارته عندما وصلا إليها ثم قال لها ببرود:

_أعطِها لجدي...لم تعد لي!!

تناولتها منه وهي تشعر أن عبارته لا يقصد بها السيارة فحسب...

لكنه يقصدها هي الأخري...



ساري لم تعد لحذيفة؟!!!!

وهي التي كانت تعتبر زواجه منها من المسلمات....

ويبدو أنه قرأ أفكارها فقد عقد ساعديه أمام صدره ليقول بنفس البرود الساخر:

_أنتِ كنتِ علي حق عندما كنتِ تنصحينني ألا أتعجل...لأنني لا أدري ما الذي سيحمله لنا الغد!!!!

كان هذا آخر ما قاله لها قبل أن يردف ببرود لم ينجح في ستر ألمه هذه المرة:

_وداعاً يا ابنة عمي!!

سالت دموعها علي خديها وهي تتذكر وداعه المقتضب...

والذي لم تتفوه هي فيه بكلمة واحدة...



كل كلماتها وقفت حداداً علي هذا الحب الذي لن يري النور بعد...

فقد دُفن في كهوفٍ عميقة...

ظلمتها أقوي من أن تنكشف!!!

أوقفت سيارته تحت منزل العائلة ثم مسحت دموعها بسرعة...

ظلت في مكانها لدقائق تحاول استعادة تماسكها...

ثم ترجلت منها لتتوجه نحو المنزل...

كل خطوة كانت تخطوها كانت تحمل لها ذكري معه هنا...

رحيق ذكرياته الثرية معها يملأ كل الأركان...

باب المنزل...ودرجات السلم...



كل درجة هنا تكاد تكون شاهدة علي لحظة مرت بها معه...

وقفت مكانها علي السلم تستند لسوره وهي تشعر بالدوار...

دوار مشاعرها يكاد يكون أشد عصفاً من دوار رأسها...

لقد فعلتِها يا ساري أخيراً...

فككتِ طلاسم سحره من علي جدران حياتك...

حتي لو بقيت تعاويذ عشقه تسيطر علي قلبك...

لكنكِ تحررتِ وكفي!!!

هذا ما كانت تحدثها به نفسها...

لكن قلبها كان له رأي آخر....

كانت تشعر به مزوياً في ركن قصيٍ من ضلوعها يبكي كطفل فقد والديه...



وضعت كفها علي صدرها وقد صارت عاجزة عن التظاهر بالتماسك...

بل عاجزة حتي عن الوقوف...

فتهاوت مكانها جالسة علي إحدي درجات السلم...

تحيط رأسها بذراعيها وتبكي بحرقة...

تباً لك يا حذيفة...

بل تباً لي أنا...!!!!

أنا التي لازلت عاجزة عن اقتلاع حبك من جذوره...

رغم كل الفرص التي منحها لي القدر!!!

_ساري!!



شهقت بعنف وهي ترفع وجهها المبلل بدموعها نحوه عندما سمعت نداءه...

فقامت لتقف وهي تمسح دموعها بسرعة قائلة بصوت متقطع لم يخفِ دهشتها:

_حمداً لله علي سلامتك يا بلال ...متي عدت؟!!

رمقها بنظرة مشفقة وهو يقول بأسف حقيقي:

_أنا آسف حقاً علي ما حدث....

كان قد خرج -لتوه-من شقة رقية هابطاً الدرج...

عندما فوجئ بها جالسة هكذا تبكي علي السلم...

حدثته نفسه أن يعود للأعلي حتي لا يحرجها وجوده ورؤيته لها هكذا....

لكنه وجد نفسه يتجه بلا وعي نحوها...



وكأنما كانت لخطواته إرادتها المستقلة...

حتي وجد نفسه أمامها فلم يشعر إلا وهو يهمس باسمها الذي اشتاقه...

تماماً كما اشتاقها!!!

قرأت أسفه الصادق بعينيه فأطرقت برأسها لتهمس بتماسك لم يخدعه:

_لا بأس يا بلال...كل شئ سيمضي ...بحلوه ومرّه...عمرنا كله سيمضي شئنا أم أبينا...

تنهد في حرارة يرمق قسماتها التي رسم اليأس عليها ألف خط...

ورفع الحزن رايته علي أراضيها بملكية لا تقبل الجدل...



يبدو أن ساري لن تنسي جرحها هذا بسهولة...

فقط لو تمنحه فرصة ليكون معها...

هو واثقٌ أن حبه قادر علي مداواة أسقام روحها كلها...

فقط لو تقبل هي...

لو تقبل...!!!!

====

_لماذا عدتَ باكراً؟!!

هتفت بها رقية وهي تري ياسين الذي دخل عليها بوجه شارد...

فابتسم بشحوب هامساً بصوت متعَب:

_لقد خرجت من الشركة باكراً...مررتُ علي حذيفة كي أطمئن عليه في منزل والدتي القديم....ثم التقيت ب...حمزة..!!



تهدج صوته وهو ينطق اسم حمزة فانتفض قلبها بين ضلوعها...

لقاء حمزة بياسين الآن لن يكون له شأن سوي بآسيا...

آسيا التي آن الأوان أن يحسموا أمرهم بشأنها ...

ذاك الذي تأخر بسبب مرض الجد وانتظاره لعودة حمزة ثم حادث حذيفة وساري بعد هذا...

والآن تأتي لحظة المواجهة...

تري ماذا سيحدث؟!!!

اقتربت منه لتضع كفها علي صدره هامسة بتوجس:

_ماذا قرر حمزة؟!!



تنهد ياسين قائلاً:

_سنذهب إليها أنا وهو فقط...عمار مسافر...وحذيفة عصبي المزاج وقد يفسد الأمر بتهوره...

هزت رأسها وهي تقول برهبة:

_عين العقل يا ياسين!!! وأنا سأقوم باتصالاتي لأضمن لكما تغطية أمنية مناسبة دون تدخل مباشر إلا لو قرر هذا الرجل اللجوء للقوة...لا تقلق...أصدقاء أبي سيفيدوننا كثيراً في هذا الأمر...

أومأ برأسه إيجاباً في شرود...

فأحاطت وجنته براحتها تسأله بقلق:

_فيمَ أنت شارد؟!!



هز رأسه قائلاً بحيرة تمتزج بترقبه:

_لا أدري كيف سينتهي هذا الأمر...وما الذي جعل آسيا تذهب إلي هناك؟!!!وهل سنتمكن من إعادتها هنا أم لا؟!!! ولو عادت....

قطع عبارته وهو يخشي إكمالها...

فنظرت لعمق عينيه وهي تسأله بقوتها التي لم تخذلها في هذه اللحظة:

_لماذا تخشي عودتها؟!!

هرب بعينيه من عينيها فهمست برجاء لا يخلو من عزة:

_ياسين...أجبني...لماذا تخشي عودتها؟!!



أغمض عينيه بقوة يخفي عنها حديثهما...

فمررت أناملها علي عينيه المغمضتين برقة...

حتي فتحهما ....لتهمس هي بعدها بنفس اللهجة:

_أنت تخشي أن يجبرك جدها علي الزواج منها بعد ما حدث...تكفيراً عن خطئه في حقها يوم هربت لأجلك أنت...

اتسعت عيناه في صدمة للحظة...فقد كان هذا ما يدور بذهنه فعلاً...

خاصة وقد لمّح به حمزة له من قبل ظناً منه أنه لا يزال يحبها....

وهو يكاد يقسم أن هذا ما سيفكر به قاسم النجدي كذلك لو عادت آسيا ...

خاصة بعد وفاة عاصم الهاشمي الذي كان يخشي نفوذه...

لكنه لن يسمح بهذا أبداً...



لو كان جده يظن أنه سيستضعف رقية بعد وفاة والدها فهو واهم...!!!

لهذا أمسك كتفيها يهزهما هاتفاً بقوة لم تسمعه يتحدث بمثلها قَط:

_ماذا تقولين يا رقية؟!!! والله لو وقفت الدنيا كلها خلفي تدفعني للزواج من غيركِ لما فعلتُها أبداً...إذا كان حذيفة قد كسر قوانين العائلة ووقف في وجه جدي ليطلق ساري علي عكس رغبته...فأنا أولي أن أفعلها لأجل رقية الهاشمي...

دمعت عيناها رغماً عنها وهي تسمع هذا منه بهذا الصدق وبهذه الحرارة...

فضمها لصدره بقوة وهو يقول بنفس النبرة:

_الآن فقط أدركتُ أن ما بيني وبينها لم يكن حباً حقيقياً..



لو كان كذلك لما كنتُ تخليتُ عنها بهذه البساطة وبهذا الضعف...ربما بررتُ لنفسي موقفي وقتَها بأنني مغلوبٌ علي أمري...وبأن جدي هو الحاكم الأول والأخير في هذه الحكاية...لكنني الآن أشعر...وأنتِ بين ذراعيّ هكذا...أنني قويٌ بحبك...وأنني لن أسمح لأي أحد بأن يقف في طريقنا...حتي لو اضطررتُ للوقوف في وجه قاسم النجدي نفسه...فسأفعلها...

ابتعدت عنه قليلاً لتنظر إليه بعمق....

وقد اختلطت دموعها بابتسامتها...

ثم تناولت كفه تحتضنه بكفها لترفعه نحو شفتيها تقبله ببطء هامسة :



_هذه هي قوة ياسين النجدي التي كنت أستشعرها خلف ستار حنانه...قوة تظهر لتقوي وتسند...لا لتقسو وتبطش....هذا هو ياسين الذي رآه قلبي منذ أول لقاء...

اقترب بوجهه من كفيهما المتعانقين أمام شفتيها...

ليقبل كفها هو الآخر هامساً بعشق لم يعد يقبل النقاش أو الجدل:

_لأجل سلطانتي رقية أفعلها...لأجلها أفعل أي شئ...

====

_صباح الخير يا صغيرتي!

هتف بها جسار بمرح يمتزج بحنانه وهو يقبل جبينها ...

فقامت من نومتها لتهمس بخجل :

_صباح الخير

يا جسار...



نظر إليها بحنان لم يعد يفارق عينيه نحوها ...

ثم سألها برفق:

_هل أطلب منهم أن يحضروا لك الفطور؟!!

هزت رأسها نفياً وهي تقول برجاء:

_أنا أصبحت بخير حال...سأصوم اليوم...

عقد حاجبيه باعتراض...فقالت بنبرة متوسلة:

_لقد تسحرتُ جيداً بالأمس...أريد أن أصوم اليوم...كفاني تكاسلاً...

ربت علي كفها قائلاً برفق:

_ليس تكاسلاً يا صغيرتي...أنتِ مريضة...

هزت رأسها نفياً لتقول بعناد غريب عليها:



_كنت...كنت مريضة...والآن لم أعد...سأصوم يا جسار.

ظل يتأملها للحظات...ثم ابتسم ابتسامة خفيفة وهو يرفع أحد حاجبيه قائلاً:

_ألم أقل لكِ أنكِ تغيرتِ؟!!!

ابتسمت بدورها دون أن ترد...

فعاد يربت علي كفها قائلاً بحنان:

_حسناً...صغيرتي العزيزة ستصوم اليوم لكنها ستفطر إذا أحست بالتعب...

أومأت برأسها إيجاباً...

ثم منحته ابتسامة ممتنة....



لتغادر بعدها الفراش ثم تتوضأ فتصلي...

مد لها كفه عندما انتهت فتشبثت به حتي قامت لتقف قبالته قائلة بتردد:

_افتقدتُ ياسين وجسار...لكن لو كنت لا تزال تخشي علي ياسين من العدوي...فدعني فقط أمتطي جسار لبضع دقائق...لقد سئمت الرقاد في الفراش...

أومأ برأسه قائلاً بحزم رفيق:

_حسناً...لكن ارتدي ملابس ثقيلة...فالجو صار بارداً نوعاً...

وبعدها بقليل...

كانت معه أمام اسطبل الخيول...



تطلعت للمنظر الخلاب حولها للمساحات الشاسعة الخضراء....

والتي تعانق السماء علي مد البصر...

فتبدو السحب البيضاء بلونها الشاهق كشهود عيان علي هذا العناق الفريد...!!!!

نسمات من الهواء داعبت وجهها فسعلت بقوة...

أحاط كتفيها بذراعه ثم غمغم بقلق:

_أرأيتِ أنكِ لازلتِ مريضة...سنعود للغرفة حالاً...

أمسكت كفه بقوة بعدما هدأ سعالها لتهمس برجاء:

_أنا بخير يا جسار...وسعيدة جداً بهذا المنظر...دعني أمتطي جسار قليلاً...بضع دقائق فقط...وأعدك أن ألزم فراشي بعدها...



تنهد في استسلام...

ثم تركها ليحضر الحصان جسار من الداخل...

وما إن رأته آسيا حتي اندفعت نحوه تمسد عنقه هامسة جوار أذنه:

_افتقدتك يا جسار...افتقدتك حقاً....

صهل الحصان صهيلاً عاليا وكأنه يجيبها بافتقاده لها هو الآخر...

فربت جسار علي ظهره وهو يقول لها بحنان:

_جسار يعبر عن اشتياقه لساحرته الصغيرة...

ضحكت بمرح ضحكة صافية....

فقال لها بإعجاب لم تخطئه عيناها:



_ضحكتكِ تشبهكِ يا صغيرتي...نقية وبريئة ...لكنها لا تخلو من شقاوة محببة....

ابتسمت في خجل وهي تطرق برأسها...

بينما كان قلبها يصدر صوتاً كقرع الطبول...

لا تدري سر هذا الإحساس الذي يسكنها الآن...

إنها تشعر وكأنها تريد الطيران...

تريد التحليق عالياً في هذه السماء الواسعة...

أو العدو دون توقف في هذه المروج الخضراء....

تريد استنشاق كل هذا النسيم الذي يداعب وجهها...

وتريد احتضان الزهور في هذه الحديقة القريبة...

طاقة هائلة من الحب تملؤها الآن قوة وانطلاقاً...

تجعلها تشعر أنها لا تمشي علي الأرض...



بل وكأنها طفلة طائرة متشبثة بخيوط وهمية من البالونات الملونة...!!!!

قطع هو أفكارها عندما لوح بسبابته هاتفاً:

_بضع دقائق فقط...

أومأت برأسها في طاعة...

لتفاجأ به يتقدم نحوها ليرفعها من خصرها حتي اعتلت ظهر الحصان ...

ثم اعتلاه بخفة هو الآخر حتي ركب خلفها ثم تناول سير اللجام بسيطرة ليسير به بسرعة معقولة...

شعرت ساعتها بالاضطراب وهي تشعر به قريباً هكذا...



يحاوطها بذراعيه الممسكين للجام الحصان....

إنها المرة الأولي التي يمتطيه معها....

فكل مرة كانت تفعلها وحدها...لكن يبدو أنه قلقٌ عليها هذه المرة....

التفتت نحوه لتهمس بامتنان :

_شكراً يا جسار....أنا...

تجمدت كلماتها علي شفتيها عندما التقت عيناهما بهذا القرب...

نظراته كانت تفضح عاطفة عجز هو أن يخفيها...

وعجزت هي عن تصديقها...

لا...لا تريد أن تجرب جرحاً جديداً...

جسار لن يكون يوماً لها...

جسار سيبقي ملكاً لسمية

بل من يدري...؟!!!



ربما لو شعر بعاطفة ما نحوها فسيقسو عليها كما فعل من قبل...!!!

دمعت عيناها بقوة وقد عاد الخوف يسكن مقلتيها ...

فعادت بوجهها للأمام دون أن تكمل عبارتها...

فيما عقد هو حاجبيه بشدة عندما لاحظ تغير ملامحها...

فأمسك السير بيد واحدة ليضم خصرها إليه بالآخر هامساً بقلق:

_ما الأمر يا آسيا؟!! لماذا هذه الدموع الآن؟!!

هزت رأسها بلا معني دون أن تلتفت نحوه...

فاحترم صمتها لدقائق...



قبل أن يربت علي كتفها قائلاً بحزم:

_يكفي هذا اليوم...كي لا تتعبي...

أوقف الحصان ليترجل من علي ظهره...

ثم حملها من خصرها لينزلها جواره...

ولازالت عاجزة عن مواجهته بعينيها...

أعاد الحصان مكانه بالداخل ثم عاد معها لغرفته...

ولم يكد يغلق الباب حتي توجه نحوها ليمسك كتفيها قائلاً بحزم:

_ما الأمر يا آسيا؟!!

أطرقت برأسها وهي تشعر بقوتها -المستحدثة - تنسحب منها...



وهو ما شعر به جسار أيضاً...

فضمها إليه برفق معيداً سؤاله بنبرة أرق:

_ما الأمر يا صغيرتي؟!!

رفعت إليه عينين دامعتين ...

فمنحها نظرة مشجعة وهو يومئ برأسه...

ارتجفت شفتاها وهي تهمس بخفوت:

_أخاف أن تكرهني لو اقتربت أكثر...

عقد حاجبيه بتساؤل مستنكر فأردفت بخفوت وهي تغمض عينيها :

_سمية!

تنهد في حرارة وقد فهم مقصدها ليشيح بوجهه بعيداً...



فيما استعادت هي بعض قوتها وهي تقول بحسم:

_يوماً ما سأغادر هذا المكان...وقلبي يخبرني أنه ليس ببعيد...لا أريد أن أكون بعينيك مجرد طعنة غادرة في إخلاصك لها...أريد أن أرحل من هنا كما جئت...مجرد غريبة!!

التفت إليها بحدة ثم نظر إليها طويلاً....

ليهمس بعدها بعتاب:

_غريبة؟!

أطرقت برأسها دون أن ترد...

فضمها إليه أكثر وهو يكاد يخفي رأسها في صدره هامساً بحزن غلف صوته رغماً عنه:

_حتي لو رحلتِ عنا كما تقولين...سيبقي لكِ مكانٌ بيننا تعودين إليه متي شئتِ...أبداً لن تعودي غريبة بيننا يا آسيا...أبداً...



رفعت رأسها إليه لتلتقي عيناها بعينيه في حديث طويل...

قبل أن تهمس هي بعاطفة فاضت كالطوفان في عينيها:

_شكراً علي الأيام الرائعة التي قضيتها هنا معكم...

عقد حاجبيه بضيق وهو يتأمل ملامحها ليهتف بانفعال:

_لماذا تتحدثين هكذا وكأنه كلام وداع...؟!!!

أغمضت عينيها بقوة وهي عاجزة عن التفسير...

شئ ما بداخلها يخبرها أن رحيلها عن هنا قد اقترب...

ربما أقرب بكثير مما تتصور...



وهذا ما يقبض قلبها بقسوة...

فهي لا تريد الرحيل عنهم وكأن هذا المكان صار بيتها حقاً...

لكنها تعلم أنها لابد لها من الرحيل كي تستقيم الأمور...

وجودها هنا كان خطأً ربما سيدفع الجميع ثمنه غالياً...

قطعت أفكارها عندما شعرت بشفتيه يقبلان جبينها بعمق...

ففتحت عينيها لتلتقط عينيه المحدقتين فيها بقوة...

وكأنهما تتشبثان بملامحها ....

ليبتسم هو بعدها بحنانه المعهود وهو يعيد رأسها إلي صدره هامساً:



_لا تحملي هماً يا صغيرتي...أيام رائعة مرت بكِ هنا ...وأيام أروع تنتظرك...

====

طرقت فريدة باب غرفة حمزة ثم دخلت عندما سمعت إذنه بالدخول...

قام إليها واقفاً باحترام ليهتف بترحاب واضح:

_عمتي فريدة...تفضلي...

دخلت فريدة بابتسامتها الحنون ثم ربتت علي كتفه قائلة بطيبتها المعهودة:

_كيف حالك يا بني؟!!



أومأ برأسه قائلاً برفق حنون:

_بخير يا عمتي...كيف حالكِ أنت...أنا أعرف أن حملكِ ثقيل ...العائلة كلها تمر بظروف صعبة...لكنني واثق أن الله سييسر لنا الخير جميعاً...

أومأت برأسها إيجاباً ثم ازدردت ريقها ببطء وهي تغمغم برجاء:

_ماذا ستفعل مع آسيا؟!!الماذا لم تحضرها حتي الان...كنت أظنك ستحضرها منذ جئت...

أطرق حمزة برأسه للحظات ثم تنهد قائلاً:

_الأمر معقد جداً يا عمتي طالما نريد ألا تتأذي آسيا...فنحن لا نعلم وضعها الحقيقي هناك....



جدي أوكل إليّ التصرف في الأمر وأنا سأحاول أن أجنح للسلم قدر المستطاع...لهذا سأصطحب معي ياسين ونذهب لذاك الرجل في مزرعته مع قوة من الشرطة لنتبين الأمر أولاً حتي لا نسئ الظن بهما....لو كان يريد أخذ ثأره بعد هذه السنوات فليأخذه مني أنا.....لكن لو كان حقاً قد اعتدي علي شرفنا...فحينها....

قطع عبارته عاجزاً عن إكمالها...

فانقبض قلب فريدة بعنف...

جسار القاصم وعمه كساب الذي قتل زوجها لن يفعلا الخير بابنتها أبداً...

ووجودها هناك طيلة هذه الفترة يعني أنها ذاقت من العذاب ما لا يمكنها تصوره...



والآن لو ثبت أن جسار هذا قد انتهك عرض العائلة فآسيا ستدفع الثمن معه....

دمعت عيناها وهي ترمقه بنظرات راجية...فربت حمزة علي كفها وهو يقول بمواساة:

_لا تستبقي الأمور يا عمتي...من يدري ما الذي تخبئه لنا الأيام؟!!!

===============

دخلت جوري إلي غرفتها وأغلقتها خلفها بالمفتاح...

ثم تناولت هاتفها لتتصل به أخيراً بعدما أحست بانشغال الجميع....

وصلها صوته الحبيب بعد أول رنة وكأنه كان ينتظرها هاتفاً بلهفة:

_جوريتي!!



ابتسمت وهي تتشبث بالهاتف هامسة باشتياق جارف:

_افتقدتك يا عمار...

لم تسمع له صوتاً بعدها للحظات طويلة....

فهمست بترقب:

_عمار!!

زفرات ملتهبة سمعتها علي الجانب الآخر من الاتصال ....

ثم جاءها صوته أخيراً مشبعاً بلهفته وهو يهتف بانفعال:

_لن أنتظر هذا الشهر يا جوري...أسبوعان كافيان...بل أسبوع واحد...



ابتسمت رغماً عنها ...

عندما أردف هو بنفس النبرة المنفعلة:

_بل الآن...سأعود الآن!!

ضحكت رغماً عنها فزاد غيظه أكثر وهو يهتف بسخط:

_تضحكين يا جوري؟!!! تضحكين وأنا هنا وحدي أت...

قطع عبارته ثم زفر في ضيق....

فهمست برقتها الفطرية:

_أكمل عبارتك أيها الفظ الغليظ الذي لا يجيد الغزل...أكمل عبارتك وأخبر جوريتك أنك تتعذب دونها...تكاد تذوب اشتياقاً إليها...



دع عنك هذا القناع الخشن وأظهر لي روحك علي حقيقتها...أرق من قطرات الندي...وأنعم من بتلات الورد...

لم يرد عليها للحظات...

فقبلت الهاتف بصوت مسموع ...ثم همست بدلال تعرف تأثيره عليه:

_حبيبي يا عمار!!

تنهد في حرارة ثم تأوه قائلاً:

_آآآه يا جوري...ماذا تفعلين بي؟!!

تنهدت بدورها وهي تهمس بحرارة:



_بل ماذا فعلت أنت بي؟!!! كيف تغيرتَ هكذا وغيرتني معك؟!!! كيف جعلتني لا أقوي علي العيش لحظة بدونك وأنا التي كنت أخشي مجرد المرور جوارك...كيف عبثتَ كطفل شقيّ بأزرار روحي فأصبحت كالجهاز المعطل الذي لا يلتقط سوي موجات إرسالك...كيف صرتَ بهذه السرعة أقرب إليّ من خفقات قلبي...وأحبّ إليّ من روحي...؟!!!

صمت ثقيل ساد بينهما بعد همساتها الحارة...

حتي قطعه هو بسؤال لم تتوقعه أبداً:

_من كان هو يا جوري؟!!!

عقدت حاجبيها وهي تسأله بتوجس :

_من تعني؟!!



اشتعل صوته بلهيب غضبه وهو يهمس بحدة:

_ذاك الوغد الذي كنتِ ستفعلين فعلتكِ معه؟!!

شهقت بعنف ثم هتفت بألم وقد صدمها أنه لازال يفكر في هذا الأمر:

_يا إلهي!!! لماذا تذكر هذا الآن يا عمار؟!!! لماذا تعيد فتح دفاتر قديمة ستجرحنا معاً؟!!! لماذا؟!!!

هتف بسخط وقد روعه الألم الذي استشعره في صوتها:

_اعترفي لي إذن بكل شئ وسأغلق هذه الدفاتر للأبد....كيف تتصورين أن أصدق همساتك العاشقة هذا ولازال الشك يلعب بصدري تجاه هذا الأمر؟!!!



انتحبت بصوت مسموع وهي تشعر بالظلم...

عمار لا يصدق أنها تحبه بعد...

يريد اعترافها عما كان بينها وبين زياد...

لكنها لا تستطيع أن تخبره لأنها -ببساطة-لا تضمن ردة فعله...

عمار غضبه عاصف كبهر هائج وقد اختبرت ذلك من قبل ودفعت ثمنه غالياً...

وصلها هتافه الغاضب علي الهاتف :

_لماذا تبكين الآن؟!!! قولي الحقيقة التي تخفينها فحسب...

مسحت دموعها ثم همست بألم:



_لن أستطيع الاعتراف بهذا يا عمار...لأنني لا أضمن كيف ستتصرف...إذا أردتَ أن تصدق حبي فأعدك أنك لن تندم...وإذا أردتَ أن تظل علي شكّك فأعدك أن أبذل كل ما أستطيع حتي تصدقني...

لم يرد عليها سوي بزفرة حانقة...

فهمست بصوت مختنق:

_تصبح علي خير!!

أغلقت الاتصال بسرعة بعدها ليعاود هو الاتصال بها لمرات عديدة لكنها لم تجبه...

كانت تشعر بالمزيج من المشاعر هذه اللحظة...

ما بين شعورها بالذنب والترقب والخوف والندم....



وضعت كفها علي بطنها وهي تضغط علي شفتيها تحدث نفسها بألم:

_ماذا ستفعل إذن يا عمار لو علمتَ أنني لا أحمل طفلاً كما أخبرتك...؟!!!سامحني ...لقد فعلتها فقط لأستعيدك...

ظلت علي بكائها وتجاهلها لاتصالاته لما يقارب الساعة....

حتي وصلتها رسالته التي قرأت فيها غضبه واضحاً:

_ردي علي اتصالي وإلا سأعود حالاً وليكن ما يكون!!!

زفرت في يأس عندما عادت شاشة الهاتف تضئ برقمه...



ثم فتحت الاتصال ليأتيها صوته هاتفاً بلهفة أحرقتها:

_تبكين؟!!

ابتسمت رغم دموعها وهي تشعر بعاطفته تحتويها من جديد...

هذا هو عمار وهذا هو حبه الذي يطفئ بشلالاته نيران غضبه...

ليعود همسه الدافئ يداعب أذنها :

_لا تبكي أبداً وأنا بعيدٌ عنكِ...أنتِ لا تتصورين شعوري بالعجز وأنا غير قادر علي احتواء حزنكِ...اغضبي وابكي وتدللي كما تشائين عندما أكون معك...دعي خصامكِ لوقتٍ يمكنني فيه استرضاؤك بكل ما أملك...لكن لا تفعليها الآن...هل تفهمين؟!!!



تنهدت بقوة وهي تهمس بحرارة كادت تذيب قلبيهما معاً:

_أحبك يا عمار...والله أحبك....

====

_أعطها لجدي...فلم تعد لي!!!

لم تعد لي...

لم تعد لي...

ظلت عبارته تتردد في أذنها وهي غارقة بين طوفان دموعها وذكرياتها معه....

رفعت كفها حيث إصبعها لازال يحتضن دبلته التي تعلم أنها لن تقوي علي خلعها...

إذا كانت قد استطاعت خلع دبلته من إصبعه كما طلب منها...



فلن تستطيع فعل المثل مع دبلتها...

تلفتت حولها في أركان غرفتها وهي تشعر بالحسرة...

أين تهرب منه وكل شبر في هذا المنزل...

بل كل خلية في جسدها تحمل منه وشماً ...

ظلت تنظر لباب الشرفة الذي أبقته مفتوحاً...

ولا تعرف السبب...

بل تعرفه...

شئ ما بداخلها يتمني لو يدخل منه كما كان يفعل في كل مرة يتشاجران فيها ليحدثها من جديد...

عضت علي شفتيها وهي تنتحب بقهر...

حذيفة لن يعود...

ليس فقط لحياتها...



لكن لبيت العائلة كله...!!!

احتضنت دميته وهي تشعر بأنها تختنق...
عقلها يخبرها أنها اختارت الصواب...
حذيفة لم يكن أبداً صالحاً لها...
خاصة بعدما كادت تفقد نفسها بسبب فساده!!!

لكن قلبها يذبحها بعتاب دقاته...
إنه حذيفة يا ساري...
حذيفة الذي تغير لأجلكِ أنت وحدك...
حذيفة الذي تعلمين أن روحكِ معلقة بروحه...
حذيفة الذي ستظلين تبكينه عمركِ كله!!!!



ظلت علي حالها ممزقة كعهدها بين أفكارها ومشاعرها...

حتي شعرت أن روحها تكاد تزهق من فرط البكاء...

لم تشعر بنفسها وهي تتناول هاتفها لتتصل برقمه...

مرات عديدة لكنه لم يرد...

ومع هذا كانت تشعر بالسكينة فقط لأنها تشعر أنه لازال هناك خيط بينهما...

ولو مجرد رنة هاتف!!!

حتي انقطع صوت الرنات أخيراً...

فتح هو الاتصال لكنه لم يرد...

أغمضت عينيها بقوة وهي لا تستطيع الكلام...

بل ولا تريده...

لماذا إذن هاتفته...؟!!!!



لأنها تريد الشعور بأنه معها!!!!

ولماذا إذن تركته يطلقها؟!!!

لأنها لا تريده أن يكون معها!!!!

غريب؟!!!

لا...ليس غريباً...

هذا هو ما يفعله بنا هذا النوع القاسي من الحب...

عندما يتناحر القلب والعقل علي حبيب لا يليق...

فيشدنا كل منهما في اتجاه مضاد...

حتي نشعر أننا نكاد نتمزق بينهما!!!

وعلي الجانب الآخر من الاتصال لم يكن هو أفضل منها حالاً...



صورتها لم تغادر رأسه منذ تركها...

لقد ذبحته اليوم بفعلتها التي لم يتصور أبداً أنها قادرة عليها...

اقتلعته من حياتها بإصرار...

بصعوبة نعم...هو يدرك مدي شدتها...

لكنها فعلتها في النهاية!!!

ومع شعوره المتعاظم بجرحها لكرامته...

لم يستطع منع نفسه من الرد علي اتصالها...

ليفاجئه صمتها الذي يوقن أنه يخفي الكثير من الدموع...

قبض كفه بقوة وهو يقاوم رغبته العارمة في ضمها لصدره الآن...



في مسح دموعها بشفتيه كما كان يحلو له أن يفعل كل مرة كانت تبكي فيها معه...

في مشاكستها واسترضاء غضبتها بمزاحه ككل مرة...

لكنه للأسف لم يعد يستطيع...

ساري لم تعد له...

ولم يعد لها...

ظلا علي صمتهما علي الهاتف لما يقارب نصف الساعة...

وكلاهما عاجز عن الكلام...

كبرياؤه يمنعه...!!!



حتي كانت هي أول من قطعه وهي تتذكر عبارته اليوم أنه سيترك لها القيادة...

فعلمت أنه لن يبدأ بالكلام حتي تبدأ هي...

ضغطت علي شفتيها بقوة ثم همست بخفوت :

_حذيفة!

_نعم!

همس بها بعد لحظة صمت أخري وهو يحاول الحفاظ علي بروده ...

فهمست بصوت متقطع وأنفاسها تكاد تكون زاهقة وسط دموعها المنهمرة:

_ابق معي علي الهاتف هذه الليلة فقط ....حتي أسقط في النوم...هذه الليلة بالذات أصعب ليلة مرت عليّ...أرجوك...تحملني الليلة فقط وأعدك ألا أزعجك بعدها...



عقد حاجبيه وهو يشعر بصدمة من كلماتها...

وكأن واحدة أخري هي التي تتكلم...!!!!!

أين ذهبت قوتها وصلابتها وقناع كبريائها...؟!!!

همساتها المختنقة تشعره أنها تتنفس بصعوبة...

يكاد يري دموعها المتساقطة عبر الهاتف...

آه منك يا ساري!!!

آه مما فعلتِه بنا!!!

كم زعمتِ أنني قد جرحتكِ...

والآن رددتِ لي الجرح مضاعفاً...

ما أقساكِ يا حنونة القلب...

وما أبعدكِ يا قريبة الروح...

وما أظلمكِ يا قاضيّ وجلادي!!!!



زفر بقوة بعد صمته الطويل ليهمس وقد لان صوته نوعاً:

_أنا معكِ ....لن أغلق الخط حتي تفعلي أنتِ...

استلقت علي ظهرها تحتضن دميته وهي تتشبث بالهاتف علي أذنها هامسة بما يشبه الهذيان:

_قلبي يؤلمني ...يؤلمني جداً ...أشعر أنه سيتوقف...ليته حقاً يتوقف كي ينتهي كل هذا العذاب...

أغمض عينيه بألم وهو عاجز عن الرد...

هو يعلم أكثر من أي أحد قسوة شعورها الآن...

ربما لأنه يجد في صدره مثله...

لقد فعلتها ساري وجعلته يعرف الحب الذى لم يختبره يوماً...



جعلته يتنعم في ظلال جنانه وبساتينه...

ثم نزعته بقسوة من كل هذا لتلقيه في سعير من حمم الألم...

وليته كان ألمه وحده...

بل ألمه بها هي الأخري...

هي التي يعلم أنها لازالت تتمزق بين قيود عقلها وجنون قلبها...

تتمزق وتمزقه معها!!!!!

عاد هذيانها يكوي روحه وهي تتمتم بلا وعي:

_غداً سأكون بخير...سأستيقظ من نومي ناسية كل شئ...وربما أرتدي ثوباً وردياً لأقنع نفسي أنني لازلت أنثي...سأمشط شعري وأرفعه كذيل حصان علي جانب رأسي كما تحبه...



وستتهادي خطواتي بحذاء ذي كعب عالٍ بصوت يرن علي أرضية غرفتي يتوافق مع دقات قلبي الحالمة...والتي يعدها الغد بحلم جديد وحب جديد....

عقد حاجبيه بشدة وهو يخبط بكفه علي الفراش جواره...

لا يعرف بم يرد عليها...

لكن قلبه سقط بين قدميه وهو يسمع نحيبها الذي علا صوته كثيراً:

_كاذبة...أنا كاذبة...كاذبة يا حذيفة...أنا لن أكون أبداً بخير...قلبي لن يدق بعدك إلا ليبكيك...فأي غدٍ وأي حب ينتظرني وقد كنت أنت الغد وكنت أنت الحب؟!!!!



دمعت عيناه وهو يتمني الآن لحظة واحدة....

واحدة فقط...

يضمها بين ذراعيه يحتوي كل هذا الألم الذي يشعر به يخنقها ويخنقه معها....

لحظة واحدة تعود فيها كما كانت طوال عمرها قبل اليوم....

ملكه....له...باسمه...!!!

لحظة واحدة تضع فيها كفها علي صدره أمام قلبه...

لعلها تصدق أنه حقاً تغير لأجلها...

ولن يعود أبداً كما كان...

لحظة واحدة وليكن بعدها ما يكون!!!!!

ازدرد ريقه ببطء وقد شق عليه الصمت أكثر فهمس بصعوبة:



_ساري...ستكونين بخير ...فقط اهدئي ونامي ...قد لا أدري ما الذي يحمله لكِ الغد...لكنني واثق أن القدر يدخر لقلبك الطيب ما يستحقه...

بدا له وكأنها لم تسمعه فقد عادت لهذيانها الذي يدرك مدي صدقه حتي وهي لا تتعمده .....

لتعود هي تهمس بمنتهي الألم:

_كل ما حولي يلومني يا حذيفة...دميتك التي في حضني وخاتمك الذي في إصبعي وذكراك التي صبغت الهواء حولي ...حتي نسائم الهواء في شرفتي..فماذا أفعل وأين أهرب...لا تظنني قد ندمت علي فعلتي...لقد استمعت لصوت عقلي أخيراً...لكنني فقط ....آآآآه.....آآآآه....يا وجعي يا حذيفة...يا وجعي!!!



ظلت تتمتم بكلمتها الأخيرة مرات عديدة متتابعة....

حتي تلاشي صوتها تدريجياً....

وضع كفه علي عينيه يمنع نزول دمعه علي صفحة وجهه...

حذيفة النجدي لا يبكي...

ولو أنها ساري وحدها تستحق دموعه...

من سواها تستحقها؟!!!

تأوهاتها الحارة التي يبدو وكأن روحها تزهق معها تخترق قلبه كرماح مسمومة....

لكنه خالي اليدين معها...

ماذا عساه يفعل...

هو ترك لها الاختيار وهي اختارت!!!



ظلا علي صمتهما بعدها للحظات طويلة...

حتي تمالك نفسه ليهمس بخفوت:

_ساري...هل نمتِ؟!!

لم يصله ردها ومع هذا ظل متشبثاً بالهاتف لدقائق لم يدرِ عددها...

وكأنه يتشبث بها هي نفسها معه....

حتي وصله صوت فريدة الحزين تهمس بخفوت:

_ساري نامت أخيراً يا بني...لقد سمعت صوت بكائها وعلمت أنها تهاتفك ...وعندما طال صمتها دخلت لأطمئن عليها فوجدتها قد نامت وهي متشبثة بالهاتف...كعادتها منذ صغرها تهرب بالنوم من حزنها...



ازدرد ريقه ببطء ثم قال لها بصوت مختنق:

_اعتني بها جيداً يا عمتي...سأهاتفكِ أنتِ غداً لأطمئن عليها....

أغلقت فريدة الاتصال معه ثم ربتت علي شعر ساري برفق حنون...

قلبها الذي تشبع من صدمات القدر ظل علي صموده هذه المرة أيضاً...

كل بنت من بناتها حكاية ألم وحدها...

ومع هذا هي تثق أن الله لن يخيب رجاءها فيهن...

لعلها مجرد مِحن لتصقل المعدن النفيس لكل واحدة منهن..

لكنها في النهاية ستضع قدميها علي طريق الصواب...



فبرغم كل شئ هي سعيدة لأن بناتها قد بدأن التحرر من قيد الجواري...

وهذا وحده بداية طريق!!!

====

أعادت آسيا الأريكة مكانها بعيداً عن الفراش....

ثم جلست عليه تلتقط أنفاسها اللاهثة عندما سمعت طرقاته علي الباب...

دخل مبتسماً يلقي السلام لكنه ما لبث أن عقد حاجبيه بشدة وهو يري الأريكة في مكانها القديم...

فهتف بضيق:

_لماذا فعلتِ هذا بنفسك؟!!! أنتِ لازلتِ مريضة...

قامت لتقف قبالته مبتسمة تقول بنبرتها القوية الجديدة:



_لم أعد مريضة...سأعود لغرفتي الآن...وأردت أن أترك الغرفة كما كانت قبل مجيئي..

هز رأسه بضيق وهو يفهم مغزي عبارتها الأخيرة...

آسيا شديدة الحساسية كما يبدو...

تخاف أن يسيئ معاملتها كما فعل من قبل لو أحس أنها قد أخذت مكان سمية...

لكن ما لا تعرفه أنه لا امرأة ستأخذ مكان سمية أبداً...

حتي لو اعترف لنفسه بمشاعر جديدة نحو آسيا...

مشاعر إعجاب حقيقية...

لكن سمية ستبقي لها مكانتها بقلبه دوماً!!!



عدلت حجابها علي رأسها ثم قالت برقة:

_تصبح علي خير يا جسار...آن لك أن تستريح من النوم علي الأريكة...شكراً علي اعتنائك بي...

قالتها ثم أعطته ظهرها لتنصرف...

لكنه أمسك ذراعها يستوقفها....

فالتفتت إليه ليقربها منه هامساً بحنان:

_أنا الذي أشكركِ علي اعتنائكِ بي وبالصغير طوال تلك الفترة...أنتِ هدية القدر لي يا آسيا...

ابتسمت في رقة تليق بها...

فربت علي وجنتها هامساً بحزم حنون:

_أنتِ لم تتعافيْ تماماً بعد...لهذا تدثري بغطائكِ جيداً...وأغلقي جميع النوافذ...



أومأت برأسها إيجاباً وقد اتسعت ابتسامتها الممتنة...

ظلت تنتظر إليه تنتظر أن يفلت ذراعها أو يرفع كفه من علي وجنتها لكنه لم يفعل...

بل بقيت نظراته متشبثة بنظراتها بما جعل شعورها نحوه يزداد يقيناً...

جسار بدأ الشعور بها كامرأة...

بعيداً عن آسيا الغريبة التي نبشت قبور الماضي وجرت قدميه للثأر القديم...

الآن تبصر نفسها بعينيه أميرة...

أميرة تستحق كل الدلال والاهتمام...

ومن يدري...ربما الحب!!!!

مدت أناملها ببطء تربت علي راحته المحتضنة لوجنتها ...

ثم همست بخجل:



_دعني أرحل الآن حتي تتمكن من النوم قليلاً قبل السحور.

تقدم منها خطوة ثم قبل جبينها بعمق هامساً:

_تصبحين علي خير.

ابتسمت بمزيج من الخجل والحب..

ثم لوحت له بكفها مودعة قبل أن تغادر الغرفة بخطوات خفيفة كالفراشة...

أو هكذا كان هو يراها!!!

بينما ذهبت هي إلي غرفتها ليتلقاها ياسين الصغير بعاصفة من الأحضان والقبل...



ضمته إلي صدرها بقوة ثم قضت معه ما يقارب الساعة تحكي له حكاياته المفضلة...

حتي غلبهما النوم...

لم تدرِ كم مضي من الوقت ...

لكنها استيقظت فجأة علي صوت سارينة الشرطة بالخارج...

شهقت بعنف وهي تنفض الغطاء عنها لتتوجه نحو باب الغرفة...

ولم تكد تفتحه حتي وجدت جسار أمامها ووجهه ينبض بالغضب...

ارتجف جسدها وهي تهمس بخوف:

_ما الأمر يا جسار؟!!!



بقي وجهه علي غضبه للحظات...

ثم لانت ملامحه وهو يسحبها بين ذراعيه ليضمها بقوة ...

ازدادت ارتجافة جسدها وهي تشعر أن الأمر ليس هيناً...

فربت علي ظهرها قائلاً:

_لا تخافي يا صغيرتي....لن يمسكِ سوء ما دام في صدري نفس يتردد...

رفعت رأسها إليه بتساؤل...

فأشاح بوجهه قائلاً بقسوة لم يتعمدها:

_أبناء عمومتكِ هنا علي باب المزرعة ...مع قوة من الشرطة يطلبون الإذن بالدخول...



الفصل الثاني والعشرون:

_سآتي معك!!

هتفت بها آسيا بقوة أمام جسار الذي هتف بدوره:

_لا...لن أخاطر بظهوركِ الآن...دعيني أرَ نيتهم أولاً...

تشبثت بذراعه وهي تهتف بنفس النبرة القوية المستحدثة عليها:

_بل سأواجه مصيري معك...ألم تعدني أن تروض ضعفي حتي أنطلق كفرس جامحة...؟!!! لا تخف عليّ يا جسار...الكريستالة لم تعد هشة كالسابق...سأتقبل نتيجة قراري وليكن ما يكون...



عقد حاجبيه بقلق يمتزج بالتردد..

هو لا يريد أن تواجههم الآن...

يخاف عليها فورة غضبهم الأولي...

لكنها محقة...

هي تحتاج لهذه المواجهة...

تحتاج لأن تتخلص من ضعفها وخوفها....

تحتاج لاسترداد حقوقها وهويتها ...

بل ...وحياتها كلها!!!

لهذا أشاح بوجهه في ضيق ...

لكنها ربتت علي كتفه وهي تقول برقة لا تخلو من حزم:

_لا تتردد يا جسار...أحضر فقط قسيمة الزواج ودعنا نواجه

الموقف معاً!!!



نظر إليها نظرة طويلة حملت لها كل مشاعره في هذه اللحظة...

فمنحته ابتسامة مطمئنة وهي تعيد التربيت علي كتفه...

ضمها إليه بقوة للحظات...

ثم تشبث بكفها حتي هبطا الدرج نحو صالة المنزل ...

حيث كان هناك عمه كساب مع حمزة وياسين ...

وجوارهم كان هناك ضابط شرطة يرمق العم كساب بنظرات متحفزة...

تحاشت آسيا النظر إلي ياسين وحمزة...

واكتفت بإطراقها الصامت تتمالك به بعض قوتها...

بينما تقدم جسار بقوة ممسكاً كفها ....



ومتجاهلاً حمزة وياسين بدوره حتي وصل إلي الضابط فقال بثبات:

_أنا جسار القاصم...ما الأمر يا سيدي؟!!

تبادل حمزة وياسين نظرات غاضبة عندما طالعهما مظهره المسيطر وهو يأتيهم ممسكاً بكف آسيا...

وكأنه يعلن ملكيته لها...

هنا لم يتمالك ياسين -الهادئ بطبعه -نفسه ليجد نفسه يندفع بحدة جاذباً آسيا من ذراعها ...

وهو يقول لجسار بعنف:

_دعها أيها الحقير...لو كان لك ثأرٌ فكن رجلاً وخذه من رجل مثلك...لكن لا تستقوِ علي امرأة!!!

شهقت آسيا رغماً عنها وجسدها يرتجف تلقائياً...

لم ترَ ياسين من قبل غاضباً هكذا...



فكزّ جسار علي أسنانه وهو يجذبها برفق ليخفيها خلف ظهره رامقاً ياسين بنظرة زاجرة...

وقد أنبأه رد فعله عمّن يكون حتي قبل أن يفصح عن هويته...

لا ريب أنه عاشق الطفولة الذي تخلي عنها كما حكت له يوماً...!!!!

أخذ نفساً عميقاً ثم عاود الالتفات نحو الضابط قائلاً ببرود مشتعل:

_لا أدري عن أي ثأر يتحدث هذا...آسيا النجدي زوجتي علي سنة الله ورسوله...

اتسعت عينا ياسين بصدمة بالغة وهو ينظر لآسيا بذهول...



لكنها أغمضت عينيها بقوة للحظة ثم تجاهلته تماماً وهي تتقدم خطوة لتقول للضابط بثبات:

_نعم يا سيدي...أنا زوجته ومعنا قسيمة الزواج...

عقد الضابط حاجبيه بتفحص وهو يدقق النظر في وثيقة الزواج الرسمية التي أعطاها له جسار...

ثم قال بعد لحظات:

_هكذا يكون الأمر عائلياً بحتاً ولا داعي لتدخل الشرطة....

ثم التفت نحو ياسين قائلاً باحترام:

_سأنتظركما مع القوة الأمنية بالخارج ريثما تنهون التفاهم الذي أتعشم أن يكون هادئاً....



أومأ ياسين برأسه بلا وعي وهو لايزال غارقاً في صدمته حتي غادرهم الضابط...

ثم التفت نحو آسيا يسألها بدهشة تمتزج باللوم:

_تزوجتِه يا آسيا؟!!! كيف ولماذا؟!!!

اشتعل صدر جسار بالغيرة التي لم يعد ينكرها وهو يقول بصرامة قاسية:

_لا شأن لك بها...فليكن كلامك معي أنا...

رمقه ياسين بنظرة مشتعلة وهو يهتف بحدة:

_ماذا فعلتَ لها كي تجبرها علي هذه الزيجة؟!!!

كاد جسار يرد عليه بحدة مشابهة لولا أن وقفت آسيا بينهما لتلتفت نحو جسار بنظرة استئذان صامتة...

تلقاها هو بضيق صامتاً للحظات ....

ثم أشاح بوجهه في شبه رضا...!!!!



فتمالكت نفسها لتلتفت نحو ياسين قائلة بقوة غريبة علي طبعها الذي كان يعرفه:

_جسار لم يجبرني علي شئ...أنا تزوجته بإرادتي...وأعتقد أنها فرصة مناسبة لتخطي العداوة بين العائلتين وإغلاق قصة الثأر هذه للأبد....أنا اخترتُ طريقي بنفسي وسأكمله للنهاية...

نظر إليها ياسين بذهول...

هذه ليست آسيا !!!!

آسيا التي كبرت معه منذ الصغر وكبر معها شعورٌ كان يظنه حباً...

والآن ....لم يعد!!!!

آسيا التي يعرفها لم تكن لتتحداه هكذا علانية وسط الجميع...



هذه هي ملامحها التي يحفظها عن ظهر قلب...

لكن هذا ليس كلامها...

ولا هذه طبيعتها...

هذه امرأة لم تعد كآسيا!!!!!!

بينما كان حمزة أكثر تماسكاً وتمالكاً لغضبه حيث تقدم من جسار ليقول بنبرة أكثر هدوءاً:

_أريد أن أفهم كيف تم هذا الزواج يا سيد جسار؟!!!ولماذا تعمدتما إخفاء الأمر وتلفيق تلك القصة عن انتحار آسيا؟!!!

رمقه جسار بنظرة طويلة متفحصة...

لقد علمته الحياة كيف يزن الرجال بموازينهم...

وهذا الرجل يبدو عاقلاً ومحل ثقة...



لهذا سأله بنبرته القوية المسيطرة:

_أخبرني من أنت أولاً؟!!

واجهه حمزة بنظرات لا تقل عنه قوة مع احتفاظه بنبرته الهادئة:

_أنا حمزة النجدي...أكبر أحفاد قاسم النجدي...وهذا يعني أن حسابك القديم كان معي أنا...ليس هذا فحسب...لكن حسابك الجديد كذلك...لأن آسيا كانت في حكم خطيبتي...لهذا أوكل إليّ جدي التصرف في الأمر كاملاً كما أرتئيه....

عقد جسار حاجبيه بتفحص يحاول استقراء ما يخفيه حمزة خلف كلماته...

وكذلك فعل حمزة الذي كان يشعر أن جسار القاصم لغز كبير...

وليس مجرد رجل منغلق التفكير علي قضية الثأر القديم...



لأنه لو كان الأمر كذلك لما تزوج آسيا رسمياً حتي لو كان قد أغواها...

بل إنه يبدو الآن بتشبثه بها وإخفائه لها خلف ظهره وكأنه يحميها منهم وليس العكس!!!

لهذا لم يتعجب عندما قال جسار أخيراً بنبرة قاطعة:

_لن أتحدث عن ماضٍ فات ولن يفيد في شئ...آسيا الآن زوجتي ولن تغادر هذه المزرعة أبداً...القانون الآن في صفي...لكن لو أردتم اللجوء للقوة فهي لا تنقصني.... لو كنت تعلم شيئاً عن جسار القاصم لفهمت أن الأمر منتهٍ تماماً...

ثم تشبث بكف آسيا أكثر ليردف بنبرة أكثر صرامة:

_خاصة أن آسيا توافقني علي قراري..



كز ياسين علي أسنانه وهو يشعر بالغضب...

لا...لم تكن غيرة علي محبوبة الصبا...

بل شعور بالعجز أمام هذا العملاق الذي يتحدث بكل قوة وسيطرة...

وكأن الأمور كلها بيده...

لكن الحقيقة أنها حقاً كذلك...!!!!!

كل الخيوط صارت بين أصابع جسار القاصم...

الثأر القديم...والفضيحة الجديدة المغلفة بوثيقة زواج!!!

ويبدو أن آسيا-للعجب-تؤيده فيما يفعله...

أم تراها مجبورة؟!!!

جعله هذا الخاطر يتصدي لجسار هاتفاً بصرامة:

_أريد التحدث مع آسيا وحدها...



اعتصر جسار كف آسيا في يده رغماً عنه وهو يكز علي أسنانه ...

هذه هي المرة الأولي التي يتملكه فيها وحش الغيرة بهذه الصورة...

لو لم يتمالك نفسه بقوة الآن فستكون النتيجة كارثية...

لهذا خرج صوته مشتعلاً بنبراتٍ حادة وهو يقول ببطء ضاغطاً علي حروفه:

_ومن أنت كي أسمح لك بالحديث مع زوجتي وحدكما؟!!!

اشتعل غضب ياسين أكثر وهو يهتف بحدة غريبة علي طبعه الهادئ:

_من أنا؟!!!! أنت الذي تمنعني عنها وتسألني من أنا؟!!!



اندفع حمزة يقف بينهما وهو يربت علي كتف ياسين مهدئاً...

هل هذا هو ياسين الهادئ العاقل الذي اختار صحبته؟!!!

حمداً لله إذن أنه لم يصطحب حذيفة أو عمار...

كانت لتصير بحور دم هنا؟!!!!!

دمعت عينا آسيا رغماً عنها وهي تشعر بالضعف يتسلل إليها...

فالتصقت بجسار أكثر ترمقه بنظرة غريبة...

مزجت كل عاطفتها نحوه برجاء حار...

وقد كان لنظرتها هذه مفعول السحر...

وكأنها كانت برداً وسلاماً علي نيران غضبه كلها...



الآن فقط لا يمكنه إنكار شعوره نحوها...

هذه الغيرة التي كادت تكوي ضلوعه بقسوة...

والتي نسفتها هي بنظرتها هذه...

وهذا الإحساس القوي الذي يتملكه الآن برغبته في حملها بعيداً عن هنا...

ليعيدها لغرفته حيث لا أحد سواه يراها ...

ولا أحد غيره يملك سلطاناً عليها!!!

مع زخّاتٍ أخري من مشاعر تتخلل كل هذا...

تحضّه الآن لاحتضانها برفق...

للتربيت علي رأسها حتي يهدأ كل هذا الخوف الذي يسكن عينيها...

لتقبيل رأسها بكل فخر...

فخر أبٍ يري ابنته تتجاوز محنتها بكل قوة...

لترفع رأسه كما ينبغي.



لقد نجحت فرسه التي طالما أرّقه ضعفها أخيراً...

عبرت حواجز الخوف والتردد والضعف...

وآن الأوان أن تنطلق حرة جامحة بلا قيود...

نعم...الكريستالة صارت تعرف جيداً قيمتها ...

بعدما تغلبت علي عقدة هشاشتها العتيقة!!!!

لهذا ابتسم لها في حنان يمتزج بالفخر وهو يضغط كفها في راحته...

عندما التفت إليه حمزة ليقول بحزم رفيق:

_أنا الذي أريد التحدث مع آسيا وحدنا...أعتقد أن هذا من حقي...فأنت الذي اعتديتَ علي خطبتي لها ...وأريد أن أطمئن أنها ليست مجبورة علي البقاء هنا...



عقد جسار حاجبيه بغضب وهو يهم بالاعتراض...

لكن عمه ربت علي كتفه بإشارة موحية...

ثم قال لآسيا برفق:

_اذهبي مع ابن عمكِ لهذه الغرفة يا ابنتي...

تشبث جسار بكف آسيا يمنعها وهو يرمق عمه بنظرة مستنكرة...

لكن العم كساب أردف بلهجة قوية:

_الباب سيبقي مفتوحاً ونحن سنبقي هنا نراقبكما من بعيد...

عقد حمزة حاجبيه بضيق وهو يقول باستنكار:

_ما الذي تظنني سأفعله بها ؟!! هل نسيت أنها ابنة عمي؟!!!



هز كساب رأسه وهو يقول بشبه اعتذار:

_أنا أعرف أنك لن تؤذيها يا بني...لو كنتم تريدون ذلك لما حضرتم مع قوة الشرطة...لكنني أقول هذا لأجل جسار...هو شديد القلق علي زوجته ويحق له هذا...

نقل حمزة بصره بين جسار وآسيا بتفحص...

آسيا تبدو شديدة التعلق بجسار حقاً...

إنها تكاد تلتصق به وكأنها تحتمي به -هو -منهما!!!!

وهذا غريب...

فحتي لو كان هو -حمزة- بعيداً عن نفسها بحكم غربته الطويلة...

ياسين ليس كذلك!!!

ما فهمه أنها كانت تحب ياسين حد الجنون...



فكيف تبدل حالها هكذا فجأة ليكون ارتباطها بجسار هذا أقوي من حبها لياسين؟!!!!

لابد أن يفهم من آسيا نفسها كل شئ...

هي الوحيدة الآن التي سترجح أحد كفتيّ الميزان...

إما أن تنتهي العداوة بين العائلتين وتغلق دفاتر الثأر هذه للأبد...

وإما أن تكون ناراً تتأجج من جديد لتأكل في طريقها الأخضر واليابس...!!!!

لهذا تصدي لجسار بقوة تليق بحفيد قاسم النجدي...

ليقول له بلهجة محايدة:

_حسناً يا جسار...سأتحدث مع آسيا وحدنا...في المكان الذي تقترحه أنت....



رن الجرس في منزل رياض فقام ليفتح الباب بترقب...

شهق بدهشة لم تلبث أن تحولت لفرح شديد وهو يهتف بحرارة:

_زياد !!! حمداً لله علي سلامتك يا بني...!!!

احتضنه زياد بقوة ثم هتف بجزع :

_كيف حال أمي الآن؟!!! لقد حجزتُ علي أول طائرة عندما علمتُ بمرضها!!!

اتسعت عينا رياض في إدراك وقد فطن لحيلة صفية في إعادة زياد إلي هنا في هذا التوقيت بالذات...

لعله يدرك فرصته بالزواج من مارية...

بعد عرض حمزة النجدي لخطبتها...



والحقيقة أنه هو الآخر يتمني هذا لولا أن قلبه يخبره أن مارية قد حسمت قرارها بهذا الشأن...

وأن اعتراضها السابق علي طلب حمزة النجدي أمامه...

لم يكن سوي عتاب رقيق تبعه استسلام لعرضه...

كما أحس هو من رد فعلها بعد هذا!!!

قطع زياد أفكاره وهو يلقي حقيبته جانباً ليهتف بلهفة منادياً:

_أين أمي؟!!! أمي!!!

اندفعت صفية نحوه من المطبخ لتضمه بحرارة هاتفة بسعادة واضحة:

_حبيب قلبي يا زياد...لم تخيب ظني في قيمتي لديك!!!



ابتعد عنها قليلاً ليتفحص وجهها قائلاً بقلق:

_ماذا بكِ يا أمي؟!! لقد كدتُ أجنّ قلقاً!!!

رمقها رياض بنظرة عاتبة أطرقت هي علي إثرها برأسها إلي الأرض...

ثم توجه نحو زياد ليربت علي كتفه قائلاً بهدوء:

_لا تقلق يا بني...كلنا بخير...اذهب أنت واسترح في غرفتك...

عاد زياد يرمق صفية بقلق...

فضمته إليها من جديد لتقول بحنان:

_استمع لوالدك يا بني...اذهب واسترح...وعندما تستيقظ سيكون لنا حديث طويل!!!

===



وقفت رقية في شرفة غرفتها ممسكة بهاتفها في ترقب...

قلبها يكاد يتوقف قلقاً علي ياسين وهي لا تدري عواقب هذه الزيارة الرهيبة...

لقد هاتفها الضابط الذي اصطحبه -بتوصية من أحد أصدقاء والدها -منذ قليل...

وأخبرها بأمر زواج آسيا من جسار القاصم...

ولعل هذا ما هدّأ توترها نوعاً...

لكنها لا تزال قلقةً بشأن تبعات هذا الأمر...

كيف سيكون رد فعل قاسم النجدي عندما يعلم عن هذا؟!!!

وهل سيكون هذا الزواج نهاية للعداوة بين العائلتين؟!!!

أم أنه سيزيدها أكثر؟!!!



وكيف ستكون مشاعر ياسين عندما يري آسيا من جديد؟!!!

آسيا حبيبة طفولته وصباه...

والتي كبر حبها معه وتضافر مع سنوات عمره!!!

هل سيتحرك سطح حبهما الراكد عندما تعانق عيناه ملامحها ثانية...

أم أن حبه -المزعوم-لها سيصمد أمام هذا التحدي؟!!!!

وما هو شعوره الآن وهو معها؟!!!

هل تمزقه أنياب الغيرة وهو يراها قد تزوجت غيره؟!!!

أم أنه علي العكس يشعر بالارتياح لأنه تخلص من تأنيب ضميره بشأنها؟!!!!



هل يندم لأنه لم يكن قوياً بما يكفي ليتصدي لجده منذ البداية ويطالب بحقه في حبيبته؟!!!

أم أنه الآن أدرك أن ما بينهما لم يكن حباً حقيقياً كما كان يقول لها؟!!!

وضعت كفها علي جبينها وهي تشعر بقلقها يكاد يخنقها...

فتهاوت جالسةً علي كرسيها وهي تعاود النظر إلي هاتفها بترقب هامسة :

_لا تخيب ظني فيك يا ياسين...

==

جلس حمزة علي أحد الكراسي جوار آسيا بينما وقف جسار قابضاً كفيه بغضب جامد يراقبهما من بعيد...



أومأت له آسيا برأسها في إشارة مطمئنة لكنه بقي علي حاله من التوتر والقلق...

وفي مكانها التفتت آسيا نحو حمزة تقول بتماسك:

_حمداً لله علي سلامتك يا حمزة...

رمقها حمزة بنظرة عاتبة وهو يقول بهدوء لائم:

_كنت أتمني أن أعود في ظروف أفضل من هذه...لا أن أرجع لأجد كارثة في انتظاري...

رفعت رأسها بكبرياء لتقول بقوة حقيقية لا تدعيها:

_الكارثة بدأها جدي منذ زمن ....عندما قرر مصيرنا نحن بنات سعد النجدي كما الجواري...أنا أعترف أنني أخطأتُ بالهرب...ولولا شهامة جسار ربما كنتُ نلتُ مصيراً أسوأ من الموت...لكن ما دفعني للهرب هو شعوري بأنني بلا قيمة...بلا ثمن...مجرد قطعة أثاث يتصرف بها قاسم النجدي كما شاء....



أومأ حمزة برأسه في تفهم...

ثم نظر إليها بتفحص ليسألها:

_لماذا تزوجتِ جسار؟!!!

تنهدت في حرارة ثم قالت بهدوء:

_أنا أثق بك يا حمزة...لهذا سأخبرك بالحقيقة كلها...لعلنا نصل لحلٍ في هذه الأزمة يضمن سلامة الجميع...

وأولهم جسار وابنه...لأن هذا أقصي ما يعنيني...

هز رأسه فيما يشبه الوعد...

فاندفعت تحكي له كل شئ عن جسار منذ التقاها أول مرة غريبة وحيدة في الطريق...

وكيف كانت شهامته ومروءته معها طوال تلك الفترة...



ثم حكت له باقتضاب تفاصيل التعدي الوقح لمصطفي عليها...

وكيف أنقذها جسار منه بإتمام هذا الزواج كي يحفظ لها كرامتها ويحميها....

ليس فقط من ألسنة الناس...

بل ومن عائلتها نفسها لو اقتضي الأمر!!!!

كان حمزة يستمع إليها مصدوماً...

عندما أردفت هي بحرارة:

_لو كانت آسيا النجدي تعني شيئاً لديكم فاعلم أن جسار هو الذي حفظها لكم...أنتم مدينون له بحياتي وشرفي وكرامتي وليس العكس...طوال أيامي السابقة هنا وهو يحافظ عليّ حتي من نفسه...ودون أي انتظار لمقابل...صدقني يا حمزة...



جسار رجل نبيل حقاً..لقد ابتعد بنفسه هنا في هذه المزرعة حتي لا يريق المزيد من بحور الدم...اختار أن ينسلخ من جلده...من أهله وبلده...حتي لا تتلوث يداه بالدم...وحتي يقطع حبال العداوة بين عائلتينا...لم يكن ذنبه أن وضعني القدر في طريقه من جديد بهذه المصادفة الغريبة...لكنه مع هذا لم يقدم لي سوي كل خير...

صمت حمزة للحظات يستوعب كلامها السابق ببطء....

لو صدقت آسيا...

وهو يظنها كذلك!!!

فهذا يعني حقاً أن جسار هذا حالة خاصة من الرجولة الحقيقية...

هم المدينون له

بصنيعه مع ابنتهم ..



وليس العكس!!!

وقد أكدت آسيا علي فكرته عندما أردفت بخفوت يمتزج بالخجل:

_سأخبرك سراً لكن لا تطلع أحداً عليه...أنا أبوح به لك أنت فقط كي تعرف أي رجلٍ عظيمٍ هو...زواجي به ليس حقيقياً...مجرد ورقة لحمايتي من أي أحد...وقد وعدني بإطلاق سراحي متي أحب...

اتسعت عيناه بدهشة للحظة....

..ثم التمعتا بإعجاب واضح...

وبعدها افترّ ثغره عن ابتسامة صغيرة وهو يقول لها باحترام واضح:

_يبدو أنه رجلٌ بحق!!!



ابتسمت آسيا بشرود وهي تهمس :

_وأكثر يا حمزة!!!

هز رأسه في تفهم...ثم قال لها بإعجاب:

_أنتِ أيضاً كريستالة العائلة كما كانت تدعوكِ عمتي فريدة...رغم غضبي الشديد من فعلتكِ الشائنة بالهروب...لكنكِ استطعتِ كسر القيود التي أحاطوكِ بها لتنتزعي حريتكِ من جديد...

اتسعت ابتسامتها وهي تقول بامتنان:

_لم أكن لأفعلها وحدي صدقني....لولاه هو ...هو الذي منحني كل الدعم والقوة لأصمد وأواجه...هو الذي روض ضعفي كما كان دوماً يخبرني ...عندما أشعرني أن اختياري مهما كان سيكون مدعوماً بقوته خلف ظهري...لهذا سأبقي طوال عمري مدينة له بهذا...



أطرق حمزة برأسه لحظات يفكر...

هكذا تغيرت الأمور تماماً...

جسار لم يعد عدواً للعائلة...

لكن تبقي المشكلة في إشهار هذا للجميع...

وتبرير عودة آسيا للحياة بعد كل هذا الوقت ...

والأهم...إقناع قاسم النجدي بكل هذا!!!

لكن....لا بأس!!!

سيتكفل هو بالأمر ...

المهم الآن أنه اطمأن علي آسيا...

وهدأ قلبه من ناحية الثأر القديم...

لهذا قام واقفاً ثم قال لآسيا برفق:



_لا تحملي هماً يا آسيا...أعدكِ أن أقف بجانبكِ حتي تتجاوزي كل هذا...

وقفت بدورها وهي ترمقه بامتنان ...

كم كانت تحترم حمزة من صغرها...

والآن تحترمه أكثر...

لقد وضعت له الأقدار دور البطولة الثانية في حياتها بعد جسار...

وظنها أنه لن يخذلها...

لهذا ابتسمت وهي تقول له بمودة حقيقية:

_أنا محظوظة حقاً لأن جدي أوكل الأمر إليك...أنت هدية القدر لهذه العائلة....

هز حمزة رأسه وهو يتوجه ببصره نحو جسار الذي كانت نظراته الآن مشتعلة علي أقل تقدير...



وهو يراقبهما من بعيد...

فأدرك بحدسه أن أسد آل القاصم يشعر الآن بالغيرة علي زوجته...

لهذا غادر الغرفة بخطوات ثابتة ليتوجه نحوه قائلاً بهدوء:

_حسناً يا جسار...آسيا أطلعتني علي حقيقة الوضع...وأعدك أن تتم تسوية الأمور في أقرب وقت...

نظر إليه جسار طويلاً في تفحص لا يخلو من توجس...

فمد له حمزة كفه مصافحاً في إشارة واضحة....

تلقاها جسار بفطنته فأومأ برأسه ثم صافحه بدوره....



كان ياسين يراقبهما بذهول...

لا يدري ماذا حدث كي تنقلب الأمور فجأة هكذا....

لكنه يثق بعقل حمزة وقدرته علي إدارة الأمور...

التفت نحو آسيا التي كانت واقفة هناك عند باب الغرفة تراقب الموقف بدورها...

لتلتقي عيناهما في نظرة طويلة حملت مشاعر كل منهما للآخر...

نظرته كانت تحمل اعتذاراً طويلاً علي خذلانٍ لم يتعمده لهذا الذي ظنه حباً ...

والآن بعد غزو رقية الهاشمي لحياته يدرك أنه حقاً لم يكن كذلك!!!!

نظرته كانت تمنحها الحنان الذي منحه لها طوال عمره...

وسيبقي كذلك ما دامت تحتاجه...



لكنه لن يغلفه -بعد-بوهم الحب!!!

نظرته كانت تتعهدها بتقديم كل ما يستطيع لها...

ليس لأنها حبيبته...

لكن...لأنها ابنة عمه الغالية التي ستبقي لها مكانتها في قلبه مهما حدث!!!

ولأن نظرته كانت صادقة ...

فقد وصلتها كل هذه المعاني مباشرة دون حاجة لتأكيد...

نظرات ياسين دوماً كالمرايا لديها...

تري فيها كل ما بداخله دون شك ودون حيرة!!!!

بينما كانت نظراتها هي نحوه مختلفة...



لم تكن عاتبة كما كان يظن...

بل كانت قوية واثقة متشحة بعاطفة لم يعد يراها عشقاً...

ولا هي كذلك!!!

بل كانت أقرب للمودة والاحترام لذكرياتٍ حفرت مكانها في ماضي القلب ...

لكن لم تعد ترتقي لأن تكون حاضراً أو غداً...

نظراتها كانت تخبره بوضوح أن آسيا -القديمة- تغيرت...

عادت أقوي وأكثر صلابة مما كانت...

ولعل هذا ما يطمئنه عليها...

وينسف جبال شعوره القديم بالذنب نحوها!!!



لهذا ابتسم لها أخيراً بشحوب...

ثم تقدم نحو جسار وحمزة الذي قال له بحزم رفيق:

_صافح جسار يا ياسين...لقد أغلقنا صفحة الثأر القديم للأبد...

تجاهل ياسين أمره وهو يقلب بصره بين جسار وآسيا بتفحص...

ليكتسي صوته بمزيج من الحيرة والعجز وهو يقول:

_وآسيا؟!!! ألن نعود بها؟!!!

تجاهله جسار تماماً هو الآخر متحاشياً النظر إليه وهو يقول لحمزة بخشونة مسيطرة:

_زوجتي لن تغادر المزرعة حتي أطمئن تماماً لحقيقة الوضع...ولن تخطو خطوة واحدة دوني!



كان يضغط علي حروف كلمة "زوجتي" وكأنه يستنكر أن يناديها ياسين باسمها المجرد....

فابتسم حمزة بإعجاب واضح وهو يستشعر رجولة حقيقية في هذا الرجل الذي طالما كانوا يخشونه...

ليربت بعدها علي كتفه برفق قائلاً بحزم:

_لا تقلق علي زوجتك ...لن تغادر المكان هنا حتي أمهد للأمر في عائلتي كي أضمن سلامتها أنا الآخر...لا تنسَ أن الناس يظنونها قد ماتت...لابد أن نفكر جيداً قبل أن نخطو أي خطوة...

أومأ جسار برأسه في تفهم ثم قال بنبرته القوية:

_تولّ أنت أمر عائلتك...وأنا سأتولي أمر عائلتي بخصوص الثأر...لو أعلننا زواجي بآسيا...فستكون هذه نهاية الصراع القديم...

هز حمزة رأسه موافقاً ثم عاد يلتفت لياسين قائلاً بحزم أكبر:



_لا داعي لتوجسك هذا...آسيا أطلعتني علي حقيقة الأمر...جسار رجلٌ أفخر بأن أزوجه ابنة عمي دون تردد...

نقل ياسين بصره بينهما بشك...

ثم مد يده ليصافح جسار بفتور...

وبعدها التفت لحمزة يسأله بقلق:

_ وماذا عن جدي؟!!!

أغمض حمزة عينيه للحظات...

ثم عاد يفتحهما قائلاً بيقين:

_لا تقلق من جدي...أنا كفيلٌ بقاسم النجدي!!!

=====



أخذ حمزة نفساً عميقاً....

ثم طرق باب غرفة جده الذي انتفض من مكانه هاتفاً بلهفة غريبة علي وقاره المعتاد:

_هل كانت هي حقاً آسيا كما زعموا؟!!

تنحنح حمزة بحرج ثم جلس جواره علي طرف الفراش ليمسك كفه قائلاً برفق:

_نعم ...هي يا جدي!!

عقد قاسم حاجبيه بغضب هادر وهو يهتف بقسوة :

_هل أتيتَ بها؟!!!

ربت حمزة علي كفه وهو يقول بنفس الرفق المتعقل:

_لا يا جدي...اهدأ الآن وسأخبرك بكل شئ..



ضاقت عينا قاسم بتفحص وهو يسمع تفاصيل الأمر من حمزة....

حتي انتهي بقوله:

_آسيا أخبرتني أنه هو الذي حافظ عليها وليس العكس...هو لم يسئ إليها في شئ!!!

اشتعل وجه قاسم غضباً وهو يهتف بحدة:

_كل هذا ولم يسئ إليها؟!!!! ماذا كنت تنتظر منه أكثر؟!!! أخفي الفتاة لديه كل هذه الشهور وتزوجها دون علمنا كأي عاهرة في الطريق تزوج نفسها بلا أهل!!!!!!!

تنهد حمزة بحرارة وهو يقول بحزم:



_هو لم يختطفها من بيننا يا جدي....آسيا هي التي ذهبت إليه بقدميها....وهو لم يتعرف علي هويتها في البداية ....وحتي عندما تعرف عليها لم يأخذها بذنبنا....بل حافظ عليها حتي منا نحن...إنه علي استعداد لفعل أي شئ كي لا يصيبها هي أي أذي!!

أشاح قاسم بوجهه في عدم رضا...

فأردف حمزة بنفس الحزم الرفيق:

_ما الذي دفع آسيا للهرب يا جدي؟!!! شعورها بأنها مجرد جارية...جارية في ثياب ملكية تم بيعها لسيد لا ترتضيه...أنا أدرك دافعك لتزويجها مني كي أحفظ أمانة عمي رحمه الله....لكن آسيا لم تدرك ذلك...آسيا لم تفرط في نفسها عندما تزوجت جسار...بل كانت ستفعل حقاً لو كانت تزوجتني دون رضاها...وأي تفريطٍ في النفس أكبر من أن تساق إلي مصيرٍ لا ترتضيه...؟!!!!



التفت نحوه قاسم بحدة هاتفاً بحنق:

_هل تلومني أنا علي هروبها!!!

هز حمزة رأسه نفياً ليقول بحنانه المعهود:

_قاسم النجدي لا يُلام أبداً في حب أحفاده...أنا أكثر من يفهمك يا جدي...وأدرك أنك تحمل همّ صغيرنا قبل كبيرنا...لكن الأمور تحتاج الآن منك لبعض المرونة...حتي لا ينقطع الحبل من كثرة الشد...

صمت قاسم لدقائق طويلة يعقل كلامه...

كلمات حمزة ليست جديدة عليه...

بل ...لو أنصف لقال أن هذا هو نفس ما يدور بخلده منذ أيام...

أمانات سعد أوشكت أن تضيع من يده...

آسيا وجويرية...

وأخيراً ساري!!!!



ولأول مرة يجد نفسه عاجزاً عن التحكم في الأمور...

حتي أحفاده الذكور...

بدأوا التمرد علي حكمه...

فعلها حذيفة أولاً...

ومن يدري من سيكون التالي؟!!!

يبدو أنه قد آن الأوان ليرخي الحبل قليلاً كما يقول حمزة...

لعله ينقذ العربة قبل سقوطها بالجميع في الهاوية!!!

لهذا التفت أخيراً نحو حمزة يسأله بترقب:

_ما رأيك أنت في جسار هذا؟!!!

ابتسم حمزة وهو يقول بإعجاب صادق:



_رجل حقيقي يا جدي!!

أومأ قاسم برأسه في شبه رضا...

ثم سأله بتفحص:

_وكيف سنبرر للناس عودتها للحياة ؟!!!

اتسعت ابتسامة حمزة وقد شعر أن قاسم النجدي بدأ يتقبل الفكرة...

فقال برفق:

_هذا أمر بسيط...يمكن أن نقول أنها قد تعرضت لحادث مثلاً وفقدت ذاكرتها مؤقتاً....وأن جسار هو من أنقذها...

مط قاسم شفتيه في استياء...

قد يتقبل الفكرة علي مضض...

لكنه لا يزال غير راضٍ عنها...

لهذا عاد يسأله بتوجس:



_وثأره القديم معنا؟!!!

ربت حمزة علي كفه وهو يقول مطمئناً:

_الرجل هرب من بلده وأهله طوال هذه السنوات حتي لا يتورط في مسلسل الدم هذا...كما أنه الآن يرتبط بنا بصلة نسب...وهذا يعني أن باب الثأر هذا قد أغلق تماماً!!!

عاد قاسم بظهره للوراء ليتعلق بصره بصور أبنائه المعلقة علي الحائط...

الآن يشهد صراعاً بين عقليته القديمة التي نشأ وتربي وعاش عمره كله عليها...

وبين عاطفته وواجبه نحو أمانات أولاده...

لكنه حسم الصراع سريعاً عندما التفت نحو حمزة ليقول بحزم:



_أنا أوافق علي إنهاء العداوة بين العائلتين وإعلان زواجه من آسيا النجدي...لكن بشرط واحد...

ازدرد حمزة ريقه ببطء...

عندما أردف جده بنفس الحزم:

_أن يأتي جسار القاصم وعائلته إليّ أنا هنا يطلبون الصلح!!!

=====

خرج حمزة من غرفة جده ليطرق باب غرفة فريدة التي كانت تصلي كعادتها في هذا الوقت من ليل رمضان ...

تلجأ إلي الدعاء كعادتها هاربة من جراح قلبها التي لا تندمل...

انتظرها بصبر حتي سلمت من صلاتها ثم رفعت رأسها إليه بسرعة هاتفة بلهفة حارقة:



_هل عدت يا حمزة؟!!!!رأيتها؟!!!الماذا لم تعد بها؟!!!!

ابتسم حمزة وهو يقول لها بحنان:

_اطمئني يا عمتي...آسيا بخير...جدي سيحل الأمر كله عن قريب...

تهلل وجهها بالبشر وهي تقوم لتقف قبالته هاتفة بفرح:

_اجلس وأخبرني بكل شئ!!! لا تغفل عن أي تفصيلة صغيرة...

ثم تهدج صوتها وهي تكاد تبكي هامسة:

_دعني أراها بعينيك يا بنيّ...اشتقتها...اشتقتها جداً...



دمعت عيناه تأثراً وهو يجلسها برفق لتجلس جواره تتطلع إليه بشغف...

وكأنها حقاً تري صورة ابنتها في عينيه...

فمضي حمزة يخبرها بكل ما حدث مع آسيا وجسار...

منتهياً بحديثه مع جده...

وهي تستمع إليه مصدومة...لتهمس بعد لحظات بصدمة:

_آسيا تزوجت جسار القاصم.؟؟!!!!..وتعيش مع كساب القاصم في نفس البيت؟!!!!

هز حمزة رأسه وهو يقول بتعقل:

_أنا رأيت الرجلين يا عمتي...كلاهما كان يعاملها بمنتهي الود والاحترام...آسيا كانت سعيدة حقاً بإقامتها معهما...



لم يبدُ عليها أنها سمعته وهي تتمتم بشرود:

_بعد كل هذا العمر؟!!! تقيم مع قاتل أبيها في بيت واحد؟!!!!

تنهد حمزة في حرارة ثم قال بحزم:

_عائلة النجدي أخذت ثأر عمي سعد بعدها يا عمتي...وكان الدور علي جسار القاصم ليأخذ ثأره مني أنا...لكن الرجل أوقف عجلة الثأر هذه بهروبه مع عمه طوال هذه السنوات...وظني أن عمه لم يفعلها...لو كان هو قاتل عمي سعد كما تزعمون لما شجع ابن أخيه علي الهرب بل ورافقه طوال هذه السنوات بعيداً عن أهله وبلده...

كانت فريدة تستمع إليه بشبه تركيز وعقلها غائب في ذكرياته مع كساب القاصم...

هذا الرجل الذي لم تكلمه طوال عمرها كلمة واحدة...



لكنه كان أول من سكن قلبها بأمر الحب...

ورغم أنها سلمت لقدرها -كعادتها-بعدما تزوجت من سعد النجدي...

لكنها ظلت تحمل له بعض مشاعر من الود الممتزج بالاحترام كلما رأته في الطريق يغض بصره عنها بعد زواجها وكأنه يخبرها بلا كلمات أنه يدرك أنها لم تعد له...

حتي قُتل سعد النجدي...

وزعم الجميع أن كساب القاصم هو من فعلها...

لم تملك وقتها سوي أن تصدّق زعمهم...

لو لم يكن فعلها لأجل الثأر القديم...

فلأجل حبه لها !!!

حبه الذي لم يفصح لها عنه يوماً بلسانه...

لكنها كانت تراه فيضاً ثرياً في عينيه...



يغرقها بتيارات دافئة من حنان بلا حدود!!!

والذي كان نقمة عليها لأنه حرمها من زوجها...

وحرم بناته منه في ريعان شبابه!!!

لهذا كرهت كساب القاصم بكل قوتها...

كما أحبته من كل قلبها!!!

والآن يخبرونها أن ابنتها كانت لديه طوال هذه الشهور...

بأي دافعٍ تراه فعلها؟!!!!

حماية لها؟!!!

أم نكايةً بها؟!!!!

قطع حمزة أفكارها وهو يقول بإشفاق:



_اطمئني يا عمتي ولا تحملي هماً...سأبذل قصاري جهدي لتعود آسيا لحضنك في أقرب وقت!!!

======

استيقظت من نومها تتطلع للسقف في شرود...

تشعر وكأنها صارت بلا ذاكرة....

بلا هوية....

وكأنها نبتةٌ اقتلعت من جذورها لتلقي علي قارعة الطريق...

هكذا هي دونه...!!!!

هو الذي كان وطنها الفقير...

الذي عذبتها حروبه وجفاف أراضيه...

والذي ما عادت تشعر بأمنها فيه...



والذي تركته خلفها لتلجأ لأرض جديدة...

غريبة...مهاجرة...

لم تعد تملك سوي البكاء علي أطلال ماضيها...!!!!!

قامت من فراشها وهي تعد نفسها بيوم جديد...

وبداية جديدة...

لامرأة جديدة...

امرأة اختارت قرارها بنفسها وستتحمل نتائجه وحدها...

دخلت عليها فريدة لتجدها تؤدي صلاتها بخشوع....

فاطمأن قلبها نوعاً وهي تشعر أنها اليوم أفضل...

حتي إذا ما انتهت رفعتها إليها بحنان لتقول لها



متفحصة وجهها الشاحب:

_تعلمين يا ساري؟!!!أنتِ بالذات لا أشعر بالقلق عليكِ كأختيكِ...أنتِ صاحبة القلب الكبير والعقل الأكبر...لن تخذليني أبداً..

ابتسمت ساري بشحوب وهي تود لو تخبرها أن حديث القلب قد مضي عهد الحديث عنه...

لم يعد لها الآن سوي حديث العقل...

لعله لا يخذلها هو الآخر...

أطرقت برأسها للحظة...عندما قالت فريدة بسعادة واضحة:

_آسيا ستعود!!!

شهقت ساري بفرحة وهي تتشبث بها بقوة هاتفة بلهفة:

_حقاً يا أمي؟!! هل ذهب حمزة إليها؟!!!هل عفا عنها جدي؟!!!



ابتسمت فريدة وهي تحكي لها أحداث الليلة السابقة...

فاتسعت عيناها بذهول وهي تهمس بصدمة:

_تزوجته؟!!تزوجت جسار القاصم؟!!!

تنهدت فريدة في حرارة وهي تهز رأسها قائلة بشرود:

_حمزة يقول أنه ليس أبداً كما نظن...الرجل حافظ علي ابنتنا طوال هذه الشهور...ويبدو أن آسيا سعيدة معه...

هزت ساري رأسها وهي تقول بتشكك:

_وجدي؟!!!هل سيرضي عن هذا؟!!!

صمتت فريدة للحظات تفكر...

ثم قالت بيقين:



_حمزة له سلطانٌ كبير علي قاسم النجدي...سيعرف كيف يقنعه...

شردت ساري ببصرها وهي تفكر...

لقد اختارت آسيا طريقها تماماً كما فعلت هي...

كلتاهما تحررت من قيد الجواري...

وصار لها الحق في أن تدافع عن اختيارها وتحارب من أجله...

آسيا تبدو سعيدة كما تقول أمها...

وكذلك هي ستكون !!!

ستنفض عنها كل هذا الحزن الذي يلتهم خلاياها ببطء...

وستكمل طريقها الذي بدأته...

خطوة خطوة...

=====



جلس زياد علي مكتبه يقلب كتابه بين يديه...

"الحب من أول نظرة"...

لعنته التي أصابت قلبه منذ رآها فلم تسمح له بفكاك!!!

ابتسم بشحوب وهو ينهل من بئر ذكرياته -القصيرة- معها...

كم كانت وردية في كل شئ...

أحلامها...

أفكارها...

براءتها...

خجلها...

كانت مثالاً لأميرة أحلام خرافية هبطت من عليائها لتلون حياته بطيفها الوردي...



ثم تتركه مسحوراً لا يكاد يري سواها!!!!

تنهد في حرارة وهو ينهر نفسه عما يفعله...

جوريته لم تعد له...

حتي حلمه بها صار حراماً...

اقتطفها وغدٌ خشن غليظ الطباع ليحبسها في عالمه قسراً!!!

ابتسم بسخرية مريرة وهو يتذكر ما حدثته بشأنه والدته منذ قليل...

السبب الذي جعلها تطلب منه العودة بسرعة...

زواجه بمارية!!!!

هز رأسه بأسف وهو يفكر ...



لن يستطيع الزواج من مارية....

ولا من سواها!!!!

شئٌ ما بصدره يخبره أن جوريته قد تعود يوماً إليه...

ربما هو مجرد أمل...

وربما هو استنتاج عقليّ بحت...!!!!!

رجلٌ مثل عمار هذا في خشونته لن يستوعب فراشة رقيقة كجوريته...

قلبه يخبره أن هذا الزواج لن يطول ...

وحينها سيكون دوره ليداوي جرواحها كلها...

ويدخلها لعالمه الذي يناسبها هي...

ولا يناسب سواها...

فلا تخرج منه أبداً!!!!



ورغم حنقه علي هذه الخدعة التي ابتكرتها والدته لتعيده إلي هنا الآن...

فقد شعر الآن فقط أنه يحمد لها هذا الصنيع...

لم يحب غربته هناك ولم يستسغها...

بل علي العكس...

لقد شعر أن روحه قد ردت إليه عندما عاد لبلده...وأهله...

ولحلمه القديم!!!

لهذا أعلن أنه لن يسافر الآن حتي يطمئن علي صحة والدته...

والواقع أنه اتخذها ذريعة ليعتذر عن البعثة كلها!!!

نعم...لن يسافر بل سيبقي هنا...



لعل حدسه يصدقه وتعود إليه أميرة أحلامه الوردية..!!!!

قام من علي مكتبه عندما وصلت أفكاره لهذه النقطة ليتناول ميدالية مفاتيحه ويغادر المنزل ذاهباً إلي نفس المكان الذي يقصده كل يوم منذ عودته ...

ومع أنه يجده مغلقاً في كل مرة...

لكنه لم -ولن-يكف عن المحاولة...!!!

أيُ مكانٍ هو؟!!!!!

نعم...بالضبط!!

مكتبة جويرية!!!!!!!!

=====

أغلق حمزة باب غرفته ثم تناول هاتفه ليجد عشرات المكالمات الفائتة منها...

نعم....مارية...



كان قد أخبرها قبل ذهابه لجسار القاصم وأنبأها عن نيته....

وليته ما فعل!!!

فقد أشعل فتيل خوفها وقلقها بلا داعٍ...

وها هو الأمر مرّ بسلام وبأفضل مما كان يتوقع...

تلاعبت أنامله بأزرار الهاتف حتي سمع صوتها بنبرته المميزة تهتف بلهفة:

_حمزة؟!!! أنت بخير؟!!!

ابتسم قائلاً بعاطفته الحارة:

_نعم يا ماريتي ...بألف خير...لا تقلقي ...

ساد الصمت بينهما للحظات...

قبل أن يصله صوتها المتهدج:



_أريد أن أراك يا حمزة...الآن!!

تنهد في حرارة ثم تقدم نحو مكتبه ليفتح حاسوبه المحمول...

ثم قال لها برفق:

_حسناً يا ماريتي...لقد فتحت "الكاميرا"

لم تمرّ بضع ثوانٍ حتي كانت صورتها أمامه علي الشاشة تهتف بجزع:

_ماذا حدث؟!!! أخبرني عن كل التفاصيل...

ابتسم بحنانه المعهود وهو يقول بإشفاق:

_ليتني ما أخبرتكِ حتي لا تقلقي هكذا...

دمعت عيناها وهي تقول بصوت متقطع:

_الحمد لله أنك بخير...

ثم اشتعلت حدقتاها باندفاعها الطفولي وهي تهتف بنزق:



_هيا بسرعة...قل ماذا فعلت مع هذا الوغد؟!!!

ضحك ضحكة مجلجلة ثم رفع حاجبه بحركته المعهودة وهو يقول مشاكساً:

_قولي أنكِ وافقتِ علي خطبتنا أولاً!!!

ابتسمت بخجل ثم غلبها طبعها -الطفولي-فهزت رأسها نفياً لتقول بمرح:

_ليس بعد يا دكتور حمزة...أمامك طريق طويل من الترجي والندم...

عاد يضحك بمرح للحظات...

ثم تنهد بحرارة ليقول بعدها بعاطفة :

_لأجلكِ أسيره مهما طال ...حتي تتأكدي من شعوري نحوك...

قاومت خجلها باستماتة وهي تتشبث بقناعها المرح لتهتف باندفاع:



_دعك من حيلك القديمة وأخبرني بالتفصيل عما جري هناك....

زفر زفرة قصيرة...

ثم بدأ يحكي لها تفاصيل الأمر....

حتي انتهي ...فهتفت وهي تصفق بكفيها :

_إذن فقد انتهت قصة الثأر وتزوجت ابنة عمك من هذا الرجل؟!!!!

ضحك بمرح وهو يعيد رفع حاجبه ليسألها بمكر:

_أيهما كان يزعجكِ أكثر....قصة الثأر...أم زواجي بابنة عمي؟!!!

هزت كتفيها وهي تضحك دون أن تجيب....

فضحك بدوره وهو يهز رأسه قائلاً بشرود:

_عسي الله أن ينتهي الأمر علي خير...ولا تجدّ في الأمور أمور!!!!



قالها وهو يتذكر شرط جده -الحاسم-بحضور جسار وعائلته إليه في بيته يطلبون الصلح...

وهو ليس بهيّن أبداً...

لكنه يظنّ خيراً بجسار وقدرته علي إتمام الصلح...

لعلّ هذه الأزمة تنجلي...

ليس لها من دون الله كاشفة!!!

وبعدها يكون الطريق أمامه ممهداً لمفاتحة جده في أمر خطبته لمارية...

فهو ما عاد قادراً علي الصبر أكثر...

====

فتح باب شقته ليجدها تنتظره جالسة علي كرسيها...

اندفع نحوها بخطوات سريعة فتعلقت عيناها بعينيه تقرأ ما فيهما بشغف...



لكنها لم تقوَ علي الكلام...

قلبها كان يخفق بجنون...

وهي تحاول التظاهر بالهدوء قدر ما تستطيع...

أمسك كتفيها بقوة يرفعها إليه وهو يبتسم أمام عينيها هامساً بحرارة:

_افتقدتكِ يا غاليتي!

قالها ثم ضمها إليه بقوة وهو يتنشق عبير شعرها مردفاً بنفس النبرة الذائبة:

_أخيراً عدتُ إلي سلطانتي...كل دقيقة دونكِ تساوي ألف عام من اشتياق...

عاندت أناملها التي كانت تتوسلها أن تحتضنه بدورها...

وهي ترفع إليه رأسها هامسة بصلابة تخفي هشاشة روحها الآن:



_كيف سارت الأمور هناك؟!!

احتضن وجهها بكفيه وهو يسافر بحدقتيه دون كلل في بحار عينيها هامساً بحنانه الدافئ:

_انزعي قناعكِ يا سلطانتي...وصارحيني بما تودين السؤال عنه بالضبط...

أغمضت عينيها للحظة تتمالك قوتها...

فمال علي جفنيها المطبقين يقبلهما بعمق وهو يردف بعاطفة ملتهبة:

_لا ...لا تقولي شيئاً...دعيني أنا أقرأ ما تبوح به عيناكِ الصافيتان...

فتحت عينيها ببطء وهي تعاود التشبث بخيوط عشقه المزدانة بحنانه وهو يهمس :

_رأيتُها يا رقية...رأيتها بعيني لكن قلبي ما كان يري سواكِ....رأيتُها وأدركتُ بكل يقين أنني لم ولن أعشق امرأة مثلك...



ابتسمت بشحوب وهي تحيط وجنته براحتها هامسة بتردد:

_ألم تكن ضائقاً بقصة زواجها هذه؟!!!

أومأ برأسه إيجاباً وهو يهمس بحسم:

_بلي...كنتُ ضائقاً جداً...

ثم ضمها إليه أكثر وهو يلصق جبينه بجبينها هامساً:

_لكن ليس كما تظنين...الأمر كله لم يتعدَّ قلقي علي ابنة عمي ورفيقة طفولتي...لكنني بعدما اطمأننتُ لجسار هذا...لم يعد يشكل الأمر لي فارقاً...

تنهدت في حرارة وهي ترفع عينيها إليه لتهمس بعتاب وجل:

_يالخوفي من قلبك الذي ينسي حبه بهذه البساطة!!!

أطرق برأسه لحظات...



ثم عاد يرفع عينيه إليها هامساً بحزم:

_لم يكن حباً يا رقية...الآن فقط أدرك أنه لم يكن!!

أخفت وجهها في صدره ليردف هو بنفس الثقة:

_الحب الحقيقي لا ينتزعه منّا أحد...لأنه شفرة قلوبنا الخاصة...والتي لا تستجيب دقاتنا إلا لرموزها هي فقط...لو كان حباً لما حرمني منه خوف ولا طغيان....ولما حال بيني وبينه شئ...ولا حتي الموت...الحب والضعف نقيضان يا رقية...لا يجتمعان أبداً في قلب عاشق...

رفعت رأسها إليه ببطء...

وعيناها تلتقطان عاطفته الصادقة التي كانت تغزل خيوط النور بروحها دون مجال لشك أو زيف...

وابتسامتها تتسع تدريجياً علي شفتيها...

حتي تحولت لضحكة قصيرة تلألأ بها ثغرها وهي تهمس بدلال ملكيّ :



_وماذا يكون إذن في قلب العاشق؟!!!

ضحك ضحكة آسرة...

ثم داعب أنفها بأنفه ليهمس بمكر :

_تعاليْ لأخبرك!!

====

طرقت آسيا باب غرفته برفق فسمح لها بالدخول...

تقدمت نحوه ببطء تراقب التوتر الشديد علي ملامحه والذي عجز عن إخفائه...

حتي صارت أمامه تماماً فهمست بخفوت:

_هل أغضبتك في شئ؟!!!

ربت علي وجنتها برفق دون أن يجيب...

فأعادت همسها الوجل:

_منذ رحلا وأنت تتحاشي الحديث معي...



هل أخطأتُ التصرف في شئ معهما؟!!!

تنهد في حرارة ثم أعطاها ظهره للحظات...

لا يدري ماذا يخبرها...

منذ أحس بأنه يكاد يفقدها وهو غارقٌ في حيرته...

مشاعره الجديدة نحوها تربكه...

هو لا يريدها معه...

لا يريدها أن تضيع عمرها هنا مع ظل رجلٍ يأبي خيانة حبه القديم...

وفي نفس الوقت هو لا يستطيع أن يتركها...

نعم...لا ينكر أنه تعلق بها حقاً...

لا يعنيه الآن ما معني شعوره...

بقدر ما يعنيه ألا تغيب عن عينيه لحظة واحدة....!!!



قبض أنامله بقوة للحظات...قبل أن يسألها بصوت جاهد كي يظهر هدوءه:

_ياسين ابن عمك كان غاضباً للغاية...يبدو أن قصة زواجنا قد أزعجته....

أطرقت برأسها للحظة...

ثم سارت حتي وقفت قبالته لتنظر لعينيه قائلة بقوتها المستحدثة-:

_لو كنتَ تعرف ياسين كما أعرفه لأدركتَ مدي صدمته اليوم بشأني...آسيا التي كان يعرفها ماتت حقاً منذ دخلت إلي هذه المزرعة...آسيا الآن لم تعد لديه سوي ابنة عمه فحسب....

اشتعلت عيناه وهو يسألها بنفس البرود الخادع:

_وهو ...ماذا يعني الآن لديكِ؟!!

أطرقت برأسها وهي تود الآن لو تصارحه



بمشاعرها نحوه -والتي لا تدرك أنه يعرفها-...

لكنها لا تستطيع...

حتي وهي تعلم أنها تعشقه فوق العشق وأكثر...

خاصة بعد وقوفه معها اليوم...

لكن لازالت الحواجز بينهما قائمة....

وأعظمها...حبه الوفيّ لسمية!!!

والذي لا تريد أبداً أن تعكر صفوه بشوائب من إحساسه بالذنب....

خاصة وهي تشعر أن رحيلها عن هنا قد اقترب...

وأن دور كل منهما في حياة الآخر قد أوشك علي الانتهاء...



لهذا رفعت رأسها إليه لتهمس بابتسامة شاحبة:

_أنا لم أخجل من الاعتراف لكِ بأنني كنت يوماً أحبه...وبنفس القوة أخبرك اليوم أنه ما عاد عندي سوي ابن عمي فحسب...أنا تعلمت درسي جيداً...الحب الضعيف الذي لا يصمد في وجه الصعاب ليس حباً...بل هو مشاعر باهتة كجنين مشوه لن يُكتب له البقاء....الحب القوي -كحبك لسمية -والذي تحدي حتي الموت هو الحب الحقيقي الذي يستحق الخلود....

تنهد في حرارة وهو يشيح بوجهه...

فأردفت بنبرتها القوية:

_لا تخشَ علي "كريستالتك" فقد علمتها أنت كيف تحافظ علي قيمتها...فرَسك الجموح بدأت اليوم أول خطوة في طريق انطلاقها الطويل وستكمله لآخره...



عاد يلتفت إليها مبتسماً بإعجاب يمتزج بفخره...

فنظرت إليه نظرة طويلة....

ثم همست بشرود:

_حمزة سيتمكن من إقناع جدي بحل الأمر...أنا أثق بهذا...وحينها سيمكنني العودة إلي عائلتي واستعادة حياتي المفقودة...

سقط قلبه بين ضلوعه وهو يسمع هذا منها...

لا...لن يسمح لها أن تغادر المزرعة...

بل أن تغادر حياته...

ليس بعد الآن...

وهو يشعر بحبها له...

وبمشاعره الجديدة نحوها...



والتي تتملكه كل يوم أكثر!!!!

لكنها كانت غافلة عن كل هذا وهي تهمس له برجاء:

_لقد وعدتك أن أغادر هذا المكان كما دخلته...وسأفي بوعدي قريباً..سأعود لعائلتي وأتذرع بعملي ودراستي كي أبقي معهم طوال الأسبوع...وسآتي هنا يوم الجمعة فقط...كي لا يتشكك أحد في طبيعة علاقتنا....

زفر بقوة ثم هتف بضيق وهو عاجز عن الجدال:

_هذا أمر سابق لأوانه...لن ترحلي من هنا حتي أطمئن تماماً عليكِ....

هزت رأسها توافقه ثم عادت تهمس بتردد ممزوج بالخجل:

_لكن لي لديك رجاء واحد...



مد ذراعيه يمسك كتفيها وهو غارق في نظراتها الدافئة...

ثم أومأ برأسه منتظراً رجاءها...

فضغطت شفتيها بقوة تكتم انفعالها ثم همست بخفوت:

_حتي لو عدتُ لعائلتي ...سنحافظ علي صورة زواجنا الظاهرية ..طلاقنا ربما يعيد العداوة بين العائلتين...كما أنه سيحرمني من زيارتكم هنا ...وأنا لا أريد أن...

تهدج صوتها في عبارتها الأخيرة وهي تكتم بكاءها عاجزة عن إكمالها...

فضمها إليه بقوة وكأنه يتشبث بها للحظات طويلة....

قبل أن يهمس في أذنها بحرارة:



_لا تبكي بعد الآن أبداً...لقد اكتفيتِ من الحزن والدموع يا صغيرتي...من اليوم لن أري سوي ابتسامتك...ولن أسمع سوي صدي ضحكاتك ...أنتِ لا تستحقين أقل من هذا...

استسلمت لدفء صدره للحظات...

ثم ابتعدت بوجهها عنه لتمسح دموعها وتبتسم بضعف هامسة:

_حسناً...أعدك بهذا...

طافت عيناه علي ملامحها تطوقانها بحنان ...

ثم مد أنامله يتلمس وجنتها هامساً بفخر:

_اليوم شعرتُ بكِ كما تمنيتكِ دوماً...بمزيج القوة والرقة الغريب...تعرفين متي تكونين في خفة النسيم...ومتي تشتدين كهبوب الريح...

اتسعت ابتسامتها وهي تهمس بامتنان:



_لم أكن لأفعل لولا ثقتي أنك خلفي تدعمني ...صدقني لقد شعرت اليوم لأول مرة أنني لست يتيمة...لقد عوضتني عن حنان الأب وقوته ...

مال برأسه يقبل جبينها بعمق...

ثم همس أمام عينيها بصدق مس قلبها:

_سأكون لكِ دوماً كما تريدين...أباً وصديقاً وأخاً...لا يعنيني المسمّي ...سأكون جواركِ فحسب وهذا ما يهمني!!!!

====



الفصل الثالث والعشرون:

كان جسار واقفاً أمام اسطبل الخيل يفكر بشرود...

لقد أخبره حمزة بشرط قاسم النجدي لإنهاء العداوة بين العائلتين...

ورغم أنه يتفهم رغبته في حفظ كرامة عائلة النجدي ...

لكن ما يطلبه ليس يسيراً...

ليس يسيراً علي الإطلاق!!!

شعر بها خلفه فالتفت نحوها ليبتسم بحنانه كعادته قائلاً:

_صباح الخير يا آسيا.



ابتسمت بدورها لتشرق ملامحها وهي ترد عليه برقة...

ثم ناولته قفازين يدويين من "الكروشيه" لتقول له بهدوء يخفي انفعالها:

_لقد وعدتُ ياسين أن أصنعهما له في العيد...لا أدري إن كنتُ سأكون هنا معكم أم لا...لو لم أكن هنا فأعطهما له نيابةً عني.

أشاح بوجهه لحظة في ضيق...

ثم عاد ينظر إليها قائلاً بعتاب :

_ألم نتفق أن هذا الحديث سابقٌ لأوانه؟!!

أومأت برأسها وهي تطرق برأسها إلي الأرض...

ماذا عساها تقول له ؟!!!

هي فقط تريد أن ترفع حِملها عنه...



تريده أن يطمئن أنها سترحل عن هنا كما وعدته...

تريده أن يتخلص من أشباح الذنب التي تدور علي ملامحه كلما رآها...!!!

نعم...هي تفهم مشاعره جيداً...

وبقدر ما تعتصر قلبها ألماً بقدر ما تزيد احترامها له...

لهذا ستبقي تحبه حتي ولو بلا أمل...

هذا رجلٌ يستحق عشقها حتي لو لم يكن لها!!!

أخذت نفساً عميقاً تتمالك به نفسها ثم عادت ترفع رأسها إليه متسائلة باهتمام:

_هل من جديد بشأن عائلتي؟! ألم يهاتفك حمزة حتي الآن؟!!

ربت علي كتفها برفق ثم أخبرها عن فحوي اتصال حمزة وشرط قاسم النجدي لقبول الصلح...

فغمغمت بارتباك:



_جدي طلب هذا؟!! لماذا يبدو الأمر وكأنه في موضع قوة؟!!!أنا بين يديك بالفعل وهو ليس له سلطانٌ عليك!!!

تنهد جسار قائلاً بشرود:

_لا تستهيني بقوة عائلتكِ يا صغيرتي...قاسم النجدي يدرك جيداً حجم قدراته ونحن تزوجنا دون علمه..لو أرادها حرباً بين عائلتينا فستكون حديث الساعة.

ارتجف جسدها رغماً عنها وهي تتمتم بخوف:

_إلي هذا الحد؟!!

عاد يربت علي كتفها وهو لازال علي شروده قائلاً:

_لهذا السبب هربتُ منذ سنوات ..لقد أدركتُ وقتها أنني واقعٌ بين شقيّ الرحي...عائلتك من ناحية...وعائلتي التي تطالبني بما لا أطيق من ناحية أخري.



عضت علي شفتيها وشعور الذنب ينتابها من جديد...

لتنظر إلي عينيه هامسة بندم:

_أنا آسفة يا جسار!

التفت إليها من شروده...

ليلتقط خيوط الذنب المتشابكة علي ملامحها فيقول بحنان آسر:

_لا تعتذري يا صغيرتي...أنتِ أعدتِ لي ماضيّ ...وما قيمة الانسان دون ماضيه؟!!!أنتِ رددتِ إليّ اسمي الذي افتقدته...ومن يدري؟!! ربما كنتِ سبباً في استعادتي لأهلي وبلدي ...فتكونين سرّ عودة جسار إلي الحياة .

ثم صمت لحظة ليردف بنبرة أكثر دفئاً:

_ستكونين بعثي بعد عدمي!!



اتسعت عيناها في ارتياع وهي تهتف بلهفة تمتزج بالخوف:

_هل تعني أنك ستنفذ لجدي شرطه؟!!! ستعود بقدميك إلي عائلتك بعد كل هذه السنوات؟!!لا...لا تفعلها يا جسار...سيكون هذا خطراً علي حياتك وحياة ياسين أيضاً...

ابتسم وهو يربت علي وجنتها ليقول بحزم حنون:

_هل ستعود "كريستالتي" للخوف من جديد؟!!!

دمعت عيناها وهي تهتف بانفعال:

_لست في حاجة لفعل هذا ...فلماذا تلجأ لهذه المخاطرة؟!!!!

نظر إلي عينيها طويلاً ثم أمسك كتفيها ليهمس بدفء:

_لأجلكِ أنتِ!



تجمدت بين ذراعيه وهي تري الصدق المشعّ في عينيه ببريق عاطفةٍ لم تجد لها مُسمّي...

حتي لو لم يكن شعوره نحوها حباً...

تكفيها هذه النظرة في عينيه...

نظرة تعدها بأمان الكون كله...

وتحتوي كل خوفها وحزنها بغلالة رقيقة من حنانه الآسر وقوته الرفيقة!!!

لهذا وجدت نفسها تهمس دون وعي:

_جسار...أنا...

قطعت عبارتها بصعوبة وهي تجاهد نفسها كي لا تنطقها...

لكنه قرأها في عينيها...



أكثر وضوحاً من شمس الظهيرة وأقوي من ضوء القمر وسط حلكة الليل...

وليته ما فعل!!!

شعوران متناقضان يشقان صدره الآن...

أحدهما يكاد يرجوها أن تكمل عبارتها...

أن تنطقها...

يشتاق لسماعها من بين شفتيها تداعب أذنيه بصوتها الرقيق كنسائم الفجر...

يريد التلذذ برؤية طيفها علي ملامحها الآسرة تواجهه بها دون خجل ودون خوف...

لكن شعوراً آخر يقطع عليه طريق سعادته بها...

يكاد يرجوها ألا تنطقها...

ألا تصدقها!!



بل...ألا تشعر بها من الأساس!!!

فهو لن يحتمل أن يكون سبب جرحها ...

لأنه موقنٌ أنه لن يكون لها!!!!

والعجيب أنها رأت كل هذا واضحاً في مرآة عينيه...

مشاعره الوليدة رغم تواريها المستتر خلف حجب كتمانه وصلتها صادقة...

لكنها كانت مغلفة -كعادتها-بطياتٍ من الأسف والذنب!!!

وهو ما تتفهمه تماماً رغم أنه يزيد تشققات أرضها الظمأي لحبه...

فهي تدرك بحق قيمة الحب العظيم الذي جمعه بسمية...



والذي لايزال قيداً عزيزاً علي نفسه!!!!

لهذا هربت بعينيها من عينيه وهي تستجمع قوتها -الملكية-الجديدة لتقول بنبرة أكثر تماسكاً:

_أنا ممتنةٌ لك كثيراً...أنا أعرف أنك تفعل كل هذا لأنني وصية سمية الأخيرة....

قالتها وهي تزيح ذراعيه من علي كتفيها برفق لتبتعد بضع خطوات معطية له ظهرها...

وهي تحاول السيطرة علي انفعالها في هذه اللحظة...

ولم يكن هو أفضل منها حالاً...

وهو -الآخر-يدرك مكنون نفسها الآن...

وما تحاول التظاهر به...



رفع رأسه للسماء للحظات يستجمع شتات نفسه...

ثم توجه إليها ليديرها نحوه قائلاً بقوته المعهودة:

_لا تقلقي...أنا سأتولي أمر عائلتي..

أومأت برأسها وهي تتحاشي النظر لعينيه ...

فابتسم في حنان وهو يسألها برفق:

_ما رأيكِ لو نخرج اليوم لشراء ملابس العيد لكِ ولياسين؟!!!

التفتت إليه في دهشة للحظة...

ثم ابتسمت رغماً عنها وهي تردد بارتباك لا يخلو من فرح:

_ملابس العيد؟!!! لي أنا؟!!

اتسعت ابتسامته ولم يملك أمام هذا الفيض من براءتها الممتزجة بالسعادة إلا أن يقبل جبينها هامساً بحنان:



_نعم يا صغيرتي...أريد أن نخرج اليوم في نزهة تتناسين فيها كل هذه الضغوط..أريدك أن تعودي اليوم طفلة مدللة لا تعرف سوي أن تطلب فتُجاب!!!

ضحكت ضحكة قصيرة ساحرة رقص لها قلبه طرباً...

وهو يشاهد فرحتها الصادقة في عينيها الرائقتين....

ليهز رأسه ثم يتنهد هامساً بابتسامة خلابة:

_آه يا آسيا!! هل تدركين قيمة ضحكتكِ النقية هذه؟!!!ليتها لا تغادر وجهكِ أبداً.....!!

====

عادت آسيا من الخارج تتشبث بكنز مشترياتها الثمين...

وابتسامتها الحالمة ترسم الورد علي شفتيها...

كم كانت تحتاج لهذه النزهة الليلة مع جسار...



قلبها الظمآن للعاطفة كان يرتشف اهتمامه رشفة رشفة باستمتاع فائق...

لتتشربه خلاياها بنهمٍ ...

وتمتصه روحها باشتهاء!!!

كان الصغير قد استسلم للنوم في السيارة فحمله جسار حتي وضعه في فراشه بغرفته التي تشاركه هي فيها...

ثم التفت إليها هامساً بحنان:

_سعيدة؟!!!

ابتسمت ابتسامتها المهلكة-كما كان يراها-وهي تومئ برأسها إيجاباً...

فربت علي كتفها برفق ثم عاد يهمس جوار أذنها بمرح كي لا يوقظ الصغير:



_ما رأيك أن نلعب "الشطرنج" ؟!!! أشتاق لأن أغلبكِ كما كنتُ أفعل دوماً!!

وضعت كفها علي شفتيها تكتم ضحكتها التي أنارت حدقتيها....

ثم أومأت برأسها في حماس وهي تحتضن كيس مشترياتها...

فنظر إلي عينيها طويلاً...

ثم همس بنبرة دافئة:

_ارتدي الثوب الأزرق...أريد أن تكوني الليلة كأجمل مرة رأيتكِ فيها...

احمرت وجنتاها بخجل وهي تتحاشي النظر إلي عينيه ...

ثم أومأت برأسها ...

فقبل جبينها بعمق ثم همس بخفوت:



_سأنتظركِ بالخارج.

راقبت ظهره المنصرف حتي خرج وأغلق الباب خلفه ...

ثم تنهدت بحرارة وهي تفتح الكيس لتستخرج منه ثوبها الجديد...

وبعدها بدقائق...

كانت تتأمل صورتها في المرآة بمزيج من السعادة والخجل...

لكنّ غمامةً من الحزن الممزوج بيأسها قطعت عليها فيض شعورها الورديّ هذا...

فنفضتها عن روحها بسرعة وهي تهمس لنفسها بحزم:

_انسي كل شئ الليلة فقط...دعيها تكن ليلة خالصة من كل الهموم...



أخذت نفساً عميقاً استعادت به تماسكها...

ثم خرجت إليه في صالة المنزل حيث كان يرص قطع الشطرنج بشرود...

انتبه من شروده علي رائحة عطرها المميزة فالتفت إليها لتلتمع عيناه بشدة وهو يتأملها بافتتان...

كم يليق بها الأزرق الملكيّ الذي يبرز لون عينيها بفتنة طاغية...

مع شعرها الذهبي الذي أسدلته علي جانب واحد من رأسها وزينته برباطٍ من اللؤلؤ والورود الصغيرة....

ورغم أن الثوب لم يكن كاشفاً ولا ضيقاً...

لكنها كانت صورة مجسدة للسحر وهي تتقدم نحوه بمزيج من خجلها وقوتها -المستحدثة-لتقول وهي تتحاشي النظر لعينيه المفتونتين:



_أنتوي هزيمتك هذه المرة يا سيد جسار.

ابتسم وهو يطوقها بنظراته هامساً بنبرة دافئة:

_هزيمتي لأجلكِ نصرٌ...يا صغيرتي!!

ابتسمت بخجل وهي تحاول التركيز في رقعة الشطرنج أمامها وأناملها تتحسس القطع بشرود....

قبل أن تهمس بخفوت:

_تبدأ أنت أم أبدأ أنا؟!!!

غامت عيناه بعاطفته وهو يمد كفه ليتلمس أناملها برفق هامساً بنبرته الدافئة:

_أنتِ دوماً تبدئين.

رفعت إليه عينيها ببطء...لتلتقي عيناهما في حديث طويل...

قطعته هي بنظراتها الحائرة وهي تهمس بشرود:

_ودوماً أخسر!!



شبّك أنامله بأناملها وهو يحتضن وجنتها بكفه الآخر ليدير وجهها نحوه هامساً:

_أنا أشعر أنك ستكسبين هذه المرة.

ذابت نظراتها في سواد حدقتيه وهي تتمني لو يتجمد الكون كله الآن...

فلا شمس ولا سماء ولا هواء...

فقط هو ..

بحنان نظراته الذي يطوقها...

ودفء لمسته علي وجنتها...

والوعد الآسر الذي حملته همساته الآن:

_"كريستالتي" تستحق أن تملك الدنيا كلها بين كفيها.

ابتسمت لتشرق الشمس في ملامحها وهي تقول بشرود حالم:



_أنا لا أتمني سوي أن أنجح في عملي...أن أبني عالمي الذي اخترته بنفسي.

ثم تناولت "بيدقاً"خشبياً من علي رقعة الشطرنج تقلبه في يدها وهي تهمس بشجن:

_لا أريد أن أكون مجرد "بيدق" في لعبة...

ابتسم وهو يتناول قطعة "الملك" ليضعها في راحتها ويطبق أناملها عليها هامساً بثقة:

_بل ستكونين "الملك" الذي تتحرك لأجله كل البيادق!!

ضحكت ضحكة خلابة وهي ترمقه بنظرات امتنانها الغارقة بعاطفتها ...

قبل أن تنتزع نفسها انتزاعاً من كل هذا لتبدأ اللعب بثقة....

لم تدرِ كم مرّ عليهما من الوقت....

وكذلك هو...



لقد استغرقا وقتاً في اللعب هذه المرة أكثر بكثير من المرات التي سبقتها...

ومع هذا كانا يشعران أكثر بالاستمتاع...

حتي انتهيا...

لقد صدق حدس جسار وكسبت آسيا لأول مرة...

لعلها لا تكون الأخيرة!!

====

وقف يراقبها خلسة من خلف الجدار في ساحة الجامعة...

لقد هاتف فريدة ليطمئن عليها هذا الصباح فأخبرته أنها قد خرجت لقضاء بعض المصالح المتعلقة بنشاطها الخيري في الجامعة...

ورغم ضيقه -الخفي-من شعوره بأنها تجاوزت أزمتها معه وستمضي في حياتها كما كانت تقول...



لكنه لا ينكر إحساسه بالإعجاب نحوها...

وهو يراها هكذا واقفة في صلابة تحدث رفقاءها بملامح جادة مسيطرة...

وهو أكثر من يعلم عن معاناتها الآن...

ظل واقفاً مكانه للحظات يملأ عينيه من ملامحها التي اشتاقها...

ثم ابتسم بسخرية مريرة...

حذيفة النجدي ساحر النساء الذي كان يتلاعب بهنّ كما الدمي...

أتي عليه اليوم الذي يرقب فيه حبيبته- التي طردته من حياتها- خلسةً من خلف جدار!!!

أطرق برأسه لحظات...



ثم ألقي عليها نظرةً أخيرة وهو يكاد ينصرف...

عندما لمح بلال الهاشمي يقترب منها مبتسماً...

بلال الهاشمي؟!!!

متي عاد هذا؟!!!

ولماذا الآن بالذات؟!!!

انعقد حاجباه بغضب وهو يهمّ بالتوجه نحوهما...

لكنه تيبس مكانه وعقله يبعث إليه بإشارات الهدوء...

ساري لم تعد جاريته المسمّاة باسمه ...

هو أعتقها بنفسه!!!

والآن دورها لتختار حياتها كيفما شاءت...

ومع من شاءت...

حتي لو كان خيارها في غير صالحه...



هو سينتظر أن تكتب هي نهاية قصتهما...

أو -من يدري- ربما بدايتها الجديدة!!!!

قبض أنامله بقوة يتمالك غضبه...

ثم أشاح بوجهه عن صورتها مع ذاك الرجل وهو يغادر مبني الجامعة بخطوات مندفعة...

استقلّ الحافلة العامة كما صار يفعل منذ طرده قاسم النجديّ من جنة أملاكه...

ليعود بعدها إلي منزله البسيط الذي يخص والدته...

والذي لولاه لنا كان له مأوي بعيداً عن سلطان جده!!

بدل ملابسه وهو يشعر بثقل هائل يجثم علي صدره...

عندما سمع رنين الجرس...



قام ليفتح الباب بتثاقل ليجده حمزة ...

اتسعت عيناه بدهشة للحظات...

فلم يتوقع أن يأتي حمزة إليه...

حذيفة كان أصغر أحفاد النجدي وحمزة كان أكبرهم...

ومع ظروفه الخاصة التي اضطرته للسفر طوال هذه السنوات فقد كانت علاقته بحذيفة شديدة الهشاشة...

لهذا كان عجب حذيفة كبيراً من زيارته هذه...

لكنه ابتلع دهشته ليرحب به ويدعوه للدخول...

جلس حمزة جواره مربتاً علي ركبته وهو يسأله بود ظاهر:

_كيف حالك ؟!!

أومأ حذيفة برأسه في إجابة لسؤاله...ثم التفت إليه يسأله بحذر:



_هل أرسلك جدي؟!!

ابتسم حمزة وهو يقول بمرحه الحنون:

_كل هذه السنوات مع قاسم النجدي ولم تفهمه يا حذيفة؟!!!جدك وإن كان يحترق قلقاً عليك فلن يبادر بإعادتك إلي العائلة ...علي الأقل الآن.

عاد حذيفة يومئ برأسه موافقاً...

ثم سأله بسخرية مريرة:

_هل جئتَ تعاتبني علي ما فعلت؟!!

نظر إليه حمزة للحظات...

ثم قال باحترام حقيقي:

_بل جئتُ أقابل حذيفة...الذي تركته طفلاً علي أعتاب المراهقة وعدتُ لأجده صار رجلاً حقيقياً يعرف كيف يتخذ قراراً ويدافع عنه.



اتسعت ابتسامته الساخرة وهو يقول بمرارة:

_ويخسر كل شيءٍ في النهاية!!!!

هز حمزة رأسه نافياً وهو يقول بثقة:

_من تحدث عن النهاية الآن؟!!!..أنت لازلت في البداية يا أخي.

أطرق حذيفة برأسه فأردف حمزة بنفس النبرة الواثقة:

_لا تخبرني أنك لا تملك خطة للغد...وأن قرارك كان مجرد خطوة طائشة بلا تفكير.

تنهد حذيفة بحرارة ثم قال بعد لحظات:

_أنا لا أملك شهادة ولا خبرة في أي شئ...سوي مهارتي في مجال الحاسب الآلي...أحد أصدقائي يمتلك مركزاً لعلوم الحاسبات...أفكر أن أعمل معه.

صمت حمزة لحظاتٍ يعقل كلامه...



ثم قال له بحزم:

_لا...أنت ستعمل معي أنا...أنا أملك مالي الخاص بعيداً عن جدي...سنستأجر شقة صغيرة نفتتح فيها مركزاً كهذا ويمكنك الاستعانة بخبرة صديقك...أنا شريكٌ بمالي وأنت بالفكرة والمجهود...

التمعت عينا حذيفة بحماس وهو يجد حلاً سريعاً لمشكلته...

لكن حمزة لوح بسبابته في وجهه قائلاً بلهجة عملية:

_هل تعلم من أين جئتُ؟!!هل سمعت شيئاً عن "الحساب الانجليزيّ"؟!!

ابتسم حذيفة بإدراك فيما أردف حمزة بنفس اللهجة العملية:

_لا حسابات لقرابة أو معزة...هو مشروع أستثمر فيه مالي بهدف الربح...



وليس لمساعدتك لو كنت تتصور هذا...ادرس الأمر بدقة...وامنحني تفاصيل مقنعة...حتي نبدأ في أقرب وقت...

اتسعت ابتسامة حذيفة وهو يرمقه بامتنان...

فقام حمزة من مكانه ليقول له بلهجة أكثر رفقاً:

_أنا أثق بك يا حذيفة...وأوقن من قدرتك علي البدء من جديد لتصنع نفسك كما ترجو أنت لا كما يرجو قاسم النجدي.

قام حذيفة بدوره ليقف قبالته وهو يهز رأسه ...

فربت حمزة علي كتفه وهو يقول بثقة:

_أحياناً يوهمنا القدر بنهاية ...لندرك بعدها أنها كانت البداية...بل..أفضل بداية..!!!!

=======

_أنا أتفاءل بك!!



هتفت بها مارية بمرحها المميز أمام حمزة الذي كان يزورها في عملها الجديد بالمشفي مع زياد...

فابتسم حمزة بحنان لتردف هي بانطلاق مرح:

_منذ عدتَ إلي حياتي وكل الأبواب الموصدة تتفتح أمامي واحداً تلو الآخر...وها أنذا أجد عملاً مع زياد هنا...

مط شفتيه في استياء غاب عنها وهي تكمل حديثها المندفع:

_زياد يمكنه أن يجد لك عملاً معنا هنا...المشفي هنا ممتاز ....وستكون فرصة رائعة لنعود للعمل معاً من جديد...

زفر زفرة قصيرة وهو يشيح بوجهه...

فغمغمت بارتباك:



_ما الأمر يا حمزة؟!! ألا تريد العمل هنا؟!! تريد أن تكون لك عيادتك الخاصة؟!!!

نظر إليها طويلاً وعيناه تحملان عتاباً لا تفهمه...

فاقتربت منه خطوة وهي تهمس بعاطفتها التي تعرف دوماً طريقها لقلبه:

_حمزة...ماذا بك؟!!

ظلت عيناه علي غيومهما الداكنة...

فعضت علي شفتيها وهي تهمس كأنها طفلة مذنبة:

_حمزة...أنت غاضبٌ مني؟!!!

ابتسم رغماً عنه وهو يشيح بوجهه عنها للحظة...

ثم عاد يلتفت إليها وهو يهز رأسه قائلاً:

_هل تعلمين كم مرة قلتِ "حمزة" بلهجتكِ المهلكة هذه منذ بدأنا الحوار؟!!! كيف يمكن أن أغضب منكِ وأنتِ ترددينها هكذا فتذيب قلبي بعذوبتها...؟!!!



ابتسمت وهي تميل رأسها بدلال متحاشية النظر إليه...

لكنه أردف بضيق حقيقي:

_لكنني لا أستسيغ بقاءكِ هكذا في بيت واحد مع ابن عمك هذا...خاصة أنك تقولين أنه يريد الزواج منكِ...والآن تعملين معه أيضاً؟!!!

استعادت قوتها الأصيلة وهي ترفع كفها أمامها لتعد علي أصابعها قائلة بوضوح:

_أولاً...زياد لا يريد الزواج مني...عمي هو من يريد وزياد لا يوافقه...ثانياً...لا مكان لي هنا للإقامة فيه سوي بيت عمي إلا إذا كنت تفضل أن أقيم وحدي...ثالثاً...عملي معه هنا فرصة لا تعوض بالنسبة إليّ حتي لا أنسي ما تعلمته ولن أضيعها لأوهام في عقلك...

ثم صمتت لحظة لتردف بعتاب قوي:



_رابعاً...من المفترض أنك أنت بالذات تعرف أخلاقي وليست محل شكٍ هنا...

انعقد حاجباه بضيق وهو يقول بحزم:

_ليس شكاً يا مارية...

التقطت فيوض عاطفته الهادرة بعينيه الآن ...

والتي جرفتها في تيارها لتبتسم من جديد وهي تهمس بدلالٍ ساحر:

_إذن...تغار يا...حمزة؟!!!

ضغطت علي حروف اسمه متعمدةً بغنج ...

فعاد يبتسم وهو يحاول التشاغل عن فتنتها بالمرئيات حوله...

ليعود بعدها هامساً أمام عينيها بحنانه المشبع بعشقه:

_وعلي من أغار سوي علي ماريتي...؟!!!



التي تأسرني براءتها...وتهلكني فتنتها...ويبهرني عقلها...

ضحكت ضحكة آسرة طويلة...

ثم هزت كتفيها وهي تلوح بسبابتها هاتفة بصرامة مصطنعة:

_الزم حدودك دكتور حمزة...وقوفك معي هكذا سيثير الأقاويل ويبعد الخاطبين!!!

ضحك بدوره وهو يشبك كفيه خلف ظهره قبل أن يقترب برأسه قليلاً وهو يقول بحزم حنون:

_أيّ خاطبين؟!!! أنتِ صرتِ لي منذ زمنٍ يا ماريتي...هل تنكرين؟!!!

عادت تهز كتفيها وهي تهرب من عينيه لتقول بدلال:

_لم أمنحك كلمتي بعد...!!!



اعتقل نظراتها جبرياً بقوة عاطفته وهو يهمس بسيطرة رجوليّة:

_لم تمنحيني كلمتك...إنما منحتِني قلبك!!!

ظلت أسيرة عاطفته الهوجاء بعينيه للحظات...

ثم أومأت برأسها في خجل وهي تقول لتغير الموضوع:

_ماذا فعلت بشأن ابنة عمك؟!!!

كاد يجيب سؤالها عندما سمع صوتاً خلفه :

_كيف حالك يا مارية؟!!

التفت بحدة نحو مصدر الصوت ...عندما هتفت مارية بمرح لا يخلو من ارتباك:

_أهلا زياد...دكتور حمزة ....كان ...زميلي في لندن وهو صديق لوالدي...



اتسعت عينا زياد في إدراك وهو ينتبه لهوية حمزة...

لاريب أنه الخاطب الذي جعل والدته تستدعيه من سفره بجزع...

وكم يحمد له هذا !!!!

لهذا ابتسم وهو يصافحه قائلاً بمودة:

_أنا زياد ...ابن عم مارية ...لو كانت لم تخبرك عني...

هز حمزة رأسه بتهذيب وقد أذابت مودة زياد تحفظه السابق نحوه...

ليقول بأدب:

_حمزة النجدي...

اتسعت عينا زياد للحظة وهو ينتبه للقب عائلته...

ثم سأله باهتمام:



_هل أنت من عائلة النجدي التي تقيم هنا في (........)؟!!!!

قالها وهو يذكر له عنوان منزل قاسم النجدي الذي ذهبت إليه مارية من قبل لزيارة جوري....

فأومأ حمزة برأسه إيجاباً...

عندما انتبهت مارية للاسم والعنوان فاتسعت عيناها بصدمة ...

وهي تتلقى الرجاء الخفيّ في عيني زياد...

والذي لم ينتبه إليه حمزة -لحسن الحظ-فسألت حمزة بتماسك أجادت ادعاءه:

_هل تعرف جويرية النجدي؟!!!

ابتسم حمزة وهو يرفع حاجبيه قائلاً بدهشة:

_جوري ابنة عمي...هل تعرفينها؟!!!



تجاهلت مارية النظر لزياد حتي لا تثير شكوك حمزة...

ثم قالت بابتسامة شاحبة:

_الدنيا ضيقة كما يقولون...أنا أعرفها منذ كانت تفتح المكتبة ....

أومأ حمزة برأسه...

فاختلست مارية نظرة لزياد الذي كان يتوسلها بعينيه أن تسأله عنها...

فعادت تسأل حمزة بحذر:

_هل استعادت قدرتها علي النطق....لقد زرتها مرة في بيتها...وكانت....

تلعثمت في عبارتها الأخيرة...

فابتسم حمزة وهو يهز رأسه بعدم تصديق مغمغماً:

_أنتِ زرتِ منزلنا أيضاً؟!!!



اغتصبت ابتسامة باردة وهي تومئ برأسها...

فتنهد حمزة قائلاً بشرود وهو يسترجع مشكلة جوري:

_نعم...استعادت قدرتها علي النطق بفضل الله...

اتسعت ابتسامة مارية وهي تري بعض الرضا الممتزج باللهفة علي ملامح زياد...

ثم عادت تسأل حمزة باهتمام:

_وهل هي سعيدة مع زوجها؟!!!

أطرق حمزة برأسه للحظات...

ثم رفعه إليها ليقول باقتضاب:

_طلقها!!

اتسعت عينا مارية بصدمة...

بينما ظهر بريق الأمل مشعاً في عيني زياد الذي



جعلته كلمة حمزة "اليتيمة" يبدو وكأنه بُعث بعد عدم!!!!

لقد أعاد القدر له جوريته كما كان يتوقع...

زوجها -البغيض-لم يقدر علي احتوائها كما كان يظن...

لكن...ما الذي حلّ بها؟!!!

مارية تسأل حمزة إن كانت استعادت قدرتها علي النطق!!!

متي وكيف فقدتها؟!!!

ولماذا لم تخبره مارية عن هذا؟!!!

هي أخبرته أنها بخير وسعيدة مع زوجها...

ولهذا استجاب لنداء عقله وسافر ...

لو كان قد علم بمُصابها ما كان قد رحل أبداً!!!!



اتسعت عيناه بصدمة وهو يتساءل في نفسه...

ما الذي جعل جوري تفقد النطق؟!!!

أتراهم أجبروها علي هذه الزيجة؟!!!

نعم...هذا هو التفسير المنطقي الوحيد...

هم غصبوها قهراً علي هذه الزيجة فلم تحتمل ألمها وفقدت النطق...

والآن استعادته عندما طلقها ابن عمها هذا!!!!

وهذا يعني أنها ....

معقول؟!!!

لازالت ...تحبه ؟!!!

ابتسم تلقائياً وهو يصل لهذا الإدراك الأخير...

مع هذه الشعلة من الأمل التي اخترقت ظلمات روحه ...



تعده بغدٍ تعوض حلاوته مرارة الأمس...

وتعيد له ما سرقه الحزن من عمره دونها...

وتلون أحلامه التي بهتت بعدها بلونها الزاهي المثير...

لون الجوري!!!!

=======

_سأعود يا جوري!

هتف بها عمار علي الهاتف بحزم ثم أردف ببعض الرفق:

_ليس فقط لأنني افتقدتك....لكن لأكون جوار جدي في هذه الأزمة...بعد تطورات قصة آسيا الأخيرة....

همست جوري بعاطفتها الجياشة:

_ربما بعد حلّ مشكلة آسيا يكون الوقت مناسباً لتفاتحه بشأننا من جديد...أو ...



فلنفعلها معاً...دعنا نذهب إليه سوياً حتي يتأكد من أنها رغبتي أنا الأخري...

زفر عمار زفرة قصيرة ثم قال بضيق:

_ومنذ متي يكترث جدي لرغباتك؟!!! ابتعدي عن هذا الأمر حتي لا تصيبك لعنات سخطه...أنا سأتحمل وحدي تبعات الأمر...

صمتت للحظات قبل أن تهمس برقتها الفطرية:

_هل تعرف كيف أشعر الآن؟!!!

كان دوره هو ليصمت الآن صمتاً يخفي طوفان عاطفته واشتياقه...

لتردف هي بنبرة ذائبة:

_أشعر أنني محميّةٌ بك...هل تدرك قيمة هذا الشعور لمن عاشت عمرها كله تفتقده؟!!!

تنهد في حرارة دون رد...

فأكملت

بنفس النبرة:



_أرجوك يا عمار...بحق كل اللحظات الرائعة التي جمعتنا...لا تجعلني أفقد شعوري هذا ..كُن دوماً أماني وسندي...عِدني ألا أخافك من جديد...

ازدرد ريقه ببطء وهمسها يخترق روحه باكتساح...

كم يود الآن لو يكون معها فيخفيها بين ذراعيه يسقيها عاطفته مشبعة بأمانها الذي ترجوه ...

قطرة قطرة حتي ترتوي...

كم يود لو يستقر بها علي شاطئ الحقيقة بلا أسرار ولا خفايا ولا ظنون....

بدلاً من أمواج الشك والحيرة التي تتلقفهما معاً ...

كم يتمني لو يبدأ معها كتابة قصتهما الحقيقية بسطور واضحة ...

ويمزق كل صفح الماضي التي تلطخت كلماتها بدموع الحزن والندم!!!!



طال صمته الصاخب فهمست باسمه مترقبة...

ليسألها هو بمزيج من الحزن والألم:

_لازلتِ تخافينني يا جوري؟!!

أغمضت عينيها بقوة وهي تهمس بصدق:

_أنت اختزلت خوف العالم وأمانه في عينيك وحدك...لم أعد أخشي سواك ...ولا أجد أماني إلا عندك...فماذا عساني فاعلةٌ معك سوي أن أستجير بك ...منك...؟!!!

عاد يتنهد من جديد وهو يكاد يستحلفها أن تحكي له الحقيقة...

هذا فقط هو ما يطلبه...

يريد أن يعرف تفاصيل هذا الأمر الذي يقتله ببطء...



كيف يمكنه تجاوز الماضي ونسيان كونها كانت ستهرب مع رجلٍ غيره لا يعرفه...؟!!!

رجلٍ سمعه يدللها باسمها علي هاتفها ويستعجلها في الحضور لأنه ينتظرها...!!!

رجلٍ كانت ستمنحه طواعيةً ما أخذه هو منها اغتصاباً...

ودفع ثمنه بعدها غالياً؟!!!!!

كيف ينسي كل هذا؟!!!

بل...كيف يتناساه؟!!!!

لكنه مع هذا سيصبر حتي يعود...

سيعرف كيف ينتزع منها اعترافاتها كلها علي صدره...

سيذيبها عشقاً بين ذراعيه حتي يبوح قلبها بكل أسراره...



سيطوقها بغلالةٍ رائقةٍ من عشقه الدافئ تقيها برد خوفها الذي يخنقها...

ويخنقه معها!!!!

لهذا تسرب همسه المشتعل يحمل إليها كل مشاعره الثائرة:

_انتظري حتي أعود يا جوري...لدينا الكثير لنتحدث عنه...

ابتسمت وهي تهمس بدلال :

_عندما تراني تنسي لغة الكلام كله ولا تذكر سوي لغة عاطفتك...

ضحك ضحكة قصيرة ثم همس بلهجة مسيطرة:

_بأي لغة....وبكل لغة....سأصل للحقيقة معك يا جوريتي....

ارتجف جسدها رغماً عنها وهي تشعر بالخوف يتملكها من جديد...



خاصةً مع توجسها من رد فعله عندما يعلم عن كذبتها بخصوص حملها...

لهذا ضغطت علي شفتيها بقوة ثم همست بحرارة:

_لا أريدك أن تصدق سوي حقيقة واحدة...جوريتك لك وحدك يا عمار...وستبقي لك أبداً...

زفر زفرة قصيرة ثم همس بخفوت:

_تصبحين علي خير...

أغلقت معه الاتصال وهي تشعر بانقباض قلبها...

لن تصفو سماؤها معه من الغيوم حتي تصارحه بكل شئ...

هو لن يرضي بأقل من هذا...

لكنها لا تستطيع...



حتي لو تفهّم هو كذبتها بخصوص حملها وأنها فعلتها فقط لتستبقيه معها...

لن يتفهم موضوع زياد أبداً!!!!

سيبقي حجر عثرةٍ بينهما كما يبدو!!!!

قطعت أفكارها عندما سمعت صوت طرقاتٍ خافتة علي باب غرفتها...

فتحت الباب لتجد فريدة تخبرها أن حمزة ينتظرها بالخارج...

ارتدت حجابها بسرعة وخرجت إليه ...

فالتفت لفريدة هاتفاً بمرحه الحنون:

_كوب الشاي بالقرفة المميز من يديكِ يا عمتي...لم أنسَه بعد كل هذه السنوات من الغربة...



ابتسمت فريدة وهي تقول بحنانها المعهود:

_لازلتَ تذكر يا حمزة..؟!!! كانت أياماً جميلة يا ابني...

اتسعت ابتسامة حمزة وهو يقول بصوتٍ يكسوه الحنين:

_لم أنسَ شيئاً يا عمتي...خاصةً حنانك أنتِ...لقد كنتِ أمي بعد أمي...

هزت فريدة رأسها وهي تغمغم بخفوت:

_رحمها الله يا ابني....يعلم الله مكانتك عندي كيف هي...

قالتها وهي تربت علي كتفه بحنان قبل أن تذهب للمطبخ لتعد له مشروبه -المميز-

فالتفت نحو جويرية يسألها برفق:



_كيف حال جوريتنا؟!! إلامَ وصلتِ مع عمار؟!!!

ابتسمت جويرية في امتنان وهي تقول بخجل:

_سيحدث جدي عندما يعود...

أومأ حمزة برأسه في رضا...ثم سألها بحذر:

_أنتِ راضيةٌ بعمار يا جوري؟!!! لو عدتِ إليه هذه المرة فلن يكون لكِ فرصة أخري بالخلاص...فتأكدي من رغبتك قبل أن يفتح هو الموضوع مع جدي ثانية...

اتسعت ابتسامتها وهي تقول بيقين وصله صادقاً:

_لا تقلق يا حمزة...عمار هو أفضل من يناسبني...أنا أثق بهذا...الآن أثق به تماماً...

ابتسم حمزة بحنان وهو يري سعادتها وعاطفتها في عينيها...



ثم تذكر شيئاً فسألها باهتمام:

_هل تعرفين طبيبة تدعي مارية...؟!! شقراء هي ...وابن عمها طبيب يبدو أنه يعرف عائلتنا جيداً لأنه ذكر لي عنوان منزلنا...

ثم ذكر لها الموقف الذي حدث مع زياد ومارية اليوم بتفاصيله....

فاتسعت عينا جويرية بصدمة وهي تهمس بجزع:

_زياد عاد؟!!!

عقد حمزة حاجبيه بشك وهو يقول بارتياب:

_يبدو أنكِ تعرفينه جيداً...

ازدردت ريقها بتوتر وهي تحاول التظاهر بالتماسك لتقول كاذبة وبابتسامة مصطنعة:

_كان زبوناً مميزاً للمكتبة....طالما اشتري مني الكتب...ومارية كذلك...



أومأ حمزة برأسه وهو يشعر أنها تخفي أكثر مما باحت به...

بينما استجمعت هي كل قوتها لتسأله بثبات:

_من أين تعرفهما؟!!!

ابتسم وهو يلوح بسبابته قائلاً بمرح:

_هذا هو سريّ معك...لا تخبري به أحداً...

ثم صمت لحظة ليردف بعدها:

_سأتقدم لخطبة مارية عندما تتجاوز العائلة ظروفها الحالية....

شهقت مارية بجزع فانعقد حاجباه بشدة وشكّه يزداد...

لتتمتم هي بعدها بفتور:

_مبارك يا حمزة...مارية فتاة مميزة حقاً!!!



تأمل ملامحها بتفحص ثم قال بحذر:

_جوري...هل تخفين شيئاً؟!!!

هزت رأسها نفياً بسرعة وهي تتمتم بارتباك:

_لا لا أبداً..لماذا تظن هذا؟!!!

أطرق برأسه للحظات..

ثم عاد يرفعه إليها قائلاً بحزم لا يخلو من حنان:

_لن أضغط عليكِ للبوح بما لا تريدينه..لكن تذكرّي فقط أنني سأساعدكِ دوماً بكل ما أملك متي ترغبين...

هربت بعينيها من عينيه وهي تطرق برأسها مبهوتة...



عندما عادت فريدة بكوب الشاي لتدخل مع حمزة في حوار مرح طويل غابت عنه جوري تماماً مع فيض أفكارها المختنقة بخوفها...

لقد عاد زياد...

ومما سمعته من حمزة الآن تعرف أنه قد علم عن طلاقها....

فهل تراه يحاول الاتصال بها مرة أخري؟!!!

حتي لو لم يفعل...

لو تمت خطبة حمزة ومارية فستلتقي به حتماً...

ولو حاول التعرض لها فسيشك عمار في الأمر...

خاصةً لو تذكر أن زياد هو الطبيب الذي زارها يوماً!!!!!

دمعت عيناها بقهر وهي لا تدري كيف تتصرف الآن...



حدسها يخبرها أن زياد سيحاول معها من جديد ظناً منه أنها الآن حرّة....

فماذا عساها تفعل؟!!!!

يالله!!!!

يجب أن تتصرف بسرعة...

قبل أن يعود عمار ويلاحظ شيئاً...

ومضت الفكرة في رأسها فجأة فالتمعت عيناها بتصميم...

وهي تعتزم تنفيذها غداً...

نعم...لعلها تنقذ الأمر بسرعة...

لعلها تستطيع!!!!

====



_لقد فقدت ولدين من أبنائي بسبب ابنتيكِ يا فريدة...

هتفت بها راجية بنبرة عاتبة وهي تجلس مع فريدة في شقة الأخيرة...

فابتسمت فريدة بمرارة وهي تهمس بحزن:

_وأنا مُبتلاةٌ في ثلاثِ بناتٍ يا راجية...

هزت راجية رأسها وهي تغمغم وسط دموعها:

_قلبي يكاد ينفطر علي حذيفة وعمار....لا أصدق أنهم لن يعودا لمنزل العائلة بعد...سيفارقا حضني للأبد...

انتقلت فريدة لتجلس جوارها وهي تربت علي كتفها قائلة بصبر:

_قلبي يخبرني أن الغمّة ستنزاح قريباً...ما ضاقت إلا وفُرجت ...



كادت راجية ترد عليها عندما دخلت ساري عائدة من الخارج...

تجمدت مكانها عندما رأت العمة راجية تبكي جوار والدتها...

فهي تعلم أن الجميع يلومونها علي موقفها مع حذيفة...

خاصة راجية التي لن تسامحها لأنها كانت السبب في نبذه من العائلة...

لكنها مع هذا تقدمت نحوهما لتلقي السلام برفق...

ردت فريدة سلامها بفتور ...

بينما أشاحت راجية بوجهها دون أن ترد....

فأطرقت ساري بوجهها للحظة...

ثم عادت لغرفتها وهي تغلق الباب خلفها لتستند عليه بظهرها...



رفعت كفها أمام وجهها لتلتمع دبلته ببريقها أمام عينيها ...

لا...لم تخلعها...

ولن تفعل!!!

لو كانت امتلكت القوة لتنتزع دبلته من إصبعه هو...

فهي للأسف عاجزة عن أن تفعل المثل !!!!

حتي وهي توقن أنه لن يكون لها بعد ما حدث...

تنهدت في حرارة...

وهي تتقدم لتجلس علي مكتبها مستخرجة كشوف المحتاجين التابعة لجمعيتها...

قضت بعض الوقت تنسق مهامها وجداول زياراتها لهم حسب الحاجة....



وهي تحاول التشاغل بآلام الناس عن آلامها هي...

حتي انتهت مما تفعل فقامت لتبدل ملابسها...

تمددت علي فراشها تحاول النوم دون جدوي...

حتي خانتها عيناها بنظرة نحو خزانة ملابسها حيث أخفت دميته هناك بعدما قررت ألا تنام في حضنها كما اعتادت...

عضت علي شفتيها بقهر وهي تدير وجهها نحو الجانب الآخر بحدة...

يجب أن تتجاوز هذا الأمر...

يجب أن تتخلص من أعراض هذا الحب المريض الذي يسمم حياتها...

ستعتاد أن تنام دون دميته...

تماماً كما تحاول الاعتياد علي فراقه ...

ستحارب أشواقها إليه بكل قوتها...

ومن يدري...



ربما يأتي اليوم الذي تنتزع فيه دبلته من إصبعها دون ألم....

لقد منحها القدر فرصة للاختيار...

وهي اختارت...

وستدافع عن اختيارها للنهاية...

مهما كان الثمن!!!

=====

كانت مارية جالسةً في غرفة الكشف الخاصة بها في عملها الجديد...

عندما سمعت طرقاتٍ خافتة علي الباب...

رفعت رأسها بترقب تنتظر الطارق...

أو بالأدق...الطارقة!!!

نعم...

لقد كانت جويرية!!!



ارتفع حاجباها بدهشة للحظة ثم افترّ ثغرها عن ابتسامة رقيقة وهي تهتف بترحاب ظاهر:

_مرحباً يا جوري...ما هذه المفاجأة السارّة؟!!!

تقدمت جويرية منها بخطواتٍ مرتبكة وهي تغمغم بتوتر:

_مرحباً يا مارية...عفواً...لقد اضطررتُ لهذه الزيارة...لكنني لن أستطيع البقاء طويلاً حتي لا ينتبه أحد في المنزل لغيابي...

أشارت لها مارية بالجلوس وهي تتأمل ملامحها بتفحص...

وقد بدت لها هذه المرة مختلفة كثيراً عما رأتها في المرة السابقة...

ربما ازدادت ملامحها توردا وجمالاً...



لكنها كذلك تبدو أكثر ثقةً وقوة!!

رغم أطياف الخوف التي تبدو ظلالها الرمادية علي وجهها...

خاصةً عندما أردفت جويرية بحسمٍ لا يخلو من توتر:

_أريدكِ أن تخبري زياد أن ينسي أمري تماماً....حتي لو التقاني مصادفةً في الأيام القادمة لو تمت خطبتكِ لحمزة...فلا أريده أن يتحدث إليّ ولو بكلمة...لا أريد المزيد من المشاكل...

ابتسمت مارية وهي تقول بحنان:

_ولماذا تكون علاقتكما باباً للمزيد من المشاكل؟!!!
لماذا لا يكون زياد تعويض القدر عما عانيتِه أنتِ في زواجكِ السابق؟!!!



هزت جويرية رأسها وهي تهتف بانفعال:

_أنتِ لا تعلمين ظروفي...أخبريه بهذا فحسب...لا أريده أن يتعرض لي بأي صورة...

تنهدت مارية بيأس وهي تراقب انفعالها...

وشعورها بالشفقة نحوها يزداد...

هي تعرف كم أحبها زياد...

ولا يزال!!!

لقد بدا كالطفل في ليلة العيد عندما علم عن طلاقها...

بل إنه غضب من مارية واحتد عليها بحديثه عندما علم أنها أخفت عليه خبر فقدانها للنطق بعد زواجها...

ولولا سعادته بخبر طلاقها وخلاصها من زواجها -الكارثي-هذا لما سامحها بسهولة...



وهي تشعر أن حباً كحب زياد قادرٌ علي مداواة جرح جوري حتي لو أنكرت جوري نفسها هذا...

لهذا قالت مارية بعد صمت قصير :

_زياد لن يصدقني بعدما علم أنني أخفيتُ عليه خبر فقدانكِ للنطق وما حدث معكِ بعد زواجك...لهذا أقترح أن تحدثيه أنتِ بنفسك ...

ثم أردفت ببطء حذر:

_أنتِ وحدكِ من يمكنكِ إقناعه بأن يبتعد عن طريقكِ ويفقد الأمل...

كانت تقولها وهي تشعر ببعض الأمل لو تحدثت جوري مع زياد...

فربما قارب هذا بينهما...

عندما تشعر جوري بصدق عاطفته ورغبته الحقيقية في احتواء آلامها...



لكن جويرية شهقت بعنف وهي تهتف بتوتر:

_لا ...لا يمكنني الحديث معه....لن أفعلها أبداً...

ثم قامت واقفة وهي تردف بانفعال :

_أخبريه أنتِ يا مارية أرجوكِ....أنا لا....

أغمضت عينيها وهي تشعر بدوارٍ مفاجئ...

وتلاحقت أنفاسها كثيراً حتي ما عادت قادرة علي التنفس...

فقامت مارية لتتوجه نحوها وهي تهتف بجزع:

_ماذا بكِ يا جوري؟!!!

ترنحت جويرية وهي تتمسك بكتفيها تلقائياً...

قبل أن تشعر بالأرض تدور حولها بسرعة وهي تسقط مكانها...

وبعدها بدقائق...



أفاقت جويرية من إغماءتها القصيرة علي صوت مارية الحنون :

_حمداً لله علي سلامتك!!

تلفتت حولها بدهشة للوهلة الأولي...

لتجد نفسها لازالت في غرفة الكشف فغمغمت بصوت ضعيف:

_ماذا حدث؟!!!

ثم تأوهت بضعف ومارية تسحب سنّ الإبرة من ذراعها وهي تقول ببساطة:

_سآخذ منكِ عينة دم لإجراء بعض التحاليل...حتي نطمئن عليك...

هزت جويرية رأسها وهي تحاول ازدراد ريقها الجاف هامسة :



_لا داعي للقلق...هذه الحالة تنتابني غالباً عندما أتعرض لانفعال زائد...أنفاسي تتلاحق وتزداد سرعة ضربات قلبي حتي أفقد وعيي...

قالتها وهي تتذكر عندما أصابتها هذه الحالة بعد وفاة آسيا...

وليلة زفافها علي عمار...

وآخرها اليوم...

لكن ألا يُحتمل أن يكون لإغمائها اليوم سببٌ آخر؟!!!!

تألقت عيناها ببعض الأمل وهي تغمغم بلهفة:

_تحليل الحمل في الدم يكون دقيقاً حتي لو كان الحمل في أوله ....صحيح؟!!!

عقدت مارية حاجبيها وهي تتمتم باستنكار:

_حمل؟!!!!



التفتت نحوها جويرية بانفعال وهي تقول :

_أريد اختبار حمل سريع...

عادت مارية برأسها للوراء وهي تتأملها مصدومة...

حمل؟!!!

لو كان هناك حملٌ فهذا سيزيد تعقيد الأمور...

ياإلهي...

حملها هذا قد يجعل عائلتها تعيدها قسراً لزوجها السابق...

فماذا ستكون ردة فعل زياد عندما يعلم عن هذا؟!!!

زفرت زفرة حارة...

ثم ربتت علي كف جويرية هامسة برفق:



_حسناً يا جوري...تعالي هنا غداً في نفس الميعاد...وسأخبركِ بالنتيجة....

====

_ماذا تقول؟!!! تزوجت حفيدة قاسم النجدي؟!!!

هتف بها عمه غيث القاسم في استنكار وانطلقت همهمات غاضبة في مجلس العائلة الذي انعقد سريعاً فور عودة جسار وعمه إلي بلدتهما بعد كل هذا الغياب....

تأمل كساب وجوه الجميع بتفحص ...

رغم السخط المرتسم علي الوجوه لكنه يشعر بالارتياح..!!!

نعم...منذ علم أن غيث القاسم صار هو كبير العائلة وهو قد علم أن الأمور ستؤول للخير ...

فهو يعرف طبيعة غيث المادية جيداً...



والتي ستجعله يرحب بإنهاء العداوة بين عائلتي النجدي والقاصم في سبيل التفرغ لتجارته وأرضه بعيداً عن صراعات الدم...

لهذا كان يعرف أنه يحرز هدفاً أكيداً عندما قال بحزم:

_إغلاق صفحة الثأر هذه مصلحةٌ للعائلة وحفظٌ لأموالنا وأرواح أبنائنا .

ازدادت حدة الهمهمات المنفعلة بين مؤيدٍ ومعارض...

وجسار يقلب بصره بينهم بحذر...

حتي خبط عمه غيث بعصاه علي الأرض بقوة فانخرست الألسنة وساد الصمت فجأة....

خفق قلب جسار ترقباً وهو ينتظر كلمة عمه....

تلك الكلمة التي لا يتوقف عليها مستقبله هو وآسيا فحسب....



بل مستقبل ياسين الصغير أيضاً...

لقد انكشف المستور وعاد جسار وابنه لدائرة الضوء...

ولو عادت عجلة الثأر تدور فستحصد كل الرؤوس في طريقها ...

صغيرها وكبيرها...

لهذا تشنجت قبضته المضمومة وهو يراقب ملامح عمه المتجهمة عندما قال باستهجان:

_تهرب من بلدك وأهلك وواجبك طوال هذه الأعوام خوفاً وجبناً...ثم تعود الآن لتطلب منا أن نصم العائلة كلها بالعار ونذهب إلي قاسم النجدي طالبين الصلح؟!!!!!

كظم جسار غضبه بصعوبة...لكنه ظهر علي وجهه الذي احمر بقوة مع بروز عرق جبينه بدماء الحمية...



هو لم يهرب خوفاً ولا جبناً...

هو فعلها ليقطع هذه الحرب المتبادلة بين العائلتين والتي كان يسقط بسببها خير شباب البلدة....

فعلها ليشعر بالأمان بعيداً عن هذا الجو المحتقن بالضغينة والأحقاد...

فعلها وهو موقنٌ من صحة قراره ولو عادت به الأيام فسيفعلها من جديد...

هناك خطٌّ رفيع فاصل بين الشجاعة والحماقة...

وبين الحذر والجبن...

وهو يعرف أنه كان ولايزال واقفاً علي هذا الخط لم يتجاوزه!!!

لهذا رفع رأسه وهو يقول لعمه بحزم لا يخلو من توقير:

_لقد جئتُ أطلب دعم عائلتي راجياً مصلحة



الجميع...فاقضِ ما أنت قاضٍ يا عمي.

ضاقت عينا غيث القاصم وهو يتأمله بمزيج من الغضب والتفحص...

فتدخل كساب في الحوار قائلاً بذكاء:

_لو تذكر يا غيث ...أنا الأكبر سناً...وكان من المفترض أن أتولي أنا زعامة هذا المجلس مكانك.

تألقت عينا غيث بغضب وهو يلتفت نحو كساب بحدة....

فابتسم كساب في نفسه وهو يشعر بقرب نجاح خطته...

لهذا أردف بثقة:

_لكنني أثق في سداد رأيك...لهذا أرجو أن تستمع لكلمتي قبل أن تصدر حكمك.

عادت الهمهمات الساخطة من الحضور الغاضب تدوي في المجلس...



لكن غيث رفع كفه عالياً فعاد السكون بعد لحظات...

ثم خبط بعصاه علي الأرض عدة مرات متتالية قبل أن يقول ببطء:

_قل ماذا عندك!

تنهد كساب بحرارة ثم قال بحزمٍ متعقل:

_لقد تزوج جسار حفيدة النجدي وانتهي الأمر...ذهابنا إليه مجرد إرضاء بسيط للرجل بعدما حدث هذا دون علمه...هذا أهون تعويض عما حدث...وليس تقليلاً من شأن العائلة...

كز غيث علي أسنانه وهو يهتف بغيظ:

_وماذا كان الداعي لهذه الزيجة من الأساس؟!!!

كاد جسار ينفعل بالرد عليه...

لكن كساب ربت علي ركبته بقوة قبل أن يقول هو بحزم أقوي:



_أنا الذي أشرتُ عليه بهذا كي نجبر عائلة النجدي علي الصلح.

التفت إليه جسار بحدة...

لكن كساب أردف بنفس النبرة القوية:

_نعم...نحن عائلة القاصم من أجبرنا عائلة النجدي علي الصلح بهذه الزيجة...والآن يريدون منا الذهاب إليهم كترضية بسيطة لحفظ ماء وجوههم ونحن لسنا أقلّ كرماً من أن نفعلها.

ساد الصمت للحظات بعد كلمات كساب التي أصابت أهدافها...

وأطرق جسار برأسه مخفياً ابتسامة إعجابه...

العم كساب عرف كيف يلعب علي الوتر الصحيح...

لقد أرضي حمية آل القاصم وجعل الأمر يبدو لهم كما يريدون...



انتصار جديد علي عائلة النجدي!!!

وفي نفس الوقت استنفر نخوتهم ومروءتهم التي يعرفها ليجعلهم يوافقون علي الذهاب بأنفسهم للصلح..

ماكرٌ أنت أيها الكهل الطيب...!!!

بينما صمت غيثٌ لبضع دقائق مقلباً بصره بين جسار وكساب...

قبل أن يقول بحسم:

_غداً بعد صلاة العشاء أعطيك كلمتي الأخيرة.

=====

عاد جسار مع عمه كساب بسيارته بعدما أنهي مهمته في بلدته بنجاح...

صحيح أن الثمن الذي دفعه كان باهظا لكنه ليس بنادم...



نعم...عمه غيث القاصم كان هو الوحيد الذي وقف في صفهما أمام العائلة...

ليخرس جميع الألسنة المعارضة....

ومن حسن حظه أن غيث القاصم هو الذي صار كبير العائلة بعد أبيه...

لأنه -وعلي الرغم من حبه الشديد للسيطرة والتملك- يزن الأمور بعقله بعيداً عن التعصب والقبلية....

لكن ماذا عن الثمن الذي اضطر لدفعه كي يرضخ الجميع لطلب الصلح....؟!!!

الثمن كان تخليه الكامل عن إرثه من أبيه ...

ليس فقط في المال والأرض...

لكن في المكانة كذلك!!!



جسار القاصم وأولاده من بعده لن تكون لهم كلمة في مجلس العائلة....

نعم...لقد قال له عمه غيث بالحرف:

_أنت اخترت أن تكون غريباً منفياً فاقبل قدرك وقدر أولادك من بعدك!!

لكنه مع كل هذا يشعر بالرضا....

هو كان زاهداً في المال والأرض والمكانة منذ زمن...

ولا يزال...

كل ما كان يعنيه هو آسيا !!!

كيف يعيدها لعائلتها وحياتها مرفوعة الرأس محفوظة الكرامة...

كما أن هذا الصلح لن يعود بالخير علي آسيا فحسب...



لكنه سيطمئن أخيراً علي ولده ياسين...

نعم...

ستُغلق دفاتر الثأر القديمة للأبد...

وينام الجميع آمنين مطمئنين بلا خوف من غدٍ...

وهذا هو المقابل الثمين الذي يهون أمامه كل شئ!!!

وجواره كان عمه كساب يفكر في شرود...

من كان يقول أنه بعد كل هذه الأعوام...

تنتهي قصة الثأر هذه هكذا بتقدير المولي عز وجل...؟!!!!

من كان يخبره أن ابنة فريدة التي عاش مخلصاً لحبها طوال هذه السنوات ربما تكون سبباً في إعادتها إليه؟!!!



من كان يواسي قلبه الذي عاني عذاباته وحده طوال هذه السنوات بأن حصاد الصبر قد يكون أروع مما تمني؟!!!

نعم...الآن يمكنه الحلم بها من جديد...

حلماً مزيناً ببعض الأمل هذه المرة...

بعدما خنقته مخالب اليأس عمراً!!!

قُطعت أفكاره عندما وصل بدر لمدخل المزرعة...

فترجل من السيارة ليقول له بشرود:

_سأذهب إلي غرفتي ...أحتاج لأختلي بنفسي قليلاً...

قالها وهو يسرع الخطا نحو غرفته يكاد قلبه يسبقه إلي قلادتها التي احتفظ بها طوال هذه السنوات...



لتبقي شاهدة علي غرامها الذي لم تزده الأيام إلا اشتعالاً....

ويريدها اليوم أن تشهد كذلك علي فرحته بقرب تحقيق حلمه...!!!

راقب جسار انصرافه بابتسامة متفهمة وهو يدرك شعوره الآن...

عمه الذي ترك كل شئ خلفه منذ سنوات من أجل امرأة...

رغم أنه يعلم أنها تكرهه الآن ظناً منها أنه من قتل زوجها...

لكنه بقي علي عهد قلبه معها...

فياله من وفاء...

وياله من حب!!!



تنهد في حرارة وهو يدلف إلي داخل المنزل الكبير...

ولم يكد يغلق الباب خلفه حتي وجدها تندفع نحوه من غرفة الصغير لتلقي نفسها بين ذراعيه وهي تهتف بلهفة باكية:

_عدتَ يا جسار؟!!! الحمد لله...الحمد لله...

ضمها إليه بقوة وهو يشعر بارتجافها الخائف بين ذراعيه...

لتمتزج ابتسامته الحانية بعاطفته الدافئة الآن وهو يربت علي ظهرها هامساً بحنان:

_لا تخافي يا صغيرتي...جسار وفي بوعده معك....وكل شئ سيكون علي ما يرام...



ابتعدت عنه وهي تملأ عينيها من ملامحه بشغف...

لم تشعر بالخوف في حياتها كلها كما شعرت به في الساعات السابقة...

كانت تخشي عواقب عودته لعائلته بعد كل هذه السنوات...

وبعد فراره من التزامه -القهريّ-بالثأر...

وليس هذا فحسب...

لكن قصة زواجه من حفيدة غريمهم اللدود...

وطلبه -المتعنت -بأن يذهبوا إليه بأنفسهم في بيته طالبين الصلح!!!

عقلها كان يخبرها أن موافقتهم علي الأمر ستكون مستحيلة...

لكن هذا لم يكن ما يؤرقها...



بل خوفها الشديد علي جسار من بطشهم لو أرادوا به سوءاً!!!!

احتضن وجنتها برفق وهو يطفئ نيران خوفها بفيض حنانه الغامر هامساً بتأثر:

_كنتِ خائفةً إلي هذا الحد؟!!!

ربتت بكفها علي كفه المحتضن لوجنتها هامسة بلهفة:

_دعك مني وأخبرني كيف صارت الأمور معك؟!!!

زفر زفرة قصيرة...

ثم مضي يحكي لها ما حدث هناك ...

حتي انتهي فهتفت هي بانفعال:



_هذا ظلم...يأخذون مالك وأرضك وأنت الذي تعود إليهم لتمنحهم الأمن بعد خوف كل هذه السنوات؟!!!

هز رأسه قائلاً بتعقل:

_إنهم لا يفكرون هكذا يا صغيرتي...أنا في نظرهم هاربٌ جبان ...لكن كل هذا لا يهم...ما يعنيني الآن هو سلامتكِ أنتِ وياسين...

ازدردت ريقها ببطء وهي تتعلق بعينيه هامسة:

_متي ستذهبون لجدي؟!!

أطرق برأسه قائلاً باقتضاب:

_غداً إن شاء الله...لقد هاتفتُ حمزة واتفقت معه ...

ابتعدت عنه خطوة وهي تقول بمزيج من الترقب والقلق:

_هل...ستأخذني معك؟!!



قبض أنامله بقوة وهو يرفع رأسه لأعلي للحظات...

ثم عاد ينظر إليها قائلاً بحزم:

_لا...ليس الآن...ليس قبل أن أطمئن تماماً....

ابتعدت خطوة أخري وكأنها تمهد لنفسها الفراق الذي تشعر أنه آتٍ لاريب....

وهي تتشبث بنظراته كمن يلاحق السراب في بيداء قاحلة...

نظراته التي تحمل الآن حديثاً لا تفهمه...

وما عاد يجديها أن تفعل...

لقد اقتربت النهاية كثيراً...

اقتربت بأسرع مما توقعت...!!



وأمامها كان هو يقرأ استجداءها -الملكيّ-بعينيها...

نعم..ملكيّ...!!!

نظراتها كانت تحمل حباً صادقاً لاريب فيه ...

حباً يقرع باب قلبه الموصود بقوة جبارة...

لكنها كانت تحمل مع هذا الحب هالاتٍ من قوتها -المستحدثة-تحذره من أي نظرة شفقة !!

خاصةً عندما ابتعدت خطوة لاحقة لتغتصب ابتسامة باهتة وهي تقول بتماسك:

_لم أكن أحلم أن ينتهي الأمر بهذا الكمال...غداً أعود لعائلتي وعملي ودراستي...ظننتُ أن الخروج من هذه المزرعة سيكون نهاية شعوري بالأمان ...والآن أراه بداية جديدة مزدانة بالوعود...

تعلقت عيناه بعينيها اللتين غامتا خلف سحب داكنة



من دموع تناقض حديثها المدّعي...

وقدماها تختلسان خطوة خلفية جديدة...

لتردف بلهجة أقوي لكن بصوت متهدج هذه المرة:

_الآن تنطلق الفرس بجموح في طريقها بلا عوائق....

خفق قلبه بعنف وهو يشعر بخطواتها المبتعدة ...

كل خطوة تحكم وثاق قيده -الجديد-معها أكثر...

وليس العكس!!!

ليجد نفسه يتقدم نحوها ...

ليقطع كل الخطوات التي ابتعدتها بخطوة واحدة...

حتي أمسك كتفيها بقوة هامساً أمام عينيها بدفء:

_وأنا معكِ حتي تكملي الطريق!!



الفصل الرابع والعشرون:

خرجت جويرية من منزل العائلة وهي تشعر بالقلق يكاد يعتصر قلبها اعتصاراً...

لا تريد زيارة مارية في المشفي من جديد خشية أن تلتقي بزياد لكنها تريد معرفة نتيجة اختبار الحمل..

كما أن جزءاً من عقلها يرتاح لقول مارية أنه ربما كان من الأفضل أن تخبر هي زياد بنفسها عن حقيقة وضعها الجديد ...

نعم...تخبره أنها تحب زوجها وستعود إليه وأن حكايتهما القديمة قد صارت رماداً تذروه الرياح ....

استقلت سيارة أجرة لتذهب للمشفي وتوجهت نحو غرفة مارية التي التقتها فيها بالأمس...



لكنها ما كادت تطرق الباب حتي وجدته مقبلاً عليها من الرواق الجانبي وعلي وجهه ابتسامته العاشقة التي تعرفها...

نعم...زياد!!!

تجمدت مكانها مصدومة رغم أن كل ما فيها كان يرتجف!!!

هل من الممكن أن تتبدل مشاعر المرء بهذه السرعة؟!!!

هذا هو زياد الذي كانت تظن أنها تحبه بل إنها كادت تضحي بكل شيءٍ لتهرب معه!!!

هذه هي ملامحه التي كانت يوماً رمزاً للعشق كما تحلم به...

فكيف الآن تراها غريبة عنها وكأنها لم تعرفه يوماً!!!



هذه هي عاطفته التي كانت تلتمع في عينيه فتشرق كالشموس في عينيها هي...

فكيف الآن تخافها وكأنها ظلمة ليلٍ حالكٍ بلا قمر ولا نجوم؟!!!

هذه هي ابتسامته التي كانت تحتوي روحها كطيّ السجلّ للكتب...

فكيف الآن تحولت لدخانٍ أسود يخنقها ببطء!!!

حقاً...ما سُمّيَ القلب قلباً إلا لكثرة تقلبه....!!!!

بينما كان زياد يقترب منها يكاد قلبه يسبق خطواته إليها...

عيناه كانتا تلتهمان تفاصيلها باشتياق كاسح ولو استجاب لجنونه الآن لطوقها بين ذراعيه وحملها بعيداً عن هنا....



لمكانٍ لا يري فيه سواها ولا تري فيه سواه!!!

حتي صار قبالتها تماماً فاشتعلت عيناه بغرامه وهو يهمس بنبرته الحانية:

_اشتقتكِ يا جوري!

أطرقت برأسها لدقيقة كاملة وهي عاجزةٌ عن الكلام...

هي التي كانت تنتوي مواجهته بمشاعرها الجديدة نحو عمار طالبةً منه أن يدعها وشأنها...

الآن تري نفسها عاجزةً حتي عن الرد!!

لكن عينيها تعلقتا بالأوراق التي يحملها والتي رفعها أمامها وهو يغالب فيض شعوره الآن ليردف بنفس الابتسامة العاشقة:

_هذه نتيجة تحاليلكِ ...كلها ممتازة.



ازدردت ريقها بتوتر وهي تهمّ بسؤاله عن أهم تحليلٍ فيها والذي سينقذها من ورطتها الآن...

تحليل الحمل!!

لكن لسانها انعقد وهي تشعر بالخجل من أن تسأله عن أمرٍ كهذا...

رفعت عينيها إليه بحذر وهي تهمس بارتباك:

_زياد...كنت أريد أن أطلب منك شيئاً...

اتسعت ابتسامته وهو يطوقها بنظراته هامساً :

_كلّي للكِ يا جوري.

ارتجف جسدها رغماً عنها وهي تحاول استجماع شجاعتها لكنها اصطدمت بنظرة غاضبة في عينيه فجأة...

فرمقته بنظرة استفهام قبل أن تدرك أنه لا ينظر إليها هي بل إلي شئٍ ما خلفها...



استدارت للخلف عفوياً لتجد أمامها أسوأ كوابيسها يتحقق...

إنه عمّار !!!!

هنا!!!!

كان خلفهما تماماً !!!!

وفي عينيه غضبٌ قد يحرق الكون كله!!!

=====

كان واقفاً خلفهما يتابع حديثهما وهو لا يكاد يتمالك نفسه...

بعينين أدماهما الغضب والشعور الرهيب بالغدر...

كيف يمكنه وصف إحساسه الآن ؟!!!

وهو يشعر بكل خلية في جسده تزأر بصرخاتها المغدورة...



كان قد عاد اليوم من سفره ولم يخبرها كي يعد لها مفاجأة...

فإذا بها هي تعدّ له مفاجأةً أعظم بكثير من مفاجأته!

عندما لمحها تتسلل من منزل العائلة وعلي وجهها شعورٌ بالذنب لا يعرفه إلا من يحفظ ملامحها مثله!

لهذا تبعها حتي وجدها تدخل المشفي...

في البداية ظنها مريضة وسقط قلبه خوفاً...

لكنه عندما رآها تتحدث مع هذا الطبيب الذي تذكر ملامحه فوراً أدرك سبب زيارتها ...

نعم...إنه هو الطبيب "اللزج" الذي أحضره لها يوم فقدت وعيها في المنزل...

وليته لم يفعلها!!!

لاريب أنه هو الوغد الذي كانت ستهرب معه...



فقد كان ظهوره في حياتها متزامناً مع هذه الفترة التي تجرأت فيها لتصارح قاسم النجدي بعدم رغبتها في الزواج منه...

وربما...لا...ليس هو...

لكنه سيتأكد حالاً!!

اقترب منهما وعيناه مثبتتان في عيني زياد ببركانٍ أسود...

ولم يكن زياد أقل منه غضبةً وهو يشعر بحقارة هذا ال"وحش" الذي يتعقب "عصفورته" حتي بعدما تخلصت من أسرها معه...

لهذا عاجله زياد بعبارته الحانقة:

_ماذا تريد؟!!

قبض عمار علي أنامله متمالكاً غيظه لأبعد حد وهو يقول ببرود تعلم جويرية جيداً ماذا خلفه:



_ماذا أريد أنا؟!! أنت تقف مع....زوجتي!

ارتعش صوته رغماً عنه في كلمته الأخيرة فدمعت عينا جويرية وهي -وحدها- تدرك الآن شعوره...

ومعني ارتجافة صوته هذه...

وهي تتمني لو يكون كل هذا مجرد كابوس...!!!

لو تسحبه بعيداً عن هنا وتشرح له كل شئ وهي بين ذراعيه...

علي صدره...

حيث كانت تخبره دوماً أنها تجد أمانها!!!

حتي لو لم يصدقها...

حتي لو عاقبها...

بل وحتي لو قتلها كما كاد يفعل يوماً!!!!



لكنها عجزت عن فعل شئ كالعادة...

خوفها -العتيق-منه جمدها مكانها كالصنم!!!!

لكن زياد انتفض غضباً وهو يلوح بسبابته في وجهه هاتفاً بانفعال:

_كانت!!!كانت زوجتك!!أنتَ طلقتها.

أغمض عمار عينيه للحظة بألم ناقض برودة صوته وهو يسأله:

_هي أخبرتك بهذا؟!!!

ثم فتح عينيه ليردف بسخرية مريرة:

_ألم تخبرك شيئاً آخر؟!!

نظر زياد لجويرية بتساؤل لكن مظهرها -البائس- أثاره أكثر...

بجسدها الذي يرتعش خوفاً ودموعها السائلة في صمت...



فعاد يلتفت نحوه هاتفاً بحدة:

_لا داعي لهذا الحديث...أنا وجويرية متحابان...وسأتقدم لخطبتها عندما تنتهي عدتها...لو كنتَ رجلاً حقاً فاحترم رغبتها.

كانت كلماته كالنصال الحادة تهوي علي قلب عمار تطعنه بقسوة...

بينما لطمت جوري خدها ببطء وقد أُسقط في يدها فما عادت قادرة علي الرد...

خوفها من عمار...

وربما -عليه-أخرسها !!!!!

عمار الذي كانت روحه الآن تغلي علي مراجل الغيرة والغضب....

لكن هذا لم يبدُ علي ملامح وجهه التي تجمدت بقسوة وهو يتجاهل قوله ليسأله بنفس البرود:



_هل أخبرتك قبل أن تخطبها أنها تحمل طفلي؟!!

ابتسم زياد باستهزاء وهو يرفع الأوراق التي يحملها أمام وجهه قائلاً بتهكم:

_ابحث عن خدعة أخري...ها هي ذي تحاليل جويرية التي أجرتها بالأمس.

اختطف عمار التحاليل من يده بعنف ثم جرت عيناه علي السطور بسرعة لتتوقف علي الكلمة "القاتلة"!!!!

اختبار الحمل "سلبيّ" النتيجة!!!!

سلبي!!!

جوري لا تحمل طفله!!!!

جوري كانت تخدعه..

طوال هذه الفترة كانت تستغل حبه لها!!!!

كانت توهمه أنها تحبه وهي تخرج للقاء عشيقها هذا الذي تخدعه مثله!!!



هي تتلاعب بهما معاً!!!!

لم تخبر -عشيقها المغفل مثله-أنه ردها لعصمته ...!!!!!

بل واتفقت معه علي أن يخطبها بعد أن تنتهي عدتها!!!!!

أي شيطانة هذه؟!!!!!

أي شيطانة؟!!!

رمي التحاليل من يده علي الأرض بعنف وقد تحرر مارد غضبه من سجنه ليجذب زياد من معطفه الأبيض هاتفاً بجنون:

_اسمع إذن آخر كلامي...أنا رددتُها لعصمتي...هذه المرأة ستبقي زوجتي حتي يضمّ القبر أحدنا ....هل تفهم؟!!



دفعه زياد بعنف وهو يهمّ بالشجار لكن عمار ابتدره بلكمة أسقطته أرضاً قبل أن يسحب جوري -المنهارة ببكائها-من ذراعها مخترقاً بها جمع الناس الذين بدأوا في الالتفاف حولهم بعدما بدأ الشجار...

حتي وصل بها لسيارته ففتح الباب ثم دفعها للداخل بعنف مغلقاً الباب بعدها بقوة كادت تكسره...

قبل أن يستدير ليركب جوارها وينطلق بالسيارة بسرعتها القصوي غير آبهٍ بعقلٍ أو قوانين....

وهل بقي هنالك عقل أو قوانين؟!!!

وجواره كانت هي تبكي بانهيار لا تصدق كل ما حدث...

وهي تلعن غباءها الذي دفعها لهذه المخاطرة...

لماذا جاءت هنا...؟!!!!

بل لماذا غادرت بيتها من الأساس...؟!!!!



عمار لن يصدقها الآن ولو أقسمت له بأغلظ الأيمان...

لكن يشهد الله أنها لم تفعل كل هذا إلا لأجله...

لأجل أن تحافظ عليه وعلي حبهما...!!!!!

توقف بالسيارة أمام منزل العائلة فالتفتت إلي جانب وجهه المحمر غضباً تهمس وسط شهقاتها الباكية:

_اسمعني يا عمار...فقط اسمعني...وبعدها سأرضي بأي...

_اخرسي!

قاطع همسها بصرخته وهو يرفع كفه يهمّ بصفعها فانكمشت مكانها وقلبها يكاد يتوقف هلعاً...

لكن كفه تجمد مكانه ثم عاد يقبضه وهو يشيح عنها بوجهه للحظة....



قبل أن يفرغ شحنات غضبه كلها في خبطاتٍ سريعة قوية علي مقود السيارة فازداد هلعها لكنها همست برجاء مصبوغ بالخوف:

_سأخبرك بالحقيقة كلها....صدقني يا عمار أنا ذهبت هناك كي أجعله يبتعد عن طريقي...كنت أخشي غضبك لو تعرض لي يوماً...أنا لم أفعل ما يشين معه قبل زواجي منك ولا بعده.....لم ألتقِ به إلا اليوم ...كنت...

كان حديثها يصله مهزوزاً مرتعشاً وكأنه يأتيه من بئر سحيق...

لم يكن يكترث بكل هذا الهراء الذي تحكيه فهو لن يصدقها أبداً بعد اليوم...

وكيف يفعل وهي التي حرقت غابات عشقها كاملةً علي أرضه ...؟!!!



وجففت أنهاره التي ما فاضت يوماً إلا لها!!!

هي التي ركع لها قلبه آمناً مطمئناً فذبحته بسكّين بارد...

والآن تنتظر ماذا؟!!!

العفو؟!!!

هيهات يا جوريتي ...هيهات!!!

كانت لا تزال تتحدث وسط دموعها بكلامٍ بدا كالهذيان من فرط خوفها و ارتباكها...

لكنه لم يكن يستمع...

فقط التفت إليها فجأة ليلتقط نظراتها الضائعة وهو يغمغم بألمٍ ذبحها قبله:

_إلي متي سأظل أتعذب بكِ؟!!!

عاد جسدها يرتجف بدموعها وقد خانتها كلماتها العقيمة التي ما عادت تجدي هنا...



لكنه لم يمهلها أكثر فقد فتح باب السيارة ليترجل منها ...

ثم دار حولها ليفتح بابها ويجذبها من ذراعها بقسوةٍ آلمتها لكنها لم تعترض....

ثم سار بها يسحبها خلفه بسرعة حتي كادت تتعثر أكثر من مرة في سيرها...

حتي وصل بها إلي غرفة جده فطرق بابها بقوة...

هنا سقط قلب جويرية بين قدميها وهي تتوقع القادم...

عمار سيعترف لقاسم النجدي بكل شئ...

بداية من قصة هروبها الفاشل والتي كانت سبباً في ما حدث بينهما بعدها...

وانتهاءً بما رآه بعينيه في المشفي الآن!!!

وجدها لا هوادة لديه في هذه الأمور...

سيقتلها دون تفكير!!!



لكن عمار قطع أفكارها وهو يسحبها من جديد خلفه عندما سمع إذن جده بالدخول ليدلف إلي الغرفة ويقف أمام جده قائلاً بحزم:

_أنا رددتُ جويرية لعصمتي يا جدي...لن أطلقها أبداً !

ارتجف جسدها أكثر من مفاجأتها بهذا التحدي السافر من عمار لأوامر قاسم النجدي....

قاسم الذي انتفض من رقدته وهو يتطلع إليهما بغضب...

وقد أساء فهم ملامح جويرية الباكية بانهيار فهتف بحدة:

_ماذا تقول؟!!!كيف تتجرأ علي ابنة عمك هكذا؟!!

اشتعلت ملامح عمار بغيظه المكتوم وهو يقول بنبرة قاسية:

_هي زوجتي...

أفعل بها ما أشاء.



نفض قاسم غطاءه وهو يتحامل علي نفسه للقيام مستنداً علي عصاه...

قبل أن يهتف بانفعال :

_هل جُننتَ يا ولد؟!!هل تتحداني وتتعدي علي حرمة ابنة سعد النجدي وهي في حمايتي؟!!

قالها وهو يرفع عصاه يكاد يهوي بها علي رأسه...

لكن جويرية وقفت بينهما لتهتف بصوتٍ عالٍ:

_أنا أيضاً أريد العودة لعمار يا جدي...هو لم يجبرني...أنا راضية...أرجوك يا جدي دعني أعود إليه.

رمقها قاسم بنظرة قاسية فعادت تهتف برجاءٍ وسط دموعها المنهمرة كالسيل:

_أرجوك يا جدي...أنا أريد عمار...أريد زوجي.

ظلت تتمتم بعبارتها الأخيرة برجاء حتي اختنق صوتها في حلقها...



فساد الصمت لحظاتٍ طويلة...

وقاسم يقلب بصره بينهما بتفحص غاضب...

قبل أن ينظر لعمار هاتفاً بصرامة:

_لن يكون عقابك أقل من عقاب أخيك الذي تجرأ وعصي أمري...سترحل من هنا وتأخذها معك مادامت هي ترغب بهذا....

ثم اقترب منه خطوة ليلوح بسبابته في وجهه هاتفاً بصرامةٍ أقوي:

_لكن لو علمت أنك مسستَها بسوء...فسيكون حسابك أقسي مما تتوقع.

أطرق عمار برأسه دون رد...

فهتف قاسم بثورة عارمة مصدراً قراره الأخير:

_هيا....اغربا عن وجهي أنتما الاثنين...لا أريد أن أراكما هنا في بيت العائلة بعد.



صعدت معه درج المنزل القديم لبيت والدته وقلبها يكاد يتوقف رعباً...

هو لا يحدثها بكلمة منذ تركا منزل العائلة...

وبرغم رجاءاتها وتوسلاتها له طوال الطريق أن يسمعها لكنه لم يلتفت إليها حتي!!!!

ملامحه متيبسة بقسوة خشنة وكأنها لم تكن محلاةً بعشقها يوماً...

فتح باب الشقة بعنف قبل أن يدفعها للداخل بقسوة هاتفاً :

_ادخلي!

تأوهت بضعف عندما أغلق الباب خلفه ليتقدم نحوها فتراجعت بظهرها تلقائياً لكنه أدركها ليمسك ذراعها هاتفاً بحدة:



_إياكِ أن تظني أنني فعلت هذا رغبةً فيكِ ...أنا لن أقربكِ بعد ...حتي لو كنتِ آخر امرأة في الدنيا.

انهمرت دموعها كالسيل لكنه لم يكترث وهو يهز جسدها بعنف مردفاً:

_أنا فعلتُ هذا لأحتوي عار عائلة النجدي...نعم...أنتِ لستِ سوي مجرد عار علي هذه العائلة...شيطانة يجب أن تُسلسل بالقيود حتي نأمن شرها.

ارتجف جسدها لا تدري خوفاً أم تأثراً بإهانته...

وهو يردف بنفس اللهجة المخيفة:

_ستبقين هنا مجرد خادمةٍ لي ولأخي في هذه الشقة...وإياكِ أن يعلم أحدٌ عما بيننا وإلا أذقتكِ عذاباً لم تتخيليه في أسوأ كوابيسك.

قالها ثم دفعها بقسوة لتسقط تحت قدميه ...



ظلت تنظر إليه وهي مكانها علي الأرض مصدومة وشريط حياتها كله يمر أمام عينيها ببطء...

مغلفاً بشريط أحمر من شعورها بالقهر والظلم....

لا...!!!

لن تستسلم هذه المرة....

لن تعود للخنوع والضعف...

لو كانت آسيا قد فعلتها وتحررت من قيدها...

وكذلك فعلتها ساري بعدها...

فهي أولي بكسر قيدها القديم مع هذا الرجل....!!!

لهذا قامت من سقطتها لتقف أمامه مواجهةً له بقوة عينيها العاصفتين وهي تصرخ بانفعال:

_ستسمعني يا عمار...ولو كان هذا آخر ما أفعله في حياتي.



قالتها وعيناها تقعان علي سكين المائدة فتناولتها بسرعة لتضعها علي رقبتها وهي لازالت تصرخ بجنون:

_هل تذكر يوم وضعتَها أنت علي عنقي ؟!! الآن أضعها أنا لو كان هذا هو القرار الوحيد الذي يمكنني أخذه في مصيري بعدما حرمتموني جميعاً هذا الحق...

عقد حاجبيه بشدة وصراخها الهائج يكاد يصمّ أذنيه:

_علامَ تلوم جاريتك الآن أيها السيد؟!! علي رغبتي السابقة في الهروب من سجنكم؟!!
نعم...فعلتها...وأتحدي أي امرأة مكاني ألا تفعلها...ماذا كنتَ أنتَ لي قبل زواجنا؟!! عاشقاً متيماً؟!!! ماذا فعلتَ لتشعرني بحبك؟!! كنتَ تعاملني أسوأ معاملة وتنتظر مجرد ورقة زواج لتمتلك بها كل شئ...ولولا ظروف مرضي لما كنتُ علمت عن مشاعرك شيئاً...



وسط كل هذا ...يضع القدر في طريقي رجلاً هو عكس كل ما كان يبدو لي منك...رجلاً يعرف كيف يعاملني باحترام ...يسمعني الحديث الذي لم أسمعه يوماً...ويمنحني العاطفة والحنان الذي حُرمت منه طوال عمري...ويعرض عليّ الزواج كأنني أميرة...فهل تُلام الجارية لو أحبت من جعلها أميرة؟!!!

ازداد انعقاد حاجبيه وهو يكز علي أسنانه مراقباً ارتجاج جسدها بانفعالها الهستيري...

ورغم خوفه أن تؤذي نفسها وقد بدا عليها أنها خرجت عن حدود سيطرتها علي انفعالاتها...

لكنه تجمد مكانه عاجزاً عن فعل شئ سوي الاستماع لصراخها الذي بدا حاراً صادقاً لأبعد حد:



_ومع هذا أقسم لك أنني لم أحبه...أنا لم أحب رجلاً سواك...لهذا كدتُ أجنّ عندما طلقتني و رفضتَ أن تردني لعصمتك مستمعاً لرغبة جدي ولصوت غرورك...نعم...كذبتُ عليك وادعيتُ أنني أحمل طفلك...فقط لتبقي معي....كنتُ علي استعدادٍ لفعل أي شئ حتي لا أخسر حبك الذي أنار حياتي من جديد...لكنني كنتُ لا أزال أخشي غضبك...غضبك المجنون الذي يجرف في تياره كل شئ...لهذا أخفيتُ عنك الحقيقة التي كنتَ تصر علي معرفتها...

كان نصل السكين يرتعش الآن علي رقبتها وقد جرحها بالفعل...

لكنها لم تشعر به وهي تكمل صراخها -المقهور- بالحقيقة :



_لكن القدر عاجلني بضربة لم أتوقعها...وظهر هو في الصورة من جديد رغماً عني...حمزة سيخطب ابنة عمه وقد عرفت هذا بالمصادفة...خشيتُ غضبك وسوء فهمك لو تعرض هو لي بالمصادفة... فذهبت لخطيبة حمزة كي تقنعه بالابتعاد عن طريقي وهناك انتابتني اغماءتي المعتادة فتطوعت لإجراء تحاليل لي...كان من الممكن أن ينتهي الأمر ها هنا....لكن لهفتي لطفلٍ منك يربطني بك أكثر جعلتني أذهب إلي المشفي ثانيةً لأتبين نتيجة اختبار الحمل فيقودك سوء حظي إليّ لتراني هناك معه...

أشاح بوجهه عن مظهرها البائس بدموعها المنهمرة وسط صراخها...

وخيط الدم الرفيع الذي يسيل علي رقبتها...

وهو لا يدري ماذا يفعل...

قلبه يخبره أنها صادقة...



هذا ليس حديث امرأة كاذبة أو مدعية...!!!!

لكن عقله يذكره بتاريخها -الأسود-معه ...

فتتقاذفه دواماتٌ من الحيرة وهو عالقٌ بينها كالغريق!!!!

بينما كانت هي قد وصلت لذروة إنهاكها وتقطع صوتها وسط لهاثها وهي تردف بانهيار:

_أنا اخترتك لأول مرة في حياتي عندما تملكتُ حق الاختيار...اخترتك وزياد أمامي وجدي يقف في صفي ضدك...اخترتك لأنني أحببتك حقاً وليس سعياً خلف أحلام مراهقة محرومة...

التفت نحوها ببطء أخيراً بنظراتٍ مفعمة بمشاعر بلا حدود....

ثم تقدم نحوها بحذر وعيناه معلقتان بيدها التي تهتز علي السكين...



قبل أن يرفع كفه ليتناوله منها ويلقيه بعيداً...

بينما أغمضت هي عينيها باستسلام تام وكأن نزيف كلماتها السابق قد استنزف روحها كلها...

مستجيبةً لذراعيه اللذين أمسكا ذراعيها وهو يجلسها علي الكرسي قبل أن يغيب بضع دقائق بالداخل ثم يعود بقطعة قطنٍ طهرها ببعض العطر...

جثا علي ركبتيه أمامها ليضعها علي جرح رقبتها مانعاً نزيف الدم...

لكنها بدت غائبة عن إدراكها لكل هذا وهي مغمضةٌ عينيها باستسلام علي عكس جسدها الذي كان ينتفض انفعالاً....

بقيا علي هذا الوضع لدقائق...

وهو يشعر بأنه عاجزٌ عن اتخاذ قرار...

تصرفها الأخير نسف كل جبال غضبه...



لكنه لم يمحُ حطامها من قلبه بعد!!!!

حتي لو كان يصدقها...

هما يحتاجان لكثير من الوقت لترميم هذه العلاقة ...

أو بالأدق...

بنائها من جديد!!!!

بلا خفايا ولا أسرار...

ولا قيود ولا إجبار...

ولا صكوك ملكية تسلم الجارية لسيدها...

بل عهود عشقٍ يكتبها القلب راضياً بدقاته ....

ازدرد ريقه ببطء ثم ربت علي وجنتها برفق ففتحت عينيها ببطء ترمقه بنظرة طويلة قبل أن تهمس بصوت ضعيف متقطع:



_لم أعد جاريةً آبقةً من سيدها تنتظر العقاب...الآن أنا امرأة حرة اختارتك حبيباً وزوجاً...فهل تقبلني؟!

خفق قلبه بجنون وهو يستشعر صدقها بوضوح الشمس دون جدال....

فأغمض عينيه للحظة قبل أن يندفع ليضمها إليه بقوة معتصراً جسدها بين ذراعيه لا يدري غضباً أم عشقاً....

ثم همس بخشونته المعهودة:

_ستتعبين كثيراً كي تثبتي لي صدق حبكِ هذا.

رفعت رأسها إليه لتبتسم بشحوب وعيناها تحتضنان عينيه اللتين فاضتا بحنان يناقض خشونة ألفاظه...

ثم همست أمام عينيه بحرارةٍ أذابت أحجار شكوكه كاملة:

_لن تتعب جوريتك مادمتَ معها!

======



كان اليوم استثنائياً في بيت آل النجدي...

بعدما تجمع كبار رجال عائلة القاصم ليتفقوا علي الصلح...

كان المجلس يتضمن كبار العائلتين بقيادة غيث وقاسم...

مع جسار وحمزة وياسين...وحذيفة وعمار اللذان حضرا كظرف -استثنائي-بعيداً عن قرار نبذهما الأخير من

جلس قاسم النجدي جوار غيث القاصم وكلاهما يتفحص الآخر بتوقير لا يخلو من حذر...

قبل أن يقول قاسم النجدي بلهجته الحازمة:

_لقد أنبأني ولدكم جسار أنكم جئتم تطلبون الصلح.

تبادل آل القاصم نظراتٍ مشتعلة بالغيظ المكتوم...

لكن غيث القاصم أخرس الجميع بنظرته التحذيرية



قبل أن يلتفت لقاسم قائلاً بجمود:

_لم يعد هناك داعٍ للعداوة بعد زواج ابننا من ابنتكم.

صمت قاسم للحظات قبل أن يهز رأسه موافقاً...

ثم دعا الجميع لقراءة الفاتحة كما اتفق...

لكن كساب هتف بصوته القوي:

_قبل قراءة الفاتحة....لي لديك مطلبٌ يا سيد قاسم...فلا تخيب رجائي.

ساد الصمت المضطرب بين الحضور وتبادلوا نظرات القلق...

لكن قاسم تأمل كساب بنظراتٍ خالية تماماً من الود وهو يشير له برأسه أن يكمل حديثه...

فصمت كساب للحظة قبل أن يفجر قنبلته القادمة:

_أنا أطلب السيدة فريدة أرملة سعد النجدي للزواج.



انطلقت همهمات عالية وسط الحضور علي إثر مفاجأته التي لم يتوقعها أحد...

والتي -ربما-ستقلب المائدة علي رؤوس الجميع...

خاصةً عندما اشتعلت ملامح قاسم واحمر وجهه غضباً قبل أن يهتف بحدة:

_ماذا تقول؟!!! هل تريدني أن أمنح زوجة ابني لقاتله؟!!

انطلقت صيحات الاستنكار من الجميع...

آل القاصم الذين كانوا ينكرون مسئوليتهم عن مقتل سعد النجدي...

وآل النجدي الذين كانوا يستنكرون مطلب كساب القاصم...

بل ويعتبرونه إهانةً في حق العائلة!!!!

لكن كساب كان يعدّ نفسه لهذا كما يبدو فقد قال بهدوء:



_لم أفعلها يا سيد قاسم...وأنت تعلم أنني كنتُ سأعترف بها لو كانت فعلتي...أنا بريءٌ من دم سعد النجدي.

انعقد حاجبا قاسم بغضب هادر وهو يرد عليه:

_حتي لو كنتَ كذلك...زوجة ابني ستبقي له في حياته وبعد موته.

عادت الهمهمات الساخطة تنطلق في المجلس فتبادل جسار وحمزة نظراتٍ ذات مغزي قبل أن يميل حمزة علي أذن جده هامساً :

_اهدأ يا جدي...هم قد جاءوا إلينا بأنفسهم يطلبون الصلح ولا تنسَ أن آسيا الآن بين أيديهم.

وكذلك مال جسار علي كساب ليهمس بعتاب لا يخلو من توقير:

_تسرعتَ يا عمي...اصبر قليلاً كما صبرتَ طوال



هذه السنوات...وسنعيد طرح الأمر في وقتٍ لاحق.

أطرق كساب برأسه وهو يشعر بالضيق...

رغم أنه كان يتوقع رد الفعل هذا لكن جزءاً ما بداخله كان يتمني لو تسير الأمور علي مراده...

لو يحقق له القدر هذه الأمنية التي عاش يحلم بها عمراً...

هو يعرف أن قطار عمره قد شارف علي الوصول للنهاية...

لكن من قال أن الحب يعرف سناً؟!!!

لو كان الموت آتيه لا ريب فليأتِه وامرأته التي لم يعشق سواها بين ذراعيه...

كفاه من الدنيا هذه الغنيمة!!!

لكن لا بأس فليصبر قليلاً كما يقول جسار حتي يقضي الله أمراً كان مفعولاً...



قطع أفكاره عندما عاد الصمت يسود المكان فجأة فالتفت تلقائياً نحو قاسم النجدي الذي رفع رأسه ليقول الكلمة الأخيرة:

_أما عن طلب كساب القاصم لأرملة سعد النجدي فهو مرفوض...وأما طلبكم للصلح فقد قبلناه.

========

خرج حذيفة من شقة قاسم النجدي بعد انتهاء الاجتماع هابطاً الدرج نحو مدخل المنزل...

وأفكاره كلها معلقةٌ بسيدة قلبه الأولي...

ساري!!!

رفع رأسه للأعلي نحو شقة فريدة لعله يلمحها لكنه عاد يطرق به وهو يفكر بقنوط...

ساري لم تعد له...!!!



تحررت الجارية من رقّها وهجرت سيدها القديم...

طوال تلك الأيام السابقة وهو ينتظر منها اتصالاً كتلك الليلة التي هاتفته فيها ليشهد انهيارها بنفسه...

لكن يبدو أنها لم تكن في وعيها الكامل تلك الليلة...

هو منحها حق الاختيار وهي اختارت النهاية!!

فما عاد هناك إذن كلامٌ يقال!!

كان قد وصل لمدخل المنزل عندما فُتح الباب ليجدها أمامه!!!

نعم...ساري..

لكنها لم تكن وحدها!!

بلال الهاشمي كان معها!!!

ورغم إعصار الغضب الذي كان يجتاحه الآن بلا رحمة وهو يراهما يدخلان سوياً...



لكنه حافظ علي برودة ملامحه وهو يتقدم نحوهما بثبات...

صافحه بلال بتهذيب مختلط ببعض الحرج ثم قال برفق:

_أنا سأصعد لأري رقية.

قالها ثم غادرهما بخطواتٍ سريعة قبل أن يرمق ساري بنظرة متفحصة لا تخلو من ألم....

وهو يستشعر ذبذبات جسدها الذي توتر فجأة عندما رأت حذيفة...

خاصةً وهو يراها لا تزال ترتدي دبلته في إصبعها ولم تخلعها بعد....

لكنه تمالك مشاعر ألمه وهو يمني نفسه بأن الغد ربما يحمل لكليهما رياحاً تطير غبار الماضي كله...!!!!!



أما ساري فقد توقفت مكانها أمام حذيفة وعيناها مثبتتان بعينيه المشتعلتين علي عكس ملامحه الباردة لتهمس بخفوت:

_كيف حالك يا حذيفة؟!

أشاح ببصره عنها وهو يجيبها ببرود:

_بخير يا ابنة عمي.

ازدردت ريقها بتوتر وهي تتلفت حولها قبل أن تعود لتهمس باضطراب:

_لقد قابلت بلال بالمصادفة علي باب المنزل الخارجي وهو في طريقه للدخول.

حافظت كلماته علي صقيعها وهو يرد عليها:

_لم أطالبكِ بتبرير...أنتِ حرة..لا شأن لي ب"مصادفاتك"!!!



تشبثت عيناها بعينيه تشبث الضرير بعصاه...

وقلبها يكاد يصرخ بين جنباتها لوعةً واشتياقاً...

رباه!!!

كم افتقدته!!!

رغم أنها تشعر أنه قد تغير كثيراً لكنه لازال حذيفة...

فرح قلبها وشقاؤه!!!

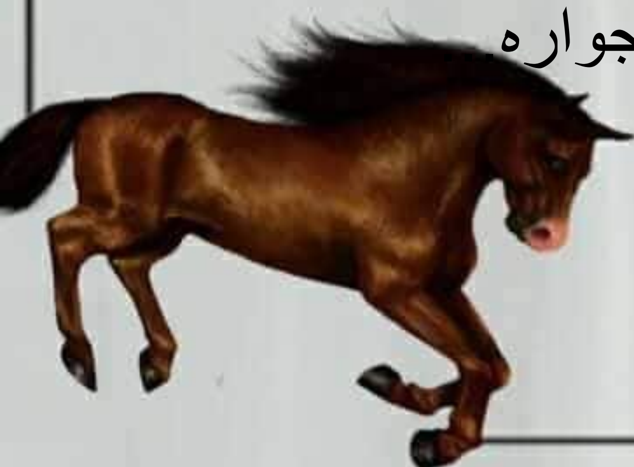
وطنه وغربته!!!

عضت علي شفتيها بقوة تتمالك قوتها ثم سألته بصوتٍ بدا هادئاً رغم تهدجه:

_كيف تسير الأمور معك؟!!لقد علمتُ أنك بدأتَ مشروعاً جديداً مع حمزة.

أومأ برأسه في اقتضاب دون رد...

وهو يقبض كفيه بقوة جواره



لو استجاب لجنون قلبه الآن لأذابها بين ذراعيه شوقاً وعشقاً...

ولو استمع لهدير غضبه بعدما رآها تدخل مع بلال هذا لأوسعها ضرباً...

لهذا كان الصمت أسلم ...

له ولها!!!

لكنها عادت تسأله بنبرة أرق مزجت ألمها بتعاطفها:

_وكيف تعيش وحدك؟!

ابتسم ابتسامته الساخرة المميزة ولازال يتحاشي النظر لعينيها ليجيبها بلهجته الباردة:

_لا تقلقي يا ابنة عمي...أنا الآن أفضل...

ثم أردف بلهجة ذات مغزي:



_أصبحتُ أجيد تقشير السمك وحدي.

قالها ثم أعطاها ظهره لينصرف بخطواتٍ سريعة...

فخفق قلبها بجنون ولم تشعر بنفسها وهي تناديه من خلفه :

_حذيفة!

وقف مكانه دون أن يلتفت إليها...

لكنه سمعها تهمس خلفه:

_حتي لو افترقنا...لن أنسي ما فعلتَه لأجلي...أنتَ منحتَني حريتي من جديد...

ثم تهدج صوتها وهي تردف بصوت متقطع :

_شكراً ...لأنك...رحلتَ ...عن حياتي.

ابتسم بسخرية مريرة وهو يستدير نحوها بجسده لتقع عيناه علي دبلتها التي لم تخلعها من إصبعها بعد...



فاتسعت ابتسامته -علي مرارتها- وهو يقول بلهجته الثلجية:

_أنا أيضاً أشكركِ علي رحيلكِ عن حياتي...كلانا كان مجرد محطة في طريق الآخر ...محطة انتهي دورها...وربما كان هذا عطاء القدر لنا لنبدأ بداية جديدة.

دمعت عيناها وهي تشعر بكلماته تنكأ جرحها من جديد...

فهمست بخفوت:

_أرجو فقط ألا تكون ناقماً عليّ.

نظر إليها نظرةً طويلة بدت لكليهما وكأنها نظرة وداع...

ثم أشار برأسه نحو السلم حيث صعد بلال منذ قليل ليقول بلهجة ذات مغزي:



_اصعدي يا ابنة عمي...ربما يفاجئكِ القدر ب"مصادفة" أخري تستحقينها وتستحقك.

اتسعت عيناها وهي تفهم تلميحه المستتر ...

وانفرجت شفتاها تهمّ بالرد...

لكنه استدار ليفتح الباب ويخرج تاركاً إياها خلفه...

=====

رن الجرس في تلك الشقة بمنزل راجية القديم حيث يقيم كل من حذيفة وعمار مع جوري الآن...

فقام عمار ليفتح الباب فيطالعه وجه حمزة البشوش قائلاً بود ممتزج بالمرح:

_كيف حالك يا "وَحش عائلة النجدي"؟!!

ابتسم عمار بود مماثل وهو يصافحه داعياً إياه للدخول...



فابتسم حمزة ابتسامةً واسعة وهو يلمح جويرية التي قدمت من الداخل هي الأخري لتحيته...

لكن ابتسامته تجمدت علي شفتيه وهو يري تلك الضمادة اللاصقة علي جرح رقبتها التي بدت عفوياً تحت حجابها المتهاوي نوعاً...

فأشاح بوجهه في ضيق للحظة...

قبل أن يطرق برأسه ليقول بهدوء مصطنع:

_كيف حالك يا جوري؟!!

ردت جويرية تحيته ببعض التحفظ وهي تختلس النظرات نحو عمار الغيور بطبعه...

قبل أن تحكم حجابها حول رقبتها بحرص ...فقال حمزة برفق ممتزج بالشفقة:

_أستأذنكِ أن تعدي لي كوب الشاي بالقرفة كما تعده لي عمتي فريدة.



أومأت جويرية برأسها مبتسمةً بود قبل أن تغادرهما للداخل...

فجلس حمزة جوار عمار ليقول له بعتاب :

_هل آذيت جوري يا عمار؟!! ما هذا الجرح في رقبتها؟!!

زفر عمار بقوة مستاءً من سوء ظنه ثم قال بخشونة:

_ألا يفكر الجميع سوي بهذه الطريقة؟!!!عمار الغول الذي يعذب زوجته المسكينة؟!!

عقد حمزة حاجبيه بضيق وهو يقول بحزم:

_اتقِ الله في المرأة التي وقفت أمام الجميع لأجلك...لا تخيب ظني فيك يا عمار.

أشاح عمار بوجهه في ضيق...

فأردف حمزة بعتاب حازم:



_جوري طلبت مني كثيراً أن أتوسط لكما عند جدي كي يوافق علي عودتها إليك...لا تجعلها تندم علي هذا.

أطرق عمار برأسه للحظة ثم زفر بقوة ليهتف بعدها بنفاد صبر:

_لم أؤذها يا حمزة...ولا يمكنني أن أفعل...ولا تتدخل بيني وبين زوجتي.

ابتسم حمزة رغماً عنه وهو يتفرس في ملامح عمار الغاضبة...

عمار -الخشن الغليظ الطباع-لم يتغير منذ صغره...

بألفاظه الخشنة وتصرفاته العنيفة التي تداري خلفها أرق قلوب الأرض...!!!!

بينما صمت عمار للحظات بعدها قبل أن يسأله بتردد:



_هل تنتوي حقاً خطبة طبيبة تدعي مارية تعمل في مشفي(......)؟!!!

ضحك حمزة بمرح وهو يهز رأسه قبل أن يضرب كفاً بكف قائلاً:

_هذا جزاء من يأتمن امرأة علي سره....هل أخبرتك جوري بهذه السرعة؟!!

أشاح عمار بوجهه وهو يتبين الآن أكثر صدق ما كانت تزعمه جوري...

ورغم أنه كان يصدقها بقلبه لكنه أراد أن يريح عقله أكثر بسؤال حمزة عن الأمر...

حمزة الذي أدرك بحدسه أن هناك شيئاً ما بينهما ليس علي ما يرام...

وله علاقة بمارية!!!

حسناً...سيتبين هذا الأمر فيما بعد ...



المهم الآن هو أن يطمئن عليهما بعدما حدث مؤخراً بين عمار وجده...

لهذا ربت علي كتف عمار الذي التفت نحوه عندما سأله حمزة باهتمام:

_ماذا ستفعل الآن بعدما تأزمت الأمور مع جدي؟!!

هز عمار رأسه قائلاً :

_لا تقلق بشأني...حالي أفضل من حذيفة بكثير...فأنا أدخر مبلغاً مناسباً من المال باسمي يكفيني لتأسيس شركة أخري صغيرة بعيداً عن تجارة جدي...سأستغل خبرتي في هذا المجال...وياسين سيساعدني أيضاً...

ابتسم حمزة وهو يقول بمودة:

_لستُ قلقاً عليك يا عمار...أنت بالذات أثق أنك رجلٌ يعتمد عليه...



وظني أن غضب جدي عليكما لن يطول...هو فقط يحتاج لوقت ليصفو قلبه بعد عصيانكما المفاجئ هذا...

أومأ عمار برأسه موافقاً...

عندما أتت جويرية تحمل صينية الشاي...

ليقول لها حمزة بمرح:

_استعدي للقاء آسيا غداً...ستأتي مع جسار أخيراً لزيارة العائلة.

شهقت جويرية بفرح ثم ضحكت هاتفة بسعادة بالغة:

_حقاً يا حمزة؟!!!أخيراً!!!!

هز حمزة رأسه مؤكداً فتبادلت مع عمار نظرة حائرة...

قبل أن تسأله بتردد:



_وجدي؟!!!هل سيأذن لي ...؟!!!

ابتسم حمزة قائلاً بحنان:

_لو تعرفين قاسم النجدي كما أعرفه لأدركتِ حاجته الحقيقية في أن يري أحفاده كلهم حوله من جديد...

ثم تنهد قائلاً بحسم:

_جدكِ أعطاكِ الإذن بالحضور غداً مع عمار.

====

وقفت آسيا تمسد ظهر الفرس جسار هامسة في أذنه :

_أنا راحلةٌ يا جسار...لكنني سأعود لأزورك قريباً...سأفتقدك يا حبيبي...تماماً كما سأفتقد كل شئٍ هنا.

دمعت عيناها فأسندت جبهتها علي عنقه وهي تحاول التماسك...



لقد صدق حدسها هذه المرة...

كم كان صادقاً قلبها عندما أحس بقرب الرحيل...

الآن تعود لبيتها وعائلتها...

لكنها لن تعود جارية في ثياب ملكية...

بل ملكة حقيقية تعرف قيمتها وتسعي لتحقيق ذاتها ونجاحها دون ضغوط...

ربما هي ملكةٌ فقدت قلبها مرتين...

مرةً في وهمٍ ظننته-من فرط أملها- حباً...

ومرةً في حبٍ تتمني الآن-من فرط يأسها- لو يكون وهماً....

لكن يكفيها أنها لم تعد ...جارية!!!



أفاقت من شروده علي حركته خلفها فالتفتت نحوه هامسة بتماسك مرسوم ببراعة علي ابتسامة باهتة:

_أنا مستعدة يا جسار...هيا لنذهب...

أطرق برأسه للحظات مقاوماً رغبته العارمة في احتضانها الآن بقوة...

في سجنها هنا...

ليس فقط في بيته ولا حتي في غرفته...

بل بين ضلوعه!!!

لا يتصور حتي الآن كيف سيسمح لها بالابتعاد...

حتي وهو مطمئنٌ الآن تماماً عليها وسط عائلتها...

لكنه لا يتخيل يوماً لا يبدأ صباحه بابتسامتها ...

ولا ينتهي ليله إلا بهمساتها الدافئة وهو يودعها علي باب غرفتها!!!



حتي وهو لا يعلم وصفاً ولا تسميةً لشعوره بها...

لكنه لم يعد يهتم بهذا...

كل ما يعنيه أنها صارت حقاً جزءاً منه...

قطعةً غاليةً من روحه!!

فهل يعيش المرء دون بعضه؟!!!

رفع رأسه إليها أخيراً ليمسك كتفيها هامساً بحنانه المعتاد لكنه مكسوٌّ بحزنه هذه المرة:

_لو كنتِ لا تريدين الرحيل فابقي معنا يا آسيا...

هزت رأسها نفياً وهي تهمس بشرود:

_بل أريد الرحيل...أريد بدايةً جديدة أكتبها بيدي لا بتوقيع غيري...

ثم التفتت إليه من شرودها لتردف:

_اشتقتُ لأمي وعائلتي...



وأنت أيضاً اشتقتَ لحياتكِ القديمة المسالمة بلا مشاكل ولا ضغوط...

أشاح بوجهه عنها للحظات يخفي شعوره ثم عاد يلتفت نحوها ليسألها باهتمام:

_كيف تخططين لحياتكِ القادمة؟!

ابتسمت وهي تقول بقوتها المحلاة بثقتها الجديدة:

_سأعود لتسلم عملي وسأستكمل دراستي...

أومأ برأسه ثم عاد يقول بحذر:

_لكنكِ ستأتين هنا في إجازاتكِ الأسبوعية كما اتفقنا.

اتسعت ابتسامتها رغم انكسار قلبها وهي تتلفت حولها تملأ عينيها من المكان وكأنها تدخر صورته بتفاصيلها في أعماق روحها...

قبل أن تعود عيناها لتتعلقا بخيوط الحنان في حدقتيه وهي تقول بما يشبه الوعد:

_بالتأكيد سأعود.



ثم ازدردت ريقها تتمالك غصة الدموع في حلقها لتردف :

_زواجنا يجب أن يستمر بصورته الظاهرة لبعض الوقت حتي تستقر الأمور بين العائلتين...ومن يدري...ربما يوماً ما لا نعود بحاجة لهذا القيد ويمضي كلٌ منّا في طريقه.

عقد حاجبيه بضيق وقلبه يوخزه بشعور لا يريد تصديقه...

لهذا قال رغماً عنه بخشونة:

_إذن هيا بنا قبل أن يستيقظ ياسين....لو رآكِ راحلةً فسيحزن كثيراً...

أشاحت بوجهها تخفي دموعها ثم أومأت برأسها إيجاباً وهي تربت علي ظهر الفرس لآخر مرة...

قبل أن تسير جواره ليغادرا المزرعة متجهين نحو منزل عائلة القاسم...



_أمي!!!!

هتفت بها آسيا بحرارة قبل أن ترتمي بين ذراعي فريدة في غرفة الأخيرة بمنزل العائلة ....

حيث كان جسار بالخارج مع رجال العائلة...

بينما اختلت بها فريدة في غرفتها ...

_افتقدتكِ جداً يا أمي!!!!

همست بها آسيا بحرارة حملت كل اشتياقها ولهفتها وندمها علي ما كان...

حرارة لم تنافسها سوي قبلات فريدة التي أغرقتها بها وهي تتشبث بها عاجزةً عن النطق لفترة...

قبل أن تهمس وسط دموعها:

_عدتِ أخيراً يا آسيا!!! قلبي لم يخدعني يوماً ياابنتي...كنت موقنةً أنكِ ستعودين.



أخفت آسيا وجهها في صدرها تتنعم بحنانها الذي افتقدته وهي تهتف باكيةً بحرقة:

_سامحيني يا أمي...سامحيني...أنا أخطأتُ ودفعت ثمن خطئي غالياً...في كل لحظة قضيتها بعيداً عنكم...سامحيني ...أرجوكِ.

ضمتها فريدة لحضنها أكثر وهي تربت علي ظهرها لتهمس بعتابٍ رفيق:

_كيف هنتُ عليكِ يا آسيا؟!!! وكيف هان عليكِ أن تلقي كل شئ خلف ظهرك هكذا؟!!

ثم تهدج صوتها وهي تردف بألم وسط دموعها:

_كدتُ أموت حسرةً عليكِ وقتها...ولولا رحمة الله بي لضاع عقلي .

جثت آسيا علي ركبتيها أمامها تقبل كفها بعمق قبل أن تهتف بحرقة:



_فداؤكِ عمري كله يا أمي...ندمتُ...والله ندمت....

رفعتها فريدة من كتفيها لتضمها إلي صدرها من جديد بقوة أكبر وهي تحمد الله بصوت مسموع...

فاستكانت آسيا لنعيم حضنها الذي افتقدته طويلاً....

قبل أن تسألها فريدة باهتمام وهي تملأ عينيها من ملامحها بنهم:

_هل أنتِ سعيدةٌ مع زوجكِ يا ابنتي؟!! أريد أن أطمئن عليكِ...هل هو حقاً رجل طيب كما يقولون؟!!

رفعت آسيا رأسها إليها وهي تهمس بحرارة:

_وأكثر يا أمي...هو أعظم رجلٍ عرفته في حياتي.

حدقت فريدة في عينيها الملتمعتين بعاطفتها ثم همست بحنان:

_أحببتِه يا آسيا؟!!



التمعت عينا آسيا بعاطفتها الصادقة وهي تومئ برأسها...

فعادت فريدة تهمس بحذر:

_وياسين يا ابنتي؟!!! هل تمكنتِ من نسيان حبه؟!!!

ابتسمت آسيا للحظة ثم همست بشرود:

_لم يكن حباً يا أمي...كان..

صمتت للحظة تحاول البحث عن تعبير مناسب...

ثم أردفت بثقة:

_كان سحابة صيفٍ عابرة ضاعت بعد أمطار الشتاء...!!!

ربتت فريدة علي كتفها وهي تهمس بدعاء صادق:

_أسعدكما الله يا ابنتي...الآن اطمأن قلبي عليكِ.

ثم أشارت لبطنها هامسةً بنبرة ذات مغزي:



_ألا تحملين لي خبراً ساراً آخر؟!

تنهدت آسيا بحرارة رغماً عنها ثم هزت رأسها نفياً...

عقدت فريدة حاجبيها بتوجس وهي تشعر أن تنهيدة ابنتها تخفي الكثير...

لكن آسيا تداركت نفسها لتبتسم مردفةً بأمل أشرق في ملامحها:

_ليس بعد يا أمي...أمامي حلمٌ أسعي لتحقيقه أولاً...عملي الذي أهملته .

أومأت فريدة برأسها ثم غمغمت بحسرة :

_هل ستتركينني من جديد ؟!!

اتسعت ابتسامة آسيا ثم مالت علي كف والدتها تقبله لتقول بعدها برفق:



_لا يا أمي...جسار أذن لي أن أبقي معكم هنا طوال الأسبوع حتي أنتظم في دراستي وعملي من جديد...لكنني سأعود للمزرعة في عطلة الأسبوع فقط.

أشرق وجه فريدة بالفرح وهي تحتضنها من جديد هاتفةً بسعادة:

_حقاً؟!!!أسعدتني يا ابنتي....زوجك هذا دخل قلبي من أوسع أبوابه.

رفعت آسيا عينيها إليها وهي تهمس بتردد ماكر:

_زوجي ...فقط؟!!

رمقتها فريدة بنظرة متسائلة...

فضحكت آسيا بخجل ثم تمالكت نفسها لتهمس بحنان:

_العم كساب يا أمي...هل تعلمين أنه طلبكِ للزواج؟!!!



تجهمت ملامح فريدة فجأة ثم أشاحت بوجهها وهي تهتف بسخط:

_لا تذكريني بهذا الأمر يا آسيا؟!! هل فقد هذا الرجل عقله؟!! ألا يزال يظنني نفس الفتاة ذات الضفائر التي كان يطاردها في الطرقات؟!!! ألا يدرك أنني أوشكتُ أن أكون جدّة؟!!!لقد تمنيتُ أن تنشق الأرض وتبتلعني عندما أبلغني جدك بالخبر...

ضحكت آسيا ضحكة مجلجلة لكنها اصطدمت بنظرة فريدة الزاجرة فوضعت كفها علي شفتيها تكتم ضحكاتها للحظات...

قبل أن تقول بجدية ممتزجة بعاطفتها:

_أنا عشتُ مع العم كساب طوال هذه الشهور يا أمي لأدرك حقاً كم أحبكِ ولا يزال...لن تتصوري سعادته بي عندما تعرف علي شخصيتي بالمصادفة...



لقد بدا وكأنه قد استعاد جزءاً مفقوداً من روحه...طالما كان يقول لي أنه أحبني أكثر منذ علم أنني ابنتكِ أنتِ...

عقدت فريدة حاجبيها وكلمات آسيا تنفض الغبار عن عاطفتها القديمة ليعود بريقها متوهجا بروحها رغماً عنها...

لكنها هتفت بضيق مصطنع:

_رجلٌ قليل الحياء ...هل أخبركِ بهذا هكذا دون مواربة؟!!

ضحكت آسيا من جديد وهي تغمزها بشقاوة ثم مالت عليها تهمس بخبث:

_ليس هذا فحسب...بل أخبرني بقصتكما كلها!!!

احمر وجه فريدة خجلاً فغطته بحجابها قبل أن تهتف بارتباك:



_تحشمي يا بنت!!!! هل تصدقين تخاريف ذاك الرجل...يبدو أنه قد هرم وخفّ عقله!!!

ابتسمت آسيا في حنان ثم احتضنت كفها قبل أن تقبله بعمق لتهمس بعدها برفق حنون:

_لا يا أمي...لم يخفّ عقله...قلبه هو الذي ثقل بعاطفته !!!

أشاحت فريدة بوجهها في عدم اقتناع ...

لكن آسيا أردفت بتعقل:

_العمر لا نحياه إلا مرة...فلماذا نضيعه بلا ثمن؟!!!

زفرت فريدة بحنق وهي تهتف بحدة:

_لا تفتحي هذا الموضوع ثانيةً يا آسيا...لقد أُغلق للأبد.

تنهدت آسيا بحرارة وهي تومئ برأسها في استسلام...



عندما فتح الباب فجأة لتدخل منه كل من ساري وجوري اللتين اندفعتا نحو آسيا تحتضنانها بقوة...

دمعت عينا فريدة وهي تري بناتها يتجمعن أمام عينيها من جديد...

أخيراً عرفت الفرحة طريقها لقلبها الذي طالما أضناه الألم...

لتداعب كلمات ساري أذنها بفرحة خاصة وهي تهتف وسط دموعها المنهمرة:

_هل تذكرين حضننا هذا آخر مرة يا آسيا؟!! ألم أخبركِ وقتها أنكِ ستعودين آسيا جديدة قوية لا يقف في طريقها شئ؟!!!

ضحكت آسيا وهي تمسح دموع تأثرها هامسةً بتأثر:

_معكِ حق يا حبيبتي...آسيا التي عادت إليكم ليست كتلك التي رحلت...



ثم زاغ بصرها نحو باب الغرفة حيث يجلس جسار بالخارج...

لتردف بشرود غارق بالشجن:

_ليست مثلها أبداً!!!

======

دخل معها إلي غرفتها حيث سيبيت ليلته هنا قبل عودته للمزرعة في الصباح تاركاً إياها مع عائلتها كما اتفقا....

أغلقت هي الباب خلفهما ثم التفتت نحوه لتهمس بامتنان وسط دموع تأثرها:

_لا أدري كيف أشكرك يا جسار...أنت رددتَني لعائلتي وحياتي...كنتُ أحمل هم عودتي هنا...لكنك جعلت رأسي مرفوعاً في مواجهتهم...



حتي جدي رغم قسوة حديثه الظاهر معي في البداية لكنني شعرت بفرحة عينيه وهو يضمني إليه في نهاية حديثه معي.

أمسك كتفيها وهو يتأمل عينيها بعمق هامساً :

_أنتِ أيضاً رددتِني لعائلتي وحياتي.

ابتسمت وهي لا تجد ما تصف به شعورها في هذه اللحظة...

إنها تشعر بمزيج غريب من سحر الميلاد ورهبة الموت...!!!

حياةٌ جديدة تفتح لها ذراعيها بالأمل والوعود...

لكنها لازالت مقيدةً بحنينها لأيامها معه هو!!!

قلبها يستحلفها أن تعود معه في الصباح للمزرعة...

دون قيود...دون شروط...



حتي لو كانت في حياته بلا مسمي...

لكن عقلها يردعها...

هي دفعت ثمناً باهظاً كي تتخلص من قيد الجواري...

هي اشترت حريتها بالكثير...

ولن تضيع كل هذا في سبيل وهم...

جسار لن يكون لها حبيباً وزوجاً...

ومن يدري؟!!!

ربما يجئ اليوم الذي يستغني فيه كل منهما عن الآخر ليعاود السير وحده في طريقه...

لم تشعر بدموعها التي ملأت عينيها عندما راودتها هذه الفكرة...

دموعها التي أحرقت صدره وهو يقرأ مشاعرها واضحة كالشمس في عينيها...



فتنهد بحرارة ثم همس بحنان لا يخلو من ألم:

_لا تقلقي بعد يا صغيرتي...لقد تجاوزنا العراقيل الصعبة في الطريق...وبقي فقط أن نكمله.

أومأت برأسها إيجاباً ثم تلفتت حولها لتهمس بصوت مرتعش:

_اشتقتُ لغرفتي...اشتقت لكل ركنٍ فيها.

ثم عادت تتعلق بعينيه هامسة بانفعال حاولت صبغه ببعض المرح:

_من كان يصدق أن أعود إليها برفقة جسار الذي عشتُ عمري كله أخاف فقط من اسمه.؟!!

اتسعت ابتسامته الحنون ثم ضمها إليه برفق وهو يربت علي ظهرها هامساً:

_ومن كان يصدق أن حفيدة قاسم النجدي الذي عشتُ عمري أهرب منه تكون هي هدية القدر لي ولابني؟!



أخفت وجهها في صدره وهي تشعر أنها ربما كانت آخر مرة تستمتع فيها بهذا الأمان بين ذراعيه...

حتي لو عادت للمزرعة في عطلاتها الأسبوعية كما اتفقا...

فلن تعود كما كانت...

بل ستعود غريبةً زائرة ...

بل إنها تنتوي تقليل عدد هذه الزيارات تدريجياً حتي لا تسبب له أي حرج...

لقد أدي واجبه نحوها كاملاً...وضعها علي أول الطريق وساندها حتي تبينت خطواتها...

وبقي أن تؤدي هي واجبها نحوه..

واجبها بأن تعيده لوطنه الأصيل ...حبه لسمية... الذي يأبي إلا أن يكون مخلصاً له بعيداً عن أي احتلالٍ مؤقت قد يورثه شعوراً بالذنب لن يتحمله...



وبعدها بقليل كان ينام جوارها علي فراشها فلم يكن في الغرفة سواه...

في البداية كانت تشعر ببعض الحرج من هذا الوضع الذي فُرض عليهما لأول مرة...

لكن شروده الطويل عنها أنبأها أن أفكاره الآن أبعد ما تكون عما يدور بذهنها مما أورثها بعض السكينة...

لهذا أعطته ظهرها وهي تحاول النوم دون جدوي...

ومن يمكنه النوم في ليلةٍ كهذه؟!!!

سعيدةٌ هي بلا حدود...

مهما وصفت لن يمكنها تجسيد ما شعرت به في حضن والدتها وأختيها والذي يساوي العالم كله الآن في عينيها...!!!

لكنها مع هذا لا تستطيع تجاهل ذاك الجرح في قلبها والذي يؤلمها حد الموت.



كيف ستنسي...؟!!!

كيف تنسي المزرعة بكل ما فيها ومن فيها...؟!!!

كيف تنسي تحية الصباح برائحة الريحان الذي كان يقطفه لها العم كساب خصيصاً من الحديقة كل يوم؟!!!

كيف تنسي مداعباته ومشاكساته لها طوال النهار وكأنها حقاً ابنته؟!!!

كيف تنسي ياسين ابنها الذي لم تنجبه لكنها تكاد تقسم أنها تعيش معه وبه أمومةً حقيقية في كل لحظة يكون فيها جوارها؟!!!

كيف تنسي عالمها الذي احتواها طوال الفترة السابقة والذي كان قطعةً من الجنة...

بل كيف تنسي جسار..حب قلبها الحقيقي الذي أخرجها من الظلمات إلي النور...



ومنحها الحياة كلها دون مقابل...؟!!!!

لكنها لابد أن تنسي...

لن تسمح لقلبها أن يوثق قيدها كما حدث من قبل...

حتي وهي توقن أن جسار يستحق ما هو فوق الحب وأكثر...

لكنها لن تخبط رأسها بجدار الخيبة من جديد...

كفاها ما نالته من قبل...

كفاها!!!

وجوارها كان هو غارقاً بشعوره الجديد نحوها...

لا يصدق كيف سيمكنه تركها هكذا خلفه هنا ويرحل..

إنه يشعر وكأنه سيترك قطعةً من روحه معها...

حتي وهو يعلم أنها ستعود إليه بعد أيام...



لكن مجرد إحساسه أنها ستغيب بعيداً عن ناظريه يكاد يمزقه قلقاً..

هو اعتاد أن تكون تحت جناحه...

أن يطمئن عليها متي شاء دون حواجز...

أن يشعر بهذا الشعور الفريد أنها له.!!!

تحت حمايته هو !!!

هو وحده من له كامل السلطان عليها!!!

لا...ليس الأمر مجرد رغبة في السيطرة أو التملك...

بل هو إحساسه بأنها صارت حقاً جزءاً منه...

جزءاً غالياً جداً...

بل أغلي بكثير مما كان يظن!!!

ظل علي حاله لما يقارب الساعتين وهو عاجزٌ عن النوم....



يختلس النظرات إلي ظهرها الساكن جواره وهو يظنها قد نامت...

وعبير شعرها المنسدل جوار رأسه علي الوسادة يكاد يثمله برائحتها المميزة...

أغمض عينيه وهو يشعر باشتياقه لملامح وجهها...

لماذا نامت وهي تعطيه ظهرها؟!!!

إنه يود الآن ألا يضيع لحظةً واحدة يمكنه فيه أن يحتضن صورتها بملء عينيه ..

بل بملء قلبه وروحه!!!!

رباه!!!

إذا كان هذا حجم اشتياقه وهي الآن جواره لا يكاد يفصل بينهما سوي أن تستدير بجسدها نحوه...

فكيف سيكون شعوره عندما تفصلهما مئات الأميال...



إذا كان افتقد حديثها بعد وقتٍ لم يجاوز الساعتين...

فكيف إذن سيحتمل أياماً تمر عليه دون أن يطرب صوتها أذنه؟!!!

هز رأسه بعجز ممتزج بحيرته لكن أفكاره كلها تجمدت عندما سمع هسيس بكائها الخافت جواره وهي تعطيه ظهرها ...

دموعها التي سمحت لها بالانهمار ظناً منها أنه قد نام...

أغمض عينيه بألم للحظة قبل أن يقترب منها أكثر ليضم ظهرها إلي صدره بساعده هامساً جوار أذنها:

_لماذا تبكين الآن؟!

تجمد جسدها للحظات من المفاجأة وقد عجزت عن الرد...

فأدار كتفها إليه لينظر لعينيها الدامعتين هامساً بانفعال حار:



_يمكنكِ العودة معي صباحاً...لو كنتِ لا تريدين البقاء هنا.

هزت رأسها نفياً ثم استدارت نحوه مغمضةً عينيها لتهمس بإصرار:

_بل سأبقي...سأكمل طريقي الذي اخترته.

مد أنامله ببطء يمسح دموعها بأنامل مرتجفة وجسده كله يهتز انفعالاً ففتحت عينيها لتنهل من بئر حنانه الصافي ...وهي تشعر أنها لم تكن يوماً أقرب إليه من هذه اللحظة...

خاصة عندما مد ذراعيه يضمها إليه بكل قوته مخفياً رأسها في صدره فازدادت ارتجافة جسدها بدموعها ليضمها إليه أكثر حتي شعرت أنها قد صارت جزءاً منه...

قبل أن يبعدها رأسه قليلاً لينظر لعينيها نظرةً عميقة تبعتها آهة حارة ....



ثم همس بنبرة غريبة لم تسمعها منه من قبل:

_لو تعلمين كم سأفتقدك يا آسيا!

اتسعت عيناها قليلاً وهي تتعجب شعورها به في هذه اللحظة...

نظراته التي تحتضنها قبل ذراعيه...

بهذا الحنان وهذا الحزن وهذا ال...

حب؟!!

معقول؟!!!

لكنه أكّد أفكارها الحائرة عندما اقترب بوجهه أكثر ليقبل جبينها بعمق قبل أن يهمس بصوتٍ غارق بعاطفته:

_فوق ما تتخيلين...!!!

أغمضت عينيها بقوة تحاول منع قلبها من تصديق ما تقسم به دقاته الآن....

لكن كيف تفعل؟!!!



وقد خانته شفتاه لتنساب من علي جبينها إلي جفنيها المطبقين بقبلتين دافئتين قبل أن يصلها همسه المشتعل:

_سأفتقد شروق الشمس بعينيكِ أبدأ به صباحي.

ثم انتقلت شفتاه إلي أنفها وهو يردف بنفس النبرة الذائبة:

_وأفتقد عطركِ الذي طالما داعب أنفي بهذا السحر الغامض الذي لا أدري سره ...حتي يحتل كل خلاياي وإن لم تكوني معي.

ذابت روحها كالشمع في لهيب همساته وشفتاه تكملان الطريق إلي وجنتيها ليحتويها همسه أكثر:

_وأفتقد هذا النور علي وجهكِ يمحو عني كل ظلمات همي.

ازدردت ريقها الجاف ببطء وهو يداعب شفتيها بعدها بإبهامه هامساً:



_وأفتقد صوتكِ الذي يعرف طريقه لقلبي مهما حاولتِ إخفاء شعوركِ.

فتحت عينيها ببطء لتجرفها سيول العاطفة التي كانت تنهمر الآن بين حدقتيه ....

وهو يردف بصوتٍ متهدج:

_سأفتقد آسيا...صغيرتي...وصديقتي...و...

قطع عبارته عندما انجذبت شفتاه فجأة لشفتيها فغابت معه في قبلة طويلة فضحت شعورهما معاً...

قبل أن يشتعل شغف عاطفتهما بوهجٍ خطف قلبيهما وروحيهما قبل الجسد...

فينسحبان سوياً بعيداً عن هذا العالم في عالم آخر ...

لا يعترف بسلطان الماضي أو قيود الشعور بالذنب...



عالمٌ هواؤه حب وسماؤه حب وترابه حب...

عالمٌ حلقت فيه طيور مشاعرهما حرة جامحة...

بلا قيود ولا سدود هذه المرة...



الفصل الخامس والعشرون:

_آسيا عادت يا سعد!!

همس بها قاسم النجدي بصوت متهدج أمام صورة ولده التي نزع عنها غطاءها أخيراً وقد اغرورقت عيناه بالدموع وهو يردف بنبرات مرتعشة:

_عساني لا أكون ضيعت أمانتك يا ولدي...قلبي يشعر أن لقائي بك قد اقترب...ولا أريد أن تلقاني بعينين عاتبتين...أمانتك كانت ثقيلة يا ولدي...ثلاث قوارير كنت أخشي عليهنّ كسر الزمن...قد تكون الأقدار قد عاندتني لكن يشهد الله أنني لم أُردْ لهنّ إلا الخير!!

ترنح جسده الذي ضعف -مؤخراً-فازداد تشبثاً بعصاه وهو يكمل حديثه إلي صورة ابنه الراحل:



_لقد اطمأن قلبي علي آسيا فزوجها بدا لي رجلاً بحق...وأنا الذي علمتني الحياة كيف أزن الرجال...لكن لا تزال جوري وساري شوكتين في خاصرتي...لن تقرّ عيني حتي أطمئن عليهما معاً!!

طرقاتٌ رفيقة علي باب غرفته قاطعت حديثه الحار...

فأطرق برأسه قبل أن يجلس علي كرسيه وهو يسمح للطارق بالدخول...

دخل حمزة مبتسماً ليقبل يده باحترام قبل أن يجلس جواره قائلاً بارتياح:

_الحمد لله يا جدي...لقد مرّ موضوع آسيا علي خير...بأقل خسائر ممكنة.

أومأ الجد برأسه في رضا ...ثم سأله بحذر:

_لقد علمتُ أنه سيتركها هنا ويرحل وحده...لماذا؟!

ابتسم حمزة

وهو يقول بتقدير:



_لأنه رجلٌ لم يخيب ظني فيه يا جدي...هو يريدها أن تتسلم عملها وتكمل طريقها الذي اختارته حتي تقف علي قدميها...ستبقي هنا طوال الأسبوع...وتعود إليه في العطلات .

هز قاسم رأسه وهو يغمغم بتفكير:

_أعتقد أنه أيضاً يراعي افتقادها للعائلة طوال هذه الفترة...تفكيرٌ صائب!!

ثم التفت لحمزة يسأله ببعض الضيق:

_كيف حال حذيفة؟!!سمعتُ أنك تساعده بمشروع جديد!!

اتسعت ابتسامة حمزة وهو يقول :

_أنا لا أساعده يا جدي...أنا أشاركه!!

أخفي قاسم ابتسامة إعجابه بحفيده الذي يحتوي الجميع بذكائه وحنانه قبل قوته...



ليقول ببعض الخشونة:

_احذر منه....هو ولد فاسد!

هز حمزة رأسه وهو يقول مدافعاً:

_علي العكس يا جدي...حذيفة يريد أن يثبت لك وللجميع أنه أهلٌ للثقة وأنه تاب عن ضلاله القديم...لهذا يجتهد جداً في عمله...وأنا واثقٌ أنه سينجح.

لوح قاسم بيده في عدم رضا ثم صمت قليلاً...

قبل أن يعاود سؤاله بتردد:

_وذاك البائس الآخر ...هل يعتني بزوجته؟!!

ضحك حمزة وهو أكثر من يعلم أن خشونة قاسم النجدي تخفي فيوض حنانه السخية نحو أحفاده ...

ولو شاء الإنصاف لقال أن عمار هو أشد أحفاد النجدي شبهاً بقاسم في غلظة طباعه الظاهرة رغم طيبة قلبه...



لكنه كتم فكرته هذه وهو يستعيد رزانته ليقول بتعقل:

_لو كانت غير راغبةٍ فيه لما ذهبت معه بإرادتها يا جدي...

انفعل قاسم وهو يسترجع مظهر جوري المنهارة جوار عمار قائلاً:

_لقد كانت تبكي كالثكالي وهو يسحبها من ذراعها خلفه كجارية...كيف أصدق ما تقول؟!!

نظر إليه حمزة نظرة عميقة ثم قال بثقة:

_جوري طلبت مني كثيراً أن أفاتحك بشأن عودتها لعمار ...هي كانت تريد العودة إليه...وأنا زرتهما بنفسي لأطمئن عليها...صدقني هما بخير..لا ينقصهما سوي رضاك .

ظهر الرفض علي وجه قاسم وهو يهتف بحدة:

_لن أغفر لهما خروجهما عن أمري...



دعهما منبوذين في منفاهما حتي يعرفا قيمة العائلة...هما وذاك الآخر حذيفة!

أومأ حمزة برأسه بلا معني وهو يدرك عقم الحوار الآن مع النجدي الكبير فهو أكثر من يعلم عن عناده...

سيترك الأمر للأيام ربما تلين قلبه قليلاً...

ثم صمت للحظات قبل أن يقول بتردد:

_هناك موضوع بشأني ...أريد الحديث معك فيه.

نظر إليه قاسم بعينين متفحصتين فتنحنح حمزة قبل أن يقول وقد حسم أمره:

_أنا أريد الزواج!

خبط قاسم بعصاه علي الأرض وهو يحافظ علي ثبات نظراته المصوبة نحو حفيده العزيز...

فأردف

حمزة مفسراً:



_طبيبةٌ كانت تعمل معي في لندن...والدها طبيب أيضاً...كان مديري هناك...لكنها عادت لتستقر هنا مع عائلتها .

اتسعت عينا قاسم بصدمة وهو يهتف بانفعال:

_تريد الزواج من أجنبية؟!!

ربت حمزة علي كتفه مهدئاً وهو يقول بأقصي ما استطاعه من هدوء:

_ليست أجنبية يا جدي...هي مصرية مسلمة...ووالدها كذلك...هي فقط تحمل الجنسية الانجليزية لأن والدتها كانت كذلك...وهي اختارت هويتها العربية لهذا عادت لتعمل وتعيش هنا في مصر.

لوح قاسم بكفه وهو يهتف باعتراض:

_كلام فارغ!!! ألم تعش عمرها السابق كله هناك؟!!



لاريب أنها تشربت طباعهم الفاسدة.

هز حمزة رأسه وهو يحاول إقناعه:

_ليست كل طباعهم فاسدة يا جدي...أنا عشت هناك فترة لا بأس بها وأعرف جيداً ما أحكي عنه...أنا تعلمت هناك الالتزام والأمانة والدقة في العمل...والدها أيضاً رجلٌ عظيم...ساعدني كثيراً وكان يعتبرني كابنه.

زفر قاسم بغضب وهو يشيح بوجهه...

فأردف حمزة برجاء:

_لو رأيتها يا جدي لن تصدق أنها أجنبية...هيئتها الآن لا تختلف عن بنات عمي...بحجابها ولباسها المحتشم...وقبل هذا بأخلاقها العالية التي أقسم عليها بشرفي.

لم يردّ عليه قاسم الذي ظل مشيحاً عنه بوجهه معلناً اعتراضه...



فاضطر حمزة للضغط علي وتره الحساس وهو يقول برجاء أقوي:

_لا تردني خائباً يا جدي...أنا عشتُ طويلاً أعاني الوحدة والغربة...كنت أمنّي نفسي بالعودة يوماً لوطني حتي أحصل علي نصيبي من السعادة التي كنت أحلم بها...فهل تستكثر هذا عليّ؟!!

اختلس قاسم نظرة جانبية إليه وقد رق قلبه لحديثه فشعر حمزة ببعض الأمل...

ثم عاد يخبط علي الأرض بعصاه وهو يقول بضيق:

_دعني أفكر!

====

عاد ياسين من عمله آخر الليل متأخراً علي غير عادته ...



فتح باب شقته بلهفة لسلطانته التي لم تحدثه طوال النهار ...

وهو يحدث نفسه أنها ربما كانت متحفظةً نوعاً بسبب عودة آسيا للإقامة معهم في بيت العائلة...

ورغم أنه بذل كل ما في وسعه ليشعرها بحقيقة إحساسه نحوها ...

لكن "السلطانة" التي تربت أن تتربع علي عرش القلوب -وهو ما تستحقه تماماً- لا تزال تخشي علي حبها أن يكون مجرد نقطة ضعف في حياتها لو خذلها هو...

وهو ما لن يفعله أبداً!!!

تنهد بحرارة وهو يدخل ليتفقدها في جميع غرف الشقة لكنه لم يجدها...

انعقد حاجباه بقلق وهو يفكر...



رقية لا تخرج لمكانٍ دون إذنه...فأين تراها ذهبت؟!!!

فخرج من شقته إلي شقة والدته ليطرق الباب ببعض التردد في هذا الوقت المتأخر من الليل...

لكن والدته فتحت الباب بملامح متجهمة وهي تغمغم بفتور:

_أهلاً يا ابني...متي عدتَ من عملك؟!

أغلق الباب خلفه برفق ثم تلفت حوله بحثاً عمن تشغل باله الآن وهو يقول بلهفة:

_أين رقية؟!

مطت راجية شفتيها باستياء وهي تقول بضيق:

_لا أريد أن أسمع اسمها...لقد خدعتنا تلك الفتاة وأهلها يا ابني.



انعقد حاجباه وهو يحاول تمالك نفسه ليهتف بعتاب لم يغادره حنانه المعهود:

_هل سنعود لهذا الحديث ثانيةً يا أمي؟!! لماذا عدتِ تتحاملين عليها؟!!

لوحت بذراعها في غضب وهي تهتف بانفعال:

_أتحامل عليها؟!!! أقول لك أن هذه الفتاة مخادعة ...لا أدري كيف سيطرت عليك إلي هذا الحد؟!

أشاح بوجهه في ضيق للحظات ...

ثم ربت علي كتفها محاولاً أن يفهم أكثر :

_ماذا حدث لكل هذا؟!! أنا لم أتغيب عن المنزل سوي بضع ساعات!!!

ازدادت انفعالات وجهها غضباً وهي تهتف بحدة:

_لقد أراد الله أن يكشف خبيئتها..



عندما أصابها ألم مفاجئٌ في معدتها مع شعورها بالغثيان وهي معي هنا...اتصلت بك لكن هاتفك كان مغلقاً...فاتصلت هي بشقيقها ليذهب معنا إلي الطبيبة...

اتسعت عيناه بترقب وهو يتذكر أنه قد نسي هاتفه مغلقاً في غمرة انشغاله...

وهو الذي كان يظنها هي التي لم تهاتفه...

لكن ذهنه حمله لأبعد من هذا مع عبارة والدته الأخيرة ليجد نفسه يهتف بلهفة فرحة:

_لا تقولي أنها أعراض حمل!!!

ضحكت باستهزاء مرير وهي تعاود التلويح بكفها هاتفةً بحسرة:

_كنت أظن هذا مثلك...لكن الطبيبة قالت أنها أعراض عادية لأن معدتها حساسة...



قبل أن تصارحنا بالحقيقة بعدما أتمت الكشف عليها.

شحب وجهه فجأة وهو يغمغم بقلق:

_أي حقيقة هذه؟!!

علا صوتها وهي تهتف بغضب ممتزج بالحسرة:

_زوجتك لا تنجب...ولن تنجب...لم أفهم التفاصيل التي شرحتها الطبيبة لكن كلامها كان واضحاً.

اتسعت عيناه بارتياع وهو يكاد لا يصدق ما يسمعه منها...

عندما أردفت هي بغيظ مكتوم:

_أنا واثقةٌ أنها كانت تعلم...لهذا كانت تتهرب مني في كل مرة أسألها عن هذا الأمر منذ بداية زواجكما...حتي أنني عرضت عليها الذهاب لطبيب ليري سبب تأخر الحمل فارتبكت وقتها وتركتني دون أن تكمل الحديث.



هز رأسه وهو يقول بتشتت:

_لا يا أمي...الأمر ليس كما تظنين...نحن فقط...

قطع عبارته وهو يشعر أنه قد فقد تركيزه كاملاً مع هذا الخبر الصادم...

فعاد يتلفت حوله قائلاً بتوتر:

_المهم الآن...أين هي؟!!

لوحت بكفها قائلة باستياء:

_عادت مع أخيها لبيت والدها.

كز علي أسنانه بغضب وهو يسألها بعتاب:

_هل آذيتِها يا أمي؟!!

اقتربت منه أكثر لتهتف بعصبية شديدة:

_اسمع يا ابني...تكفيني مصيبتي في أخويك...لن أحتمل أن أُبتلَي فيك أنت الآخر...



لقد كانت هذه الزيجة فاشلة...جدك زوّجك منها طمعاً في نفوذ أبيها...والآن توفي عاصم الهاشمي...وابنته لم تعد تحمل ما يميزها عن بقية النساء...بل هاهي الآن ثبتت خديعتها لنا طوال هذه الفترة...ولم تعد صالحة لك علي أي حال...

اشتعلت عيناه بالغضب وهو يحاول تمالك انفعاله لأقصي حد...

قبل أن يقول بحزم :

_لو كان جدي اختارها لنسبها فأنا اخترتها لشخصها...رقية الهاشمي ستبقي زوجتي لآخر لحظة في حياتي مهما حدث...حتي لو كانت عاقراً كما تقولين...لا أريد أطفالاً إلا منها هي..وإلا فلا حاجة لي بهم!

اتسعت عيناها بانفعال وهي تمسك ساعديه هاتفةً بسخط:



_سحرتك ابنة الهاشمي؟!!! ماذا جري لياسين الهادئ الرزين الذي كان يحكم عقله في كل شئونه؟!!

أشاح بوجهه في ضيق ثم عاد ينظر إليها قائلاً بنبرة لائمة:

_أن أتخلي عنها الآن ليس من العقل ولا حتي من الرجولة...رقية تحملت لأجلي ما لا تتحمله امرأة في ظروفها والآن دوري لأرد لها بعض الدين الذي في رقبتي.

هزت رأسها وهي تغمغم باعتراض:

_أي دينٍ هذا؟!!

تنهد بحرارة وهو يزيح ذراعيها عن ساعديه برفق ليعطيها ظهره متأهباً للخروج عندما سمعها خلفه تهتف بجزع:

_أين ستذهب الآن؟!!



وقف مكانه ثم قال دون أن ينظر إليها:

_زوجتي تحتاجني !!

اندفعت نحوه لتجذبه من كتفه هاتفةً بغضب:

_قاسم النجدي لن يرضي عن استمرار هذه الزيجة بعد...سيجبرك علي تطليقها كما أجبرك علي الزواج منها.

ابتسم بسخرية مريرة ثم صمت للحظات ...

قبل أن يقول بإصرار:

_ياسين "آسيا" ليس كياسين "رقية" !!

نظرت إليه بدهشة للحظات قبل أن تدمع عيناها وهي تغمغم بحسرة:

_يا لقلة حظي في أولادي!!! هل هذا هو برك بأمك يا ياسين؟!!



استغفر الله بصوت مسموع ثم قبل رأسها ليقول بحزم رفيق:

_لا علاقة لهذا ببرّي بكِ...لن أظلم رقية يا أمي...كفاها ما تحملته لأجلي!!

قالها ثم غادرها بخطواتٍ سريعة وقلبه يكاد ينفطر علي هذه التي يعلم الله كيف هو حالها الآن!!!

استقل سيارته بسرعة متخذاً طريقه ل"فيللا عاصم الهاشمي" حيث استقبلته إكرام بقلق بالغ وهي تقول بصوت مهزوز غريب علي تعاليها "الأروستقراطي" المعهود:

_أهلاً ياسين...هل عرفت الأمر؟!

تلفت برأسه باحثاً عن رقية وهو يغمغم باضطراب:

_لا شئ مؤكد بعد يا سيدتي...قد يكون تشخيص هذه الطبيبة خاطئاً...



وحتي لو كان الأمر كما زعمت...لم تعد هذه الأمور صعبةً كالسابق...سنستشير كبار الأطباء هنا...ولو تطلب الأمر السفر فسنفعل...المهم الآن هو رقية...أين هي؟!

تنهدت إكرام بحرارة قبل أن تغلبها دموعها لتهمس بأسي:

_في غرفة عاصم...منذ عادت مع بلال وهي تحبس نفسها هناك...ولا تريد التحدث مع أحد!

ربت علي كتفها برفق ثم استأذنها بقوله:

_أنا سأصعد إليها!

أومأت برأسها في موافقة فصعد الدرج بسرعة نحو غرفة عاصم الهاشمي حيث طرق الباب بقوة وهو يهتف بحزم:

_رقية...افتحي!!!



لم يصله رد للحظات...فعاود الطرق بصورة أقوي وهو يهتف بحزم أشد:

_لو لم تفتحي...فسأكسر الباب!!!

قالها متبعاً ذلك بطرقاتٍ عنيفة حتي فتح الباب لتبدو هي من خلفه بأسوأ حالٍ رآها عليه منذ عرفها...

عيناها كانتا زائغتين باضطراب وكأنها لا تعي شيئاً...

ووجهها كان شديد الاحمرار من فرط البكاء ...

مع ارتجافة جسدها كله الذي بدا وكأنه علي وشك السقوط في أي لحظة لولا تمسكها بالباب الذي لم تفتحه كاملاً وهي تهمس بصوتٍ مختنق وسط دموعها:

_دعني الآن وحدي يا ياسين...أرجوك.

دفع الباب بقوة مقاوماً تشبثها المستميت به ليدخل ويغلقه خلفه...



قبل أن يجذبها لصدره بعنف مخفياً جسدها بين ذراعيه وهو يهمس بحنان دافئ:

_أنتِ الآن وحدك...أنا وأنتِ كيانٌ واحد!!

قاومت بكاءها بين ذراعيه لكنها لم تستطع رفع رأسها نحوه وهي تتشبث براحتيها علي صدره ...

فعاد يهمس في أذنها بحرارة:

_لا شئ يستحق دموعكِ يا غاليتي...انسي كل ما سمعتِه اليوم...واعتبريه مجرد هراء...غداً نذهب لأفضل طبيب هنا...ليس واحداً بل عشرة...وحتي لو كان كلام الطبيبة صحيحاً...سنتقبل قدرنا برضا...المهم أن نكون معاً...

ثم رفع ذقنها إليه ليتطلع لعينيها الذابلتين علي عكس طبيعتهما الواثقة هامساً بصوته الدافئ:

_لم أكن أظن أن شيئاً بسيطاً كهذا يزلزل عرش السلطانة رقية ؟!!



هزت رأسها بقوة وهي تهتف بانفعال جعلها ترتجف حقاً بين ذراعيه:

_بسيط؟!!! بسيط يا ياسين؟!!! أنا لم أشعر في حياتي بهذا الشعور الذي ذبحني اليوم...

ثم خانتها دموعها لتسقط رغماً عنها وسط شهقاتها الباكية وهي تردف بانهيار لم يشهدها عليه من قبل:

_أنا انكسرت...رقية الهاشمي التي كانت نجمة تهفو إليها القلوب...اليوم قالت عنها والدتك أنها.....أنها.... أرض بور..أنا التي...

قطع عبارتها بعنف عندما جذب رأسها لصدره من جديد وشفتاه تغمران وجهها ورقبتها ورأسها بقبلاته العميقة التي حملت كل عاطفته واعتذاره...

هو الذي يفهم الآن أكثر من أي أحد كيف تشعر هذه المرأة ذات الكبرياء...



هي التي تعودت علي نظرات الانبهار في العيون...

واليوم تختفي لتحل محلها نظرات استهانة وشفقة!!!

خاصةً وأن هذا يتزامن -للأسف- مع عودة آسيا لمنزل العائلة...

كل هذا كثيرٌ علي صبر أي امرأة...

حتي لو كانت رقية الهاشمي!!!

لهذا ربت علي ظهرها أخيراً برفق وهو يهمس في أذنها ورأسها مزروعٌ في صدره:

_أنا أعتذر لكِ بالنيابة عن أمي ...هي الآن ليست بحالتها الطبيعية...قلبها موجوعٌ علي أولادها.

مرغت وجهها في صدره وهي تهمس بانكسار لا يليق بها:

_هذا الشعور الذي لن أعرفه أنا أبداً...أن يكون لي أولاد...كل واحد منهم هو قطعة من قلبي....



دمعت عيناه رغماً عنه وهو ينحني برأسه ليلصق وجنته بوجنتها هامساً بحزم لا يخلو من حنانه المعهود:

_لا داعي للتعجل يا غاليتي...رقية التي أعرفها لن تنهزم هكذا من أول جولة...دعينا أولاً نتأكد من تشخيص الطبيبة...قبل أن نبدأ ونسعي للبحث عن حل ...

صمتت لدقائق مرت علي كليهما ثقيلة متباطئة...

قبل أن تغمغم هي بشرود:

_نتأكد ...و...نبدأ..و..نسعي...لا يا ياسين!!!

ثم رفعت عين.يها إليه هامسةً بتصميم:

_بل أتأكد..وأبدأ...وأسعي...لو كان لحالتي علاج فسأسير في طريقه وحدي...ولو لم يكن فأنا أحلك من ارتباطنا هذا...



ابتسم في حنان متفهم وهو يضغطها بين ذراعيه أكثر ليهمس باحتواءٍ لا يجيده مثله:

_طوال الطريق من منزل العائلة إلي هنا وأنا أراهن نفسي أنكِ ستقولين هذا...لايزال كبرياؤكِ يهزم قلبكِ في صراعهما...

ارتعشت حدقتاها بضعف لم يعهده فيهما عندما ابتعد برأسه ليلتقط نظراتها الضائعة مردفاً بنفس النبرة الآسرة:

_لكنني وعدتكِ أن أحفظ كليهما يا سلطانتي!!

دفعته برفق لتبتعد عنه بضع خطوات معطيةً له ظهرها ...

فتركها لنفسها للحظات...

قبل أن يقترب منها ليحتضن كتفيها بكفيه هامساً بعتاب حنون:



_كنت أتمني لو لجأتِ لحضني أنا اليوم...بدلاً من هذه الغرفة.

عادت دموعها تسيل من جديد علي خديها وهي تهمس بصوت متقطع:

_لقد طلبت من بلال فعلاً الذهاب لشركتك...لكنني لم أتمكن من النزول من السيارة...ظللت أنظر لبابها فقط من بعيد دون أن أجد القوة لأصعد إليك...

ثم ابتسمت بسخرية بين دموعها لتردف بمرارة :

_هل تتصور هذا؟!! أنا رقية الهاشمي أعجز عن مواجهة موقف كهذا؟!!

تنهد بحرارة وهو يحتضن وجهها براحتيه هامساً بحزم:

_لا تحملي نفسكِ فوق طاقتها ...رقية الهاشمي إنسانة...امرأة من لحم ودم وإحساس...إنسانةٌ يحق لها أن تبكي عندما تضعف...



أن تستريح وقتما تتعب..أن تشكو حين تتألم...لا تسجني نفسكِ بداخل فكرتكِ عن رقية الصلبة كالجبل التي تحمل همّ الجميع ولا تريد أن يحمل همّها أحد...ابكي واصرخي واحكي ...أفرغي شكواكِ علي صدري بالساعات...املئي أذني ثرثرة كالنساء دون خوفٍ أن تزعجيني بعد عناء عملي...أعلني عن مكانٍ تحبين السفر إليه وخاصميني لو اعترضت دون مراعاة لظروفي...احلمي وتدللي واطلبي ...عيشي القليل من عمركِ لرقية التي طالما صبرت ومنحت...وآن الأوان لتطلب وتأخذ!!

تعلقت عيناها بعينيه في عاطفةٍ هادرة لم يرَها فيهما من قبل...

قبل أن تلقي نفسها بين ذراعيه لتضمه بكل قوتها هاتفةً بانهيار عاطفي:



_اليوم شعرتُ بالخوف كما لم أشعر من قبل إلا يوم وفاة أبي... خوف رهيب يا ياسين....لأنني...كنت...

ضمها إليه أكثر وقد عجزت عن إكمال عبارتها للحظات....

لكنه أكملها له بحنانه :

_كنت تخافين أن تفقدي ياسين...حبيبك...وصديقك...وأباكِ ...وابنك...قبل أن يكون زوجك...صحيح؟!

رفعت إليه عينيها بنظراتٍ ذبيحة فابتسم مردفاً بعشقٍ جارف:

_لم يعد هناك فارق بين إحساسي وإحساسك...هو قلبٌ واحدٌ ينبض في صدرينا معاً!!

ابتسمت أخيراً بشحوب وعيناه ترويان سطوراً من عشق وخوف وانكسار ومحاولةٌ واهية للتظاهر بالقوة...



فمال علي شفتيها يلامسهما بنعومة قبل أن يهمس بعاطفة ملتهبة:

_لو تعلمين شعوري بمذاق ابتسامتك علي شفتيكِ لما حرمتني منها أبداً!!!!

اتسعت ابتسامتها وهي تتطلع لعينيه بمزيج مشاعرها العاصف الآن...

قبل أن تهمس بتردد:

_كنت أريد أن أطلب منك شيئاً....

أومأ برأسه منتظراً فأردفت بما يشبه الرجاء:

_لا أريد العودة لبيت العائلة...!!!

أطرق برأسه للحظات ثم عاد يرفعه نحوها هامساً بحزمه الحاني:



_ليس الآن يا رقية...أنا أتفهم شعورك جيداً خاصةً بعد عودة آسيا ...وظني أن انفعالكِ هذا هو الذي أثار معدتك الحساسة كالعادة...لكنني لا أريدك أن تستسلمي لهذا الشعور...كما لا أريد أن يقال أنكِ خرجتِ من بيت العائلة بسببها...رقية الهاشمي ستعود لبيت زوجها مرفوعة الرأس غداً...وكأن شيئاً لم يحدث...لبضعة أيام فقط...وبعدها سأجعلك تختارين مكان إقامتنا كما تحبين...حتي لو أردتِ أن نقيم هنا بصورة دائمة فلن أمانع...لكن دعينا فقط نتجاوز هذه الفترة !!

أغمضت عينيها للحظات وكأنها تعقل حديثه الذي بدا لها منطقياً...

ثم عادت تفتحهما لتهمس ببعض الحرج:

_ووالدتك؟!

رفع كفيها يقبلهما باعتذار ممتزج بامتنانه قبل أن يقول برفق:



_أنا كفيلٌ بأمي ...لن أدعها تؤذيكِ بكلمة...هذا وعدٌ مني!

أومأت برأسها موافقة وهي تشعر بانهيار جسدها ضعفاً وإنهاكاً بعد هذا اليوم العصيب الذي بدأ بفورة انفعالها -الصامت-بعودة آسيا لبيت العائلة...

فوضعت كفها علي رأسها بإعياء واضح...

عندما جذبها من كفها نحو الفراش ليمددها عليه برفق...

قبل أن يخلع سترته ليتمدد جوارها ضاماً لجسدها بين ذراعيه وهمساته الدافئة تطوقها بحنان:

_الآن ينام كلانا في حضن صاحبه فلا خوف ولا حزن...كفاكِ دموعاً يا غاليتي!

========

فتحت عينيها صباحاً تتأمل المكان بدهشة ...

قبل أن

يعاودها إدراكها...



إنها غرفتها القديمة في منزل النجدي الكبير الذي عادت إليه مع جسار...

جسار!!!!!!

انتفضت من نومتها وهي تستعيد في ذهنها ما حدث بينهما ليلة أمس...

رباه!!!!

هل كان هذا حقيقياً؟!!!

التفتت جوارها لجانبه الخالي من الفراش وعيناها تدوران في الغرفة بحثاً عنه...

لكنه...لم يكن هناك!!!

ظلت غارقةً في صدمتها للحظات...

ثم أغمضت عينيها بألم ممتزج بحسرتها وعقلها يخبرها بالحقيقة...

جسار هرب منها ومن نفسه بعدما كان بينهما...



لقد كره لحظة ضعفه معها...

ومن يدري...ربما يكرهها هي نفسها الآن!!!

هي التي يراها بعينيه الآن خطيئة لا تغتفر في حق حبه القديم!!!!

سالت دموعها علي خديها وهي تشعر بالقهر...

وأيُ ظلمٍ أكبر من أن يكون حبها الذي تراه تاجاً علي رأسها مجرد وصمة عار في جبينه هو؟!!!

ما ذنبها إن كانت عشقته بكل ذرة في كيانها حتي وهي تعلم أن أرض وطنه المحتلة بعشقه العتيق ليس فيها موطأ قدمٍ لها أو لسواها؟!!!

ما ذنبها إن كان قلبها الذي طالما ارتجف بين ضلوعها مذعوراً كطفلٍ يتيم وجد أمانه في عينه التي ربما لم ترَ فيها سوي واجب ثقيل؟!!!

ما ذنبها إن كانت روحها الظمأي للحنان قد انجذبت لينابيع روحه الفياضة به ؟!!!

ما ذنبها؟!!!!



قُطعت أفكارها عندما سمعت صوت طرقات خافتة علي الباب...

فمسحت دموعها بسرعة ...

لا يجب أن يشعر أحد هنا بشيءٍ مما يدور بينهما...

ثم علا صوتها تسمح للطارق بالدخول...عندما تجمد جسدها للمفاجأة...

فقد كان .....هو!!!

اتسعت عيناها بدهشة للحظة قبل أن تندفع نحوه وقلبها يتوسلها أن تلقي بنفسها بين ذراعيه...

لكنها توقفت علي بُعد خطوة منه وهي ترمقه بنظراتٍ ضائعة مشتتة بين غيوم دموعها المنذرة بالهطول...

لكنه هو الذي اقترب منها ليضمها إلي صدره برفق مغمغماً بقلق:

_ماذا بكِ؟!!



أراحت رأسها علي صدره مغمضةً عينيها بسكينةٍ لا تجدها إلا معه...

قبل أن ترفعهما إليه هامسةً بصوت مرتعش:

_ظننتك....رحلت!!

ارتفع حاجباه بدهشة للحظة ثم ابتسم قائلاً بحنانه المعهود:

_كيف أرحل دون أن أخبرك؟!!

هربت بعينيها من عينيه وهي لا تزال غارقةً في حيرتها بشأن وضعهما الجديد...

بينما أردف هو بنفس النبرة:

_كنتُ أتمني لو أكون جواركِ عندما تستيقظين لكنني لم أكد أخرج من الغرفة صباحاً حتي وجدتُ جدّكِ يطلبني للحديث معه وحدنا في غرفته.

اتسعت عيناها بقلق وهي ترمقه بنظراتٍ مترقبة...



فربت علي وجنتها برفق ثم قال لها مطمئناً:

_لا تخشيْ شيئاً بعدُ يا "كريستالتي"...جدّكِ كان فقط ...يوصيني عليكِ!!!

انفرجت شفتاها بذهول وهي تردد خلفه :

_قاسم النجدي كان يوصيك أنت عليّ أنا؟!!!

اتسعت ابتسامته وهو يومئ برأسه إيجاباً قبل أن يردف بشرود وهو يستعيد بذهنه حواره مع النجدي الكبير:

_لقد بدا الأمر ظاهرياً وكأنه يهددني لو أصابكِ سوءٌ معي...كان يذكرني بقوة عائلة النجدي وأنها لا تتهاون أبداً مع من يسئ لفردٍ منها..لكنّ عينيه القاسيتين حملتا رجاءً خاصاً لم يتعمده...ومع هذا وصلني كاملاً دون نقصان...ربما لأنني شعرت بصدقه...رجاءً بأن أصونكِ دوماً ولا أخيب ظنه فيّ.



ثم التفت إليها من شروده ليبتسم هامساً بحرارة:

_ما رأيك؟!!! هل أحتاج أنا لمن يوصيني عليكِ؟!!

ابتسمت بارتباك وعيناها تتهربان من لقاء عينيه...

ثم أطرقت برأسها صامتةً للحظات دون رد...

فربت علي رأسها برفق هامساً بحنان:

_ما الأمر يا آسيا؟!!

ظلت علي إطراقها الصامت للحظات...

فضمها إليه أكثر وهو يداعب شعرها بأنامله مردفاً:

_لا تُخفي عني شيئاً بعد...قولي لي ماذا يدور برأسكِ.

ترددت للحظات أخري ووجنتاها تتخضبان بحمرة خجلها قبل أن تتمالك قوتها لتهمس بخفوت :

_هل ندمتَ علي ما حدث بيننا؟!!



ابتعد برأسه قليلاً ليرفع ذقنها إليه هامساً بحزم ممتزجٍ بعاطفته:

_الندم يكون علي خطأ...فهل ما بيننا خطأ؟!!

كادت تطرق برأسها من جديد وهي عاجزة عن الرد...

لكنه عاد يرفع وجهها إليه مثبتاً عينيه في عينيها وهو يردف بنفس النبرة :

_لماذا تخفضين رأسك هكذا؟!!! جبينكِ هذا خُلق ليبقي مرفوعاً بكبرياء ملكة ...تذكري هذا جيداً وأنتِ تبدئين طريقك الجديد.

دمعت عيناها بتأثر رغم ابتسامتها التي أنارت ملامحها كلها...

فابتسم بدوره وعيناه تحتضنان ملامحها بحبٍ لم يعد ينكره كلاهما...



قبل أن يقترب بوجهه منها أكثر ليهمس أمام عينيها :

_أحبكِ وتحبينني...ما عاد هناك مجالٌ لشكّ أو جدال!!!

ارتجفت شفتاها بقوة مع اتساع حدقتيها المذهولتين وهي لا تكاد تصدق أنها سمعتها منه أخيراً...

قبل أن تنطلق منها صيحة فرح قصيرة وهي تتعلق بعنقه بكل قوتها ...

لتهمس بعدها وسط دموع فرحتها هذه المرة:

_جسار...قلها من جديد...قل أنني لا أحلم...قل أنك حقاً هنا معي...

اعتصرها بين ذراعيه مخفياً وجهه في طيات شعرها الذهبي الذي طالما أثار جنونه...

ليهمس بعدها بصوت متهدج:

_معكِ يا حبيبتي...معكِ دوماً.



رفعت رأسها إليه مبهوتة ...

وهي تسمعها منه لأول مرة...هامسةً بصدمة:

_حبيبتك؟!!

احتضن وجنتيها بكفيه وهو يهمس بحرارة :

_لو لم يكن هذا حباً فماذا يكون؟!!

تألقت عيناها بفرحة طاغية مصبوغة بعاطفتها وهو يكمل همسه الساحر:

_لم أعد أخشي اعترافي بها...بل علي العكس...أريد أن أهمس بها الآن أمامكِ كل لحظة...لن تتصوري شعوري بالأمس وأنا أظنكِ قد ترحلين عن عالمي وتتركينني وحدي...أنا الذي ذقت مرارة فقد من أعشق...ساعتها طغا طوفان حبك علي كياني كله ليجرف في تياره أي مشاعر سواه...

ازدانت شفتاها بابتسامة كشمس ساطعة...



لكنه أغمض عينيه ليردف بنبرات مرتعشة:

_لكن...لا تظني أني نسيتُ سمية...سيبقي مكانها في قلبي دوماً لها...

ثم فتح عينيه ببطء هامساً بألم ممتزج بما يشبه الاعتذار:

_لا أدري إن كان ما يقولونه صحيحاً أن القلب لا يعرف الحب إلا مرة واحدة...لكنني أثق أنني أحبكِ...تماماً كما أحببتها...

التقت عيناها بعينيه في حديث طويل...

صمت فيه كلاهما للحظات ولازال يحتضن وجهها بكفيه كأنها كنز عمره الذي يخشي فقده...

ولازالت تتعلق بخيوط العشق في عينيه وكأنها شفاء روحها من كل أوجاعها...



قبل أن تقطع هي هذا الصمت بهمسها القوي الواثق:

_لو كنتَ قلتَ غير هذا لما صدقتك...أنا أحببتُ جسار الوفي المخلص الذي رأيت فيه صورة العشق كما أتصوره...أشكرك لأنك لم تشوه هذه الصورة بلون أسود من خيانةٍ أو نسيان.

تنهد بحرارة وهو يشيح بوجهه ...

لتردف هي بنفس النبرة الواثقة:

_قد قلتُ أنا يوماً أنك رجلٌ غير قابل للقسمة...لم أدرك وقتها أن حسابات القدر لا تعترف بقوانين ...وأننا قد نرتضي القسمة أحياناً فقط...لو تكون عادلة فلا نظلم بها أحداً..

التفت إليها بابتسامة واسعة وهو يهمس بإعجاب حقيقي:

_أنا فخورٌ بكِ أيتها "الكريستالة"!!!



ابتسمت بخجل ضاعف سحرها في عينيه فسألها بتردد وعيناه تتشبثان بملامحها فيما يشبه الرجاء:

_ألازلتِ ترغبين بالبقاء هنا؟!!

أومأت برأسها وهي تقول بابتسامة اسئذانٍ آسرة:

_أريد أن أكمل طريقي الذي رسمتَه أنت لي...أريدك أن تفخر بصنيعة قلبك ويديك...بآسيا التي كانت يوماً تري الموت والحياة سواء لكنها الآن تبينت حلمها يلوح في الأفق وستحلق بجناحيها حتي تصل إليه...

تألقت عيناه ببريق أخّاذ وقد ارتسمت فيهما سعادته الجديدة بها...

لا...ليس هذا مجرد شعور رجل بامرأة...

بل إن إحساسه بها يتجاوز هذا بكثير...

إنه يشعر كما تقول أنها ابنته التي يفخر بها...



قبل أن تكون معشوقته التي يذوب بها غراماً!!!!!

لهذا انحني علي رأسها يقبله بفخر قبل أن يقول بحنانٍ طاغٍ:

_رغم أنه سيشق عليّ ابتعادك هذه الأيام...سنكون معاً يداً بيد...حتي نتذوق معاً طعم نجاحكِ آخر الطريق....ما أشبهكِ الآن بفرسٍ جموح قوية تعرف طريقها ولن يوقفها شئ.

رفعت كفيها تضعهما علي كفيه اللذين يحيطان بوجنتيها لتهمس بامتنان:

_نعم...لكنني الآن أدرك أنني مهما ابتعدت ...سيكون دوماً في عينيك منتهي خطواتي.

====

كانا يهبطان الدرج متشابكي الأيدي حيث سيغادر جسار إلي المزرعة...



وستبقي آسيا هنا لبضعة أيام حتي تتابع شئون تسلم عملها ودراستها من جديد...

لتعود بعدها إلي المزرعة في عطلتها كما اتفقا...

لكنهما توقفا مكانهما عندما اصطدما برقية وياسين في طريقهما للصعود بعدما عاد بها ياسين من منزل أبيها...

توقف الأربعة مكانهم والتقت العيون بحديث فاضح لمشاعر فاضت بداخل كل منهم...

تشنجت أصابع جسار علي كف آسيا الذي في يده دون وعي...

وهو يشعر بأنياب الغيرة تلتهم روحه من جديد...

كيف سيتركها خلفه هنا مع هذا الرجل في نفس البيت؟!!!!



وأمامه كان ياسين يشعر ببعض الحرج من هذا اللقاء لكنه رفع ذراعه ليضم رقية لكتفه قائلاً بهدوء:

_أهلاً يا جسار...حمداً لله علي سلامتك في بيت العائلة يا آسيا!

رد جسار تحيته بفتور وأصابعه تزداد ضغطاً علي كف آسيا في يده وكأنه يعلن ملكيته لها...

آسيا التي تداركت الأمر بسرعة لتصافح رقية بكفها الحر قائلةً بودّ لا تدعيه:

_أهلاً رقية...لم أتمكن من رؤيتك بالأمس.

كانت رقية الآن في أسوأ حالاتها وأكثرها انكساراً...

لكنها رفعت رأسها بكبرياء مصافحةً آسيا بدورها وهي تقول بابتسامة باهتة:

_حمداً لله علي سلامتك..



رفع ياسين ذراعه عن كتف رقية ليربت علي رأسها مبرراً غيبتها حتي لا يُساء فهمها :

_رقية كانت مريضة بعض الشئ فاضطررنا للمبيت في "فيللا" والدها لكنها اليوم صارت أفضل.

ابتسمت آسيا وهي ترمق ملامح رقية الشاحبة بإشفاق قبل أن تقول بمرح :

_مريضة؟!! هذه إذن فرصتي...دعيني أجرب فيكِ إذن ما تعلمته طوال هذه السنوات...ستكونين أول مرضاي!!!

اتسعت ابتسامة رقية الشاحبة وهي تشعر بمرح آسيا وعفويتها يبددان القليل من توجسها السابق...

خاصة مع شعورها بأن حباً كبيراً صار يجمعها مع جسار القاصم هذا...



لكنها مع هذا لم تستطع منع هذه المرارة في حلقها وهي تري أن عودة آسيا تزامنت -للحظ-مع أشد لحظات حياتها انكساراً...

لهذا أطرقت برأسها للحظة قبل أن تغمغم بنبرة مختنقة استدعت فيها قوتها المعهودة لكنها خذلتها:

_يشرفني أن تكوني طبيبتي....وصديقتي أيضاً.

ربتت آسيا علي كتفها بحنان قبل أن تقول برقتها الفطرية:

_اصعدي الآن لتستريحي فوجهكِ يبدو مرهقاً...ولنا حديث طويل فيما بعد.

أومأت رقية برأسها بينما رمق ياسين آسيا بنظرة امتنانٍ خاطفة قبل أن يغض بصره عنها ليصعد مع رقية نحو شقتهما...

أماجسار فكان يراقب الموقف بعينين مشتعلتين...



رغم أنه يتفهم مشاعر الأطراف كلها ...

لكنه كان يشعر بقلبه يكاد ينفطر غيرةً وألماً...

أي عقلٍ هذا يدفعه لترك امرأته هنا خلفه وحدها في نفس البيت مع حبيب طفولتها وصباها؟!!!

بينما يكابد هو وحدته واشتياقه دونها في مكانٍ بعيد؟!!!

لكن آسيا التفتت إليه لتقرأ في عينيه ما عجز عن البوح به احتراماً لها وحتي لا تفهم أنه يعيّرها بماضيها...

قرأته كاملاً دون نقصانٍ كعهدها معه...

فتلفتت حولها تتأكد أن لا أحد هناك قبل أن ترفع كفه لشفتيها تقبله في مزيجٍ من الحب والتقدير...

قبل أن تهمس بقوتها -المستحدثة-:



_لو أمرتني الآن بالعودة فسأعود معك دون كلمة واحدة...وسأكون أكثر من سعيدة بلقب زوجة جسار القاصم وحبيبته...دون أي لقبٍ آخر.

أسبل جفنيه يخفي عنها لهيب أعماقه الثائرة...

لكنها ضمت كفه براحتيها إلي صدرها مردفةً بنفس النبرة القوية:

_لكن لو سمحت لي بالبقاء رغم كل الظروف لأحقق حلمي وحلمك...فسأبقي طوال عمري مدينةً لك بطعم نجاحي.

تنهد بحرارة وهو يشيح بوجهه عنها للحظات مرت عليها ثقيلة حقاً لكنها احترمت صمته...

حتي التفت إليها أخيراً بابتسامته التي احتكرت حنان الكون كله وهو يقبل جبينها ليهمس بعدها أمام عينيها بحزم حانٍ:



_تسلمي عملكِ وتدبري أمر إكمال دراستك...لن أتهاون في أي تقصير في هذا أو ذاك...كما قلتِ أنتِ...هو حلمي وحلمك...آسيا النجدي ستكون أمهر طبيبة في هذه المدينة.

ضحكت بسعادة حقيقية ضحكةً أشرقت لها الدنيا في عينيه...

قبل أن تلقي بنفسها بين ذراعيه دون تحفظ لتحتضنه بكل قوة عشقها وامتنانها...

قبل أن ترفع رأسها إليه هامسةً بحبٍ لم يعرف قلبها مثله:

_محظوظةٌ أنا بزوجٍ بنكهة الأب والأخ والصديق...محظوظةٌ أناْ بك يا كل قوتي...وكل سندي!

======



صعدت آسيا الدرج متوجهةً نحو سطح المنزل وفي يدها دلو طلاء صغير...

وجدت الباب مواربا ً فشعرت ببعض الخيبة ...

كم كانت تتمني لو كان مغلقاً لتستمع لصوت صريره الذي اشتاقته...

والذي سمعته آخر مرة يوم زفاف ياسين ورقية حينما صعدت إلي هنا تنعي حبهما لآخر مرة...

قادتها خطواتها المتمهلة برهبة إلي هذا الجدار هناك...

حيث نقش لها هو يوماً نقشهما المميز بحرف اسمه الأول الذي يحتضن حرف اسمها الأول كذلك...

لكنها لم تجده مكانه...

وضعت دلو الطلاء جانباً وهي تجلس علي ركبتيها لتبحث عن النقش بعينيها من جديد وهي تتوهم أنها ربما نسيت مكانه...



عندما سمعت صوتاً خلفها يغمغم بأسي:

_لقد فعلها ياسين قبلك...لقد طمس الرمز الخاص بكما من علي الجدار!

التفتت خلفها لتجد ساري تجلس علي أرجوحتها القديمة محتضنةً دميتها بذراعيها وهي تنظر إليها بمزيج من الإعجاب والحزن...

فعادت ببصرها لمكان النقش الذي ميزته الآن واضحاً وقد طمسه -أحدهم-بآلة حادة...

ابتسمت وهي تهز رأسها ثم وقفت علي قدميها لتتوجه نحو ساري قبل أن تجلس جوارها محتضنةً لها بين ذراعيها وهي تسند رأسها علي صدرها لتهمس برضا:

_حسناً فعل...لقد فكرت في الطلاء كحلٍ مناسب لكنه اختار الحل الأقسي والأفضل...



ثم غمغمت بشرود لا يخلو من حزن:

_أتصور الآن شعوره وهو يطمسه بيده كما حفره بيده...لاريب أنه كان إحساساً صعباً.

أغمضت ساري عينيها وهي تهمس بألم:

_أنا أغبطكما حقاً علي هذا...كيف استطعتما قهر هذا الحب الذي تملك قلبيكما منذ الصغر...ليتني أكون مثلكما!!

ضمتها آسيا أكثر وهي تقول بثقة:

_لو كان حباً لما قهره أحد...ياسين خذلني بضعف عاطفته ...لم أدرك هذا إلا عندما أسعدني القدر بلقاء جسار...لأري بحق كيف تكون قوة الحب وعنفوانه مهما كانت الظروف.

ثم رفعت وجه ساري إليها لتردف بإشفاق:

_مادمتِ لازلتِ تعشقين حذيفة فلماذا فعلتِ به هذا؟!!



ازدردت ساري ريقها وهي تقول بصلابة مصطنعة:

_من قال أنني لازلتُ أعشقه؟!!أنا أسعي لنسيانه بكل قوتي.

ابتسمت آسيا وهي تشير برأسها لدميته في حضنها قائلة:

_لقد أخرجتِها من مخبئها من جديد...لم تستطيعي التخلي عنها أكثر.

أشاحت ساري بوجهها فرفعت آسيا كفها الذي لازال يحتضن دبلته أمام وجهها لتردف بخبث:

_لم تستطيعي نزع دبلته من إصبعك فكيف تنزعين حبه من قلبك؟!!

عادت ساري تنظر إليها طويلاً بصمت...قبل أن تقول بفتور:

_لقد قلت أنني أسعي لنسيانه...ولم أقل بعد أني نجحت.



ربتت آسيا علي رأسها قائلةً بحنان:

_ولماذا تفعلين؟!! حذيفة تغير لأجلك حقاً..لم أصدق أذنيّ عندما أخبرتني أمي عن حقيقة ما حدث بينكما...حذيفة اللعوب الذي لم يرَ يوماً إلا نفسه صار شخصاً آخر علي يديكِ...تاب عن علاقاته النسائية العديدة وصار جاداً في عمله...بل وتحدي قاسم النجدي في أول سابقة للعائلة فقط ليحقق لكِ رغبتكِ علي عكس مراده...فلماذا خذلتِه أنتِ؟!!

عضت ساري علي شفتيها وهي تهمس بألم:

_لم أستسغ فكرة أني مجبرةٌ عليه...عقلي كان يتصيد له الأخطاء هازماً نبضات قلبي المحتلة بغرامه منذ الأزل...أحببته لكنني لم أحترمه...كان رجلاً هيناً في عيني...عظيماً في قلبي...وبينهما كنت أنا ممزقة!!!

عقدت آسيا حاجبيها وهي تغمغم باهتمام:

_ولازلتِ كذلك؟!!



صمتت ساري للحظات ...قبل أن تهز رأسها نفياً هامسةً:

_لقد أثبت لي حقاً أنه تغير...الجميع يحكون عن تبدل أحواله...التزامه وجديته في عمله...صلواته التي صار يحافظ عليها...شعوره المتعاظم بالمسئولية...لكن للأسف...لقد...فقدته!!

تهدج صوتها في كلمتها الأخيرة وهي تحاول كتمان دموعها...

فربتت آسيا علي رأسها لتهمس بحنان:

_لم تفقديه يا ساري...أنتِ فقط ابتعدتِ ...فلماذا لا تجيدين فنّ الاقتراب كما احترفتِ مهارة الابتعاد؟!!

هزت ساري رأسها بلا معني...

فأردفت آسيا برفق:



_كلاكما جريح عنيد مثابر وفوق كل هذا ...معتزٌ بكبريائه...ما أشبهكما باثنين يشدان حبلاً في عكس الاتجاه والنتيجة أن ينقطع الحبل ويسقط كلاهما علي ظهره.

رفعت ساري عينيها إليها باهتمام وهي تغمغم بتردد:

_ماذا تقصدين؟!

ابتسمت آسيا وهي تقبل رأسها بحنان قبل أن تقول بحزم رفيق:

_أرخي الحبل من جانبك كي لا ينقطع...لقد منحكِ هو حريتكِ ليري كيف ستتصرفين...ظني أنه واثقٌ من عشقكِ له...لكنه يريد أن تعودي إليه بإرادتك...فافعليها...أحبيه بانطلاقٍ من جديد...اعشقيه بكل قوتكِ وكأنكِ تتعرفين عليه لأول مرة...أعيدي صبغ قلبكِ بصورته الجديدة لعل عقلكِ يرضي!!



صمتت ساري للحظات تفكر في كلماتها...

لتبتسم أخيراً وهي تضم دميته بقوة إلي صدرها قبل أن تومئ برأسها موافقة...

ثم غمغمت بتردد:

_لكنه صار في غاية البرود معي...أخشي ألا يسامحني!

ضحكت آسيا بمرح ثم قرصت وجنتها لتقول بدهاء:

_المرأة الذكية لا تستسمح رجلاً يعشقها...بل تدفعه بطريقتها ليسترضيها هو!

رمقتها ساري بنظرة تساؤل فأردفت آسيا بثقة:

_حذيفة عاشق يا حبيبتي...فقط حلّقي بجناحيكِ حوله وهو الذي سيمد يديه ليتلقفك!!

======



_لقد تسرعت يا زياد...من يدري ماذا حل بهذه المسكينة الآن؟!

هتفت بها مارية باستنكار وهي ترمقه بغيظ...

فخبط بقبضته علي سطح المكتب هاتفاً بانفعال:

_لم أستطع تمالك نفسي ...كل هذه الأيام وأنا أتمني لو أراها...منذ عودتي إلي هنا ولا يمضي عليّ يومٌ دون أن أذهب للمكتبة طمعاً في أن أراها...ورغم أنها دوماً مغلقة لكنني لم أفقد الأمل ...وفجأة أجدها أمامي...صدقيني لقد قاومتُ نفسي كثيراً وقتها كي لا أختطفها ونرحل من هنا....لكن ذاك الوحش أفسد كل شئ.

زفرت مارية بضيق ثم غمغمت بشرود:

_هذا الوحش هو زوجها الآن يا زياد...الآن صار حبك لها هو الخطيئة ووجودها معه هو المشروع مهما كانت الظروف.



أشاح زياد بوجهه في غضب وهو يهمّ بالرد عليها عندما سمعا صوت طرقاتٍ هادئة علي الباب تبعه دخول حمزة...

وقفت مارية تستقبله بسعادة ظاهرة فابتسم لها بحب كسا كل ملامحه...

قبل أن يصافح زياد بود ثم جلس أمامه ملاحظاً ارتباكه الواضح عندما رآه...

لتلتمع في رأسه فكرة خاطفة عندما جمع بعض التفاصيل في ذهنه...

زياد ومارية يعرفان جوري...

جوري التي ارتبكت كثيراً عندما علمت عن خطبته لمارية رغم تأكيدها أنها فتاة جيدة...

اهتمام مارية بمعرفة أخبار جوري وفرحتها التي قرأها عندما علمت بطلاقها...



ما حدث مؤخراً بين جوري وعمار ...وجنون هذا الأخير الذي دفعه لعصيان أوامر جده...

وسؤال عمار المضطرب له عن خطبته لمارية...

وأخيراً ارتباك زياد هذا الذي لا يجد له مبرراً سوي.....

معقول؟!!!!

هل هناك شئٌ بين جوري وزياد هذا؟!!!

اشتعلت عيناه بغضب عندما راودته هذه الفكرة لكنه عاد يتمسك بحِلمه وهو يواجه زياد بنظرات متفحصة ليقول بهدوء مصطنع:

_لقد حدثت جوري عنكما...وقالت أن دكتور زياد كان من أفضل زبائن المكتبة.

ظهرت اللهفة واضحة في عيني زياد ...

لهفةٌ لم تخفَ علي ذكاء حمزة الذي أردف بنفس الهدوء المصطنع:



_أنا سعيدٌ أنه كان هناك سابق معرفةٍ بينكم...هذا يجعل ارتباط العائلتين أقوي.

اضطربت مارية مكانها وقد عجزت عن الرد...

فيما لم يتمالك زياد انفعاله -كالعادة- وهو يسأله باندفاع:

_هل هي بخير؟!!! هل رأيتها قريباً؟!!

تأكدت شكوك حمزة نوعاً بعد سؤاله الأخير فابتسم ببرود قائلاً:

_بألف خير...لقد عادت إلي زوجها أخيراً بعدما تحدت الجميع لأجله...جوري زوجةٌ مخلصةٌ حقاً قلّما يجد المرء مثلها.

اتسعت عينا زياد بصدمة للحظات...وهو لا يكاد يصدق ما يسمعه...

فأردف حمزة بنفس البرود:



_عمار وجوري مثالٌ جيد لعلاقة متكافئة...هو رغم غلظة طباعه الظاهرة لكنه يملك قلباً لم تملكه سواها...وهي الآن تدرك هذا جيداً!!

أغمض زياد عينيه قليلاً يحاول تقبل خسارته الأخيرة...

ثم قام من مكانه ليقول بصوتٍ مهزوز:

_بارك الله لهما...سأضطر للذهاب الآن.

رمقه حمزة بنظرة طويلة متفحصة قبل أن يقوم من مكانه ليصافحه قائلاً بلهجة محايدة:

_أبلغ السيد رياض أننا سنزوره الليلة لنحدد موعد عقد القران...أحب لو يكون أول أيام العيد...لقد هاتفتُ دكتور آدم ووافق .

شهقت مارية بفرحة وهي تقف مكانها لتصفق بكفيها هاتفةً بالانجليزية كعادتها عند انفعالاتها الصارخة:

_يا إلهي!!!

حقاً يا حمزة؟!!!



التفت حمزة نحوها بنظرة حب عميقة لكنه حافظ علي هدوء نبراته وهو يقول ببعض التحفظ:

_نعم يا مارية...لقد أبلغتُ جدي ووافق بعد استقرار أمور العائلة أخيراً.

أشرقت ملامحها بسعادة خالصة بينما غمغم زياد بنفس النبرة المهتزة:

_مباركٌ لكما دكتور حمزة...نحن في انتظاركم اليوم.

قالها ثم غادرهما بخطواتٍ سريعة فالتفت حمزة نحو مارية التي ابتدرته بقولها:

_أخيراً يا حمزة...سيكون من حقي أن أعلن حبنا علي الملأ.

طوقها بدفء نظراته للحظات وعيناهما تتبادلان حديثاً لا يليق إلا بالعاشقين...



قبل أن يظهر بعض العتاب في كلماته وهو يقول بنبرة حازمة:

_بعيداً عما بيننا....ستجلسين الآن وتخبرينني بحقيقة ما بين زياد وجوري...وإياكِ أن تخفي عني شيئاً**!!**

ظهرت المفاجأة في عينيها للحظات وبدت كطفلة مذنبة تنتظر العقاب...

فشعر بقلبه يذوب من فرط عاطفته نحوها التي تدفعه الآن لاحتضانها بقوة...

لكنه تمالك نفسه ليردف بنفس الحزم:

_اجلسي أولاً**!**

جلست مكانها صامتةً للحظات تتحاشي لقاء نظراته وهي لا تدري ماذا تفعل...

حمزة النجدي رغم تعقله وسنوات عمره التي قضاها في لندن لايزال يحمل الدم الصعيدي الفائر ...



والذي لن يتقبل أبداً ما كان زياد ينتوي علي فعله بالهرب مع جوري قبل زفافها...

لكنها لا تستطيع أن تخفي الأمر عليه بعد شكوكه هذه...

لهذا استغلت ذكاءها وهي تقول أخيراً بتعقل:

_لن أكذب عليك يا حمزة...لكن لا داعي للخوض في ماضٍ لن تفيد تفاصيله أحد....ما استنتجته أنت صحيح...زياد كان يرغب في الزواج من جوري قبل زواجها من عمار...وظن أن بإمكانه إعادة المحاولة عندما علم عن طلاقها...لكن مادمتَ تقول أنها عادت لزوجها راضية...فلا معني لكل هذا...لقد أُغلق هذا الأمر نهائياً!!!

رمقها حمزة بنظرة عاتبة وهو يقول لائماً:

_ولماذا أخفيتِ الأمر عني؟!!



أسبلت جفنيها بخجل وهي تغمغم بارتباك:

_خفتُ من حميتك التي أعرفها لو علمتَ أنتَ عن شيءٍ كهذا...

أشاح بوجهه دون رد فأردفت برجاءٍ طفوليٍ لم يستطع مقاومته:

_سامحني يا حبيبي...لن أخفي عنك شيئاً بعد!!

التفت نحوها بحدة وعيناه تلتمعان بقوة قبل أن يقول ببطء:

_ماذا قلتِ؟!!

انكمشت في مقعدها أكثر وهي تهمس بخفوت:

_قلتُ أنني لن أخفي عنك شيئاً بعد....أعدك بهذا!!

هز رأسه نفياً وهو يهمس بابتسامة ماكرة ملوحاً بسبابته في وجهها:

_لا....ما قبلها!!!



اتسعت عيناها في إدراك لتحمر وجنتاها بشدة وهي تهمس برقتها الآسرة:

_قلت يا "حبيبي"...ألا تعلم أنك حبيبي يا حمزة؟!!

توهجت عيناه بعاطفة صارخة وهو يقترب بجذعه من المكتب أكثر ليهمس أمام عينيها بخبث:

_"حبيبي" و"حمزة" في جملة واحدة لا يجتمعان...واحدة منهما تكفي لأموت عشقاً !!

ضحكت بتلك الطريقة التي تزلزل قلبه وتتملك روحه بلحظات...

فتنهد بحرارة ليهمس بعدها بخفوت:

_اللهم إني صائم!

ثم قام من مكانه ليقول لها بعاطفة صادقة:

_أول أيام العيد ينتهي صومي كاملاً...يومها تكونين لي حقاً يا ماريتي لأعشقكِ حقاً كما أريد دون قيود.



وقفت بدورها وقد رسمت الفرحة المزدانة بالعشق ملامحها من جديد لتومئ برأسها في خجل...

فابتسم وهو يودعها متجهاً نحو باب الغرفة قبل أن يتذكر شيئاً جعله يلتفت إليها قائلاً بنبرة عادت إليها جديتها:

_أقنعي ابن عمك أن ينسي أمر جوري تماماً وألا يتعرض لها بعد الآن...عمار النجدي لا مزاح لديه في هذه الأمور!!

========

جلست آسيا في غرفتها بالمشفي الحكومي الصغير الذي تسلمت عملها به منذ يومين تحاول الاتصال بجسار دون جدوي...

منذ تركها في منزل العائلة منذ أيام وهو لم يهاتفها ولا يرد علي اتصالاتها ...



استبد بها القلق وهي تخشي أن يكون قد أصابه مكروه هو أو الصغير ياسين...

أو من يدري...

ربما عاد لشعوره بالذنب بعد رجوعه إلي المزرعة التي تحمل رائحة عشقه القديم لسمية....

هزت رأسها بأسي وهي تدرك أنه لم يقوَ علي لمسها إلا عندما ابتعدا عن المزرعة...

وربما لو كانا بقيا هناك لما فعلها أبداً!!!

تنهدت بحرارة وهي تحاول الاتصال به من جديد لتكون النتيجة محاولةً فاشلةً أخيرة...

وضعت هاتفها في حقيبتها وهي تراقب الغرفة التي خلت من جميع زميلاتها اللائي انصرفن مبكراً فيما بقيت هي هنا وحدها وهي لا تريد العودة للمنزل...

غداً موعد عطلتها التي وعدته أن تقضيها معه كما اتفقا...



لكنها لا تدري ماذا تفعل الآن بعد امتناعه عن الرد علي مكالماتها...

هل تذهب بنفسها للاطمئنان عليه...

أم تتركه لوحدته التي اختارها كي لا تضغط عليه أكثر؟!!!

زفرت بضيق وهي تتأهب للمغادرة عندما التفتت ببصرها نحو باب الغرفة لتجده هناك...

نعم...جسار!!!

رمشت بعينيها لعدة مرات تتأكد من وجوده قبل أن تندفع نحوه بلهفة ليفاجئها بالدخول وإغلاق الباب خلفه قبل أن يرفعها من خصرها في عناقٍ دافئ طويل أعقبه بهمسه الحار جوار أذنها:

_يالشوقي إليكِ !!!

رفعت وجهها إليه باشتياقٍ مماثل قبل أن تنتبه للمكان فهتفت بارتباك:



_أنزلني يا جسار وافتح الباب...ستكون فضيحة لو رآنا أحد!!!

لم يبدُ عليه أنه سمعها وشفتاه تغزوان وجهها كله بقوة اشتياقه لينتهي هذا الغزو عند شفتيها في لقاء طويل ...

قبل أن يهمس أمام عينيها مداعباً:

_دعيهم يفصلونكِ من هنا...لقد غيرت رأيي...لن أسمح لكِ بالابتعاد من جديد.

ابتسمت بخجل وهي تتملص بصعوبة من بين ذراعيه لتعدل ملابسها ...

قبل أن تبتعد وتفتح الباب لتطمئن ألا أحد لاحظ شيئاً...

ثم عادت إليه لتهمس بعتاب:

_لو كنتَ اشتاقتني حقاً كما زعمت...فلماذا لم تكن ترد علي اتصالاتي؟!!



أغمض عينيه قليلاً ثم قال بضيق:

_لم يكن الأمر سهلاً كما ظننت...فراقك كان أشق عليّ كثيراً مما تصورت...صدقيني لو كنتُ رددتُ علي أيٍّ من اتصالاتك كنت سأطلب منكِ العودة دون تردد.

ابتسمت بحب وهي تراه ينسف كل مخاوفها التي كانت تنهش عقلها بقسوة....

قبل أن تهمس برقة:

_لو كنتَ طلبتَها لنفذتُها أنا الأخري دون تردد...أنا عند وعدي...أنت أهم من كل شئ!!

دارت عيناه علي ملامحها بتفحص اشتياقٍ ملتهب...

ثم أطرق برأسه قائلاً بحزم:

_لهذا لم أطلبها...أنا أيضاً عند وعدي...حلمنا واحد!!



ضحكت بسعادة وهي تتأبط ذراعه لتخرج معه من الغرفة قائلةً بمرح:

_إذن دعنا لا نضيع ثانيةً واحدة...اشتقت للمزرعة وللعم كساب وياسين ....وجسار الحبيب...لاريب أنه يفتقدني.

ربت علي كفها وهو يسير جوارها ليهمس جوار أذنها:

_صدقيني لو قلتُ لكِ...حتي ذرات الهواء هناك تفتقدك...كل الأشياء صارت باهتةً دونك.

رفعت إليه عينيها بفيض عاطفتها الكاسح ...

عندما فاجأها بقوله:

_لكننا لن نذهب إلي المزرعة.

توقفت مكانها وهي تسأله بدهشة:

_إذن إلي أين سنذهب؟!!



ابتسم وهو يجذبها ليعاودا السير قائلاً بشجن:

_إلي مكانٍ مزدحم لم أعد أشعر فيه بالخوف أن يتعرف عليّ أحد...هل تدركين قيمة شعوري هذا الآن؟! أنا الذي عشتُ عمراً أتخفي كاللصوص خشية أن يتعرف إليّ أحد...اليوم أريد أن أواجه بكِ العالم الذي طالما حُرمت منه...

ثم التفت إليها ليهمس أمام عينيها بحب لم تتصور أن تراه بعينيه صارخاً هكذا:

_أنتِ رددتِ إليّ اسمي وعائلتي وحريتي....إن كانت سمية قد نجحت في مساعدتي علي الحفاظ علي نفسي وحياتي بالاختباء في صومعة بعيدة....فأنتِ التي أعادتني إلي عالمي الأصلي آمناً دون خوف ودون قيود.

التمعت عيناها بتأثر وهي تشعر بصدق حديثه ...

كم كان كلاهما حقاً يحتاج لصاحبه....



هي التي احتاجت قوته ودعمه ليعالج هشاشتها وضعف طباعها...

تماماً كما احتاجت حنانه وحبه ليداوي جرحها القديم....

وهو الذي احتاجها ليعود من جديد للحياة فكانت له بعد الموت بعثاً كما يخبرها دوماً !!!

لهذا التصقت به أكثر وهي تشعر أنها تملك العالم كله الآن بين ذراعيها وهي تسير معه هكذا...

لتقول بفضول:

_لم تخبرني بعد أين سنذهب؟!

ابتسم بحنان قائلاً:

_لقد حجزتُ لنا غرفة في أحد الفنادق علي الساحل..."شهر عسل" تأخر كثيراً!!!

زيّن الخجل ابتسامتها المصبوغة بالسعادة وهي ترد عليه باعتراضٍ واهٍ:



_شهرٌ بأكمله؟!! لن نستطيع..لن يمنحوني هنا إجازة طوبلة هكذا وأنا لازلتُ في بداية عملي...كما أننا في أواخر رمضان وحمزة سيعقد قرانه أول أيام العيد ...ويجب أن أكون مع العائلة.

ظهر الضيق علي وجهه للحظات....

لكنه أومأ برأسه في تفهم ثم قال برفقه المعهود:

_دبري أمركِ كما يحلو لكِ..أنا أمنحكِ حرية التصرف!

اتسعت ابتسامتها وهي تود لو تتجاهل البشر المحيطين بهم وتحتضنه بكل قوتها الآن...

هي التي عاشت عمرها قبله مجرد جارية يتحكمون في مصيرها...

الآن صارت معه حرةً...

ملكةً حقيقية تملك حق اتخاذ قرارها وتحديد مصيرها...



لا تستطيع وصف شعورها الآن بالسعادة...

عشق الجواري يختلف حقاً عن عشق الملكات...

لقد ظننت يوماً أنها أحبت ياسين.....

واليوم تشعر بعشقها -الملكيّ-لجسار يختلف كثيراً...

شتان ما بين حبٍ وحب!!!!

حب الجواري الضعيف ذاك لم يورثها سوي الضعف والمذلة والهروب....

لكن حبها القوي الآن يمنحها هالةً خاصة من القوة والعزة والمواجهة!!!!!

كانا قد وصلا لسيارته التي ركنها خارج المشفي فاستقلتها جواره لينطلق بها...

وما إن خلا الطريق حتي احتضنت ذراعه بكل قوتها لتطبع قبلة عميقة علي خده هامسةً بحب:



_لو كان العشق طريقاً...فأنت أوله ووسطه ومنتهاه...ولو كان سماءً فأنت نجومها وشموسها وأقمارها...ولو كان أرضاً فأنت جبالها ووديانها وسهولها...ولو كان كلمة...فأنت كل حروفها!!!

========

رصت جوري أطباق الطعام التي أرسلتها لها فريدة اليوم مع إحدي الخادمات علي المائدة...

فريدة التي تعلم عن إمكانيات ابنتها المتواضعة في الطهي كانت ترسل لها الطعام يومياً قبل موعد الإفطار بفترة مناسبة...

انتهت مما تفعله وهي تتأمل المكان حولها بتفحص...

لقد نظفته بالكامل وأعادت له رونقه رغم بساطته...

ثم جلست تنتظر عمار وهي تشعر بمزيج من الترقب والاشتياق والضيق...



فهو لايزال يعاملها ببعض التحفظ بعد مواجهتهما الأخيرة...

ويتحاشي الحديث معها إلا للضرورة وكأنه لا يصدق ما اعترفت له به...

أو ربما...يريد بعض الوقت لينسي!!

سمعت صوت مفتاحه في الباب فوقفت لاستقباله بابتسامة دافئة لم تتكلفها ...

لكنه ألقي عليها نظرة سريعة ثم أشاح بوجهه وهو يلقي السلام بفتور قبل أن يتوجه نحو غرفتهما...

تبعته وهي تشعر ببعض الخيبة لتساعده في تبديل ملابسه...

ثم سألته برفق:

_هل ستنام قبل الإفطار؟!

أومأ برأسه إيجاباً دون رد...



وهو يتوجه نحو الفراش ليرفع عليه غطاءه دون كلمة أخري...

فزفرت بضيق ثم غادرت الغرفة وهي تشعر بأنها علي وشك الاشتعال غضباً...

وعلي الفراش لم يكن هو أفضل منها حالاً...

هو يصدقها لكنه لا يزال عاجزاً عن احتواء غضبه...

كلما تذكر كلمات زياد المسمومة عن كونهما متحابين وأن يتركها له شعر برغبته في قتله...!!!!

ورغم أنه يحاول أن يسامحها ويعود لطبيعته معها...

لكن خشونة طباعه تخونه كالعادة...

والمشكلة أن استسلامها الخانع له يزيد من شعوره بتأنيب الضمير نحوها...

لكن ماذا عساه يفعل؟!!!



لقد جرحت رجولته أكثر من مرة...وهو لم يعد يحتمل منها المزيد!!!

ظل يتقلب علي الفراش لوقتٍ طويل وهو عاجزٌ عن النوم...

هو فقط يريد الهرب من قربها -المهلك-الذي يكوي روحه ...

لقد اشتاقتها كل خلايا جسده لكنه لا يريد الاستسلام لطوفان حبها من جديد...

كم يريد مسامحتها وإعادتها لوطنها الأصلي علي صدره...

لكنه ..لا يستطيع!!!

سمع صوت جلبة بالخارج فرفع الغطاء ليقوم من فراشه فينظر ماذا هناك...



خرج من الغرفة يتلفت حوله عندما صدمه هذا المنظر...

كان هناك سلمٌ خشبيٌ مرتفع يستند مائلاً علي أحد الجدران وفوقه كانت هي تقف علي آخر درجاته وهي ترتدي ثوباً قصيراً وتربط شعرها بوشاحٍ للخلف كالخادمات...

وفي يدها زعافة سقف تزيل بها خيوط العنكبوت هناك!!!

أثارت وقفتها هذه مشاعره الكامنة فاقترب منها بسرعة لينظر إليها من أسفل هاتفاً بخشونته المعهودة:

_ألن تكفي عن حماقاتك؟!!انزلي وإلا ستقعين وتنكسر رقبتك!!!

شهقت بعنف للمفاجأة فترنحت علي السلم الذي اهتز بها لكنها تمسكت به وهي تهتف بعناد:



_لا شأن لك بي...عد لنومك ودعني أنظف!!

اشتعل غضبه أكثر وهو يهتف بحدة:

_هل هذا وقت تنظيف؟!!! لم يتبقَ سوي دقائق علي آذان المغرب!!!

عادت تتشاغل بالتنظيف وهي تقول ببرود:

_طعامك علي المائدة...سأتناول طعامي عندما أنهي عملي.

زفر زفرة مشتعلة قبل أن يصرخ بها بانفعال:

_كيف ترتدين ثوباً كهذا؟!!! نحن لا نقيم وحدنا هنا!!

رمقته بنظرة جانبية ماكرة قبل أن تقول بنفس البرود:

_حذيفة مسافرٌ اليوم ولن يعود إلا غداً...والباب مغلقٌ من الداخل بالمفتاح.



ضرب بقبضته علي الحائط مكملاً صراخه :

_لا ترتدي ثياباً كهذه أمامي!!

توقفت عما تفعله لتنظر إليه من علوٍ قائلةً بنظراتها الجريئة التي يعرف أنها تثير بها غيظه:

_لم أرتدِها أمامك...أنت كنت نائماً...وأنا أريد أن أكون علي راحتي عندما أبدأ في التنظيف.

كز علي أسنانه وهو يهمّ بالرد عليها عندما سمع صوت الأذان...

فاستغفر بصوت مسموع ثم ردد الأذان حتي انتهي...

ليلوح لها بسبابته بعدها قائلاً بلهجةٍ آمرة:

_انزلي !

عادت ترمقه بنظرة جانبية ثم هزت كتفيها باستخفاف لتستمر بعدهافي عملها دون رد...



فاضطر لاستفزازها بقوله الغليظ:

_ألا تدركين قيمة وزنك...هذا السلم لن يحتملك أكثر!!!

كان يعرف أنه يضغط علي نقطة ضعفها الأنثوية...

فجوري كانت ممتلئة الجسم نسبياً بالنسبة لشقيقتيها وقد كان هذا يسبب لها عقدةً منذ صغرها...

صحيحٌ أنه كان متناسقاً متفجر الأنوثة لكنها كانت ولاتزال تشعر بالخجل من نفسها وتتمني لو كانت أنحف...

لهذا رمقته بنظرة حارقة وهي تلقي ما بيدها جانباً ليسقط بصوتٍ عالٍ...

قبل أن تهتف بعصبية:

_لستُ بدينة يا عمار...تناول إفطارك ودعني لشأني.



اقترب من السلم أكثر ليمسكه بكفيه قائلاً بلهجة تهديد:

_لآخر مرة أقولها...انزلي!

صرخت بحدة وقد أثار غيظها حقاً

_لا!

هز السلم بحركة خاطفة فصرخت وهي تتشبث به لتهتف به :

_ما شأنك بي؟!!! ألا تخاصمني وتتجاهلني منذ فترة؟!! دعني لحالي...لا تقلق لو انكسرت رقبتي فلن يتهمك أحد أنك من فعلتها...!!!!

هز رأسه بحركة تهديدية فتوترت مكانها عندما رأته يصعد السلم نحوها ...

السلم الذي كان يهتز الآن بهما معاً وسط شهقاتها الخائفة ...



ولم يكد يقترب منها حتي ضم ظهرها لصدره بساعده ليحملها حرفياً لكن السلم لم يحتمل ثقلهما معاً لتجد نفسها تسقط وظهرها علي صدره...

ولحسن الحظ انزاح السلم بعيداً فلم يسقط فوقهما...

صرخت بحدة فقلبها علي ظهرها جواره علي الأرض ليميل بجسده فوقها ممسكاً كتفيها قائلاً بخشونة ووجهه يظلل وجهها بملامحه المشتعلة:

_لماذا تصرخين؟!! أنا الذي أخذت ألم السقطة كله!!!

ضربته بقبضتها علي ظهره وهي تهتف بغيظ:

_تستحقها...لم يطلب منك أحدٌ مساعدة امرأة بدينة واقفة علي سلم!!!

كتم ابتسامته بصعوبة وهو يعرف أنه قد أثار غيظها كاملاً...



لن تنسي له هذه الكلمة لسنوات...

بل ربما بدأت في نظام حمية غذائية من الغد!!!!

هو يعرفها جيداً في هذا الأمر...

حمقاء!!!

حمقاء عنيدة مشتعلة وصارخة بفتنةٍ لا تحملها -في عينيه- سواها...

والأهم أنها بين ذراعيه الآن!!!

اقترب بوجهه من وجهها وهو يهمس بخشونة:

_هذا لتتعلمي كيف تطيعينني دون مناقشة!

دمعت عيناها وهي تشيح بوجهها هامسةً بحزن:

_ارفع كفيك عني...أنت تؤلمني!!

ولما كانت دموعها دوماً نقطة ضعفه فقد وجد نفسه يقترب منها أكثر ليهمس بنبرة أكثر رفقاً:

_لماذا تبكين الآن؟!!



أغمضت عينيها وهي تهمس بعتاب:

_وهل تهتم؟!!

لم يستطع الرد عليها بكلمات ...

فقط شفتاه لامستا جفنيها المطبقين برقة تناقض خشونة لهجته...

ففتحتهما ببطء لتهمس بحرارة أمام عينيه المشتعلتين بعاطفته:

_ألا تقول دوماً بأنني تربية يدك وأنك تحفظني كخطوط كفك؟!!...انظر لعينيّ الآن وأخبرني بحقٍ ماذا تري؟!!

لم يكن بحاجة حقيقةً لقولها فعيناه كانتا متعلقتين بخيوط عينيها التي كانت تشكو له....منه!!!!

عيناها اللتان كانتا الآن صورة نابضةً بالحب...والعتاب!!!!



خاصةً وهي تردف بنبرة تذوب عشقاً :

_هذا ليس عدلاً...أن تسقيني من بئر حبك العذب حتي أرتوي ثم تتركني بعدها لظمئي وحدي...أن تعاقبني علي ذنبٍ واحد بكل هذا العذاب الذي أعيشه دونك..لم أكن أظنك يوماً ستقسو علي جوريتك هكذا!!

رفع كفه من علي كتفها ليتلمس ملامح وجهها بحنان مكرراً كلمتها بصوت مرتعش:

_جوريتي؟!

ضغطت شفتيها بقوة قبل أن تومئ برأسها هامسةً :

_نعم يا عمار...جوريتك وحدك...للأبد...

هنا كانت مقاومته قد ذابت تماماً في حرارة نظراتها العاشقة...

ليضمها إليه بكل قوته وهو يتأوه بقوة...



ليشعله همسها الدافئ أكثر :

_سامحني يا عمار...دعنا نبدأ صفحة جديدة من الآن...أرجوك لا تعذبني أكثر...أنا...

ذابت بقية عبارتها بين شفتيه وهو يشعر أنه أخيراً قد تحرر من قيود ماضيهما معاً...

جوريته التي حلم بها طوال عمره صارت له كاملة...

كل خلاياها الآن تصرخ بحبه دون نكران...

بقلبها الذي سلم له مفاتيحه كاملة...

وعينيها اللتين صارتا مرآتين شفافتين لما يموج بداخلها من عشق...

الآن ما عاد لديه شك...

جوريته صارت له كما كان دوماً لها!!!!



الفصل السادس والعشرون:

عاد عمار من صلاة التراويح ليجد جوري في انتظاره بصالة الشقة الصغيرة

وقد ارتدت ثوباً أبيضاً قصيراً بنقوش حمراء وعقصت شعرها علي شكل ذيلي حصان علي جانبي رأسها لتكمل الصورة باشتباك كفيها خلف ظهرها فبدت كطفلة صغيرة هانئة...

ابتسم رغماً عنه وهو يقترب منها بخطواتٍ بطيئة وعيناه تحتضنانها بقوة عاطفته ليقتنص ابتسامتها العذبة بشفتيه في قبلة خفيفة قبل أن يمسك كتفيها ليهمس بشرود:

_وكأن الأيام لم تمر...وكأنني أراكِ الآن كما كنتِ منذ سنوات ...طفلتي التي كانت تعدو بشعرها المشعث وسنّها المكسور

علي السطح ...



ضحكت ضحكة عالية خفق لها قلبه المتيم بها ثم خبطته في كتفه لتقول بعتابٍ لا يخلو من مرح:

_هل هذه فكرتك عن الغزل؟!! ألا تذكر لي سوي شعري المشعث وأسناني المكسورة.

ضحك بدوره ضحكته الخشنة الطويلة وهو يضمها إليه بقوة متخللاً شعرها بأنامله ليصلها همسه الغارق بعاطفته:

_لم ولن أنسي أيّاً من تفاصيلك يا جوريتي...أنتِ امرأتي الوحيدة...التي كبرت أمام عينيّ طفلةً...حتي صارت امرأة تخطف القلب بفتنتها...والتي أتمني لو يطول بي العمر حتي يختلط شيب شعري بشيب شعرها.

رفعت عينيها إليه بتأثر وهي تحتضن نظراته العاشقة بنهم...

قبل أن تسأله :



_طوال هذه السنوات يا عمار...لم ترَ امرأة غيري؟!!

أغمض عينيه للحظات...قبل أن يفتحهما ببطء لتنهمر منهما سيول عاطفةٍ أغرقتها وهو يرد :

_وهل هناك امرأة غيرك؟!

ابتسمت وهي تطوقه بذراعيها بكل قوتها لتهديه قبلةً عميقة علي وجنته قبل أن تهمس بدلال:

_حبيبي يا عماري!

ثم زمت شفتيها بحركة طفولية قبل أن تهمس بعتاب:

_كنتَ تتعمد دوماً إثارة رعبي في صغرنا ...حتي أنني كنت أراك في كوابيسي وحشاً عملاقاً...كنت أخاف حتي مجرد المرور جوارك.

عاد يضحك بانطلاق وهو يتذكر ما تحكي عنه...

قبل أن يربت علي رأسها هامساً :



_وكنتِ تختبئين مني في غرفتك المفضلة المنعزلة في منزل العائلة...لكنني كنت أراقبكِ من بعيد...أتمني لو أجئ إليكِ فأحتضنكِ بقوة حتي تضحكي من جديد...لكنني لم أقوَ علي فعلها يوماً!

تأوهت بقوة وهي تسند رأسها علي صدره هامسةً بهيام:

_وفعلتها يا عمّاري!!عرفتَ كيف تزرع لي جنةً بين ذراعيك أنسي فيها خوفي كله...بل رسمتَ علي شفتيّ ضحكة جديدة لم أعرفها قبلك...ضحكةً ملونة بالأمان الذي لم أتذوقه حقاً إلا معك!!

اعتصرها بين ذراعيه أكثر وشفتاه تداعبان ملامح وجهها بنعومة هائمة...

فرفعت عينيها إليه بحذر وهي تهمس بترقب:

_أريد أن أسألك عن شيءٍ لكنني أخشي غضبك.



طبع علي وجنتها قبلةً عميقة قبل أن يهمس بحرارة:

_ألم تقولي لي يوماً...أنكِ تجدين أمانكِ علي صدري وأنني لن أؤذيكِ يوماً مادمتِ بين ذراعيّ؟!!

التمعت عيناها بعاطفتها وهي تومئ برأسها...

فانسابت فيوض الحنان غزيرةً بعينيه قبل أن تختلط بهمسه الدافئ:

_قولي يا جوريتي...ولا تخشيْ شيئاً!

أسبلت جفنيها بخجل وهي تلتصق به أكثر وكأنها تستجدي منه الأمان قبل أن تسأله بصوتٍ خفيض جداً يكاد لا يُسمَع:

_هل سنذهب لعقد قران حمزة بعد غد؟!

تجمدت ملامح وجهه فجأة قبل أن يشيح به للحظات...



ليمنحها بعدها الإجابة التي كانت تتوقعها:

_لا! وأنتِ تعرفين السبب!!واحمدي الله أنني لم أقتل ذاك الرجل بعدما عرفته!

عضت علي شفتيها بتوتر وهي تتفهم أسبابه...

عمار لا يريد أن يحتك بعائلة مارية تحفظاً من وجود زياد....

وهذا حقه بعدما عرف الحقيقة...

لكن الأمور لن تظل هكذا للأبد...

كما أنه بتصرفه هذا سيثير المزيد من التساؤلات والشكوك...

لهذا ربتت علي صدره برفق لتهمس بتردد:

_اسمعني فقط وبعدها افعل ما تريد!

كانت دقات قلبه تتواثب بقوة تحت كفها المربت علي صدره فاضحةً غضبه....



لكنه كتم انفعاله ليسمعها :

_لا يمكننا أن نقاطع حمزة وعروسه للأبد...كما أن غيابنا سيثير الأقاويل ويوسع الفجوة بيننا وبين العائلة...لهذا أري أن نذهب فقط ونبارك للعروسين ثم ننصرف بسرعة...لن نبقي هناك سوي لدقائق معدودات...لكنها ستكفينا الكثير من التوابع .

مط شفتيه في استياء وهو يرفع رأسه للسقف مفكراً...

حمزة سيضيق كثيراً بغيابه عن عقد القران...

كما أن غيابه عن مناسبة كهذه ستزيد حجم الشقاق بينه وبين جده...

جوري علي حق في هذا لكن...

ماذا يفعل في غيرته التي تدفعه الآن لإبقائها حبيسة هذه الشقة للأبد...

فلا تغادرها أبداً؟!!!



وكأنما قرأت هي أفكاره فقد أسندت رأسها علي صدره لتهمس بحب:

_صدقني يا عماري...ليس أحبّ عليّ من البقاء معكِ وحدنا ...لكن ظهورنا معاً في مناسبة كهذه قد يفيدنا...عندما يرانا جدي سعيدين أمامه قد يسامحنا...لا أريد أن يراك الجميع وحشاً اختطفني قسراً من عائلتي...بل أريدهم أن يروا فرحتي معك مرسومة علي ملامحي كي يدركوا أيّ رجلٍ عظيمٍ أنت.

صمت طويلاً وهو يقلب حديثها في رأسه فصمتت صابرة...

حتي زفر زفرة قصيرة ثم قال ببعض الخشونة:

_دعيني أفكر.

ابتسمت بسعادة وهي تتطاول علي أطراف أصابعها لتلامس شفتيه بنعومة وقلبها يخفق بفرحة عارمة..



.

لتهمس بعدها أمام عينيه بتقدير:

_عندما يقول عمار لجوريته أنه سيفكر ...فهذا يعني أنه يوافقها لكنه يكابر!!

ابتسم رغماً عنه وهو يتأمل فرحة ملامحها التي تكاد تنطق ...قبل أن يقول لها برفق:

_أعجبني رأيك.

ضحكت عيناها قبل شفتيها وهي تقول بامتنان:

_لم أكن أتصور أن تعتبر أنت لرأيي قيمة...شكراً لاحترامك قبل حبك يا عمار.

اتسعت ابتسامته وهو يربت علي رأسها برفق...

فيما كانت هي غارقة في شعورها الجارف به...

عمار لم يمنحها عشقاً أسطورياً فحسب...

بل منحها ما هو أعظم من هذا...

شعورها الجديد بأنها ملكة..



حرة....منطلقة....بلا قيود....

والآن وهو يسمع منها ليعلن صراحةً أن رأيها أعجبه جعلها تشعر بأن ما بينهما صار يحمل شعوراً آخر...

شعوراً يزيد الحب قوة ومتانة وعمقاً...

شعوراً هو ...الاحترام!!!

والذي طالما ظننت أنها لن تصادفه يوماً مع شخص بفظاظة عمار وخشونته...

واليوم تجده يمنحه لها بالفعل لا بالقول...

فما الذي يمكن أن ترجوه أكثر من رجلٍ منحها عشقه وحنانه واحتواءه ...

والآن يتوج كل هذا باحترامه...؟!!!

====

_هذا الشهر كان حافلاً!!



غمغمت بها آسيا بشرود وهما يتناولان إفطار آخر أيام رمضان في ذاك الفندق الذي اختاره جسار ليقيما فيه منذ أيام قليلة..

فابتسم جسار قائلاً بارتياح:

_الحمد لله رب العالمين...ما من دعوة دعوتها فيه إلا استجابها الله عز وجل...بدايةً من شفائك من مرضك...ومروراً بمشكلة عائلتينا...وأخيراً باستقرار الأمور بيننا.

التفتت إليه من شرودها لتسأله ببعض التردد:

_أنت سعيدٌ حقاً يا جسار؟!!

نظر إليها طويلاً ثم تناول كفها بين راحتيه ليسألها مباشرةً:

_ما الذي يقلقكِ يا حبيبتي؟!

أطرقت برأسها للحظات تبحث عن كلمات مناسبة تترجم شعورها الآن..



رغم إحساسها بصدق مشاعره نحوها لكن الاختبار الحقيقي لم يحن بعد...

جسار لم يذهب بها إلي المزرعة وكأنه تعمد هذا...

لقد اختار إقامتهما هنا في هذا الفندق في عطلتها فلماذا فعلها؟!!

ألازال يخشي عودتها معه للمزرعة بعدما صارت زوجته حقاً وليس فقط علي الورق؟!!

ألا زال عالقاً في شعوره بالذنب نحو سمية التي لم يمضِ علي وفاتها الكثير من الوقت؟!!

أم أنها فقط تبالغ في هذا الشعور؟!!

ضغط كفها أكثر فرفعت إليه عينيها الحائرتين والمناقضتين لقولها بمرح مصطنع:

_اشتقت للمزرعة...هل سنعود الليلة؟!!

أومأ برأسه إيجاباً قبل أن يقول بتردد ممتزج بما يشبه الاعتذار:



_نعم...لكننا سنقيم في غرفتك الخارجية التي كنتِ تقيمين فيها قبل زواجنا .

انعقد حاجباها بتساؤل فأشاح بوجهه دون رد...

لتتسع عيناها في إدراك وهي تفهم أسبابه....

غرفة سمية لن تدخلها امرأة غيرها!!!

حتي لو كانت الظروف قد أجبرته علي هذا الوضع في أيام مرض آسيا الشديد...

لكن فراش سمية لن تشاركه فيه أخري!!!

وبرغم ما أثاره فيها هذا من إعجابٍ بوفائه للغالية الراحلة...

لكن قبضة باردة كانت تعتصر قلبها وهي تري نفسها في عينيه من جديد بمرآة الذنب !!!

حتي وعقلها يدرك الحقيقة الكاملة لكن هذا الشعور قاسٍ حقاً علي أي امرأة...



مهما ادعت من تعقلٍ وتفهم !!!

تبقي هناك في الحلق غصةً وهي تشعر أن قلب رجلها لازال فيه مكانٌ لأخري...

مكانٌ لن يكون إلا لها فقط!!!

لكنها تمالكت هذا الشعور الرماديّ الخانق وهي تتظاهر بالتماسك لتقول له برفق:

_كما تحب ...هذه أمور بسيطة!!

كاذبة!!

كانت تعلم أنها كاذبة...!!!

وهو أيضاً كان يعلم أنها كذلك ...!!!

نظرة عينيها الكسيرة أخبرته بهذا رغم محاولتها للتجاهل...

لهذا ضمها إليه برفق مقبلاً جبينها قبل أن يقول بهدوء خالطه بعض الأسي:



_لقد اتفقت مع العمال علي تشييد دور جديد لبيتنا هناك...ليكون لي ولكِ ...وحتي ينتهي يمكننا الإقامة في الغرفة الخارجية هناك.

أومأت برأسها في تفهم وهي تتحاشي لقاء عينيه ...

فناداها باسمها همساً لترفع وجهها نحوه من جديد فيهمس أمام عينيها بحرارة:

_سامحيني...هذا أمرٌ خارجٌ عن إرادتي...

اغتصبت ابتسامة متفهمة علي شفتيها وهي تقوم من جواره لتتحاشي استمرار الحديث عن الأمر...

فتهتف ببعض المرح:

_دعنا إذن نحضر حقائبنا فقد اشتقت لياسين...أنا أحضرتُ له معي الكثير من الألعاب والمفرقعات للعيد...أريده أن يفرح هذا العام بالذات كما لم يفعل من قبل..



ثم أردفت بإشفاقٍ لا تدعيه:

_إنه أول عيدٍ يمر عليه دون سمية ويجب أن نحتوي شعوره بفقدها.

قام بدوره ليقف أمامها متفحصاً ملامحها بإعجاب قبل أن يهمس بحب:

_ملاكٌ أنتِ يا آسيا!

ابتسمت ابتسامةً حقيقية هذه المرة ونظراته العاشقة الحارة تطفئ نيران هواجسها ...

خاصةً عندما اقترب منها أكثر ليضمها إليه بقوة هامساً بنبرة دافئة:

_أحبك يا آسيا...وأحب القدر الذي جمعني بكِ مصادفةً...وأحب أيامي التي تلونت بكِ ...أحب أنفاسي عندما تمتزج بعطر أنفاسك...وأحب نفسي عندما أراني في عينيكِ صورة عشقٍ حقيقية لن يطمس ملامحها زمن ولن تغيرها ظروف!!!

======



تجمعت عائلة النجدي في إحدي القاعات الفخمة بمدينتهم والتي تم فيها عقد قران حمزة ومارية....

حمزة الذي كان الآن في أسعد حالاته وهو يجلس جوار مارية علي منصة العروسين....

عندما رفع كفها لشفتيه ليقبله بعمق قبل أن يميل عليها ليهمس جوار أذنها بحب:

_ماريتي صارت ملكي للأبد...هل تعلمين كم مرةٍ حلمتُ بهذا اليوم منذ التقيتكِ أول مرة؟!!

رفعت عينيها إليه بنظراتٍ دافئة قبل أن تهمس بدورها بمرح:

_يوم ظننتك مجرماً مخبولاً تشعل البخور في الجماجم وتأكل التماثيل!!!

ضحك ضحكة عاليةً تراقص لها قلبها طرباً ...

قبل أن يميل علي أذنها هامساً بحرارة:



_ربما لم أكن مجرماً ...لكنني صرتُ مخبولاً بحبك بحق...أنتِ منحتِني الحب الذي ظللتُ أبحث عنه طوال عمري.

مدت كفها الآخر لتحتضن به كفيهما معاً بقوة ...وهي تهمس أمام عينيه بصدق:

_أما أنت فلم تمنحني حباً...أنت منحتني حياة**!!**

تألقت عيناه بوهج عاطفته وهي تردف بسعادة ظللت وجهيهما معاً:

_أنت منحتني الهويّة والوطن...وضعتني علي أول طريق كانت كل خطواته نوراً علي نور...جعلتني أعشق اسمي الذي طالما كنت أخجل منه...وأجد نفسي التي طالما تاهت مني وسط دروب الحيرة...لم أعد جاريةً مقيدةً بصراع سيّدين تنتظر أن يفوز أحدهما بها...بل ملكةً حقيقية تعرف طريقها الذي اختارته بإرادتها وستسيره معك حتي آخر خطوة.



اتسعت ابتسامته وهو يرمقها بنظراته التي مزجت حبه باحترامه...

قبل أن يقبل كفها من جديد هامساً:

_فخورٌ بكِ يا ماريتي...فخورٌ بملكتي الجديدة!

ضحكت ضحكة صافية عندما اقترب منهما دكتور آدم ليحتضن مارية بقوة مباركاً لها...

قبل أن يضم حمزة إليه هو الآخر بقوة ليهمس في أذنه بصوت متهدج:

_شكراً لأنك لم تخيب ظني فيك.

ابتسم حمزة وهو يقول باحترام :

_بل أنا الذي أشكرك علي هديتك دكتور آدم.

ربت آدم علي كتفه وهو ينقل بصره بينه وبين مارية بعينين دامعتين من الفرح...

قبل أن يقول له بحنان:



_مارية ليست هدية يا حمزة...مارية أمانة...أثق جيداً أنك لن تضيعها.

أومأ حمزة برأسه فيما يشبه الوعد....

فتركهما دكتور آدم ليعاودا الجلوس من جديد...

عندما قال لها حمزة بنبرة تقدير:

_أنا أحترم والدكِ حقاً...لقد تعلمت منه الكثير...لن أذكر لندن يوماً إلا وسأذكره معها..

ابتسمت بسعادة وهي تقول ببساطة :

_أما أنا فلن أنسي لندن أبداً...أتمني بحق لو نعود سوياً إلي هناك.

أطرق حمزة برأسه دون رد...

فقد كان هذا الأمر يشغله منذ فترة...

دكتور آدم يريده أن يعود معه للعمل والاستقرار مع مارية هناك...

وهو يراها

فرصةً جيدة...



لكنه لازال محمّلاً بأعباء عائلته خاصةً بعد تدهور صحة جدّه الذي يحتاجه الآن أكثر من أي وقت...

كما أن ابتعاد حذيفة وعمار عن حضن العائلة جعل الأمر أكثر صعوبة...

وهو لن يستطيع ترك كل هذا خلفه سعياً وراء مصلحته هو...

لهذا رفع رأسه إليها بعد لحظات ليقول بما يشبه الاعتذار:

_ظروف العائلة لازالت غير مستقرة...لن أستطيع تركهم الآن حتي يطمئن قلبي علي الجميع...وبعدها يمكننا التفكير سوياً في قرار السفر هذا.

أومأت برأسها في تفهم وهي تربت علي كفه...

قبل أن تقول بإعجاب طفوليّ بدا في عينيها المنبهرتين كعادتها عندما تتحمس:



_قاسم النجدي هذا أسطورة...هل رأيتَ كيف كان ينظر إليّ الليلة؟!!! هذا الرجل القوي المسيطر الذي طالما حكيتَ لي عنه ابتسم لي بعينين حملتا حنان الدنيا كله..

قاطعها حمزة بقهقهة عالية جذبت إليهما أنظار بعض الحضور...

فزمت شفتيها بحركتها الشهيرة وهي تقول بعتاب طفوليّ:

_هل تسخر مني؟!!! أقسم لك أنني شعرت الليلة وكأنه أبي الثاني...نظراته لي اختلفت تماماً عن نظراته القاسية المتفحصة عندما زارنا في منزل عمي أول مرة.

هز حمزة رأسه موافقاً وهو يقول برفق:

_الحمد لله أنكِ شعرتِ بهذا وحدك...قاسم النجدي لا يري في هذه الدنيا سوي أحفاده...



برغم قسوة طباعه الظاهرة ...صدقيني هو لا يعنيه سوي سعادتنا.

تنحنحت في حرج ثم نظرت إلي عينيه لتقول بتردد:

_هناك أمرٌ أريد أن أصارحك به...لأنني لا أريد أن أخفي عنك شيئاً.

أومأ لها برأسه في إشارة مطمئنة...فأردفت ببعض التوجس:

_آندي هاتفني اليوم ليبارك لنا زواجنا.

تجمدت ملامحه للحظات قبل أن ينعقد حاجباه بغضب هاتفاً:

_ألا زلتِ علي اتصالٍ به؟!!

ارتبكت ملامحها وهي تقول بتوتر:

_أخفض صوتك يا حمزة...الناس ينظرون إلينا.

زفر بقوة وهو يطرق برأسه...بينما أردفت هي موضحة:



_آندي لم يقطع اتصاله بي منذ غادرت لندن...لن أنكر فضله عليّ فيما وصلت إليه...هو ساعدني كثيراً في محنتي قبل مغادرتي لندن...ورغم عدم اقتناعه لكنه احترم قراراتي الأخيرة...أنا مدينةٌ له بالكثير...

اشتعلت ملامحه بثورته وهو يرفع عينيه إليها هاتفاً بحدة:

_ولو طلبت منك أن تقطعي علاقتك به تماماً؟!!

أطرقت برأسها دون رد...فأردف بنفس الحدة:

_أنا لا أعرف كيف تفكرين؟!!! كيف تحافظين علي علاقتك برجلٍ كان يريد الزواج منك قبلي؟!! وإياكِ أن تقولي أنه صديقك...أنتِ تعرفين رأيي في هذا الأمر.

رفعت إليه عينيه عاتبتين وهي تقول بهدوء لم يخفِ لومها:



_هل ستكون هذه طريقتكِ دوماً في التعامل معي؟!

انعقد لسانه أمام الدموع التي ترقرقت في عينيها الآن والتي ناقضت قوة عبارتها:

_أنت حتي لم تسمعني للنهاية...!!!

ضغط كفها في راحته ليقول بضيق:

_حسناً...أنا أسمعك.

أخذت نفساً عميقاً ثم قالت بصلابة:

_كنت سأفعلها حتي لو لم تطلبها يا حمزة...ليس لأنني أفعل ما يشين لكن لأنني أقدر غيرتك.

تنهد بحرارة ثم تمالك ضيقه لينظر لعينيها قائلاً:

_اعذريني يا ماريتي...لكنني لا أتجاوز في أمور كهذه...أنا أدرك جيداً طبيعة نشأتك وأن هذه الأمور...

قاطعته قائلةً بنفس النبرة الواثقة التي حملت بعضاً من عتابها:



_طبيعة نشأتي هي التي جعلت مني مارية الحالية بكل مميزاتها وعيوبها...أخشي أن تفهم أنني بحبي لك سأطمس شخصيتي...لا يا حمزة...فارقٌ كبير بين أن تجبرني أنت علي فعل شئ وبين أن أفعله أنا طواعيةً لأجلك...رغم أن النتيجة واحدة.

عقد حاجبيه بضيق وهو يشعر أنها حقاً غاضبة هذه المرة كما لم يرَها من قبل...

رغم أنها تحاول الحفاظ علي ثباتها وصلابتها أمامه...

هو لم يقصد الإساءة إليها لكن يبدو أن هذه النقطة بالذات ستبقي شديدة الحساسية بينهما...

مارية رغم شخصيتها الطفولية البريئة لكنها شديدة الاعتداد بنفسها ورأيها...

ولن تقبل مجرد الشعور بأن أحداً ما يسحبها خلفه...

والواقع أنه هو أيضاً لا يريد لها هذا



لو كانت هذه نيته معها من البداية لما رفض حبها يوم أعلنته له صريحاً في لندن...

هو يعشقها هكذا كما هي...

بعقلها الذي يحترمه قبل قلبها الذي يذوب فيه غراماً...

لكن الأمر هذه المرة يختلف...فالغيرة عنده خطٌ أحمر لا يقبل تجاوزه!!!

كانت هذه أفكاره التي عجز عن إيصالها لها مع انشغالهم أخيراً بوفود المهنئين ...

فاضطر لتأجيل الحديث معها إلي حين....!!!

وعلي باب القاعة كانت ساري في طريقها للخروج لشأنٍ ما ...



عندما كادت تصطدم ببلال الذي ابتسم بحنان وهو يقف مكانه ليسألها بتهذيبٍ لم يخفِ عاطفته:

_كيف حالكِ يا ساري؟!

ابتسمت بتحفظ وهي تهز رأسها في ردٍ مقتضب...

فاتسعت ابتسامته وهو يقول بلهجةٍ خاصة:

_العقبي لنا!!

رفعت عينيها إليه بدهشة لتصطدم بنظرات حذيفة المشتعلة الذي كان واقفاً خلف بلال ومن الواضح أنه استمع لجملته الأخيرة...

فقد كانت ملامحه عاصفةً علي أقل تقدير...

ارتبكت مكانها وهي عاجزةٌ عن الرد عندما هتف حذيفة ببرود :

_هل يمكنني المرور؟!



التفت بلال نحوه ثم تنحي عن باب الخروج قليلاً قبل أن يمد يده له مصافحاً...

فصافحه حذيفة بدوره ليقول له بنفس اللهجة الباردة:

_هل يجوز أن يدور حديثٌ كهذا بينكما علي باب القاعة؟!!

احمرّ وجهها خجلاً وقد تجمدت مكانها مصدومة بينما قال بلال ببعض التحفز:

_أنا لم أقصد شيئاً...أنا فقط...

قاطعه حذيفة وهو يردف بنفس البرود :

_أنا أعرف أنك كنت تريد التقدم لخطبتها...إذا أردتني أن أكلم جدي بشأنكما فلا أمانع...لكن لا تقف معها هكذا تتبادلان الحديث عن الأمر علي الأبواب!

شهقت ساري بعنف وهي تضع كفها علي شفتيها...

لكنها تسمرت مكانها عاجزةً عن الرد وقد صدمتها ردة فعل حذيفة

الباردة لأبعد حد...



بينما بدا بلال أكثر تماسكاً وهو يشعر بنبرة حذيفة العدائية رغم برودها...

فردّ عليه بحزم :

_أشكرك لاهتمامك....لكنني أعلم أن علاقتك بجدّك ليست علي ما يرام هذه الأيام...سأعرض أنا الأمر بنفسي.

انعقد حاجبا حذيفة بشدة وهو يضم قبضتيه جواره بغضب...

قبل أن يغادرهما بخطواتٍ مندفعة نحو الشرفة الخارجية للقاعة....

تلاحقه نظرات ساري المرتاعة والتي التفتت بعدها لبلال وكأنها ستهمّ بقول شيءٍ ما...

قبل أن يغلب خجلها غضبها فتندفع هي الأخري للداخل تاركةً بلال مكانه يهز رأسه بيأس...



وقد أدرك أنها لا تزال متشبثةً بأهداب هذه العلاقة الواهية...!!!

وفي الشرفة وقف حذيفة يتطلع للسماء بغضب لو أطلّ علي الدنيا لأحرقها...

لقد افتقدها حقاً حد الموت...

رؤيتها الليلة لم تروِ ظمأه كما كان يظن...بل أشعلته أكثر...

خاصةً بعدما سمعه من بلال الهاشمي الذي أعلن عن نواياه الصريحة...

وقاسم النجدي لن يرفض عرضاً كهذا ويبدو أن تلك الحمقاء ستعاند قلبها وربما تقبل!!!!

زفر بقوة عند فكرته الأخيرة...

عندما شعر بالنادل خلفه يمد له صينية المشروبات...



ولم يكد يلتفت نحوه ليتناول منه كوب العصير حتي وجدها خلفه هي الأخري ترمقه بنظراتٍ حارة لم يخطئ تأويلها...

شرب رشفةً من العصير وعيناه تعتقلان عينيها بنظراتٍ امتزج فيها العتاب بالشوق ...

لتجيبه هي الأخري بطوفان نظراتها العاشقة دون صوت....

حتي أعطاها ظهرها أخيراً ليعاود التطلع للسماء وهو يشعر أنه يبذل مجهوداً خرافياً كي لا يضمها الآن بين ذراعيه ويغمرها بقبلاته حتي يصهر عنادها كاملاً في لهيب أشواقه....

بينما اقتربت هي منه أكثر وقد خلت الشرفة إلا منهما...

لتهمس باشتياق مسّ قلبه قبل أذنيه:

_كيف حالك يا حذيفة؟!



لم يلتفت إليها عمداً وهو يقول ببرودٍ لم يخدعها:

_بخير...يا ابنة عمي!

ازدردت ريقها بتوتر وهي تكاد ترجوه أن ينظر إليها...

فقد اشتاقت ملامحه حقاً...

ملامحه فقط؟!!!

لقد اشتاقت همساته الحارة بعاطفته التي طالما ألهبت أذنيها...

واشتاقت ابتسامته التي كانت تزرع النور بين جنبات روحها...

واشتاقت حتي إلي ذرات الهواء التي تحمل رسائل الهوي بين عينيهما...

اشتاقت انعقادة حاجبيه الغاضبة...وتراقصهما المشاكس...



اشتاقت صراخه الحاد...ومزاحه الماكر...

اشتاقت همسه باسمها...وبكلمة "حبيبتي" التي لم تتمنّ يوماً سماعها إلا منه هو!!!!

اشتاقت...واشتاقت...واشتاقت...

فوق الشوق وأكثر ...لو يدري!!!

لهذا لم تشعر بنفسها وهي تهمس باسمه في كلمة يتيمة حملت له مشاعرها كاملة دون نقصان:

_حذيفة!

أغمض عينيه بقوة وهو يكاد يهشم كوب العصير بيده من فرط ضغطه عليه...

قبل أن يلتفت نحوها من جديد بنظرة لائمة ...

فعادت تهمس بصوت مرتعش:

_غيرتَ عطرك!



ابتسم ابتسامةً جانبية قبل أن يهمس بسخرية مريرة:

_كل شئٍ فيّ تغير...فلماذا أبقي عليه هو؟!!

دمعت عيناها وهي تشعر بضعفها أمامه يزداد...

فاقتربت منه خطوة لتهمس وعيناها معلقتان بعينيه:

_لقد تفاجأتُ مثلك بكلام بلال...أنا لست...

قطع عبارتها بعنف وهو يهتف بحدة مفاجئة:

_لم يعد لي شأنٌ بحياتك الخاصة....أنتِ الآن ابنة عمي فحسب!!

ترقرق الدمع في عينيها وقد عجزت عن الرد للحظات...

قبل أن تهمس برجاء مسّ قلبه:

_حسناً...علي الأقل ...لا تحدثني بهذا البرود القاسي...عاملني كما تقول كابنة عمك!



زفر بقوة وكأنه يحاول التنفيس عن بركان صدره حتي لا ينفجر....

ثم أطرق برأسه للحظات وعيناه تبحثان خلسةً عن دبلته التي لازالت في يدها...

حتي وجدها...!!!!

فكتم ابتسامته بصعوبة ونفسه تراوده بتحطيم رأس هذه المكابرة التي تعذب نفسها وتعذبه معها....

قبل أن يرفع عينيه إليها ببريق عابث اشتاقته حقاً وهو يقترب منها خطوة أخري...

ثم صمت للحظات كي يثير أعصابها أكثر...

ليهمس بعدها بنبرة حارة يعرف تأثيرها عليها:

_حسناً يا ابنة عمي!

أطرقت برأسها وهي تحتضن جسدها بذراعيها



وكأنها تستمد من نفسها بعض القوة التي خذلتها وهو يميل برأسها عليها قليلاً ليهمس جوار أذنها بنفس النبرة الحارقة:

_افتقدتكِ جداً...يا ابنة عمي!

ارتجف جسدها كله وهي تبتعد عنه تلقائياً لتتلفت حولها بارتباك...

ثم عادت تنظر إليه بحيرةٍ مصبوغة بعشقها القديم ....قرأتها عيناه بسهولة...

عيناه اللتان كانتا تدوران الآن علي ملامحها ببطء متفحص وكأنهما تلامسانها...

حتي توقفتا عند شفتيها طويلاً فاحمرت وجنتاها بخجل وهي تشعر وكأنه يلامس شفتيها حقاً...

فسحبت عينيها من عينيه بصعوبة وهي تعود ببصرها للأرض من جديد...



حتي مدّ لها يده بكوب العصير فعادت ترفع إليها عينيها بتساؤل...

ليومئ لها برأسه في إشارة موحية...

مدت أناملها ببطء لتتناوله منه فلامس إصبعها المزدان بدبلته بخفة ...

لتزداد ارتجافتها وهي ترفع كوب العصير لشفتيها لتتناول منه رشفةً صغيرة...

وهي تحاول التشاغل عنه بالنظر حولها...

متجاهلةً دقات قلبها التي كانت تتواثب الآن بجنون...

خاصةً عندما مدّ أنامله من جديد ليأخذ منها كوب العصير ثانيةً وسط نظراتها المتسائلة...

والتي امتلأت بصدمتها وهو يعاود الهمس جوار أذنها بحرارة حملت بعض المكر هذه المرة:



_يقولون في الأمثال الشعبية أن من يشرب بعد الآخر يجري خلفه....صحيح؟!!

رفعت إليه عينيها باستنكارٍ وهي تنتبه لما يقصده فقد شرب منه قبلها...

وشربت هي بعده...

المغرور الماكر حذيفة !!!!!!!

زفرت بقوة وهي تشيح عنه بوجهها في سخط...

لكنه تحرك ليقف أمامها وهو يرفع الكوب أمام عينيها ليديره متلمساً موضع شفتيها فيشرب منه ببطء وعيناه تحملان لعينيها رسالةً خاصة...

وصلت قلبها دافئة حارة...

قبل أن يهمس لها بحروف تقطر عشقاً:

_راضيةٌ أنتِ هكذا؟!



دمعت عيناها وقلبها يكاد يقفز من صدرها إليه...

لتهمس بعدها بصوت مختنق بعبراتها:

_لازلتَ تهتم برضايَ؟!

ابتسم ابتسامةً شاحبة وهو يشيح بوجهه عنها هامساً بنبرةٍ مزقتها:

_لقد فقدتُ أغلي ما امتلكتُه يوماً لأجل رضاكِ...

ثم عاد يلتقط نظراتها المغرمة بنظراتٍ أشد غراماً وهو يردف بصوت متهدج:

_فقدتكِ أنتِ!

لم تستطع منع دموعها في هذه اللحظة فأحاطت وجهها بكفيها وجسدها كله ينتفض ببكائها...

أشاح بوجهه في غضب وجسده كله يستحلفه أن يضمها إليه...



لكنه كان عاجزاً عن فعل شيءٍ الآن فألقي الكوب من يده بعنف ليتهشم علي الأرض....

قبل أن يهتف وهو يكز علي أسنانه:

_قسماً بالله يا ساري...لو لم تكفي عن البكاء الآن فسأسكتك بطريقتي وليكن ما يكون!!!!

كانت تعلم عن جنونه وقدرته علي تنفيذ تهديده....

وكم تتمني الآن حقاً لو يفعلها!!!!!

لكن عقلها عاد ينهرها عن هذا التفكير ليعيد إحكام الوثاق حول قلبها أكثر....

فرفعت كفيها عن وجهها لتمسحه بهما بسرعة...

قبل أن تعطيه ظهرها لتندفع نحو الداخل بخطواتٍ سريعة هاربة من طوفان مشاعرها الذي كان يكتسحها الآن بلا رحمة...



وهناك في زاوية القاعة كانت صفية تتبادل مع رياض نظراتٍ آسفة علي ضياع مارية من زياد...

زياد الذي كان واقفاً في مكانٍ بعيد وقد بدا متحفزاً في وقفته متابعاً لباب الدخول بترقب...

كان قلبه يخفق بصدره بقوة لا يكاد يصدق ما يؤكده الجميع أن جويرية اختارت عمار بكامل إرادتها...

وأنها الآن تعيش سعيدة معه....

لن يتأكد إلا عندما يراها بنفسه....

حتي لو لم يكلمها...سيكتفي بنظرة واحدة لوجهها تفضح له الحقيقة...

ولم يبخل عليه القدر بهذه النظرة!!!!

فقد رآها أخيراً تدخل من باب القاعة مع هذا الذي يزعمون أنه زوجها الأحق بها منه...

ترنح قلبه بضلوعه كالذبيح وهو يراها تدخل معه



متأبطةً ذراعه وتسير بفخر ممتزج بدلالها الفطري...

لكن هذا لم يكن شيئاً أمام تلك الفرحة التي كان يراها بوضوح الشمس علي وجهها...

والتي ربما لو كانوا أقسموا له بأغلظ الأيمان عليها....لما صدقهم...

لكنه الآن يفعل!!!

جوري حقاً سعيدة...

لا تدعي ولا تتظاهر...

هذه هي فرحة عينيها الصادقة التي يعرفها ...

رغم أنه لم يرَها إلا قليلاً...!!!

لينتقل ببصره بعدها إلي عمار الذي بدا سعيداً بدوره رغم بعض القلق الذي بدا علي وجهه والذي يتفهم هو أسبابه...



كما قرر أن يعفيه منه الآن...

وهو يتوجه للخروج من باب القاعة برأس منكّس وقد أدرك الآن فقط أن حكايته مع جوري انتهت...

انتهت للأبد...!!!

========

استأذن حمزة من دكتور آدم ليصطحب مارية للعشاء بعد انتهاء حفل عقد القران ...

لكنها حافظت علي صمتها طوال الطريق حتي استقرا مكانهما في المطعم فجلست ليجلس هو جوارها محتضناً كفها براحته قبل أن ينظر إلي جانب وجهها المطرق هامساً:

_لازلتِ غاضبة؟!!

اكتفت بالمزيد من الصمت حتي جاء النادل بقائمة الطعام...



فانتظر حتي انصرف الرجل ليعاود سؤالها وكأنه يسترضيها:

_ألن تختاري لنا طعامنا؟!

رمقته بنظرة عاتبة لتسأله بنبرة ذات مغزي:

_وهل ستمنحني حق الاختيار؟!

ابتسم وهو يضغط كفها في راحته أكثر ليهمس لها بحزم:

_طالما فعلتُها يا ماريتي...وأنتِ تعلمين هذا.

تنهدت وهي تشيح بوجهها فأدار وجهها نحوه ليهمس أمام عينيها بحب زلزل أركانها:

_هل ستخاصمني حبيبتي هذه الليلةبالذات؟!!

ابتسمت بشحوب رغماً عنها وهي تهز رأسها نفياً....

فابتسم بخبث وهو يميل علي أذنها هامساً بحرارة أذابتها خجلاً:



_بل افعلي حتي أجتهد في مصالحتك!!

عضت علي شفتيها وهي تطرق برأسها لتتناول قائمة الطعام هاربةً من نظراته الحارة...

لتشير بإصبعها نحو أحد الأصناف هامسة بارتباك:

_سآخذ هذا.

اتسعت ابتسامته وهو يقول مشاكساً:

_قرأتِها وحدك؟!! ظننتكِ ستكونين بحاجتي!!!

رفعت أحد حاجبيها وهي تقول بتحدٍّ وقد عادت إليها طبيعتها الطفولية:

_أنا الآن أقرأ العربية وأكتبها أفضل منك!!!

ضحك بانطلاق لتشاركه ضحكاته بعدها ببساطة ...

ثم دعا النادل ليطلب لهما الطعام الذي اختارته...

ظلا يتبادلان المزاح المشاكس حتي انتهيا من



طعامهما ليغادرا نحو منزل عمها في سيارته...

ولم يكد يستقر مكانه حتي نظر إليها قائلاً بجدية:

_لا أريد أن يشكل هذا الأمر عائقاً بيننا بعد الآن...لا تأخذي الأمور بحساسية...أنا أحترم عقلكِ وأثق بكِ...لكن غيرتي عليكِ شئٌ آخر!!

أومأت برأسها في شبه رضا لتهمس برقة:

_حسناً يا حمزة!!

تألقت عيناه ببريق خاص وهو يسمع اسمه من شفتيها بلكنتها -المهلكة- ثم أشاح عنها بوجهه ليبقي صامتاً طوال الطريق...

حتي وصل بها إلي منزل عمها ولم يكد يستقل معها المصعد ويبدأ بالصعود حتي فوجئت به يضغط زر إيقافه...

التفتت نحوه بدهشة وهي تهم بسؤاله عندما احتضن



وجهها بكفيه ليهمس بحرارة:

_قولي أحبك يا حمزة!

توردت وجنتاها وهي تهمس بارتباك :

_كن عاقلاً يا حمزة...نحن في المصعد!!

اقترب بوجهه أكثر ليهمس بحرارة أشد:

_هل تعلمين كم عانيتُ منذ رأيتكِ كي أحافظ علي تعقلي هذا؟!! الآن جنوني بكِ هو عين العقل!!

ومع آخر حروف عبارته كانت شفتاه تنسابان بنعومة علي وجهها لتستقرا أخيراً علي شفتيها...

في لقاءٍ طويل عاصف طالما تمناه ...

حتي رفع عينيه أخيراً إليها ليهمس بصوت متهدج:

_كنت أعلم!!

فتحت عينيها ببطء لترمقه بنظرة متسائلة وسط



طوفان مشاعرها الجارفة الآن...

فتلمس شفتيها بأنامله هامساً بنبرة هائمة:

_كنت أعلم أن مذاق شفتيكِ سيكون الأروع بعد كل هذا الصبر!!

ارتجف جسدها كله بعمق عاطفتها وهي تهمس بتأثر:

_حمزة!

لم تكد تنتهي من آخر حروفها حتي مال علي شفتيها من جديد في لقاء قصير هذه المرة...

ليهمس بعدها بمشاكسة:

_قوليها ثانيةً ولن تعودي لمنزل عمك هذه الليلة!!!

ضحكت بدلال وهي تدفعه برفق لتضغط زر المصعد من جديد...

ثم همست أمام عينيه المتوهجتين بعشقه:



_لم أكن أعلم وأنا أعشق تعقلك...أنني سأعشق جنونك أكثر!!!!

=============

_هذه ليست نهاية المطاف يا غاليتي!

همس بها ياسين وهو عائدٌ بها في سيارته من آخر زيارة لطبيب شهير...

إنه عاشر طبيب يزورانه منذ عرفا عن حقيقة وضعها...

وللأسف كلهم أجمعوا علي نفس الشئ...

لا علاج لها هنا...لكن ربما لو سافرت فهناك بعض المراكز المتخصصة في علاج هذا الأمر...

ومع هذا يبقي الأمل ضئيلاً...!!!!

أطرقت برأسها دون رد ...

فأردف بثقة:



_صدقيني...لن يضيع الله حلم قلبكِ الطيب أبداً...مجرد اختبار سنتجاوزه معاً!!!

تمتمت بخفوت وهي لا تكاد تقوي علي رفع رأسها:

_ونعم بالله!!

ربت علي رأسها برفق ثم هتف ببعض المرح ليهون الأمر عليها:

_إنه حظي أنا...لأشبع دلالاً من سلطانتي قبل أن تنشغل عني بأي شئٍ آخر.

ابتسمت ببعض الامتنان وهي تنظر إليه هامسةً بصوت شاحب:

_هل ستغار من ابنك يا ياسين؟!!

رفع كفها إليه يقبله وهو يهمس بتردد:

_هل ستصدقينني؟!



أومأت برأسها إيجاباً فأردف بحب صادق:

_عندما أسمعكِ تتحدثين إلي أي أحد ...أسعي للفت انتباهك بأي طريقة...حتي ولو بسؤال وهمي...أغار علي نظرات عينيك التي تحتضنني لو ظفر بها سواي...أغار من كلماتكِ التي تتأرجح بين القوة والرقة لو داعبت أذن غيري...بل إنني أغار علي أنفاسك...لو كان الأمر بيدي لاحتفظت بها للأبد علي صدري فقط!!!

دمعت عيناها بتأثر ثم همست بشرود:

_هل تذكر يوم سألتني في منزل الساحل إن كنتُ عرفت الحب قبلك؟!!!

كانا قد وصلا لمنزل العائلة الكبير....

فأوقف السيارة ليلتفت نحوها هامساً أمام عينيها حبيبتيه:



_لا أنسي حرفاً دار بيننا يا غاليتي...رقية الهاشمي ادخرت الحب لمن سيختاره الله لها زوجاً حتي تجرب معه حلاوة هذا الإحساس دون قيود...ألم يكن هذا كلامك؟!!

ابتسمت وهي تراه يحفظ عبارتها كما قالتها ...ثم همست بانفعال:

_وأعطاني الله أكثر مما تمنيت...حبك كالبئر الذي كلما أخذت منه يزداد عمقاً...لهذا أعدك وعد رقية الهاشمي الذي لا تخلفه أبداً...أنني لن أغضب منك يوماً مهما فعلت...حتي لو اخترت أن تكمل طريقك مع أخري فلن...

قاطع همسها الحار بأنامله ثم اقترب منها بوجهه ليهمس أمام عينيها بحزم:



_أنتِ وعدتني من قبل ألا تتركيني مادمتُ أحتاجك...وأنا سأبقي طوال عمري بحاجتكِ يا رقية...لن تشاركني أخري فيكِ لآخر نفسٍ في عمري!

اقتربت منه لتخفي دموعها في كتفه فضمها إليه بقوة هامساً:

_استعيني بإيمانك بالله يا غاليتي...لن يخذلنا الله أبداً!!

استسلمت لدفء ذراعيه للحظات...

قبل أن ترفع عينيها إليه هامسةً :

_شكراً يا حبيبي.

مسح دموعها بأناملها هامساً بتقدير:

_أنا الذي أشكركِ لأنكِ استأمنتني علي قلب رقية الهاشمي...وأعدكِ أن أحفظ أمانتك.



تنهدت بحرارة وهي تبتعد لتغادر السيارة ففعل المثل ليتوجها نحو المنزل...

لكن الخادمة استقبلتهما عند المدخل لتخبر ياسين أن جده يريده في غرفته...

نظرت إليه رقية بقلق فربت علي كفها بحنان قبل أن يقول مبتسماً:

_اصعدي أنتِ لشقتنا...وسألحق بكِ بعد قليل.

رمقته بنظرة طويلة عاجزة ثم أومأت برأسها موافقة فانتظر حتي غابت عن ناظريه ثم تنهد بحرارة لتختفي ابتسامته وهو يكاد يقسم علي ما ينتوي جده الحديث معه بشأنه...

لاريب أن والدته أخبرته بشأن رقية...

من سوء حظه أنها كانت معها عندما ذهبت للطبيبة أول مرة...



لولا هذا لكان أخفي الأمر عن الجميع حتي لا يجرحها أحد بكلمة...

لكن ماذا عساه يقول؟!!!

قدر الله وما شاء فعل!!

صعد الدرج بخطواتٍ متثاقلة نحو شقة جده حتي وقف أمامه في غرفته ليبتدره قاسم بسؤاله:

_ماذا قال الطبيب ؟!

تمالك ياسين بأسه ليقول بهدوء محاولاً اختيار كلماته دون أن يكذب:

_هناك فرصة في السفر.

عقد قاسم حاجبيه للحظات ثم قال بضيق:

_سفر؟!!! هل ستجري خلفها في بلاد الله مضيعاً مالك وعمرك؟!!

ضم ياسين قبضتيه يكتم غضبه ليقول بعدها بملامح باردة:



_نعم يا جدي...أنا راضٍ بقضاء ربي.

لوح قاسم بكفه وهو يقول بصرامة:

_الله قال في كتابه"انكحوا ما طاب لكم من النساء مثني وثلاث ورباع"...أنا لن أطالبك بتطليقها...لكن ضع في ذهنك أنك ستتزوج من أخري لتأتي لي بحفيد النجدي الذي أنتظره منك....بعد خيبتي في شقيقيك!!!

ظهر الرفض علي وجه ياسين...فأردف قاسم ببعض الرفق:

_أنا لا أقول لك افعلها الآن...لكنني سأبدأ في البحث لك عن عروس تليق بالعائلة لن تقل مكانةً عن ابنة عاصم الهاشمي.

صمت ياسين قليلاً ثم قال بحزم:

_لا يا جدي...لن أطلق رقية ولن أتزوج أخري...



لا الآن ولا بعد مائة عام...زوجتي تكفيني.

خبط قاسم علي الأرض بعصاه وهو يهتف بثورة عارمة:

_هل ستفعل مثل أخويك؟!!! هل ستعصاني أنت الآخر؟!!! تظنونني هرمت وضعفت قوتي؟!! لم يعد لكلمتي معني في بيتي؟!!!

أطرق ياسين برأسه قليلاً ثم قال برفق:

_العفو يا جدي..كلمتك ستبقي فوق رأسي...لكن حياتي مع زوجتي تخصني وحدي.

اشتعلت ملامح النجدي الكبير بغضبه وهو يصرخ فيه بحدة:

_اذن الحق بأخويك واخرج من منزلي كما خرجتَ عن أمري!!

تنهد ياسين بأسي واحمر وجهه انفعالاً لكنه خرج من غرفة جده

إلي شقته مباشرة...



حيث كانت رقية تنتظره بلهفة لتسأله بترقب:

_ماذا كان يريد؟!!

أمسك كتفيها بقوة وهو ينظر لعينيها قائلاً بحزم:

_جدي أقصاني عن بيت العائلة مثل شقيقيّ...هل تحبين أن نستأجر لنا شقةً وحدنا أم نقيم في فيللا والدك؟!!

اتسعت عيناها بصدمة وهي تسأله :

_ولماذا فعل هذا؟!!!

أشاح ياسين بوجهه فغمغمت بأسي:

_بسببي؟!!

شدد قبضتيه علي كتفيها وهو يقول بحزم أقوي:

_لا تحمّلي نفسكِ فوق طاقتها...جدي يجب أن يفهم أننا لم نعد صغاراً...



وأن كل واحدٍ من أحفاده الذكور أو الإناث مسئولٌ عن اختياراته...أنا لستُ نادماً علي أي حال.

انفرجت شفتاها وهي تهمّ بالاعتراض إشفاقاً علي والدته التي لا تنقصها هذه المصيبة أيضاً...

لكنه وضع أنامله علي شفتيها ليقهر اعتراضها بقوله الحاسم:

_هيا نعد حقائبنا!!

======

ركبت "الأوتوبيس" المتجه بهم للاسكندرية في رحلة تقوم بها الجامعة ...

جلست جوار النافذة تراقب الطريق بشرود وذهنها يستعيد تلقائياً تلك المرة السابقة التي كادت فيها تقوم برحلة مشابهة مع صديقاتها لولا أن هاتفها حذيفة



من هاتف فريدة آمراً إياها بالعودة آنذاك...

ابتسمت بسخرية مريرة وهي تفكر...

الآن صارت حرة بلا قيود...

لم يعد لأحد سلطانٌ عليها...

حتي قاسم النجدي الذي طالما كان يخشاه الجميع الآن صار أكثر تهاوناً بعد ما حلّ بالعائلة مؤخراً ...

فهو -وإن لم يعلنها صراحةً-يحمّل نفسه مسئولية انفراط حبات العقد من يده...

تنهدت بحرارة وأصابعها تتحسس دبلتها التي لم تخلعها برفق...

ليجرفها تيار الحنين إلي حبيب عمرها الذي لم تعرف غيره...

عادت برأسها للوراء تسترجع أجمل ذكرياتها معه...



اعترافه -العفوي-لها بحبه علي سطح المنزل الذي طالما شهد لعبهما صغاراً ليشاء القدر أن يشهد أحرّ لحظات عشقهما كباراً....

قبلاته المجنونة مثله والتي كانت تحمل لها مشاعره كاملةً دون نقصان...

بعنفها وقوتها عند غضبه...

ورقة انسيابيتها عند اعتذاره...

حضنه الذي طالما ظنته غربة...حتي كان لها وطناً...

وطناً هاجرت منه بإرادتها لتبحث لنفسها عن هويّة جديدة...

وإلي الآن...لم تجد!!!

ثوبه الوردي الذي أحيا جديب أنوثتها بقطرات عشقه المعطاءة والذي انتهي به الحال مجرد قطع ممزقة تماماً مثل حبهما!!!



أغمضت عينيها بقوة تخفي دموعها الحارقة وهي تعترف لنفسها بالحقيقة التي طالما حاولت تناسيها لكنها لم تستطع.....

حذيفة ليس مجرد حبٍ أول أو عشقٍ قديم...

حذيفة هو همس أنفاسها التي لا تغادر صدرها إلا وتتغني به!!!

_هل أضايقكِ لو جلست؟!!

قطع هتافه المهذب أفكارها فانتفضت لتهمس بارتباك :

_لا يا بلال أبداً...تفضل!

جلس علي الكرسي الخالي جوارها ليسألها بحنانٍ لا يغادره وقاره المعهود:

_كيف حالكِ يا ساري؟!! تغيرتِ كثيراً عن طبيعتكِ المنطلقة...صرتِ كثيرة الشرود هذه الأيام.

ابتسمت بمرارة



وهي تردّ دون أن تنظر إليه:

_الزمن يغير تضاريس الجبال...ألا يغيرنا نحن البشر؟!!

أومأ برأسه موافقاً ثم قال محاولاً تجاذب أطراف الحديث معها:

_أحوال البلد كلها تغيرت...الأوضاع تزداد سوءاً!

ويبدو أن محاولته لجذب انتباهها قد نجحت فقد التفتت إليه أخيراً لتسأله باهتمام:

_هل وصلت التحريات لشيءٍ بخصوص مقتل والدك...؟!!!

هز رأسه نفياً وهو يغمض عينيه بألم استفز حنانها الفطريّ...

فأردفت بقلق:

_ألا يزال هناك خطرٌ علي حياتك أنت؟!!



فتح عينيه مبتسماً لاهتمامها ثم غمغم بشرود:

_لا...لا أظن...التهديدات كانت تصل أبي لتخويفه...والآن رحل عاصم الهاشمي نفسه...فلم يعد هناك داعٍ لها.

هزت رأسها في تفهم هامسة:

_رحمه الله..

ثم قالت ببعض التردد:

_هل تنتوي العمل بالسياسة بعد تخرجك؟!

أطرق برأسه للحظات ثم قال بفتور:

_لستُ أدري بعد...الحزب السياسي الذي كان ينتمي إليه أبي يريد الاستفادة من شعبيته في شخصي...لكنني لم أحسم بعدُ قراري بهذا الشأن.

ثم رفع رأسه إليها ليسألها فجأة:

_أنتِ...ما رأيك؟!!



هزت كتفيها بارتباك وهي تغمغم بحيرة:

_لا أدري...هذا أمرٌ راجعٌ إليك...إنها حياتكُ!

ازدادت نظراتها نحوها عمقاً وهو يسألها بمواربة:

_ألا يُحتمَل أن تكون حياتكِ أنتِ أيضاً؟!!

ألجمتها المفاجأة للحظات فعجزت عن الرد وهي تشعر ببعض الذنب...

الذنب نحو بلال الذي تدرك بحدسها الأنثوي أن قلبه معلقٌ بها خاصةً وقد صرح فعليا برغبته في خطبتها...

والذنب نحو حذيفة الذي -برغم انفصالها عنه- لازالت تعتبر نفسها ملكيةً خاصةً له...

فلا يجوز لها التباسط مع بلال في الحديث هكذا...

وأخيراً الذنب نحو نفسها هي...



هي التي تظلمها بتعلقها بحبال حبٍ واهية سيأتي يومٌ ما ...وتنقطع!!

ورغماً عنها وجدت أناملها -دون وعي- تتلمس دبلته في إصبعها وكأنها تستمد منها بعض الدعم...

بينما ابتسم هو بمرارة وهو يلاحظ حركتها ودبلتها التي لم تخلعها بعد...في إشارةٍ واضحة لما يعنيه هذا...

عندما غمغمت هي وقد استعادت بعض تماسكها:

_لا تليق بك الزهور الذابلة يا بلال...ابحث عن زهرةٍ أخري لازالت تحمل أريجها كاملاً!!

هز رأسه وهو يقول بحسم:

_أنتِ لستِ زهرةً ذابلة...بل نجمٌ يدور في فلكٍ خاطئ...صوّبي مسارككِ وسينصلح كل شئ!

نظرت إليه بترقب وعقلها يتشرّب كلماته بنهم...



وكأنها تحتاج حقاً لمن يُسمعها هذا الكلام...

لمن يُرجّح لها أحد كفتيّ الميزان المنتصب في المنتصف بين قلبها وعقلها...

عندما أردف هو بنفس الحسم:

_إن بعض العشق لمن لا يستحقه إثم...فلا تكوني آثمة!

أطرقت برأسها دون رد وجزءٌ منها يرجوها الانتفاض للدفاع عن حذيفة...

من قال أنه لا يستحق العشق؟!!!

هو فقط...ضلّ الطريق!!!

لكنه عاد لصوابه ومن يدري...ربما يثبت!!!

بينما كان جزءٌ آخر يعارضها باستماتة...

"ربما" ليست كلمة حسم للمواقف...



"ربما" كلمةٌ هزيلة يتذرع بها الضعفاء ليمنحوا أنفسهم بعض الأمل...

وهي امرأةٌ ملت ضعفها وتحتاج الآن لحسم...

حسمٍ أبعد ما يكون عن "ربما" بتكهناتها واحتمالاتها وهشاشتها...

أبعد ما يكون عن "حذيفة" وازدواجيته وتذبذبه!!!!

قطعت أفكارها عندما توقف بهم "الأوتوبيس" في نفس اللحظة للمفارقة...

ليواجهها بلال بابتسامة واثقة وبنبرة ذات مغزي:

_يبدو أننا قد وصلنا!

=====

عاد من عمله الجديد لشقة راجية الصغيرة التي يقيم فيها الآن مع جوري وحذيفة بعدما أقصاهم قاسم النجدي عن بيت العائلة عقاباً لهم علي عصيانهم لأوامره...



أغلق الباب خلفه دون صوتٍ تقريباً ليبحث عنها عندما لمحها واقفةً أمام الموقد تقلب الطعام بانهماك...

استند بكتفه علي الباب يراقبها باستمتاع وهي غافلةٌ عنه...

كتم ضحكته بصعوبة وهو يراها تحاول إضافة القليل من "الفلفل الأسمر" في الطعام لتستفز رائحته النفاذة أنفها شديد الحساسية فتعطس لعدة مراتٍ متتالية فتفلت من يدها العلبة ليسقط الكثير منه في الإناء دون قصد!!!

قبل أن تشهق هي بارتياع وهي تنظر للإناء بخيبة تلتها دموعها التي سالت علي خديها غزيرة وهي تخبط علي ساقيها بحسرة...

ساعتها لم يتمالك نفسه وهو يتقدم نحوها ليحتضن ظهرها هامساً بخشونة:

_لماذا تبكين؟!



شهقت للمفاجأة وهي تلتفت نحوه برأسها قبل أن تهمس وسط دموعها :

_لقد فسد الطعام الذي تعبتُ فيه طوال اليوم لأجلك!

كانت تعلم نهم عمار الشديد للطعام لكنها كانت قليلة -بل منعدمة -الخبرة في هذا الشأن لو أرادت الإنصاف...

والدتها كانت تتولي هذا الشأن مع الخادمة وقد كانت كل مهمتها مع الطعام هي تناوله...

ومع تنظيف المنزل أن تخرج منه حتي تنتهي هذه العملية!!!!

والآن تجد نفسها مسئولةً -بإرادتها-عن هذه الأشياء التي لم تعتدها بعيداً عن رفاهية منزل النجدي الكبير.

لكنها مع هذا كانت أكثر من راضية فقط...لوجودها جواره...



كل لحظة مع رجلٍ حقيقي كعمار تساوي عمراً بأكمله...

عمار الذي أبقي علي احتضانه لها بساعد واحد ليمد كفه الأخر متناولاً ملعقةً من الطعام...

ليلوكها في فمه للحظات ...

قبل أن يرمقها بنظراتٍ غامضة!!!

فاستدارت نحوه لتهمس بترقب:

_هل هو سيئٌ لهذه الدرجة؟!!!

التمعت عيناه ببريق حقيقيّ وهو يتنهد بحرارة....

ثم احتضن وجهها براحتيه هامساً :

_حارقٌ للغاية...لكنه شديد اللذة..مثل جوريتي!

ابتسمت بين دموعها التي مسحها بأنامله هامساً:

_كفاني أنكِ من صنعتِهِ لأجلي...



لم أتصور في أشد أحلامي جموحاً أن تجيد جوريتي المدللة طبخ الطعام .

عضت علي شفتيها بخجل هامسة:

_إذا كان عمار مضرب الأمثال في الخشونة أجاد الغزل لأجلي...ألا أتعلم أنا الطبخ لأجله؟!!!

ضحك ضحكة قصيرة وهو يداعب أنفها بسبابته هاتفاً بمكر:

_لا تقولي أنكِ أعددتها وحدك...أنتِ تربية يدي وأعرف أنك فاشلة...من ساعدك؟!! اعترفي!!

خبطته في كتفه بمرح وهي تقول بعتابٍ :

_خيراً تفعل شراً تجد...هل هذا جزائي؟!!

شد أذنها برفق وهو يهمس أمام عينيها بحزم مرح:

_اعترفي يا ذات الأيدي الناعمة...من ساعدك؟!!

تأوهت بضعف وسط ضحكاتها العالية قبل أن تهتف باستسلام:



_مساعدة بسيطة...أمي كانت معي علي الهاتف!

ضحك بدوره وهو يقول مشاكساً:

_لو علمت العمة فريدة التي يتحاكي الجميع عن مهارتها في الطهي عن مستوي هذا الطعام لأوسعتكِ ضرباً!!

زمت شفتيها في غضب طفولي وهي تهتف بضيق:

_ألم تقل لتوّك أنه لذيذ مثلي؟!!

خبط جبهتها برأسه ليهتف بخشونة مرحة:

_وقلت أيضاً أنه حارقٌ جداً!!!

مسدت جبهتهابأناملها وهي تسأله بخيبة:

_هل سنرميه؟!!

أزاحها من أمامه وهو يهتف باندفاع:

_ما هذا الذي سنرميه؟!سآكله كله...وليتدبر حذيفة أمره عندما يعود!!!



ضحكت بسعادة حقيقية وهي تراه يساعدها في غرف الطعام في الأطباق قبل أن يحملها معها للمائدة الصغيرة في منتصف صالة المنزل...

ثم جلس جوارها وهو يقول بنبرة جادة:

_لو وجدتِه أنتِ حارقاً فلا تؤذي معدتك...سأطلب من حذيفة أن يحضر طعاماً جاهزاً لكما أنتما الاثنين!

نظرت إليه بحنان قائلة:

_لو كان لا يعجبك فلا تضغط علي نفسك لأجلي!!!

تألقت عيناه بعاطفته رغم جفاف عبارته:

_كفاكِ ثرثرة...ودعيني آكل!!!

ضحكت بحب وهي تملأ عينيها من ملامحه الحبيبة...

قبل أن تسند ذقنها علي راحتها هامسةً بهيام:



_كل تفاصيلك ساحرة... نظرتكِ التي تميتني رعباً لو غضبت والتي تتحول لشلال جارف من حنان وحب...كلماتك التي تقطر جفافاً وغلظة والتي تغدو قصائد عشق بين ذراعيّ...عاشقٌ أنت يا عماري...عاشقٌ عشت أبحث عنه بين سطور رواياتي حتي وجدته رجلاً حقيقياً يتجسد كالشمس في حياتي فتمحو كل ظلمة الليل وبرده!!!

وضع ملعقته جانباً لينظر إليها بعمق للحظات وهو يشعر ببعض الذنب...

هو يعرف أنه يمكنه إراحتها من عمل المنزل لو استأجر خادمة...

لكنه لا يريد هذا...

ليس لضيق الحال كما يزعم لها...

بل لأنه يريد حقاً أن يعرف قدر حدود تحملها لمعيشتها الجديدة معه...



جوري شديدة الرقة والرفاهية والدلال...

الوردية بين شقيقتيها وأكثرهنّ أنوثة...

فآسيا رغم فتنتها الشديدة لكنه يراها باردة رتيبة الإيقاع...

وساري رغم نضوجها المبكر ورجاحة عقلها فهو يراها كالجميع "مسترجلة"...

لكن جوري بعينيه هي "الأيقونة" الفعلية للأنوثة...

هي الحارة المشتعلة الصاخبة بدلالٍ يزيدها سحراً علي سحر...

وفتنةً علي فتنة!!!

والآن يري مدللته الوردية ترهق يديها "الناعمتين المنعمتين" بالعمل لأجله...

وتترك رغد العيش في منزل النجدي الكبير لتشاركه معيشته البسيطة هنا لتبدأ معه من جديد...



وتثبت له بالفعل لا بالكلمات أنها حقاً تريده...

قطعت هي أفكاره المتأملة فيها عندما همست بقلق:

_ما الأمر يا عمار؟!! هل أفقدتك شهيتك بحديثي؟!!

توهجت عيناه بلهيبٍ خاص ثم قام من علي كرسيه ليجذبها من ساعديها لصدره بقوة هامساً بين شفتيها:

_علي العكس...لقد أثرتِها أكثر!!

وقد كان هذا آخر ما وعاه عقلها قبل أن تنجرف معه في طوفان عاطفته كالعادة...

======

انفلتت من صديقاتها بعدما استعارت هاتف إحداهن لتسير وحدها علي شاطئ البحر...

تأملت منظر الغروب بافتتان وهي تشعر أن الشمس الآن تذوب في السماء رويداً رويداً...

تماماً مثل حبها له...



وإن كانت الشمس ستعود غداً لشروقها بإذن ربها...

فهل سيعود لحبهما من جديدٍ ...شروق؟!!!

دمعت عيناها وهي تشعر بغربة روحها تزداد هنا...

المكان رغم سحره موحشٌ كئيب...

أم أن الوحشة والكآبة تنبع من داخلها هي؟!!!

هي التي تود الآن لو تطيع قلبها فتترك هذا المكان الخلاب وتعود لأقرب مكانٍ في الأرض إلي قلبها...

سطح منزل العائلة!!!

حيث تجلس علي أرجوحتها القديمة هناك تحتضن دميته وتنتظره...

حتي وهي تعلم أنه لن يعود!!!!

لعنت ضعفها سراً وهي تحاول استعادة حديث بلال في ذهنها لعلها تتشبث ببقايا من عقلٍ يدحض عنها عواطف قلبها الثائرة...



لكن كل الكلمات في عقلها ذابت ...تماماً كما ذاب قرص الشمس الآن في السماء كاملاً...

فلم يتبقَ لها سوي نحيب دقاتها المشتاقة والمختنقة بلوعتها له...

لا تدري لماذا تشعر الآن بالذات بهذا الاشتياق الكاسح له كما لم تفعل من قبل...؟!!!!

ربما لشعورها بغربة المكان وهي التي لا تعتاد الأماكن الغريبة بسهولة...

وربما لأنها تمنت طويلاً...

طويلاً جداً ...أن تسير معه في مكانٍ كهذا متشابكي الأيدي ورأسها علي كتفه...

وربما لأن الغزو الذي يتحالف فيه بلال الهاشمي-بكل مميزاته التي لا ينكرها أحد- مع عقلها الرافض لحذيفة يكاد يهزم قلبها الضعيف في هذه المعركة...



وهي -للعجب-لا تريده أن ينهزم...!!!

لقد منحها حذيفة حرية الاختيار...

أعتق جاريته ليطلقها بعيداً عن أسوار قصره التي طالما قيدتها...

لكنها الآن تشعر أنها ...ربما تفضل لو كانت...!!!!

قطعت فكرتها وهي تهز رأسها بعنف عاجزةً عن إكمال فكرتها...

العاقل لا يسير بظهره للوراء...

وهي لم توصف يوماً بالحماقة...

لكن ماذا عساها تفعل في حريق روحها الذي يلتهم خلاياها ببطء وهي بعيدةٌ عنه...؟!!!

أهلاً إذن بالحماقة مادامت في سبيل هواه!!!!

عند فكرتها الأخيرة وجدت نفسها ترفع هاتف صديقتها لتتصل برقمه الذي تحفظه...



لا...لن تتحدث إليه...

إنها فقط ستكتفي بسماع صوته...

صوته الذي افتقدته طوال هذه الأيام ولم تعد قادرةً علي التحمل أكثر...

كان عقلها يعارضها بشدة ...لكنها زعمت لنفسها أنها تفعلها فقط للاطمئنان أنه بخير...

هو أولاً وأخيراً ابن عمها!!!

وهي أدري بنبرات صوته التي تحفظها كاملةً والتي كانت تستشف منها دوماً حالته...

لهذا ستكتفي بسماع صوته للحظات ثم تغلق الاتصال...

مجرد مسكّنٍ بسيط لضميرها الذي يؤلمها لأنها كانت سبباً في نبذه من العائلة...

وحرمانه من كل شئ...



ولوأنه استطاع تجاوز هذا في فترة يسيرة وحمزة طالما يمدحه أمامها بزعمه أنه "عفريت حقيقي"!!!

وأنه عندما منح تركيزه كاملاً للعمل استطاع تحقيق النجاح في وقت قصير...

هي كانت تعلم أن عناد حذيفة الشديد سيدفعه للتفوق في العمل كي يثبت للجميع قدراته...

والمركز الذي فتحه لعلوم الحاسبات بدأ اسمه يلمع خاصةً في مدينة صغيرة كمدينتهم...

لا يتجاوز فيها عدد هذه المراكز أصابع اليد الواحدة...

فخورةٌ هي به...

معذبةٌ لأجله...!!!

لكنها لا تستطيع مجرد الحلم بالعودة إليه...

كبرياؤها يقف أمام كبريائه...وكلاهما صلبٌ كالحجر!!!



وفي النهاية كل هذا لن يمنعها مما تفكر به الآن وتشتهيه كل جوارحها بحق...

إنه مجرد اتصال برئ!!!

ستسمع صوته وتغلق الاتصال بعدها ببساطة لتعود وتحتبس خلف أسوار كبريائها وتماسكها المزعوم!!!

هذا ما كانت تحاول به إقناع نفسها وليس أسهل علي المرء من خداع نفسه....

غافلةً أو -متغافلةً- عن نبضات قلبها التي كانت تتسارع بجنون مع كل رقمٍ تضغط عليه أناملها...

وكم ودت في هذه اللحظة لو يكون رقم هاتفه مكوناً من آلاف الأرقام...

لتستمتع بهذه الدغدغة اللطيفة لخلايا جسدها كله التي تتراقص الآن بانتشاء عابث ...

وكأنها عادت طفلةً كما كانت منذ سنوات أمامه!!!

آه يا حذيفة!!!

ما حيلتي فيك؟!!!



وأنت الذي تملك مفاتيح طفولتي وأنوثتي وشيخوختي...

طفولتي التي عشتُ براءتها ركضاً في فضاء عينيك...

وأنوثتي التي تفتحت براعمها بين ذراعيك...

وشيخوختي التي تنذرني بالموت في غيابك!!!!

ما حيلتي فيك؟!!!

وأنت ضفائر شعري القصيرة التي شدتها أناملك ونحن بعد نلهو صغاراً...

وأنت خصلاته الثائرة التي انسدلت علي كتفك في نوبات عشقنا كباراً...

وأنت بياض شيبه الذي أراه الآن بعين خيالي يبكيك!!!



تنهدت بحرارة وأناملها تضغط الرقم الأخير لتنتظر صوته الحبيب بترقب والذي أتاها جاداً حازماً:

_السلام عليكم...من؟!!

أغمضت عينيها بتأثر ودموعها تنافس دقات قلبها جنوناً وهي تكاد تذوب اشتياقاً إليه...

انفرجت شفتاها وهي تهمّ بالتحدث إليه ضاربةً بكل شيءٍ عرض الحائط...

لكنها تمالكت نفسها في اللحظة الأخيرة مكتفيةً بالصمت...

وبشعورها بأنه فقط ....معها الآن!!!

حتي لو كان يبعد عنها مكاناً لكنها علي الأقل ...تسمع صوت أنفاسه!!!

استمر صمتها للحظات فعاد هو يزأر بنبرة أكثر حدة:

_من الذي يتحدث؟!!



تشبثت أناملها بالهاتف بقوة وهي تعلم أنه سيغلق الاتصال في أي وقت...

لكنه ظل صابراً للحظات...وكأنما شعر أنها هي...

ثم تنهد بحرارة أحرقتها قبل أن يغلق الاتصال !!!!

ظلت متشبثة بالهاتف علي أذنها للحظات وهي تشعر أنها لم تخمد نيران اشتياقها له....

بل أشعلتها أكثر!!!!

وفي مكانه ظل هو يتأمل الهاتف بشرود...

قلبه يخبره أنها هي!!!!

ربما من فرط ما يتمني هذا...

لكنه عاد يقول لنفسه أنها ربما كانت معاكسة تليفونية عادية..!!!

كانت أفكاره تتنازع مع ذكرياته الآن بشأنها لكنه كان يحاربها بعنف...



ساري لازالت تتخبط في حيرتها بين عقلها الذي يؤيد خاطباً متميزاً كبلال...

وقلبها الذي يعلم علم اليقين أنه لم ولن يكون إلا له....

وبينهما تحترق هي بنيران لوعتها....وتحرقه هو معها!!!!

زفر بقوة وتفكيره فيها يكاد يصيبه بالجنون....

لكنه حاول أن يتشاغل عن هذا بعمله الذي يحتل الآن كل اهتمامه...

فلم يستطع...!!!

خبط علي مكتبه بقوة وهو يزفر من جديد زفرة مشتعلة...

ثم تناول هاتفه ليتصل بفريدة التي ابتدرته بسؤالها الحنون:

_كيف حالك يا ابني؟!!



ازدرد ريقه بتوتر وهو يقول برفق:

_بخير يا عمتي...كيف حالكم جميعاً..لقد أردتُ فقط الاطمئنان عليكنّ .

تنهدت فريدة بعمق وقلبها يخبرها عن السبب الحقيقي لاتصاله...

ثم قالت بحنان:

_كلنا بخير يا ابني...لا ينقصني سوي عودة جويرية لحضني...لكنني أطمئن عليها يومياً بالهاتف...وآسيا تسلمت عملها الجديد وسعيدة جداً به...

صمت للحظة ثم سألها ببرود مصطنع:

_وساري؟!

ابتسمت فريدة ابتسامةً لم يرَها ...لكنها بدت في صوتها وهي تقول:



_ساري في الاسكندرية ...رحلة أعدتها الجامعة.

انعقد حاجباه بغضب وقد تأكد هاجسه الآن أنها من كانت تهاتفه منذ قليل...

قبل أن يهتف بحدة لم يقصدها:

_وكيف تسمحين لها بالسفر وحدها يا عمتي؟!!

ارتبكت فريدة لحدته ثم غمغمت باضطراب:

_أنت تعلم عن حالتها النفسية المضطربة منذ افترقتما...ثم إنها ليست وحدها...بلال الهاشمي معها.

لم تكد تتم عبارتها حتي انتبهت لفداحة ما قالته ...

لقد أرادت فقط أن تطمئنه لوجود شخص كبلال محل ثقةٍ معها ...

ولم تتذكر ساعتها عرض بلال القديم للزواج منها...

لكنها الآن أدركت وهتاف حذيفة الغاضب يكاد يصمّ أذنيها:



_هكذا إذن؟!!! بلال هذا الذي يرغب في الزواج منها...وأنتم تسهلون له الأمور.

ازداد ارتباكها وهي تغمغم بما يشبه الاعتذار:

_لا يا ابني...ليس الأمر كما تظن...إنه فقط...

قطعت عبارتها وهي لا تجد ما تكملها به...

فأخذ نفساً عميقاً تمالك به غضبته قبل أن تعود لصوته برودته المصطنعة :

_لا بأس يا عمتي...إنه حقها علي أي حال...مباركٌ لكم مقدماً.

قالها ثم أغلق الاتصال بسرعة وكأنه يخشي أن يفلت منه زمام غضبه...

قبل أن يلقي هاتفه بعنف جواره!!!

لكن علامَ الغضب؟!!!

ألم يمنحها هو فرصة الاختيار؟!!!



ألم يتنازل عنها بإرادته ضد الجميع؟!!!

حتي ولو كان فعل هذا من أجلها...فليحتمل نتيجة قراره!!!

وليتقبل خسارته برأس مرفوعٍ كما اعتاد...

وبهذه الفكرة الأخيرة تناول هاتفه مجدداً ليتصل برقمها هي...

هي التي انتفضت بدهشة وهي تري هاتفها -وليس هاتف صديقتها- يرن باسمه...

ترددت للحظات وهي تشعر بشعور اللص الذي ضبط متلبساً بجريمته...

قبل أن تحاول التظاهر بالثبات وهي تفتح الاتصال قائلة:

_السلام عليكم...كيف حالك يا حذيفة؟!!!

وصلها صوته المشبع ببروده -المصطنع- قائلاً:



_بخير يا ابنة عمي...لقد كنت أهاتف عمتي فريدة بالمصادفة وأخبرتني أنكِ في الاسكندرية فاتصلت لأطمئن علي وصولك.

خفق قلبها بجنون وهو يخبرها بشعوره الصادق به أن بروده هذا يخفي بركان اشتياقٍ بصدره...

بركاناً لا يقل قوةً عن براكينها هي ...بل ربما يزيد!!!

لكنها تمسكت بقناع كبريائها لترد له بروده ببرود مشابه:

_شكراً يا حذيفة...طالما كنت تفهم في "الأصول"!!

وكأنما أرادت أن ترد له بضاعته...!!!

فإن كان يزعم أنه يهاتفها من أجل الاطمئنان عليها بدافع صلة القرابة فحسب...

فهي ستتظاهر أنها تصدقه!!!



لكنه صمت للحظة قبل أن يردف بنفس البرود - المصطنع-:

_ولو أنني لست قلقاً عليكِ...عمتي أخبرتني أن بلال الهاشمي معك وسيعتني بكِ.

طعنتها عبارته الباردة في الأعماق وهي تشعر بغصة في حلقها منعتها عن الرد للحظات...

لقد تغير حذيفة حقاً...

حذيفة الذي فقد عقله في الماضي يوم عرف فقط بعرض بلال الهاشمي للزواج منها وكاد يغتصبها قهراً فقط ليضمن ملكيته الأبدية لها...

الآن يعلنها بمنتهي البرود أنه مطمئنٌ لوجودها مع بلال الذي "سيعتني بها" ....

بل إنه عرض علي بلال بنفسه ليلة عقد قران حمزة أن يفاتح قاسم النجدي بشأن زواجهما وكأنه لا يهتم...



قلبها المذبوح بخيبته يخبرها أن حذيفة -حتماً-لا يعنيها...

هو فقط يحاول الحفاظ علي كبريائه أمامها...

نعم...نعم...

هو فقط يعاقبها بهذه الطريقة الباردة !!!!

لكن عقلها كان يدفعها لتصديق أن حذيفة لم يحبها كما تتصور...

لقد قالها لها صراحةً يوماً عندما رآها مع بلال...

قال لها أن تستغل الفرصة التي تليق بها...

والآن يتصل بها ليؤكد لها فكرته...

بل ربما يتمني حقاً لو تتم خطبتها لبلال الهاشمي ربما كان هذا أدعي لأن يرضي عنه قاسم النجدي مؤخراً ويعيده لحضن العائلة...!!!



اغرورقت عيناها بالدموع عند هذه الفكرة الأخيرة ليأتيه صوتها مختنقاً بعبراتها :

_لا أحتاج لأحدٍ كي يعتني بي...طالما اعتنيتُ بنفسي وحدي!!

كز علي أسنانه بغضب مكتوم وهو يميز صوتها الباكي فانفجر فيها هاتفاً بانفعال وقد انهارت قشرة بروده الزائفة:

_لماذا تبكين الآن؟!!

قالها وجسده كله يرتجف غضباً واشتياقاً...

وذكري بكائها بين ذراعيه تلهب كيانه...

دموعها التي يذكر الآن مذاقها بنكهة بشرتها النقية التي تحمل طهر كل نساء الأرض...!!!!

ذاك الطهر الذي أزال عنه دنس معاصيه ...

وكأنه سرق قبساً بسيطاً من نارها كان كافياً ليضئ له ظلمات روحه كلها!!!



دموعها التي طالما روت له بصدقها حكاياها الكثيرة عن عشقها الذي لم ولن يكون إلا له...

لهذا عشق هذه الدموع...وعشقها أكثر عندما كان ينجح في ترويضها بين شفتيه لتتحول لابتسامة تنافس الشمس في نورها....

دموع ساري النجدي مميزةٌ مثلها...

صادقةٌ ...حارة...سخية...عاشقة.....

ولا تخضع إلا له!!!

بينما هزها هي انفعاله حقاً وقلبها يذكرها بلقائهما الأخير ليلة عقد قران حمزة...

نظراته الحارة التي حملت لها اشتياقه كاملاً رغم برودة ردوده الجافة....

حذيفة لازال يعشقها...لكنه يكابر مثلها...

وآن الأوان أن تحسم أمرها بهذا الشأن الذي طال كثيراً....



وأن تمنح نفسها فرصة الاقتراب منه من جديد...لعلّ عقلها يرضي ويتصالح مع قلبها بشأنه...

لهذا تمالكت نفسها بقوة لتتجاهل سؤاله قائلةً بعد صمت طويل:

_كنت أريد منك خدمة.

تنهد بحرارة أحرقتها ناقضت برودة ردّه التالي:

_تفضلي يا ابنة عمي!

ابتلعت غصة دموعها لتقول بصلابتها المعهودة:

_أنا أحتاج لدورة تأهيل لشهادة (.......) ...هل يقدم مركزك هذه الدورات؟!!

ابتسم بسخرية عابثة لم تظهر علي نبراته التي حافظت علي برودها وهو يرد عليها:

_بالتأكيد...نتشرف بزيارتك في أي وقت.

ثم أردف بنفس النبرة الرسمية الباردة:



_والآن أعتذر منكِ...لديّ عملٌ هام!

قالها وأغلق الاتصال بسرعة خائفاً من أن تجرفه فورة غضبه لإيذائها...

أما هي ف-للعجب- ابتسمت بفتور وهي تضم هاتفها إلي صدرها...!!!!

حسناً...

لقد اختلقت طريقاً جديداً إليه...سارت أولي خطواته....

ستقترب منه من جديد...

بإرادتها هي هذه المرة...

دون قيود ولا إجبار..

لتري إن كانت حقاً ستعشق حذيفة "الجديد" وتسلمه مفاتيح مدينتها كاملةً عن طيب نفس...



أم تغلق هذه الصفحة للأبد ولا تأثم بعشقٍ لا يستحق كما كان يقول بلال....!!!!



الفصل السابع والعشرون:

جلست رقية في غرفة عاصم الهاشمي كعادتها بعدما تركا منزل العائلة ليقيما هنا بناءً علي رغبتها...

أسندت رأسها علي ظهر الأريكة الجانبية هناك ورأسها يكاد ينفلق من فرط التفكير...

ياسين لم يخيب ظنها فيه...

لقد تحدي جده وترك كل شيءٍ خلفه فقط من أجلها هي...

حبه -المتين-لها أثبت قوته في هذا الموقف ليثبت لها أن مشاعره -الهشة-نحو آسيا لم تكن حباً حقيقياً..

لكن...ماذا بعد؟!!

شعورها -المستحدث-هذا بالعجز يخنق روحها ببطء...



هي التي اعتادت أن تكون ملكةً قوية مسيطرة مسئولةً عن الجميع ...

الآن تري نفسها قد تجردت من كل مقوماتها خاصةً بعد رحيل عاصم الهاشمي...

وظروف عجزها الجديدة...

لتري نفسها الآن مجرد امرأة عادية ضعيفة منقوصة تحتاج لسند...

والواقع أن ياسين لم يبخل عليها به كما وعدها...

طرقاتٌ خافتة علي باب غرفتها قطعت أفكارها تلاها دخول الخادمة التي أخبرتها أن هناك امرأة تنتظرها بالأسفل...

امرأة تدعي "آسيا"!!!

شعرت رقية بالتوتر يغزو روحها القلقة أكثر وهي تضع في ذهنها عشرات الأسباب لهذه الزيارة الغير متوقعة...



قبل أن تتمالك قوتها لتبدل ملابسها وتعدل زينتها بحرص...

ثم تتوجه بعدها لهذا اللقاء الذي تخشاه...

وفي مكانها كانت آسيا تشعر ببعض الحرج من نظرات إكرام المستاءة نحوها...

إكرام التي لم تنسَ لها صنيعتها ليلة زفاف ابنتها الوحيدة...والتي كادت تفسد الزفاف لولا أن الله سلم...

لكن رقية تقدمت نحوهما بثبات لتصافح آسيا بودٍ ظاهر...

فاعتذرت منهما إكرام بلباقة لتغادرهما بعدها وهي ترمق رقية بنظراتٍ مشفقة مشبعة بحزنها...

جلست رقية جوار آسيا تبحث عن بداية مناسبة للحديث...

لكن آسيا ابتدرتها بقولها :



_أعرف أنك تتساءلين عن سبب هذه الزيارة المفاجئة...لكنني حقاً قد تأخرت فيما جئتُ لأجله.

رمقتها رقية بنظرة متسائلة...فأردفت آسيا بقوتها -المستحدثة-:

_طالما كنتُ أقول أن تجاهل بعض الأمور هو الحل الأفضل...لكن في هذه الحالة...المواجهة أنفع.

أطرقت رقية برأسها وهي تتوقع كلمات آسيا القادمة:

_لقد جئت لأعتذر عما حدث ليلة زفافك...صدقيني لم أكن في وعيي وقتها...إحساسي بالنقص والدونية أمام قسوة جدي وتسلطه أفقدني عقلي...ولولا أنكِ رقية الهاشمي التي يتحاكي الجميع عن عقلها وكمالها لكان هذا الزواج قد فسد بسببي.

أغمضت رقية عينيها للحظات بألم ...



رغم كل ما كان بينها وبين ياسين من لحظات غرام مشتعلة...

لازالت هذه الذكري تجلدها بسياط غيرتها القاسية...

هذا الجرح الذي يملؤها وهي تتذكره يحتضن امرأة أخري بسواها بهذه الحميمية وبهذا الحب!!!

لكنها تمالكت نفسها بعد لحظات لترفع إليها عينيها قائلة بثبات:

_هل جئتِ لأجل هذا فقط؟!!

ابتسمت آسيا بحنانٍ صادق أذاب هواجس رقية تماماً وهي ترد برفق:

_بل جئت لأصفي كل ما بيننا...لا أريد أن تعكر شوائب الماضي علاقتنا...خاصةً وأنا حقاً أريد اكتساب صداقتك.

أشاحت رقية بوجهها وهي عاجزةٌ عن الرد ...

ليت الأمر بهذه البساطة...!!!



ربما لو كانت في ظروف أخري غير ظروفها الحالية لكانت وجدت دعماً من قوتها المعهودة...

لكنها الآن منهكة....مستنزفة...

والأهم....خائفة!!!

خائفة أن تفقد أغلي ما احتوته حياتها لأجل شئٍ لا يد لها فيه...

وخائفة من عذاب ضميرها لو حرمت ياسين حقه الطبيعي في ولدٍ يستحقه...!!!

خائفةٌ منه أن يظلمها لو سمح لأخري بمشاركتها فيه...

وخائفة من نفسها أن تظلمه لو منعته حقه...!!!

ووسط كل هذا تشعر بنفسها في دوامةٍ من شعور بالنقص لم تتعوده...

شعور يمتص قوتها رويداً رويداً فيسلبها القدرة علي التفكير...



وكأنما قرأت آسيا أفكارها بفطنتها ...

لتقول لها بحنان :

_نعم يا رقية...كم أغبطكِ علي قوتك الحقيقية هذه ...لهذا أتمني لو لا تخسرينها تحت أي ظرف...بعض المنح تأتينا من السماء في صورة مِحَن...لقد وعيت هذا الدرس حقاً عندما أوشكتُ علي الموت يوماً في المزرعة...وبعدما أفقتُ من غيبوبتي وقتها انتبهت أن قوتي يجب أن تنبع من داخلي أنا...قبل أن يمنحها لي أحد...محنتي كانت سبباً في قوتي بعد ضعفي...فلا تجعلي محنتك تفعل بك العكس !!

نظرت إليها رقية بطوفانٍ من مشاعرها الصاخبة الآن...

آسيا علي حق...



بعض المحن تهدينا قوةً بعد ضعف...وبعضها ينزع عنا أردية صلابتنا ليدعنا وسط رياح الخوف عرايا!!!

والفيصل دوماً هنا...هو سلامة أرواحنا قبل الجسد...

الروح التي تستند علي أعمدة قوية من الإيمان والحب تنجح دوماً في المقاومة...

وهذا ما لا تفتقده رقية الآن...

كما لم تفتقده آسيا يوم قررت المواجهة والصمود!!!

آسيا التي تابعت حديثها الحار بصدقه أمام نظرات رقية التي كانت تتشربه حرفاً حرفاً:

_لقد منحكِ القدر فرصةً قلما يمنحها لغيرك...ورأيتِ بقلبك قبل عينيك كيف تحدي بكِ زوجك الجميع لأول مرة في حياته...



لو كان أحدهم أخبرني يوماً أن ياسين الذي تربي علي الخوف من قاسم النجدي سيقف أمامه هكذا بمنتهي القوة لاتهمته بالجنون...لكن ها هو ذا يفعلها لأجلك...

أومأت رقية برأسها ثم سألتها ببعض الرفق:

_لماذا تقولين هذا الآن؟!

ربتت آسيا علي كفها وهي تجيبها بصدق:

_لأنني لا أريدكِ أن تجمعي في قلبك خوفه من الماضي والمستقبل معاً...ياسين لم يعد في قلبه سوي رقية ...انزعي من رأسك أي فكرةٍ أخري كي تستطيعي إكمال طريقكما الطويل معاً.

تنهدت رقية بحرارة رغماً عنها وهي تشعر أن آسيا قد قرأت ما برأسها حقاً...

يكفيها خوفها من المستقبل ولا ينقصها أن تزيده بهواجسها عن الماضي كذلك.



بينما أردفت آسيا باستطراد أظهر اهتمامها الحقيقي:

_لقد كنا نتناقش أنا ومارية بشأنك بالأمس...الحقيقة أننا استشرنا العديد من الأطباء هنا بخصوص حالتك ونصحونا بالسفر...مارية أجرت اتصالاتها بالأمس بأشهر المراكز في لندن للاستفسار عن الأمر والنتيجة مشجعة لكن تنقصنا صورة من تحاليلك وأشعاتك الكاملة...قبل أن نحصل علي رد قاطع .

انتعش بعض الأمل في قلب رقية وقد تأثرت حقاً بهذا الاهتمام...

فصمتت للحظات قبل أن تومئ برأسها هامسةً :

_شكراً.

ابتسمت آسيا وهي تقوم من جوارها لتقول بمودة :

_صدقيني يا رقية ...منزلتكِ عندي الآن كساري وجوري تماماً...



استشيري ياسين في الأمر ولو وافق يمكننا البدء في مراسلتهم لتحديد موعد السفر....مارية ستفيدنا كثيراً في هذا الأمر...وقد عرضت أن تسافر بنفسها معكِ

.

وقفت رقية بدورها وهي تبتسم ابتسامة حقيقية هذه المرة...

مع إحساسها الصادق أنها ليست وحدها في محنتها وأن هناك من يسعي لمساعدتها بحق حتي دون أن تعلم...

لهذا استجابت بحرارة ليد آسيا التي امتدت لها بمصافحة رقيقة...

لتقول بعدها بصوت متهدج:

_شكراً يا آسيا...واشكري مارية أيضاً...سعيدةٌ حقاً باهتمامكما هذا.



ضحكت آسيا ضحكة صافية وقد شعرت بنجاح مهمتها التي أتت من أجلها...

لقد كانت هذه آخر خطوة لتغلق هذه الصفحة القديمة في حياتها مع ياسين...

دون أن تشعر بالحرج بعدها في أي لقاء لها مع رقية....

والحمد لله أنها انتهت علي خير...!!

لكنها لم تكد تنتهي من فكرتها حتي سمعت صوت ياسين خلفها يهتف بدهشة:

_آسيا!!!ماذا حدث؟!

التفتت نحوه آسيا ليتقدم نحوها مردفاً بقلق:

_أمي بخير؟!!الجميع بخير؟!!

أومأت آسيا برأسها إيجاباً وهي تلتفت نحو رقية لتجيبه ببساطة:



_العائلة كلها بخير لا تقلق ...أنا فقط جئت للاطمئنان علي رقية.

عقد ياسين حاجبيه بدهشة وهو ينظر لرقية بتساؤل متفحص...

فابتسمت له رقية ابتسامة مطمئنة وهي تؤكد علي حديثها:

_لا تكن جزوعاً هكذا يا ياسين...آسيا جاءت لنا ببشارة خير سأخبرك بها عندما تعود.

ازداد انعقاد حاجبيه ولازال يشعر بالتوجس من هذه الزيارة المفاجئة...

وهو يسألها بحذر:

_أعود من أين؟!!

هنا كانت صدمته قد وصلت ذروتها و رقية تجيبه ببساطة:



_لا يصحّ أن تغادر وحدها في هذا الوقت من الليل...قم بتوصيلها من فضلك.

كانت تعلم أنها تثير دهشتهما معاً بطلبها المتباسط هذا...

لكنها كانت تريد أن تثبت لنفسها قبل أن تثبت لهما أنها لم تعد تبالي بهذا الماضي الممزق...

والذي تكفيه رياح الزمن كي تبعثر ما تساقط من بقاياه...

إن كانت آسيا قد بدأت الخطوة الأولي وهي ستأخذ الثانية...!!!

وأمامها كان ياسين يشعر ببعض الحرج بعدما تراجعت صدمته..

لكنه لم يجد بداً من الاستجابة لطلبها وقد بدا له منطقياً ...



فهز رأسه وهو يقول بهدوئه الحاني:

_حسناً يا آسيا...تفضلي.

حاولت آسيا الاعتراض بقوة وهي تستشعر الكثير من الحرج بدورها...

لكن الأمر انتهي بها جواره في سيارته عائداً بها لمنزل العائلة...

ظل الصمت ثالثهما للحظات قبل أن يبتدرها هو بسؤاله القلق:

_لماذا زرتِ رقية اليوم؟!

أطرقت برأسها وهي تجيبه بهدوء:

_من الأفضل أن تخبرك هي بنفسها.

تنهد بحرارة وأصابعه تتشنج رغماً عنه علي مقود السيارة وهو يشعر بغرابة الموقف...

هذه آسيا؟؟!!!



آسيا التي كان يراها يوماً الدنيا بما فيها...ومن فيها...!!!

فكيف الآن تجلس جواره فلا يكاد حتي يشعر بوجودها....؟!!!

بل إنه يتمني لو يسابق الزمن حتي ينتهي من هذا -الواجب الثقيل- كما يراه الآن...

ليعود لرقية فيطمئن علي ما كان بينهما!!

لكنه مع هذا لم يمنع نفسه من سؤالها باهتمام :

_سعيدةٌ مع زوجك؟!!

ابتسمت رغماً عنها ونفس أفكاره تجتاحها هي الأخري بنفس الدهشة...

لتجيبه بعدها باقتضاب:

_جداً..!!



رمقها بنظرة جانبية قبل أن يقول بتردد:

_ألازلتِ ناقمةً عليّ؟!

صمتت للحظات...ثم رفعت رأسها لتنظر للطريق أمامها قائلة بشرود:

_لا أبداً...علي العكس...أحياناً يمنحنا القدر صورةً رمادية حتي يمكننا بعدها التفريق بين الأبيض والأسود!!

أومأ برأسه موافقاً وهو يدرك حقاً ما تعنيه....

ما بينهما كان أشبه بغيمة رمادية بخلت بأمطارها عندما استجداها جديب روحيهما المقفر...

ولولا عطيّة القدر لكليهما لماتا عطشاً!!!

الآن يدرك كلاهما أن ما بينهما لم يكن يوماً حباً...

بل "وهم" حب...حذف الزمن من كلمته "الواو" ليبقي فقط همه...!!!



أو استبدل "الميم " ب "النون" ليدهشهما وهنه !!!

ظلا علي صمتهما المشتعل بأفكاره حتي وصلا إلي منزل العائلة الكبير...

فالتفتت نحوه لتقول ببساطة :

_شكراً يا ياسين.

قالتها وهي تهمّ بمغادرة السيارة عندما استوقفها بندائه...

لتعاود الالتفات إليه من جديد...

فقال دون أن ينظر إليها:

_أنا الآن أعلم أن جسار القاصم رجلٌ حقيقي سيحافظ عليكِ كما ينبغي...لكنكِ تعلمين أنني لن أتأخر عن مساعدتكِ إذا احتجتِني في أي وقت...حتي بعدما نبذني جدي عن العائلة.

ابتسمت بتفهم وهي تدرك شعوره الآن والذي هو توأم شعورها...



حتي لو فقدا ما كان بينهما من "أوهام" الحب وضلالاته...

تبقي هناك معزّة حقيقية لن تغيرها الأيام...!!

لهذا غادرت السيارة بسرعة لتغلق بابها خلفها في حركة موحية...

قبل أن تقول له بحزم:

_شكراً لاهتمامك...سلامٌ يا ابن عمي!!

====

خرجت آسيا من غرفتها بمنزل النجدي الكبير علي صوت بكاء راجية التي كانت تهتف بين دموعها لفريدة:

_نار يا فريدة...نار في قلبي...لم أعتد فراق أولادي هكذا...في البداية حذيفة تلاه عمار...ثم ياسين...إلا ياسين يا فريدة!!! إنه أحنّ أبنائي عليّ...



لا أصدق أنه فرط فيّ أنا ولم يكترث برجائي كرامةً لتلك التي تزوجها!

مطت آسيا شفتيها باستياء وهي تشعر أن هذا الحديث كله لا يعجبها...

بينما ربتت فريدة علي كتف راجية لتقول بحنانها كالعادة:

_اصبري يا حبيبتي...صدقيني أنا أشعر بكِ...لكن الله كريم...قلبي يخبرني أن قاسم النجدي لن يظل علي قسوته معهم...قلبه سيلين مع الأيام.

هزت راجية رأسها بأسف...فتقدمت منهما آسيا لتقول بتهذيب :

_عفواً يا عمتي...أنا أري أن أبناء عمي كلهم فعلوا الصواب...لا يحق لأحد أن يقرر مصير الآخرين ولو بدافع الحب...الله سبحانه وتعالي يقول "وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً" ...كلنا سيُسأَل وحده عن اختياره ...



رمقتها فريدة بنظرة زاجرة مراعاةً لشعور راجية لكن آسيا أردفت بقوة:

_لو كنت مكانكِ يا عمتي لافتخرت بأبنائي...حذيفة ذي الكبرياء الذي رفض أن يتزوج امرأة رغماً عنها...وعمار الذي دافع عن زوجته وحبيبته التي يحبها ويحبه...وياسين الذي رفض التخلي عن زوجته في محنتها وتصرف معها كرجل حقيقي...كلهم يستحقون الفخر يا عمتي ..كلهم!!

هزت راجية رأسها بعدم اقتناع ...

بينما أشارت فريدة لآسيا بكفها اشارة مقتضبة أن تنصرف الآن...

فتنهدت آسيا بيأس قبل أن تغادر الشقة كلها إلي شقة جدها بالأسفل...

أخذت نفساً عميقاً تستمد به بعض القوة...



قبل أن تطرق الباب برفق تنتظر إذنه بالدخول...

وما إن دخلت حتي اصطدمت بنظرته التي ملأتها المرارة والحسرة والعجز....

قبل أن يداري كل هذا خلف قناع قسوته الظاهرة وهو يسألها بخشونة لم تغادر أسلوبه معها منذ عادت لمنزل العائلة:

_ماذا تريدين؟!

تقدمت لتجلس جواره علي طرف الفراش ثم مالت علي كفه تقبله باحترام...

قبل أن تسأله بحنان :

_كيف حال صحتك يا جدي؟!

أشاح بوجهه عنها وهو يهتف بحدة:

_وكيف تنتظرين أن تكون صحتي وقد ابتلاني الله بأحفاد مثلكم؟!



كتمت ابتسامتها بمشقة ثم تنحنحت بحرج لتقول له بتردد:

_لقد رأيت أبي وعمي كمال رحمه الله في رؤيا بالأمس.

التفت إليها بحدة وقد ظهر الاهتمام علي ملامحه ليسألها بلهفة لم تخطئها أذناها:

_ماذا رأيتِ؟!

ابتسمت وهي تحاول تذكر تفاصيل رؤياها لتقول بعدها بشرود:

_كانا سعيدين للغاية...وجهاهما كانا كقمرين مكتملين...أبي احتضنني بقوة وقبل رأسي...ثم قال لي أوصي جدك بشجيراتي...

دمعت عينا قاسم في هذه اللحظة فشعرت آسيا بالتأثر وهي تهمس بقلق:

_ماذا بك يا جدي؟!



تحشرج صوته وهو يقول لها:

_أكملي.

ازدردت ريقها ببطء ثم أكملت :

_وعمي كمال ناولني مسبحةً كانت في يده وطلب مني أن أعطيها لك...زمردية اللون...وحبيباتها ليست مستديرة... بل...

قاطعها قاسم بصوت متهدج:

_مستطيلة !!

اتسعت عيناها بدهشة وهي تهمس مصدومة:

_نعم...كيف عرفت يا جدي؟!

هز رأسه وهو يسبح الله جهراً عدة مرات...

قبل أن يقول بصوت مهزوز:

_افتحي هذا الدرج يا ابنتي.



قالها وهو يشير لها نحو أحد الأدراج بأنامل مهتزة فتوجهت نحوه لتفتحه قبل أن تشهق بقوة...

وهي تجد نفس المسبحة المميزة التي رأتها في حلمها...

والتي هي واثقة أنها لم ترَها بعينيها من قبل في الواقع!!!

تناولت المسبحة تقلبها بين أناملها بحيرة قبل أن تعود لتجلس جواره هامسةً بذهول:

_لا أصدق...إنها هي يا جدي!!

أطرق برأسه للحظات...وقد عجز عن كتمان انفعاله...

فاحترمت صمته الذي تعلم أنه يخفي الكثير...

قبل أن يقول هو بعد دقائق بصوت مختنق:



_عمك كمال والد ياسين كان أكثر أبنائي صلاحاً...وعندما رزقه الله بأول أبنائه ياسين عاهد الله أن يجعل لنفسه ورداً من التسبيح علي هذه المسبحة تضرعاً إلي الله أن يحفظ ذريته من بعده...وبعدها جاء عمار ثم حذيفة...ومع كل منهما كان ورده في أذكاره يزداد ...حتي حانت لحظة وفاته غدراً أمام عيني...لن أنسي أبداً نظرة عينيه وهو يناولني مسبحته هذه...وكأنه يحملني أمانة أولاده من بعده...

دمعت عينا آسيا في تأثر وهي تهمس بخفوت:

_رحمه الله.

هز قاسم رأسه وهو يقول بشرود:

_أما والدكِ فقد حسبها بطريقة أخري...كلما كانت فريدة تضع أنثي فتعيرها النساء بحرمانها من مولود ذكر ...كان هو يزرع شجيرةً علي الطريق...



ويقول هي صدقةٌ جارية لي ولبناتي...فلا ينقطع عملي وفي نفس الوقت تحفظهن من غدر الأيام...

تنهدت آسيا بحرارة وهي تشعر بقشعريرة في جسدها...ثم همست بخفوت:

_سبحان الله...عسي الله ألا يضيع معروفهم يا جدي.

قالتها وهي تتذكر ما حدث لها عندما غادرت بيت العائلة...

وستر الله الذي غشيها بعدها فلم يمسسها سوء بل علي العكس منحتها السماء أغلي هدية...

جسار !

وليست هي فقط...

جويرية التي عصمها الله من فضيحة الهرب..

وساري التي نجت من واقعة الاغتصاب..

حقاً...لقد منحتهن السماء جزيل عطاياها ببركة صلاح والدهن!!



بينما ظل قاسم يتمتم بكلمات غير مفهومة ثم عاد يهز رأسه وهو يقول بشرود:

_هذه الرؤيا تعني اقتراب أجلي...والدكِ وعمكِ يوصيانني بكم جميعاً...قبل أن ألتقي بهم لأخبرهم أنني حفظت الأمانة.

شعرت آسيا بغصة في حلقها عندما ذكر هذا الأمر فهتفت بجزع:

_أبقاك الله لنا يا جدي...لا تقل هذا!

لكن قاسم بدا وكأنه لا يراها ولا يسمعها...

هو فقط أسند رأسه علي ظهر الفراش بعد أن تناول منها المسبحة ليقول لها بشرود:

_اخرجي واتركيني الآن.

ورغم أنها كانت تشعر بالقلق عليه امتثلت لأمره صاغرة وهي تدرك بحدسها أنه يحتاج الآن للبقاء وحده...



فخرجت وأغلقت الباب خلفها برفق...

قبل أن تسيل دموعها علي خديها بتأثر وهي تشعر أن قاسم النجدي سيتخذ قراراتٍ كثيرة قريباً تخص العائلة كلها!!

=======

_هذا الاحتفال بمناسبة أول راتب لي من العمل!!!!

هتفت بها آسيا بمرح وهي تجلس مع شقيقتيها في أحد المطاعم التي دعتهم إليها...

فضحكت جويرية ضحكة عالية قبل أن تغمزها قائلة بمكر:

_اتقي الله يا "دكتورة"...هذا الراتب لن يكفي حتي نصف ثمن هذا الطعام!

ضحكت آسيا بدورها وهي تخبطها في كتفها قبل أن تقول بفخر:



_هي أثمن نقود تملكتها في حياتي.

ابتسمت ساري وهي تنظر لفرحة آسيا الجديدة علي ملامحها لتقول بتفهم:

_أنا أقدر شعورك يا آسيا...إحساسكِ بعودتك للحياة وحق الحلم من جديد...طعم النجاح بنكهة الحب لا يقدر بثمن!!

هزت آسيا رأسها موافقة...

وهي تشعر بروحها الآن تحلق فوق السماء...

سعيدةٌ هي بحق وهي تشعر أنها تسير في طريقها الجديد مدعومة بسند من الحب الذي يزيد ثقتها في نفسها أكثر وفي إقبالها علي الحياة...

هذا هو الحب الذي خُلق ليلون ملامحنا بذهبية القوة وفضية العطاء وبرونزية الاحتواء...

بعيداً جداً عن تلك المشاعر الزائفة بصدئها والتي لا تحمل أياً من هذا!!!!



بينما التفتت جويرية نحو ساري لتقول لها بنبرة عاتبة:

_وأنتِ يا ساري؟!! ألم يحن الوقت بعد لترحمي هذا المسكين حذيفة؟!!قلبي يتمزق عليه كلما رأيته.

أغمضت ساري عينيها للحظات عاجزةً عن الرد...

فهتفت آسيا بمرح مصطنع لتتجاوز الموقف:

_مسكين؟!!! حذيفة مسكين؟!!! لا أصدق هذا أبداً...دعيه يتعذب قليلاً لعله يكفر بعضاً من ذنوبه!!!

ضحكت جويرية بدورها وهي تهز رأسها في شبه رضا...

فيما فتحت ساري عينيها لتقول بصوت متهدج:

_كيف هو يا جوري؟!! كلميني عنه...أخبريني كيف يقضي يومه..هل عاد لنزواته وانفلاتاته؟!!هل يجدّ حقاً في عمله؟!!!



ثم أردفت بنبرة أكثر ارتعاشاً:

_هل يتألم بحقٍ مثلي؟!!!

تبادلت جويرية مع آسيا نظراتٍ آسفة وهما يستشعران معاناتها...قبل أن تقول الأولي بنبرة عطوف:

_هو لا يقضي الكثير من الوقت معنا في المنزل وكأنه يتعمد أن يمنحنا بعض الخصوصية...لكن ما أنا واثقةٌ منه أنه تغير حقاً...ليس فقط في سلوكه الذي صار أقرب للاستقامة...لكن أيضاً في ملامحه التي صارت مصبوغةً بوجعها وكأنه فقد أغلي من يملك.

عضت ساري علي شفتيها لتكتم دموعها ....

فأردفت جوري بغيظ واضح:

_لا أعرف لماذا تعذبان نفسيكما هكذا؟!!! الرجل يحبك وأنتِ كذلك...فما الداعي لكل هذا الألم؟!!



تنهدت ساري بحرارة دون رد...

فهزت آسيا رأسها لتقول بتفهم:

_ساري لازالت تتعثر برداء كبريائها في طريق حبها الوعر...وحذيفة كذلك...كلاهما ينتظر الخطوة الأولي من الآخر.

لوحت جوري بكفها في عدم اقتناع هاتفة باستهزاء مرح:

_كلام فارغ!!!!

ثم أسندت ذقنها علي راحتها لتهمس بهيام:

_وهل هناك أجمل من لقاء حبيبين بعد افتراق؟!!!

ضحكت آسيا بانطلاق وهي تضرب أحد كفيها بالآخر...

بينما اكتفت ساري بابتسامة واسعة وآسيا تهتف باستنكار مرح:



_ماذا حدث لكما في غيابي؟!!! جوري تتغزل في عمار الذي كانوا يخيفون به الصغار؟!!!

زمجرت جويرية بغضب مصطنع وهي تضم قبضتها في وجه آسيا هاتفةً:

_ماذا قلتِ؟!! أعيديها ثانية وسأشوه لكِ وجهكِ الجميل هذا حتي تعودين لجساركِ هذا بأسنانٍ مهشمة!!!

تعالت ضحكات آسيا وساري التي غلبها مرح الحوار هي الأخري...

خاصةً وقد غطت آسيا علي شفتيها بأحد كفيها قبل أن ترفع الآخر في وجه جويرية كإشارة استسلام...

فأعادت جوري كفها جوارها هاتفةً بنبرة تهديد:

_هكذا يكون الأدب!!!

ساعتها ضحكت ساري بخفة وهي تهز رأسها قائلةً بتهكم:



_وها هو ذا تأثير السيد عمار عليكِ...جوري الرقيقة الحالمة صارت تتعامل بالتهديد واللكمات...لا أستبعد أن تستبدلي المكتبة بتجارة السلاح!!!

تعالت ضحكاتهن جميعاً بعدها للحظات...

حتي هدأت نوبة المرح هذه لتلتفت جويرية إلي ساري قائلة بجدية هذه المرة:

_اسمعي نصيحتي يا صغيرتي...ليس أسوأ من أن يضيع الانسان حبه أو عمره...وأنتِ الآن تضيعينهما معاً!!!

أطرقت ساري برأسها دون رد...

فأردفت جويرية بنبرة أرق:

_طالما رآكِ حذيفة جاريةً منحوها له دون جهد...والآن تحررتِ أنتِ من قيد الجواري...فأريهِ عشق الحُرّة كيف يكون!!!

=====



عادت جويرية إلي شقتهما الصغيرة بعد تناولها الغداء مع شقيقتيها لتجده ينتظرها علي أريكة الصالة...

فابتسمت بحب وهي تندفع نحوه لتجلس علي ساقيه وتطوقه بذراعيها لتهمس بين قبلاتها التي نثرتها علي وجهه:

_افتقدتك يا عماري...افتقدتك جداً جداً.

ضحك ضحكة طويلة وهو يضمها إليه أكثر قبل أن يبتعد بوجهه لينظر لعينيها قائلاً بحنان:

_وأنا أيضاً افتقدتك هذه الساعة...لكن لا يهم...أنتِ تبدين سعيدة!

أراحت رأسها علي صدره وهي تهمس بشرود حالم:

_جداً يا عماري...لم أحظَ بهذا الشعور منذ فترة طويلة...أشعر أن قلبي صار متخماً بالحب...



عودة آسيا لحضن العائلة واستقرارنا بعد انتهاء قصة الثأر هذه ورجوع حمزة الذي كان فاتحة الخير للجميع...

ثم رفعت إليه عينيها لتردف بهيام:

_وأنت وحبك الذي منحني أمان العمر كله...كل هذا كثيرٌ عليّ!!

احتضن وجهها بين راحتيه يقربه لوجهه أكثر قبل أن يهمس بحرارة:

_لا شئ كثيرٌ عليكِ أنتِ...أنتِ الجورية التي خلقت للحب وخلق الحب لها....أنتِ امرأةٌ قضيت نصف عمري أعشقها ونصفه الآخر أخشي أن أفقدها...هل تعلمين؟! أحياناً أستيقظ من نومي جواركِ لأتأمل ملامحكِ بتفحص مجنون وكأنني لا أصدق بعدُ أنك حقاً بين ذراعيّ... أنتِ الحلم الذي أرهقني حتي تحقق...فلما تحقق كان أروع من الخيال!!



ابتسمت بسعادة خالصة وهي تمرغ وجهها في صدره...

فامتدت أنامله تزيح عنها حجاب رأسها برفق...

لتقع عيناه علي ندبة رقبتها التي تركها السكّين ذاك اليوم الذي اعترفت له فيه بكل الحقيقة...

فضمها إليه أكثر وهو يلثم مكانها بشفتيه بعمق قبل أن يهمس بصوت مرتعش:

_سأبقي طوال عمري أعشق ندبتكِ هذه...ليتها لا تزول من مكانها أبداً..رغم أنني ليلتها كدت أموت قلقاً وخوفاً عليكِ من أن تؤذي نفسك...لكنني لن أنسي اعترافك ذاك أبداً...

تأوهت بضعف وهي تدفن وجهها في طيات قميصه أكثر ليصله همسها ذو الدلال الذي لا تجيده معه سواها:



_هل كان يجب أن يسيل دمي أمامك حتي تصدق؟!

مد أنامله الخشنة يتلمس موضع ندبتها برقة بالغة وهو يرد عليها بهمسه الحار المفعم بصدقه:

_فداكِ دمي وروحي يا جوريتي!!

تطلعت إلي عينيه اللتين كانتا تبرقان الآن كنجمتين في ليل بلا قمر...

وهي تشعر بحبه كرداءٍ منحه لها القدر بعد طول عُريٍ وبرد...

هل هذا هو ما يفعله بنا الحب عندما نعطيه فيرتد إلينا أضعافاً مضاعفة...؟!!!!

فيحيي بنا الأحلام التي ظننّاها قد ماتت...

وينبت لنا جناحين من نور نحلق بهما في سماءٍ لا تعرف نهاية....

ويزين ملامحنا بأطياف ملونة تعوضنا عما ضاع قبله من أيام باهتة؟!!!!



ظل الحديث يدور بين عينيهما طويلاً حتي رفعها من خصرها ليقف ويجذبها من يدها نحو غرفتهما...

حتي توقف بها أمام خزانة ملابسهما ليفتحها لها قبل أن يستخرج منها ثوباً ملفوفاً بورق شفاف لامع..

فشهقت بانبهار وهي تتناوله منه لتستخرجه هاتفةً بعد لحظات من الدهشة:

_يا إلهي...إنه نفس ثوب زفافنا الذي...

قطعت عبارتها وهي تغمض عينيها بقوة متحاشيةً الحديث عن تلك الذكري البغيضة...

لكنه استشعر ألمها فغمغم برفق حمل بعض أسفه:

_لقد طلبتُ منهم أن يصنعوا واحداً مثله خصيصاً لنا...

فتحت عينيها وهي تبتسم بشحوب محاولةً تدارك تلك الغصة في حلقها لتهمس بعد فترة:



_ولماذا لم تشترِ واحداً آخر؟!

أطرق برأسه صامتاً للحظات ...قبل أن يهمس :

_أولاً...لأنني كنتُ مهووساً بجمالكِ فيه...لم أتصوركِ إلا به.

ضمت الثوب لصدرها بقوة وهي تتطاول علي أطراف أصابعها لتقبل وجنته هامسةً:

_وثانياً؟!

نظر إليها طويلاً بفيض عاطفته الذي كان محملاً الآن بالكثير من الندم للحظات طويلة...

قبل أن يهمس :

_كنت أريد أن أمحو من ذهنكِ هذه الذكري تماماً!!!

ابتسمت في تأثر وهي تضع الثوب جانباً...لتتعلق بذراعيها في عنقه هامسةً بدلال:



_قل لي سامحيني ...وسأسامحك!

رفع أحد حاجبيه باستهجان وهو يضمها إليه بعنف حتي تأوهت بقوة وهو يقول لها بخشونة:

_ألا تريدين أن أقبل يدك أيضاً؟!!!

ضحكت ضحكة طويلة قبل أن تغمز له بعينها هامسةً بغنج:

_لو طلبتها جوريتك فستفعلها لأجلها ...لكنني لن أفعلها.

خبطها بجبهته في جبهتها ببعض القوة فتأوهت من جديد لتهتف بعدها بمرح:

_حسناً...أنا التي سأعتذر وسأقبل يديك أيضاً!!!

اختلط صوت ضحكاتهما معاً للحظات...

قبل أن يسألها هو بجدية هذه المرة وسط نظراته التي رفعتها لأعالي سماوات العشق:

_حقاً سامحتِني؟!!



أومأت برأسها إيجاباً ببطء قبل أن تهمس بحرارة:

_أنت مزقت ثوباً لكنك أصلحتَ عُمراً...اغتصبت جسداً لكنك أحييتَ روحاً...فكيف لا أسامحك؟!!

====

_حذيفة؟!! لا أصدق نفسي!!!!ماذا تفعل هنا؟!!

هتفت بها تلك الفتاة بدهشة ممتزجة بميوعتها وهي تدخل للمركز الذي يديره الآن...

فالتفت نحوها ببعض الحرج وأنظار بعض الحضور تتوجه نحوه...

لكنه ظل جالساً علي مكتبه يرمقها ببرود يجيده حتي اقتربت منه بدلال اصطبغت به خطواتها قبل كلماتها:

_هل نسيتني بهذه السرعة؟!!



أطرق برأسه للحظة ثم عاد ينظر إليها نظرة زاجرة ناقضت برود صوته بعدها:

_عفواً...هل التقينا من قبل؟!

ضحكت الفتاة ضحكة طويلة ثم غمزته قائلةً بخبث:

_مادمت نسيت فسأتركك حتي تتذكر وحدك.

مط شفتيه باستياء واضح وهو يشعر بالاشمئزاز...

إنه يذكر هذه الفتاة بالذات جيداً ...فقد قضي أكثر من شهرين يحاول إيقاعها في حبائله حتي نجح...

لكنه زهدها كالعادة بعدها ليبحث عن صيدٍ جديد...

وقد كان هذا بالطبع قبل بداية تعلق قلبه بساحرته العنيدة التي طمست بعشقها آثار كل النساء قبلها...

استغفر الله بصمت عندما تذكر هذا وهو يجدد عهده علي توبته...

ثم قال لها بنبرة جافة :



_باشمهندس(......)في الغرفة الجانبية سيساعدكِ فيما جئتِ لأجله.

رمقته الفتاة بنظرة غيظ واضحة من نفوره قبل أن تغادره بخطواتٍ سريعة نحو الغرفة التي أشار إليها...

فزفر بقوة وهو يتشاغل بشاشة حاسوبه التي أدارها نحوه بحيث لا يراها سواه...

ثم تلاعبت أنامله بالأزرار حتي ظهرت له صورتها التي يخفيها في إحدي ملفاته الخاصة...

ابتسم ابتسامة حانية وملامحها الملائكية رغم بساطتها تبدو له وكأنها تغسل روحه من دنس ماضيه كاملاً...!!!

أغمض عينيه للحظات يسترجع آخر مرة رآها في حفل عقد قران حمزة...



وحبه الذي كان يلون حدقتيها رغم محاولتها الواهية للتظاهر بالبرود...

واحمرار وجنتيها الذي فضح له تأثيره الذي لازال قوياً عليها كما يثق تماماً...

يقولون أن الرجل يزهد في المرأة عندما يوقن من عشقها له...

فما باله هو كلما ازداد يقيناً من غرامها الصادق به...كلما تعلق بها أكثر...وخاف من فقدانها أكثر...؟!!!

ربما ..لأنه إلي الآن يدرك أنه -مع سواد خطايا ماضيه-لا يستحقها...!!!

وربما لأنه يعلم أنه لن يصادف أبداً امرأة مثلها...

امرأة شطره سيف حبها نصفين ثم أعاد وصلهما ليبعثه من جديد...!!



امرأة جرحته بأشد ما تكون القسوة...وداوته بأرقّ ما يكون الحنان...!!

امرأة قاتل نفسه لأجلها...لكنه عجز عن قتالها هي...فانهزم أمام عقلها الذي ألقاه طريداً خارج أسوار مدينتها وحده في العراء...!!

امرأة يقسم أنها لن تكون إلا له مع أنه يعلم أنها تقسم لنفسها كل يوم ألا تكون !!

هي التي عشقته كما لا يمكن أن تتقن امرأة سواها...

وجرحته كما لا يمكن أن تفعل امرأة سواها...

وأخفت دواءه في طيات ثوبها متحديةً أن يجد لنفسه شفاءً إلا بين ذراعيها!!!

_حذيفة!

فتح عينيه ببطء عندما سمع همسها المبحوح باسمه ليجدها فجأة أمامه..



وكأنما قفزت من أفكاره !!!

ظل ينظر إليها للحظات وكأنه يتأكد أنها حقيقية قبل أن يتمالك نفسه ليغلق شاشة حاسوبه بسرعة...

ثم يقول لها بنبرة متحفظة جاهد نفسه كثيراً كي يستحضرها:

_أهلاً يا ابنة عمي...تفضلي بالجلوس.

تلفتت حولها لصالة المركز التي كانت خاليةً الآن إلا منهما لتقول له ببعض الارتباك:

_لماذا أري المكان خالياً؟! هل انتهي وقت العمل؟!!

سحب عينيه من علي ملامحها بصعوبة ليفتح أحد الأدراج متظاهراً بالانشغال وهو يقول ببساطة مصطنعة:

_المكان مزدحم لكن الغرف مغلقة .

أومأت برأسها في تفهم ثم التفتت إليه لتسأله بنبرة ذات مغزي:



_هل أسألك أنت علي طلبي...أم أسأل "الباشمهندس" في الغرفة الجانبية؟!!

رمقها بنظرة طويلة متفحصة قبل أن يبتسم ابتسامة جانبية وهو يدرك أنها قد شهدت موقفه مع تلك الفتاة منذ دقائق...

ثم اقترب بجذعه ليستند علي المكتب مقتنصاً نظراتها بهيمنة لا يجيدها معه سواه...

فابتسمت رغماً عنها وهي تطرق برأسها لتصلها همساته الخفيضة مشتعلةً بمشاعره رغم برودها الظاهر:

_لا طبعاً...أنتِ ابنة عمي...يجب أن تكون لكِ معاملةً خاصة.

لكنها تصنعت الجدية علي ملامح وجهها الذي رفعته نحوه لتسأله بلهجة عملية:



_دورة(......)...أحتاجها في تخصصي...أريد أن أعرف كم يوماً ستستغرقه حتي أنسق مواعيدي.

أخفي ابتسامته بمهارة وقلبه يكاد يتواثب فرحاً...

ساري جاءته بقدميها بعدما منحها حريتها تتذرع بشئ وهمي...!!!

وهذا يعني أن عقلها الذي طالما كان عدوه الحقيقي قد بدأ يرضخ لرغبة قلبها...

ومن يدري...ربما يتصالحان معاً في نهاية الطريق فتريح نفسها وتريحه من هذا الصراع الذي أرهقهما معاً!!!

لهذا قام من مكانه ليتوجه نحوها قائلاً بجدية تامة متحاشياً النظر إليها:

_تعالي معي إلي المهندس المسئول.

ظلت جالسةً مكانها تنظر إليه بتردد..



قبل أن تستخرج من حقيبتها زجاجة عطر ملفوفةٍ بورق وردي لامع وعليها بطاقة صغيرة مكتوبٌ عليها:

_إلي الوردية في رقتها...البيضاء في نقائها...السوداء في غضبها...والزرقاء في سحرها...إلي الشفافة التي عبرت حياتي كالطيف فامتلكتني... وغادرتها كالروح فقتلتني.

تجمدت ملامحه تماماً وهو يقرأ الكلمات المكتوبة علي البطاقة ...

قبل أن يقول ببرود تام:

_لطيف...مباركٌ لكِ العطر وصاحبه!

انعقد حاجباها تماماً كلسانها وهي تقوم من مكانها ببطء قبل أن تجد القدرة لتسأله بصوت متقطع من فرط دهشتها:



_هل تعني أنك.... أنت لست مرسلها
؟!!!.ظننت...أقصد...اليوم عيد ميلادي...

قطعت عبارتها بارتباك وعيناها تدوران في المكان بشرود حائر!!

لقد وجدت هذه الهدية ملصقةً علي مقدمة سيارتها عندما نزلت من البيت في الصباح الباكر...

وكل ما دار في ذهنها وقتها أن حذيفة هو من أرسلها لها بمناسبة عيد ميلادها ...

خاصةً وقد وعدها من قبل أن يهديها عطراً يليق بها لا تغيره أبداً!!!

شعرت بالخيبة تملؤها وقتها مع هذا البرود الذي احتله كاملاً وهو يرد عليها:

_ومنذ متي كنت أرسل لكِ هدية في عيد ميلادك؟!!
لا أذكر أنني فعلتها من قبل!!!



أومأت برأسها وهي تشعر ببعض الإهانة من كلماته مع بروده رغم يقينها من أنه يتصنعه...

فأطرقت برأسها للحظات تتمالك بعض قوتها...

قبل أن تتوجه نحو سلة للمهملات هناك وهي تهمّ بإلقاء هديتها...

عندما لحق بها ليمسك معصمها فيمنعها قائلاً بنفس البرود:

_لماذا؟!

رفعت رأسها للسقف متحاشية النظر إليه لتقول له بحزم:

_لو كانت منك فأنا جئت لأردها...ولو كانت من غيرك فلا حاجة لي بها...

ظل ينظر لعينيها طويلاً وإبهامه يداعب معصمها في كفه بحركته الأثيرة لديها...



لتبث لها عيناه فيضاً من غرامه المضفّر بعتابه....

وبينما كانت كل ذرة في كيانها تذوب فيه عشقاً واشتياقاً...

كانت كلماته جامدة وهو يعاود حديثه:

_خسارة!!العطر يبدو ثميناً...

ثم ضغط علي حروفه بلهجة ذات مغزي :

_ويليق بكِ كما تستحقين!!

ازدردت ريقها ببطء وهي تدرك عما يتحدث...

لو لم يكن حذيفة مرسلها فهو بالتأكيد بلال....

لهذا زفرت بضيق قبل أن تخفض بصرها عنه هامسةً باقتضاب:

_أخبرتك ألا حاجة لي فيه!

ابتسم ساعتها ابتسامة حقيقية مكللةً ببعض الخبث



وعيناه تدوران في المكان ليتأكد من خلوه...

قبل أن يحتضن كفها بالزجاجة في يدها بين راحتيه ليرفعهما معاً إلي شفتيه في قبلة عميقة ارتجف لها جسدها كله...

قبل أن يهمس بنبرة دافئة:

_كل عام وأنتِ...."بخير"!!

تضرجت وجنتاها بحمرة خجلها وهي تكاد تقسم أنها سمعت بقلبها- دون أذنيها- كلمة "حبيبتي" التي استبدلها ب"بخير" ....

نعم ...قرأتها بعينيه حتي ولو بخل بها لسانه...!!

فأطرقت برأسها خجلاً ليميل عليها هامساً جوار أذنها:

_يا ابنة عمي!

رفعت رأسها إليه أخيراً بعد لحظات وهي تنتبه



لنفسها...فابتعدت عنه وهي تسحب كفها منه بعن...

قبل أن تتلفت حولها هاتفةً بحدة :

_ومادمت أنت من أرسلها...فلماذا تنكر؟!!

تراقص حاجباه بمكر وهو يهز كتفيه قائلاً:

_أنا لم أقل أنني من أرسلها.

كزت علي أسنانها بغيظ وهي تكاد تقسم أنها له...

الماكر يتلاعب بها!!!

والمصيبة...أنها مستمتعة بهذه اللعبة رغم غيظها!!!!

لهذا تحركت لتضع الهدية علي مكتبه بعنف هاتفة بحنق :

_تصرف فيها بمعرفتك...لا أريدها.

لكنه كتم ضحكته التي ود لو يفلتها الآن...ليعود لصوته بروده وهو يقول بجدية مصطنعة:



_حسناً...كما تريدين...هيا بنا لأعرفكِ علي المهندس الذي سيكون مسئولاً عنكِ.

====

جلس حذيفة علي مكتبه في المركز يتطلع لساعته بقلق...

سمع صوت الرعد بالخارج فزفر بقوة وهو يكاد يجزم أنها لن تأتي في موعدها اليوم مع هذا الطقس السئ!!

لقد اعتذر غالبية العاملين معه...

والمركز الآن خالٍ إلا منه...

لكنه مع هذا أصرّ علي البقاء حتي موعدها ...لعلها هي الأخري تأتي!!!

فهي لم تخلف موعد محاضراتها هنا منذ أول مرة...



وقد بدا وكأنها تتخذها مجرد ذريعة لتلتقيه وتتحدث معه....

لهذا أدرك بشعوره أن شيئاً ما بها قد تغير وأن صراعها الداخلي بشأنه ربما أوشك علي الاندثار...!

قام من مكانه ليتوجه إلي ذاك الركن هناك حيث تناول الغلاية الكهربائية ليحضر له مشروباً دافئاً...

ضغط زر التشغيل ثم وقف أمام النافذة الزجاجية لينفث زفير فمه في الزجاج أمامه...

ثم ابتسم بحنين بالغ وهو يمد سبابته ليكتب اسمها علي البخار المتكاثف أمامه...

مستعيداً إحدي ذكرياتهما صغاراً عندما كان يفعل هذا معها وهي بعد طفلة ليثير انبهارها الطفولي به...

اتسعت ابتسامته وهو يستعيد بعض ذكرياته الأخري معها وقلبه يكاد ينفطر اشتياقاً...



ليس هناك أجمل من عشق يتأرجح بين طفولة المرء وشبابه...

فيجمع براءة وسحر الأولي ...وقوة وعنفوان الثاني!!!

ليزيد وثاق القلب بحبالٍ لا مرئية لكنها أصلب ما تكون...

وأدوم ما تكون!!!

ظل شارداً في الفراغ أمامه للحظات

حتي سمع صوتها خلفه:

_كنت تكتبها "سوسو"...وليس"ساري"!!!

التفت نحوها بحدة متبيناً ابتلال ملابسها بفعل المطر مع احمرار أنفها ووجنتيها الشديد....

قبل أن يبتسم وهو يشيح بوجهه متجاهلاً عبارتها ليقول ببرود مصطنع:



_ظننتكِ لن تأتي في مثل هذا الطقس!

ضمت ياقتي معطفها تلتمس بعض الدفء وهي تقول ببرود مماثل رغم ارتعاش صوتها برداً:

_ولماذا بقيت أنت؟!! المركز خالٍ علي ما يبدو!

هز كتفيه بلا معني وهو يتجاوزها ليصب لنفسه كوباً من القهوة قبل أن يسألها :

_تشاركينني القهوة؟!

أومأت برأسها إيجاباً فصب لها كوباً معه ...

ناوله لها برفق قبل أن يعود للجلوس علي مكتبه لتجلس هي أمامه متلفتةً حولها وهي تقول:

_لم يتبقّ لي سوي محاضرة واحدة هنا قبل أن أنتهي من دورتي...

أومأ برأسه متظاهراً بالبرود وهو يتحاشي النظر إليها كعادته مؤخراً معها....



مع هذه الوخزة التي شعرها في قلبه ...

فقد كانت هذه المحاضرات ذريعتها للقائه هنا...

ولا يدري كيف سيمكنه رؤيتها بعد ذلك...

فالحمقاء العنيدة لازالت تكابر...

وهو لن يزيدها بعنادها إلا عناداً!!!!

لكنها عادت تنظر إليه لتقول بتردد:

_كنت أتمني لو أنتهي من هذه المحاضرة اليوم قبل سفري .

عقد حاجبيه وهو يرفع رأسه إليها قائلاً بحدة:

_أي سفر؟!

أطرقت برأسها وهي تجيبه بهدوء:

_ياسين ورقية سيسافران إلي لندن للعلاج برفقة حمزة ومارية...وجدي أذن لي بالسفر معهم.



ازداد انعقاد حاجبيه وهو يعاود سؤالها بنفس النبرة الحادة:

_ولماذا تفعلين؟!

ظلت مطرقةً برأسها دون رد للحظات...

قبل أن ترفع إليه وجهها لتنظر لعينيه المشتعلتين قائلةً بأسي:

_أريد الابتعاد عن كل شئ هنا حتي تصفو أفكاري...أحتاج لاتخاذ قرارات كثيرة دون ضغوط.

ضاقت عيناه بتفحص وهو يقول من بين أسنانه:

_عمار أخبرني أن بلال الهاشمي طلبك من جدي من جديد...هل هذه هي القرارات التي تريدين اتخاذها؟!!

زفرت بقوة ثم أشاحت بوجهها عنه لتقول بحزم:

_لقد أبلغتُ جدي برفضي لبلال.



ارتخت ملامحه بعض الشئ وإن حافظ صوته علي جفافه وهو يسألها باستهجان:

_لماذا؟!هو الآخر لا يليق بكِ ولا تأتمنينه علي نفسك؟!

أصابتها عبارته بسهم ندم غادر فقامت من مكانها لتتناول حقيبتها قائلةً دون أن تنظر إليه:

_مادمتَ تتحدث بهذه الطريقة فالأفضل أن أنصرف!!

قالتها وهي تعطيه ظهرها بالفعل فقام واقفاً ليهتف بصرامة:

_اجلسي!

ظلت واقفةً تعطيه ظهرها للحظات عندما أردف هو خلفها بنفس النبرة الصارمة:

_اجلسي لنكمل حديثنا أولاً!!



أطاعته في استسلام غريبٍ علي طبيعتها المعهودة ...فقرّب منها كوب قهوتها قائلاً بنبرة أكثر رفقاً:

_اشربيها قبل أن تبرد.

احتضنت الكوب بين كفيها تلتمس منه بعض الدفء وهي تتحاشي النظر إليه فعاد يسألها بإصرار وعيناه تطوقان ملامحها بتفحص:

_لماذا رفضتِ عرضه؟!

تنهدت بحرارة ثم قالت ببعض العتاب:

_لا تتذاكي عليّ يا حذيفة...أنت تعلم أنني لن أتزوج رجلاً وقلبي معلّقٌ بآخر!!

ابتسم ابتسامة شاحبة وهو يعود بظهره للوراء قائلاً بسخرية مريرة:

_نعم...ذاك الآخر الذي لن تتزوجيه لأن عقلك لا يرتضيه!!!



تناولت رشفةً من كوبها وهي تنظر للفراغ أمامها قائلةً بشرود:

_لا داعي لهذا الكلام الآن...أنا سأترك كل هذا خلفي...لعلني أتمكن من التفكير دون ضغوط.

كز علي أسنانه بغضب وهو يكاد يمنع نفسه بصعوبة من تحطيم رأسها...

رأسها الذي هو سبب كل معاناتها ومعاناته معها...!!!

لو كان الأمر بيده لجذبها من كفها الآن لأقرب مأذون قسراً وهو يعلم أن جزءاً بداخلها يتمني هذا مثله وربما أكثر...!!!

لكنه عاهد نفسه منذ زمن أن يتركها هي تأخذ طريقها نحوه خطوة خطوة...

لهذا سيصبر معها للنهاية فهو يعلم أنها مهما ابتعدت لن يكون لها مستقرٌ إلا بين ذراعيه!!!!



وبهذه الفكرة الأخيرة كظم غيظه وهو يقول لها ببرود لم يخفِ غضبه المشتعل:

_كما تشائين...حظاً سعيداً يا ابنة عمي.

رمقته بنظرة عميقة طويلة وكأنها تودعه...

قبل أن تقوم من مكانها لتقول باقتضاب وقد ساءتها ردة فعله الباردة:

_سأعود غداً لتلقي آخر محاضراتي هنا!!

تظاهر بالتشاغل بشاشة حاسوبه إمعاناً في إثارة غيظها وهو يقول ببساطة مصطنعة:

_أنا مسافرٌ غداً...لكن لا بأس ...لا حاجة لكِ بوجودي...العاملين هنا سيقومون معك بالواجب.

ابتلعت غصة حلقها وهي تضع كوبها علي المكتب أمامه لتهمس بعاطفة لم تستطع مداراتها:

_أراك علي خير!



رمقها بنظرة مشتعلة بغضبه المكتوم ثم نظر نحو النافذة للحظات...

قبل أن يقول دون أن ينظر إليها:

_لقد طلعت الشمس وتوقف سقوط المطر...يمكنكِ الانصراف الآن!!

====

كانت تركب جواره السيارة عائدين إلي المزرعة ورأسها مستريحٌ علي كتفه تنظر للطريق بشرود...

فقبّل رأسها بحنان هامساً:

_فيمَ شرودكِ يا حبيبتي؟!!

رفعت إليه عينيها بابتسامة عاشقة قبل أن تهمس بهدوء:

_في كل مرة أعود معك إلي المزرعة أحمل هم العم كساب ...كم أتمني لو ينتهي حلمه بتحقيقه كما كان



يحلم...لكنني أعرف أن أمي لن توافق...هذا بالطبع بعيداً عن تسلط جدي !!

هز رأسه وهو يقول بتعقل:

_بعض الأحلام خُلقت لتبقي أحلاماً...مجرد خيال عاقر لن يتمخض يوماً عن حقيقة!!

تنهدت بحرارة وهي تهز رأسها نفياً لتهتف باعتراض:

_لا...لا أتفق معك...المرء لابد أن يطارد حلمه مادام في صدره نفسٌ يتردد...إنه عمرٌ واحد...حياةٌ واحدة...فلماذا نضيعها؟!!

ربت علي رأسها برفق وهو يرمقها بنظرة جانبية ليقول بعدها بحنان لا يخلو من إعجاب:

_صغيرتي الثائرة لازالت مشبعةً بحماسها...لكن الواقع كثيراً ما يقيد أحلامنا !!



هزت رأسها بعدم اقتناع ثم قالت لتغير الموضوع:

_كيف حال ياسين؟!! عندما حدثني آخر مرة علي الهاتف كان صوته باكياً...هل هو ضائقٌ بوحدته دوني؟!

هز رأسه نفياً وهو يقول ببساطة:

_لا ...لقد بدأ يعتاد الأمر...خاصةً أنه لم يعد الآن وحده...نغم ابنة عمة سمية أتت للإقامة معنا في المزرعة بصورة دائمة بعد وفاة والدتها.

اتسعت عيناها بصدمة وهي ترفع رأسها عن كتفه بذهول...

ذهول تحول إلي غضب شديد وهي تهتف بحدة لم تتعمدها:

_كيف هذا يا جسار؟!! ودون علمي؟!

أوقف السيارة علي جانب الطريق ثم التفت نحوها قائلاً بغضب مكتوم:



_أخفضي صوتكِ يا آسيا...منذ متي تحتدين عليّ بحديثك هكذا؟!!

أشاحت بوجهها في ضيق دون رد...

فأردف موضحاً:

_نعم فقدت وظيفتها قبل وفاة والدتها...وبعد وفاتها لم يعد لها أحد...وأنا لن أتخلي عنها أبداً...إنها لم تكن قريبة سمية فحسب...بل كانت صديقتها أيضاً.

التفتت نحوه بحدة وهي تحاول التحكم في نبرات صوتها لتسأله بتوتر:

_وأين ستقيم؟!

صمت للحظات ثم قال بضيق:

_لم أجد لها مكاناً سوي الغرفة الخارجية .

عقدت ساعديها أمام صدرها وهي تسأله بعصبية ساخرة:



_ونحن أين سنقيم؟!!! مادامت غرفة سمية لن تكون إلا لسمية..وغرفتي الخارجية أخذتها قريبة سمية؟!!

كانت تضغط علي كلمة "سمية"في كل مرة بتهكم غارق بمرارة شعورها...

فانعقد حاجباه بغضب وهو يهتف بها :

_طريقتك في الحديث عن الأمر لا تعجبني...

لوحت بكفها وقد أثارها غضبه أكثر لتهتف بدورها:

_وطريقتك في إدارة حياتنا لا تعجبني كذلك...إلي متي سأظل أنا هامشاً في الظل ينتظر ما بقي منك كي يلتقطه؟!!

زفر زفرة مشتعلة وهو يشيح بوجهه عنها...

فدمعت عيناها وهي تشعر بالإهانة وهو ما جعلها تقول له بحزم:



_لازلنا في بداية الطريق يا جسار...عد بي إلي المدينة لمنزل عائلتي حتي تجد لي مكاناً في بيتك!

خبط بقبضته علي المقود وهو يقول بغضب:

_افهمي حقيقة الوضع أولاً قبل أن تثوري هكذا...الطابق الجديد الذي أبنيه لنا أوشك علي الانتهاء...ساعتها لن تكون هناك مشكلة في إقامة نغم معنا...سنحتمل هذا الوضع فقط مؤقتاً لبضعة أيام!!

هزت رأسها وهي تهتف بانفعال:

_هذه ليست المشكلة الوحيدة في بقائها في المزرعة؟!! كيف تريدني أن أقبل وجود امرأة أخري معك في نفس المكان وفي غيابي أنا؟!!!

كز علي أسنانه بقوة وقد تجمدت ملامحه للحظات...

قبل أن يقول ببطء ضاغطاً علي حروفه:



_كما قبلتُ أنا إقامتك مع حبيب طفولتك في نفس البيت وفي غيابي أيضاً!!!

اتسعت عيناها بصدمة وقد ألجمتها كلماته فلم تجد رداً...

بينما أشاح هو بوجهه وهو يعيد تشغيل السيارة لينطلق بها من جديد ...

وقد عجز كلاهما عن إكمال هذا الحوار...

حتي وصلا إلي المزرعة ليستقبلهما العم كساب وياسين الصغير بترحاب كبير أضاع بعضاً من شحنات التوتر بينهما...

والتي عادت مضاعفةً عندما قدمت نغم بدورها للترحيب بآسيا!!

آسيا التي لم تتقبل وجود نغم هنا...

ليس فقط من باب غيرتها علي جسار...



ولكن من ذكري سمية التي تشعر أنها لازالت تسيطر علي جسار بجنون...

لهذا صافحت نغم ببرودٍ لم تحاول إخفاءه...

قبل أن يحيط جسار كتفيها بذراعه ليدخل بها إلي غرفة ياسين الصغير فيغلق بابها خلفه ثم نظر إليها هامساً بعتاب:

_إذا كنتِ تضيقين بوجود امرأة أخري هنا في غيابك...فلا تغادرينا!!

أطرقت برأسها دون رد ...فرفع ذقنها إليه مردفاً بنفس النبرة العاتبة:

_إذا كنتُ أنا أحتمل هذا الوضع لأجلك...لأجل أن تحققي حلمك...ألا تحتملين أنتِ لأجلي؟!

امتلأت عيناها بالدموع لكنها لم تسمح لها بالانهمار وهي تضغط علي شفتيها بقوة...



عندما أكمل هو حديثه بنفس النبرة العاتبة:

_هل عرفتِني رجلاً يتخلي عن أحدٍ يحتاجه؟!!فما بالكِ لو كانت قريبة سمية؟!!!

وضعت كفها علي صدرها وهي تهمس بألم:

_وأنا ؟!! ألا تهتم بمشاعري وسط وفائك العظيم هذا؟!! هل يجب أن أموت مثلها كي تشعر بما أعانيه؟!!

لم تكد تكمل عبارتها حتي جذبها بقوة ليعتصرها بين ذراعيه هاتفاً بحدة:

_اسكتي...إياكِ أن تنطقيها ثانية!!!

ارتجف جسدها بدموعها التي هطلت أخيراً كسيلٍ سخي فابتعد بوجهه ليمسح دموعها بأنامله قائلاً بضيق:

_الأمر لا يستحق كل هذا يا آسيا...لماذا تضخمين الأمور هكذا؟!!



أغمضت عينيها بألم فعاد يضمها من جديد محاولاً احتواء ارتجافتها ليربت علي ظهرها بعدها هامساً برفق:

_حسناً...اهدئي الآن...واستريحي من عناء الطريق ...وبعدها نتفاهم علي مهل!!

================

استيقظت من نومها بعد وقتٍ ما لتجد نفسها وحدها في غرفة ياسين الصغير...

تلفتت حولها بتفحص ثم قامت لتبدل ملابسها وتغادر نحو الخارج...

لم تحاول البحث عن جسار فقد كانت تريد أولاً خلوةً مع أفكارها ...

قادتها قدماها نحو الاسطبل لكنها عدلت مسارها قبل أن تصل عندما رأت نور الغرفة الخارجية التي كانت لها -قبل نغم- مضاءً...



توجهت نحوها بحذر عندما وجدت النافذة نصف مفتوحة وعلي الفراش كان ياسين الصغير جوار نغم التي كانت تحتضنه بحنان قائلةً:

_نم يا صغيري ...لقد وعدتني أن تنام بعد الحكاية!!

تذمر الصغير وهو يهتف بغضب طفولي:

_حكايتك قصيرة...آسيا حكاياتها أطول...لماذا لم تتركيني أنام معها؟!

ضحكت نغم ضحكة رائقة ثم قالت بتعاطف:

_آسيا متعَبة من السفر...

تأفف الصغير وهتافه الساخط يعلو أكثر:

_لماذا تتركونني جميعاً؟!! في البداية أمي ثم آسيا وأنتِ أيضاً تقولين أنكِ سترحلين.

ضمته نغم بحنان وهي تقول بحزن غزا ملامحها:



_لا تغضب حبيبي...آسيا لم تتركك..هي ترحل مضطرة للعمل لكنها تعود إليك عندما تستطيع.

رفع الصغير رأسه إليها قائلاً:

_وأنتِ؟!!الماذا تتركينني؟!!ألم تقولي لي يوماً أن العيش وحدكِ أمرٌ مؤلم؟!

انقبض قلب آسيا عندما سمعت هذا وهي تتبين -لتوها- مدي معاناة نغم الحقيقية...

فتراجعت لتختفي بجسدها أكثر عندما ربتت نغم علي وجنة الصغير بحنان ثم قالت بشرود:

_والعيش هنا أكثر ألماً!!!

اكتفت آسيا بما سمعته منها فكتفت ساعديها مبتعدةً بخطواتٍ متثاقلة نحو الاسطبل...

حيث حصانها المفضل جسار هناك...

مسدت علي ظهره برفق قبل أن تحتضن رقبته بذراعيها هامسة:

_افتقدتك يا جسار.



قالتها وهي تغمض عينيها مسندةً رأسها علي رقبته للحظات...

تحاول التفكير ببعض الحيادية...

هي تثق بجسار كثقتها بنفسها تماماً...

ونغم حقاً ليس لها أحد ...

وهي تعرف أن شهامة جسار ستمنعه التخلي عنها مهما حدث!!!

لكنها رغماً عنها لازالت تشعر بعدم الاستقرار...

ظروف عملها ودراستها التي تستدعي غيابها عنه...

مع كل تلك الظروف المعقدة والمتشابكة التي قابلتهما منذ ارتباطهما والتي تشعرها بالتذبذب...

ورغماً عنها وجدت نفسها تشعر ببعض الذنب نحو جسار...

هو تحمل هذا الوضع لأجلها فقط...



ولأجل أن يفي بوعده معها لتحقق نجاحها الذي ترجوه...

فهل من الإنصاف أن تمنعه عن مساعدة فتاة في ورطة إكراماً لذكري الغالية الراحلة؟!!!

قطعت أفكارها عندما شعرت بكفيه علي خصرها من الخلف وهمساته الدافئة تداعب أذنها:

_"جسار"يغار من "جسار"..علي حضن حبيبة "جسار"!!

فكت ذراعيها من علي الحصان لتلتفت نحوه بابتسامة عاشقة فأدارها نحوه لينظر لعينيها هامساً بحنان:

_نمتِ جيداً؟!!

أومأت برأسها إيجاباً...ثم خفضت بصرها عنه لتهمس بتردد مشوب بالخجل:



_أنا آسفة علي انفعالي...أنا فقط كنت...

قاطعها بسبابته علي شفتيها قبل أن يسحبها من كفها ليعود بها إلي غرفة الصغير ...

وما إن أغلق بابها خلفه حتي استخرج من جيبه علبة صغيرة فتحها أمام عينيها المترقبتين ليتناول منها دبلة ذهبية وضعها في إصبعها ثم همس لها بعدها بما يشبه الاعتذار:

_لقد نسيت أمرها طوال هذه الفترة.

منحته أجمل ابتساماتها قبل أن تهمس بحب:

_ما بيننا لا يحتاج لهذا...اسمك منقوش علي قلبي قبل خاتمك.

تنهد بحرارة وهو يستخرج الدبلة الأخري من العلبة...



لينظر إليها نظرة طويلة لم تفهمها وإن شعرت أنها تخفي الكثير من عميق شعور غامضٍ يكتسحه...

خاصةً عندما رفع لها كفه هامساً بحزم:

_اخلعي دبلة سمية وضعي دبلتك مكانها!

اتسعت عيناها بصدمة وهي تنظر إليه بذهول لا تكاد تصدق ما سمعته...!!!

جسار يطلب منها أن تنزع دبلة سمية بنفسها؟!!!

رمشت بعينيها للحظات تحاول استيعاب دهشتها...

قبل أن تنقل بصرها بين دبلة سمية في إصبعه والأخري في يده للحظات...

لتزدرد ريقها بعدها ببطء وهي ترفع إليه عينيها من جديد هامسةً:

_لماذا؟!



أغمض عينيه يخفي عنها حديثهما قبل أن يهمس بعاطفة صادقة:

_إذا كان هذا سيرضيكِ وينزع من رأسكِ هواجسه!!

ظلت تنظر إليه مبهوتة للحظات...

ففتح عينيه ليرمقها بنظراتٍ عاشقة لم يخطئها قلبها وهو يومئ لها برأسه مشجعاً...

فرفعت كفه لتتلمس دبلة سمية بتردد...

قبل أن تبدأ في نزعها من إصبعه ببطء...

لكنها توقفت عند اللحظة الأخيرة ...

لتعيدها مكانها بحسم قبل أن تلبسه الدبلة الجديدة فوقها!!!!

فابتسم بحنان غارقٍ في عاطفته وكأنه كان يتوقع فعلتها ...



عندما رفعت هي إليه عينيها لتهمس بصوت متهدج:

_سمية جزء من جسار الذي عشقته بكل ذرة في كياني...فكيف أنزع بيدي جزءاً منك؟!

ساعتها لم يشعر بنفسه وهو يجذبها إليه بقوة ليلصقها بصدره قبل أن يغمر وجهها كله بقبلاته الحارة ثم همس بعدها أمام عينيها الدامعتين:

_أحبك يا آسيا...وكم أتمني لو تشعري بحبي حقاً كما أراه بقلبي!!

هزت رأسها بتأثر ليقترب بوجهه أكثر هامساً بين شفتيها :

_إياكِ أن تشكّي به أبداً...أبداً...أبداً...

ظل يرددها بين قبلاته الحارة التي أذابتها عشقاً وقلبها يترنح ثملاً بين ضلوعها بنشوة العشق التي غلفت روحها الآن ...



حتي رفعت عينيها إليه بعد نوبة غرامٍ طويلة...

بنظراتٍ ما عادت تحمل خوفاً ولا شكاً...

بل يقيناً صارخاً بحب ليس كمثله حب...!!!

حب خُلق ليبني لا ليهدم...

ليُسعد لا ليشقي...

ليكمل طريقاً ...لا ليقطعه!!!

لهذا لم يكن غريباً أن توجهت -بنفسها- صبيحة اليوم التالي لغرفة نغم....

حتي أقنعتها -بإخلاص- أن تبقي هناك معهم!!!

=========



الخاتمة:

جلس كساب في غرفته يحتضن قلادتها "العزيزة" بين راحتيه مستعيداً ذكرياته معها...

والتي تبدو قصيرة بعد كل هذا العمر لكنها ثريةٌ حقاً بكل ما منحته له من مشاعر لم تكن يوماً لامرأة سواها...

غريبٌ هذا الحب الذي يتملك أرواحنا فيفقدنا الإحساس بمذاق العمر...

لتهون أمام نشوته الأيام والساعات ...

وترخص جواره غوالي الليالي...!!

طرقاتٌ خافتة علي باب غرفته قاطعت أفكاره...



لتدخل بعدها آسيا بابتسامة واسعة وهي تنتبه لما يفعله فتقول بحنانٍ ممزوج بإشفاقها:

_كيف حالك يا عمي؟!

ابتسم وهو يقول بشرود:

_كيف حالها هي؟!

تضاءلت ابتسامتها وهي تشعر بمدي أساه لعجزه عن تحقيق أمنيته ..فصمتت قليلاً ثم قالت ببعض الأمل:

_ألا يمكن أن تفاتح جدي في الأمر من جديد؟!

كانت تعلم أن قاسم النجدي ليس هو العائق الوحيد بينهما ففريدة نفسها لن توافق علي الأمر...

العادات والتقاليد والأعراف والسن ..كلها تقف أمام هذا الحب...

لكنها تعجبت عندما التفت نحوها من شروده ليهمس بابتسامة يائسة:



_أنا كنت أعلم أن طلبي سيُرفض ...تماماً كما أعلم علم اليقين أنها أبداً لن توافق...لكنني فقط فعلتها حتي لا ألوم نفسي فيما بعد...على أنني لم أبذل آخر ما أستطيع كي أفوز بها.

دمعت عيناها في تأثر وهي تشعر بمدي معاناته...

ورغم عدم اقتناعها بكل هذا فهي تري أن الحب كالموت...كلاهما لا نختار موعده ومكانه...

ولا يعترف بعمر أو زمن...

لكنها بدأت تستسلم لرأي جسار ...

بعض الأحلام خُلقت فقط لتبقي كذلك...

مجرد خيال عاقر لن يتمخض عن حقيقة!!

لهذا صمتت طويلاً احتراماً لمشاعره...حتي قال هو ليغير الموضوع:

_ألازلتِ تضيقين بوجود نغم هنا؟!!



انعقد حاجباها بدهشة وهي تسأله:

_من أخبرك بهذا؟!!جسار؟!

اتسعت ابتسامته وهو يقول لها مشاكساً:

_لا أحتاج لمن يخبرني...يكفيني منظركِ المتجهم عندما عندما عدتِ لتجديها هنا..لقد أوشكتِ علي نفث النيران من فمك ك"تنّين " ثائر!!!!

تعالي صوت ضحكتها المرحة للحظات قبل أن تهمس بعتاب مرح:

_أنا تنين يا عمي؟!!

ضحك بدوره وهو يربت علي كتفها قائلاً:

_نعم...حورية البحر الحسناء التي قلبت كيان ابن أخي تعرف كيف تتحول ل"تنين" غاضب متي تريد!!

تنهدت بحرارة ثم قالت بشرود:



_لا بأس يا عمي...أنا ذهبت لها بنفسي وطلبت منها البقاء هنا !!

ارتفع حاجباه بدهشة للحظة ثم ارتسمت ابتسامة إعجاب علي شفتيه وهو يقول بفخر:

_ابنة فريدة !!

تعالي صوت ضحكاتها من جديد ليشاركها ضحكها هو الآخر...

قبل أن ينظر في عينيها قائلاً بجدية هذه المرة:

_أنا أعرف ما يدور برأسك ويحرم قلبكِ راحته...لكن بعض الجروح لا دواء لها إلا الزمن...فامنحيه فرصته!

=====

وقفت رقية وحدها أمام حوض الزهور التي أسمتها باسمه في أول لقاء لهما وهي تراقب الأفق بشرود...

لقد تحدد موعد السفر...



وبرغم لهفتها وترقبها لهذه الرحلة التي قد تنتهي بتحقيق حلمها الذي صار أغلي ما لديها الآن....

لكنها تشعر بانقباض قلبها خوفاً من أن تعود خائبة!!!

تنهدت بحرارة وهي تتحسس بطنها بكفها تتخيل طفلاً لها منه...

بجبينه الوضاء وعينيه اللتين احتكرتا بحار حنان العالم كاملةً وحصرية...

وملامحه التي ما عادت ترى سواها على كل الوجوه!!!

لترتسم ابتسامةً حالمة علي شفتيها وهي ترى طفلهما بعين خيالها يجري هنا وسط الحديقة بخطواته المتعثرة ...

أو يصفق بكفيه مع ضحكة خلابة بسنيّتيه الأماميتين الوحيدتين في فمه...



أو يحبو علي أربعٍ وهو يرمقها بنظراته المشاكسة...

أو حتى يبكي وهو يتعلق بها لترضعه....

وكم يبدو الحلم رائعاً شهياً...لكنه يبقي مجرد حلم...!!!!

وضع يده علي كتفها فالتفتت إليه من شرودها لتبتسم قائلة:

_أهلاً ياسين...متى عدت؟!

ابتسم بحنانه الرائق وهو يمسح دموعها العالقة بين رموشها بأنامله هامساً :

_بيني وبين قلبك عهدٌ ألا تسيل دموعك إلا علي صدري.

اتسعت ابتسامتها الشاحبة وهي تلقي رأسها علي صدره هامسة بالحقيقة التي تخفيها عن الجميع إلا عنه هو...:

_خائفة يا ياسين!



ضمها إليه بقوة وهو يكاد يخفي رأسها بين ضلوعه ليرد بكل ما أوتي من قوة وحنان:

_الخوف لا يليق بمليكتي رقية...قولي أنكِ فقط تنتظرين الأفضل.

مرغت وجهها في صدره وهي تتأوه بقوة قبل أن ترفع عينيها إليه هامسة :

_كلما اقترب موعد السفر أشعر أنني علي وشك السقوط في هاوية الأمل من جديد...نعم...الأمل أقسى من اليأس أحياناً لأنه يدفعنا لطريق طويل من الانتظار...

ربت علي رأسها برفق ثم همس بتعقل:

_أحسني الظن في الله يا غاليتي فهو سبحانه عند ظن عبده به...حدسي يخبرني أننا لن نحصد سوى الخير في النهاية.



صمتت للحظات ثم رفعت عينيها إليه لتهمس بتأثر:

_شكراً يا ياسين...لقد كنت نعم السند لي بعد أبي.

ابتسم وهو يقبل جبينها بعمق ثم ابتعد عنها قليلاً ليقتطف إحدي تلك الزهور المميزة...

ثم وضعها في راحتها مطبقاً أناملها عليها كما يفعل كل مرة منذ علم سر تسميتها لها...

فابتسمت بعاطفة جارفة وهي تضم الزهرة أكثر في راحتها هامسة بحرارة:

_رقية تحتضن "قلب ياسين".

هز رأسه نفياً وهو يلامس شفتيها بأنامله مصححاً:

_بل "قلب ياسين "دوماً بيد رقية!!

لم يكد يتم عبارته حتي رن هاتفه في جيبه فقبلها بخفة ثم تناوله ليرد علي الاتصال قبل أن يغلقه بعد دقيقة واحدة وقد تغضنت ملامح وجهه بقلق...



فاشتعلت ملامحها بقلق مماثل وهي تسأله بترقب:

_ما الأمر يا ياسين؟!

زفر بقوة ثم عاود ضم رأسها لصدره وهو يرد بدهشة مشوبة بتوجسه:

_إنه حمزة!!جدي يريدنا جميعاً عنده الآن!!

========

التفت العائلة كاملة حول فراش قاسم النجدي الذي كان مستنداً علي ظهره الآن ينتحل القوة التي بدأ الشيب والمرض ينالان منها...

وهو يرمق الجميع بنظراته المتفحصة العميقة قبل أن يقول بصوته المسيطر رغم ضعفه:

_هل ظلمت أياً منكم؟!!

تبادل الجميع نظراتٍ مكتظة بالتردد والدهشة...

ليظلل الصمت المكان للحظات...



قبل أن تهتف آسيا بشجاعة :

_نعم يا جدي...ظلمتنا جميعاً!

شهقت فريدة بعنف وهي ترمقها بنظرات حانقة فهي -بالكاد- حصلت علي رضا النجدي الكبير بعد فعلتها الأخيرة...

لكن آسيا أردفت بنفس النبرة الواثقة:

_أنت منحتنا حبك واهتمامك بل وعمرك أيضاً...لكنك سلبتنا أعمارنا في المقابل...نعم يا جدي...لو سُرقت من المرء حريته فماذا بقي له من عمره؟!!

صمت الجميع صاغرين أمام منطقية ما تقول...

بينما ضاقت عيناه هو وهو يقول بنبرة غريبة:

_ألا تلاحظين أنكم سرتم في نفس الطريق الذي اخترته لكم من البداية ؟!!جويرية عادت برغبتها



لعمار الذي زعمت أنها تزوجته غصباً....وساري هي التي اختارت حذيفة من البداية رغم وجود ابن الهاشمي كبديل أفضل...وياسين خالف أوامري تشبثاً بامرأته التي تزعمون أنني أجبرته علي الزواج منها ...كلكم انتهيتم إلي ما أردته أنا من البداية...فعلامَ تلومنني؟!

تنهدت آسيا بحرارة ثم قامت من مكانها لتجلس علي طرف فراشه قائلة بهدوء:

_الفارق في حرية الاختيار يا جدي...إحساس كل منا أنه ليس مجرد أداة في يد غيره...ربما تكون علي حق في أنك اخترت لنا الأصوب والأفضل من البداية...لكن القيد يبقي قيداً حتي لو كان من ذهب!!

أطرق قاسم برأسه للحظات...

عندما تقدم حمزة ليجلس علي طرف فراشه الآخر قائلاً بحزمه الحنون:



_أنت وتد هذه العائلة يا جدي...ولا أحد فينا يشك ولو مثقال ذرة أنك لا تريد الخير لنا...لكن آسيا علي حق ...لو كنتَ منحتنا أنت حرية اتخاذ القرار تحت كنف رعايتك ...لما كنا سنصل لهذه المرحلة من الشتات والفرقة.

أغمض قاسم عينيه وهو يرفع رأسه لأعلي قائلاً بشرود:

_لو جربتم شعور فقدان الابن لأدركتم لماذا كنت أفعل هذا...أنتم جميعاً أمانتي التي عشت عمري فقط لأؤديها علي أكمل وجه.

عاد الجميع يتبادلون النظرات المتباينة...

ما بين الامتنان والإشفاق والحيرة...

حتي قالت راجية بنبرة متوسلة:



_أستحلفك بالله يا عمي...ردّ إليّ أولادي...عسي ألا ينفرط عقد العائلة وأنت علي ظهر الأرض!!

ظل قاسم مغمضاً عينيه للحظات أخري طويلة...

قبل أن يفتحهما ليلتقط من تحت وسادته تلك المسبحة التي رأتها آسيا في رؤياها والتي كانت لعمها والد ياسين...

فتطلعت إليه عيون الجميع بترقب...

عندما ناولها لحمزة قائلاً بحزم:

_هذه مسبحة عمك...أنت تعرف قصتها...أنا حفظت أمانتها طيلة هذه السنوات...واليوم أمنحها لك لتكون الأمانة لك من بعدي...فهل ستقوى عليها؟!

صمت الجميع مع تألق الدموع في العيون كلها...

وقد بدا الأمر وكأنه -حقاً- وصية وداع...

النجدي الكبير أدرك الآن بحق أن غايته النبيلة لا تبرر لعنف الوسيلة.



وأن حمزة برفقه الحازم هو القطب المضاد لشريعته هو القاسية...

حمزة الذي ازدرد الآن ريقه ببطء وهو يدرك بشعوره الخاص بجده معني ما يفعله الآن...

ومقدار ثقله علي عاتقهما معاً...

لكنه سيكون علي قدر المسئولية ...

لهذا تناول المسبحة من جده ليقبل يده بعدها باحترام قبل أن يقول بحب صادق:

_أطال الله لنا عمرك يا جدي...أعدك أننا دوماً سنكون يداً واحدة مهما حدث...

ابتسم قاسم النجدي ابتسامة ارتياح لم يعرفها منذ زمن بعيد ....

لتختلط عاطفته لأول مرة بهذا الوضوح مع تجاعيد وجهه الذي ارتخى بسكينة وهو يدور بعينيه في وجوه الجميع...



حتي تقدم كل من ياسين وعمار وحذيفة ليضع كل منهم كفه -تباعاً- علي كف الآخر فوق يد حمزة الممسكة بكف جده لتنتهي الصورة ببنيان مرصوص من كفوف متماسكة تعاهدت علي حفظ كيان العائلة...

مهما طال الزمن ومهما اشتدت الكروب...

فما بُني علي باطل فهو باطل...

وما بُني علي قناعة...فهو إلي قيام الساعة....!!

=========

تململت في نومها عندما شعرت بلمسة شفتيه الرفيقة علي وجنتها لتشعر به بعدها يغادر فراشهما ببطء

...

فتحت عينيها بصعوبة لتراه وهو يخرج من الغرفة ببطء حذر كي لا يوقظها...

فتنهدت بحرارة

وهي تدرك مبتغاه...



منذ انتقلا إلي طابقهما الجديد الذي بناه خصيصاً لهما وهو يخصص جزءاً من وقته ليلاً لغرفة سمية...

وعندما تسللت في إحدي الليالي خلفه لترى ما الذي يفعله هناك...صُدمت بما طالعته عيناها...

فقد كان...يصلي!!!

ليلتها ظلت تراقبه حتى انتهى ليرفع يديه بدعاء صامت...

وعندما سألته عن ذلك أخبرها أنه عاهد نفسه علي أن يخصص ركعتين من صلاة الليل للدعاء لسمية في غرفتها...

ورغم أنها كان من المفترض أن تشعر بالغيرة وقتها لكنها لم تملك مع كل ذاك الإخلاص الذي كان يتحدث به إلا أن تزداد فخراً وعشقاً لهذا الرجل الذي لن يتكرر...



رجلٌ يتضافر عنده الحب مع الرجولة والوفاء
ليصنعوا معاً أروع مزيج...!!

قامت من نومتها لتنفض عنها غطاءها ثم توجهت إلي حمام غرفتهما الصغير لتغسل وجهها وقد أدركت أنها لن تنام من جديد بسهولة طالما قلقت في نومها...

خرجت بعدها من غرفتهما لتهبط الدرج نحو الطابق السفلي ثم اتخذت طريقها لتطمئن علي ياسين الصغير في غرفته بعدما ألقت نظرة عميقة علي غرفة سمية التي كانت مضاءة كما توقعت...

رفعت الغطاء علي الصغير الذي كان قد رفسه بقدميه عنه كالعادة...

ثم قبلت جبينه بعمق قبل أن تجلس علي طرف الفراش جواره تطالع السقف بشرود...

لقد حققت حلمها كما تمنت بمساعدة جسار الذي لم يبخل عليها بدعمه...



وها هي ذي تثبت خطواتها في طريقها الذي اختارته للعمل والدراسة...

وعلي عكس ما كانت تشعر به من نفور نحو وجود نغم هنا لكنها حقاً كانت خير عونٍ للجميع في غيابها...

وكأن القدر اختار هذا التوقيت بالذات لوفاة والدتها كي تكون جوار ياسين الصغير في تلك الأيام التي تتغيب فيها آسيا بسبب ظروف عملها...

أفاقت من شرودها عندما لمحته يدخل مبتسماً إلي الغرفة ليلقي نظرة مطمئنة علي الصغير...

قبل أن يتناول كفها ليجذبها نحوه برفق كي لا يوقظه ...

ثم سار بها إلي صالة البيت حيث استقر جوارها علي الأريكة ليهمس بحنان:

_لماذا استيقظتِ الآن؟!



ابتسمت وهي تربت علي وجنته هامسةً بدورها:

_لقد أقلقتني أنت بقبلتك وأنت تعرف أنني عندما أقلق لا أعاود نومي بسهولة...فادفع ثمن خطئك.

ضحك ضحكة قصيرة ثم ضمها إليه بقوة وهو يهمس بخبث:

_وأي ثمنٍ يساوي أرق أميرتي؟!

أراحت رأسها علي كتفه للحظات ثم رفعت عينيها إليه لتهمس بدلال :

_نحن لم نلعب"الشطرنج" منذ وقت طويل...اشتقت لأن أغلبك.

داعب وجنتها بأنامله وهو يلتقط نظراتها التي طالما فتنت روحه لترتسم ابتسامة حملت كل عشقه علي شفتيه اللتين انسابتا علي وجنتها بنعومة للحظات...

ثم همس بعينين لامعتين:

_ولو غلبتكِ أنا؟!!



ضحكت وهي تميل رأسها لتهمس بلهجة متحدية:

_لا يا سيد جسار...صغيرتك "الجديدة" ما عاد يغلبها أحد!

تعالت ضحكاته صافية منطلقة هذه المرة قبل أن يغمر وجهها بقبلاته المشبعة بحنانه الخالص...

ثم همس أمام عينيها بصدق:

_نعم...هذه هي الصورة التي أتمنى أن أراكِ عليها دوماً..ملكة حقيقية تعرف قيمتها وقدرها.

تأملته بنظرات ممتنة للحظات...

قبل أن ترفع كفه إلي شفتيها لترد بكل ما أوتيت من عاطفة:

_ملكةٌ لم تكن لترتفع علي عرش أحلامها دونك...بعض الحب كحبال مهترئة تخذلنا وقتما نتعلق بها...وبعض الحب كجسور قوية تمنحنا الثقة للعبور بأمان...

=======



جلس حذيفة علي الأرجوحة القديمة هناك علي السطح وهو يراقب السماء التي تزينت ببدرها الكامل وحوله رعاياه من نجومه الملتمعة بسحرها في هذا الوقت من الليل...

مد قدميه أمامه في استرخاء مشبكاً أنامله علي صدره وهو يستعيد ذكرياته معها هنا...

ببراءة طفولتهما تارة...

وعنفوان عشقهما تارة أخري...

ليخفق قلبه بصدره بجنون وهو يلعن غباءه الذي جعله يفرط فيها...

لكنه -وللحق-ليس نادماً!!

لقد كانت هذه فرصة القدر الذهبية لكليهما حتى يتأكد من مشاعره...

وبرغم ارتياحه الشديد لعودته لمنزل العائلة لأسباب كثيرة ليس القرب

منها أولها ولا آخرها...



لكنه كان بحاجة حقاً للابتعاد عن سلطان آل النجدي حتى يجد نفسه الحقيقية...

وحتى يذوق حلاوة الاجتهاد لأجل ما ينفع بعدما أضاع جُلّ عمره في اللهاث خلف شهوات نفسه فحسب!!

والآن هو يشعر بالرضا عما وصل إليه... ليس فقط في عمله...

بل في علاقته بها...

رغم أنها لاتزال متشبثة بجدران صمتها وعنادها لكنه يعرف -وربما يأمل- أن تعترف قريباً بحاجتها هي الأخرى له دون قيود!!

زفر بقوة وهو لايزال مغمضاً عينيه عندما تذكر أن موعد سفرها سيكون غداً ...

العنيدة ستهرب من قلبها ككل مرة!!!



قطعت أفكاره عندما سمع صوت خطواتها المترددة ففتح عينيه ليراها تتقدم نحوه محتضنةً دميتها كالعادة وقد بدت متفاجئةً بوجوده هنا الآن!!

وقفت مكانها للحظات تنظر إليه نظرة غريبة مزجت كل مشاعرها المختلطة نحوه...

ندمٌ وعتابٌ ورجاءٌ وأسفٌ وحيرةٌ وألمٌ ودعوة للابتعاد تتلوها ألف دعوة بالاقتراب!!

ولم يكن قلبه العاشق ليفوت دعواتها هذه رغماً عن كبريائه...

لهذا بادلها نظرتها بنظرةٍ أكثر عمقاً وهو يتسلح بصمته للحظات ...

قبل أن يقول بهدوء مشوب بعتابه:

_هل تريدين الجلوس معي هنا أم تفضلين أن أغادر لتكوني علي راحتك؟!!



أطرقت برأسها للحظة ثم حسمت أمرها لتكمل خطواتها نحوه حتي جلست علي طرف الأرجوحة الآخر محافظةً علي مسافةٍ مناسبة بينهما لتهمس بعد فترة صمت طويلة دون أن تنظر إليه:

_أنا سعيدةٌ بعودتك إلينا !

ابتسم بخبث وهو يلاحظ نبرتها المتحفظة التي يعلم أنها تداري بها طوفاناً من مشاعر طالما أغرقهما معاً...

ليعتدل في جلسته مسنداً ذراعه بطوله علي ظهر الأرجوحة ثم همس وعيناه تحتضنان عينيها بعاطفة :

_وأنا أسعد بعودتي...إليكم!

دمعت عيناها بتأثر وهي تحاول السيطرة علي دقات قلبها التي شارفت علي الجنون الآن...



لتهرب بصعوبة من سجن عينيه وهي تتلفت حولها هامسةً بصوت مرتعش:

_لماذا جئتَ إلي هنا ؟!

اتسعت ابتسامته وهو يسحب منها دميتها برفق ليتلمس وجه الدمية بأنامله ببطء حانٍ...

قبل أن يهمس وهو يتشاغل عنها بدميتها:

_أنا أعشق هذا المكان...هدوءه ودفأه...سكينته وحميميته ...أجمل ذكريات طفولتي...و...

قطع عبارته عامداً ثم صمت قليلاً...

فهمست تستحثه علي إكمال عبارته:

_وماذا؟!

رفع عينيه إليها بنظراته التي اشتعلت بوميض عشقه وهو يردف بحرارة:



_وأول مرة اعترفتُ أنا بحبي دون وعي...وأول مرة سمعت كلمة "حبيبي" ممن كنت أعشقها.

شعرت بروحها تنسحب منها وعيناها تطاردان حمائم الشوق السارحة بفضاء عينيه ...

ثم ازدردت ريقها الجاف بتوتر والخوف يزرع بذوره في عينيها الدامعتين لتهمس بعتاب:

_كنت؟!

أشاح بوجهه دون رد...فعادت تلح بسؤالها بوجل:

_كنتَ ...يا حذيفة؟!!!

ظل مشيحاً بوجهه للحظات ثم عاد يلتفت إليها هاتفاً بحدة:

_ماذا تريدين الآن ؟!

لم يكد يتم عبارته حتي انقطع التيار الكهربائي فجأة ليسود الظلام حولهما نوعاً إلا من ضوء القمر ونجومه ...



شهقت ببعض الخوف وهي تهمس بارتباك:

_لابد أن أعود لشقتنا الآن.

قالتها وهي تقوم من جواره فقام بدوره قائلاً بخشونة:

_لن تستطيعي نزول الدرج في هذا الظلام...اجلسي..أظنني أستطيع الحفاظ عليكِ أم أنكِ لازلتِ لا تأتمينني علي نفسك؟!

ضغطت علي شفتيها بتوتر ثم عادت لتجلس في إجابة واضحة علي سؤاله...

هي لم تعد تخافه بل علي العكس هي الآن تثق أن أمانها لن يكون إلا معه...

أما هو فقد جلس جوارها ليسألها بلهجة جافة تداري اشتعال حواسه بشعوره الجارف بها:

_هل ستسافرين غداً حقاً؟!



تنهدت بحرارة ثم غمغمت بتردد:

_نعم...وكنت أريد أن أطلب منك توصيلي للمطار .

ابتسم بسخرية وهو يتبين ملامحها بصعوبة في الضوء الخافت ليسألها بتهكم:

_ولماذا أنا؟!حمزة وياسين سيكونان معك.

انخفض صوتها أكثر وهي تهمس بصوت أكثر انخفاضاً:

_ظننتك أنت من ستسعي لهذا دون طلب مني.

أخفت الظلمة احتقان وجهه الشديد وهو يرد عليها بغيظ لم يستطع كظمه:

_لا يا ابنة عمي...لم أعد ذاك الأحمق الذي يطاردكِ دون كلل...افعلي ما يرضي عقلك الكبير الذي لا يخطئ أبداً!!

صمتٌ ثقيل مشحونٌ بمشاعر مختلفة ظللهما بعد عبارته الساخطة...



حتي قطعته هي بقولها:

_معك حق...سأفعل ما يرضي عقلي.

ثم غمغمت برجاء خفي:

_لا أريد أن أسافر وأنت ناقم علي!

قذف دميتها ليضعها بينهما هاتفاً بحدة:

_لن أريح ضميرك يا ساري...نعم أنا ناقمٌ عليكِ وسأبقي كذلك حتي تعودي إليّ بقدميكِ دون ضغوط...فتحملي ذنب قلبك وقلبي...مادام عنادك هو سيد قرارك.

عاد التيار الكهربائي في هذه اللحظة ليغشي النور المفاجئ عينيهما للحظات...

قبل أن يقوم من جوارها ليردف بحزم:

_تصبحين علي خير.



قالها وهو يغادرها بخطوات مندفعة فتبعته بسرعة وهي تناديه عدة مرات...

لكنه لم يلتفت إليها وهو يشعر أنها تمادت حقاً في عنادها اللعين...

فتسارعت خطواتها أكثر حتي وقفت أمامه لتهتف بانفعال:

_حذيفة قف واسمعني...هل تظن الأمر حقاً بهذه السهولة؟!!!أن أحبك كل هذه السنوات دون أمل ودون اقتناع بقيمة هذا الحب ؟!!!...أحبك وأعرف أنني سأكون لك في النهاية ومع هذا لم أكن راضية بهذا القدروفي نفس الوقت أتمناه؟!!!هل تعلم عن عدد الليالي التي قضيتها أحلم بك وأنت في أحضان امرأة أخري غيري؟!!عن صلاة الفجر التي كنت أخصك فيها بدعائي لأسمع صوت خطواتك بعدها علي السلم عائداً من إحدي سهراتك الماجنة؟!!!



عن كرامتي التي كنت تهدرها كل مرة تنظر فيها إليّ عيناك ولا تراني؟!!عن إحساسي الدائم معك بعدم الأمان؟!!عن شعوري تلك الليلة التي كدت أفقد فيها شرفي كتصفية حساب لمجونك القديم؟!!

كان وجهه يزداد احتقاناً مع كل كلمة منها حتي وصلت لعبارتها الأخيرة فكور قبضته بقوة أمام وجهه وهو يهتف بانفعال:

_ولم تسألي نفسكِ عن شعوري أنا وقتها وأنا أراني سبباً في أن يصيبك مكروه ؟!!عن رغبتي الصادقة في التوبة لأستحق فتاة مثلك لا تبرح تكرر أنني لا أليق بها؟!!عن ذبحك لقلبي يوم واجهتِ أنتِ جدي بأنك لا تأتمنينني علي نفسك؟!عن جرحك لرجولتي في كل مرة تصرخين فيها أنني الوغد الذي تكرهين نفسكِ لأنها معلقةٌ به؟!!

أغمضت عينيها بألم ممتزج ببعض الندم...



كم تود الآن لو تخبره أنها حسمت صراعها بشأنه...

أنها حقاً تحبه الآن بكل جوارحها...

لكن كبرياءها اللعين لازال يمنعها!!

بينما أردف هو بصوت أهدأ هذه المرة:

_كلانا جرح صاحبه لكنني علي الأقل اعترفت بذنبي تجاهك بينما أنت...

قطع عبارته دون أن يكملها مكتفياً بتأمل ملامحها بأسف مشوب بعاطفته...

ففتحت عينيها ببطء لتلتقط نظراته الفياضة بمشاعره...

لتهمس بعدها بتردد:

_حذيفة...أنا...

دمعت عيناها بقهر حقيقي وهي تشعر بالعجز عن قولها...

أنا أحبك...؟!!!

أنا آسفة...؟!!!!



أنا أريد العودة إليك...؟!!!!

كلها كلماتٌ سهلة بسيطة لكن ما حيلتها في لسانها الذي يعاندها ككبريائها الآن؟!!!

ولما طال صمتها العاجز أمامه وشعر هو باليأس من أن تكمل جملتها...

استعاد قناع بروده لتقسو نظراته المشتعلة وهو يدفعها من طريقه ليكمل هو لها جملتها- التي قطعتها -بلهجة ثلجية:

_أنتِ ...حرة!!

====

وفي اليوم التالي كانت راكبة جواره في سيارته بعدما فوجئت به يطرق باب غرفتها ليخبرها أنه من سيقوم بتوصيلها إلي المطار...

ورغم أن هذا صدمها بعدما كان من حوارهما



بالأمس لكنها لم تستطع كتم تأثرها الفرح بمبادرته هذه...

والتي جعلتها تزداد سعادة بالمفاجأة التي أعدتها هي له...

ابتسمت ببعض الخجل وهي تختلس نظرة لجانب وجهه المتجمد جوارها وهو ينظر للطريق أمامه بتركيز...

ثم تنحنحت لتغمغم برجاء ممتزج ببعض الأسف:

_هل ستبقي صامتاً هكذا طوال الطريق؟!

اختلس نظرة جانبية إليها ثم ابتسم ليجيبها متهكماً:

_ألازالت كلماتي تجدي معك ؟!!

وخزت عبارته قلبها وهي تود لو تصرخ الآن بمشاعرها نحوه...

لكنها اكتفت بضم حقيبة يدها إلي صدرها وهي تهمس بصوت خفيض:



_حسناً...مادمت لا تريد الكلام...فأسمعني أغنيةً علي ذوقك!

زفر زفرة مشتعلة وهو يلتفت نحوها ثم قال بنبرة عاتبة:

_لازلتِ تحبين سماع القيصر أم تغير ذوقك مع ما تغير؟!

ابتسمت وهي تشيح بوجهها قائلةً لتغيظه:

_الكلمات التي تمس روحنا لا يغيرها زمن ولا ظروف!

مط شفتيه باستياء ثم تلاعبت أنامله بمشغل الأغاني في السيارة...

لتنبعث النغمات المميزة لتلك الغنوة...

قالت لكل الاصدقاء



هذا الذي ما حركته أميرة بين النساء

سيستدير كخاتم في إصبعي

ويشب نارا لو رأى شخصا معي

سترونه بيدي أضعف من ضعيف

سترونه ما بين أقدامي كأوراق الخريف

يا مستبدة

أنتِ التي أسميتها تاج النساء

إقسي على قلبي ومزقيه لو أساء

الويل لي الويل لي يا مستبدة

الويل لي من خنجر طعن الموده

الويل لي كم نمت مخدوعا على تلك المخده



الويل لي من فجر يوم ليتني ما عشت بعده

الويل لي الويل لي يا مستبدة

إني أعاني إني أموت إني حطام

حاشاكي عمري أن أفكر بإنتقام

إني لكي قلب وحب وإحترام

صبرا يا عمري لن تري دمعا يسيل

سترين معنى الصبر في جسدي النحيل

فتفرجي هذا المساء رقصي الجميل!!

كانت ابتسامتها تتسع تدريجياً مع كلمات الغنوة حتي انتهت بضحكة قصيرة عندما انتهي اللحن المميز بالصفير المعتاد...



فابتسم رغماً عنه وهو يعيد الالتفات نحوها قائلاً بعينين ملتمعتين رغم عتابهما:

_أعجبتك؟!

اقتربت بوجهها منه أكثر لترفع أحد حاجبيها هامسةً بثقة بدت له مثيرة حقاً:

_جداً...جداً!

ارتفع حاجباه بدهشة للحظة ثم أشاح بوجهه قائلاً بتسلية:

_تبدين سعيدة بتلك الرحلة...أتمني أن تكون علي مستوي تطلعاتك.

أطرقت برأسها للحظات دون رد...

قبل أن تعود لصمتها الغامض طوال الطريق بعدها...

حتي وصل بها إلي حيث سيلتقيان بحمزة وياسين



اللذين كانا علي وشك اللحاق بهما مع مارية ورقية وبلال...

وعندما توقفت السيارة فتحت هي حقيبتها لتستخرج منها مظروفاً مغلقاً ناولته له وهي تقول بعاطفتها الممتزجة بأسفها:

_لا تقرأها قبل أن أرحل!

نظر إليها نظرة طويلة غامضة لم تفهمها...

ثم تناول منها المظروف ليضعه في جيبه قائلاً بلا مبالاة:

_حسناً...كما تريدين!

ثم أشاح بوجهه قائلاً ببرود:

_لقد وصل الجميع هناك...الحقي بهم...رحلة سعيدة!

التفتت برأسها خارج السيارة حيث وقفت سيارتهم...

ثم عادت تنظر إليه وقلبها يتوسلها ألا تتركه ...



لتجد نفسها تقول بعد تردد:

_لو طلبت مني ألا أسافر فلن أفعل.

لم ينظر إليها للحظات وقد بدا في غاية البرود...

قبل أن يقول ببطء ضاغطاً علي حروفه:

_لن أطلب منكِ شيئاً بعد!!! أنتِ الآن....حرة!

ثم التفت إليها أخيراً ليلتقط نظراتها الحائرة بوهج عينيه الآسر وهو يكرر بحسم:

_حرة!!

تنهدت بحرارة وهي تومئ برأسها موافقة قبل أن تفتح الباب جوارها بتثاقل لتترجل من السيارة...

ثم عادت تنظر إليه قائلة بابتسامة عاشقة:

_أراك علي خير!

تألقت عيناه بعاطفته هو الآخر للحظات...



قبل أن يشيح بوجهه قائلاً:

_اعتني بنفسك يا ابنة عمي!!

دمعت عيناها بحيرة وهي تنقل بصرها بينه وبين السيارة هناك...

حيث كان الجميع ينتظرونها ليدخلوا المطار سوياً...

حتي حسمت أمرها لتتوجه نحوهم بخطوات ثابتة وهي تتجاهل نداءات قلبها كالعادة...!!!

أما هو فقد تابعها بنظرات متحسرة لدقائق حتي غابت عن ناظريه...

ثم استخرج مظروفها من جيبه ليفتحه فيفاجأ بشئ معدني يصطدم بأنامله...

ابتسم بجذل وهو يتبين ماهيته...

لقد كانت...دبلة جديدة له!!



قلبها بين أصابعه للحظات ثم فتح الورقة المطوية التي كانت بداخل المظروف:

_لقد أطلقت سراح جاريتك ونسيت أن قلبها سيبقي دوماً أسيرك...فإما رددتَ إليّ قلبي وإما رددتني أنا إليك...لو كان قلبك لايزال علي عهده معي فاجعلني أرَ دبلتي في إصبعك عندما أعود...قد قلتَ لي يوماً افعلي ما يرتضيه عقلك...والآن أقولها بملء روحي...أنت من يرتضيه عقلي وقلبي .

اتسعت ابتسامته العاشقة وهو يعيد قراءة كلماتها مرة تلو الأخري...

وقلبه يكاد يصرخ فرحاً...!!!

لقد قالتها ساري أخيراً...

صحيحٌ أنها -كعادتها- هربت من مواجهته بمشاعرها لكنه سيعرف كيف يقتنص اعترافها من شفتيها بقوة سلاح عشقه...!



الآن ما عاد يمنعه عنها شئ...

فليطلق مارد جنونه إذن كيفما شاء!!

وبهذا الخاطر الأخير أعاد دبلتها إلي المظروف مع وريقتها ثم وضعه في جيبه بخفة...

قبل أن يتناول هاتفه ليجري أغرب اتصال تصور أن يجريه يوماً !!!

وبعدها بما يقارب الساعة كانت هي تتخذ مكانها في الطائرة وهي تشعر بقلبها يتواثب بين ضلوعها بقوة اشتياقه...

وكل أفكارها تتمرد علي ابتعادها الأحمق هذا...

لماذا سافرت طالما اعترفت له في خطابها بأنها لازالت تريده؟!!



لماذا هربت من مشاعرها كما تفعل دوماً معه؟!!

لماذا تشبثت بأسوار كبريائها التي طالما وقفت بينها وبينه؟!!

لماذا تعاند نفسها وتعانده؟!!!

لماذا؟!!!

لماذا؟!!

قطع بلال -الذي كان يجلس الآن جوارها -أفكارها وهو يسألها بهدوء لا يخلو من حسرة:

_لازلتِ تأثمين بالدوران في فلك خاطئ؟!!

صمتت لحظة تستجمع قوتها ثم التفتت نحوه بابتسامة مشفقة لتجيبه برفق:

_النجم لا يتفلت أبداً من مداره ...وإثم الحب لا تلزمه توبة!!



أطرق برأسه في أسي وهو يزداد منها يأساً بعد يأس...عندما أردفت هي بحسم:

_اعذرني يا بلال...هو أمرٌ ليس بيدي!

أومأ برأسه في تفهم ثم اغتصب ابتسامة باهتة على شفتيه ليقول بفتور:

_أتمني لكِ السعادة التي تستحقينها!

أشاحت بوجهها وهي تستشعر الكثير من الحرج في موقف كهذا...

لتتشاغل عنه بالنظر من النافذة لوقت ما تنتظر إقلاع الطائرة بشئ من الترقب...

عندما سمعت صوته -الحبيب-يصدح جوارها :

_عفواً...هذا مكاني!

التفتت نحو الصوت بحدة عندما وجدته هو يقولها لبلال ببعض التحفز...



لكن بلال قام واقفاً ليتجاوزه إلي المقعد المجاور دون كلمة أخري تاركاً له مكانه!!!

انطلقت منها صيحة دهشة قصيرة وهي تنظر إليه بعدم تصديق قبل أن تهمس بدهشة:

_أنت ستسافر معنا؟!

مد أنامله بجرأة ليشبكها بأناملها وهو يميل علي أذنها هامساً بمكر:

_بل أنتِ التي ستسافرين معي!

توردت وجنتاها بخجل وهي تحاول سحب كفها منه لكنه تشبث به أكثر وهو يعاود همسه الحار في أذنها:

_بعد كلمات خطابك الأخير احمدي الله أني اكتفيت باحتضان كفك...لو استجبتُ لجنون قلبي الآن لكانت فضيحة!!



أشاحت بوجهها في خجل ودقات قلبها تحكي سطوراً من عشق واشتياق...

لكنه أدار وجهها نحوه بكفه الآخر ليهمس أمام عينيها بنبرة دافئة:

_لم أكن لأدعكِ تسافرين وحدك...أنا الذي حجزت التذاكر عامداً ليكون مقعدي جوارك لكنني طلبت منهم ألا يخبروكِ بسفري معكم.

اتسعت عيناها بدهشة فرفع أناملها المشتبكة بأنامله إلي شفتيه يقبلها قبل أن يهمس وعيناه تغزوان عينيها ذاك الغزو الآسر:

_هلّا ألبستِني دبلتي بنفسك؟!

ابتسمت برقة وهي تسأله بترقب:

_القديمة أم الجديدة؟!

وضع يده في جيبه ليلتقط دبلتها الجديدة وهمسه الساحر يداعب أذنها:



_القديمة كانت لجارية منحوها لسيد لا ترتضيه...لكن الجديدة لملكتي التي رفعتني جوارها علي عرشها!

اتسعت ابتسامتها وهي تتناولها منه لتلبسها له بارتباك لذيذ...

وشعورها الجديد به يملؤها بالثقة في حبهما أكثر...

ثم رفعت عينيها إليه لتهمس بعشق جارف:

_يقولون أن الأشياء تفقد قيمتها بالتقادم...فمالي أري حبك يزداد مع الأيام غلوّاً؟!

نظر إليها طويلاً في افتتان ...

ثم رفع كفها إلي شفتيه من جديد في قبلة عميقة قبل أن يهمس بحزم:

_سفرنا لن يكون مجرد رحلة...بل تمهيداً ل"شهر عسل"!!!



شهقت بدهشة وهي تنظر إليه بذهول ...

فابتسم وهو يحدثها عن مكالمته "المجنونة" التي أجراها منذ قليل...

والتي كانت ل"قاسم النجدي" نفسه!!!

نعم...لقد استأذنه في أن يعقد قرانه علي ساري في لندن أثناء سفرهما بعد موافقتها....

ورغم أنه كان يتوقع رفضاً صارماً ومجادلات كثيرة من جده...

لكنه فوجئ به يوافق بعد صمت طويل بشرط أن يكون حمزة وكيلها في العقد وأن يتم الزفاف عقب رجوعهما مباشرة...!!!

بينما كانت هي تستمع إليه مصدومة لتهمس بعد فترة:

_جدي تغير كثيراً!!



اتسعت ابتسامته وهو يضغط كفها أكثر في راحته هامساً بمكر:

_من حسن حظك...وإلا كنت سأخطفك وليكن ما يكون!

ضحكت ضحكة صافية لم يعرفها قلبها منذ زمن بعيد ثم همست بنبرة متحدية:

_لم تعد تخاف قاسم النجدي !!

هز كتفيه وهو يقترب بوجهه منها أكثر ليهمس بشقاوته المعهودة:

_شقة أمي موجودة وعملي موجود ....أم أن العروس ستتكبر عليّ؟!

تألقت عيناها بوهج عاطفتها دون رد فانعكس ضياء عشقها علي مقلتيه وهو يردف بيقين :

_لم يعد لديكِ خيارٌ يا مليكتي...أنتِ لي كما سأكون دوماً لكِ.



دمعت عيناها بفرحتها الطاغية وامتدت أناملها بتردد لتحتضن كفيهما معاً ...

قبل أن تهمس بحب:

_دوماً يا سيد العقل والقلب...دوماً !

===



*زفاف ساري وحذيفة:

تعلقت عيون الحاضرين بالعروسين اللذين ظللت وجهيهما السعادة الخالصة وهما يجلسان مكانهما علي منصة العرس...

صحيح أن البعض تبادل الهمزات واللمزات عن أسباب طلاقهما بعد عقد القران ثم تراجعهما...

لكن هذا لم يكن وحده الحادث الغريب في هذه العائلة التي شهدت الكثير من الأحداث الملتهبة في وقت قصير...

بداية من ليلة زفاف ياسين الكارثية...

ثم خبر انتحار آسيا...التي عادت للحياة بعد أشهر في ظروف غامضة لتتزوج رجلاً كان يبادل العائلة عداءها...



وفقدان شقيقتها للنطق صبيحة زفافها...

ثم استعادتها لعافيتها ...ثم طلاقٌ عقبه تراجعٌ سريع!!!!

لهذا كانت عائلة النجدي مثار حديث مجتمع مدينتهم الصغيرة التي لم تعتد هذه التغيرات السريعة!!

وفي مكانهما كان ياسين ورقية جالسين بهدوء بعدما انتهت رحلتهما في لندن على خير...

لقد قطعت رقية شوطاً كبيراً من طريق العلاج ولم يبقَ إلا النذر اليسير....

صحيح أنها كانت تطمح في أكثر من هذا...

بل إنها كانت تحلم أن تعود من سفرها وقد حملت أحشاؤها بذرة حبهما الأولى...

لكن القدر كانت له كلمة أخرى...ولعل في التأخير خير!!



نعم...لعل في التأخير خير!!

كانت هذه جملة ياسين التي كان ولا يزال يداعب بها أذنيها كلما رآها حزينة...

ورغم أنها تكاد تموت اشتياقاً لطفل...لكنها راضية على أي حال...

كفاها من هذه الدنيا ياسين وحبه...

ياسين الذي هزم شبح ضعفه لأجلها بل إنه ولد بحبها من جديد...

لهذا ابتسمت بحب وهي تحتضن ذراعه بذراعيها هامسة جوار أذنه:

_سلطانتك عاتبة عليك...لقد نسيت اليوم هديتها.

ابتسم بدوره وهو يضع يده في جيب سترته ليستخرج لوحاً كبيراً من "الشيكولاتة البيضاء" التي تعشقها ...



ثم لوح به في وجهها هامساً بمرح:

_تقصدين هذه؟!

ضحكت بسعادة وهي تتناوله منه لتهمس بدلال ممتزج بعاطفتها:

_ظنننتك انشغلت بإعدادت العرس ونسيتني!

اقترب بوجهه منها حتي ما عاد يفصل بينهما سوى أنفاسهما وهو يهمس بحرارة:

_أبداً يا غاليتي...أبداً.

توردت وجنتاها بخجلها وهي تبتعد بوجهها لتتلفت حولها هامسة باعتراض:

_ياسين!!!الناس !!

لكنه عاد يقترب بوجهه أكثر ليهمس بصدقه الذي يلمس قلبها دوماً:

_ومالي وللناس؟!!!أنتِ كل الناس!!



وعلي مائدة مجاورة كان حمزة ومارية يجلسان مكانهما...

عندما التفت حمزة نحوها ليسألها باهتمام:

_ما رأيك في طقوس الزفاف هذه؟!!تعجبك؟!!

تألقت عيناها بانبهار طفولي كعادتها وهي تريه ظاهر كفيها المخضبين بالحناء لتقول بالانجليزية كعهدها عندما تنفعل:

_خيال يا حمزة...أتمني أن يكون زفافنا مثل هذا...سحر الشرق حقاً لا يقاوم!!

ضحك بسعادة هو الآخر وهو يتلقف كفيها ليحتضنهما بكفيه قائلاً بحب:

_السحر فيكِ أنتِ يا سيدة الشرق والغرب.

ضحكت بدلال وهي تهز كتفيها لتقترب من أذنه هامسة بمكر:



_من كان يقول أن دكتور حمزة النجدي الوقور يجيد هذا الغزل؟!

تنهد بحرارة وهو يلتقط سحر عينيها الفاتنتين ليهمس بحرارة:

_لم أعرفه إلا لكِ أنتِ...قلب حمزة النجدي لم يخفق إل لماريته.

ورغم الفرحة التي تزينت بها مقلتاها ارتفع أحد حاجبيها بمكر طفولي وهي تنظر في عمق عينيه هامسةً بتحدٍ:

_وعقل حمزة النجدي؟!

تعالى صوت ضحكته الطويلة هذه المرة وهو يضغط كفيها بين راحتيه أكثر ليهمس بعد لحظات بما يشبه الاعتذار:

_ألازلتِ ناقمةً عليّ لأجل ذاك الأمر؟!!قلبك أسود يا "عروس لندن الحسناء"!!!



قال جملته الأخيرة بالانجليزية فضحكت بمرح...

ثم ألقت رأسها علي كتفه وهي تهمس بشرود:

_عندما أستعيد الآن ذكرياتنا الأولي أشعر أنك كنت هدية القدر لي كي أرسو علي شاطئ الأمان بعد طول تخبطٍ في أمواج حيرة...بين "ماري عروس لندن" و "مارية عاشقة الشرق"!!

ابتسم بفخر وهو يطالع ملامحها بإعجاب حقيقي...

كم من الرجال عشق امرأة لجمالها...فزهدها بعد حين عندما اعتادت العين هذا الجمال...

لكنه عشق مارية حقاً بكل ما فيها...

بروحها الطفولية رغم رجاحة عقلها...

وقلبها البرئ رغم نضج أفكارها...

وعاطفتها التي لا تعرف سدوداً ولا قيود...

حرة...جموح...



كخطوط الشمس في كبد السماء...!!!

وعشقٌ كهذا لا يزهده المرء أبداً بل ينقش علي الصدر كرسم علي الحجر لا يبلي أبداً!!!

وعلى منصة العروسين كان حذيفة يميل علي أذن ساري هامساً بخبث :

_هل تعلمين ما الذي أنتوي فعله بكِ هذه الليلة؟!

اتسعت عيناها بصدمة وهي ترمقه بنظرة مترقبة...

فالتقط عينيها بنظراته المتوعدة وهو يهمس بين أسنانه:

_سأنتقم من كل ما فعلتِه بي طوال الأيام السابقة!!!

شهقت بخوف حقيقي وهي تبتعد عنه بوجهها هامسة بحدة:



_حذيفة...احترم نفسك...أنا متوترة بطبيعة الحال فلا تعصبني أكثر!!

تراقص حاجباه بمكر وهو يعاود الاقتراب من وجهها هامساً ليغيظها:

_أحترم نفسي؟!!!لا يا ابنة عمي...انسي كلمة "الاحترام" هذه الليلة تماماً...هل تعلمين كم مرة أجبرت فيها نفسي علي مناداتك ب"ابنة عمي" بدلاً من "حبيبتي"؟!!!

ابتسمت رغماً عنها وهي تشيح بوجهها المحمر خجلاً...

لكنه أدار وجهها إليه ليهمس بثقة:

_مائة وثلاثون مرة!!!

ضحكت بدهشة وهي تهز رأسها هامسة :

_هل كنت تعدها يا مجنون؟!



تنهد بحرارة وهو ينظر في عينيها ليهمس بجدية هذه المرة:

_كانت تلك أقسى فترة عشتها في عمري كله...ليس فقط لأن جدي نبذني بعيداً عن العائلة...لكن لأنني كنت أذبح نفسي بسكين بارد في كل مرة ألتقيكِ فيها ولا أستطيع أن أصرخ لكِ بحبي وأنا أعتصرك بين ذراعيّ...ورغم أنني كنت واثقاً أنكِ تعانين مثلي وأنني لا أحتاج كثير ضغطٍ لأستعيدكِ...لكنني كنت أريدكِ أن تعودي حرة بكامل إرادتك.

ابتسمت بحب وهي تتطلع لعينيه قبل أن تهمس بثقة:

_حرة يا حذيفة...وبكامل إرادتي.

وبعدها بقليل جمعتهما شقتهما في منزل العائلة وحدهما لأول ليلة...

بعد انصراف الجميع...



عندما نزع عنها "طرحة زفافها" برفق ليتبعها بحجابها ...

ثم تخلل شعرها بأنامله ليهمس بعينين مشتعلتين بعاطفته:

_لدي قسمٌ واعتراف!!

ابتسمت وهي تومئ برأسها ...فأردف وهو يقبل باطن كفها:

_أقسم لكِ بحق من أصلح بكِ حالي بعد عِوج...ألا أعود لضلالي القديم.

دمعت عيناها بتأثر فضمها إليه بقوة وهو يدفن وجهه في خصلات شعرها هامساً:

_أما اعترافي...فهو أنكِ الآن بعيني...أجمل النساء!!

ابتسمت وهي ترفع عينيها إليه هامسة بعتاب رقيق:

_"المسترجلة"؟!!



انسابت شفتاه علي وجهها بنعومة وهو يضمها أكثر للحظات..

قبل أن يهمس بعينين غائمتين بعاطفته:

_أفضل النساء من هي "امرأةٌ "معي...و"رجلٌ " مع غيري!!

خفق قلبها بجنون وهي تشعر بكلماته الساحرة تذيبها في وهج عاطفته...

لتمرغ وجهها في صدره قبل أن تهمس بعد آهة طويلة:

_لم يعد حضنك غربة يا حذيفة...بل صار "وطناً"!!

=====

استيقظ من نومه ليجدها تدور أمام المرآة متفحصةً جسدها ببصرها فابتسم وهو يقوم من نومته ليتكئ علي ذراعه مواجهاً لها ليقول بخبث:



_معكِ حق...زاد وزنكِ قليلاً!!

شهقت بحدة وهي تلتفت نحوه لترمقه بنظرة مشتعلة وهي تهتف بغيظ:

_عد لنومك يا عمار ودعني لشأني...ألا يكفيني ما أنا فيه؟!!!

ضحك ضحكته الخشنة المميزة وهو يدرك سر غضبها المشتعل...

فمنذ علمت عن حملها وهي مصابة بهوس "السِمنة" ولا يكاد يمر عليها يوم دون أن تراقب وزنها علي الميزان بهلع مبالغ فيه....!!!

قام من فراشهما ليتوجه نحوها ثم احتضن ظهرها مواجهاً صورتهما أمام المرآة متحسساً بطنها بأنامله قبل أن يطبع علي وجنتها قبلة بعمق مشاعره مع همسه:



_ماذا يعنيكِ من المرآة وصورتها؟!!ألا يكفيكِ أنكِ بعيني أجمل النساء؟!!

تنهدت بحرارة وهي تطرق برأسها فضم ظهرها إليه أكثر مردفاً بنبرة أكثر رقة:

_لا تتصوري سعادتي بهذا الطفل...مهما وصفت لك شعوري فلن تفهميه.

أمالت رأسها علي صدره وهي تطالع بدورها صورتهما في المرآة لتهمس بخفوت :

_حقاً؟!!ظننتك ستعيد تقريعي علي كذبتي القديمة عندما أخبرك.

أدار كتفيها نحوه في هذه اللحظة لينظر في عمق عينيها هذه المرة هامساً بقوة عشقه القديم:

_إذا كانت التوبة تجبّ ما قبلها...فحبكِ أولَى أن يفعل!!



دمعت عيناها بتأثر وهي تسمعه يردف بنفس النبرة الذائبة:

_لقد حققتِ أنتِ لي حلم سنواتٍ تقارب عمري كله...فكيف ألومكِ علي خطيئة لحظة؟!

ابتسمت بسعادة وهي تتشبث به لتستطيل علي أطراف أصابعها فتقبل جبينه بعمق...

قبل أن تعاود تحسس بطنها بكفيها وهي تهمس بحيرة:

_ماذا سنسميه؟!

وضع كفه علي بطنها فوق كفيها للحظات...ثم قال بمكر:

_في بالي اسمٌ ما...لكن دعيني أرَ تفكيرك.

شردت ببصرها للحظات...ثم همست بتردد:

_قاسم!



اتسعت ابتسامته وهو يضمها إليه أكثر هامساً بهدوء مصبوغ بارتياحه:

_نعم يا جوريتي...أنا تمنيت حقاً أن يكون ابننا أول من يراه جدي من أبناء أحفاده حتى أسبقهم بالاسم...أنا أفهم جدي جيداً...ربما لأنني أكثر من يشبهه في طباعه كما يقولون...لهذا لم أحقد عليه يوماً...حتى عندما أمرني بتطليقك كنت أعرف أنه لا يفعلها إلا لصالحنا...وعندما قام بطردنا من هنا...كنت شبه واثق أنه لن يقوى علي خصام طويل...هذا هو قاسم النجدي الذي أعرفه...والذي أريد أن أسعده بأن أسمي ابني على اسمه.

رفعت إليه عينيها بدافق مشاعرها الحالية لتهمس بحب:

_كيف يمكنك أن تكون هكذا؟!!أن تكون بقوة الجبل ورقة الندي ؟!بصلابة الصخر وعذوبة



المطر؟!!شكراً لقدرٍ جعلك لي...أبي وأخي وصديقي وزوجي...وحب العمر الذي أرجو أن يطول فقط لأمنحه لك.

=====

وبعدها بأشهر...

تعالت صرخات جويرية مدوية داخل تلك الغرفة بالمشفى...

فهتف عمار الذي كان واقفاً بالخارج مع بقية العائلة التي تجمعت في هذا الحدث الفريد:

_ لماذا لم يتركوني أدخل معها؟! ما الذي يفعلونه بها كي تصرخ هكذا؟!!

ابتسم قاسم طارقاً بعصاه علي الأرض عدة مرات وهو يرى في عمار صورة نفسه منذ سنوات....

عندما كان ينتظر ابنه "حبيب "والد حمزة بنفس القلق ونفس الخوف...



لكنه تمالك مشاعره كالعادة ليقول بخشونة مصطنعة:

_اهدأ يا ولد...وكفّ عن جنونك هذا!!

زفر عمار بقوة وهو يخبط الجدار بقبضته دون رد...

فاقترب منه حمزة ليربت علي ظهره هامساً برفق حازم:

_تمالك نفسك يا أخي...ستكون بخير هي والصغير...

ازدرد عمار ريقه بصعوبة وهو يرفع رأسه للسماء في دعاء صامت لبضع دقائق طالت لدهور...

عندما ارتفع صوت بكاء المولود ليهلل الجميع بمرح...!!!

فارتجف جسده بحق وباب الغرفة يُفتح لتخرج الممرضة حاملةً المولود



لكن عمار ألقى عليه نظرة مشتتة ثم ابتدرها بسؤاله عن جويرية قبل أن يندفع للغرفة دون تردد...

فابتسم حمزة وهو يتناول الصغير منها برفق ليتوجه نحو جده فيقربه منه قائلاً بفرحة حانية:

_قاسم النجدي الصغير...عمار سبقنا بالاسم...وقد كنا جميعاً نطمع فيه!!

دمعت عينا قاسم وهو يزيح عصاه جانباً..ليتناول الصغير من حمزة فيضمه بين ذراعيه بحنان...

وكأنه امتلك الدنيا كلها الآن...

ثم مال علي أذنيه مؤذناً قبل أن يدعو له بالبركة...!

فاقتربت منه فريدة لتتناوله منه بدورها وهي حائرة بقلبها بين الصغير وبين ابنتها بالداخل...

لتغلبها عاطفتها نحو حفيدها أكثر وهي تتأمله بعينين دامعتين قبل أن تقول برضاها المعهود:



_الحمد لله رب العالمين ...كم يشبهك يا عمي!!

أغمض قاسم عينيه بتأثر وهو يعاود التقاط عصاه ليستند برأسه المطرق عليها مخفياً انفعاله...

لقد منحه القدر كل ما تمني وأكثر...

وها هي أمانته قد أداها على أكمل وجه...

وها هو حصاد صبره قد أتاه بأجمل مما أراد...

لقد عاش عمره يقوي جبروته ليزرع الخوف في قلوب أحفاده...

ولم يدرِ أنه كان يسلك الطريق الخطأ...

وأن طريق الحب كان هو الأقصر والأقرب...

والحمد لله أنه قد أفاق قبل فوات الأوان!!!

وفي مكانه كان حمزة يراقب الجميع بعينين حانيتين...



هذه هي عائلته التي عاد إليها أخيراً بعد اغتراب وقد قرر ألا يتركهم أبداً...

نعم...لقد أخبر مارية بقراره الأخير بشأن السفر للندن..

هو سيبقي هنا...لأن عائلته ستبقي أمانته هو بعد جده...

العائلة هي الأمان والسند عندما تشتد أنواء الخطوب...

هي الركن الحصين الذي لا يخون من آوى إليه...

هي الجد قاسم بقوته ومسئوليته عن الجميع...

هي العمة فريدة بإيمانها ورضا قلبها...

هي العمة راجية بطيبتها الفطرية...

هي ياسين بحنانه الطاغي...

هي عمار بخشونته رغم رقة قلبه...



هي حذيفة بنزقه وخفة ظله...

هي آسيا برقتها التي تزينت أخيراً بقوتها...

هي جويرية بعذوبة روحها الطفولية...

هي ساري بعقلها وإحساسها بالمسئولية...

هي الدفء الذي يتغلغل في حنايا كل منهم ويربطهم جميعاً برباط سيحرص هو ألا ينقطع...

أبداً...أبداً...لن ينقطع!!

=======

_مرحباً بقاسم الصغير!!

هتفت بها آسيا بمرح وهي تتناول الرضيع من جويرية التي هتفت بجزع:

_ضعي كفكِ علي ظهره ليسنده ...نعم...هكذا!!

قالتها وهي تمسك كفها بنفسها لتضعه علي ظهر الرضيع الذي عاود بكاءه..



فهزته آسيا برفق وهي تقول بمشاكسة لتغيظها:

_كان يجب أن أتوقع هذا...ابن عمار وجوري سيكون كارثة متحركة!!!

خبطتها جويرية في كتفها وهي ترمقها بنظرة زاجرة لتقول بعدها بمرح مشاكس وهي تشير لبطن آسيا المنتفخ:

_لنرَ إذن ماذا سيكون عليه ابن القاصم....أراهن أنه سيكون سفاحاً أو مصاص دماء!!!

ضحكت آسيا بانطلاق بينما هتفت ساري التي دخلت -لتوها- بعتاب مصطنع:

_تضحكان وتمرحان بدوني؟!

هللت آسيا وجوري لتستقبلانها بعاصفة من الأحضان والقبلات...

قبل أن تهتف جوري بنزقها المعهود:



_لم أسمع عن "شهر عسل" يمتد لقرابة العام....زوجك هذا مجنون!!!

بينما ضحكت آسيا وهي تهدهد الصغير علي ذراعها قائلة :

_أنتما لم تكادا تكملا شهر إقامةٍ واحد هنا....يبدو أن حذيفة يحب السفر .

ابتسمت ساري بسعادة انطبعت علي ملامحها التي كانت الآن وضاءة بالحب الذي عانق أيامها مؤخراً بفرحة لم تتخيلها يوماً...

فحذيفة منذ زواجهما يتفنن في إسعادها بكل السبل...

وكأنه يعوضها عن كل ما شهده حبهما من تحديات...

حتي استقر أخيراً علي شطئان الأمان!!

بينما كانت فريدة تتأملهن بسعادة كلّلها الارتياح...



لقد منّ القدر أخيراً بالأمان علي بناتها اللائي تحررن جميعاً من قيود الجواري لتمضي كل منهن في طريقها -الملكي - الجديد مع الرجل الذي اختارته بكامل إرادتها...

حتي أحفاد النجدي الذكور كذلك تحرروا من قيود سيطرته العمياء عليهم وعبر كل منهم جدار الخوف الذي اشتد بنيانه في الصدور منذ الصغر...

لكنها لم تكن تري هذا فحسب...

بل كانت تري ما هو أبعد من ذلك...

قاسم النجدي نفسه تحرر من قيود تسلطه القديمة...

وأدرك بعد كل هذا العمر أن سلطان الحب أقوي من سلطان القسوة...

وأن أمانته التي كانت في عنقه نحو أبنائه -رحمهم الله- لم يكن ليقوي علي آدائها بسيف البطش...

بل برحيق الرحمة...!!!

أما عنها هي...



فقد صدقتها السماء بالحفظ لبناتها اللائي صرن بحقٍ ملكات...

علي رأس كل منهنّ تاجٌ من حب لا يخضع لسلطان العاطفة فحسب...

بل والعقل أيضاً...

حبٌ يسبقه احترام ويصاحبه تقديسٌ ويعقبه التصاق روح بروح...

حبٌ هو كالموت وكالميلاد...

لا يعرف زمناً...ولا يتكرر أبداً...

حبٌ ملكيٌ لا تعرفه الجواري وإن كُنّ في ثيابٍ ملكية!!!!

تمت

نوفمبر٢٠١٦



انتظرونا مع الجزء الثاني من

سلسلة قصور من رمال...

ليته ظل حلماً

إهداء

إلى رجلٍ يساوي كل العالم

إلى رجلٍ دللني كابنته...

وتعلق بي كأمه...

واحترمني كمعلمته...

وأحبني كامرأته...

إلى رجلٍ يستحق أن يقال عليه...."رجل"!!!

نرمين نحمدالله



